

التفسير البسيط

أبى الحسن علي بن محمد بن محمد بن أبي

ت (٤٦٨ هـ)

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الوائلي

ت (٤٦٨ هـ)

الجزء الثالث

سورة البقرة من الآية (٦٧) إلى الآية (١٩٥)

تحقيق

الدكتور محمد بن عبد العزيز الحضيدي

دققه ونقحه وضبطه

الأستاذ الدكتور

توكي بن سهون بن العتيوي

الأستاذ الدكتور

عبد العزيز بن سلطان بن عبد العزيز السعدي

العبيكان
Obekan

٢ شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الواحدى، أبو الحسن علي أحمد
التفسير البسيط. / أبو الحسن علي أحمد
الواحدى. - الرياض، ١٤٣٨هـ - ٢٥ مج.
٥٧٦ ص؛ ١٦,٥ × ٢٤ سم

ردمك: ٠٠٢٣-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
١-٢٦-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨ (ج ٣)

١. الواحدى، علي بن أحمد، ت ٤٦٨هـ (المؤلف).
٢. آل سعود، عبدالعزيز بن سطاتم.
- العتيبي، تركي بن سهو، (تدقيق وتنقيح وضبط).

ديوي: ٢٢٧,٣ - ٣٠٥٢ / ١٤٣٨

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

نشر وتوزيع **العبيكان**
Obeikan

المملكة العربية السعودية - الرياض -

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: ٨٦٥٤ ١١ ٩٦٦ + فاكس: ٨٠٩٥ ١١ ٩٦٦ +

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obeikanpublishing.com

جميع الحقوق محفوظة لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سطاتم بن عبدالعزيز آل سعود. ولا
يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما
في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الأمير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٧. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ الآية . قال الليث ^(١): «القوم الرجال دون النساء ، ومنه قوله عز وجل: ﴿لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١] ؛ أي رجال من رجال» ، ثم قال: ﴿وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ﴾ . قال زهير ^(٢):

وَمَا أَذْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ ^(٣) أَذْرِي أَقَوْمُ آلِ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءٍ ^(٤)

وقوم كل رجل : شيعته وعشيرته ^(٥) .

وقال أبو العباس : «القوم والنفر والرهط معناه الجمع ، ولا واحد لها من لفظها ، وهم الرجال دون النساء» ^(٦) . والمراد بالقوم هاهنا شيعة موسى وأتباعه . وقد يذكر القوم فيدخل فيه النساء كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ

(١) هو الليث بن المظفر ، وقيل : ابن ، وقيل : ابن رافع بن يسار الخرساني ، وكان بارعاً في الأدب ، بصيراً بالشعر والغريب والنحو ، وكان كاتباً للبرامكة . انظر : بغية الوعاة ٢ / ٢٧٠ ، ومعجم الأدباء ٤٣ / ١٧ .

(٢) هو زهير بن أبي سلمة بن رباح ، شاعر جاهلي ، من مزينة من الطبقة الأولى من فحول الشعراء الجاهليين ، كان له من الشعر ما لم يكن لغيره ، توفي سنة ١٣ قبل الهجرة . انظر : الشعر والشعراء ٦٩ / ١ ، والأعلام ٥٢ / ٣ .

(٣) في (أ) و(ج) : (أخاك) .

(٤) البيت من قصيدة قالها زهير في هجاء بيت من كلب من بني عليم . ورد في تهذيب اللغة (قام) ٣ / ٢٨٦٣ ، ومجمل اللغة (قوم) ٢ / ٧٣٨ ، والمقاييس (قوم) ٥ / ٤٣ ، والمعاني الكبير ١ / ٥٩٣ ، والمختص ٣ / ١١٩ ، ومغني اللبيب ١ / ٤١ ، ١٣٩ ، ٢ / ٣٩٣ ، ٣٩٨ ، والهمع ٢ / ٢٣٠ ، ٤ / ٥٤ ، ٣٧٦ ، ومعاهد التنصيص ٣ / ١٦٥ ، واللسان (قوم) ٦ / ٣٧٨٦ ، وفتح القدير ١ / ١٣٥ .

(٥) انتهى كلام الليث . تهذيب اللغة (قام) ٣ / ٢٨٦٣ . انظر : الزاهر ٢ / ١٦٩ ، واللسان (قوم) ٦ / ٣٧٨٦ .

(٦) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة عن المنذري عن أبي العباس (قام) ٣ / ٢٨٦٣ . انظر أيضاً : اللسان (قوم) ٦ / ٣٧٨٦ .

قَوْمِيَّةٌ [نوح: ١]، وكان مرسلاً إلى الإناث والذكور جميعاً، وجاز ذلك لأن الغالب من أمر^(١) النساء اتباع الأزواج فاكتفى بهم منهن لغلبيتهم عليهن^(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾: البقرة واحدة^(٣) البقر. الأصمعي: «يقال: رأيت لبني فلان بَقْرًا وبَقِيرًا وبَقُورَةً وبَاقِرًا»^(٤) وبَوَاقِرٍ، كله جمع البقر، وأنشد^(٥):

بَوَاقِرُ جُلُحٍ أَسَكَّتْهَا الْمَرَاعُ^(٦)

وقال آخر^(٧):

خَلَقًا كَحَوْضِ الْبَاقِرِ الْمُتَهَدِّمِ^(٨)

-
- (١) من أمر النساء) ساقط من (ب).
 (٢) ذكره ابن الأنباري في الزاهر ١٧٠ / ٢.
 (٣) في (ب): (واحد).
 (٤) في (ج): (باقر).
 (٥) ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة (بقر) ٣٧٠ / ١، قال: «قال أبو نصر: قال الأصمعي... ثم ذكره، وفيه: وأنشدني ابن أبي طرفة». انظر: جهرة أمثال العرب ٢٧ / ١، والصحاح (بقر) ٥٩٤ / ٢، ومقاييس اللغة (بقر) ٢٧٨ / ١.
 (٦) في (ب): (المرايع). والبيت لقيس بن العيزارة، وشطره الأول:
 فَسَكَّتْهُمْ بِالْقَوْلِ حَتَّى كَانَتْهُمْ
 الجُلُح: البقر لا قرون لها، وأسكته المراتع: طابت أنفسها بالمرعى فسكنت. ورد البيت في شرح أشعار الهذليين ٥٩٠ / ٢، وتهذيب اللغة (بقر) ٣٧٠ / ١، ومقاييس اللغة ٢٧٨ / ١، واللسان (بقر) ٤٢٣ / ١، و(جلح) ٦٥١ / ٢.
 (٧) هو الحارث بن خالد المخزومي. انظر: جهرة أمثال العرب ٢٧٠ / ١.
 (٨) البيت بتمامه:

مَا لِي رَأَيْتُكَ بَعْدَ أَهْلِكَ مُوحِشًا خَلَقًا كَحَوْضِ الْبَاقِرِ الْمُتَهَدِّمِ
 ورد البيت في جهرة أمثال العرب ٢٧٠ / ١، وتفسير الثعلبي ٨٤ / ١، والسجاوندي ٥٣، والبحر المحيط ٢٥٤ / ١.

ويقال لجماعة البقرة: يَنْقُور^(١) أيضاً، وقال أمية^(٢) :

... وَعَالَتِ الْبَيْقُورَا^(٣)

وقيل: إن أصل الحرف من الْبَقْر الذي هو الشَّقُّ . يقال: بقر بطنه إذا شَقَّه وفتحه، وكان يقال لمحمد بن علي بن الحسين^(٤) - رضي الله عنهما - الباقِر؛ لأنه بقر العلم وعرف أصله؛ أي شَقَّه وفتحه^(٥).

وَالْبَقِيرُ: ثوب يشق فتلقيه المرأة في عنقها من غير كُمَيْن ولا جيب^(٦). والبقر جنس شأنها أن تشق الأرض في الْكَرَاب^(٧).

(١) تهذيب اللغة (بقر) ١/ ٣٧٠. انظر: جهمرة أمثال العرب ١/ ٢٧٠.

(٢) هو أمية بن أبي الصلت.

(٣) تمام البيت:

سَلْعٌ مَا وَمِثْلُهُ عَشْرٌ مَا عَائِلٌ مَا وَعَالَتِ الْبَيْقُورَا
السلع: نبت، وعائل: من قولهم: عألني أثقلني، وعالت البيقورا: أثقلت هذه السنة البيقور بالهزال. قال في مغني اللبيب: «قال عيسى بن عمر: لا أدري ما معناه، ولا رأيت أحداً يعرفه»، وقال غيره: «كانوا إذا أرادوا الاستسقاء في سنة الجذب عقدوا في أذناب البقر وبين عراقيها السَّلْع والعُشْر، وهما ضربان من الشجر، ثم أوقدوا فيها النار وصعدوا بها الجبال، ورفعوا أصواتهم بالدعاء». مغني اللبيب ١/ ٣١٤. انظر: جهمرة أمثال العرب ١/ ٢٧٠، وتهذيب اللغة (بقر) ١/ ٣٧٠، و(سلع) ٢/ ١٧٣٣، والأزهية ٨١، واللسان (بقر) ١/ ٣٢٤، و(علا) ٣٠٩٠/٥.

(٤) في (ب) (الحسين الباقر)، وهو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو جعفر، الباقر خامس الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية، كان ناسكاً عابداً، توفي سنة أربع عشرة ومائة، وقيل: ثمان عشرة. انظر: حلية الأولياء ٣/ ١٨٠، وتهذيب التهذيب ٣٠٩٠/٥.

(٥) تهذيب اللغة (بقر) ١/ ٣٦٩، والصحاح (بقر) ٢/ ٥٩٥، وذكر ابن فارس أن الباء والقاف والراء أصلان؛ الأول: البقر، والثاني: التوسع في الشيء وفتح الشيء، قال: «وزعموا أنه أصل واحد، وسميت البقر لأنها تبقر الأرض»، قال: «وليس ذلك بشيء». انظر: مقاييس اللغة ١/ ٢٧٧-٢٨٠.

(٦) ذكره في تهذيب اللغة عن أبي عبيد عن الأصمعي ١/ ٣٦٩.

(٧) الْكَرَاب: يياض في (ب). وَالْكَرَابُ: هو حرث الأرض وقلبها. انظر: اللسان (كرب) ٧/ ٣٨٤٧.

وقوله تعالى: ﴿أَتَنَحِّذُنَا هُزُوًا﴾: يقرأ بالتخفيف والتثقيل^(١)؛ وذلك^(٢) أن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم^(٣)، فمن العرب من يثقله، ومنهم من يخففه، نحو: العُسر، واليُسْر، والحُكْم^(٤)، والرُّحْم^(٥)، وكذلك ما كان على فُعْل من الجموع قد استمر فيه الوجهان نحو: الكتب، والرسل، وحتى جاء ذلك في العين إذا كانت واواً نحو:

... سُوْكَ الإِسْحِلِ^(٦)

وقوله:

وفي الأَكْفِ اللَّامِعَاتِ سُوْرُ^(٧)

(١) قرأ حفص بضم الزاي من غير همز، وحمزة بإسكان الزاي، وبالهمز في الوصل، فإذا وقف أبدل الهمة واواً اتباعاً للخط، وبقية السبعة بالضم والهمزة. التيسير ٧٤. انظر: السبعة ١٥٨، والحجة لأبي علي ١٠٠/٢.

(٢) في (ب): (وكذلك).

(٣) في الحجة لأبي علي: قال أبو الحسن: «زعم عيسى أن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم...»، نقل عن أبي علي بتصرف. الحجة ١٠٥/٢.

(٤) في (أ) و(ج): (الحلم)، وأثبت ما في (ب) لأنه يوافق ما في الحجة ١٠٥/١.

(٥) عند تثقيلها يقال: العُسر، واليُسْر، والحُكْم، والرُّحْم. وهذا آخر ما حكاه أبو علي عن أبي الحسن عن عيسى. انظر: معاني القرآن للأخفش ٢٧٨/١، والحجة ١٠٥/١. انظر أيضاً: الكشف لمكي ٤٤٨/١، وحجة القراءات لابن زنجلة ١٠١.

(٦) البيت لعبد الرحمن بن حسان، ونغامة:

أَعْرُ الثَّنَايَا أَحْمُ اللَّثَا تَ تَمْنَحُهُ سُوْكَ الإِسْحِلِ

الأحم: الأسود، والثلاث: جمع لثة، وهي ما حول الأسنان، وسوك: جمع مساوك، والإسحل: شجر يستاك به. ورد في الحجة ١٠٥/٢، والمقتضب ١١٣/١، والمخصص ١٩٢/١١، والصحاح ١٥٩٣/٤، والمنصف ٣٣٨/١، وشرح المفصل ٨٤/١٠.

(٧) البيت لعدي بن زيد. انظر: الكتاب، وشطره الأول:

عَنْ مُبَرِّقَاتٍ بِالْبُرَيْنِ تَبْدُو

المبرقات: النساء المتزينات، والبرئين: جمع برة وهو الحلي، وسوْر: جمع سوار. والبيت من شواهد =

وَأَمَّا فَعْلٌ فِي جَمْعٍ أَفْعَلٍ نَحْوِ أَحْمَرٍ وَحُمْرٍ ، وَكَأَنَّهُمْ أَلْزَمُوهُ الْإِسْكَانَ لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْجَمْعَيْنِ ، وَقَدْ جَاءَ فِيهِ التَّحْرِيكُ فِي الشَّعْرِ ^(١) .

ومعنى قوله : ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا﴾ : قال أبو زيد : «هَزَيْتُ بِهِ ^(٢) هُزْءًا وَمَهْزَأَةً ، وَهَذَا لَا يَخْلُو مِنْ أَحَدٍ أَمْرَيْنِ ، أَحَدُهُمَا ^(٣) : أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ مَحْذُوفًا ؛ لِأَنَّ الْهُزْءَ حَدَثٌ ، وَالْمَفْعُولُ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْفِعْلِ يَكُونُ الْأَوَّلَ كَقَوْلِهِ : ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المتحنة : ١] وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ : أَتَتَّخِذُنَا أَصْحَابَ هُزْءٍ ، أَوْ يَكُونُ جَعَلَ الْهُزْءَ الْمَهْزُوءَ بِهِ مِثْلَ الْخَلْقِ ^(٤) وَالصَّيْدِ . وَقَوْلُهُ ^(٥) : ﴿لَا نَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا﴾ [المائدة : ٥٧] لَا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى تَقْدِيرٍ مَحْذُوفٍ ؛ لِأَنَّ الدِّينَ ^(٦) لَيْسَ بِعَيْنٍ .

وقول موسى : ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فِي جَوَابِ ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْهَازِئَ جَاهِلٌ ^(٧) ، وَمَعْنَى ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾ أَيُّ : أُمْتَنَعَ بِهِ وَأَجْلَأَ إِلَيْهِ ، وَمَصْدَرُهُ الْعَوْذُ وَالْعِيَاذُ ^(٨) . وَتَقُولُ الْعَرَبُ : أَطِيبَ اللَّحْمَ عَوْذَهُ ؛ أَيُّ الَّذِي

= سيبويه ٣٥٩/٤ ، وشرح شواهده للسيرافي ٤٢٥/٢ ، والمخصص ٤٦/٤ ، والمنصف ٣٣٨/١ ،
والحجة ١٠٥/٢ ، وشرح الكافية لابن مالك ١٨٣٧/٤ ، وشرح المفصل ٤٤/٥ ، ٩١ ، ٨٤/١٠ ،
والهمع ٩٤/٦ ، واللسان (مع) ٤٠٧٤/٧ .

- (١) الحجة لأبي علي ١٠٦/٢ . انظر : الكشف لمكي ٤٤٨/١ .
- (٢) (به) : ساقط من (ب) ، وليس في الحجة ، وفي الحاشية : (في ط : هزئت به) . الحجة ١٠٤/٢ .
- (٣) في الحجة بعد أن ذكر كلام أبي زيد : «قال أبو علي : قوله تعالى : ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا﴾ فلا يخلو من أحد أمرين . . . » ١٠٤/٢ .
- (٤) قوله : مثل الخلق والصيد ؛ أي في نحو قوله تعالى : ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ، وقوله : ﴿أَجَلٌ لَكُمْ صَبْدُ الْبَحْرِ﴾ ، ونحو ذلك . انظر : الحجة ١٠٤/٢ .
- (٥) في (ب) : (وقال) .
- (٦) في (ب) و(ج) : (الذين) تصحيف .
- (٧) انتهى من الحجة ١٠٤/٢ ، ١٠٥ .
- (٨) انظر : مقاييس اللغة (عوذ) ١٨٤/٤ ، واللسان (عوذ) ٣١٦٢/٥ .

عاذ بالعظم ، وناقاة عائد : يعوذ بها ولدها ، وجعلت عائذاً وهي معوذ بها ،
وجمعها عُوذ ، وهي الحديثات التناج ، وذلك أن الولد يعوذ بها إذا^(١) كان حديثاً ،
فإذا شبَّ الولد لم يعذ بالأُم ، فلهذا يفسر العُوذ بالحديثات التناج^(٢) ، والأصل ما
ذكرنا ، ومنه قول لبيد :

فَالْعَيْنُ سَاكِتَةٌ عَلَى أَطْلَائِهَا^(٣) عُوذًا تَأْجَلُ بِالْغَضَاءِ بِهَامِهَا^(٤)

وقوله تعالى : ﴿ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ : الجهل نقيض العلم ، ويقال : استجهلت
الريحُ الغصنَ إذا حركته فاضطرب ، والمجهلة : الأمر يحملك على الجهل^(٥) ،
ومنه الحديث : « الولد مجهلة مبخلة^(٦) مجبنة^(٧) » .

وكان حقه^(٨) أن يقول : « فقال أعوذ بالله » لأنه عطف على ما قبله ، قال
الفرّاء : وهذا في القرآن كثير بغير الفاء ؛ ذلك أنه جواب يستغني أوله عن آخره

(١) في (أ) و(ج) : (إذ) ، وأثبت ما في (ب) ؛ لأنه أنسب للسياق .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (عاذ) ٢٢٧٣/٣ ، والصحاح (عوذ) ٥٦٧/٢ ، واللسان (عوذ) ٣٧٦٣/٥ .

(٣) في (ب) : (أطلاها) .

(٤) قوله : العين : البقر لكبر عيونها ، وأطلائها : أولادها ، والمفرد : طلا ، وعوذاً : حديثات التناج ،
وتأجل : تسير أو تتجمع إجلًا إجلًا ؛ أي قطعاً ، والبهام : أولاد الضأن ، واستعاره لبقر الوحش .
شرح ديوان لبيد ٢٩٩ ، ومقاييس اللغة (عوذ) ١٨٤/٤ ، وشرح القصائد المشهورات للنحاس
١٣٣ ، واللسان (أجل) ٣٣/١ ، و(بهم) ٣٧٦/١ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (جهل) ٦٨٠/١ ، واللسان (جهل) ٧١٣/١ .

(٦) مبخلة : ساقط من (ب) .

(٧) أخرجه ابن ماجه بسنده ، عن يعلى العامري أنه قال : جاء الحسن والحسين يسعيان إلى النبي ﷺ
فضمهما إليه ، وقال : « إن الولد مبخلة مجبنة » . قال في الزوائد : « إسناده صحيح ، رجاله ثقات » .
سنن ابن ماجه ، كتاب : الأدب ، باب : بر الوالد والإحسان إلى البنات . وبهذا اللفظ ذكره السيوطي
في جمع الجوامع ، وعزاه لابن ماجه وابن أبي شيبه والطبراني في المعجم الكبير ، وجمع الجوامع في
١/ل/٢١٦ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، ولفظه : « إن الولد مبخلة مجبنة مجبنة » قال : « رواه
البخاري ورجاله ثقات » . مجمع الزوائد ، كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء في الأولاد ٨/١٥٥ .

(٨) قوله : « وكان حقه أن يقول . . . » هذه العبارة لا تليق بمكانة كتاب الله الذي هو في قمة الفصاحة
والبلاغة ، مع أن عموم القاعدة التي ذكر منقوض بكلام الفرّاء الذي أورده .

بالوقفة عليه ، فكأن^(١) حسن السكوت^(٢) يجوز به طرح الفاء ، وأنت تراه في رؤوس^(٣) الآيات لأنها فصول حسناً^(٤) ، من ذلك^(٥) قوله : ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾^(٦) ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا﴾^(٦) [الحجر : ٥٧ ، ٥٨ ، والذاريات : ٣١ ، ٣٢] . والفاء حسنة مثل قوله : ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [هود : ٢٧ ، المؤمنون : ٢٤] ، ولو كان على كلمة واحدة لم تسقط العرب منه الفاء ، من ذلك^(٧) : قمت ففعلت ، لا يقولون : قمت فعلت ، ولا قلت قال^(٨) ، حتى يقولوا : قلت^(٩) فقال ، وقمت فقام ، أو قلت^(١٠) وقال ؛ لأنها نسق وليست باستفهام يوقف عليه ، قال : وأنشدني بعض العرب :

لَمَّا رَأَيْتُ نَبَطًا أَنْصَارًا شَمَرْتُ عَنْ رُكْبَتِي الْإِزَارَا
كُنْتُ لَهَا مِنَ النَّصَارَى جَارَا^(١١)

[لم يقل : فكنت ، ولا وكنت]^(١٢) .

- (١) في (ب) : (وكان) ، وفي معاني القرآن للفرّاء ٤٣ / ١ ، (فكأن) وهو أولى .
- (٢) في (أ) : (السكون) ، والصحيح بالثناء كما في معاني القرآن للفرّاء ٤٤ / ١ .
- (٣) في (ب) : (فصول) .
- (٤) كذا في النسخ جميعها ، وكذا في معاني القرآن للفرّاء ، وفي حاشيته : في ش ، ج (حسنة) ٤٤ / ١ .
- (٥) من ذلك : ساقط من (ب) .
- (٦) قوله : «قالوا إنا أرسلنا» ساقط من (ج) .
- (٧) ذلك ساقط من (ب) .
- (٨) زيادة لازمة من معاني القرآن للفرّاء ٤٤ / ١ .
- (٩) قوله : «حتى يقولوا قلت» ساقط من (ب) .
- (١٠) قوله : «أو قلت وقال» ليست في معاني القرآن للفرّاء ٤٤ / ١ .
- (١١) سبق هذا الرجز . انظر تخريجه عند تفسير قوله تعالى : ﴿قَالُوا أَلَمْ يَجْعَلْ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ ، وبه ينتهي ما نقله من كلام الفرّاء . انظر : المعاني ٤٣ / ١ ، ٤٤ ، وتفسير الطبري ٣٣٧ / ١ .
- (١٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

٦٨. وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَذُعُ لَنَّا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ﴾ الآية . إنما سألوا ما هي ؛ لأنهم لم^(١) يعلموا أن بقرة يحيا بضرب بعضها ميّت ، قاله^(٢) الزّجاج^(٣) .

ويقال : «بَيَّنَّ الشَّيْءَ وَأَبَانَهُ» إذا^(٤) أزال الإشكال عنه ، والأصل فيه معنى التفريق ، والبيان سُمِّيَ بياناً لأنه التمييز عما يلتبس ، والتبيين هو التمييز الذي يقع به التعريف^(٥) . وترى هذا مستقصى^(٦) عند قوله : ﴿عَوَانُ بَيْتِكَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] .

وموضع (ما) رفع بالابتداء ؛ لأنه بمعنى الاستفهام ، معناه : أي شيء هي ؟ والاستفهام لا يعمل فيه ما قبله^(٧) ، وبيان هذه المسألة يذكر^(٨) عند قوله : ﴿مَا كُونُهَا﴾ [البقرة: ٦٩] .

وقوله تعالى : ﴿لَا فَاْرِضُ﴾ : قال الفرّاء : «الفارض : الهرمة ، يقال من الفارض : فرَضْتُ وفرَضْتُ ، ولم يسمع بِفَرَضَ»^(٩) ، ونحو ذلك قال قتادة^(١٠) .

(١) في (ب) : (ما علموا) .

(٢) في (ب) و(ج) : (قال) .

(٣) معاني القرآن للزّجاج ١/ ١٢٢ . والحقيقة أن هذا السؤال تعنت منهم لسوء أخلاقهم مع نبي الله وجفائهم . انظر : تفسير الطبري ١/ ٢٤٠ ، وتفسير الثعلبي ١/ ٨٢ أ ، وتفسير ابن كثير ١/ ١١٧ .

(٤) في (ب) : (وإذا) .

(٥) انظر : مقاييس اللغة (بين) ١/ ٣٢٧ ، والصحاح (بين) ٥/ ٢٠٨٢ .

(٦) في (ب) : (مستقصى) .

(٧) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١٨٥ ، وإعراب المشكل ١/ ٥٢ ، والإملاء ٤٢ ، والبحر المحيط ٢٥١/١ .

(٨) (يذكر) : ساقط من (ب) .

(٩) في (ج) : (تفرض) ، وفي (أ) غير معجمة ، والكلام بهذا النص في تهذيب اللغة (فرض) ٣/ ٢٧٧٢ ، وفي معاني القرآن للفرّاء ١/ ٤٥ : «والفارض : قد فرضت ، وبعضهم : قد فرضت ، وأما البكر فلم نسمع فيها بفعل» .

(١٠) وكذلك قال ابن عباس ، وأبو العالية ، والسُّدِّي . انظر : تفسير الطبري ١/ ٣٤١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٤١٢/١ .

وقال الكسائي : «الفارض : الكبيرة العظيمة ، قد فرضت تفرض فُروضاً» .

ثعلب عن ابن الأعرابي : «الفارض : الكبيرة» .

وقال أبو الهيثم : «الفارض : المسنة»^(١) .

أبو زيد : «بقرة فارض : عظيمة سمينة ، والجميع فوارض»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَكْرُ﴾ : قال الليث : «البكر من النساء : التي لم تمس ، والبكر من الرجال : الذي لم يقرب النساء بعد ، والبكر : أول ولد الرجل غلاماً كان أو جارية ، وبقرة بكر : فتية لم تحمل ، والبكر من كل أمر : أوله»^(٣) ، وأصل هذا الباب أول الأمر ، فالبكارة أول حال النساء ، وهي بكر في أول حالها ، والباكورة أول ما يدرك من الثمار ، والبُكرة أول النهار»^(٤) .

قال الزَّجَّاج في قوله : ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ﴾ : «أي ليست بكبيرة ولا صغيرة» ، قال : «وارتفع (فارض) بإضمار هي»^(٥) .

وقال الأخفش : «ارتفع على الصفة للبقرة ، والوصف بالنفي صحيح ، لأنه يرجع في التحقيق إلى أنه يختص بما ينافي ذلك الوصف ، تقول : مررت برجل لا قائم ولا قاعد ، أي : برجل^(٦) مختص بصفة تنافي القيام والقيود»^(٧) .

(١) قول الكسائي وابن الأعرابي وأبي الهيثم في تهذيب اللغة (فرض) ٣/ ٢٧٧٢ . انظر : اللسان (فرض) ٦/ ٣٣٨٧ .

(٢) ذكره في اللسان (فرض) ٦/ ٣٣٨٨ .

(٣) تهذيب اللغة (بكر) ١/ ٣٧٥-٣٧٧ .

(٤) انظر : مقاييس اللغة (بكر) ١/ ٢٨٧ ، وتهذيب اللغة (بكر) ١/ ٣٧٥-٣٧٧ ، واللسان (بكر) ١/ ٣٣٣ .

(٥) معاني القرآن ١/ ١٢٢ .

(٦) في (ب) : (رجل) .

(٧) معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٧٩ ، ذكر قوله بمعناه .

وقوله تعالى: ﴿عَوَانٌ﴾: قال الفرّاء: «انقطع الكلام عند قوله: ﴿وَلَا يَكْرُ﴾»، ثم استأنف فقال: ﴿عَوَانٌ بَيِّنٌ ذَلِكَ﴾. قال: والعوان يقال منها: عَوْنَتُ تُعَوِّنُ تَعْوِينًا^(١).

وقال أبو الهيثم: «العوان: النَّصَفُ التي بين الفارض - وهي المسنة - وبين البكر وهي: الصغيرة»^(٢).

أبو زيد: «بقرة عوان: بين المسنة والشابة»^(٣)، وقد عانت تعون عُوُونًا إذا صارت عوانًا^(٤).

وقال الأخفش: «العوان التي نتجت مراراً، وجمعها عُون»^(٥). قال ابن مقبل:

وَمَا تَمَّ كَالدُّمَى حُورٍ مَدَامِعُهَا لَمْ تَشَقَّ بِالْعَيْشِ أَبْكَاراً وَلَا عُوناً^(٦)
وقال ابن الأعرابي: «العَوَان»^(٨) من الحيوان السن بين السنين لا صغير ولا كبير^(٩).

(١) معاني القرآن ١/ ٤٤، ٤٥، وتهذيب اللغة (عان) ٣/ ٢٢٩٢، ولم يرد فيها (تعون تعوينا).

(٢) تهذيب اللغة (عان) ٣/ ٢٢٩٢. انظر: اللسان (عون) ٥/ ٣١٧٩.

(٣) في (ب): (الشاب).

(٤) المرجع السابق.

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ٨٣ ب، والبغوي في تفسيره ١/ ٨٣، ولم أجده في معاني القرآن للأخفش.

(٦) (ابن): ساقط من (ج).

(٧) المأتم: جماعة النساء، والدمى: أو التمثال، شبه النساء بجاهن بالدمى، لم يشقن بالعيش وهن أبكار، أو عون عند أزواجهن، ويروى البيت (لم تيأس) بدل (لم تشق)، ورد البيت في تفسير الطبري، والزاهر ١/ ٢٦٣، وجهرة أشعار العرب ٨٥٩، وتهذيب اللغة (أتم) ١/ ١١٤، واللسان (أتم) ١/ ٢٠.

(٨) في (أ) و(ج): (العون)، وما في (ب) يوافق تهذيب اللغة.

(٩) كلام ابن الأعرابي أورده الأزهرى عن ثعلب عن ابن الأعرابي، تهذيب اللغة (عان) ٣/ ٢٢٩٢.

انظر: اللسان (عون) ٥/ ٣١٧٩.

قال^(١): «ويقال في الجمع: عُون، فرس عَوان، وخيل عُون، على فُعْل، والأصل عُون فُكروها إلقاء ضمة على الواو فسكنوها، وكذلك يقال: رجل جواد وقوم جُود»، قال زهير:

نَحْلُ^(٢) سُهُولَهَا فإِذَا فَرَزْنَا جَرَى مِنْهِنَّ بِالْأَصَالِ عُونُ^(٣)
فَرَزْنَا: أَغْنَا مُسْتغِيثًا.

قال^(٤): «وامرأة عوان: ثيب. وحرب عوان: كان قبلها حرب، كأنه قوتل فيها مرتين».

قال ابن عباس: «عوان: بين^(٥) الصغيرة والكبيرة، وهي أقوى ما يكون من البقر^(٦) وأحسن ما يكون»^(٧).

وقال مجاهد: «عوان: وسط قد ولدت بطناً أو بطنين»^(٨).

(١) نسب الواحدي الكلام إلى ابن الأعرابي، وهو في تهذيب اللغة منسوب إلى أبي الهيثم؛ إذ قال: «وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم قال: العوان النصف . . . ثم قال: قال: ويقال: فرس عوان . . . تهذيب اللغة (عان) ٢٢٩٢/٣.

(٢) في (أ) و(ج): (يجل)، وفي (ب): غير منقوط، وبالنون ورد في المصادر جميعها.

(٣) قوله: «جرى منهن»؛ أي من خيلهم، وقد روي شطره الأخير:

جَرَتْ بِهِمْ إِلَى الْمَضَارِ عُون

ورد البيت في تهذيب اللغة (عان) ٢٢٩٢/٣، والمخصص ٥١/٨، واللسان (عون) ٣١٧٩/٥، وديوان زهير ١٠٢.

(٤) أي ابن الأعرابي. انظر: تهذيب اللغة (عان) ٢٢٩٢/٣.

(٥) في (ج): (من).

(٦) في (أ): (البقرة) وما في (ب) و(ج) يوافق رواية ابن عباس في الطبري.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس ٢/١٩٥، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/٤١٣.

انظر: تفسير ابن كثير ١/١١٨، والدر المنثور ١/١٥١.

(٨) أخرجه الطبري ٢/١٩٥، وابن أبي حاتم ١/٤١٤.

وفائدة قوله : «عوان» ، بعد ما نفى أن تكون^(١) بكراً وأن تكون^(٢) فارضاً ، هو أنه احتمال أن تكون عجلاً أو جنيئاً ، فقال : «عوان» ، لإزالة اللبس ونفي الاحتمال .

وقوله تعالى : ﴿بَيِّنْ ذَلِكَ﴾ . (بَيِّنْ) لا تصلح^(٣) إلا لشيئين^(٤) أو لأكثر ، وإنما صلحت من ذلك وحده ؛ لأنه في مذهب الاثنتين^(٥) ، والاثنان^(٦) قد يجتمعان بـ «ذلك وذاك» ، ألا ترى أنك تقول : «أظن زيداً أخاك» ، وكان زيد أخاك» ، ولا بد لـ (كان وأظن)^(٧) من شيئين ، ثم تقول : «قد كان ذاك وذلك» ، وأظن ذلك وذاك»^(٨) ، فيكون جائزاً .

والاسمان اللذان ضمهما ذلك : الهرم والشباب^(٩) ، كأنه قيل : «بين الهرم والشباب»^(١٠) ، وجاز أن يتضمن ذلك اسمين ؛ لأنه أتى به على مذهب الفعل ، وأنت تقول في الأفعال : «إقبالك وإدبارك يشق علي» ، فتوحد فعلهما بعدهما ، ولا تقول : «أخوك وأبوك يزورني» ؛ لأن الأفعال وإن اختلفت حركاتها جنس واحد ، وليست كالأسماء التي يخالف بعضها بعضاً ، كذلك هاهنا أريد بين الهرم والشباب^(١١) .

(١) في (أ) : (يكون) في المواضع الثلاثة ، وأثبت ما في (ب) و(ج) لمناسبته للسياق .

(٢) في (ج) : (أو تكون) .

(٣) في (أ) و(ج) : (يصلح) ، وما في (ب) موافق لمعاني القرآن للفرء ١ / ٤٥ ، والكلام منقول منه .

(٤) في معاني القرآن : (لا تصلح إلا مع اسمين فما زاد) .

(٥) في (ب) : (الاثنتين) .

(٦) في معاني القرآن : (والفعلان) .

(٧) في (ب) : (ولأظن) .

(٨) (ذاك) : ساقط من (ب) .

(٩) في (أ) و(ج) : (الشباب) في المواضع الثلاثة ، وما في (ب) موافق لمعاني القرآن ١ / ٤٥ .

(١٠) انظر : الحاشية السابقة .

(١١) انظر : الحاشية السابقة .

ومما يجوز أن يقع عليه (يُنَّ) وهو واحد في اللفظ ويؤدي عن الاثنين^(١)،
 فما زاد قوله : ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٣٦] ، ولا يجوز : لا نفرق بين
 رجل منهم ؛ لأن أحداً لا يُثنى كما يُثنى الرجل ويجمع ، فإن شئت جعلت
 أحداً^(٢) في تأويل اثنين ، وإن شئت في تأويل أكثر من ذلك ، قال الله تعالى :
 ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] ، وتقول : «بين أيهم المال ، وبين
 من قسم المال» ، فتجري^(٣) (من وأي) على^(٤) مجرى أحد لأنهما قد يكونان
 لواحد . وجميع^(٥) هذا قول الفرّاء^(٦) ، ونحو هذا قال الزّجاج فقال : «معنى :
 ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ بين البكر والفارص ، وإنما جاز بين ذلك وبين لا يكون^(٧) إلا مع
 اثنين لأن^(٨) ذلك ينوب عن الجمل تقول : ظننت زيدا قائماً ، فيقول القائل : قد
 ظننت ذاك ، وظننت ذلك»^(٩) .

قال أبو علي^(١٠) : «اعلم^(١١) أن بين اسم يستعمل على ضربين : مصدر وظرف ،
 وهما عندي وجميع باهما يرجع إلى أصل واحد ، وهو الافتراق والانكشاف» .

(١) في (ب) : (اثنتين) .

(٢) في (ب) : (واحد) .

(٣) في (ج) : (في فتجري) .

(٤) (على) ساقط من (ب) .

(٥) في (ب) : (لواحد ولجمع) .

(٦) انظر : معاني القرآن ١ / ٤٥ ، وقد نقل كلام الفرّاء بتصرف ، وانظر : تفسير الطبري ١ / ٣٤٤ .

(٧) في (ب) : (لا تكون) .

(٨) (لأن) : ساقط من (ج) .

(٩) معاني القرآن للزّجاج ١ / ١٢٣ . انظر : ما سبق ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ .

(١٠) ورد كلام أبي علي في كتاب الإغفال في ما أغفله الزّجاج في كتاب معاني القرآن ، وقد نقل عنه الواحدي

طويلاً بتصرف ، وأثبت الفروق المهمة في أماكنها ، والإغفال ٢١٤ .

(١١) (اعلم) : ساقط من (ب) .

فأَمَّا الذي هو مصدر ^(١) فقالوا : «بان الخليطُ بيناً» ؛ أي فارق ، وقد بُنِيتُ ؛ أي فارقته . أنشد أبو زيد :

كَأَنَّ عَيْنَيَّ وَقَدْ بَانُونِي غَرَبَانٍ فِي جَدُولٍ مَنَجُونٍ ^(٢)

والمعروف : بان عني ، فأَمَّا هذا فيتجه على أنه أراد الحرف فحذفه فلما حذف الحرف أوصل الفعل ^(٣) . وقولهم : بان الأمر وأبان إنما معناه : انكشف ، وفارقه ما كان غشيه من الإشكال بغيره والالتباس بسواه .

وقال أبو زيد : «البَيُّون : البئر الواسعة الرأس الضيقة الأسفل ، إذا قام الساقى على شفتها لم ير الماء» ، وأنشد :

إِنَّكَ إِنْ دَعَوْتَنِي وَدُونِي زَوْرَاءُ ذَاتُ مَنْزَعٍ بَيُّونٍ
لَقُلْتُ لَبَّيْهِ لِمَنْ يَدْعُونِي ^(٤)

(١) في (ب) : (المصدر) .

(٢) بانوني : فارقوني ، وغربان : مثني غرب ، وهي دلو عظيمة ، وجدول : نهر صغير ، ومنجونون : دولاب ، وهو ما يستقى به الماء ، فارسي معرب . ورد البيت في نوادر أبي زيد ٢٦٢ ، والإغفال ٢١٤ ، والخصائص ١٤٩/٢ ، والمنصف ٢٤/٣ ، والمخصص ٣٨/١٢ ، واللسان (بين) ٤٠٤/١ ، و(منجونون) ٤٢٧٣/١ .

(٣) بمعناه في الإغفال ٢١٥ .

(٤) الرجز لم يعرف قائله ، ومعنى زوراء : الأرض البعيدة الأطراف ، والمنزع : الموضع الذي يصعد فيه الدلو إذا نزع من البئر ، فذلك الهواء هو المنزع . يقول : لو ناديتني وبينني وبينك أرض بعيدة ، ذات ماء بعيد المتناول أجبت ، فلا تردني عن إجابتك الصعاب . وردت الأبيات في تهذيب اللغة (بان) ٢٦٦/١ ، والمخصص ٣٦/١٠ ، ١٤٧/١٦ ، والإغفال ٢١٥ ، والهمع ١١٣/٣ ، وشرح ابن عقيل ٥٢/٣ ، وأوضح المسالك ١٤٤ ، ومغني اللبيب ٥٧٨/٢ ، والخزانة ٩٣/٢ ، واللسان (لب) ٣٩٨٠/٧ ، و(بين) ٦٤/١٣ ، ووقع اختلاف يسير في رواية بعض ألفاظها .

وهذا أيضاً مما ذكرنا^(١)؛ لأن أعلى البئر فارق أسفلها لانزياحه بورود السابلة عليها^(٢) والمستقين^(٣) منها .

ولهذا المعنى الذي ذكرنا في أصل هذه الكلمة أضيف (بَيَّنَ) إلى ما دل على أكثر من الواحد في الأسماء ، ولم يضاف إلى الاسم المفرد الدال على الواحد ؛ لأن ذلك ممتنع في معناه .

ألا ترى أنك لو قلت : «اجتماع زيد»^(٤) ، وجمعت زيداً ، لم يسغ^(٥) حتى تضيف إليه ما تريد^(٦) به على الأفراد .

هذا أصل (بَيَّنَ) في اللغة ، ثم لا يمتنع أن يتسع فيه كما اتسع في غيره ، فيستعمل لغير هذا المعنى . مما اتسع فيه أنه استعمل بمعنى الوصل^(٧) ، وهو ضد الافتراق ، وقد بينّا أن أصله راجع إلى الافتراق ، وإنما جاز استعماله بمعنى الوصل في قوله : ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام : ٩٤] على قراءة من رفع^(٨) ؛ لأنه قد كثر استعمالها ظرفاً بين الشيئين ، ومع الشيئين اللذين بينهما ملابس ومخالطة ، فصار لذلك بمنزلة الوصلة والاقتراب بين الشيئين . وهذا الاتساع إنما هو في المستعمل ظرفاً دون التي هي مصدر ؛ لأنه في الاستعمال أكثر .

(١) في الإغفال : (ذكرناه) .

(٢) (عليها) : ساقط من (ب) .

(٣) في (ج) : (المستبين) .

(٤) في (ب) : (زيداً) .

(٥) (يسغ) : مكانها بياض في (ب) .

(٦) في الإغفال : (ما يؤيد به . . .) : ٢١٧ .

(٧) انظر : الإغفال ٢١٧-٢١٩ ، نقل كلامه بتصرف .

(٨) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعامر وحمة وعاصم في رواية أبي بكر بالرفع ، وقرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية حفص بالنصب . انظر : السبعة ٢٦٣ ، والتيسير ١٠٥ .

وهذا التوسع في الظروف كثير ، والذي استعمل ظرفاً أصله الذي هو مصدر ؛ لأن المصادر قد استعملت ظرفاً في مواضع كثيرة ، والأسماء التي تستعمل تارة ظرفاً وتارة أسماء لا تمتنع أن تكون مشتقة مثل : خلف ، وأمام ، وقدام ، وأعلى ، وأسفل ، ووسط ؛ كلها مشتقة ، وهي مع ذلك ظروف ، وقد استعملت أسماء^(١) كما استعملت ظرفاً ، وكذلك (بَيْنَ) في نحو قوله : ﴿ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ [فصلت : ٥] فقد استعملت اسماً ، كما استعملت ظرفاً^(٢) نحو : بينهما مال ، وفي قوله : ﴿ لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ ﴾ [الأنعام : ٩٤] في قراءة من نصب^(٣) ؛ لأن المعنى : لقد تقطع الاشتراك^(٤) بينكم .

وأما ما لزم^(٥) الظرفية وَبُعْدَ عن التمكن ، كإذ ونحوه ، فيمتنع اشتقاقه^(٦) .

هذا هو الكلام في (بَيْنَ) . فأما ما يقع بعده فهو على ضربين^(٧) : اسم ، وجملة . والاسم المفرد الذي بعده لا يخلو من أن يكون دالاً على واحد أو أكثر من الواحد . فإذا كان دالاً على الواحد غير دال^(٨) على أكثر منه عطف عليه اسم آخر ، وكان العطف بالواو دون غيرها من الحروف العاطفة [وذلك قولنا : المال بين زيد وعمرو . وإنما كان العطف بالواو لما فيها من معنى الاجتماع ، ولأن ذلك

(١) في (ب) : (كلما) .

(٢) في (ب) : (قد استعملت ظرفاً) .

(٣) قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم كما سبق .

(٤) في (أ) و(ج) : (لقد تقطع بينكم الاشتراك بينكم) زيادة بينكم وليست في الإغفال ٢١٨ .

(٥) في (أ) و(ج) : (وأما لزم) ، وفي (ب) : (وأما ما لزوم) .

(٦) قال أبو علي : «فالقول : أن ما كان منها يستعمل تارة اسماً ، وتارة ظرفاً ، فلم يلزم الظرفية ، فيبعد بذلك عن المتمكنة ، كإذ ونحوه ، ولا يمتنع أن تكون مشتقة كسائر الأسماء التي لا تكون ظرفاً» .

الإغفال ٢١٨ .

(٧) انظر : الإغفال ٢١٩ .

(٨) في (ب) : (وغير ذاك) .

حقيقتها وأصلها ، وليس ذلك موجوداً في شيء غيرها من الحروف العاطفة^(١) .
وفي العطف على الاسم المفرد بعد (بَيِّنَ) يحتاج إلى ما يدل على معنى الاجتماع .
لما قدمنا ذكره في معنى (بَيِّنَ) فلو عطف فيه على الاسم المفرد بحرف غير الواو
لبقيت إضافتها كأنها إلى المفرد .

ألا ترى أنك لو جعلت موضع الواو الفاء -لما فيها من معنى إتباعه الثاني
الأوّل- ما اجتمع مع المعطوف عليه ، وإذا لم يجتمع معه حصلت الإضافة إلى
مفرد دال على واحد ، وإضافتها إلى الواحد ممتنع . والذي يدل على أنه حيث
تريد^(٢) الاجتماع لا يجوز العطف بغير الواو^(٣) أنك لو قلت : «مررت بزيد أخيك
وصاحبك» ، وأنت تريد نعتة بالأخوة والصحة جميعاً^(٤) كان العطف بالواو دون
سائر أخواتها ؛ إذ^(٥) كان الغرض أنه مستحق لهما^(٦) معاً . وكذلك الأفعال التي لا
تقع إلا من فاعلين لا يكون العطف فيه لأحد الفاعلين على الآخر إلا بالواو دون
غيرها ؛ لأنك لو عطف فيها بغير الواو لصارت كأنها مسندة إلى فاعل واحد ،
وذلك فيها فاسد ، وذلك نحو الاشتراك والاختصاص^(٧) والافتتال وما أشبه هذا .
وما امتنع من العطف بالفاء فهو من (ثم) أشد امتناعاً ؛ إذ^(٨) كان معناها من معنى
الاجتماع أبعد ، وإلى الافتراق أقرب لما يدل عليه من التراخي والمهلة^(٩) .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) في (ب) : (يريد) .

(٣) الإغفال ٢٢٠ ، نقل كلامه بتصرف .

(٤) في (ب) : (حصل) .

(٥) في (ب) : (إذا) .

(٦) في (ب) : (لها جميعاً) .

(٧) في الإغفال (الاختصاص) ٢٢٠ .

(٨) في (ب) : (إذا) .

(٩) الإغفال ٢٢١ .

فإن قيل^(١) : أليس قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ﴾ [النور : ٤٣] فأضاف (بين)^(٢) إلى اسم مفرد ؟ قيل : الهاء فيه ضمير يعود إلى اسم يراد به الجمع ، فجاز إضافة (بَيْنَ) إليه من حيث جاز إضافته إلى الاسم الذي هذه^(٣) الهاء عائدة إليه ، وذلك قوله : ﴿سَحَابًا﴾^(٤) ، ألا ترى أن سحاباً جمع سحابة .

فأمّا قوله^(٥) : «بيني وبينه مال» ، فمذهب سيبويه فيه أن (بَيْنَ) الثاني متكرر للتأكيد ، ومعناه عنده^(٦) : بيننا . قال : «وهو مثل قولهم : أخزى الله الكاذب مني ومنك وإنما هو : منّا»^(٧) ، وكقول القائل^(٨) :

فأَيُّ ما وأَيُّكَ كانَ شَرًّا فَقِيدَ إلى المَقَامَةِ لَا يَرَاهَا^(٩)

إنما هو فأينا ، كذلك هاهنا المعنى بيننا ، وكُرِّرَ للتأكيد . وأمّا قوله تعالى : ﴿عَوَانُ بَيْنَكَ ذَلِكَ﴾ : أضاف^(١٠) (بَيْنَ) إلى ذلك من حيث جاز إضافته إلى القوم ، وما أشبه ذلك من الأسماء التي تدل على الكثرة وإن كانت مفردة ، وإنما

(١) الإغفال ٢٢٦ .

(٢) (بين) : ساقط من (ب) .

(٣) في (ج) : (هو هذه) .

(٤) سياق الآية : ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ يُرْسِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ﴾ [النور : ٤٣] .

(٥) في (ب) : (قولهم) .

(٦) في الإغفال ، فمذهب سيبويه فيه أن (بَيْنَ) الثاني متكرر للتأكيد كما يكرر الشيء له ، ومعناه عندنا : بيننا : ٢٢٧ .

(٧) انظر : الكتاب ١ / ٢٠٤ .

(٨) هو العباس بن مرداس .

(٩) معنى البيت : يقول من كان متراً شراً أعماه الله في الدنيا فلا يبصر مجلسه ، وقيل : مات على عماء فيقاد إلى موضع إقامة الناس في العرصات ، والمقامة : يفتح الميم وضمها : المجلس ومكان اجتماع الناس . انظر : الكتاب ٢ / ٤٠٢ ، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ٢ / ٩٣ ، وشرحها للنحاس ١٥٥ ، والإغفال ٢٢٧ ، وتهذيب اللغة (أي) ١ / ٢٤٢ ، واللسان (قوم) ٦ / ٣٧٨٧ ، و(أيا) ١ / ٢٤٢ ، وأمالى القالي ٣ / ٦٠ ، وشرح المفصل ٢ / ١٣١ ، والخزانة ٤ / ٣٦٧ ، والبحر المحيط ٤ / ٢٢٦ .

(١٠) في (ب) و(ج) : (فأضيف) ، وفي الإغفال : (فإنها أضيف . . . ٢٢٨) .

جاز أن يكون قولنا : (ذلك) يراد به مرة الانفراد ومرة الجمع والكثرة لمشايبته الموصولة كالذي ، وما .

ألا ترى أن القبيلين يشتبهان في دلالة كل واحد منها على شيء بعينه ، ألا ترى أن (الذي) لا يدل على زيد دون عمرو ، و(ما) لا يدل على الفرس دون الحمار ، وكذلك (من) ، فكان^(١) قولنا (ذلك) وسائر المبهمة كذلك ، فلما كان (الذي وما ومن) على ما وصفنا من الدلالة على الجموع والإفراد ، وكانت تفرد والمراد في أفرادها الجمع في نحو قوله : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [البقرة: ١٧] ، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] ، و﴿كَمَثَلِ الَّذِي أَسْتَوَقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] ، و﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْصُرُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ، ونحو ذلك مما يكثر تعداده ، وكانت المبهمة مثلها في أنها لا تخص^(٢) بالدلالة نوعاً ولا شخصاً بعينه ؛ أجري مجراها في أن المراد في ما استعمل منه مفرداً قد يكون الجماعة^(٣) .

وهذا واسع مستحسن في جميع المبهمة ، فمن المبهمة (كم) في قوله : ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ﴾ [النجم: ٢٦] ، وقال : ﴿وَكَمْ مِنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الأعراف: ٤] ، ثم قال : ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤] ، وقال : ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] ، وقال : ﴿وَكُلُّ أُنُوفٍ ذَخِيرَةٍ﴾ [النمل: ٨٧]^(٤) ، وقال : ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣] .

(١) في (ب) : (وكان) .

(٢) في (ب) و(ج) : (لا تختص) ، وما في (أ) موافق للإغفال ٢٢٩ .

(٣) في الإغفال (لجماعة) ٢٢٩ ، وعبارته أوضح .

(٤) والآية لم ترد في الإغفال ، وترك الواحد في آيات أخرى استشهد بها أبو علي . انظر : ٢٣٠ .

فهذه الأسماء^(١) حسن فيها هذا ، لما لم يكن^(٢) لواحد بعينه ولا لنوع وحده^(٣) ، فكذلك^(٤) (ذلك) لما كان مبهماً جاز أن يراد به الواحد مرة ، وأكثر من الواحد مرة ، وعلى هذا الحد صار فاعلاً لحَبَّ في قولهم : [حبذا . ألا ترى أنه موضع يقع فيه الاسم^(٥) ، كما أن فاعل نعم وبئس عام . وقيل :]^(٦) حبذا هند ، كما قيل : حبذا زيد^(٧) ، ويدلك على ما ذكرنا من قصدهم بـ (ذلك) الجمع وما زاد على الواحد ، أن رؤية لما قيل له في قوله :

فِيهِ خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقٌ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلَّيْعُ الْبَهَقِ^(٨)
وجب أن تقول^(٩) : «كأنها» ، وإن أردت السواد والبلق وجب أن تقول^(١٠) :
«كأنهما» .

(١) في (ج) : (أسماء) .

(٢) في (ب) : (يكون) ، وفي الإغفال (تكن) ٢٣٠ ، وهو أولى .

(٣) في الإغفال (واحد) ٢٣٠ .

(٤) في (ج) : (وكذلك) .

(٥) في الإغفال : (الاسم العام) .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) ، وثابت في (ب) ، والإغفال ٢٣٠ .

(٧) أي : إنه لم تُغير (حبذا) للتأنيث . انظر : الإغفال ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٨) يروى (فيها) بدل فيه . بلق : سواد وبياض ، والتوليع : استطالة البلق ولمعانه ، والبهق : بياض رقيق في البشرة . ورد الرجز في ديوان رؤية ١٠٤ ، ومجالس العلماء للزجاجي ٢٧٧ ، والمخصص ٨٩/٥ ، وتهذيب اللغة (بهق) ٤٠٥/١ ، ومجمل اللغة ١٣٨/١ ، ومقاييس اللغة ٣١٠/١ ، واللسان ٣٧٤/١ ، وأساس البلاغة (ولع) ٥٢٧/٢ ، ومغني اللبيب ٦٧٨/٢ ، والبحر المحيط ٢٥١/١ ، ٢٨٥/٥ ، ٦٤/٥ ، والكشاف ٢٧٨/١ ، والدر المنصون ٤٢٣/١ .

(٩) في (أ) : (يقول) ، وما في (ب) و(ج) موافق للإغفال ٢٣١ .

(١٠) انظر : الحاشية السابقة .

قال : «أردت كأن ذاك»^(١) . فعلم بهذا أنهم يقصدون بـ (ذلك) غير المفرد ، وأنه قصد هذا المعنى ، وعليه حمل كلامه .

ويدل أيضاً على أنهم يقصدون بـ (ذلك) إلى^(٢) أكثر من الواحد إضافتهم (كلا) إليه ، وذلك في قول القائل :

وَكَلاَ ذَلِكَ وَجْهٌ وَقَبْلُ^(٣)

ألا ترى أن (كلا) لا يضاف إلى المفرد فبان أن المراد بـ (ذلك) الزيادة على الواحد ، وكذلك^(٤) قوله : ﴿عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ إنما أضيف (بَيْنَ) إلى (ذلك) لأن المراد به الزيادة على الواحد .

ألا ترى أنه إشارة إلى ما تقدم من قوله مما دل على الفروض والبقارة .

فأمّا قول أبي إسحاق : «لأن ذلك ينوب عن الجمل»^(٥) ، يقول القائل : ظننت ذاك ، والظن يقتضي مفعولين فقام ذلك أو ذاك مقامهما ، فهذا خطأ^(٦) ، ولا

(١) في مجاز القرآن . قال أبو عبيدة : فقلت لرؤبة : «إن كانت خطوطاً فقل كأنها ، وإن كان سواداً وبلقاءً فقل : كأنها ، فقال : كأن ذاك وملك توليع البهق» . المجاز ١ / ٤٤ .

(٢) (إلى) : ساقط من (ج) ، وفي (ب) : (الأكثر) .

(٣) من قصيدة لعبدالله بن الزُّبَيْرِ ، قالها يوم أحد ، يتشفى من المسلمين ، فرد عليه حسان ، والشرط الأول : إِنَّ لِلْخَيْرِ وَلِلشَّرِّ مَدَى

أورد ابن هشام القصيدة في السيرة ٩٦ / ٣ ، وهي في شعره ٤١ ، وورد البيت في الإغفال ٢٣٢ ، وشرح المفصل ٢ / ٣ ، والجمع ٢٨٣ / ٤ ، والبحر المحيط ٢٥١ / ١ ، وشرح ابن عقيل ٦٢ / ٣ ، ومغني اللبيب ٢٠٣ / ١ ، وأوضح المسالك ١٤٦ ، والدر المصون ٣٤٨ / ١ ، ٤٢٢ .

(٤) في (ب) : (فكذلك) ، ومثله في الإغفال ٢٣٢ .

(٥) في الإغفال : «فأمّا قول أبي إسحاق : إنما جاز (بين ذلك) ، و(بين) لا تكون إلا مع اثنين فعبارة أطلقها على جهة التسامح . . . » ، ثم قال : «فأمّا قوله (لأن ذلك) ينوب عن الجمل ، كقول القائل : ظننت ذاك . . . » نقله بتصريف . الإغفال ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

(٦) قوله «فهذا خطأ» لم يرد في كلام أبي علي ، ونص كلامه : «فلا يخلو (ذلك) في ما ذكره من قولهم : ظننت =

يجوز أن يقع ذاك وذلك^(١) موقع الجملة ، ولا يجوز أن تكون^(٢) نائبة عن الجملة ؛ لأنه لو كان نائباً عنها للزم أن ينوب عنها في صلة (الذي) وأخواتها ، وفي وصف النكرات^(٣) . ولو^(٤) كان (ذلك) نائباً عن الجمل ما جاز وقوعه في هذه الآية ؛ لأن هذا الموضع ليس من مواضع الجمل ، ولا من الأماكن التي يتجه فيها دخول الجمل .

ألا ترى أن (ذلك) إشارة إلى البكارة والفروض . فلو كان واقعاً^(٥) موقع جملة ما دلّ عليهما^(٦) ؛ لأن الجملة يُسند فيها الحديث إلى المحدث عنه^(٧) ، وليس^(٨) واحد من الفروض والبكارة بمسند إلى الآخر ، وهذا واضح لمن تأمله .

فأمّا قولهم : ظننت ذاك ، فهو عند سيبويه إشارة إلى المصدر^(٩) كأنك قلت : «ظننت ذاك»^(١٠) الظنّ ، وإذا كان إشارة إلى المصدر لم يحتج إلى مفعول ثانٍ ، كما

ذاك أن يكون إشارة إلى المصدر ، كما ذهب إليه سيبويه ، أو يكون نائباً عن الجمل كما قاله أبو إسحاق ، أو يكون إشارة إلى أحد المفعولين اللذين يقتضيهما (ظننت) ، لا تحتل القسمة غير ذلك » ، ثم أخذ يفصل هذه الوجوه . انظر : الإغفال ٢٣٣ .

(١) في (ج) : (ذلك وذاك) .

(٢) في (أ) و(ج) : (يكون) ، وفي الإغفال (يكون نائباً) ٢٣٣ ، وأثبت ما في (ب) لأنه أنسب للسياق .

(٣) الإغفال ٢٣٣ .

(٤) الإغفال ٢٤١ .

(٥) في (ب) : (واقع) .

(٦) في (ب) : (عليها) .

(٧) في (ب) : (عنها) .

(٨) قوله : (وليس) ساقط من (ب) .

(٩) انظر : الكتاب ٤٠ / ١ .

(١٠) في (ب) : (ذلك) .

أَنَّ (ضربت) وغيره من الأفعال المتعدية إذا عديته^(١) إلى المصدر لم يلزم أن تُعدّيه إلى مفعول به ، فبان أن (ذاك) من قولهم : «ظننت ذاك» لم يقع موقع الجملة^(٢) .

٦٩ . قوله تعالى : ﴿قَالُوا أَذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾ . اللون^(٣) مرفوع ؛ لأنك لم ترد أن تجعل (ما) صلة ، فتقول : «يبين لنا لونُها» ، وقد قرئ بها شاذاً ، وهو صواب^(٤) ، ولكنه^(٥) أراد^(٦) : «ادع لنا ربك يبين لنا أي شيء لونها» ، ولم يصلح للفعل الوقوع^(٧) على (أي) لأن أصله جمع متفرق^(٨) من الاستفهام ، كقول القائل^(٩) : «يبين لنا^(١٠) أسوداء هي أم

(١) قوله : (إذا عديته) ساقط من (ب) .

(٢) انتهى ما نقله المؤلف من كتاب الإغفال لأبي علي الفارسي بعضه بنصه ، وبعضه بتصرف . انظر : الإغفال : ص ٢١٤ - ٢٤١ ، وقد أطل في النقل عن (يُبَيِّنُ) ، ومحل ذلك المطولات من كتب النحو ، لا كتب التفسير ، والله أعلم .

(٣) في (ب) : (ما لونها مرفوع) .

(٤) لعل المراد من الناحية النحوية لو ثبتت القراءة به ، وقد نسب الثعلبي القراءة بالنصب إلى الضحاك ١ / ٨٤ أ ، وعبارة الفراء - والكلام بنصه منقول عنه - يقول : «اللون مرفوع ، لأنك لم ترد أن تجعل (ما) صلة فتقول : يبين لنا ما لونها ، ولو قرأ به قارئ كان صواباً» . معاني القرآن للفراء ١ / ٤٦ . قارن بين كلام الفراء وكلام الواحدي . قال الرَّجَّاج : «ولا يجوز في القراءة (ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) على أن يجعل (ما) لغواً ، ولا يُقرأ القرآن إلا كما قرأت القراء المجمع عليهم في الأخذ عنهم» . انظر : معاني القرآن ١ / ١٢٣ ، وتفسير الطبري ١ / ٣٤٤ ، فإنه نقل بعض كلام الفراء بمعناه ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ١ / ١٨٥ ، والمشكل ١ / ٥٢ .

(٥) في (ج) : (ولكنه القائل يبين لنا أسوداء هي أم صفراء أراد : ادع . . .) ، وفيه تكرار جملة لا مكان لها هنا ، وستأتي بعد .

(٦) ما أحسن صنيع الفراء حينما قال : «ولكنه أراد - والله أعلم - ادع» . معاني القرآن ١ / ٤٦ .

(٧) في (ج) : (للقوع) .

(٨) عبارة الفراء : «لأن الأصل (أي) تفرق جمع من الاستفهام» يريد أن (أياً) نابت عن جمع من الاستفهام متفرق . انظر : معاني القرآن للفراء ، وحاشيته ١ / ٤٦ .

(٩) (القائل) : مكرر في (ج) .

(١٠) في (ب) : (سوداء) بسقوط الهمزة .

صفراء؟» ، فلما لم يصلح^(١) للتَّيْنِ أن يقع على الاستفهام في تفرُّقه لم [يقع]^(٢) على أي ؛ لأنها جمع ذلك المتفرق ، وكذلك ما كان في القرآن مثله . فأعمل في^(٣) (ما) و(أي) الفعل الذي بعدهما ، ولا تُعمل الذي قبلهما إذا كان مشتقاً من العلم أو في معناه ، كقولك : «ما أعلم أيُّهم قال ذلك ، ولا أعلم أيُّهم قال ذلك ، وما أدري أيُّهم ضربت»^(٤) . فهو في العلم والإخبار والإنباء وما أشبهها على هذا الوصف ، ومنه قوله : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الأنفطار: ١٧] موضع (ما)^(٥) رفع^(٦) ، رفعتها بيوم ، كقولك : «ما أدراك أيُّ شيء يوم الدين؟» ، وكذلك قوله : ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾ [الكهف: ١٢] رفعت (أي) بأحصى ، وإنما^(٧) امتنعت (أي) من الفعل الذي قبلها ؛ لأنك تجد الفعل غير واقع عليها في المعنى . ألا ترى أنك إذا قلت : «اسأل^(٨) أيُّهم قام» كان المعنى : سل الناس أيُّهم قام ، ولو أوقعت الفعل على (أي) فقلت : «اسأل أيُّهم قام» لخرجت من معنى الاستفهام ، وذاك جائز إن أردته^(٩) ، تقول : «لأضربن أيُّهم قال ذلك» ، فهنا^(١٠) (أي) لا تكون^(١١) استفهاماً ؛ لأن

-
- (١) في (أ) و(ج) : (فإنما يصلح للتبيين . . .) ، وما في (ب) موافق لمعاني القرآن للفرء ٤٦ / ١ .
 - (٢) (يقع) زيادة من معاني القرآن ٤٦ / ١ ، وهي لازمة لتنام الكلام .
 - (٣) (في) : ساقطة من (ب) .
 - (٤) من (ب) : (ضربت) ، ومثله في معاني القرآن ٤٦ / ١ ، وفي غير (ب) : (ضرب) .
 - (٥) في معاني القرآن (ما الثانية) ٤٦ / ١ .
 - (٦) في (ب) : (رفعت) .
 - (٧) في معاني القرآن للفرء ٤٦ / ١ ، ٤٧ : «وتقول إذا كان الفعل واقعاً على (أي) : ما أدري أيُّهم ضربت ، وإنما امتنعت من أن توقع على (أي) الفعل الذي قبلها من العلم وأشباهه ، لأنك تجد الفعل . . . » .
 - (٨) في المعاني : (سل) .
 - (٩) في (ب) : (أردت) .
 - (١٠) في (ج) : (فهاهنا) .
 - (١١) في (أ) و(ج) : (يكون) .

الضرب لا يقع [على اسم ، ثم يأتي بعد ذلك استفهام ؛ لأن الضرب لا يقع]^(١) على اثنين .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴾ [مريم : ٦٩] مَنْ نَصَبَ آيَةً^(٢) أوقع عليها النزاع ، وليس باستفهام ، كأنه قال : « ثم لنستخرجن العاتي الذي هو أشدُّ عِتِيًّا » .

وأما الرفع^(٣) فأن تجعل مكثفياً بـ (من) في الوقوع عليها كما تقول : « قد قتلنا من كل قوم ، وأصبنا من كل طعام » ، ثم تستأنف آياً فترفعها بالذي بعدها ، كقوله تعالى : ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ [الإسراء : ٥٧] ، وكذلك : ﴿ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾^(٤) [آل عمران : ٤٤] .

و^(٥) قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا ﴾^(٦) : ما بعد القول من باب^(٧) إن مكسور أبداً ، كأنك لم تذكر القول في صدر كلامك ، وإنما وقع (قلت) في كلام العرب على أن يحكى به ما كان كلاماً يقوم بنفسه قبل دخوله ، فيؤدي مع ذكر (قلت) ذلك اللفظ ، تقول : « قلت : زيد منطلق » ، وكذلك إن زيدا منطلق ، إذا

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) بالنصب قرأ طلحة بن مصرف ، ومعاذ بن مسلم الهراء ، وزائدة عن الأعمش . انظر : البحر المحيط ٢٠٩ / ٦ .

(٣) ذكر الفراء ٤٨ / ١ وجهين للرفع فقال : « وفيها وجهان من الرفع : أحدهما : أن تجعل الفعل مكثفياً بـ (من) . . . » ، وذكر الوجه الثاني فقال : « فإن في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ ﴾ لنزاع من الذين تشايعوا على هذا ، ينظرون بالتشايع أيهم أشد وأخبث ، وأيهم أشد على الرحمن عتياً . . . » .

(٤) بهذا انتهى ما نقله المؤلف عن الفراء بنصه في الغالب ، ويتصرف في بعضه . انظر : معاني القرآن ٤٦ - ٤٨ / ١ .

(٥) (الواو) : ساقط من (ب) .

(٦) (قال) : ساقط من (ب) .

(٧) (باب) : ساقط من (ج) .

حكيتة تقول : «قلت : إن زيدا منطلق»^(١) ، لا اختلاف بين النحويين في ذلك ، إلا أن قوماً من العرب ، وهم بنو سُليم يجعلون باب (قلت)^(٢) كباب (ظننت) ، فيقولون : «قلت : زيدا منطلقاً» ، وهذه لغة لا يؤخذ بها في القرآن .

وقوله تعالى : ﴿فَاقِعٌ﴾ : هو مبالغة في نعت الأصفر . يقال : فَقَعَ فُقُوعاً وهو يَفْقَعُ وَيَفْقَعُ . وربما استعمل الفقوع في معنى الحمرة^(٣) . قال البرج بن مُسهر :

كَمَيْتاً^(٤) مِثْلَ مَا فَقَعَ الْأَدِيمُ^(٥)

أي اشتدت حمرة ، وفاقع يرجع إلى اللون ، وهو خبر ، واسمه اللون ، فهو خبر مُقَدَّم على الاسم^(٦) .

ومعنى ﴿تَسْرُ النَّظِيرِينَ﴾ : تعجبهم بحسنها^(٧) .

(١) الكلام بنصه في معاني القرآن للزجاج ، وفيه : «تقول : قلت : زيد منطلق . كأنك قلت : زيد منطلق ، وكذلك : إن زيدا منطلق ، لا اختلاف بين النحويين» . معاني القرآن ١/ ١٢٣ .

(٢) في المعاني : باب (قلت) أجمع مثل باب (ظننت) ١/ ١٢٣ .

(٣) أكثر المفسرين يرون أن ﴿فَاقِعٌ﴾ في هذه الآية هي صفة للأصفر . انظر : تفسير الطبري ١/ ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٥٣ ، ٥٤ ، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ٢٧٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ١٢٤ ، والكشاف ١/ ٢٨٧ . انظر : الصحاح (فقع) ٣/ ٢٥٩ ، واللسان ٦/ ٣٤٤٨ .

(٤) كذا في النسخ جميعها ، وفي اللسان (كميت) ، وكذا في التاج .

(٥) ورد البيت في اللسان ، وصدده :

تَرَاهَا فِي الْإِنَاءِ لَهَا حُمَيَّا

اللسان (فقع) ٦/ ٣٤٤٨ ، والتاج (فقع) ١١/ ٣٤٩ .

(٦) في إعراب (فاقع) وجوه : الأول : (فاقع) خبر مقدم ، و(لونها) مبتدأ مؤخر ، والجملة صفة . والثاني : (فاقع) صفة للبقرة ، و(لونها) : فاعل فاقع . والثالث : (فاقع) صفة ، و(لونها) مبتدأ خبره (تسر الناظرين) . انظر : البيان ١/ ٩٣ ، والإملاء ١/ ٤٢ ، والبحر المحيط ١/ ٢٥٢ ، والدر المصون ١/ ٤٢٤ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ١/ ٣٤٦ ، وتفسير الثعلبي ١/ ٨٤ أ .

٧٠. قوله تعالى: ﴿قَالُوا اَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ ؛ أي^(١) : أسأمة أم عاملة^(٢) ؟ ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾ ذكر الفعل لتذكير^(٣) اللفظ كقوله : ﴿تَخْلِي مُنْفَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] ، وكل جمع حروفه أقل من حروف واحده جاز تذكيره مثل : بقر ونخل وسحاب ، فمن ذكر ذهب إلى لفظ الجمع ، ولفظ الجمع مذكر ، ومن أنث ذهب إلى لفظ الجماعة^(٤) . قال الله تعالى : ﴿يُرْجَى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُ﴾ [النور: ٤٣] ، وقال : ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَتٍ﴾ [ق: ١٠] ، وقال الزجاج : «معناه جنس البقر تشابه علينا»^(٥) .

﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى وصفها^(٦) ، وقيل : إلى القاتل^(٧) . قال رسول الله ﷺ : «وايم الله لو لم يستنوا لما بيئت لهم آخر الأبد»^(٨) .

٧١. قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولُ﴾ : الذلول : المذلة بالعمل ، و﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ أي : تقلبها للزراعة^(٩) . ومعنى الإثارة :

- (١) في (ب) : (قوله) يبين لنا ما هي (أي) .
- (٢) تفسير الثعلبي ١/ ٨٤أ . انظر : تفسير أبي الليث ١/ ٣٧٨ ، وتفسير البغوي ١/ ٨٣ .
- (٣) في (ج) : (للتذكير) .
- (٤) انظر : تفسير الطبري ١/ ٣٥٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ١٢٧ ، وتفسير الثعلبي ١/ ٨٤أ .
- (٥) معاني القرآن ١/ ١٢٨ .
- (٦) تفسير الثعلبي ١/ ٨٤ب . انظر : تفسير الطبري ١/ ٣٥٠ ، وتفسير أبي الليث ١/ ١٢٨ .
- (٧) انظر : تفسير أبي الليث ١/ ١٢٨ ، والكشاف ١/ ٢٨٨ ، والبحر المحيط ١/ ٢٥٤ .
- (٨) أخرجه الطبري عن قتادة وابن جريح مرسلاً ، قال شاكر عن الأثر عن ابن جريح : «لا تقوم به حجة» . الطبري (مع حاشية شاكر) ٢/ ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، وبمعناه عند تفسير ابن أبي حاتم عن أبي هريرة ، قال المحقق : إسناده ضعيف . تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٤٢٠ ، وذكر ابن كثير رواية ابن أبي حاتم ، فقال : «ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من وجه آخر ، ثم ذكره ، وقال : وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة» . ابن كثير ١/ ١١٨ . وقد تناقل المفسرون هذه الروايات من دون سند ، وقد جمع بعضها السيوطي في الدر ١/ ١٥٠ ، والشوكاني في فتح القدير ١/ ١٥٦ .
- (٩) انظر : تفسير الطبري ٢/ ٢١٢ ، وتفسير الثعلبي ١/ ٨٤ب ، وتفسير أبي الليث ١/ ٣٨٨ .

تفريق الشيء في كل جهة ، يقال : أثرت الشيء واستثرتة ، إذا هيجته .
قال الشاعر ^(١) :

إِذَا كَانَ فِي صَدْرٍ ^(٢) ابْنِ عَمِّكَ إِحْنَةٌ
فَلَا تَسْتَثِرْهَا سَوْفَ يَبْدُو دَفِينُهَا ^(٣)

ويقال : «ثار الشيء» إذا ارتفع عن مكانه ، يقال : «ثار الغبار ، ثار الدخان ، وثار الدم في وجه فلان ، وثَوَّرْتُ كدورة الماء فثار» ، ومنه الثور ؛ لأنه يثير الأرض ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ : صفة لذلول ^(٥) ، والنكرة مع صفتها شيء واحد ، ولذلك ^(٦) قلنا : «إن المراد بقوله : ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ النفي لا الإثبات ؛ لأنه نفي أن تكون مثيرة للأرض ^(٧) ، والنفي دخل على أول الكلام ، فانتفى ما كان ينضم إليه ، والصفة للنكرة كالصلة للموصول» ، ولو قلت : «فلان ليس بالذي

-
- (١) نسبة المرتضى في أماليه إلى أبي الطمحن ، ونُسب في اللسان إلى الأقبيل القيني .
(٢) في (أ) و(ج) : (صد) ، وأثبت ما في (ب) ؛ لأنه يوافق المصادر الأخرى التي ورد فيها البيت .
(٣) البيت في أمالي المرتضى ٢٥٩/١ ، ومقاييس اللغة (أحسن) ٦٧/١ ، والفائق ٢٧/١ ، واللسان (أحن) ٣٥/١ .
(٤) تهذيب اللغة (ثار) ٤٦٧/١ . انظر : الصحاح (ثور) ٦٠٦/٢ ، ومعجم مقاييس اللغة (ثور) ٣٩٥/١ .
(٥) وقيل : في موضع الحال من المضمَر في (ذلول) ، أو حال من (ذلول) أو حال من بقرة ، أو صفة لها ، أو مستأنفة ، فيكون الوقف على (ذلول) ، والقول الأخير مردود عند كثير من العلماء ، وسيذكره الواحدي .
انظر : إعراب المشكل ٥٣/١ ، والكشاف ٢٨٨/١ ، وتفسير ابن عطية ٣٤٦/١ ، والإملاء ٤٢/١ ، والبحر المحيط ٢٥٥/١ ، والدر المصون ٤٢٩/١ ، ٤٣٠ .
(٦) في (ب) : (وكذلك) .
(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٢٤/١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٨٦/١ ، والإملاء ٤٢/١ .

يأتيني» كنت نافياً للإتيان . ألا ترى إلى ^(١) قول طرفة :

لا كَبِيرٌ ^(٢) دالفٌ مِنْ هَرَمٍ أَرْهَبُ اللَّيْلَ ولا كُلُّ الظُّفْرِ ^(٣)

أراد أنه لا يدلّف من الهرم ولا يرهّب الليل ، ولم يرد الإثبات .

قال ابن الأنباري ^(٤) : « غلط أبو حاتم في هذا ^(٥) ، لأنه قال : الوقف جيد على قوله : (ذلول) ^(٦) ، ثم يبدأ بـ (تثير ^(٧) الأرض) » ، وقال : « إن الله تعالى وصف هذه البقرة بما لا يعرفه الناس وصفاً لغيرها من البقر ، فجعلها تثير الأرض ولا تسقي الحرث على خلاف ما نشاهد من بقرنا » .

وقد أبطل ^(٨) الفراء وغيره من كبار النحويين هذا الوقف ^(٩) ، وردّ عليه هذا الاختيار بأن البقرة متى أثارت سقت ، وغير جائز أن يدعى أعجوبة في حرف من القرآن لم تؤثر ^(١٠) عن أهل العلم ما ادعاه ، فلا يقبل ^(١١) عنه ذلك ، مع ما ذكرنا

(١) في (ب) : (في) .

(٢) في (ب) : (كثير) .

(٣) قوله (دالف) : الدالف هو الذي يقارب الخطو ، ويمشي مشي المقيد ، والهرم : أقصى الكبر ، وكلُّ الظفر : أي ظفري غير كلي ، كناية عن قوته وبطشه ، وكليل الظفر : المهين الذي لا يؤبه له . ورد البيت في ديوان طرفة ٧٥ ، ومقاييس اللغة (ظفر) ٤٦٦ / ٣ ، وفيه : (لا كليل دالف) ، وورد الشطر الثاني في اللسان (ظفر) ٢٧٤٩ / ٥ ، وفيه : (لست بالفاني ولا كل الظفر) .

(٤) انظر : إيضاح الوقف والابتداء ٥٢١ / ١ .

(٥) في (ب) : (في هذه الآية) بدل (في هذا لأنه) .

(٦) قال النحاس : « ليس بقطع طاف » ، وزعم الفراء أنه ليس بقطع . القطع والانتناف ١٤٨ . انظر : تفسير القرطبي ٣٨٤ / ١ .

(٧) قوله : بـ (تثير) ساقط من (ب) .

(٨) (أبطل) : ساقط من (ج) .

(٩) انظر : إيضاح الوقف والابتداء ٥٢١ / ١ ، والقطع والانتناف ١٤٨ ، وتفسير القرطبي ٣٨٥ / ١ .

(١٠) في (ب) : (يؤثر) .

(١١) في (ج) : (فلا يقبل) .

أنه لا يصح من^(١) طريق النحو أن المراد منه الإثبات . وموضع (تثير) رفع في التأويل لأنه نعت لذلول ، والمعنى : إنها بقرة لا ذلول مثيرة للأرض ؛ أي ليست كذا ، ولا كذا ؛ أي : لا توصف بالتذليل ، ولا بإثارة الأرض ، كما تقول في^(٢) الكلام : «عبدالله ليس بعاقل حازم ، وزيد ليس بأكل شارب» ، فتنفي^(٣) عنه الفعلين .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ : دخلت (لا) لأنه معطوف على قوله : (ذلول) ، فلما كان فيه حرف النفي أدخل أيضاً في ما انعطف عليه^(٤) .

[وجاز عطف الفعل على الاسم ؛ لأن فيه معنى الفعل كأنه قيل : لم تُذَلَّلْ ، والاسم إذا كان مبنياً على الفعل]^(٥) جاز عطف الفعل عليه ، كما تقول : «زيد صائم ويصلي» ، ويجوز أن تكون (لا) مستأنفة ، يراد بها : لا ذلول تثير الأرض ، وليست تسقي الحرث .

قال أبو العباس : «والحرث كل موضع ذلته من الأرض ليزرع^(٦) فيه ، ويقال له عند غرسه وبذره إلى حيث بلغ : حرث . فمعنى الحرث : الأرض المهيأة للزرع^(٧)» ، ومنه قوله : ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] على التشبيه بالأرض

(١) (من) : ساقط من (ب) .

(٢) (في الكلام) : ساقط من (ب) .

(٣) (أ) : (فينفى) ، وفي (ج) : (فينتفى) .

(٤) وأجاز الزمخشري أن تكون (لا) مزيدة ، لتأكيد النفي في الأولى . انظر : الكشف ٢٨٨ / ١ . قال أبو حيان : «ووافقه على جعل الثانية مزيدة صاحب المنتخب ، وما ذهب إليه ليس بشيء ، لأن قوله : (لا ذلول) صفة منفية بلا ، وإذا كان الوصف قد نفي بـ (لا) لزم تكرار (لا) النافية لما دخلت عليه » . البحر ٢٥٥ / ١ . انظر أيضاً : الدر المصون ٤٣٠ / ١ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) ، وأثبتته من (ب) لأن استقامة السياق تقتضيه .

(٦) (ب) : (لتزرعه) .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (حرث) ١ / ٧٧٤ ، والصحاح (حرث) ١ / ٢٧٩ ، وجمهرة أمثال العرب ٣٤ / ٢ ، ٣٥ ، ومقاييس اللغة (حرث) ٢ / ٤٩ ، واللسان (حرث) ٢ / ٨١٩ .

التي^(١) قد هَيَّيْتُ للزَّرعِ . فَأَمَّا الزَّرْعُ فَإِنَّمَا هُوَ النَّهَاءُ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُكَ لِلصَّبِيِّ : «زَرَعَهُ اللَّهُ»^(٢) ، وَيُوضَحُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾^(٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ؟ [الواقعة : ٦٣-٦٤] .

وقوله تعالى : ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ : قَالَ قَتَادَةُ ، وَالرَّبِيعُ ، وَابْنُ عَبَّاسٍ : «أَيُّ مِنَ الْعُيُوبِ»^(٤) .

وَقَالَ الْحَسَنُ : «مِنْ أَثَرِ الْعَمَلِ»^(٥) .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ : «مِنْ الشَّيْءِ»^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ : الْوَشْيُ فِي اللُّغَةِ مَعْنَاهُ^(٧) : خَلَطَ لَوْنٌ ، وَكَذَلِكَ فِي الْكَلَامِ ، يُقَالُ : وَشَيْتُ^(٨) الثَّوبَ أَشْيَاهُ وَشَيْئاً وَشَيْئَةً^(٩) . وَالشَّيْءُ مِمَّا نَقَصَ مِنْهُ الْوَاوُ^(١٠) ، وَعَوِضَ فِيهِ الْهَاءُ كَالدِّيَةِ مِنْ وَدَيْتُ ، وَالْعِدَّةُ مِنْ وَعَدْتُ^(١١) ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ^(١٢) الشَّيْءُ مُصْدَرّاً ، يُقَالُ : وَشَيْتُ أَشْيَ شَيْئَةً^(١٣) وَوَشَيْئاً^(١٤) .

(١) فِي (أ) وَ(ج) (الَّذِي) ، وَأَثْبَتَ مَا فِي (ب) لِأَنَّهُ أَصُوبٌ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (زرع) ٢ / ١٥٢٤ ، واللسان (زرع) ٣ / ١٨٢٦ .

(٣) ذكر الطبري في تفسيره عنهم ، وعن أبي العالية ١ / ٣٥٢ ، وذكره ابن أبي حاتم عن قتادة ، وأبي العالية ، والربيع ١ / ٤٢٣ . انظر : تفسير الماوردي ١ / ٣٦٥ ، والدر المنثور ١ / ١٥٢ .

(٤) فِي الثَّعْلَبِيِّ عَنْ الْحَسَنِ : مُسَلَّمَةُ الْقَوَائِمِ لَيْسَ فِيهَا أَثَرُ الْعَمَلِ ١ / ٨٤ ب ، وَذَكَرَهُ الْمَوَارِدِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ١ / ٣٦٥ .

(٥) ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ١ / ٣٥١ ، ٣٥٢ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١ / ٤٢٣ . انظر : الدر ١ / ١٥٢ .

(٦) (مَعْنَاهُ) سَاقِطَةٌ مِنْ (ب) .

(٧) فِي (ب) : (وَشْيَةٌ) .

(٨) بَنَصَهُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَّاجِ ١ / ١٢٤ . انظر : تهذيب اللغة (وشى) ٨ / ٤٨٤٧ .

(٩) (الْوَاوُ) : سَاقِطَةٌ مِنْ (ج) .

(١٠) انظر : معاني القرآن للأخفش ١ / ٢٨٢ ، وتفسير الطبري ١ / ٣٥٢ ، وتفسير القرطبي ١ / ٣٨٦ .

(١١) فِي (ب) : (تَكُونُ) .

(١٢) فِي (ب) : (وَشْيَةٌ) .

(١٣) انظر : الكشف ١ / ٢٨٨ ، والقاموس (وشى) ١٣٤ .

قال الزَّجَّاجُ : «أي^(١) ليس فيها لون يفارق سائر لونها»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿قَالُوا أَتَمَنَّوْنَ﴾ : الآن هو الوقت الذي أنت فيه ، وهو حد الزمانين^(٣) : حد الماضي من آخره ، وحد الزمان^(٤) المستقبل من أوله^(٥) .

وذكر الفراء في أصله قولين^(٦) :

أحدهما : إن أصله (أوان)^(٧) حذفت منه الألف ، وغيرت واوه إلى الألف ، ثم أدخلت عليه الألف واللام ، ولم يخلعاً منه كما فعلوا بـ (الذي) ، وتركوه على مذهب الأداة ، والألف واللام له لازمة غير مفارقة .

والقول الثاني : إن أصله (آن)^(٨) ماضي يئِنَّ ، بُنِيَ اسماً لحاضر الوقت ، ثم ألحق به الألف واللام وترك على بنائه ؛ لأن أصله فَعَلَ منصوبة ، كما قالوا : نهى رسول الله ﷺ عن قيل وقال وكثرة السؤال^(٩) ، وكانتا كالاسمين وهما منصوبتان . ولو خفضا على النقل لهما من حد الأفعال إلى الأسماء في النية لكان صواباً .

(١) (أي) ساقط من (أ) و(ج) ، وأثبتها من (ب) ومثله في معاني القرآن .

(٢) معاني القرآن ١ / ١٢٤ .

(٣) في (ب) : (الزمان) .

(٤) (الزمان) : ساقط من (ب) .

(٥) ذكره ابن قتيبة في تأويل المشكل ٥٢٣ .

(٦) معاني القرآن ١ / ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، وقد ذكر كلام الفراء ابن قتيبة في تأويل المشكل ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، والأزهري

في تهذيب اللغة ١ / ٩٨ (الآن) ، وعبارة الواحدي متفقة مع ما ذكره ابن قتيبة في تأويل المشكل .

(٧) في (ب) : (وان) .

(٨) في معاني القرآن ١ / ٤٦٨ : «الآن أصلها من قولك : آن لك أن تفعل ، أدخلت عليها الألف واللام ،

ثم تركتها على مذهب (فَعَلَ) فأثاها النصب من نصب (فعل) ، وهو وجه جيد كما قالوا . . . » ،

ومثله في تهذيب اللغة ١ / ٩٩ .

(٩) أخرجه البخاري ١٤٧٧ ، كتاب : الزكاة ، باب : قول الله ﷻ ﴿لَا يَسْتَعْلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ عن

المغيرة ، ولفظه : «إن الله كره لكم ثلاثاً . . . الحديث» . الفتح ٣ / ٣٤ ، وفي كتاب : الأدب ، باب :

عقوق الوالدين . الفتح ١٠ / ٤٠٥ ، و٦٤٧٣ ، وفي كتاب : الرقاق ، باب : ما يكره من قيل وقال . =

قال : «وسمعت العرب تقول : أعييتني من شُبِّ إلى دُبِّ ، ومن شُبِّ إلى دُبِّ مخفوض منون ، يذهبون به مذهب الأسماء ، والمعنى منذ كان صغيراً يشبُّ إلى أن دَبَّ كبيراً»^(١) .

ومثله (أمس) فإن أصله الأمر من : أمسى يُمسي بُني اسماً للوقت ، وألحق به الألف واللام^(٢) .

قال أبو علي الفارسي^(٣) : «حكم ما بينى من الأسماء أن يكون لمضارعة الحرف ، فلمضارعة له^(٤) ما يجب أن يخرج إلى حكمه كما أن نوعاً منها لمشابهتها الأفعال^(٥) يخرج إلى حكمها^(٦) فيمنع ما لا يكون لها من الجر والتنوين . وكذلك (الآن) بني لما فيه من مضارعة الحرف» .

وجهة المضارعة تضمنه معنى الحرف ، وإذا تضمن الاسم معنى الحرف وجب بناؤه [وذلك التضمن هو تضمن معنى^(٧) التعريف ؛ لأن التعرف حكمه أن يكون بحرف ، فلما تضمن معنى الحرف وجب بناؤه]^(٨) ، وإن خمسة عشر لما

الفتح ، وفي كتاب : الاعتصام ، باب : ما يكره من كثرة السؤال . الفتح ، ومسلم عن أبي هريرة والمغيرة بنحوه ٧٢٩٢ ، كتاب : الأقضية (النهى عن كثرة المسائل) ، وأحمد عن أبي هريرة ٣٢٧ / ٢ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧ ، وعن المغيرة ٢٤٦ / ٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

- (١) انتهى كلام الفراء . انظر : المعاني ١ / ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، وتأويل المشكل ٥٢٣ ، ٥٢٤ .
- (٢) انظر : تهذيب اللغة (أمس) ١ / ٢٠٠ ، والأزمنة لقطرب ١٠٩ ، ١١٠ .
- (٣) الإغفال لأبي علي الفارسي ٢٥٣ ، وقد نقل عنه الواحدي طويلاً ، بتصرف في كلامه باختصار والتقديم والتأخير ، وسأذكر الفروق المهمة في أماكنها إن شاء الله .
- (٤) (له) : ساقط من (ب) .
- (٥) في (ب) : (فقال يخرج) .
- (٦) قوله : «كما أن نوعاً منها لمشابهتها الأفعال يخرج إلى حكمها» ليس في الإغفال . انظر : ٢٥٣ .
- (٧) في الإغفال ٢٥٤ : «تضمن معنى حرف التعريف» .
- (٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

تضمن معنى الحرف بُني . فإذا قيل : كيف تضمن معنى الحرف ، والحرف نفسه فيه ، ولو جاز بناؤه وفيه الحرف لجاز بناء الرجل ونحوه ؟

فالجواب : الألف واللام في (الآن) ليس كما في (الرجل) ؛ لأن الرجل لا يتعرف^(١) بغير الألف واللام ، والآن يتعرف بغيرهما^(٢) .

والدليل على تعرف (الآن) بغير ما ظهر فيه من الحرفين أن ما فيه الألف واللام مما يعرف به يلزم أن يكون قبل دخوله^(٣) عليه نكرة كرجل ، والرجل ، وليس (الآن) كذلك . ألا ترى أنه ليس (آن)^(٤) منكوراً ، ثم يكتسي التعريف بالحرف كالرجل .

ويراد بـ (الآن) الوقت الحاضر^(٥) ، وما هو أقل القليل ، ثم قد تتسع فيه العرب ، فتقول : أنا الآن أنظر في النجوم ، وأنا الآن أنظر في العلم ، وأنا الآن أصل من قطعني^(٦) ، وليس يراد أنه^(٧) في ذلك الوقت اليسير يفعل ذلك ،

(١) في (ب) : (لا يعرف) .

(٢) نقله بالمعنى ، انظر : الإغفال ٢٥٤ ، وسر صناعة الإعراب ١ / ٣٥٠ .

(٣) في الإغفال : (دخولها) ، وفي حاشيته (ج) : (دخولها) .

(٤) في (ب) : (الآن) .

(٥) تصرف الواحد في كلام أبي علي بالتقديم والتأخير ، وسياق أبي علي أوضح ، لترابط الكلام وبناء بعض على بعض . قال أبو علي : «فإن قال قائل : ما تنكر أن يكون تعريف الآن كتعريف الجنس ؟ . . . » ، ثم قال : «ومع ذلك فلا يصح في المعنى أن يراد بالآن تعريف الجنس . . . لأنه يخلو من أحد أمرين : إما أن يكون يراد به جميع الأزمنة ، أو يراد به الأوقات الحاضرة ، أو الآتية . . . » ، ثم فصل ذلك ، وفي آخره قال : «فكذلك الآن أصله للوقت الحاضر ، ثم قد يتسع فيه بعد . . . » . الإغفال ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٦) في (ج) : (من قطع) .

(٧) في (ب) : (وليس أنه يراد) .

ولكن غرضه أنه في وقته ذلك وما أتى من^(١) بعد ، وتطاول ، يفعل هذا الضرب من الفعل .

وهذا كقولهم : «أنا اليوم خارج» ، يراد به الذي هو عقيب الليلة . ثم قالوا : «أنا اليوم شيخ ، وأنا اليوم متماسك» ، فاليوم أصله لما هو عقيب الليلة ثم يتسع فيستعمل لغير ذلك الزمان . فكذلك (الآن) أصله للوقت الحاضر ، ثم قد يتسع فيه .

فإن قلت : فهل تجدد الألف واللام في اسم غير هذا ، والاسم الذي فيه غير متعرف به^(٢) ؟

فالجواب : إن قولهم : (الذي) فيه الألف واللام وليس^(٣) تعريف الاسم بهما ، إنما تعريفه بغيرهما .

والدليل على ذلك تعريف سائر الموصولات^(٤) سوى الذي^(٥) ولا ألف ولا لام فيها . فقد وجدت الألف واللام في هذا الاسم^(٦) أيضاً لغير التعريف^(٧) .

ويدل أيضاً على أن التعريف في (الذي) ليس باللام أن كثيراً من العرب قد يستعمل موضع (الذي) : (ذو) ، وهو عندهم معرفة .

(١) (من) : ساقط من (ب) ، وفي الإغفال : (وما يأتي بعد) ٢٥٥ .

(٢) في الإغفال : (بهما) .

(٣) في (أ) و(ج) : (ليس) بسقوط (الواو) ، وثابتة في (ب) ، والإغفال ٢٥٦ .

(٤) مثل (من) و(ما) و(أي) . انظر : سر صناعة الإعراب ١/ ٣٥٣ .

(٥) والتي وبأبهما مما فيه (الألف واللام) .

(٦) قوله : (في هذا الاسم) أي : الآن كما في الإغفال ٢٥٧ ، واختصار الواحد للكل جعله محتملاً لأن يراد به (الذي) .

(٧) انظر : بقية كلام أبي علي في الإغفال ٢٥٧-٢٦٠ .

أنشد أبو زيد لقيس بن جرزة^(١) جاهلي :

لئن لم تُغَيِّرْ^(٢) بَعْضَ مَا قَدْ صَنَعْتُمْ
لَأَتَّحِينَ^(٣) لِلْعَظْمِ دُوَ أَنَا عَارِقُهُ^(٤)

فإن قيل : إذا كانت اللام زيادة^(٥) في الذي غير متعرف بها ، فهل يوجد حرف زائد لا يجوز إسقاطه ؟ قلنا : قد يكون زائداً لازماً ، ألا ترى أنهم يقولون : آثراً ما^(٦) ، ولا يسقطون هذا الزائد ، ورب^(٧) زائد لازم حتى يكون بمنزلة ما هو من نفس الحرف .

ومثل ذلك (مِن) في ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرِيْبَةٍ﴾ [الحج : ٤٨] ، و(ما) في سِيِّمَا^(٨) ، فليس لزوم هذا الحرف وامتناع حذفه مما يمنع من الحكم بزيادتها^(٩) . ومما يقوي

(١) هو قيس بن جرزة الطائي ، ويلقب بـ (عارق الطائي) شاعر جاهلي ، انظر : أخباره وترجمته في : الحماسة ، وشرح المرزوقي ٣/ ١٤٤٦ ، ١٤٦٦ ، والمزهر ٢/ ٤٣٨ ، والخزانة ٧/ ٤٤٠ .

(٢) في (ب) : (غير) وكذا يروى في بعض المراجع .

(٣) في (ب) : (لا تتحن) .

(٤) يروى البيت (فإن) بدل (لئن) . لأتتحين : لأقصذن ولأميلن . عارقه : من عرق العظم ، إذا نهشه بأسنانه . يقول : «إن لم تغير ما صنعت من الظلم ، لأميلن إلى كسر العظم الذي أخذت ما عليه من اللحم» ، ورد في نوادر أبي زيد ٢٦٦ ، والكمال ٣/ ٢١٩ ، والحماسة بشرح المرزوقي ٣/ ١٤٤٧ ، والإغفال ٢٦٠ ، وشرح المفصل ٣/ ١٤٨ ، واللسان (عرق) ٥/ ٢٩٠٩ ، والخزانة ٧/ ٤٣٨ ، ٣٣٩/١١ .

(٥) في (ب) : (زائدة) .

(٦) جعلوا (ما) لازمة وهي زائدة ، انظر : الكتاب ١/ ٢٩٤ .

(٧) في (ب) : (وب) .

(٨) انظر : الكتاب ٢/ ١٧٠ ، ١٧١ .

(٩) انظر : بقية كلام أبي علي في الإغفال ٢٦١-٢٦٦ .

زيادة اللام ما^(١) أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن^(٢) عن أبي العباس محمد بن يزيد^(٣) عن أبي عثمان^(٤) قال : سألت الأصمعي عن قول الشاعر :

وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُوًّا وَعَسَاقِلًا وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ بَنَاتِ الْأَوْبَرِ^(٥)

لِمَ أدخل اللام^(٦) ؟ فقال : أدخله زيادة للضرورة ، كقول^(٧) :

يَا لَيْتَ أُمَّ الْعَمْرِو كَانَتْ صَاحِبِي^(٨)

(١) (ما) : ساقط من (ب) .

(٢) (ب) : (الحسين) ، وفي الإغفال : (أبو بكر بن السراج ، ٣٦٦) وهو محمد بن السري ، أبو بكر سبقت ترجمته ، وليس في نسبه (الحسن أو الحسين) . انظر : طبقات النحويين ١١٢ ، وإنباه الرواة ١٤٥ / ٣ ، ومعجم الأدباء ١٨ / ١٩٧ .

(٣) المبرّد ، سبقت ترجمته .

(٤) المازني ، سبقت ترجمته .

(٥) البيت من الشواهد النحوية المشهورة ، ولم يعرف له قائل . جنيت لك ، وأكمؤا : جمع كمأ ، والعساقيل : نوع منه ، وكذا بنات الأوبر ، وهو من رديته . ورد البيت في المقتضب ٤ / ٤٨ ، وتهذيب اللغة (العسقول) ٣ / ٢٤٣٦ ، (جنى) ١ / ٦٧٤ ، (وبر) ٤ / ٣٨٢٧ ، والخصائص ٣ / ٥٨ ، والمنصف ٣ / ١٣٤ ، والإنصاف ٢٧٣ ، والمخصص ١ / ١٦٨ ، ١١ / ١٢٦ ، ٢٢٠ ، ١٣ / ٢١٥ ، ٢١٦ ، ١٤ / ١٢٠ ، وشرح المفصل ٥ / ٧١ ، ومغني اللبيب ١ / ٥٢ ، وشرح ابن عقيل ١ / ١٨١ ، وأوضح المسالك ١ / ١٨٠ ، واللسان (سور) ٤ / ٢١٤٧ ، (وبر) ٨ / ٤٧٥٢ .

(٦) في الإغفال : (الألف واللام) ٢٦٦ .

(٧) في الإغفال ٢٦٦ ، ٢٦٧ : «فقال أدخلها للضرورة كقول الآخر : بَاعَدَ أُمَّ الْعَمْرِ مِنْ أُسِيرِهَا» ، وروينا عن أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي : «يا ليت أم العمر . . .» .

(٨) لم يعرف قائل الرجز ، وبعده :

مكان من أشتى على الركائب

ويروى (أم العمر) ورد البيت في الإغفال ١ / ٢٦٧ ، والمخصص ١ / ١٦٨ ، ١١ / ٢٢٠ ، والإنصاف ١ / ٣١٦ ، والمنصف ٣ / ١٣٤ ، وتهذيب اللغة (ربيع) ٢ / ١٣٤٧ ، والصحاح (ضرب) ١ / ١٦٩ ، واللسان (ضرب) ٥ / ٢٥٦٩ ، (وبر) ٨ / ٤٧٥٢ ، (ربيع) ٣ / ١٥٦٣ ، وشرح المفصل ١ / ٤٤ .

فكما أن اللام زيادة في ما ذكرنا كذلك هو في (الآن) زائدة ، ولا تستوحشَّن من قولنا فيها ، فقد قال بزيادته سيبويه والخليل في قولهما : «مررت بهم الجماء الغفير نصب على نية^(١) إلغاء الألف واللام نحو : طراً وقاطبة»^(٢) .

وقال به أبو الحسن والأصمعي ، وقبله أبو عثمان وأبو العباس وأبو بكر ، فلم يدفعوه في ما روينا عنهم في البيت ، وأما أبو الحسن الأخفش فإنه قال في قولهم : «مررت بالرجل خير منك ، ومررت بالرجل مثلك» إن اللام زائدة^(٣) . وبعد ، فإن حرف التعريف حرف كسائر الحروف التي تلزم معنى ، ثم تزداد^(٤) في موضع آخر معرّى من ذلك المعنى ، (كباء الجر ، ومن) وغيرهما ، وكما جاءت (ما ولا) زائدين ، ولكل واحد منهما معنى يلزمه إذا لم يزد ، وكذلك حرف التعريف^(٥) .

فإن قيل : إذا كانت اللام زائدة فهلاً جعلت هذا الاسم من الأسماء المنكورة^(٦) المبنية كـ (أين وكيف) ونحوه^(٧) ؟ فالجواب : إن هذا الاسم لا يجوز أن يكون كـ (أين وكيف) ونحوه من المنكورة^(٨) المبنية ؛ لأن هذا مختص^(٩) مشار به إلى شيء بعينه ، كما أن (هذا) مشار به إلى شيء واحد بعينه من سائر ما يحضر^(١٠) .

(١) (على نية) : ساقط من (أ) و(ج) .

(٢) انظر : الكتاب ١ / ٣٧٥ ، وفيه : «كقولك : مررت بهم قاطبة ، ومررت بهم طراً» . انظر : المنصف ٣ / ١٣٤ ، وسر صناعة الإعراب ١ / ٣٥٠-٣٦٨ .

(٣) كلام أبي الحسن الأخفش ورد في الإغفال ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، وفيه : «الألف واللام زائدة» . انظر : معاني القرآن للأخفش ١ / ١٦٦ .

(٤) في (أ) : (يزاد) وأثبت ما في (ب) و(ج) ؛ لأنه أنسب للسياق ، ومثله في الإغفال ٢٦٨ .

(٥) انتهى كلام أبي علي في الإغفال في هذه المسألة ٢٦٨ ، ثم عاد إليها مرة أخرى ٢٧٧ ، ونقل عنه الواحدي كما سيأتي .

(٦) في (ب) : (المكنوزة) .

(٧) الإغفال ٢٧٧ .

(٨) في (ب) : (المكنوزة) .

(٩) (مختص) : ساقط من (ب) .

(١٠) في الإغفال : (ما يخضر) .

ألا ترى أنك تخصص به الوقت الحاضر دون الماضي ودون الآتي إلا أن يتسع^(١) فيه ، فالإشارة به والقصد فيه إلى المعين المخصوص يخرج به عن أن يراد به الشائع المنكور^(٢) ك (كيف) وبابه .

قال أبو علي : «وأما قول الفراء^(٣) إن قولنا : (الآن) يجوز أن يكون الآن^(٤) من قولنا : آن أن^(٥) يفعل كذا ، دخلت عليه [الألف واللام مثل شُبَّ^(٦) إلى دُبَّ ، وهذا قول يفسد في : اللفظ والمعنى ، ومن حكم مثله ألا يعرج عليه]^(٧) أمّا فساده في اللفظ : فلأن ذلك لا يخلو من أحد أمرين : إمّا أن يكون فعلاً مجرداً من الفعل ، أو يكون فعلاً معه فاعل .

فإن كان فعلاً مجرداً من الفاعل لزم إعرابه وامتنع حكايته ، وذاك مذهب العرب والنحويين جميعاً» .

(١) في (ج) : (تتسع) ، ومثله في الإغفال ٢٧٧ .

(٢) في (ب) : (المكنون لكيف) .

(٣) لم يذكر أبو علي الفراء باسمه ، وإنما قال : «وذكر بعضهم أن قولنا : (الآن) يجوز أن يكون» . الإغفال : ص ٢٨٣ .

(٤) في (ب) : (الآن) .

(٥) في (ج) : (تفعل) .

(٦) في الإغفال (من شب) ٢٨٣ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج) ، وأثبتته من (ب) ، ومثله في الإغفال ٢٨٣ ، واستقامة السياق تقتضيه .

ألا تراهم سَمَّوا^(١) العنبر بن عمرو بن تميم^(٢) : خَضَمَ^(٣) لكثرة أكله^(٤) ،
فأعربوه ولم يحكوه .

قال سيبويه : «وسمعناهم يصرفون رجلاً سُمِّيَ كَعْسَبٌ^(٥) ، وهو فعل^(٦) من الكعسبة ، وهي^(٧) شدة العدو ، وإنما لم يجز حكاية الفعل إذا نُقِلَ فُسُمِّيَ به من أجل أن الفعل يلزمه الفاعل^(٨) فلا يفارقه . فلو حكى بعد التسمية للزمه الفاعل كما كان يلزمه قبل ؛ لأنه لا يخلو^(٩) من الفاعل ، الحكاية^(١٠) فيه إذا سُمِّيَ به تؤدي إلى خلاف الغرض المقصود ؛ لأن المُسمي بالفعل لو حكاه في حال^(١١) التسمية للزمه التسمية بالجملة دون المفرد ؛ إذ الفعل لا يخلو من الفاعل بحال ، فلما كان

-
- (١) في (ب) : (ألا تراهم أنهم) ، وفي الإغفال (ألا ترى أنهم سموا) ٢٨٣ .
(٢) العنبر بن عمرو بن تميم ، كان شاعراً ، وإليه ينسب بنو العنبر . انظر : الاشتقاق لابن دريد ، ٢٠١ ، ٢١١ ، والمزهر ٢ / ٢٧٥ .
(٣) في النسخ جميعها (خَضَمَ) ، وفي الإغفال : (خَضَمَ) ٢٨٣ . قال سيبويه : «ولا يصرفون (خَضَمَ) ، وهو اسم للعنبر بن عمرو بن تميم» . الكتاب ٣ / ٢٠٨ .
(٤) قال في الصحاح (خَضَمَ) على وزن (بَعَمَ) : اسم العنبر بن عمرو بن تميم ، يزعمون أنهم سموا بذلك لكثرة الخضم ، وهو المضغ . الصحاح (خضم) ٥ / ١٩١٤ . انظر : اللسان (خضم) ٢ / ١١٧٦ - ١١٧٨ .
(٥) في الإغفال ٢٨٢ يسمى كعسباً ، وكذا في الكتاب ٣ / ٢٠٦ .
(٦) في الكتاب (وإنما هو (فَعَلَ) من الكعسبة . قال عبدالسلام هارون : «لا يقصد بـ (فعل) الوزن الصرفي ، وإلا فهو (فعل) وإنما يقصد أنه منقول من الفعلية» . الكتاب مع حاشية عبدالسلام هارون ٣ / ٢٠٦ .
(٧) في (ب) : (وهو) .
(٨) في (ب) : (الفعل) .
(٩) (يخلو) : ساقط من (ب) .
(١٠) في (ب) : (فالحكاية) .
(١١) (حال) : ساقط من (أ) و(ج) ، وهو في (ب) . الإغفال ٢٨٤ .

كذلك أزيل^(١) عن الفعلية بإعرابه ، وترك حكايته ، وصح التسمية به^(٢) لذلك دون فاعله . ويدل على امتناع هذه الكلمة أن [تكون]^(٣) فعلاً دخول لام^(٤) التعريف عليها ، وهذه اللام دخولها يكون على الأسماء كما أن التنوين من خواص الأسماء .

ولا يجوز^(٥) في قولهم : (الآن)^(٦) أن يكون فعلاً معه فاعله غير مجرد منه ؛ لأن دخول اللام عليه يمنع ذلك ، ألا ترى أن اللام لا تدخل على الجمل كما لا تدخل على الفعل ، فهذا فساد^(٧) من جهة اللفظ .

وأما فساد^(٨) من جهة المعنى ، فقولهم : «آن أن تفعل كذا»^(٩) مقلوب من^(٩) أنى يَأْنِي ، وأصل هذه الكلمة في اللغة إنما هو بلوغ الشيء^(١٠) وانتهائه ومكثه وامتداده ، فهو خلاف الآن وعكسه . والدليل على صحة القلب في هذا أنه لا مصدر لـ (آن) ، كما أن قولهم : «أيس يَأْس» لما كان مقلوباً من يئس يئأس^(١١) لم

(١) في (ب) : (أزید) .

(٢) في (ب) : (بذلك) .

(٣) في النسخ جميعها (يكون) بالياء ، والتصحيح من الإغفال ٢٨٤ .

(٤) في (ب) : (اللام والتعريف) .

(٥) الإغفال ٢٨٨ .

(٦) في (ب) : (ألا أن يكون) .

(٧) أي قول الفراء .

(٨) (آن) : ساقط من (ب) .

(٩) في (ج) : (عن) .

(١٠) انظر : تهذيب اللغة (أنى) : ٢٢٥ / ١ ، (الآن) : ٩٩ / ١ .

(١١) في (أ) و(ج) : (يأس) ، وفي الإغفال : (يئس يئأس) ٢٨٨ .

يكن له مصدر [ولو كان له مصدر] ^(١) لكان من باب جذب وجذب ^(٢)، ولم يكن قلباً.

فإن قلت ^(٣): «فقد قالوا: الإياس، وقد سموا الرجل إياساً»، قيل: إن إياساً من إسته إذا أعطيته ^(٤)، وتسميتهم بإياس كتسميتهم بعطية وعطاء، ومن هذا الباب قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحديد: ١٦] ^(٥) أي أما بلغ، أما حان. والآن اسم للوقت الذي أنت فيه وهو باقٍ، والباقي غير المتقضي ^(٦) المنتهي.

وأما قولهم: «أعيتني من شُبِّ إلى دُبِّ» ^(٧) فهذا الكلام مخرجه مخرج الأمثال التي تلزم طريقة واحدة ووجهاً واحداً، كقولك للرجل: «أَطْرِي فَإِنَّكَ نَاعِلَةٌ» ^(٨)، والصَّيْفَ ضَيَّعَتِ اللَّبَنَ» ^(٩)، فمعنى هذا: أنت عندي ممن يجب أن يقال له هذا.

- (١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج)، وأثبتته من (ب)، ومثله في الإغفال ٢٨٨، والسياق يقتضيه.
- (٢) جذب مقلوب من جذب قلباً مكانياً. انظر: تهذيب اللغة (جذب) ١١/١٥، واللسان (جذب) ١/٢٥٨.
- (٣) في (ب): (وأن).
- (٤) في الإغفال: (وقد سموا الرجل إياساً فما تنكر أن يكون غير قلب، فإن إياساً من إسته إذا أعطيته . . .). الإغفال ٢٨٨. انظر: اللسان (ياس) ٦/٢٥٩.
- (٥) وفي (ج) زيادة: ﴿أَنْ تَحْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾.
- (٦) في (ب): (المقتض)، وفي الإغفال: (المنقض) ٢٩٢.
- (٧) قال أبو علي: «... فإن قلت كيف يكون فيه ضمير الفاعل، وقد يقال: (أعيتني منذ شب إلى دب) ولو كان في هذا ضمير فاعل لوجب أن يكون مذ شبيبت إلى أن دببت؟ فالجواب: أنه إنما كان كذلك لأنه كلام مخرجه مخرج الأمثال . . .». الإغفال ٢٨٧.
- (٨) في النسخ جميعها (فاعلة)، وفي الإغفال: (ناعلة) وهو الصحيح، وفي الحاشية في (ب): (فاعلة). قال العسكري: «يضرب مثلاً للقوي على الأمر، وأصله أن رجلاً كان تله أمتان راعيتان، إحداهما ناعلة والأخرى حافية، فقال للناعلة: أطري، أي: خذي طرر الوادي، فإنك ذات نعلين، ودعى سرارته، أي: وسطه لصاحبته، فإنها حافية». جمهرة الأمثال للعسكري ١/٥٠، والمستقصى ١/٢٢١، واللسان (طرر).
- (٩) يضرب مثلاً لمن يضيع الأمر، ثم يريد استدراكه في غير وقته، وللمثل قصة مذكورة في كتب الأمثال. انظر: أمثال العرب للضبي ٥١، والدرة الفاخرة ١/١١، وجمهرة الأمثال ١/٥٧٥.

فهذه الأمثال وما شبه بها إنما تقال كما قيلت حيث جرت ، ولذلك^(١) أيضاً دخلت (إلى) على الجملة كأنهم جعلوها الوقت^(٢) . فأرادوا : أعييتني من وقت الشباب إلى وقت الكبر والدب بالعصا^(٣) .

وأما^(٤) قوله : «يجوز أن يكون الآن مأخوذاً من الألوان فتكون الألف منقلبة عن الواو»^(٥) ، فإن ذلك لا ينبغي أن يجوز ؛ لأن هذه المبنية مشابهة بالحروف^(٦) والأصوات [فكما لا تكون^(٧) الحروف والأصوات]^(٨) مشتقة كذلك^(٩) لا تكون هذه^(١٠) الأسماء مشتقة^(١١) .

ومعنى قوله : ﴿أَلَمْ تَجِدْ بِالْحَقِّ﴾ أي : بالوصف البين التام الذي دل على التمييز من بين أجناسها^(١٢) ، ويقال : «جاء مجيئاً وجيئَةً» ، ومنه : «الجيئة»^(١٣) ؛ لأنه يحيئها الماء فيجتمع فيها .

-
- (١) في (ب) : (وكذلك) .
 (٢) كذا في النسخ جميعها ، وفي الإغفال : (للوقت) ٢٨٧ .
 (٣) انظر : بقية كلام أبي علي ٢٨٧ .
 (٤) (أما) : ساقط من (ب) .
 (٥) الإغفال ٢٩٥ .
 (٦) في الإغفال : (للحروف) ٢٩٥ ، وهذا أولى بالسياق .
 (٧) في الإغفال : (لا تكون) في الموضعين ٢٩٥ .
 (٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .
 (٩) في (ب) : (لذلك) .
 (١٠) في (ج) : (هذا) .
 (١١) هذا آخر ما نقله الواحدي عن أبي علي الفارسي من كتابه الإغفال عن (الآن) ، وقد أطال النقل ، وتصرف في نقله بالاختصار والتقديم والتأخير ، وقد أشرت إلى الفروق المهمة في أماكنها . انظر : الإغفال ٢٥٣-٢٩٨ .
 (١٢) انظر : تفسير الطبري ٣٥٣/١ ، وتفسير الثعلبي ٨٤/١ ب .
 (١٣) كذا يقال له : (جيئة) وحيأة وكل من كلام العرب . تهذيب اللغة (الجيأة) ٦٨٦/١ ، وقال صاحب اللسان : «والجيئة والجيئة : حفرة الهبطة يجتمع فيها الماء» ، والأعراف : الجيئة . اللسان (جيا) ٧٣٩/٢ .

[وقوله: ﴿فَذَبْحُوهَا﴾ في الآية إضمار، أراد: فطلبوها، فوجدوها، فذبحوها]^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾: قال القرطبي: «لغلاء ثمنها»^(٢).

وقال وهب: «مخافة الافتضاح»^(٣). وذكرنا ما في (كاد) عند قوله: ﴿يَكَادُ الْبَرَقُ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

قال عكرمة: «لو أنهم عمدوا»^(٤) إلى أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكنهم شددوا فشدد عليهم»^(٥)، وقيل: إن أول من راجع موسى في ذبح البقرة هو القاتل مخافة أن ينكشف ويفتضح.

٧٢. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾: كان الاختلاف في القاتل قبل ذبح البقرة، وإنما تأخر في الكلام؛ لأن الله - عز وجل - لما قال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] علم المخاطبون أن البقرة لم تذبح إلا للدلالة على قاتل خفيت عينه عليهم، فلما استقر علم هذا في نفوسهم أتبعه بقوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ على جهة التوكيد،

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ج)، وأثبتته من (ب). انظر: معنى الآية في تفسير الثعلبي ٨٤/١ ب، الكشف ٢٨٨/١، والبحر المحيط ٢٥٧/١.

(٢) ذكره الطبري في ٣٥٤/١، وابن أبي حاتم في ٤٢٦/١، وابن كثير في تفسيره ١١٩/١، وقال: «وفي هذا نظر، لأن الثمن لم يثبت إلا من نقل بني إسرائيل». انظر: الدر المنثور ١٥٢/١.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره ٣٥٥/١، ٣٥٦، وابن كثير، وقال: «ذكره ابن جرير، ولم يسنده عن أحد». تفسير ابن كثير ١١٩/١. الصحيح أن ابن جرير الطبري ذكره بسنده عن وهب.

(٤) في (ب): (عهدوا).

(٥) ذكره الطبري عنه، وعن عدة من السلف ٢٠٤/٢. انظر: تفسير ابن كثير ١١٩/١، والدر المنثور ١٥٢/١.

لا أنه عَرَفَهُمْ^(١) الاختلاف في القاتل بعد أن دَلَّهُمْ على ذبح البقرة^(٢) ،
 وقيل : إنه من المؤخر الذي يراد به التقديم ، وتأويله : ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا
 فَآذَرْتُمْ ثُمَّ فِيهَا﴾ ، فسألتم موسى فقال لكم : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا
 بَقَرَةً﴾ ، وهذا عادة العرب في كلامهم . قال الله جل اسمه : ﴿الْحَمْدُ
 لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ ۝١ قِيمًا﴾ [الكهف : ١-٢]
 أراد : أنزل على عبده الكتاب قِيمًا^(٣) . وقال الفرزدق يمدح خال
 هشام^(٤) :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا^(٥) مُمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ حَتَّى أَبَوُهُ يُقَارِبُهُ^(٦)

(١) في (ب) : (عن فهم) .

(٢) وعلى هذا القول يكون قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ مقدماً في التلاوة ، وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ مقدماً في المعنى على جميع ما ذكر من شأن البقرة ، ذكر ذلك القرطبي ، وقد ذكر في الآية ثلاثة أوجه ، هذا أحدها .

والوجه الثاني : أن يكون قوله : ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ﴾ في النزول مقدماً ، والأمر بالذبح مؤخراً .
 والثالث : يكون ترتيب نزولها حسب تلاوتها ، فكان الله أمرهم بذبح البقرة حتى ذبحوها ، ثم وقع ما وقع من أمر القتل ، فأمروا أن يضرب ببعضها . القرطبي ١/ ٣٧٨-٣٨٨ ، وانظر : البحر المحيط ١/ ٢٥٨ .

وقد رجَّح أبو حيان أن الأمر بالذبح متقدم ، والقتل متأخر كحالهما في التلاوة ، ولا داعي لحمل الآيات عن ظاهرها ، بل تظهر الحكمة البالغة في امتحانهم أولاً بذبح البقرة ، هل يمتثلون أم لا ؟

(٣) انظر : تفسير أبي الليث ١/ ٣٩٢ ، وتفسير الثعلبي ١/ ٨٥ ، وتفسير البغوي ١/ ٨٤ .

(٤) هشام بن عبد الملك بن مروان ، أحد خلفاء بني أمية ، وخاله هو إبراهيم بن هشام بن إسما عيل المخزومي القرشي . انظر : الكامل ٥/ ١٢٣ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٥١ ، والأعلام ١/ ٧٨ .

(٥) (ألا) : ساقط من (ب) .

(٦) البيت من شواهد البلاغة على التعقيد اللفظي يقول : «وما مثله يعني الممدوح في الناس حتى يقاربه ، أي : يشبهه في الفضائل ، إلا مملكاً يعني به هشاماً ، أبو أمه : أي أبو أم هشام أبوه ، أي : أبو الممدوح ، فالضمير في (أمه) للملك ، وفي (أبوه) للممدوح» . ورد البيت في المعاني الكبير ١/ ٥٠٦ ، والخصائص ١/ ١٤٦ ، ٣٢٩ ، ٣٩٣ ، والكامل ١/ ٢٨ ، والصحاح (ملك) ٤/ ١٦٠٩ ، واللسان (ملك) ٧/ ٤٢٦٦ ، ومعاهد التنصيص ١/ ٤٣ ، والخزانة ٥/ ١٤٦ .

أراد : وما مثله ^(١) في الناس حي يقاربه إلا مملكاً ، أبو أم المملك أبوه ، فقدّم وأخر .

وأضاف القتل إليهم في قوله : ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ﴾ وإن كان القاتل واحداً على ما ذكرنا من مذهب العرب أنهم يضيفون فعل البعض إلى جماعة القبيلة ، يقولون للقبيلة : «انهزمت يوم ذي قار وإنما انهزم بعضهم» ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ﴾ ينعطف على قوله : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى﴾ ^(٣) [البقرة : ٥٥] ، ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾ [البقرة : ٥٠] ، والذكر مضمّر فيها كأنه : واذكروا إذ قتلتم ^(٤) ، ولهذا لم يأت لـ (إذ) بجواب ، ومثله قوله : ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ ^(٥) ، وليس شيء قبله تراه ناصباً لصالح ، فعلم بذكر النبي والمرسل ^(٦) إليه أن فيه إضماراً ^(٧) : أرسلنا .

ومثله : ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنبياء : ٧٦] ، ﴿وَدَا الْثُونِ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، وهذا يجري على مثال ما قال في سورة ص : ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا﴾ [ص : ٤٥] ^(٨) ، ثم ذكر الذين من بعدهم بغير (واذكر) لأن معناه متفق ، فجاز ذلك ، ويستدل على (أن) في هذه الآية ^(٩) مضمرة أنه قال : ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ

(١) قوله : «أراد وما مثله» ساقط من (ب) .

(٢) سبق بيان هذا عند تفسير قوله تعالى : ﴿يَبْنِيْ اِمْرًا يَلْ اَذْكُرُوا يَغِيْ اَلَّتِي اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة : ٤٠] ٢/ ٤٣٣ . انظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ٩٠ ، ٩٨ ، والبحر المحيط ١/ ٢٥٩ .

(٣) في (أ) و(ج) : (قتلتم تصحيف) .

(٤) كذا في معاني القرآن للفرّاء نقل عنه بتصرف ١/ ٣٥ ، والمراد أن (إذ) يقدر قبلها (اذكر) في أول موضع وردت فيه وما بعدها عطف عليهما ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَكُمْ﴾ [البقرة : ٤٩] . انظر : تفسير الطبري ١/ ٢٦٩ ، ٢٧٥ ، ٢٨٩ ، ٣٥٦ .

(٥) [الأعراف : ٧٣] ، [هود : ٦١]

(٦) في (ب) : (المرسل) بسقوط الواو والباء .

(٧) (إضمار) ساقطة من (أ) و(ج) ، وأثبتها من (ب) ، ومثله في معاني القرآن ١/ ٣٥ ، والسياق يقتضيها . وفي معاني القرآن للفرّاء : ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا اِزْهِيْمَ وَاِسْحَقَ﴾ .

(٩) في معاني القرآن ١/ ٣٥ : «ويستدل على أن (واذكروا) مضمرة مع (إذ) أنه قال : ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾» .

قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ ﴿﴾ [الأنفال: ٢٦] ، ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦] ، فلما ذكرها هنا (واذكروا)^(١) مع (إذ) علم أنه مراد مع (إذ) وإن حذف^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿فَأَذَرَتْهُمُ فِيهَا﴾ : قال ابن عباس : «اختلفتم فيها»^(٣) .

وقال الربيع : «تدافعتم»^(٤) .

وأصل الدرء : الدفع ، يعني : ألقى ذاك على هذا ، وهذا على ذاك ، فدافع كل واحد عن نفسه^(٥) . والتدارؤ والمدارأة مهموزتان .

قال أبو عبيد : «وهي المشاغبة والمخالفة على صاحبك»^(٦) .

ومنه حديث قيس بن السائب^(٧) : «كان رسول الله ﷺ شريكي^(٨) ، فكان خير شريك لا يدارئ ولا يماري»^(٩) . وكل من دفعته عنك فقد دارأته .

(١) في (ج) : (واذكروا) .

(٢) انتهى النقل عن الفراء . معاني القرآن ١ / ٣٥ .

(٣) تفسير الثعلبي ١ / ٨٥ أ . انظر : تفسير البغوي ١ / ٨٤ ، وزاد المسير ١ / ١٠١ .

(٤) تفسير الثعلبي ١ / ٨٥ أ . انظر : تفسير البغوي ١ / ٨٤ .

(٥) تفسير الثعلبي ١ / ٨٥ أ . انظر : معاني القرآن للزجاج ١ / ١٢٦ ، وتفسير الماوردي ١ / ٣٦٧ . وذكر الطبري ١ / ٣٥٦ في معنى الآية قولين : الأول : اختلفتم وتنازعتم ، والثاني : تدافعتم ، قال : «وهو (أي القول الثاني) قريب من المعنى الأول» . وذكر ابن فارس أن (الدرء) مهموز : «أصل واحد بمعنى الدفع» . مقاييس اللغة (درى) ٢ / ٢٧١ .

(٦) غريب الحديث ١ / ٣٣٧ ، وتهذيب اللغة (درى) ٢ / ١١٨١ .

(٧) هو قيس بن السائب بن عويمر بن عائذ بن مخزوم ، ذكر ابن حجر عن ابن حبان أن له صحبة . انظر : الجرح والتعديل ٧ / ٩٩ ، والإصابة ٣ / ٢٣٨ .

(٨) في (ب) : (وكان خير) بسقوط (شريكي) .

(٩) الحديث أخرجه أحمد في مسنده عن قائد السائب عن السائب ، وعن مجاهد عن السائب بن أبي السائب ٣ / ٤٢٥ ، وأبو داود عن قائد السائب عن السائب . سنن أبي داود ، كتاب : الأدب ، باب : كراهية المراء ، وابن ماجه عن قائد السائب عن السائب ٢٢٨٧ ، كتاب : التجارة ، باب : الشركة والمضاربة . =

قال أبو زيد^(١) :

كَانَ عَنِّي يَرُدُّ دَرُؤُكَ بَعْدَ
اللَّهِ شَغَبَ الْمُسْتَضْعَبِ الْمُرِيدِ^(٢)
وأصله تدارأتم ثم أدغمت التاء في الدال وأدخلت الألف ليسلم سكون
الحرف الأول^(٣) .

ومثله : ﴿ثَأَقْلُتُمُ﴾ [التوبة : ٣٨] ، ﴿أَطَيَّرْنَا﴾ [النمل : ٤٧] .

قال الكسائي : «التاء إذا كانت في الأفعال تدغم في حروف كثيرة ، في التاء
مثل : أتابع بمعنى تتابع» ، وأنشد :

تُوْلِي الضَّجِيعَ إِذَا مَا اسْتَفَاهَا خَصْرًا
عَذَبَ الْمَذَاقِ إِذَا مَا اتَّابَعَ الْقُبْلُ^(٤)

- وأخرجه الطبري عن السائب ، وقد تكلم شاكر في حاشية الطبري عن الحديث ويين ما في سنده من ضعف ، وما في الحديث من اضطراب . تفسير الطبري مع حاشية شاكر ٢ / ٢٢٣ .
- والحديث أورده أبو عبيد في الغريب ١ / ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، والأزهري في تهذيب اللغة (درى) ٢ / ١١٨١ . وذكر الحديث ابن حجر في الإصابة ٣ / ٢٣٨ ، قال : «أخرجه البغوي والحسن بن سفيان وغيرهما من طريق محمد بن مسلم الطائفي عن إبراهيم بن ميسرة عن مجاهد ، وأخرجه أبو بشر الدولابي في الكنى من هذا الوجه ، لكنه قال : أبو قيس بن السائب كذا عنده ، وقيس بن السائب أصح . . .» .
- (١) أبو زيد هو حرملة بن المنذر الطائي ، شاعر مشهور ، أدرك الإسلام واختلف في إسلامه . انظر : الشعر والشعراء ١٨٥ ، والإصابة ٤ / ٨٠ ، والخزانة ٤ / ١٩٢ .
- (٢) البيت من قصيدة لأبي زيد رثى فيها ابن أخته . الشغب : تهيج الشر ، والمريد : مبالغة في المارد ، يقول : «كان دفعك عني بعد الله يرد عني شر كل مريد» . ورد البيت في «غريب الحديث» لأبي عبيد ١ / ٢٠٢ ، واللسان (درأ) ٣ / ١٣٤٧ ، (شغب) ٤ / ٢٢٨٣ ، والخزانة ٩ / ٧٦ .
- (٣) انظر : تفسير الطبري ١ / ٣٥٦ ، ومعاني القرآن للفرأ ١ / ٤٣٧ ، ومعاني القرآن للأخفش ١ / ٢٨٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ١٢٦ ، وتفسير الثعلبي ١ / ٨٥ ، والبيان ١ / ٩٥ ، والدر المصون ١ / ٤٣٤ .
- (٤) لم أجد من نسبه . استفاهها : دنا منها وشمها ، والخصر : البارد من كل شيء ، ويريد الريق . ورد البيت في معاني القرآن للفرأ ١ / ٤٣٨ ، وتفسير الطبري ١ / ٣٥٦ ، ١٠ / ١٣٣ ، وتفسير القرطبي ٨ / ١٤٠ .

وفي الثاء نحو: ﴿أَنفَقْتُمْ﴾ [التوبة: ٣٨]، وفي الدال نحو: ﴿أَدَارَكُوا﴾ [الأعراف: ٣٨]، وفي الذال نحو: ﴿يَذْكُرُونَ﴾^(١)، وفي الصاد نحو: ﴿يَخْصِمُونَ﴾ [يس: ٤٩]، وفي الزاي نحو: ﴿وَأَزَيَّنْتَ﴾ [يونس: ٢٤]، وفي الطاء نحو: ﴿أَطْهَرُوا﴾^(٢) و﴿أَطْيَرْنَا﴾^(٣)، وفي السين نحو: ﴿وَأَسْمَعَ﴾^(٤) وفي الظاء نحو: ﴿تَظْهَرُونَ﴾^(٥)، وفي الشين نحو: ﴿تَشَقَّقُ﴾^(٦)، فمتى ما لقيت التاء حرفاً من هذه الحروف أدغمت، وإذا لم تلقه ظهرت^(٧)، من ذلك: يتعلمون ويتكلمون ويطرامون، ولا يكون مدغماً.

فإن ابتدأت بقوله: ﴿أَنفَقْتُمْ﴾ وأخواته فقد اختلف الناس فيه، فقال بعضهم: «إذا ابتدأت قلت: ثناقلتم: فتركت الإدغام»^(٨)، قال: «وهذا أحب إلي». وقال بعضهم: «لا بل أقطع الألف فأقول: اثاقلتم، يكون^(٩) هذه الألف

(١) وردت في آيات عدة، منها: [الأنعام: ١٢٦]، و[الأعراف: ٢٦، ١٣٠]، و[الأنفال: ٥٧]، و[التوبة: ١٢٦]، و[النحل: ١٣].

(٢) في (ب): (اطهر)، جزء من آية المائدة ٦، وسياقها: ﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾.

(٣) في (ج): (ولطينا). الآية ٤٧ من سورة النمل.

(٤) وعلى إدغام التاء في السين - أيضاً - ورد قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِهَا الْفُتًى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصفافات: ٨].

(٥) هذا على قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر بتشديد الظاء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنفُسُكُمْ فَخُذُوا مِنْ قَرَيْبًا مِّنْ دِكْرِهِمْ تَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِآلِائِهِمْ وَأَلْعُدُونِ﴾ [البقرة: ٨٥]، وقرأ عاصم وحمة والكسائي بالتخفيف. انظر: الحجة لأبي علي ١٣٠/٢.

(٦) هذا على قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر بتشديد الشين في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِيمِ﴾ [الفرقان: ٢٥]، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ﴾ [ق: ٤٤]، وبقيّة السبعة بالتخفيف. انظر: السبعة ٤٦٤، ٦٠٧.

(٧) في (ب): (اطهرت).

(٨) انظر: معاني القرآن للرفاء ١/٤٣٧، ٤٣٨، وتفسير الطبري ١/٣٥٦، ١٠/١٣٣، وتفسير القرطبي ١٤٠/٨.

(٩) (يكون): كذا في (أ) و(ج)، وفي (ب) بدون إعجام، والأولى (تكون).

كألف افتعل واستفعل عند الابتداء». ولم يكتب^(١) بالألف إلا وهي هكذا عند الابتداء.

قال الكسائي: «ولم أسمع من العرب إلا بالبيان؛ وذلك أن الإدغام لا يكون إلا وقبله شيء، فأما إذا ابتدأت فلا».

قال الفراء: «والعرب تبني المصدر على الإدغام كما بنوا الفعل، فيقولون: أَدَارَأُ أَدَارُؤًا مثل أَدَارَكُ أَدَارُكًا وَأَثَاقِلُ أَثَاقِلًا وَأَزَامِلًا، وما كان مثله فإن فيه الإدغام^(٢) والإظهار في مصدره^(٣). وكتب في المصحف (فَادَرَأْتُمْ) بغير ألف قبل الراء^(٤)، كما كتبوا (الرحمن) بغير ألف الاختصار؛ لأنهم قد يحذفون لطول الكلام كما يحذفون لكثرة الاستعمال».

وقوله: (فيها) الكناية عائدة على النفس^(٥).

وقال ابن الأنباري: «يجوز أن تعود على القتلة، لأن (قتلتهم) يدل على المصدر^(٦)». ﴿وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْنُتُونَ﴾ من أمر القتيل، وأدخل التنوين لأنه ميعاد في المستقبل^(٧)، وقد مضى الكلام في هذه المسألة^(٨).

(١) في (ب): (تكتب).

(٢) في (ب): (الإظهار والإدغام).

(٣) في (أ) و(ج): (مصدر) من دون الهاء، وأثبت ما في (ب)؛ لأنه أنسب للسياق.

(٤) قال الداني: «اتفق جمعها (أي مصاحف الأمصار) على حذف الألف التي هي في صورة الهمزة في قوله في البقرة: (فَادَرَأْتُمْ) لا غير». المقنع: ص ٢٦.

(٥) انظر: تفسير الطبري ١/٣٥٧، وتفسير ابن عطية ١/٣٥١، والبحر المحيط ١/٢٩٥.

(٦) ونحوه قال ابن عطية ١/٣٥١، وأبو حيان في البحر ١/٢٩٥، وذكر قولاً ثالثاً، هو أن الكناية تعود على التهمة.

(٧) قال الزَّجَّاج: «الأجود في (مخرج) التنوين، لأنه ميعاد لما يستقبل، أو للحال». معاني القرآن ١/١٢٦، وانظر: الكشف ١/٢٨٩، والبحر المحيط ١/٢٩٥.

(٨) وهي أن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الاستقبال أو الحال ينون ولا يضاف إلى ما بعده، وهذا عند البصريين، أمّا عند الكوفيين فيجوز إضافته.

٧٣. قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا وَإِنَّا﴾: قال ابن عباس: «أضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف، وهو المقتل».

وقال الضحاك: «بلسانها»، واختاره الحسين بن الفضل.

سعيد بن جبیر: «بَعَجِبَ ذَنْبُهَا»، واختاره يمان بن رباب، قال: «لأنه أساس البدن الذي^(١) رُكِبَ عليه الخلق»^(٢). ثم قال: «﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ معناه: أضربوه ببعضها فيحيا، فَضْرِبَ فَحْيِي^(٣)، كذلك يحيي الله الموتى كما أحيا هذا القتل، وأضمر (فيحيي) كما قال: ﴿أَنِ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] والمعنى: فضرِبَ فانفلق^(٤)، فهذا احتجاج على منكري البعث»^(٥).

فإن قيل: ما معنى ضرب القتل ببعض البقرة، والله قادر على إحيائه بغير ذلك؟

فالجواب: إن في ذلك تأكيداً أنه ليس على جهة المخركة والحيلة، ولا على جهة الكهانة والسحر؛ إذ جعل الأمر في إحيائه إليهم، وجعل ذلك عند الضرب

(١) (الذي): ساقط من (ب).

(٢) هذه الأقوال عن ابن عباس والضحاك وسعيد، في تفسير الثعلبي بنصها ١/ ٨٥ أ، وذكر الطبري عن مجاهد وقتادة: «بالفخذ»، وعن السُّدِّي: «بالبعضة التي بين الكتفين»، وعن أبي العالية: «بعظم من عظامها»، وعن ابن زيد: «بعض من أعضائها». ثم قال الطبري: «والصواب من القول عندنا، أنه يقال: أمرهم الله جل ثناؤه أن يضربوا القتل ببعض البقرة ليحيا المضروب، ولا دلالة في الآية، ولا في خبر تقصوم به حجة، على أي أعضائها التي أمر القوم أن يضربوا القتل به... ولا يضر الجهل بأي ذلك ضربوا القتل، ولا ينفع العلم به، مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتل ببعض البقرة بعد ذبحها، فأحياه الله». تفسير الطبري ١/ ٣٥٩، ٣٦٠، وانظر: تفسير ابن كثير ١/ ١١٩، ١٢٠.

(٣) قوله: «فضرِبَ فحْيِي» ساقط من (ب).

(٤) قوله: «والمعنى فضرِبَ فانفلق» ساقط من (ب).

(٥) انظر: معاني القرآن للقرطبي ١/ ٤٨، وتفسير الطبري ١/ ٣٦١، وتفسير الثعلبي ١/ ٨٥ أ.

بموات لا إشكال في أنه علامة لهم وآية للوقت الذي يحيا فيه عندما يكون منهم ،
فبان أنه من فعل الله عز وجل^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ : يقال : أَرَيْتُهُ الشَّيْءَ إِرَايَةً^(٢) من غير همز
شبيهاً بالمنقوص ، مثل : إقامة ، وترك الهمز ؛ لأن الياء في أريت غير مهموزة .

ويقال أيضاً : أَرَيْتُهُ إِرَاءَةً ؛ لأن الياء إذا جاءت بعد الألف همزت ، ويقال
أيضاً : إِرَاءَةً بنوا على الهمز كأنهم قالوا : أَرَيْتُهُ إِرَاءَةً ، ثم تركوا الهمز ، قال الفراء :
«وأجودها»^(٣) : إِرَايَةً غير مهموزة .

وروى شمر عن ابن الأعرابي : «أَرَيْتُهُ الشَّيْءَ إِرَاءَةً وَإِرَايَةً وَإِرَاءَةً»^(٤) .

ومعنى قوله ﴿آيَاتِهِ﴾ أي : آيات قدرته على خلق الحياة في الأموات . قال
الزَّجَّاج : «وهذه القصة في القرآن من أدلِّ الدلائل على نبوة محمد ﷺ ، حيث
أخبرهم بما صدَّقه في ذلك أهل الكتاب ، وهو رجل عربي أمِّي لم يقرأ كتاباً ولم
يتعلم من أحد ، ولم يكن هذا من علم العرب»^(٥) .

٧٤ . قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ : معنى القسوة في اللغة : الشدة
والصلابة واليبس ، ويقال : حجر قاس : صلب ، وأرض قاسية : لا
تنبت شيئاً ، وعامٌ قَسِيٌّ : ذو قحط ، قال شمر : «هو الشديد»^(٦) لا مطر
فيه»^(٧) .

(١) انظر : تفسير الماوردي ١/ ٣٦٩ ، والبحر المحيط ١/ ٢٦١ .

(٢) في (ب) : (أرأيته) .

(٣) (أجودها) : ساقط من (ب) .

(٤) تهذيب اللغة (رأى) ٢/ ١٣٢٧ . انظر : اللسان (رأى) ٣/ ١٥٣٧-١٥٤٥ .

(٥) بمعناه في معاني القرآن ١/ ١٢٢ .

(٦) قوله : «هو الشديد» ساقط من (ب) .

(٧) تهذيب اللغة (قسا) ٣/ ٢٩٥٥ . انظر : اللسان (قسا) ٦/ ٣٦٢٢ .

ويقال : « قسا قلبه يَفْسُو قَسَوَةً وقَسَاوَةً وقُسُوًّا »^(١) .

وقال بعضهم : « قسا قلبه قَسِيًّا » ، والعرب تقلب الفعول في المصدر إلى الياء ، فيقول : « طغا طَغِيًّا وعتا عَتِيًّا » .

قال أبو إسحاق : « وتأويل القسوة ذهاب اللين والرحمة والخشوع »^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ : أي من بعد إحياء الميت لكم بعضو من أعضاء البقرة ، وهذه آية عظيمة كان يجب على من شاهدها أن يلين قلبه^(٣) ويخضع^(٤) .

قال الكلبي : « قالوا بعد ذلك : لم نقله نحن ، فلم يكونوا قَطُّ أعمى قلباً ولا أشد تكذيباً لنبيهم منهم عند ذلك »^(٥) .

قال أبو إسحاق : « ويحتمل أن يكون (من بعد ذلك) ، أي : من بعد إحياء الميت والآيات التي تقدمت ، نحو : مسخ القردة والخنزير ، ورفع الجبل فوقهم ، وانجاس الماء من حجر . وإنما جاز (ذلك) للجماعة ، ولم يقل : (ذلكم) ، لأن الجماعة يؤدي عن لفظها الجميع والفريق ، والخطاب في لفظ واحد ، والمعنى جماعة »^(٦) .

(١) قُسُوًّا : كذا ضبط في (أ) ، ومثله في الوسيط ١ / ١٣٢ ، وفي تفسير الطبري : (قُسُوًّا) ٣٦١ ، وكذا في القاموس ٧٨ / ٢٠ .

(٢) انظر : معاني القرآن ١ / ١٢٨ ، وتهذيب اللغة (قسا) ٣ / ٢٩٥٥ ، والنص من تفسير الثعلبي : ١ / ٨٥ ب .

(٣) في (ج) : (عليه) .

(٤) ذكره الزَّجَّاج في معاني القرآن ١ / ١٢٨ ، وله قول آخر يأتي ذكره قريباً . انظر : تفسير الطبري ٣٦١ ، ٣٦٢ .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ٨٥ ب ، والبغوي في تفسيره ١ / ١٨٥ .

(٦) في معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ١٢٨ .

وقوله تعالى : ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ : قال أبو إسحاق : «لا يجوز عندي إسكان الواو والياء من (هو وهي) لأن كل مضمّر فحركته إذا انفرد الفتح نحو (أنا) ، فكما لا يسكن نون أنا فلا تسكن^(١) هذه الواو» .

قال أبو علي في ما استدرك عليه^(٢) : «إسكان الواو من (هو) والياء من (هي) غير ممتنع» .

ولو قال قائل : «الجدد الإسكان^(٣) لسكون النون في أنت^(٤) ، كما قال هو^(٥) : لا يجوز الإسكان فيها لتحرك النون في (أنا)» لما كان بينهما فصل

فإن قلت : «فقولهم : (نحن) من المضمّر المنفصل ، وآخره متحرك» ، فذلك لا يشبه هو وهي وأنا وأنت ؛ لأن آخر (نحن) إنما حرك لالتقاء الساكنين ، ولو كان آخره متحرّكاً من الجهة التي ذكرت^(٦) لا لالتقاء الساكنين ما جاز إسكان الآخر من (هم) ومن (أنت) ؛ لأنها أيضاً مضمّران منفردان . فإن قلت : «إن آخر (أنت) متحرك ، وليس بساكن ، كما أن آخر (أنا) متحرك» ، فليس هذا بسؤال ؛ لأن آخر الاسم في أنت إنما هو النون ، والتاء للخطاب وليست من نفس الكلمة ، كما أن الألف من (أنا) إذا وقعت لتبيين الحركة في الوقف ، لا من نفس الحرف ، فإن اعتدب (التاء) مع أنها زائدة في الكلمة ، فليعتدب (الألف) أيضاً في (أنا) مع

(١) في (أ) : (يسكن) ، وأثبت ما في (ب) و(ج) ومثله ورد في معاني القرآن للزجاج ١/ ١٣٠ .

(٢) الإغفال ٢١١ .

(٣) أي : الإسكان في (الياء) من (هي) ، و(الواو) من (هو) . انظر : الإغفال ٢١١ .

(٤) قوله : «في أنت» ساقط من (ب) .

(٥) أي : الزجاج ، وفي الإغفال : (كما قال أبو إسحاق) ٢١١ .

(٦) ما الجهة التي ذكر ؟ قال في الإغفال : «فتبين مما ذكرنا أن (نحن) لم يحرك آخره من حيث كان مضمراً منفرداً» ٢١٢ .

كونها زائدة ، وإذا اعتد بها سقط الاحتجاج ؛ لأنها حينئذ ساكنة الأخير ، وإنما اختيرت الحركة في هو وهي لأنها أكثر ، وفي اللغات أشهر ، لا لما ذكره ^(١) .

ويدل على جواز ^(٢) هذا الإسكان ^(٣) ما أخبرني محمد بن ^(٤) الحسن عن أبي حاتم عن أبي زيد :

كَأَطُومٍ فَقَدَتْ بُرْغُزَهَا أَغْقَبَتْهُ الْغُبْسُ مِنْهُ عَدَمًا
عَفَلَتْ ثُمَّ أَتَتْ تَرْقُبُهُ فَإِذَا هِيَ بِعِظَامٍ وَدَمًا ^(٥)

وقوله تعالى : ﴿ كَالْحِجَارَةِ ﴾ : قال الليث : «الحجارة جمع الحجر ^(٦) ، وليس بقياس ، لأن الحجر يجمع على أحجار ، ولكن يجوز الاستحسان في العربية مثل الاستحسان في الفقه ، وترك ^(٧) القياس» .

قال ^(٨) : «ومثله : المهارة والبيكارة ، لجمع : المهر والبكر» ^(٩) .

(١) انظر : الإغفال ٢١١ ، ٢١٢ .

(٢) (جواز) : ساقط من (ج) .

(٣) في الإغفال : «ويدل على جواز هذا الإسكان إذا جاءت به رواية ثقة غير ممتنع ما أخبرنا» ٢١٣ .

(٤) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد .

(٥) لم أعثر على قائل البيتين . أطوم : يريد البقرة الوحشية ، وبرغزها : ولدها ، والغبس : الذئب أو الكلاب . ورد البيتان في الإغفال ٢١٣ ، ومجالس العلماء للزجاجي ٣٢٦ ، والمنصف ١٤٨/٢ ، واللسان (برغز) ٣١٥/١ ، (أطم) ١٧٠/١ ، والخزانة ٤٩١/٧ . ورد الشطر الثاني من البيت الثاني في التكملة ٣٠ ، والمخصص ٩٣/٦ ، والبيت الثاني في شرح المفصل ٨٤/٥ ، والهمع ١٣/١ . وبهذين البيتين انتهى ما نقله الواحدي عن أبي علي الفارسي من كتاب الإغفال ٢١١-٢١٣ .

(٦) في (ج) : (حجر) .

(٧) في (ب) : (وترى) ، وفي تهذيب اللغة ٧٤٦/١ : (ترك القياس له) .

(٨) (قال) : ساقط من (ج) .

(٩) تهذيب اللغة (حجر) ٧٤٦/١ . انظر : اللسان (حجر) ٧٨١/٢ .

وأقرأني العروضي عن الأزهرى ، قال : أخبرني المنذري عن أبي الهيثم قال : «العرب تدخل الهاء في كل جمع على فِعَالٍ أو فُعُولٍ ، فتقول : عِظَامٌ وَعِظَامَةٌ وَفِحَالَةٌ وَجِمَالَةٌ»^(١) وَذِكَارَةٌ وَذُكُورَةٌ وَفُحُولَةٌ وَعُمُومَةٌ وَحُمُولَةٌ ، قال : «وإنما زادوا هذه الهاء لأنه إذا سكت عليه اجتمع فيه عند السكت ساكنان»^(٢) . قال الأزهرى : «وهذه العلة»^(٣) أحسن من علة الاستحسان الذي شَبَّهه بالاستحسان في الفقه»^(٤) .

قال المفسرون : «إنما شبه قلوبهم بالحجارة في الغلظة والشدّة ، ولم يقل»^(٥) : (كالحديد) ، وإن كان الحديد أصلب من الحجارة ، لأن الحديد يلين بالنار ، وقد لان لداود بإذن الله حتى صار كالعجين ، ولا تلين الحجارة بمعالجة أبداً ، ولأن في الحديد منافع ، تلك المنافع لا توجد في الحجارة ، فشبه الله قلوبهم بالحجارة لقسوتها ولعدم المنفعة منها»^(٦) .

وقوله : ﴿أَوْ أَشَدُّ﴾ : (أو) دخلت لغير معنى شك ، ولكنها للإباحة^(٧) كما ذكرها في قوله : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ ، وقيل : (أو) هاهنا بمعنى بل^(٨) كقوله تعالى : ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصفات : ١٤٧] .

-
- (١) في تهذيب اللغة : (حباله) ، وفي الحاشية (د) : (جمالة) .
 - (٢) في تهذيب اللغة (حجر) ٧٤٧ / ١ : «أخبرني المنذري عن أبي الهيثم . ثم ذكره مع بعض الاختلاف في العبارة» ، وانظر : اللسان (حجر) ٧٨١ / ٢ .
 - (٣) في (ب) : (اللغة) .
 - (٤) تهذيب اللغة (حجر) ٧٤٦ / ١ ، وفيه : «قلت : وهذا هو العلة التي عللها النحويون فأما الاستحسان الذي شَبَّهه بالاستحسان في الفقه فإنه باطل» ، ومثله في اللسان (حجر) ٧٨ / ٢ .
 - (٥) (يقول) : ساقط من (ج) .
 - (٦) انظر : تفسير البغوي ٨٥ / ١ ، وتفسير ابن كثير ١٢١ / ١ .
 - (٧) معاني القرآن للزجاج ١٢٩ / ١ . انظر : تفسير الطبري ٣٦٢ / ١ ، ٣٦٣ ، وتفسير أبي الليث ٣٩٥ / ١ ، وتفسير الماوردي ٣٧٢ / ١ ، وتفسير ابن عطية ٣٥٤ / ١ .
 - (٨) انظر : تفسير الطبري ٣٦٣ / ١ ، وتفسير أبي الليث ٣٩٥ / ١ ، وتفسير الثعلبي ٨٥ / ١ ، وتفسير الماوردي ٣٧٢ / ١ ، وتفسير ابن عطية ٣٥٤ / ١ .

وقيل : أراد إيهام علم ذلك على المخاطبين ، كالعادة في مثل هذا في المخاطبة أن يقال : فلان كالبدر أو أحسن ، وكالبحر أو ^(١) أجود ، فأما الله تعالى فهو عالم أي ذلك كان ^(٢) . وارتفع (أشدُّ) بإضمار (هي) كأنه قال : أو هي أشدُّ ^(٣) .

ويموز أن يرتفع بالعطف على موضع الكاف ، كأنه قيل : فهي مثل الحجارة ^(٤) أو أشدُّ ^(٥) .

قال ابن عباس في هذه الآية : «إنما قال : ﴿أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ لأن الحجارة ليس لها ثواب ولا عليها عقاب ، وهي تخاف الله تعالى ^(٦) ، وقد مرَّ عيسى ابن مريم -عليه السلام- بجبل فسمع منه أنيناً فقال : يا رب ائذن لهذا ^(٧) الذي يئنُّ حتى يكلمني ، فأذن الله للجبل فقال : إني سمعت الله يقول : ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] فخفتُ أن أكون من تلك الحجارة» ^(٨) .

(١) في (ب) : (بل أجود) .

(٢) ذكره الطبري في تفسيره : ٣٦٢ / ١ ، ٣٦٣ ، ورجَّحه ، وتفسير الماوردي ٣٧١ / ١ ، وتفسير ابن عطية ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، وذكر الأخفش أنها بمعنى (الواو) . معاني القرآن ٢٨٤ / ١ ، وقدره الزَّجَّاج وقال : «(أو) لا تصلح بمعنى (الواو)» . المعاني ١٢٩ / ١ ، وهذا على قول البصريين . انظر : الإنصاف ٣٨٣ ، وانظر ما سبق عند تفسير قوله تعالى : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ .

(٣) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢٨٤ / ١ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١٢٩ / ١ ، وتفسير الطبري ١ / ٣٦٣ .

(٤) في (ب) : (كالْحِجَارَةِ) .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١ / ٣٦٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ١ / ١٨٨ ، والكشاف ١ / ٢٩٠ ، والبحر المحيط ١ / ٢٦٣ .

(٦) لم أجده بهذا النص عن ابن عباس ، والله أعلم ، وأخرج الطبري في تفسيره نحوه عن ابن عباس وقتادة ١ / ٣٦٤ . انظر : تفسير ابن أبي حاتم ١ / ٤٣٣ ، وتفسير ابن كثير ١٢٠ ، ١٢٢ ، والدر المنثور ١ / ١٥٦ .

(٧) في (ب) : (لهذا الجبل) .

(٨) ذكره السيوطي في الدر ٦ / ٣٧٥ ، وعزاه إلى ابن المنذر عن عبدالعزيز بن أبي رواد .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ أَلْأَنْهَارُ﴾^(١) : الكناية عائدة على (ما) ، و(ما) من المبهات يجوز تذكره وتأنيثه ، تقول العرب : «من النعال ما يعجبني بالياء والتاء حملاً على التأويل»^(٢) . وقيل : إن (من) واقعة على بعض الحجارة ، وبعض مذكر ، والعرب تقول : «بعض النساء قام ، وبعضهن قمن» ، فمن ذكر فللفظ (بعض) ومن أنث فلنأويله^(٣) . والأنهار جمع نهر ونهر ، وأصله من السعة ، يقال : أنهرت الفتق ، أي : وسعته^(٤) ، ومنه قوله^(٥) :

... فَأَنْهَرْتُ فَتَقَهَا^(٦)

والنهر : اتساع الضياء ، والنهر : أوسع من الجدول ، والانتهار : إظهار الزجر ، لا يُكنى عنه ، والنهار : ولد الكروان^(٧) ، لأنه مشبه بالنهار لبيضه .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ : قيل : أراد به جبل موسى لما تجلَّى ربه للجبل جعله دكاً^(٨) .

(١) في (ج) : (وإن من الحجارة لما يشقق فيخرج منه الماء) .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١/ ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٨٨ ، وتفسير ابن عطية ١/ ٣٥٦ ، وتفسير القرطبي ١/ ٣٩٤ ، والبحر المحيط ١/ ٢٦٥ .

(٣) ذكره الفراء في معاني القرآن ١/ ٤٩ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (نهر) ٤/ ٣٦٧٤ ، والصحاح (نهر) ٢/ ٨٤٠ .

(٥) البيت لقيس بن الخطيم .

(٦) تمام البيت :

مَلَكْتُهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

سبق تخريج البيت .

(٧) قال الليث : «فرخ القطاة» ، وقال الأصمعي : «فرخ الحبارى» . انظر : تهذيب اللغة (نهر) ٤/ ٣٦٧٤ ، والصحاح (نهر) ٢/ ٨٤٠ ، وفي القاموس (نهر) ٤٨٩ : «فرخ القطا أو ذكر البوم ، أو ولد الكروان أو ذكر الحبارى» .

(٨) انظر : تفسير الطبري ١/ ٣٦٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ١٣٠ ، وتفسير الماوردي ١/ ٣٧٣ ، وتفسير ابن عطية ١/ ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

وقال ابن الأنباري : «يجوز أن يجعل الله تعالى للحجر عقلاً فيخشاها ، كما جعل بحراء^(١) عقلاً حتى عرف خطاب النبي ﷺ»^(٢) ، وكذلك ما صحت الأخبار به من تسبيح الحصا في يد رسول الله ﷺ^(٣) ، وكذلك قوله تعالى في قصة داود : ﴿يَجَالُ أَوِي مَعَهُ﴾ [سبأ : ١٠] وروى عنه ﷺ أنه قال : «إني لأعرف^(٤) حجراً بمكة كان يسلم عليّ كلما مررت به»^(٥) .

وروي أنه قال : «كان موسى -عليه السلام- يخرج من الرّوحاء يؤمّ هذا البيت يُلبّي ، ومقام الرّوحاء يُجاوبه»^(٦) . وكذلك قوله : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى

(١) في (ب) : (الحراء) .

(٢) لعله بهذا يشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة ، فقال رسول الله ﷺ : «اهدأ فإني عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» . مسلم ٢٤١٤ ، كتاب : فضائل الصحابة ، فضائل طلحة والزبير ، وأخرج أبو داود نحوه وفيه : «أثبت حراء . . .» . سنن أبي داود ٤٦٤٨ ، كتاب : السنة ، باب : الخلفاء ، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة (فضائل العشرة) .

(٣) أخرجه البيهقي بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه ، وفيه : « . . . وبين يدي رسول الله ﷺ سبع حصيات ، أو قال : تسع حصيات فأخذهن فوضعهن في كفه فسبحن ، حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل . . . الحديث» ، وفي بعض رجاله ضعف . انظر : دلائل النبوة ٦ / ٦٤ ، ٦٥ ، وذكر الحديث ابن حجر في الفتح ، وعزاه إلى البزار ، والطبراني في المعجم الأوسط ، والبيهقي في الدلائل ، وقال : « . . . وأما تسبيح الحصى فليست له إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها . . . » . فتح الباري ٥٩٢ / ٦ .

(٤) في (ب) : (لا أعرف) .

(٥) أخرج مسلم نحوه عن جابر بن سمرة ولفظه : «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن» . مسلم ٢٢٧٦ ، كتاب : الفضائل ، فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه ، وأخرجه الترمذي ٣٦٢٤ أبواب المناقب ، باب : في إثبات نبوة النبي ﷺ وما خصه الله به . ومعه عارضة الأخوذى ، والدارمي في سننه ، باب : ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر والبهايم والجن ١٢ / ١ ، وأحمد في مسنده ٨٩ / ٥ ، ٩٥ ، ١٠٥ .

(٦) لم أجد هذا اللفظ ، وأخرج أحمد بسنده عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بوادي الأزرق ، فقال : «أي واد هذا ؟» ، قالوا : هذا وادي الأزرق ، فقال : «كأنني أنظر إلى موسى عليه السلام وهو هابط من الثنية وله جوار إلى الله - عز وجل - بالتلبية» . المسند ١ / ٢١٥ ، ٢١٦ . وأخرج عن ابن عباس وفيه : =

جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ، خَشَعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴿٢١﴾ [الحشر: ٢١] يدل على عقل يُرَكَّب في الجبل لو أنزل القرآن عليه ؛ لأن في القرآن أمراً ونهياً ، ولا يؤمر ولا ينهى ^(١) من لا يعقل ^(٢) .

وقيل : إن الخشية في اللفظ للحجر ، وفي المعنى للناظر إلى الحجر ؛ ذلك ^(٣) أنه تعالى يهبط الحجارة [دلالة للناظر على قدرة الله ، فيحمله ذلك على الخشية ، فنسب الخشية إلى الحجر] ^(٤) لما كان منه بسبب مجازاً ^(٥) ، كما تقول العرب : «لفلان ناقة تاجرة» ؛ أي تامة سميئة تُنَفَّق نفسها وتدعو إلى ^(٦) شرائها والتجارة فيها . كذلك قال : «الحجارة خاشية من الله ، أي : داعية إلى الخشية» ^(٧) ، ومعنى الآية : وإن منها ما يهبط فيدعو الناظر إليها إلى ^(٨) خشية الله .

وقال مجاهد : «كل حجر تفجر منه الماء أو تشقق عن ماء أو تردى من رأس جبل فهو من خشية الله [نزل به القرآن]» ^(٩) .

= «وأما موسى -عليه السلام- . فرجل آدم جعد على جل أحمر مخطوم بخلبة ، كأني أنظر إليه إذا انحدر من الوادي يلي . المسند ٢٧٧/١ ، وانظر : البداية والنهاية ٣١٦/١ .

(١) في (ج) : (وينهى) .
(٢) ذكر نحوه الطبري في تفسيره ٣٦٥/١ ، وتفسير الماوردي ٣٧٤/١ ، وتفسير ابن عطية ٣٥٧/١ ، ٣٥٨ .

(٣) في (ب) : (وقيل أنه تعالى) .
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .
(٥) في (ب) : (مجاز) .
(٦) في (ب) : (إلى الله سراها) .

(٧) ذكر الطبري في تفسيره نحوه ٣٦٥/١ ، وتفسير الماوردي ٣٧٤/١ ، وتفسير ابن عطية : ٣٥٨ ، ٣٥٧/١ . قال الزجاج : «وقال قوم إنها أثار الصنعة التي تدل على أنها مخلوقة ، وهذا خطأ ، لأن ليس منها شيء ليس أثار الصنعة بيناً في جميعها ، وإنما الهابط منها مجعول فيه التميز . . . » . معاني القرآن ١٣٠/١ . انظر : تفسير القرطبي ٣٩٥/١ ، وتفسير ابن كثير ١٢١/١ ، ٢٢٢ .

(٨) (إلى) : ساقط من (ب) .
(٩) ذكره الطبري في تفسيره ٣٦٤/١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤٣٣/١ ، وتفسير الماوردي ٣٧٤/١ . انظر : تفسير ابن عطية ٣٥٦/١ ، ٣٥٧ ، وتفسير ابن كثير ١٢١/١ ، ١٢٢ .

وقال بعض المتأولين : « من قال : المراد بالحجارة في قوله : ﴿وَلَوْ أَنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ ^(١) أنه يركب فيها التمييز والعقل ، فقد أخطأ ^(٢) ، إذ كان لا يُستنكر ذلك ممن جُعِلَ فيه التمييز ، ولكن هذا على جهة ^(٣) المثل ، كأنه يهبط من خشية الله لما فيه من الانقياد لأمر الله الذي لو كان من حيٍّ قادر لدلَّ على أنه خاشٍ لله كقوله : ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ [الكهف: ٧٧] أي : كأنه يريد . وكقول جرير :

لَمَّا أَتَى خَبَرَ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعْتُ سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَعُ ^(٤)

أي : كأنها خاشعة للتذلُّل الذي ظهر ^(٥) فيها كما يظهر تذلُّل الخاشع ، هذا كلام أهل المعاني في معنى خشية الحجارة ^(٦) ، والصحيح أنها تخشى الله حقيقة كما قال مجاهد ، ولكننا لا نقف على كيفية ذلك كسجود الجمادات لله تعالى ، وذهب كثير من المفسرين إلى أنها تسجد لله تعالى على الحقيقة ، ولا نقف عليه نحن .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٢) نسب الرازي هذا القول إلى المعتزلة ١٣١ / ٣ .

(٣) في (ب) : (على وجه) .

(٤) من قصيدة قالها جرير في هجاء الفرزدق ، يقول : «لما وافى خبر قتل الزبير إلى المدينة تواضعت هي وجبالها وخشعت حزناً له ، لأن قاتل الزبير من رهط الفرزدق» . ورد البيت في مواضع كثيرة ، منها : الكتاب ٥٢ / ١ ، ومجاز القرآن ١٩٧ / ١ ، والكامل ١٤١ / ٢ ، والمقتضب ١٩٧ / ٢ ، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ، ٥٩٥ ، وجهرة أمثال العرب ٣٣٣٩ / ٢ ، والأضداد لابن الأنباري ٢٩٦ ، ومعاني القرآن للقرئاء ٣٧ / ٢ ، والطبري في تفسيره ٢٦١ / ١ ، ٣٦٥ ، والخزانة ٢١٨ / ٤ ، والخصائص ٤١٨ / ٢ ، والمخصص ٧٧ / ١٧ ، وتفسير القرطبي ٣٩٥ / ١ ، والبحر المحيط ٢٦٦ / ١ ، ورصف المباني ٢٤٤ ، وديوان جرير ، ٢٧٠ .

(٥) في (ب) : (للتذلُّل الذي فيها) .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٣٦٥ / ١ ، وقد قال بعد أن ذكر هذه الأقوال : «وهذه الأقوال وإن كانت غير بعيدات المعنى مما تحتمله الآية من التأويل ، فإن تأويل أهل التأويل من علماء سلف الأمة بخلافها ، فلذلك لم نستحج صرف تأويل الآية إلى معنى منها» ٢ / ٢٤٣ ، وإلى نحو هذا مال القرطبي في تفسيره ١ / ٤٦٥ ، قائلاً : «إنه لا يمتنع أن يعطي الله الجمادات المعرفة والعقل ولا ندرك نحن كيفيته» . انظر : تفسير ابن كثير ١ / ١٢١ ، وبهذا أخذ الواحدي كما يأتي قوله .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ : اختلف القراء في مثل هذا ، فقرأوا بالياء والتاء ^(١) .

والقول في جملة ذلك ^(٢) أن ما كان قبله خطاب جعل بالتاء ليكون الخطاب معطوفاً على خطاب مثله ، كقوله : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ ، ثم قال : ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ، فالتاء هاهنا حسن ؛ لأن المتقدم خطاب .

ومن ^(٣) قرأ بالياء ^(٤) فمعناه : ما الله بغافل عما يعمل هؤلاء الذين اقتصصنا عليكم قصصهم ^(٥) أيها المخاطبون ، وأما إذا كان قلبه غيبة فحسُن أن يجعل على لفظ الغيبة ليعطف بالغيبة على مثله ، كما عطفت الخطاب على مثله ، ويجوز في ما كان قبله لفظ ^(٦) غيبة : الخطاب ، ووجه ذلك : أن يجمع بين الغيبة والخطاب ، فتغلب ^(٧) الخطاب على الغيبة ؛ لأن الغيبة يغلب عليها الخطاب ، فيصير ^(٨) كتغليب المذكر على المؤنث . ألا ترى أنهم قدموا الخطاب على الغيبة في باب الضمير ، فقالوا ^(٩) : «أعطاكهو» ^(١٠) ولم يقولوا : «أعطاهاوك» ، فعلمت أن الخطاب [أقدم في الرتبة ، كما أن المذكر مع المؤنث كذلك ، ويجوز في الخطاب] ^(١١)

(١) قرأ ابن كثير بالياء ، وبقية السبعة بالتاء في هذه الآية . انظر : السبعة ١٦٠ ، والتيسير ٧٤ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ١٠١ .

(٢) نقله عن الحجة لأبي علي ١١٣/٢ بتصرف .

(٣) في (ب) : (فمن) .

(٤) في (ج) : (الياء) بسقوط الباء .

(٥) في (ب) : (قصته) .

(٦) في (ب) : (في ما كان لفظه غيبة) .

(٧) في (ب) : (فيغلب) .

(٨) في (ب) : (فتصير) .

(٩) في (ب) : (فقال) .

(١٠) كذا في النسخ جميعها ، وفي الحجة ١١٣/٢ (أعطاكه) ، وهو الصواب .

(١١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

بعد الغيبة وجه آخر ، وهو : أن يراد به : وقل لهم أيها النبي : ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ . ومعناه ^(١) : وعيد لهم وتهديد ^(٢) .

٧٥ . وقوله تعالى : ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ : يعني النبي والمؤمنين ^(٣) . ومعنى الطمع : تعليق النفس بما يُرجى ويُظن ^(٤) . والألف فيه ألف استخبار ، يجري في كثير من المواضع مجرى الإنكار والنهي ، إذا لم يكن معها نفى ، كأنه آيسهم من الطمع في إيمان هذه الفرقة ، فإذا كان في أوّل الكلام نفى ، فإنكار النفي تثبيت ^(٥) ، نحو قوله : ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [تبارك : ٨] ، وسيأتي بعد هذا لِم جعل الاستفهام للإنكار ^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ : يعني به جماعة اليهود ^(٧) ؛ لأنه قال : ﴿وَلَيْنِ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِيلَتَكَ﴾ [البقرة : ١٤٥] يعني به جماعتهم ؛ لأن الخاصة تتبع العامة .

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾ ؛ أي جماعة ، وأصله من الفرق ، ومعناه : طائفة فرقت من الجملة كالفئة ، قالوا : أصلها من فأوت ^(٨) رأسه ؛ أي شققته ^(٩) .

(١) قوله : (ومعناه) ساقط من (ب) .

(٢) انتهى من الحجة لأبي علي ١١٣ / ٢ ، ١١٤ . انظر : حجة القراءات لابن زنجلة ١٠١ ، والحجة لابن خالويه ٨٢ ، والكشف ٤٤٨ / ١ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٣٦٦ / ١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١٤٩ / ١ عن ابن عباس والربيع بن أنس والحسن ، وتفسير الثعلبي ٩٩٤ / ١ .

(٤) انظر : المصباح المنير ٣٤٨ .

(٥) فصل هذه المسألة ابن هشام الأنصاري في كتابه مغني اللبيب عن كتاب الأعراب ١٧ / ١ .

(٦) في (م) : (الإنكاري) ، وفي (أ) : (الإنكار) .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٣٦٦ / ١ ، وتفسير الثعلبي ٩٩٤ / ١ .

(٨) هذا مما يذكر في الواوي واليائي ، أي فأوت وفأيت ، وقوله : «الفئة على وزن فعة» ، قال الأزهري في تهذيب اللغة : «وكانت في الأصل فتوة بوزن فعلة فنقص» . انظر : لسان العرب ٦ / ٣٣٣ .

(٩) انظر : تفسير الطبري ٣٦٦ / ١ .

واختلفوا في هذا الفريق ، فقال مجاهد ^(١) وقتادة ^(٢) والسُّدي ^(٣) : «يعني به الذين غَيَّرُوا أحكام التوراة وبدَّلُوا الحرام بالحلال ، وغَيَّرُوا آية الرجم ، وصفة محمد ﷺ» ^(٤) .

وعلى هذا القول معنى قوله : ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ : أي من موسى أو ممن سمعوه كما أنزل ثم غَيَّرُوهُ ، ويجوز أن يكون معناه : يفهمون كلامه . وقال ابن عباس ^(٥) ومقاتل ^(٦) : «نزلت هذه الآية في السبعين ، الذين ^(٧) اختارهم موسى وذهبوا معه ^(٨) إلى الميقات ، وسمعوا كلام الله - عز وجل - وهو يأمره وينهاه ، فلما رجعوا إلى قومهم سألهم الذين لم يذهبوا معهم ، فقالت طائفة منهم لم يرد الله أن يطهر قلوبهم : سمعنا الله في آخر كلامه يقول : «إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا ، وإن شئتم فلا تفعلوا ولا بأس» ^(٩) .

(١) رواه مجاهد في تفسيره ٨٠ ، ومن طريقه الطبري ٢ / ٢٤٥ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ١٤٩ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ٩٩٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١ / ١٠٣ ، ١٠٤ ، وابن كثير في تفسيره ، ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ١٤٩ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ٩٩٤ ، وابن كثير في تفسيره ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ١ / ٣٦٧ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ١٤٩ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ٩٩٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١ / ٩٠ ، وابن كثير في تفسيره ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٤) وهذا قول جمهور المفسرين . انظر : تفسير الثعلبي ١ / ٩٩٤ ، والوسيط للواحدي ١ / ١٦٠ ، وأسباب النزول للواحدي ، ٣١ ، وعزاه إلى أكثر المفسرين ، وتفسير البغوي ١ / ١١٣ ، وتفسير ابن كثير ١ / ١٢٢ ، ١٢٣ ، ورجَّحه ابن الجوزي في زاد المسير ١ / ١٠٣ .

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ١٤٨ ، وذكره الثعلبي ١ / ٩٩٤ ، والواحدي في أسباب النزول ٢٧ ، والوسيط ١ / ١٦٠ ، والبغوي ١ / ١١٣ .

(٦) تفسير مقاتل ١ / ١١٦ ، وذكره عنه الثعلبي في تفسيره ١ / ٩٩٤ ، والواحدي في أسباب النزول ٣١ ، والوسيط ١ / ١٦٠ .

(٧) ليست في (أ) .

(٨) (وذهبوا معه) : ليست في (م) .

(٩) وروي هذا القول عن ابن إسحاق والربيع بن أنس ، رواه عنهما الطبري ٢ / ٢٤٦ ، وابن أبي حاتم ١ / ١٤٨ ، وذكره ابن كثير ١ / ١٠٥ ، ورجَّحه الطبري محتجاً بأن الله أخبر أن التحريف كان ممن =

فغَيَّرُوا ما سمعوا ، ولم يؤدُّوه على الوجه الذي سمعوه ، فقليل في هؤلاء الذين شاهدتهم النبي ﷺ : إنهم إن كفروا وحرفوا فلهم سابقة في كفرهم ، وهذا مما يقطع الطمع في إيمانهم^(١) ؛ لأن الطمع قد ينقطع بغلبة الظن كما ينقطع مع العلم ، فإذا ظهرت الأمارات التي توجب غلبة الظن انقطع الطمع . بيان ذلك : أننا لا نطمع في إيمان ملك الروم مع غلبة الظن أنه لا يؤمن ، كما لا نطمع في إيمان أبي جهل^(٢) ، مع العلم بأنه لا يؤمن وقد هلك ، واليأس إنما يكون مع اليقين أنه لا يقع ، وهذا هو الفرق بين اليأس وقطع الطمع . وليس قول من قال : «المراد بالفريق هاهنا الذين سمعوا كلام الله في وقت المناجاة أولى من القول الأول بأن هؤلاء سمعوا كلام الله على الحقيقة»^(٣) ، من جهة أن الكلام يضاف إلى المتكلم على وجهين ، وكلاهما حقيقة : أحدهما : يضاف إليه على أنه المظهر له .

= سمع كلام الله ، وهؤلاء الذين كانوا في عهد النبي ﷺ من نسلهم أخرى بالجحود والتحريف ؛ لأن أسلافهم سمعوا من الله وحرفوا متعمدين التحريف ، وهؤلاء سمعوا منكم أنتم ، لذا قطع الله أطماع المؤمنين في إيمانهم . ثم رد ابن جرير على أصحاب القول الأول قولهم ، بأنه لو كان المراد : سمعوا التوراة ما كان لذكر قوله تعالى : ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ معنى مفهوم ؛ لأن ذلك قد سمعه المحرف وغيره ، فخصوص المحرف بالسماع لا معنى له . وقد بين ابن كثير ١/ ١٢٢ ، ١٢٣ أن القول الأول أعلم ، وأنه ليس يلزم من سماع كلام الله أن يكون سمعه منه كما سمعه الكليم . قال تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة : ٦] ؛ أي يسمعه مبلغاً إليه . ومن ضعف القول الثاني ابن عطية ١/ ٣٥٩ ؛ إذ قال : «وفي هذا القول ضعف» ، ومن قال : إن السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد أخطأ وأذهب فضيلة موسى - عليه السلام - واختصاصه بالتكليم ، ونقله القرطبي ١/ ٢ ، وقال ابن الجوزي في زاد المسير ١/ ١٠٣ : «وقد أنكر بعض أهل العلم ، منهم الترمذي صاحب النوادر ، هذا القول إنكاراً شديداً . وقال : إنما خص بالكلام موسى وحده ، وإلا فأى ميزة ، وجعل هذا من الأحاديث التي رواها الكلبي ، وكان كذاباً» . انظر : العجائب ١/ ٢٦٢ . انظر : تفسير الطبري ١/ ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

(١) هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، أحد سادات قريش في الجاهلية ، وأشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام ، حتى كانت وقعة بدر الكبرى فشهد بها مع المشركين فكان من قتلاهم . انظر : السيرة النبوية ٢/ ٣٥٨ .

(٢) يريد : سمعوا كلام الله من رسوله ، أو من كتابه المنزل .

والآخر : يضاف إليه على معنى الحكاية لما كان مظهراً له .

يوضح ذلك أنك تقول : هذا كلام سيبويه^(١) بعينه إن لم يحكه الحاكى على المعنى دون تأدية اللفظ^(٢) ؛ ولهذا نقول : « القرآن كلام الله على الحقيقة ، وإن كنا لا نسمعُ الله يقولُ ذلك عند تلاوته » .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ : التحريفُ : تفعيلٌ من الحَرْفِ ، والحَرْفُ في أصل اللغة : حُدُّ الشيء وحَدَّتْهُ ، ومنه يقال : طعامٌ حَرِيفٌ ، يراد حَدَّتْهُ ، فالتحريف أن يَجْعَلَ للشيء حَرْفًا كتحرíf القلم . هذا أصل معناه في اللغة ، ثم استعمل في معنى الإمالة والتغيير ، وهذا المعنى راجع إلى أصله في اللغة ؛ لأن بالإمالة يصير الشيءُ ذا حَرْفٍ ، ألا ترى أن القلم إنما يصير مُحَرَّفًا إذا أَمِيلَ قَطْعُهُ في أحد الجانبين ، فصار التحريف اسماً لتغيير الشيء عن وجهه^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ : أي يعلمون أن الذي حرفوا ليس من قبل الله ، إنما هو مفتعل من جهتهم . وقد أعلمنا الله تعالى أنهم لم يُحَرِّفُوا ما سمعوا على جهة النسيان والخطأ ، بل جهة القصد والتعمد . وقيل : ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن الذي يفعلونه مُكْسِبٌ للأوزار^(٤) .

(١) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، وقد تقدمت ترجمته في المقدمة .

(٢) يريد : إن حكاه الحاكى بلفظه . انظر : تهذيب اللغة ١ / ٨٨٣ ، واللسان ٢ / ٩٥٤ ، ومقاييس اللغة ٤٢ / ٢ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١ / ٣٦٨ ، وتهذيب اللغة ١ / ٧٨٦ ، والمفردات للراغب ١٢١ ، وقال : « وتحريف الشيء إمالة كتحرíf القلم ، وتحريف الكلام أن تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين » .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١ / ٣٦٨ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١ / ١٤٩ ، وزاد المسير ١ / ١٠٤ .

٧٦. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: قال ابن عباس^(١) والحسن^(٢) وقتادة^(٣)^(٤): «يعني منافقي اليهود، كانوا إذا رأوا المؤمنين قالوا: آمناً بمحمد أنه نبي صادق نجده في كتابنا، فإذا رجعوا إلى رؤسائهم لأموهم على ذلك»^(٥).

وقالوا: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾. ومعنى التحديث: الإخبار عن حوادث الزمان. وأصل الفتح: نقيض الإغلاق، ثم يدخل في هذا فتح البلاد، وفتح المغلاق، وفتح المشكل من الحكم، وفتح الباب، وكل ما بدأت به فقد استفتحته، وبه سُميت فاتحة الكتاب، ومعنى استفتحته: ابتدأت فتحه، كما يبدأ الدخول إلى الشيء بفتح بابه، ومنه: الفتح للحاكم؛ لأنه يفتح القضية المستغلقة^(٦). وأما (يستفتحون) فبمعنى يستنصرون، فهم يسألون الفتح.

ومعنى قوله: ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: قال ابن عباس^(٧) وأبو العالية^(٨) والحسن^(٩) وقتادة^(١٠): «أي من العلم بصفة محمد ﷺ المبشّر به ونعته».

(١) رواه الطبري في تفسيره ٢/ ٢٤٩، ٢٥٠.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٥١.

(٣) رواه الطبري في تفسيره بمعناه عنه ١/ ٣٦٩، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٤٩، وابن الجوزي في زاد المسير ١/ ٩٠.

(٤) أخرج ابن جرير الطبري أثر ابن عباس ١/ ٣٦٩، وأخرج ابن أبي حاتم أثر الحسن ١/ ٧٨٥، وذكره عن قتادة ١/ ٧٧٩، ٧٨٧، ونسبه السيوطي إلى عبد بن حميد في الدر المنثور ١/ ١٥٧.

(٥) روي هذا القول أيضاً عن السُّدِّي، وأبي العالية، والربيع بن أنس، ومجاهد، وعطاء، وابن زيد. انظر: تفسير الطبري ١/ ٣٦٩، ٣٧٠، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ١٤٩، ١٥٠، وزاد المسير ١/ ١٠٤، والدر المنثور ١/ ١٥٧.

(٦) انظر: تفسير الطبري ٢/ ٢٥٤، وتفسير الثعلبي ١/ ٩٩٥، وتفسير القرطبي ٢/ ٣.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٣٧٠.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٣٧٠، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٧٨١.

(٩) بنحوه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٧٨٥، ٧٨٧.

(١٠) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٣٧٠ بأسانيد عن قتادة.

وقوله : ﴿لِيَحَاجُّوكُمْ﴾ : معنى الحاجة : المجادلة والمخاصمة . وأصل الكلمة : من القصد ، ومنه : حَجَّ البيت ، والحجة : النكته ^(١) التي هي القصد في تصحيح الأمر ، والمحجة : الطريقُ القاصدُ بك إلى الغرض الذي تؤمُّه ^(٢) .

ومعنى قوله تعالى : ﴿لِيَحَاجُّوكُمْ بِهِ﴾ : أي ليجادلوكم ، يعني : أصحاب محمد ، ويقولون : قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه ، فهذه حجة لهم عليكم ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ : قال أبو بكر ^(٤) : معناه : في حكم ربكم ، كما تقول : «هذا حلال عند الشافعي» ؛ أي في حكمه ، و«هذا يحل عند الله» ؛ أي في حكمه ، فعلى هذا معناه : لتكون لهم الحجة عليكم عند الله في الدنيا والآخرة . ويحتمل : أنه أراد عند ربكم في الآخرة ؛ لأنهم يقولون لكم : يا معشر اليهود آمنا بمحمد ولم نقرأ صفته ، وكفرتم به بعد أن وقفتم على صدقه في التوراة ﴿أَفَلَا نَعْقِلُونَ﴾ : أفليس لكم ذهن الإنسانية ^(٥) . وهذا من كلام رؤسائهم لهم في لومهم إياهم .

٧٧ . فقال الله تعالى : ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي : من التكذيب ، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من التصديق .

(١) في (م) : (النكته) . والنكته هي النقطة .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (حج) ١/٧٤٤-٧٤٦ ، ومقاييس اللغة ٢/٢٩-٣١ .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ١/٩٩٦ .

(٤) يعني : ابن الأنباري .

(٥) تفسير الثعلبي ١/٩٩٧ .

٧٨. قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾: قال أبو إسحاق: «معنى الأمي في اللغة: المنسوب إلى ما عليه جبلَّة»^(١) الأمة: أي: لا يكتب، فهو في أنه لا يكتب على ما وُلِدَ عليه»^(٢).

وقال غيره: قيل للذي لا يكتب: أمي؛ لأن الكتابة مكتسبة، فكأنه نُسِبَ إلى ما وُلِدَ عليه، أي: هو على ما ولدته أمه.

وقال ابن الأنباري: «إنما سُمِّيَ الذي لا يكتب، ولا يقرأ: أمياً؛ لأنه نُسِبَ إلى أمه، إذ كان النساء لا يكتبن في ذلك الدهر»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا آمَانِيَّ﴾: جَمْعُ أُمْنِيَّةٍ، وَأُمْنِيَّةٌ فِي الْأَصْلِ: أُمْنُويَةٌ فَقَلِبْتَ الواو ياءً لسكونها ثم أَدغَمْتَ^(٤)، وَيَجُوزُ فِي آدَاءِ^(٥) جَمْعُهَا التَّخْفِيفُ عَلَى نَقْصَانِ إِحْدَى الْيَاءَيْنِ^(٦)، وَكَذَلِكَ مَا كَانَ عَلَى هَذَا الْوِزْنِ مِنَ الْجَمْعِ الصَّحِيحِ فِيهِ لَغْتَانِ، نَحْوُ: قَرَقُورٌ وَقَرَاقرُ^(٧) وَإِنْ شِئْتَ: قَرَاقِيرُ، وَحَوَاجِبُ وَحَوَاجِبِ، وَجَلَابِبُ وَجَلَابِبِ.

(١) في (ش): (حيلة).

(٢) معاني القرآن ١/١٥٩.

(٣) وفي تهذيب اللغة (أم) ١/٢٠٤ النص هكذا: «معنى الأمي في اللغة المنسوب إلى ما عليه جبلته أمه». انظر: تهذيب اللغة ١/٢٠٤، ٢٠٥، والمحيط في اللغة للصاحب بن عباد ١٠/٤٥٩، وتفسير القرطبي ٢/٤، واللسان ١/١٢٣.

(٤) انظر: تهذيب اللغة ٤/٣٢٥٤.

(٥) ساقطة من (أ) و(ش).

(٦) قال أبو حاتم: «كل جمع من هذا النحو، واحده مشدّد فلك فيه التخفيف والتشديد، مثل: بَخَاتِي، وَأَثَافِي، وَأَغَانِي، وَأَمَانِي ونحوها». انظر: تفسير الطبري ١/٣٧٦، ٣٧٧، وتهذيب اللغة ٤/٣٤٥٤، والمحاسب لابن جني ١/٩٤، وتفسير الثعلبي ١/٩٩٩.

(٧) القرقور: السفينة العظيمة الطويلة.

فأَمَّا الغواشي والجوابي^(١) والجواري والليالي فليس فيها إلا التخفيف ؛ لأنها منقوصات ، وواحدتها خفيفة^(٢) .

والأُمْنِيَّة : من التمني ، كالأغنية من التغني . قال الكسائي : «أصل التمني في اللغة : حديث الرجل نفسه» ، والعرب تقول : «تركته قاعداً يتمنى ، أي : يُحدث نفسه» .

وأنشد كعب بن مالك^(٣) يرثي أباه :

تمنى كتاب الله أول ليلة
وآخرها^(٤) لاقى حمام المقادر^(٥)
أي : قرأ ، تُسمَّى القراءة تَمْنِيًا ؛ لأنها تشبه التحدث ، وما تمناه الإنسان فهو مما^(٦) يُحدث به نفسه^(٧) ، ولهذا فُسِّرَت الأمانى في هذه الآية بالأحاديث .

(١) في (م) : (الجوابي) .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرأء ٤٩/١ ، ومعاني القرآن للأخفش الأوسط ١١٧/١ ، ١١٨ ، وتفسير الطبري ٣٧٦/٢ ، ٣٧٧ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٥٩/١ ، وتهذيب اللغة ٤/٣٤٥ ، والمحاسب لابن جني ٩٤/١ .

(٣) هو كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري الخزرجي ، شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه ، وأحد الثلاثة الذين خلفوا فتاب الله عليهم ، اختلف في تاريخ وفاته بين ٤٠ و ٥٠ هـ وغيرهما . انظر : أسد الغابة ٤٨٧-٤٨٩ ، والإصابة ٣/٣٠٢ .

(٤) كذا في الأصل : «وآخرها» ، وفي تفسير الثعلبي ١/١٠٠٠ ، واللسان ٧/٤٢٨٤ ، وتفسير القرطبي ٦/٢ : «وآخره» .

(٥) البيت في ديوانه ٢٩٤ قاله في رثاء عثمان بن عفان . انظر : تفسير ابن عطية ١/١٦٩ ، والقرطبي ٢/٥ ، وقيل : هو لحسان بن ثابت كما في تفسير أبي حيان ٦/٣٨٦ ، وليس في ديوانه ، وبلا نسبة في لسان العرب ٧/٤٢٨٤ ، ومقاييس اللغة ٥/٢٧٧ ، وكتاب العين ٨/٣٩٠ . انظر : المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية لأميل بدیع يعقوب ٣/٣٧٠ . حمام المقادر : الموت .

(٦) في : (م) لعلها (يسمي) .

(٧) في (م) و(ش) : (ما) .

(٨) في (ش) : (تحدث نفسه) .

وقال غيره : «أصل هذه الكلمة عند أهل اللغة من التقدير . والتمني : هو تقدير شيء توَّده ، والمُتَمَنِّي مُقَدَّرٌ على العباد ، والمُنَى الذي يوزن به : مقدار معروف ، والمُنَى : الذي يُقَدَّرُ منه الولد ، والتمني : التلاوة ؛ لأنها حكاية على مقدار المحكي ، والمنا^(١) : الحذاء ؛ لأن أحد الشيئين بإزاء الآخر على مقداره^(٢) ، ومُنيت^(٣) بكذا أي : قُدِّرَ عليَّ .

والمُتَمَنِّي في هذه الآية : التلاوة ؛ لأنها حكاية للكلام على مقدار حروفه من غير زيادة .

وقال ابن السكيت : «يقال : هو مُنِّي^(٤) بِمَنَى مِيل ، أي : بقدر ميل»^(٥) .

وقال الفراء : «يقال : مَنَى الله لك ما يَسُرُّك ، أي : قَدَّرَ لك» ، وأنشد :

ولا تقولنَّ لشيءٍ سوفَ أفعله
حتى تَبَيَّنَ^(٦) ما يَمُنِي^(٧) لَكَ الماني^(٨)
أي : ما يُقَدَّرُ لك القادر^(٩) .

فأما التفسير فقال ابن عباس : «﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ : إِلَّا أَحَادِيثُ»^(١٠) ، قال : «لا يعلمون إِلَّا ما حَدَّثُوا» .

(١) في (م) : (المنا الذي) .

(٢) انظر : القاموس (المنا) ١٣٣٦ .

(٣) في (م) : (أمنيت) .

(٤) في (ش) : (تمني) .

(٥) نقله عنه في تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٥٤ ، ولم أجده في كتابيه : تهذيب الألفاظ ، وإصلاح المنطق .

(٦) في (م) : (يبين) . وفي (ش) : (بين) وفي تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٥٤ : «تُلَافِي» .

(٧) في (ش) : (تمنى) .

(٨) البيت لأبي قلابة الهذلي ، في شرح أشعار الهذليين ٧١٣ ، ولسويد بن عامر في المصطلقي في لسان العرب ٧/ ٤٢٨٢ ، وذكره عن الفراء في تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٥٤ ، ولم ينسبه .

(٩) لم أجده في مظنته من معاني القرآن للفراء ، ونقله عنه في تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٥٤ .

(١٠) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ٢/ ٢٦١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٥٢ .

وقال الفرّاء : «الأمانى : الأحاديث المفتعلة ، يقول الله : لا يعلمون الكتاب ولكن هو أحاديث مفتعلة ليست من كتاب الله يسمعونها من كبرائهم»^(١) ، وهذا قول الكلبي^(٢) . واختاره الزّجاج في أحد قوليه ، وقال : «إلا أكاذيب» ، والعرب تقول : «أنت إنما تتمنى^(٣) هذا القول ، أي : تختلقه»^(٤) . وقال أحمد بن يحيى : «التمنى : الكذب ، يقول الرجل : والله ما تمنيت هذا الكلام ولا اختلقته»^(٥) .

قال ابن الأنباري^(٦) : «والمنى تشبه الكذب لأنه لا حقيقة لها ، والعرب تذمّها كما تذم الكذب» . قال الشاعر :

فَلَا يَغُرُّنَكَ مَا مَنَنْتَ وَمَا وَعَدْتَ
إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ^(٧)

وقال أبو عبيدة^(٨) وابن الأنباري^(٩) وابن قتيبة^(١٠) والزّجاج^(١١) في أحد قوليه : «الأمانى : التلاوة» ، واحتجوا ببيت كعب ، فأراد أنهم يقرؤون عن ظهر القلب ولا يقرؤون في الكتب^(١٢) .

(١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١/ ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ٩٩٩ . انظر : تفسير البغوي ١/ ٨٨ ، وتفسير الخازن ١/ ٧٧ .

(٣) في (ش) : (تمنى) . في (أ) و(م) : (تمتني) ، وما في (ش) موافق لما في معاني القرآن للزّجاج ١/ ١٥٩ .

(٤) معاني القرآن للزّجاج ١/ ١٥٩ .

(٥) نقله عنه في تهذيب اللغة ١٥/ ٥٣٤ .

(٦) في (م) : (الأنبار) .

(٧) البيت لكعب بن زهير . انظر : ديوانه ٩ ، ولسان العرب ٧/ ٤٢٨٤ ، والمعجم

المفصل ٦/ ٣٤٧ .

(٨) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ٩٩٩ ، وليس هو في مجاز القرآن لأبي عبيدة .

(٩) انظر : تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٥٦ .

(١٠) انظر : تفسير غريب القرآن ٤٦ .

(١١) معاني القرآن للزّجاج ١/ ١٥٩ .

(١٢) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ٩٩٩ ، وتفسير البغوي ١/ ٨٨ ، وزاد المسير ١/ ١٠٥ .

وقيل : يقرؤون في الكتاب ولا يعلمونه بقلوبهم ، فهم لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة ولا يعملون به^(١) ، فليسوا كمن يتلونه حق تلاوته ، فيحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ، ولا يُحرفونه عن مواضعه^(٢) .

قال ابن الأزهري : « والتلاوة سُميت أُمْنِيَّة ؛ لأن تالي القرآن إذا مرَّ بآية رحمة تمنّاها ، وإذا مرَّ بآية عذاب تمنى أن يُوقَّاه »^(٣) .

وقال الحسن^(٤) وأبو العالية^(٥) وقتادة^(٦) : « أي : إلا أن يتمنوا على الله الباطل والكذب ، ويتمنون على الله ما ليس لهم ، مثل قولهم : ﴿ كُنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَلَا أَسْكَامًا مَعْدُودَةً ﴾ [البقرة : ٨٠] ، وقولهم : ﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا ﴾ [البقرة : ١١١] ، وقولهم : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ ﴾ [المائدة : ١٨] . قال ابن الأنباري : « والاستثناء على هذا التأويل منقطع عن الأوّل » ، يريد : لا يعلمون الكتاب ألبتة ، لكنهم يتمنون على الله ما لا ينالون^(٧) .

(١) في الأصل (يعلمون) ، وهو تحريف .

(٢) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٥٦ .

(٣) تهذيب اللغة ٥٣٤ / ١٥ .

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره عنه ١٠٠١ / ٢ . انظر : الوسيط للمصنف ١٦٢ / ١ ، وتفسير البغوي ٨٨ / ١ .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره بمعناه ٣٧٤ / ٢ ، ٣٧٥ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٢ / ١ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٠٠١ / ٢ .

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره : ٥٠ / ١ ، وفي تفسير الطبري بمعناه ٣٧٥ / ١ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٢ / ١ عنه وعن الربيع بن أنس بلا إسناد ، وانظر : التفسير الصحيح ١٨٠ / ١ .

(٧) وقد رجّح الشنقيطي هذا القول في أضواء البيان ١٤١ / ١ ، وبين أن مما يدل على هذا القول قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ [البقرة : ١١١] ، وقوله عز وجل : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ [النساء : ١٢٣] ، موضحاً أن القول الأول لا يتناسب مع قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ ﴾ لأن الأمي لا يقرأ ، ويؤيد ذلك ما ورد في أسانيد صحيحة عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وأبي العالية . انظر : التفسير الصحيح ١٨٠ / ١ .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ؛ أي لا يعلمون^(١) ، أراد : ما هم إلا ظانين ظناً وتوهماً لا حقيقةً وبقيناً^{(٢)(٣)} . وجعل الفعل المستقبل في موضع الحال ؛ لأنه يصلح للزمانين .

قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ : «أي لا يعلمون الكتاب ، ولا يدرون ما فيه ، وهم يتحدثون نبوتك بالظن»^(٤) .

قال أصحاب المعاني : «ذم الله بهذه الآية قوماً من اليهود ، لا يحسنون شيئاً وليسوا على بصيرة إلا ما يحدثون به ، أو إلا ما يقرؤون عن غير علم به»^(٥) . ففيه حثٌّ على تعلم العلم ؛ حتى لا يحتاج الإنسان إلى تقليد غيره ، وأن يقرأ شيئاً لا يكون له به معرفة .

٧٩ . قوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ الآية : قال ابن عباس : «الويل شدة العذاب»^(٦) .

وقال الزجاج : «الويل كلمة يستعملها كل واقع في هلكة ، وأصله في اللغة : العذاب»^(٧) .

(١) زيادة من (ش) .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١/ ٣٧٧ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٠٠١ ، وتفسير البغوي ١/ ١١٥ .

(٣) نقل القرطبي في تفسيره ٦/ ٢ عن أبي بكر الأنباري عن أحمد بن يحيى النحوي «أن العرب تجعل الظن علماً وشكاً وكذباً» ، وقال : «إذا قامت براهين العلم فكانت أكثر من براهين الشك فالظن يقين ، وإذا اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشك فالظن شك ، وإذا زادت براهين الشك على براهين اليقين فالظن كذب» .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ١/ ٢٧٧ .

(٥) انظر : المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٣٦٥ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٢ .

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ٢/ ١٠٠٣ ، والبغوي في تفسيره ١/ ١١٥ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٣٧٨ بلفظ : «فالعذاب عليهم» .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ١٦٠ .

وقال ابن قتيبة : «قال الأصمعي : الويل تقبيح»^(١) ، قال الله تعالى : ﴿وَلَكُمْ
الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ [الأنبياء : ١٨] .

وروى الأزهري عن المنذري عن أبي طالب النحوي أنه قال : «قولهم :
ويل^(٢) ، كان أصلها (وي) وُصِلَتْ بـ (له) ، ومعنى (وي) : حزن ، ومنه قولهم :
ويه^(٣) معناه : حزن ، أُخْرِجَ مُخْرَجَ النَّدْبَةِ»^{(٤)(٥)} .

وحكى ابن الأنباري عن الفراء «أن أصل هذه الكلمة : وي لفلان ، وهو
حكاية صوت المصاب وَي وَي ، فكثرت الاستعمال للحرفين ، يعني : وي لفلان
فَوُصِلَتْ اللام بوي وَجُعِلَتْ معها حرفاً واحداً ، ثم خُبِّرَ عَنْ ويل بلام أخرى» .

وقرأت على أبي الحسين الفسوي ، فقلت : «أخبركم حمد بن محمد الفقيه ،
قال : أخبرني أبو عمر^(٦) ، قال : حضرنا مجلس أبي العباس أحمد بن يحيى ، فأقبل
علينا ، فقال : كيف الفعل من الويل ؟ فبلَّح القوم ولم يكن عند واحدٍ منهم
جواب ، وفي المجلس ابن^(٧) كيسان وغيره فأنشدنا :

تَوَيْلٌ إِذْ مَلَأْتُ يَدِي وَكَانَتْ يَمِينِي لَا تُعْلَلُ^(٨) بِالْقَلِيلِ^(٩)

-
- (١) انظر : اللسان ١١ / ٧٣٩ .
(٢) في تهذيب اللغة : (ويله) .
(٣) في الأصل ويه ، والمثبت من اللسان .
(٤) الندبة : هي نداء متفجع عليه حقيقة ، أو حكماً ، أو متوجع منه . انظر : طرح الشريب ١ / ١٥٤ ،
والمصباح المنير ٥٩٧ .
(٥) تهذيب اللغة ٤ / ٣٩٦٩ .
(٦) هو محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، أبو عمر اللغوي الزاهد ، المعروف بغلام ثعلب ، لازم ثعلباً في
العربية فأكثر عنه إلى الغاية ، له مصنفات كثيرة منها : فائت الفصيح ، والياقوتة ، توفي سنة ٣٤٥ هـ .
انظر : سير أعلام النبلاء ١٥ / ٥٠٨ - ٥١٣ ، وتاريخ بغداد ٢ / ٣٥٦ - ٣٥٩ .
(٧) ساقطة من (ش) .
(٨) في (ش) : (لا تغلل) .
(٩) البيت بلانسة في : الممتع في التصريف ٢ / ٥٦٨ ، وفي لسان العرب ٨ / ٤٩٣٩ ، والمعجم المفصل ٦ / ٥٨٧ .

قال أبو عمرو: «يقال في هذا أيضاً: وال يَوِيلُ، على وزن مال يميل». انتهت الحكاية.

وسمعتُ من يوثق بعلمه يقول: «أخطأ أبو عمرو، لم يأت من هذا الباب ما أَوَّلُه واوٌ ولا ياءٌ في الأجوف». وروي عن أبي سعيد الخدري^(١) مرفوعاً قال: «وَيْلٌ: وادٍ في جهنم، يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره»^(٢).

قال النحويون: «وذكر اليد في قوله تعالى: ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ تحقيق للإضافة وإن كانت الكتابة لا تقع إلا باليد، وقد أكدت الإضافة بذكر اليد^(٣) في ما لا يُرادُ باليد فيه الجارحة^(٤)، كقوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَّطْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله: ﴿وَمِمَّا عَمِلْتَ آيَاتِنَا﴾ [يس: ٧١]. ومعناه: مما تولينا عمله، ولما^(٥) توليت خلقه».

والأصل في هذا أنه قد يضاف الفعل إلى الفاعل وغير الفاعل له، كقوله: ﴿يُدْرِيحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٤]، والمراد بذلك: أنه يأمر بالذبح فيُمثّل أمره. فلما كان الفعل قد يُضاف إلى غير الفاعل أكدت الإضافة بذكر اليد؛

(١) هو الصحابي الجليل سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي، اشتهر بكنيته أبي سعيد الخدري، من فقهاء الصحابة ومكثريهم في رواية الحديث، شهد ما بعد أحد، وتوفي سنة ٧٤ هـ. انظر: أسد الغابة ٢/ ٣٦٥، والأعلام ٣/ ٨٧.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٧٥، وعبد بن حميد ٩٢٤، والترمذي في التفسير، سورة الأنبياء، رقم ٣١٦٤، والطبري في تفسيره ١/ ٣٧٨، والحاكم ٢/ ٥٠٧ أبو يعلى في مسنده ٢/ ٥٢٣، والبيهقي في البعث والنشور، رقم ٥٣٧ من طريق دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، ودراج ضعيف، وصححه الحاكم، وأحمد شاكر، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة»، وتعقبه ابن كثير في تفسيره ١/ ١٢٥، فقال: «لم يتفرد به ابن لهيعة كما ترى ولكن الآفة ممن بعده، وهذا الحديث بهذا الإسناد مرفوعاً منكراً، والله أعلم».

(٣) انظر: تفسير الثعلبي ١/ ١٠٠٤، وتفسير القرطبي ٨/ ٢.

(٤) هذا تأويل من المؤلف -رحمه الله- جرى فيه على مذهب الأشاعرة، والصواب ما عليه السلف من إثبات الصفات لله من غير تأويل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

(٥) في (أ) و(م): (كما).

للتحقق ويتنفي الاحتمال ، ثم استعمل هذا التأكيد^(١) أيضاً في فعل الله تعالى وإن لم يجز في وصفه يد الجارحة ؛ لأن المراد بذكر اليد تحقيق الإضافة على ما بيّنا .

وقال ابن السراج : «معنى يكتبون بأيديهم ، أي : من تلقائهم ومن قبل أنفسهم من غير أن يكون أنزل عليهم أو على من قبلهم^(٢) ، وهذا كما يقال للذي يُبدع^(٣) قولاً لم يُقلّ قبله : هذا أنت تقوله^(٤) ، يراد بذلك : أنت ابتدعت هذا المذهب وهذا الحكم» .

قال المفسرون : «هذا في اليهود ، عمّدوا إلى صفة محمد ﷺ فكتبوا صفته على غير ما كانت في التوراة ، وأخذوا عليه الأموال ، وقبلوا الهدايا»^(٥) ، وهو معنى قوله : ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ . يقال : كسبت الشيء كسباً ، وكَسَبْتُ الرجلَ مالاً فَكَسَبَهُ ، وهذا أحد ما جاء على فَعَلْتُهُ فَفَعَلَ ، ومعنى الكسب : فعل يُجْتَلَبُ به نفع ، أو يُسْتَدْفَعُ به ضرر ، واكتسب الخطيئة إنما ذلك لأنه يُجْتَلَبُ به تعجّل المنفعة وينسى ما عليه فيه من تأجل المضرة .

٨٠ . وقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ : يعني أن اليهود لما أوعدهم رسول الله ﷺ بالنار عند تكذيبهم إياه ، قالوا : لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة^(٦) ؛ أي قليلة ، والمعدودة إذا أطلقت كان معناها القليلة ، كقوله : ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف : ٢٠] . قيل معناه :

(١) في (ش) : (التاليد) .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٨/٢ .

(٣) في (ش) : (بييع) .

(٤) في (ش) : (بقوله) .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٣٧٨/١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٤٤-٢٤٧ ، وتفسير السمرقندي

١٣٢/١ ، وتفسير الثعلبي ٣/١٠٠٣ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٣٨٠ ، ٣٨١ ، وتفسير الثعلبي ١/١٠٠٦ .

معدودة عندنا . قال ابن عباس : « قالت اليهود : مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما نُعَذَّب بكل ألف سنة يوماً واحداً »^(١) .

وقال قتادة^(٢) وعطاء^(٣) : « يعنون الأيام التي عبد آباؤهم فيها العجل ، وهي مدة غيبة موسى عنهم ، فكذبهم الله عز وجل ، فقال : قُلْ يَا مُحَمَّد : ﴿ اَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾ أي : أخذتم بما تقولون من الله ميثاقاً فالله لا ينقض ميثاقه ، أم تقولون على الله الباطل جهلاً منكم » . و(أم) هاهنا يحتمل أن تكون متصلة على المعادلة لألف الاستفهام بمعنى : عَلَى أَيِّ الْحَالَتَيْنِ أَنْتُمْ ؟ على اتخاذ العهد أم على القول بما لَا تَعْلَمُونَ .

ويحتمل أن تكون منقطعة^(٤) على تقدير تمام الكلام قبلها ، كأنه تم الكلام عند قوله : ﴿ فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴾ ، ثم استؤنف بـ (أم) على معنى : لا تقولون على الله ما لا تعلمون ، وكذا تقديرها وإن كانت منقطعة^(٥) .

٨١ . قوله تعالى : ﴿ بَكَّى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ قال الفراء : « (بلى) : تكون جواباً للكلام الذي فيه الجحد ، فإذا قال الرجل : أَلَسْتُ تقوم ؟ فتقول : بلى . ونعم جواب للكلام الذي لا جحد فيه ، فإذا قال الرجل : هَلْ تقوم ؟ قلت : نعم . قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ ٨ ﴿ قَالُوا بَلَى ﴾ [تبارك : ٨ ، ٩] ،

(١) أخرجه عنه الطبري ٢/٢٧٨ ، وابن أبي حاتم ١/١٥٥ ، وسنده حسن كما في التفسير الصحيح ١/١٨٤ ، والطبراني في المعجم الكبير ١١/٩٦ ، وهو مروى عن مجاهد أيضاً كما عند الطبري ١/٣٨٢ .

(٢) أخرجه عنه عبدالرزاق في تفسيره ١/٥١ بسند صحيح ، ومن طريقه رواه الطبري في تفسيره ١/٣٨١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٥٥ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١/١٠٧ . انظر : التفسير الصحيح ١/١٨٤ .

(٣) ذكره عنه الثعلبي في تفسيره ٢/١٠٧ ، والبغوي في تفسيره ١/١١٦ .

(٤) انظر : البحر المحيط ١/٢٧٨ .

(٥) كذا في الأصل ، ولعل الصواب : « كذا تقديرها إن كانت منقطعة » .

وقال : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ، وقال : ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ
مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤] ، وإنما صارت (بلى) تتصل
بالجحد ؛ لأنها رجوع عن الجحد إلى التحقيق ، فهي بمنزلة (بل) ،
و(بل) سبيلها أن تأتي بعد الجحد ، كقولهم : ما قام أخوك بل أبوك ، وما
أكرمت أخاك بل أباك .

فإذا قال الرجل للرجل : ألا تقوم ، فقال : بلى ، أراد : بل أقوم ، فزاد الياء
على (بل) ليحسن السكوت عليها ؛ لأنه لو قال : بل كان يتوقع كلاماً بعد
بل ، فزاد الياء^(١) على بل ليزول عن المخاطب هذا التوهم^(٢) . وإنما لم يصلح
هاهنا (نعم) لأن (نعم) إقرار ، وإذا قال في هذا الموضع نعم ، فقد أقرَّ بالجحد
وبالفعل الذي بعده ، ألا ترى أنك لو قيل لك : أمالك مال ؟ فقلت : نعم ، كنت
مُقرراً بالكلمة بطرح الاستفهام وحده ، كأنك قلت : نعم مالي مالٌ ، فأرادوا أن
يرجعوا عن الجحد ويقرُّوا بما بعده ، فاختاروا^(٣) (بلى) لأن أصلها رجوع عن
الجحد كما بيَّنا^(٤) . ومعنى الآية : إنه ردَّ على اليهود قولهم : ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ﴾ ،
فقال : (بلى) أعذبُ من كَسَبَ سَيِّئَةً . و(مَنْ) هاهنا بمعنى (الذي)^(٥) ، ولها أربعة

(١) أراد الألف المقصورة ، وهكذا عدَّها الفراء ألفاً .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ١/ ٥٢ ، ونقله عنه الطبري في تفسيره ١/ ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، وابن الجوزي في
زاد المسير ١/ ١٠٧ . انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٠٠٨ ، والبيان لابن الأنباري ١/ ٩٩ .

(٣) في (م) : (فقالوا) .

(٤) انظر : معنى (بلى) في : الكتاب لسبويه ٤/ ٢٣٤ ، والبحر المحيط ١/ ٢٧٩ ، ومغني اللبيب ١/ ١١٣ ،
١١٤ .

(٥) قال أبو حيان في البحر المحيط ١/ ٢٧٩ : «(من) يحتمل أن تكون شرطية ، ويحتمل أن تكون موصولة ،
والمسوغات لجواز دخول الفاء في الخبر إذا كان المبتدأ موصولاً موجودة هنا ، ويحسنه المجيء في قسميه
بالذين ، وهو موصول» .

أَوْجُهُ : تكون بمعنى (الذي) ، وتكون^(١) اسْتِفْهَامًا ، وجزاءً ، ونكرةً موصوفةً ،
مثل :

وَكَفَى بِنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرِنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا^(٢)
أي : على أحد غيرنا .

وقول آخر :

يَا رَبِّ مَنْ يُبْغِضُ أَذْوَادَنَا^(٣) البيت .
ودخول رَبِّ يدل على أنه نكرة^(٤) .

والسيئة فيعلة^(٥) من السوء في قياس قول الخليل ، وَفَعِيلَةٌ في قياس قول
الفراء ، وهذا مثل ما ذكرنا في الصيِّب^(٦) .

(١) في (ش) : (تكون) في الموضعين .

(٢) البيت ذكره ابن هشام في مغني اللبيب ٣٢٨ / ١ ، وابن السجري في الأمالي ٣١١ / ٢ منسوباً إلى
حسان ، ونسبه الزبيدي في التاج (من) ، والبغداد في الخزانة ٥٤٥ / ٢ إلى كعب بن مالك . انظر :
ديوان حسان ٥١٥ / ١ .

(٣) وتماه :

رُحْنٌ عَلَى بَغْضَائِهِ وَاعْتَدِينَ

قاله عمرو بن قميئة كما في الكتاب ٣١٥ / ١ لسيويي ، وقيل : لعمرو بن لأي التيمي .

انظر : الوحشيات ٩ ، ومعجم الشعراء ٢١٤ ، والمقتضب ٤١ / ١ ، والإغفال ٣١٨ .

(٤) انظر رُبُّ في : المقتضب ٤ / ١٣٩ - ١٥٠ للمبرِّد ، ومغني اللبيب ١ / ١٣٤ - ١٣٨ . وقال في القاموس ٨٧
«وَرُبٌّ ، وَرُبَّةٌ ، وَرُبًّا ، وَرُبًّا ، وَرُبَّتَا ، بضمهمن مشددات ومخففات ، وبفتحهن كذلك حرف خافض لا يقع
إلا على نكرة» .

(٥) انظر : الكتاب ٤ / ٣٦٥ لسيويي ، والمقتضب ١ / ١٢٥ للمبرِّد ، واللسان (سوأ) ٤ / ٢١٦١ .

(٦) راجع البسيط [البقرة : ١٩] .

قال الليث : «والسيئ والسيئة : عملان قبيحان يصير السيئ نعتاً للذكر من الأفعال ، والسيئة : الأنثى»^(١) ، يقال : ساء الشيء يسوء فهو سيئ ، إذا قبح ، وساء ما فعل ، أي : قبح»^(٢) .

وإجماع أهل التفسير أن السيئة هاهنا الشرك^(٣) ، وأن الآية وردت في اليهود^(٤) ، وقد قيل إنها عامة في جميع الكفار .

وقوله تعالى : ﴿وَأَخْطَأْتُ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ لا يخلو معناه من أحد أمرين : إمّا أن يكون المعنى : أحاطت بحسنته خطيئته ؛ أي أحبطتها من حيث كان المحيط أكبر من المحاط به ، فيكون كقوله : ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت : ٥٤] ، وقوله : ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف : ٢٩] ، ويكون المعنى في ﴿وَأَخْطَأْتُ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ : أهلكته ، من قوله : ﴿لَتَأْتُنَّنِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف : ٦٦] ،

(١) نقله عنه في تهذيب اللغة ٢/ ١٥٨٣ .

(٢) نقله عنه في تهذيب اللغة ٢/ ١٥٨٣ ، واللسان ٤/ ٢١٦١ .

(٣) هذا الإجماع ذكره الواحدي أيضاً في الوسيط ١/ ١٦٤ ، والصحيح أن هذا قول أكثر السلف ، والقول الآخر أن السيئة هي كبائر الذنوب التي توعدها الله عليها بالنار ، والخطيئة هي الكفر ، ومن قال به الحسن والسُّدِّي ، وقواه ابن عطية في المحرر الوجيز ١/ ٣٧٠ ، فقال : «ولفظ الإحاطة يقوي هذا القول» ، وأصحاب القولين على أن الآية إنما هي في الكفار لا في العصاة ؛ لأن الله توعده أهل هذه الآية بالخلود في النار ، وهذا إنما يكون في حق الكفار فقط . قال الواحدي في الوسيط ١/ ١٦٥ : «والمؤمنون لا يدخلون في حكم هذه الآية ، لأن الله تعالى أوعده بالخلود في النار من أحاطت به خطيئته ، وتقدمت منه سيئة هي الشرك ، والمؤمن ومن عمل الكبائر فلم يوجد منه شرك» . ولعل الذي دفع الواحدي إلى حكاية الإجماع الرد على من حمل الآية على عصاة المؤمنين ، مثل المعتزلة والخوارج . انظر : تفسير الطبري ١/ ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٤/ ٤٨ وما بعدها ، والبحر المحيط ١/ ٢٧٩ ، وتفسير ابن كثير ١/ ١١٩ ، والإجماع في التفسير ١٧٧ .

(٤) ذكر الزَّجاج في معاني القرآن ١/ ١٦٢ أنها في اليهود ، فقال : «والإجماع أن هذا لليهود خاصة ؛ لأنه عز وجل - ذكرهم» ، والطبري في تفسيره لم يذكر سوى ذلك ، وكأن المؤلف نقض الإجماع بقوله : «وقد قيل» .

وقوله: ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢]، وقوله: ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ﴾ [الكهف: ٤٢]، وهذا كله في معنى البوار.

وقد يكون للإحاطة معنى ثالث، وهو العلم كقوله: ﴿وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ حُبْرًا﴾ [الكهف: ٩١]، وقال: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البروج: ٢٠]؛ أي عالم، هذا كلام أبي علي^(١).

وقال ابن السراج: «أحاطت به خطيئته، أي: سُدَّتْ عليه مَسَالِكُ النجاة، وهذا لمن هو في معلوم الله أنه لا يؤمن». وأمَّا الخطيئة فقال فيها أبو زيد: «خَطِئْتُ مِنَ الْخَطِيئَةِ، أَخْطَأَ خَطْئًا، وَالاسْمُ الْخِطْءُ، وَأَخْطَأْتُ إِخْطَاءً، وَالاسْمُ الْخِطَاءُ»^(٢).

وقال الأخفش: «الخطأ: الإثم وهو ما أصابه متعمداً والخطء غير المتعمد. ويقال من هذا: أَخْطَأَ يُخْطِئُ. قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥] واسم الفاعل من هذا: مخطئ، فأما خطيئة فاسم الفاعل منه: خاطئ، وهو المأخوذ به فاعله، وفي التنزيل: ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة: ٣٧]»^(٣).

الليث: «الخطيئة: الذنب على عمد»^(٤).

قال أبو علي: «والخطيئة تقع على الصغير والكبير، فمن وقوعها على الصغير قوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢].

(١) في الحجة للقراء السبعة ٢/ ١١٤، ١١٥.

(٢) انظر: الحجة ٢/ ١١٥، وتهذيب اللغة ١/ ١٦٠، واللسان ٢/ ١٢٠٥.

(٣) الحجة ١/ ١١٥.

(٤) ذكره في تهذيب اللغة ١/ ١٠٦٠، واللسان ١/ ١٢٠٥، ولم ينسبه إلى ليث.

ووقوعها على الكبير قوله : ﴿وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾^(١) . واختلف القراء في هذا الحرف فقراً أهل المدينة (خطيئته) بالجمع ، والباقون على الوحدة^(٢) ؛ لأنها أضيفت إلى ضمير مفرد ، فلما لم يكن الضمير جمعاً لم يجمع كما جمعت في قوله : ﴿تَنْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨] ؛ لأنه مضاف إلى جماعة لكل واحد منهم خطيئة ، وكذلك قوله : ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَنَا﴾ [الشعراء: ٥١] . فهذه جمعت بجمع^(٣) ما أضيف إليه^(٤) . فأما قوله : ﴿وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ فمضاف إلى مفرد ، وكما أفردت السيئة ولم تجمع فكذلك ينبغي أن تفرد الخطيئة . وأنت إذا أفردته لم يمتنع وقوعه على الكثرة وإن كان مضافاً ، كقوله : ﴿وَلَنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٣٤] ، والعدُّ إنما يقع على الجموع والكثرة ، وكذلك ما روي في الحديث : «منعت العراق درهمها وقفيظها»^(٥) ومصر إردبها^(٦) .

فهذه أسماء مفردة مضافة والمراد بها الكثرة ، ومن جمع حمله على المعنى ، والمعنى الجمع والكثرة ، فكما جمع ما كان مضافاً إلى جمع كذلك يجمع ما كان مضافاً إلى مفرد يراد به الجمع من حيث اجتماعهما في أنهما كثرة ، ويدل ذلك على أن المراد به الكثرة ، فيجوز من أجل ذلك أن تجمع خَطِيئَةً على المعنى ؛ لأنَّ الضمير المضاف إليه جمع في المعنى^(٨) .

(١) الحجة لأبي علي ١١٦/١ .

(٢) قرأ نافع وأبو جعفر بالجمع ، وقرأ الباقر بالإفراد . انظر : السبعة ١٦٢ ، والنشر في القراءات العشر .

(٣) في الحجة : (كجمع) .

(٤) الحجة ١١٨/٢ ، ١١٩ .

(٥) القفيظ : مكيال معروف لأهل العراق . قال الأزهري : «هو ثمانية مكايك ، والمكوك : صاع ونصف ، وهو خمس كليلجات» . انظر : النهاية ٩٠/٤ .

(٦) الإردب : مكيال معروف لأهل مصر . قال الأزهري وآخرون : «يسع أربعة وعشرين صاعاً» . انظر : النهاية لابن الأثير ٣٧/١ .

(٧) أخرجه مسلم ٢٨٩٦ ، كتاب : الفتن وأشرط الساعة ، باب : لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات .

(٨) ما تقدم بمعناه منقول من الحجة ١١٩/٢ ، ١٢٠ .

قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: واختلف المفسرون في معنى الخطيئة هاهنا، فقال ابن عباس^(١)، والضحاك^(٢)، وأبو وائل^(٣)^(٤)، وأبو العالية^(٥)، والربيع^(٦)^(٧) وابن زيد^(٨)^(٩): «هي الشرك يموت عليه الإنسان».

وقال غيرهم^(١٠): «هي الذنوب الكبيرة الموجبة لأهلها النار»، وعلى هذا فالمؤمنون لا يدخلون في حكم هذه الآية؛ لأنه أُوعد بالخلود في النار من أحاطت به خطيئته، وتقدمت منه سيئة هي الشرك، والمؤمن وإن عمل الكبائر فلم يوجد منه الشرك. وأيضاً فإن الخطيئة لا تحيط بالمؤمن؛ لأنه يعصي مستحيماً راجياً عفو

-
- (١) رواه عنه الطبري في تفسيره ٣٨٦/١، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٧/١.
- (٢) رواه عنه الطبري في تفسيره ٣٨٦/١، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٠٠٩/١.
- (٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٨/١. انظر: زاد المسير ١٠٦/١.
- (٤) هو الإمام الكبير، شيخ الكوفة أبو وائل، شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي، مخضرم أدرك النبي ﷺ وما رآه، حدث عن الخلفاء وكثير من الصحابة، كان ثقة كثير الحديث، توفي سنة ٨٢هـ. انظر: تاريخ بغداد ٢٦٨/٩، والسير ١٦١-١٦٦.
- (٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٨/١، والثعلبي في تفسيره ١٠٠٩/١.
- (٦) هو الربيع بن أنس البكري، من رواة الحديث، ومن اشتهر بالعلم والتفسير، كان من التابعين، بصري نزل خراسان، صدوق له أوهام، توفي سنة ١٣٩هـ، وقيل ١٤٠هـ. انظر: تقريب التهذيب ٢٠٥، ١٨٨٢، ومشاهير علماء الأمصار ١٢٦.
- (٧) رواه عنه الطبري في تفسيره ٣٨٦/١، ٣٨٧، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٨/١، والثعلبي في تفسيره ١٠٠٩/١.
- (٨) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولا هم، المدني، محدث مفسر، كان في نفسه صالحاً، وفي الحديث ذاهباً، توفي سنة ١٨٢هـ. انظر: الجرح والتعديل ٢٣٣/٥، وتقريب التهذيب ٣٤٠.
- (٩) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠٠/٢.
- (١٠) ومنهم: مجاهد، وقتادة، والحسن، والربيع بن أنس، وأبو العالية، كما في تفسير الطبري: ٣٨٦/١، ٣٨٧، وتفسير ابن أبي حاتم ١٥٩/١، وقال ابن كثير ١٢٧/١ عقب هذه الأقوال والأقوال السابقة في الشرك: «وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى، والله أعلم».

الله معتمداً للتوبة فلا تحيط به الخطيئة ، وإنما تحيط بالكافر . أو يجعل هذه الآية من العموم المخصوص بأي الوعد .

وقوله تعالى : ﴿ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ : خبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مثل قوله : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣] ^(١) .

فإن قيل : لِمَ دخلت الفاء في خبر المبتدأ وأنت لا تقول : زيد فقائم ؟ فالجواب : إن الفاء تدخل في خبر المبتدأ إذا كان المبتدأ موصولاً ، نحو (مَنْ ، وما ، والذي) لتدل ^(٢) على أن الخبر يجب بوجوب معنى الصلة ، كقولك : «الذي في الدار فله درهم» . قال ابن السراج : «دلت أنه وجب الدرهم لأجل الكون في الدار» . ونذكر شرح هذه المسألة عند قوله : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْئِيلِ وَالْتَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٤] إن شاء الله .

فإن قيل : لِمَ جاءت الجملتان في قوله : ﴿ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ بغير حرف عطف ؟

فالجواب : قال أبو بكر بن السراج : «لأنهما خبران عن شيء واحد ، وأيضاً فإن الضمير يربط الكلام الثاني بالأول كما أن حرف العطف يربط به ، ألا ترى أنك تقول : مررت بزيد والناس يتراءون الهلال ، فلا يجوز إسقاط الواو ، فإن قلت : مررت بزيد الناس عنده يتراءون الهلال ، جاز إسقاط الواو وجاز إثباتها» .

(١) انظر : الحجة ٢ / ١٢٠ .

(٢) في (ش) و(م) : (لبدل) .

٨٣. قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا نَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ : اختلف النحويون^(١) في محل قوله : ﴿لَا نَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ ، فقال قطرب^(٢) : «يجوز أن يكون^(٤) حالاً كأنه أخذ ميثاقهم موحدين ، وكذلك ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ﴾ [البقرة: ٨٤] أي : غير سافكين ، فيكون حالاً من المخاطبين ، ويكون موضعه نصباً ، كأنه قيل : أخذنا ميثاقكم غير عابدين إلا الله ، أو موحدين» .

وقال الكسائي : «يجوز أن يكون ﴿لَا نَعْبُدُونَ﴾ و﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾ في تقدير : لا تعبدوا ، وكأن التقدير : أخذت ميثاقكم بأن لا تسفكوا^(٥) إلا أنه لما حذف (أن) ارتفع الفعل ، كقوله : ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَ عِبَادَ﴾^(٦) [الزمر: ٦٤] .

وأنكر المبرّد هذا القول ، وقال : «هو خطأ من وجهين : أحدهما : أن كل ما أضمر في العربية فهو يعمل عمله مُظْهِراً ، كقولهم : وبلدٍ قطعت ، يراد : ورُبَّ بلدٍ قطعت^(٧)»^(٨) ، وكقوله^(٩) تعالى : ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ [الشمس: ١٣] أي : احذروا ، وكقوله : ﴿قَالُوا مَعَذَرَةٌ﴾ [الأعراف: ١٦٤] أي : موعظتنا معذرة .

والثاني : أنه لا يجوز حذف الموصول في شيء من الكلام» .

-
- (١) ذكر في البحر المحيط ٢٨٢/١ ثمانية أقوال في إعراب الآية .
 - (٢) محمد بن المستنير بن أحمد البصري ، أبو علي المعروف بقطرب .
 - (٣) انظر : البحر المحيط ٢٨٢/١ .
 - (٤) في (ش) : (تكون) .
 - (٥) ساقطة من (أ) و(م) من قوله : «غير عابدين» .
 - (٦) نقله عن الكسائي : الثعلبي في تفسيره ١٠١٣/١ . انظر : معاني القرآن للأخفش ١/١٣٣ ، وتفسير الطبري ١/٣٨٨ ، ٣٨٩ ، والبيان لابن الأنباري ١/١٠١ ، والبحر المحيط ١/٢٨٣ .
 - (٧) مقولة المبرّد نقلها القرطبي في تفسيره ١٣/٢ .
 - (٨) ساقطة من (أ) و(م) .
 - (٩) في (م) : (وقوله) .

وليس الأمر على ما قاله المبرّد ، فقد أجاز قولَ الكسائي : الأَخْفَشَ والفرّاءَ وقطرب والزّجاج وعلي بن عيسى^{(١)(٢)} ، ودعواه أن كل ما أضمر في العربية فهو يعمل عمله مُظْهِراً ليس كذلك ، وهو على ضربين : منه ما هو على ما ذكر ، ومنه ما ليس كذلك^(٣) ، كحروف الجر إذا حذفت وهي تزداد ، كقوله :

أمرْتُكَ الخَيْرَ^(٤) البيت .

يريد بالخير ، وقال الله تعالى : ﴿ وَأَخْنَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴾ [الأعراف : ١٥٥] فلما حذف (مِنْ) وصل الفعل فنصب . كذلك هاهنا لما حذف (أَنْ) وصل عامل الرفع فرفع الفعل .

وقوله : « لا يحذف الموصول في شيء من الكلام ليس كذلك ؛ لأن الموصول مع صلته بمنزلة اسم واحد ، والاسم الواحد قد يحذف بعضه بالترخيم »^(٥) .

(١) انظر : أفعال المسألة في معاني القرآن للفرّاء ١/ ٥٣ ، ٥٤ ، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ١٢٦ ، ومعاني القرآن للزّجاج ١/ ١٦٢ ، والبحر المحيط ١/ ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

(٢) هو علي بن عيسى بن الفرّج بن صالح ، أبو الحسن الربيعي النحوي ، صاحب أبي علي الفارسي ، درس النحو وتفنّن فيه حتى ما بقي له شيء يحتاج أن يسأل عنه ، من مؤلفاته شرح مختصر الجرمي ، توفي سنة ٤٢٠ هـ . انظر : إنباه الرواة ٢/ ٢٩٧ ، وتاريخ بغداد ١٢/ ١٧ ، ١٨ .

(٣) في (أ) : (كذلك) مكررة .

(٤) البيت لعمر بن معديكرب ، وتتمته :

أمرْتُكَ الخَيْرَ فافْعَلْ ما أَمَرْتُ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذا مالٍ وذا نَسَبٍ

مغني اللبيب ١/ ٣١٥ ، وقد عزاه في الكتاب ١/ ٣٧ إلى عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، واختلف في قائله كما في الخزانة ١/ ١٦٤-١٦٦ . النشب : المال الثابت مثل الضياع ونحوها ، من نشب الشيء ، والمال : الإبل أو هو عام ، والشاهد فيه : «أمرتك الخير» ، أراد : أمرتك بالخير .

(٥) الترخيم : هو ما حذف من آخره حرف واحد أو أكثر للتخفيف ، نحو : يا فاطم .

وقال كثير من النحويين : الزَّجَّاج^(١) ، والفَرَّاء^(٢) ، والأخفش^(٣) في أحد قوليهِ : «إن قوله : (لا تعبدون) جواب القسم ؛ لأن أخذ الميثاق بمنزلة القسم ، والدليل على ذلك قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ [آل عمران : ١٨٧] فجاء جواب القسم بـ (لام) ، فكذلك هو في النفي بـ (لا) ، وكان المعنى : استحلّفناهم وقلنا لهم : والله لا تعبدون»^{(٤)(٥)} .

قال الفَرَّاء : «ويجوز أن يكون في موضع جزم على النهي ، إلا أنه خرج مخرج الخبر ، كقوله : ﴿لَا تَضْكَازْ وَلِدَةً﴾ [البقرة : ٢٣٣] بالرفع ومعناه النهي ، ويدل على أنه نهي قوله : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ .

وَقُرَيْ (لا تعبدون) بالياء والتاء^(٦) ، وما كان من مثل هذا جاز أن يكون على لفظ الغيبة من حيث كان اللفظ لها ، وجاز أن يكون على لفظ المخاطب لأنك تحكي حال الخطاب وقت ما تخاطب به . ألا ترى أنهم قد قرؤوا قوله : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [آل عمران : ١٢] على لفظ الغيبة ، وبالتاء على لفظ الخطاب^(٧) ، على حكاية حال الخطاب في وقت الخطاب^(٨) ، فإذا كان هذا النحو جائزاً جاز أن تجيء القراءة بالوجهين جميعاً ، ويجوز في قياس

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ١٦٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفَرَّاء ١ / ٥٣ ، ٥٤ ، والبحر المحيط ١ / ٢٨٢ .

(٣) انظر : معاني القرآن للأخفش ١ / ١٢٦ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفَرَّاء ١ / ٥٤ ، والبحر المحيط ١ / ٢٨٢ .

(٥) انظر : تفسير القرطبي ٢ / ١١ .

(٦) قرأ ابن كثير وحزّة والكسائي (لا يعبدون) بالغيب ، وقرأ الباقر بالخطاب . انظر : السبعة ، ١٦٢ ، والحجة ٢ / ١٢١ ، والنشر ٢ / ٢١٨ .

(٧) قرأ حزّة والكسائي وخلف بالياء على الغيب في : (سيغلبون ، يحشرون) ، وقرأ الباقر بالخطاب . انظر : السبعة ، ١٦٢ ، والنشر ٢ / ٢٣٨ .

(٨) انظر : معاني القرآن للفَرَّاء ١ / ٥٤ .

العربية في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨] الخطاب (على حكاية)^(١) حال الخطاب .

فأما قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ﴾ [البقرة: ٨٤] فلا يجوز (أن يكون)^(٢) إلا على الخطاب ؛ لأن المأخوذ ميثاقهم مخاطبون^(٣) ، ولأنك إن حكيت الخطاب كان التقدير : (أخذنا ميثاقكم فقلنا لكم : لا تسفكون) كان بالتاء .

فحجة من قرأ بالتاء^(٤) قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ ﴾ [آل عمران: ٨١] فجاء على الخطاب ، ويقويه قوله : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ ﴾ الآية . فإذا كان هذا خطاباً وهو عطف على ما تقدّم وجب أن يكون المعطوف عليه في حكمه . وحجة من قرأ بالياء قوله : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا ﴾ الآية . . [الأنفال: ٣٨] . وكل واحد من المذهبين قد جاء التنزيل به^(٥) .

وقوله تعالى^(٦) : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ : تقديره : وأحسنوا بالوالدين إحساناً ، كأنه قال : «لما أخذنا ميثاقهم قال : وقلنا لهم : أحسنوا بالوالدين إحساناً ، كما قال : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ﴾ [البقرة: ٦٣] ؛ أي : وقلنا لهم : خذوا ، فالجار في الوالدين يتعلق بالفعل المضمر ولا يجوز أن يتعلق بالمصدر ؛ لأن ما يتعلق بالمصدر لا يتقدم عليه» .

(١) في (م) : (الحكاية على حال الخطاب) .

(٢) ساقطة من (م) .

(٣) في (م) : (مخاطبين) .

(٤) أي في قوله : «لا تعبدون» .

(٥) الحجة ٢/ ١٢٣-١٢٦ بتصرف .

(٦) في (ش) : (وهو قوله) .

و(أَحْسِنُ) يُوصَلُ بالباء مثلما يُوصَلُ بـ (إِلَى) ^(١). يدلُّك على ذلك قوله : ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [يوسف : ١٠٠] ، فَتَعَدَّى بالباء كما تَعَدَّى بـ (إِلَى) ^(٢) في قوله : ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ^(٣) [القصص : ٧٧] ، هذا قول الرَّجَّاج ^(٤).

وقال بعضهم : «المعنى : ووصيَّناهم بالوالدين إحساناً» ^(٥).

والقربى : القرابة في الرحم ^(٦).

واليتامى : جمع يتيم ، مثل : نديم وندامى ، ويجمع أيتاماً أيضاً ، واليَتَمُّ ^(٧) في الناس فَقْدان الأب ، وفي غير الإنسان من قبل الأم ^(٨).

قال أحمد بن يحيى : «معنى قولك : صبي يتيم : منفرد من أبيه» ، قال : «واليتم ^(٩) في كلام العرب معناه : الانفراد» .

(١) في الحجة يصل بالباء كما يصل بـ (إلى) .

(٢) من قوله : «يدلك» ساقط من (أ) و(م) .

(٣) هذا كلام أبي علي في الحجة ٢/ ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١/ ١٦٣ . انظر : معاني القرآن للأخفش ١/ ١٢٧ .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٠١٤ ، والبحر المحيط ١/ ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٦) قال في البحر المحيط ١/ ٢٨١ : «القربى : مصدر كالرجعى ، والألف فيه للتأنيث ، وهي قرابة الرحم والصُّلب» .

(٧) في (م) : (اليتم) .

(٨) معاني القرآن للزجاج ١/ ١٦٣ ، وأحكام القرآن للجصاص ١/ ٤٥٢ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٩٧٤ ، واللسان

١٢/ ٦٤٥ . قال ابن بري : «اليتم الذي يموت أبوه ، والعجى الذي تموت أمه ، واللطم الذي يموت أبواه» .

وقال ابن العربي في أحكام القرآن ١/ ٢١٥ : «اليتم : هو في اللغة عبارة عن المفرد من أبيه ، وقد يطلق على

المفرد من أمه ، والأوّل أظهر لغة ، وعليه وردت الأخبار والآثار ، ولأن الذي فقد أباه عدم النصرة ، والذي

فقد أمه عدم الحضانة ، وقد تنصر الأم لكن نصرة الأب أكثر ، وقد يحضن الأب لكن الأم أرفق حضانة» .

(٩) في (م) : (اليتم) .

قال : «وأنشدنا ابن الأعرابي بيتاً ، قال : فقلت له : زدنا ، فقال : البيتُ يَتِيْمٌ ، أي : هو منفرد ليس قبله ولا بعده شيء» .

ومنه قولهم : «درة يتيمة ، إذا لم يوجد لها نظير» .

وقال الأصمعي : «اليتيمة : الرملة المنفردة» ، قال : «وكل منفرد ومنفردة عند العرب يتيمة ويتيمة» .

قال الفرّاء : «يقال للغلام : يَتِيْمٌ يَتِيْمٌ وَيَتِيْمٌ ، وحكي لي ما كان يَتِيْمًا ، ولقد يَتِيْمٌ يَتِيْمٌ ، وَقَدْ أُيْتِمَهُ اللهُ» .

وقال المفْضَلُ : «أصل اليُتْم : الغفلة ، وبه سُمِّيَ اليتيم ؛ لأنه يُتَغافلُ عن بره» .

وقال أبو عمرو : «اليُتْم : الإبطاء ، يقال : ما في سِرِّهِ أَتَمٌ ويتم أي : إبطاء ، ومنه أُخِذَ اليتيم ؛ لأن البرَّ يبطئ عنه»^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ : الحُسْنُ هاهنا يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون لغة في الحَسَن ، كالبُخْل والبَخْل والرُّشْد والرَّشْد وبابه ، وجاء ذلك في الصفة كما جاء في الاسم ، ألا تراهم قالوا : العُرْبُ والعَرَبُ وهو صفة ، يدلّك على ذلك : قولك : قومٌ عُرْبٌ ، فيكون الحُسْن على هذا صفة^(٢) .

وقد حكى الزَّجَّاج عن الأخفش هذا القول ، فقال : «زعم الأخفش أنه يجوز أن يكون (حُسناً) في معنى حَسَنًا»^(٣) .

(١) انظر : معاني (اليتيم) السابقة في تهذيب اللغة ٤ / ٣٩٧٤ ، والبحر المحيط ١ / ٢٨١ ، واللسان ٨ / ٤٩٤٨ ، والقاموس ١١٧٢ .

(٢) من الحجة ٢ / ١٢٧ ، وبنحوه في معاني القرآن للأخفش ١ / ١٢٧ . انظر : تهذيب اللغة ١ / ٨١٣ ، ولسان العرب (حسن) ٢ / ٨٧٨ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ١٦٣ ، ونقله أيضاً الأزهرى في تهذيب اللغة ١ / ٨٢٣ ، وعنه ابن منظور في اللسان ٢ / ٨٧٨ .

الوجه الثاني : أن يكون الحُسن مصدراً كالْكَفَر والشُّكْر والشُّغْل ، وحذف المضاف معه كأنه : قولاً ذا حُسْن^(١) .

وقرأ حمزة والكسائي (حَسَنًا)^(٢) وهو صِفة ، كأن التقدير : وقولوا للناس قولاً حَسَنًا ، فحذف الموصوف ، وحُسْن ذلك في حَسْن لأنها ضارعت الصفات التي تقوم مقام الأسماء ، نحو : الأبرق والأبطح ، ألا تراهم^(٣) يقولون : هذا حَسَن ومررت بحسن ، فلا يكادون يذكرون مَعَهُ الموصوف^(٤) .

وقال أبو الهيثم^(٥) : «أصل قولهم شيء حَسَنٌ . إنما هو شيء حَسِين ؛ لأنه من حَسُنَ يَحْسُنُ ، كما قالوا : عَظُم فهو عَظِيم ، إلا أنه جاء نادراً (فَعَلٌ) في مَعْنَى (فَعِيل)» .

وحكى الأخفش عن بعض القراء : (وقولوا للناس حُسْنَى) بالتأنيث^(٦)^(٧) .

وذلك^(٨) لا يجوز عند سيبويه وسائر النحويين^(٩) ؛ لأن (أفعل) و(فعل) لا يُستعمل صِفةً إلا بالالف واللام ؛ لأن أفعل لما كانت تلزمه (من) ولا يدخله

(١) من الحجة ١٢٧/٢ ، وبنحوه في معاني القرآن للأخفش ١٢٧/١ .

(٢) قرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف (حَسَنًا) بفتح الحاء والسين ، وقرأها الباقون بضم الحاء وإسكان السين . انظر : السبعة ١٦٢ ، والنشر ٢١٨/٢ .

(٣) في (ش) : (ألا تراهم أنهم) .

(٤) كذا قال أبو علي في الحجة ١٢٦/٢ - ١٢٨ .

(٥) هو خالد بن يزيد الرازي ، كان نحويًا إمامًا علامًا ، اشتهر بكنيته ، روى عنه الأزهري من طريق أبي الفضل ، توفي سنة ٢٧٦هـ . انظر : إنباه الرواة ١٨٨/٤ ، ومقدمة تهذيب اللغة ٤٢/١ .

(٦) كذا في معاني القرآن للأخفش ١٢٧/١ .

(٧) قرأها : أبي وطلحة بن مصرف . انظر : تفسير الثعلبي ١٠١٥/١ ، والبحر المحيط ٢٨٥/١ ، والقراءات الشاذة للقاضي ٣٠ .

(٨) في (ش) : (في ذلك) .

(٩) قال النحاس في إعراب القرآن : «وهذا لا يجوز في العربية ، لا يقال في هذا شيء إلا بالالف واللام ، =

الألف واللام معها كان إذا سقطت (من) لا بدّ من الألف واللام ، إذا صاراً متعاقبين ؛ فسقوط أحدهما يدلُّ على وجوب الآخر على المعاقبة .

فأما معنى قوله : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ فقال ابن عباس ^(١) ، وسعيد بن جبّير ^{(٢)(٣)} ، وابن جريج ^(٤) ، ومقاتل ^(٥) ، والزّجاج ^(٦) ، والأكثر : «قولوا للناس صدقاً وحقاً في شأن محمد ﷺ ، فمن سألكم عنه فاصدقوه وبيّنوا له صفته ، ولا تكتموا أمره ، ولا تغيروا نعته» .

وقال الربيع بن أنس : «هذا على العموم في تحسين المقالة للناس كلهم» ^(٧) .

- = نحو الفضلى والكبرى والحسنى ، هذا قول سيبويه . ونقل ذلك عن النحاس القرطبي في تفسيره ١٦/٢ . انظر : المحرر الوجيز ١/ ١٠٩ ، وكذا ردّ القراءة ابن جرير الطبري في تفسيره ٣٩٠ ، ٣٩١ ، قال : «وأما الذي قرأ ذلك فإنه خالف بقراءته إياه كذلك قراءة أهل الإسلام » . وقد ناقش أبو حيان هذه القضية ، وأطال فيها النفس في البحر المحيط ١/ ٢٨٥ .
- (١) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١٠١٦ ، وذكره القرطبي ٢/ ١٢ بنحوه .
- (٢) تفسير الثعلبي ١/ ١٠١٦ .
- (٣) هو أبو عبدالله سعيد بن جبّير الأسدي بالولاء ، تقدمت ترجمته ١٦/٢ .
- (٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٣٩٠-٣٩٢ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١٠١٦ .
- (٥) أخرجه عن مقاتل بن حيان ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٦١ ، وذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره ١/ ١١٩ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١٠١٦ .
- (٦) معاني القرآن ١/ ١٦٤ .
- (٧) لم أجده عن الربيع ، لكن روى الطبري في تفسيره ١/ ٣٩٢ بسنده عن الربيع عن أبي العالية : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قال : «قولوا للناس معروفاً» . أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٦١ .

وقال الحسن والثوري^(١): «يعني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو أن يأمرهم^(٢) بما أمرهم الله تعالى، وينهوهم^(٣) عما نهاهم الله عنه»^(٤).

وقال عطاء عن ابن عباس: «المراد بالناس في هذه الآية محمد ﷺ»^(٥)، كقوله: ﴿أَمْرٌ يُحْسِدُونَ النَّاسَ﴾ [النساء: ٥٤]، فكأنه^(٦) يقول: قولوا للنبي ﷺ حسناً.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾؛ أي أعرضتم عن العهد والميثاق^(٧)، ويعني به: أوائلهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾، يعني: من كان ثابتاً على دينه ثم آمن بمحمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾؛ أي وأنتم أيضاً كأوائلكم في الإعراض عما عهد إليكم فيه.

ومعنى الإعراض: الذهاب عن المواجهة إلى جهة العرض.

٨٤. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾: في (لَا تَسْفِكُونَ) من وجوه الإعراب ما ذكرنا في (لَا تَعْبُدُونَ). ويقال: سَفَكَ يَسْفِكُ

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره ٣٩٢/١، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٠١٦/١، وورد مثله عن ابن عباس كما في تفسير ابن أبي حاتم ١٦١/١.

(٢) في (ش): (تأمرهم).

(٣) في (ش): (وتنهوهم).

(٤) وروي هذا عن ابن عباس أيضاً على نحو ما ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦١/١، وسنده مقبول.

وقال ابن كثير ١٢٨/١: «فالحسن من القول: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحلم ويعفو ويصفح ويقول للناس حسناً، كما قال الله، وهو كل خلق حسن رضي الله».

(٥) تقدم الحديث عن رواية عطاء هذه في المقدمة.

(٦) في (م): (وكأنه)، وفي (أ): (وكانوا).

(٧) تفسير الثعلبي ١٠١٦/١.

وَيَسْفُكُ لُعْتَانٌ^(١). ودماء : جمع دم ، قال الزَّجَّاج : «وأصل دم : دماء في قول أكثر النحويين»^(٢). أنشد أبو زيد :

غَفَلْتُ ثُمَّ أَتْتُ تَرْقِبُهُ فَإِذَا هِيَ بِعِظَامٍ وَدَمًا^(٣)
وقد جاء في التثنية : دَمَيَانٍ وَدَمَوَانٍ^(٤) على الأصل . قال الشاعر :

وظِلَّ لَعْمَرِي فِي الْوَغَى دَمَوَاهَا

وقال آخر :

جَرَى الدَّمَيَانِ بِالْخَبْرِ الْيَقِينِ^(٥)

(١) انظر : اللسان ٢٠٣٠ / ٤ ، والقاموس ٩٤٢٥ ، وسفك : من باب ضرب ونصر ، وبها قرئ قوله تعالى : ﴿وَيَسْفُكُ الدَّمَاءَ﴾ ، والسفك : الصب ، وقرأ طلحة بن مصرف بضم الفاء . قال الثعلبي ١٠١٦ / ١ : «وهما لغتان ، مثل : يعرُشون ، ويعكفون» .

(٢) عبارة الزَّجَّاج في معاني القرآن ١ / ١٦٥ : «وواحد الدماء دم يا هذا مخفف ، وأصله دمي في قول أكثر النحويين ، ودليل مَنْ قال إن أصله دمي قول الشاعر :

فلو أنَّا على حَجَرٍ دُبَحْنَا جَرَى الدَّمَيَانِ بِالْخَبْرِ الْيَقِينِ .
وقال قوم : «أصله : دمي ، إلا أنه لما حذف وورد إليه ما حذف منه ، حركت الميم لتدل الحركة على أنه استعمل محذوفاً» . اهـ .

(٣) ورد البيت هكذا :

غَفَلْتُ ثُمَّ أَتْتُ تَطْلِبُهُ

انظر : الخزانة ٧ / ٤٩١ ، والتنبيه لابن بري ٢ / ٢٣٥ ، وشرح التسهيل ١ / ٢٥٠ ، وتلخيص الشواهد ٧٧ . انظر : البحر المحيط ٢ / ١٢٣١ ، ولم ينسبوه .

(٤) في تهذيب اللغة ٢ / ١٢٣١ ، فقال بعضهم في ثنية الدميان ، ونقل في اللسان ٣ / ١٤٢٩ عن ابن سيده : «وَأَمَّا الدَمَوَانُ فَشَاذٌ سَاعًا» . قال في البحر المحيط ١ / ٢٨١ : «الدم معروف وهو محذوف اللام ، وهي باء لقوله : جرى الدميان بالخبر اليقين ، أو واو لقولهم : دموان ، ووزنه فَعَلٌ ، وقيل : فَعَلٌ ، وقد سمع مقصوراً» .

(٥) البيت صدره : فلو أنَّا على حَجَرٍ دُبَحْنَا . . . وهو للمثقب العبدى في ملحق ديوانه ٢٨٣ ، ولعلي بن بدال في أمالي الزَّجَّاجي ٢٠ . انظر : المعجم المفصل ٨ / ٢٦٥ .

وقال الليث : «الدم معروف ، والقِطعة دَمَةٌ ، وكان أصله دَمِيٌّ ؛ لأنك تقول : دَمِيتَ يده»^(١) .

وقد أقراني العروضي عن الأزهري ، قال : «أخبرني المنذري ، عن أبي الهيثم ، أنه قال : الدم اسم على حرفين . فقال بعضهم في تثنيته : الدَّمَيان ، وقال بعضهم : الدَّمَان ، ويقال في تصريفه : دَمِيتَ يدي تَدْمِي دَمِي ، فيظهرون في دَمِيتَ وتَدْمِي الياء والألف اللذين لم يجذوهما في دم . قال : ومثله : يَدٌ ، أصله : يَدِي^(٢) . ومن قال بهذا القول قال : إنها حرك الميم في قوله جرى الدَّمَيان ؛ لإقامة الوزن ، وقيل : بل وزنه فَعَلٌ ، فإنه كان (دَمِيٌّ) ؛ لأن الشاعر لما اضطر ردّه إلى أصل بنائه»^(٣) . والأجود : ما حكاه الرَّجَّاج في أصل الدم . والدُّمِيَّة من الدم ، كأنها الحَيَّوان ذُو الدم^(٤) .

فأمّا التفسير فقال ابن عباس^(٥) وقتادة^(٦) : «معناه لا يسفك بعضكم دم بعضٍ بغير حقٍّ . وإنما قال : ﴿وَمَاءَ كُمْ﴾ لأن كل قوم اجتمعوا على دين واحد فهم كنفس واحدة ، وأيضاً فإن الرجل إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه ؛ لأنه يقاد ويُقتَص^(٧) ، ففي النهي عن قتل نفسه على هذا الوجه نهى عن قتل غيره»^(٨) .

(١) نقله عنه في تهذيب اللغة ٢١٦/١٤ ، واللسان ٢٦٨/٤ .

(٢) تهذيب اللغة ١٢٣١/٢ ، وانظر : اللسان ١٤٢٩/٣ .

(٣) انظر : اللسان ١٤٢٩/٣ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠١٧/١ ، والواحي في الوسيط ١٦٧/١ .

(٦) أخرجه عن قتادة الطبري في تفسيره ٣٩٤/١ . انظر : التفسير الصحيح ١٨٩/١ ، وكذا رواه عن

أبي العالية ، وأخرجه عن أبي العالية ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٣/١ ، ذكر أنه مروى عن الحسن ،

والسُّدِّي ، ومقاتل بن حيان . انظر أيضاً : التفسير الصحيح ١٨٨/١ .

(٧) في (ش) و(م) : (وَيُقْبَضُ) .

(٨) تفسير الثعلبي ٣٩٤-٣٩٦ . انظر : تفسير الطبري ٣٠٠/٢ ، وزاد المسير ١١٠/١ .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ ؛ أي لا يخرج بعضكم بعضاً من داره ويغلبه عليها^(١). ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ أي : قبلتم ذلك وأقررتم به^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ : حكى محمد بن جرير ، عن ابن عباس أن هذا خطاب لليهود الذين كانوا زمن النبي ﷺ^(٣) ، ومعناه : وأنتم تشهدون اليوم على إقرار أوائلكم بأخذ الميثاق عليهم بما في الآية ، فالآية وإن كانت خطاباً فالمراد به : أوائلهم ، إلا قوله : ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على هذا القول . وقال أبو العالية : «الآية كلها خبر عن الله - عز وجل - عن أوائلهم^(٤) ، وإن أخرجه مخرج المخاطبة على سعة كلام العرب ، ويحتمل أن يكون قوله ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ خطاباً للسلف والخلف جميعاً ، يريد : أنتم تشهدون أن هذا حق من ميثاقى عليكم في التوراة»^(٥).

٨٥. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ : الخطاب في هذه الآية لقريظة والنضير^(٦). روى الربيع عن أبي العالية في هذه الآية ، قال : «كان^(٧) بنو إسرائيل إذا استضعف قومٌ قوماً أخرجوهم من ديارهم ، وقد أخذ

(١) روى ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٦٣ عن أبي العالية نحوه . انظر : المراجع السابقة ، والحجة لأبي علي ١٤٦/٢ .

(٢) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٦٣ نحو هذا عن ابن عباس وأبي العالية وإسنادهما حسن كما في التفسير الصحيح ١/ ١٨٩ .

(٣) ذكره الطبري في تفسيره ١/ ٣٩٥-٣٩٩ .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ١/ ٣٩٥ ، ٣٩٦ .

(٥) قال الطبري في تفسيره ٣٩٥ : «وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب عندي أن يكون قوله : (وأنتم تشهدون) خبراً عن أسلافهم ، وداخلاً فيه المخاطبون منهم الذين أدركوا رسول الله ﷺ كما كان قوله : (وإذ أخذنا ميثاقكم) خبراً عن أسلافهم ، وإن كان خطاباً للذين أدركوا رسول الله ﷺ» .

(٦) قريظة والنضير : قبيلتان من اليهود في المدينة ، وهما من بني الخزرج الصريح بن التوءمان بن السبط بن اليسع بن سعد بن لاوي بن خير بن النحام بن تنحوم بن عازر بن عذري بن هارون بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب . انظر : السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٦١ .

(٧) (ش) : (كانوا) .

عليهم الميثاق أن لا يسفكوا دماءهم ، ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم ، وأخذ عليهم الميثاق إن أسر بعضهم بعضاً أن يفادوهم ، فأخرجوهم من ديارهم ، ثم فادوهم ، فآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض»^(١) .

وقد كشف السُّدِّي عن هذا ، فقال : «أخذ الله عليهم أربعة عهود : ترك القتل ، وترك الإخراج ، وترك المظاهرة عليهم ، وفدى أسراهم ، فأعرضوا عن كل ما أمروا إلا الفداء . وذلك أن قريظة كانت حلفاء الأوس^(٢) ، والنضير حلفاء الخزرج^(٣) ، وكانوا يقتتلون ، فتقاتل بنو قريظة مع الأوس ، والنضير مع الخزرج ، فإذا غلبوا خربوا ديارهم ، وأخرجوهم منها ، فإذا أسر رجل من الفريقين كليهما جمعوا له حتى يفدوه ، فتعيرهم العرب بذلك ، وتقول : كيف تقاتلونهم وتفادونهم ؟ فيقولون : إننا أمرنا أن نفاديهم ، وحُرِّم علينا قتالهم ، قالوا : فلم تقاتلونهم ؟^(٤) قالوا : إننا نستحي أن يُسْتَذَلَّ^(٥) حلفاؤنا ، فذلك حين عيرهم الله تعالى فقال :

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٨٩/١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره بمعناه ١٦٣/١ .

(٢) هم بنو الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السقاء بن حارثة الغطريف ، من أعظم بطون الأزد من القحطانية ، أهل عز ومنعة ، فيهم عدة أفخار ، كان موطنهم الأصلي بلاد اليمن ، فهاجروا إلى يثرب ، وعاشوا مع الخزرج والقبائل اليهودية ، ونشبت حروب طويلة بينهم وبين الخزرج مثل يوم بعث والدرك وغيرهما . انظر : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ٥٠/١ .

(٣) هم الخزرج بن حارثة بطن من الأزد من القحطانية ، كانوا يقطنون المدينة مع الأوس ، وكانت العرب جميعاً في الجاهلية يسمون الأوس والخزرج جميعاً الخزرج ، وكانوا هم والأوس يحجون ويقفون مع الناس . انظر : معجم قبائل العرب ٣٤٢/١ .

(٤) ساقطة من (أ) و(م) .

(٥) في (م) : (يذل) .

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ أي^(١) : يا هؤلاء ، فحذف حرف النداء^(٢) ، وقيل : معناه التوكيد لأنتم ، و(تقتلون) في موضع الرفع بالخبر . وقال الزَّجَّاج : «هؤلاء في معنى : الذين (وتقتلون) صلة هؤلاء ، كأنه قيل : أنتم الذين تقتلون أنفسكم ، ولا موضع لتقتلون إذا كان صلة^(٣) ، ومثله : ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمُوسَى﴾ [طه : ١٧]^(٤) بمنزلة : وما التي يمينك » .

وقوله تعالى : ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾ : قرئ بتخفيف الظاء وتشديدها^(٥) ، فمن شَدَّد أدغم التاء في الظاء لمقاربتها ، ومن خَفَّف حذف التاء التي أدغمها الآخرون ، فكل واحد من الفريقين كره اجتماع الأمثال والمقاربة ، فبعضهم خَفَّف بالحذف ، وبعضهم بالإدغام^(٦) ، والمحذوفة هي التي تدغم ، والمدغمة هي التي تحذف ؛ ذلك أنها لما أُعِلَّت بالإدغام أُعِلَّت بالحذف .

قال سيبويه^(٧) : «الثانية أولى بالحذف ؛ لأنها هي التي تُسَكَّن وتدغم ، في نحو ﴿فَأَذَرْنَا ثُمَّ﴾ [البقرة : ٧٢] و﴿وَأَزَيَّنْتَ﴾ [يونس : ٢٤] . ومما يقوي ذلك : أن الأولى لمعنى ، فإذا حذفت لم يبق شيء يدل على المعنى ، والثانية من جملة كلمة إذا حذفت

(١) رواه بمعناه الطبري في تفسيره ٣٩٦/١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٣/١ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٠٢١/١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١١٠/١ . وورد نحوه عن ابن عباس ، أخرجه الطبري في تفسيره ٣٠٥/٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٤/١ .

(٢) تفسير الثعلبي ١٠١٧/١ .

(٣) قوله : «ولا موضع لتقتلون إذا كان صلة» ليست عند الزَّجَّاج في معاني القرآن .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٦٧/١ .

(٥) قرأ الكوفيون (عاصم ، وحمة ، والكسائي) بالتخفيف ، وقرأ الباقر بالتشديد . انظر : السبعة ١٦٢ ، ١٦٣ ، والنشر ٢/٢١٨ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١٦٦/١ .

(٧) الكتاب ٢/٤٢٥ ، ٤٢٦ .

دل ما بقي من الكلمة عليها^(١). ومعنى تظاهرون تعاونون^(٢)، ومنه قوله: ﴿وَأِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التحریم: ٤]، وقوله: ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾^(٣) [القصص: ٤٨] أي: تعاوننا^(٤) على سحرهما، ومنه: ﴿وَالْمَلَيْكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: ٤] أي: معين^(٥). والتقدير فيه الجمع، وإن كان اللفظ على الأفراد، كقوله: ﴿وَحَسَنَ أَوْلِيَّتِكَ رَفِيقًا﴾^(٦) [النساء: ٦٩]، وسُمِّي العون ظهيراً لاستناد ظهره إلى ظهر صاحبه^(٧).

وأصل الباب من الظهور وهو البروز، فظهر الشيء ظاهره الذي هو خلاف البطن، والظهير؛ لأنه أظهر ما تكون الشمس بانبساط شعاعها، وقرأه ظاهراً، ومن ظهر قلبه؛ لأنه ظهر له من غير كتاب. هذا أصل الباب، ثم استعمل من هذا التأليف أحرف ليس فيها معنى الظهور، ولكنها من الظَّهر الذي هو خلاف البطن، من ذلك: الظَّهر: الإبل التي تحمل الأثقال، والظهار: في مظاهرة الرجل من امرأته، والظَّهْرِيُّ: الشيء الذي تنساه وتحطه وراء ظهرك^(٨).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلْعَدَّوْنَ﴾؛ أي تعاونون على أهل ملتكم بالمعصية والظلم. ومعنى العدوان: الإفراط والظلم، يقال: عَدَا عَدُوًّا وَعُدُوَانًا وَعُدُّوًّا وَعِدَاءً^(٩). وقوله تعالى: ﴿وَأِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَفْدُوهُمْ﴾؛ أي إن

(١) هذا كله كلام أبي علي الفارسي في الحجة ٢/ ١٣٤، ١٣٥.

(٢) في (م): تعارفون.

(٣) قرأ الكوفيون (سحران) من غير ألف، وقرأ الباقر (ساحران). انظر: السبعة، والنشر ٢/ ٣٤١.

(٤) في (م): تعارفا.

(٥) تفسير الثعلبي ١/ ١٠١٩.

(٦) من كلام أبي علي في الحجة ٢/ ١٣١ بتصرف.

(٧) تفسير الثعلبي ١/ ١٠١٩.

(٨) انظر: مقاييس اللغة ٣/ ٧٤١.

(٩) معاني القرآن للزجاج ١/ ١٦٦، وتفسير الثعلبي ١/ ١٠١٩.

أَتَوْكُم مَّأْسُورِينَ يَطْلُبُونَ الْفِدَاءَ فِدَيْتُمْوَهُمْ ، وَفُرِيَ : (أُسَارَى) (وَأُسْرَى) ^(١) ،
وهما جمع أسير . وأسير : فَعِيلٌ في معنى مفعول ؛ لأنك تقول : أسرته ، كما
تقول : قتلته ، وفَعِيلٌ إذا كان بمعنى مفعول فجمعه يُكْسَرُ على فَعَّلَى ، نحو :
لديغ ولدغى ، وقتيل وقتلى ، وجريح وجرحى ، وإذا ^(٢) كان كذلك فالأقيس
الأُسْرَى ، وهو أقيس من الأسارى ، كما أن الأسارى أقيس من قولهم :
«أُسْرَاءُ» . والذين قالوا أُسْرَاءُ شبهوه بظرفاء ، كما قالوا في قتيل : قُتْلَاءٌ ، فكما
أن أُسْرَاءَ وقُتْلَاءَ في جمع قتيل وأسير ليس بالقياس ، كذلك أُسَارَى ليس
بالقياس ^(٣) .

ووجه قول من قال أُسَارَى أنه شبهه بكسالى ؛ وذلك أن الأسير لما
كان محبوساً عن كثير من تصرفه للأسر كما أن الكسلان محتبس عن ذلك
لعادته ^(٤) ، شُبَّ به ، فقيل في جمعه : أُسَارَى ، كما قيل : كسالى ، وأجرى
عليه هذا الجمع للحمل على المعنى ، كما قيل : مرضى وموتى وهلكى ؛ لما
كانوا مُبْتَلِينَ بهذه الأشياء ومصابين بها ، فأشبه في المعنى فَعِيلًا الذي بمعنى
مفعول ، فلما أشبهه أجري عليه في الجمع ^(٥) . والحمل على المعنى لا يكون
الأصل عند سيبويه ، قال : «ولو كان أصلاً قبح (هالكون وزمنون) ، وكذلك

(١) قرأ حمزة (أُسْرَى) بفتح الهمزة وسكون السين من غير ألف ، وقرأ الباقون بضم الهمزة وألف بعد
السين . انظر : السبعة ١٦٣ ، والتيسير : ٦٤ ، والنشر ٢ / ٢١٨ .

(٢) قي (ش) : (وإن) .

(٣) هذا كله كلام أبي علي في الحجة ١٤٣ / ٢ بتصرف يسير ، وقد ذكر الثعلبي في تفسيره ١ / ١٠٢٠ أن
أحدًا من العلماء الأثبات لم يُفَرِّق بين أسرى وأسارى إلا أبو عمرو فإنه قال : ما قد أسر فهو أسارى ،
وما لم يؤسر فهو أسرى ، وروي عنه من وجه آخر ، قال : «ما صاروا في أيديهم فهم أسارى وما جاء
مستأسراً فهم أسرى» ، وأنكر الفرق ثعلب . وبين القرطبي في تفسيره ١٨ / ١٩ أن ما ذكره أبو عمرو
لا يعرفه أهل اللغة .

(٤) في الحجة : لعادته السيئة شبه به .

(٥) في الحجة ٢ / ١٤٤ : «فلما أشبهه في المعنى أجري عليه في الجمع اللفظ الذي لفعل بمعنى مفعول» .

أُسَارَى ليس بالأصل في هذا الباب ، ولكن قد استعمل كثيراً . قال سيبويه : «قالوا : كَسَلَى شبهوه بأَسْرَى ، كما قالوا : أُسَارَى ، شبهوه بكَسَالَى» . قال : «وإنما جمع ما كان على فعْلان نحو سكران وكسلان على فُعَالَى ، وإن كانت في أبنية الأحاد نحو : حيارى ؛ لأن فعلاً قد جاء في بعض أبنية الجموع ، نحو : رُحَالٌ^(١) وظُؤَارٌ^(٢) وثُئَاءٌ^(٣) ، وقد لحقت تاء التأنيث بعض الجموع^(٤) ، نحو : الحجارة والذِّكَاة^(٥) ، وكما لحق التاء في هذا النحو الذي يراد به الجمع ، كذلك لحق علامة التأنيث في سكارى وكسالى ، فجعلت الألف بمنزلة التاء ، كما جعلت بمنزلتها في قولهم : قاصعاء وقواصع ، وداماء^(٦) ودوام^(٧)» .^(٨)

وأصل الأسر في اللغة : الشد . قال الأصمعي : «تقول العرب : ما أحسن ما أَسَرَ قَتَبَهُ ، أي : ما أحسن ما شَدَّهُ بالقِدِّ ، والقِدُّ : الذي يؤسَّرُ به القَتَبُ ، يسمى الإِسَارَ ، وقيل للأسير من العدو : أسير ؛ لأن آخذه يستوثق منه بالإِسَارَ ، وهو القِدُّ ، لئلا يُفْلِتَ^(٩) ، ثم كثر استعماله حتى قيل للمأخوذ : أسير ، وإن لم يكن هناك شُدٌّ»^(١٠) .

- (١) في (ش) كأنها (رجال) .
- (٢) رخال (بكسر الراء وضمها) : جمع رخل ، الأنثى من أولاد الضأن . انظر : القاموس (رخل) ١٠٠٥ .
- (٣) الظُّؤَار : جمع ظئر ، وهي العاطفة على غير ولدها المرضعة له . انظر : القاموس (ظئر) ٤٣٢ .
- (٤) الثُّئَاء : أي اثنين اثنين ، يقال : جاءوا مثنى ومثنى ، كغُرَاب ، أي : اثنين اثنين ، وثنتين ثنتين . انظر : القاموس : ص ١٢٦٧ .
- (٥) في الحجة ، وقد لحقته تاء التأنيث ، فقالوا في جمع نقوة : نُقَاوة ، كما قالوا : الحجارة والذكارة .
- (٦) الذكارة (بالكسر) : ما يصلح للرجال ، مثل : المسك ، والعنبر ، والعود . انظر : اللسان (ذكر) ١٥٠٩/٣ .
- (٧) القاصعاء والداماء : من أسماء جَحَرَةِ الربوع السبعة . انظر : اللسان (دمم) ١٤٢٦/٣ .
- (٨) هذا كله كلام أبي علي في الحجة ١٤٣/٢ - ١٤٥ بتصرف يسير .
- (٩) نقله عنه في تهذيب اللغة (أسر) ١٥٩/١ .
- (١٠) انظر : تهذيب اللغة ١٥٩/١ ، واللسان (أسر) ٧٨/٤ .

وقوله تعالى : ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ : قُرِئَ أَيْضاً بوجهين^(١) : بالألف من المفاداة ، وبغير ألف من الفداء . يقال : فديته بهال ، فيتعدى إلى مفعولين ، ويتعدى إلى الثاني بالجار ، كقوله : ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذِيحِ عَظِيمٍ﴾ [الصافات : ١٠٧] ، وكقول الشاعر :

يودونَ لو يَفْدُونَنِي بنفوسهم وَمَثْنَى الأواقي والقِيَانِ النواهِدِ^(٢)

فإذا ثَقَلَتِ العين زدتِ المفعولين ثالثاً ، كقوله :

لو يَسْتَطْعَنَ إذا نابتكِ مُحِجَّةٌ فَدَيْنَكَ الموتَ بالأبَاءِ^(٣) والولدِ^(٤)

وقالوا : «فادى الأسير : إذا أطلقه وأخذ عنه شيئاً»^(٥) . فأما الفداء فيجوز أن يكون مصدرأً مثل : الكتاب ، ويجوز أن يكون مصدر فاعل ، وقد قالوا : «فديته وافديته» ، أنشد أبو زيد :

ولو أن مَيْتاً يُفْتَدَى لَفَدَيْتُهُ بها اِقْتَالَ^(٦) من حُكْمٍ عليّ طيِّبٍ^{(٧)(٨)}

(١) قرأ المدنيان نافع وأبو جعفر ، وعاصم والكسائي ويعقوب (تفادوهم) بضم التاء وألف بعد الفاء ، وقرأ الباقون بفتح التاء وسكون الفاء من غير ألف . انظر : السبعة ١٦٢ ، ١٦٣ ، والتيسير للداني ٦٤ ، والنشر ٢/ ٢١٨ .

(٢) البيت لأبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين ١٩٢ . مثنى الأواقي (الذهب) : مثنى ؛ أي : مرة بعد مرة . والقِيَان : الخدم .

(٣) في الحجة بالأبناء .

(٤) ذكره أبو علي في الحجة ٢/ ١٤٦ ، ولم ينسبه .

(٥) هذا كلام أبي علي في الحجة ٢/ ١٤٦ .

(٦) في (ش) لعلها (أفتال) أو (أفتاك) .

(٧) البيت لكعب بن سعد الغنوي في النوادر ٢٤٤ ، وعنه نقل أبو علي في الحجة ١/ ٣٤٢ من دون نسبة ، ورواية اللسان ، والصاحح (قول) ، والأصمعيات ٩٧ هكذا :

ومنزلةٌ في دارِ صدقي وغِبْطَةٍ وما اِقْتَالَ مِنْ حُكْمٍ عليّ طيِّبٍ
فلو كان ميتٌ يُفْتَدَى لفديته بما لم تكنْ عنه النفوسُ تطيِّبٍ

وذكره صاحب اللسان (فدى) ٦/ ٣٣٦٦ من دون نسبة .

(٨) هذا كلام أبي علي في الحجة ٢/ ١٤٧ .

فمن قرأ: ﴿تَقْدُوهُمْ﴾ فلأن من كل واحد من الفريقين فعلاً ، فمن الأسر دفع (الأسير)^(١) ، ومن المأسور منهم دفع الفداء ، وإذا كان كذلك فوجه (تفادوهم) ظاهر ، والمفعول الثاني الذي يصل إليه الفعل بالحرف محذوف ؛ لأن معناه تفادونهم بالمال . ومن قرأ (تَقْدُوهُمْ) فالمعنى فيه مثل معنى من قرأ: (تَفَادَوْهُمْ) إلا أنه جاء بالفعل على يفعل ، ألا ترى أن في هذا الوجه أيضاً دفعاً من كل واحد من الأسرين والمأسور منهم^(٢) .

أخبرني العروضي ، عن الأزهري ، عن المنذري ، عن ثعلب قال : «المفاداة : أن تدفع رجلاً وتأخذ رجلاً . والفداء : أن تشتريه بهال فداءً . ويقال : فديته بنفسه»^(٣) .

وقال نصير^(٤) الرازي^(٥) : «يقال : فاديتُ الأسيرَ ، وفاديت الأسارى ، هكذا تقول العرب . وإذا قلت : فديت الأسير فهو أيضاً جائز بمعنى فديته مما كان فيه ، أي : خلصته منه ، وفاديت أحسن في هذا المعنى . ومعنى فديته بالشيء ، أي : خلصته به ، وجعلته عوضاً منه ؛ صيانةً له ، كقوله تعالى : ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصفافات : ١٠٧] أي : خلصناه به^(٦) من الذبح»^(٧) .

قال الفرّاء : «والعرب تقصر الفداء وتمده ، يقال : هذا فداؤك وفداك ، وربما فتحوا الفاء إذا قصروا»^(٨) .

(١) سقطت من (ش) .

(٢) هذا كلام أبي علي في الحجة ١٤٨/٢ بتصرف يسير .

(٣) في تهذيب اللغة ١٤/٢٠٠ ، وانظر : اللسان (فدى) ١٥٠/٥ .

(٤) في (ش) : (نظير) .

(٥) هو نصير بن أبي نصير الرازي ، تقدمت ترجمته [البقرة : ١٥] .

(٦) من قوله : «خلصناه به» ساقط من (أ) و(م) .

(٧) تهذيب اللغة (فدى) ٣/٢٧٥٤ بتصرف واختصار .

(٨) نقله عنه تهذيب اللغة ٣/٢٧٥٤ ، وعنه ابن منظور في اللسان ٦/٣٣٦٦ ، والقرطبي في تفسيره (فدى) ٩١/٢ .

وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ : (هو) إضمار الإخراج الذي تقدّم ذكره في قوله : ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا﴾ . ثم بيّن لتراخي الكلام أن ذلك الذي حرّم : الإخراج ، فقال : ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ ، ولو اقتصر على هذا القدر أشبه أن يرجع ذلك إلى فداء الأسرى ؛ لأن معناه وإخراجهم ^(١) فأظهر المكنى عنه فأعاده ، فقال : إخراجهم فكان رفع الإخراج ^(٢) بالتكرير على هو ؛ لأن معناه : وإخراجهم محرم عليكم ، فهو مبتدأ مؤخر عن خبره ، تقديره : وإخراجهم محرم عليكم ، وهذا معنى قول الفرّاء ^(٣) والزّجاج ^(٤) جميعاً . قال الفرّاء : «وإن شئت جعلت هو عماداً» ^(٥) .

قال : «وإذا رأيت الواو في موضع تطلب الاسم دون الفعل ، صلح في ذلك الموضع العماد ، كقولك : «أتيت زيدا وأبوه قائم» ، فإن أردت أن تقدم الفعل على الأب ، فقلت : «أتيت زيدا قائم أبوه» ^(٦) ، أو «ويقوم أبوه» قبح ؛ لأن الواو تطلب الاسم ، فإذا قبح ذلك أدخلوا هو ؛ لأنه اسم فقيل : أتيت زيدا وهو قائم» ^(٧) ، كذلك ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ : حرّم عليكم إخراجهم ، والاسم المبني على الفعل ينوب عنه في العمل ، ومحرم على : حرّم ^(٨) ، ورفعت الإخراج في هذا الوجه بمحرّم لأن معنى قوله : (ومحرّم) مبني على حرّم .

(١) قوله : «لأن معناه ، وإخراجهم» ساقط من (أ) و(م) .

(٢) في (ش) : (الإحرام) .

(٣) في معاني القرآن للفرّاء ١ / ٥٠ ، ٥١ .

(٤) معاني القرآن للزّجاج ١ / ١٦٧ .

(٥) كذا نقله عنه القرطبي في تفسيره ٢ / ٢٢ .

(٦) في معاني القرآن للفرّاء : «فقيح أن تقول : أتيت زيدا قائم أبوه ، وأتيت زيدا ويقوم أبوه» .

(٧) معاني القرآن للفرّاء ١ / ٥١ .

(٨) من قوله : «حرّم عليكم» ساقط من (أ) و(م) .

وقال الزَّجَّاج : «وجائز أن يكون هو للقصة والحديث والخبر والأمر والشأن ، كأنه قال : والخبر^(١) محرم عليكم إخراجهم ، كما قال عز وجل : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: ١] أي : الأمر الذي هو الحق : الله الأحد ، وتأويله^(٢) : الأمر الذي هو الحق توحيد الله عز وجل»^(٣) .

ونظم الآية على التقديم والتأخير ، تقديره : وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم ، وهو محرم عليكم إخراجهم ، وإن يأتوكم أسرى^(٤) تَفْدُوهُمْ^(٥) .

والمحرم : الممنوع منه ، والحرام : كل ممنوع من فعله ، ومن ذلك : البلد الحرام ، والبيت الحرام ؛ لأنه كان يمنع فيه ما هو مُباح في غيره ، ورجل مُحَرَّم وحرام : إذا مَنَعَ نفسه مما يحظره الإحرام ، والحُرُمَات : كل ما مَنَعَ ارتكابه ، وتقول : «قد تَحَرَّمت بطعامك» ، أي : حَرُم عليك بهذا السبب ما كان لك أخذه ، والمحروم : الممنوع ما^(٦) ناله سواه . قال زهير :

يقول^(٧) لا غائب مالي ولا حَرْمٌ^(٨)

أي : ليس بممنوع ، والحَرَم والحَرَام واحد ، كقولهم : زَمَنْ وزَمَانٌ^(٩) .

(١) في (ش) : (الخبر) .

(٢) في (أ) : (وتأويل) .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ١٦٧ .

(٤) في (م) : (أسارى) .

(٥) تفسير الثعلبي ١/ ١٠٢٢ .

(٦) (ما) بمعنى الذي .

(٧) في (أ) : (يقول) .

(٨) ديوان زهير ، ٧٩ ، وصدر البيت :

وإن أتاه خليلٌ يومَ مسألة

(٩) انظر : تهذيب اللغة ١/ ٧٩٣-٧٩٧ ، ولسان العرب (حرم) ٢/ ٨٤٤ .

وقوله تعالى : ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ استفهامٌ في معنى توبيخ . وقوله تعالى : ﴿إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني ^(١) : ما نال قُرَيْظَةَ وبني النضير ؛ لأن بني النضير أُجِّلوا عن مَسَاكنهم ، وبني قريظة أُبِروا بقتل مقاتلتهم ، وسبي ذراريهم ^(٢) . والخزي : الهوان والفضيحة ، وقد أخزاه الله : أي : أهانه ^(٣) . شمر ^(٤) : «أخزاه الله : فضحه ، وفي القرآن : ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ [هود : ٧٨] أي : لا تفضحوني» ^(٥) . أبو عبيد : يُقال : «خزي يخزي خزيًا : إذا هلك» ^(٦) .

وقال ابن السراج : «معنى أخزاه الله ، أي : أوقفه موقفًا يُسْتَحْيَا منه ، من قولهم : «خزي يخزي خزيًا» إذا استحيا ^(٧) . ثم أعلم الله - عز وجل - أن ذلك غير مكفر عنهم ذنوبهم ، فقال : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ .

والرُدُّ : الرجوع . يقال : «رَدَّه إلى كذا» ، ويقال للمُجْبَر : «رَدَّاد» ؛ لأنه يرُدُّ العُضْو إلى ما كان . والرَدَّة : الرجوع عن الشيء ، ومنه الرَدَّة عن الإسلام ^(٨) .

وإنما قال : (يُرَدُّونَ) بلفظ الجمع لمعنى مَنْ .

وفي (أَشَدِّ الْعَذَابِ) قولان :

-
- (١) في (ش) : (بمعنى) .
 - (٢) تفسير الثعلبي ١/ ١٠٢٣ .
 - (٣) انظر : تهذيب اللغة ١/ ١٠٢٧ ، واللسان (خزا) ٢/ ١١٥٥ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٠٢٣ .
 - (٤) هو شمر أبو عمرو بن حمدويه الهروي اللغوي الأديب الفاضل الكامل ، إليه الرحلة في هذا الفن من كل مكان ، كانت له عناية بعلم اللغة ، توفي سنة ٢٥٥ هـ . انظر : إنباه الرواة ٢/ ٧٧ ، ٧٨ ، وبغية الوعاة ٢/ ٤ ، ٥ .
 - (٥) انظر : تهذيب اللغة ١/ ١٠٢٧ ، واللسان (خزي) ٢/ ١١٥٥ .
 - (٦) كذا في غريب الحديث له ٢/ ٣٨١ .
 - (٧) انظر : غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٣٨١ ، وتهذيب اللغة (خزي) ١/ ١٠٢٧٤ ، وتفسير القرطبي ٢/ ٢٣ .
 - (٨) انظر : تهذيب اللغة (ردد) ٢/ ١٣٩٠ .

أحدهما : أنه عذاب لا رَوْح^(١) فيه تتصل أجزاءه .

والثاني : عذابٌ أشدُّ من عذاب الدنيا بتضعيف الألم فيه . وقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ .

٨٦ . وقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ الآية ؛ أي استبدلوا قليل الدنيا بكثير الآخرة^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ ؛ أي لا ينقص ، والخِفَّةُ : نُقْصَانُ الْوِزْنِ .

ودخلت الفاء في قوله : ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ للعطف على (اشْتَرَوْا) فيكون من صلة الذين .

٨٧ . قوله تعالى : ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ ؛ أي أرسلنا رسولا يقفون رُسُولا في الدعاء إلى توحيد الله والقيام بشرائع دينه^(٣) .

يقال : قَفَّى أثره ، وقَفَّى غيره على أثره ؛ أي أتبعه إياه ، والقفا : مُؤَخَّرُ الْعُنُقِ ، ويقال للشيخ إذا هرم : رَدَّ عَلَى قَفَاهُ ، وَرَدَّ قَفَاً . قال :

إِنْ تَلَقَّ رَيْبَ الْمَنَايَا أَوْ تُرِدَّ قَفَاً لَا أَبْكَ مِنْكَ عَلَى دِينٍ وَلَا حَسَبٍ^(٤)

(١) لا روح فيه : أي لا راحة فيه .

(٢) انظر : الطبري في تفسيره ٣١٦/٢ ، ٣١٧ ، وزاد المسير ٩٨/١ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ١/١٦٨ . قال الطبري في تفسيره ٤٠٣/١ : «وقفينا من بعده بالرسول أي : أتبعنا بعضهم بعضاً على منهاج واحد ، وشريعة واحدة ؛ لأن كل من بعثه الله نبياً بعد موسى - عليه السلام - إلى زمان عيسى ابن مريم فإنما بعثه بأمر بني إسرائيل بإقامة التوراة والعمل بما فيها والدعاء إلى ما فيها» .

(٤) البيت بلا نسبة في لسان العرب ٣٧٠٨/٦ ، وأساس البلاغة ٢٦٩/٢ .

ومنه : قافية الشعر^(١) ، ونذكر استقصاءه عند قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء : ٣٦] إن شاء الله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ﴾ : يعني الآيات التي ذكرها في سورة آل عمران^(٢) والمائدة^(٣) .

﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ أي : قويناه^(٤) ، والأيد والآد : القوة ، ويقال : أَيْدَهُ وآيَدَهُ : إذا قَوَّاه ، وآدَ يَيْدُ آيْدًا : إذا قَوَّى ، قال امرؤ القيس :

فَأَتَتْ^(٥) أَعَالِيهِ وَآدَتْ أَصُولُهُ^(٦)

أي : قويت ، وإياد كل شيء : ما يَقْوَى به^(٧) . قال العجاج :

مَتَّخِذًا مِنْهَا إِيَادًا^(٨)

(١) انظر : تفسير الطبري ١/ ٤٠٣ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٣٠١٣ ، والمحزر الوجيز ١/ ٣٨٥ ، واللسان (قفا) ٣٧٠٨/ ٦ .

(٢) في قوله تعالى : ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ﴾ [آل عمران : ٤٩] .

(٣) في قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ [المائدة : ١١٠] . انظر : تفسير الطبري ١/ ٤٠٣ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٠٢٤ .

(٤) تفسير الطبري ١/ ٤٠٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ١٦٨ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٠٢٤ ، والمحزر الوجيز ١/ ٣٨٥ .

(٥) في (م) : (فأتت) .

(٦) عجز البيت :

وَمَالَ بَقْنِيَانِ مِنَ الْبُسْرِ أَحْمَرًا

يصف نخيلاً . انظر : ديوانه ٦٠ ، ولسان العرب (أيد) ١/ ١٨٩ ، والمعجم المفصل ٣/ ١٤٠ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة ١/ ٩٦ ، واللسان ١/ ١٨٩ ، وفيه : «وإياد كل شيء : ما يقوى به من جانبيه ، وهما إياداه» .

(٨) البيت للعجاج يصف الشور : «متخذاً منها إياداً هدفاً» . انظر : تهذيب اللغة ١/ ٩٦ ، واللسان ١/ ١٨٩ .

واختلفوا في معنى (روح القدس)، فقال قتادة^(١) والربيع والضحاك^(٢) والسُّدِّي^(٣) إنه جبريل، واختاره الزَّجَّاج^(٤). والقُدُسُ: الطهارة^(٥)، كأنه منسوبٌ إلى الطهارة، وذلك أنه ممن لا يقترب ذنباً ولا يأتي مأثماً. وتأيد عيسى بجبريل -عليهما السلام- هو أنه كان قرينه، يسير معه حيثما سار، وأيضاً فإنه صعد به إلى السماء^(٦)، ودليل هذا التأويل قوله عز وجل: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢] يعني: جبريل^(٧). وإِنَّهَا

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره ٣٢٠/٢، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٨/١، والثعلبي في تفسيره ١٠٢٦/١.

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره ٣٢٠/٢، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٠٢٦/١.

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره ٤٠٤/١.

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٦٨/١، وكذا اختاره الطبري في تفسيره ٤٠٤/١ بعد أن ذكر قولين آخرين: «الأول: إنه الإنجيل، والثاني: إنه الاسم الذي كان عيسى يحیی به الموتى»، ثم قال: «وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال: الروح في هذا الموضع جبريل؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه أيد عيسى به، كما أخبر في قوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ فلو كان الروح الذي أيد به الله به هو الإنجيل لكان قوله: ﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ تكرير قول لا معنى له»، وانظر: تفسير ابن كثير ١١٢.

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ١٦٨/١، والطبري في تفسيره ١٣٢/١.

(٦) انظر: تفسير الثعلبي ١٠٢٦/٢، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ١١٢/١، ١١٣ في تأييد عيسى بروح القدس الذي هو جبريل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أيد به لإظهار حجته وأمر دينه، والثاني: لدفع بني إسرائيل عنه إذ أرادوا قتله، والثالث: أنه أيد به في جميع أحواله.

(٧) تفسير الثعلبي ١٠٢٦/١، وقال الشنقيطي في أضواء البيان ١٤٢/١: «هو جبريل على الأصح، ويدل ذلك قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧]». ويؤيده أيضاً قول النبي ﷺ لحسان رضي الله عنه: «يا حسان، أجب عن رسول الله ﷺ، اللهم أيد بروح القدس». رواه البخاري ٤٥٣ في الصلاة، باب: الشعر في المسجد، ومسلم ٢٤٨٥، كتاب: في فضائل الصحابة، باب: فضائل حسان بن ثابت. انظر: التفسير الصحيح ١٩٢/١.

سُمِّيَ جبريل رُوحاً ؛ لأنه بمنزلة الأرواح للأبدان تحيا بما يأتي من^(١) البيان عن الله -عز وجل- من يَهْدِي به ، كما قال عز وجل : ﴿أَوْمَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] ؛ أي كان كافراً فهديناه .

وقيل^(٢) : لأن الغالب على جسمه الروحانية لرقته ، وكذلك سائر الملائكة .

وقال آخرون : «أراد : الروح القدس ، أي : المقدس ، فأضاف الاسم إلى الصفة ، وأراد به روح عيسى عليه السلام» .

وسَمَّى روحه قُدْساً ؛ لأنه لم تتضمنه أصلاب الفحولة ، ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث^{(٣)(٤)} . وجاء في الخبر أن الله تعالى لما أخذ الذرية من ظهر آدم^(٥) وأشهدهم على أنفسهم ردها إليه إلا روح عيسى فإنه أمسكها عنده إلى وقت خلقه . وُقِرَّ القُدُس بالتخفيف والتثقيب^(٦) ، وهما حسنان ، مثل : العُنُق والعُنُق ، والحُلُم والحُلُم ، وبابه^(٧) . ومعناه : الطهارة .

قال العَجَّاج :

قَدْ عَلِمَ الْقُدُّوسُ رَبُّ الْقُدُّوسِ^(٨)

(١) في (م) : (عن) .

(٢) سقطت من (م) .

(٣) في (م) : (الطوارق) .

(٤) تفسير الثعلبي ١٠٢٥/٢ ، والكشاف للزمخشري ٨٠/١ ، وتفسير ابن كثير ١٣٢/١ .

(٥) في (م) : (لما أخذ من ظهر آدم الذرية) .

(٦) قرأ ابن كثير في تفسيره (القُدُس) بإسكان الدال حيث جاء ، وقرأ الباقر بضمها . انظر : السبعة ١٦٣ ، والتيسير ٦٤ ، والنشر ٢١٦/٢ .

(٧) من كلام أبي علي في الحجة ١٥٠/٢ .

(٨) وبعده :

إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ أَوْلَى نَفْسٍ بِمَعْدِنِ الْمَلِكِ الْقَدِيمِ الْكِسْرِ

ذكره في اللسان (قدس) : ٣٥٥٠/٦ ، وفيه : (مولي) بدل (رب) .

وذكرنا ما فيه عند قوله : ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] .

وقوله : ﴿أَقْكَلَمَا﴾ : ذهب أبو الحسن^(١) في هذه الفاء إلى أنها زائدة ، والوجه : أن تكون غير زائدة وأن تكون للإتباع ؛ لتعلق ما قبلها بها بعدها .

وعلى هذا قوله ﷺ ، وقد قيل له لما جهد^(٢) نفسه بالعبادة : أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : «أفلا أكون عبداً شكوراً»^(٣) . فالوجه أن تكون الفاء هاهنا مُتَبَعَةً غير زائدة^(٤) .

ونصب (كلما) كنصب سائر الظروف^(٥) ، وكلُّ : حرفُ جملة ، وهو اسم يجمع الأجزاء^(٦) .

وقال أبو الهيثم : «يقع (كل) على اسم منكور مُوحَّد فيؤدي معنى الجماعة ، كقولهم : ما كلُّ بيضاء شحمة»^(٧) .

و(ما) هاهنا حرف جزاء^(٨) ، ضم إلى (كل)^(٩) .

(١) أي : الأخفش .

(٢) في (م) : (أجهد) .

(٣) رواه البخاري ١١٣٠ في أبواب التهجد ؛ باب : قيام النبي ﷺ الليل حتى ترم قدماءه ، ومسلم ٢٨١٩ في الجنة والنار ، باب : إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة .

(٤) انظر : البحر المحيط ١ / ٣٠٠ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ١ / ١٦٩ .

(٦) اللسان ١١ / ٥٩١ ، وقال في البحر المحيط ١ / ٨٨ : «كل للعموم ، وهو اسم جمع لازم للإضافة ، إلا أن ما أضيف إليه يجوز حذفه ويعوض منه التنوين ، وأحكام كل كثيرة» .

(٧) نقله عنه الأزهر في تهذيب اللغة ٩ / ٤٥٠ ، وعنه ابن منظور في اللسان ١١ / ٥٩١ ، وانظر : مغني اللبيب ١ / ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٨) في (ش) : (وخر) .

(٩) انظر : مغني اللبيب ٢ / ٢٠١ .

ومعنى ﴿أَسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تعظمتُم عن الإيمان به؛ لأنه كانت لهم الرئاسة، وكانوا متبوعين، فآثروا الدنيا على الآخرة^(١).

﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ مثل: عيسى ومحمد، ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ مثل: يحيى وزكريا. نظيره في المائدة [٧٠]: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾^(٢)، والفريق: الطائفة من الناس^(٣).

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ في ما دل عليه قوله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ أَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ كأنه قال: فما استقمتم^(٤).

٨٨. وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ الآية. جمع أغلف، كما أن حُمراً^(٥) جمع أحمر، فإذا كان جمع أفعل لم يجر تثقيله إلا في الشعر^(٦).

قال أبو عبيدة: «كل شيء في غلاف فهو أغلف، قالوا: «سيفٌ أغلفٌ، وقوسٌ غلفاء، ورجلٌ أغلفٌ: لم يُخْتَن»^(٧).

وما يدرك به المعلومات من الحواس وغيرها من الأعضاء إذا ذُكر بأنه لا يعلم وُصِفَ بأن عليه مانعاً من ذلك ودونه حائلاً، فمن ذلك قوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ الْقُرْآنُ أَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] كأن القفل لما كان حاجزاً بين المقل عليه وحائلاً من أن يدخله ما يدخل إذا لم يكن مُقْفَلاً جُعِلَ مثلاً للقلوب في أنها لا تعي ولا تفقه.

(١) تفسير الثعلبي ١/١٠٢٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١/٤٠٥، ٤٠٦، وتفسير الثعلبي ١/١٠٢٧.

(٣) تفسير الثعلبي ١/١٠٢٧.

(٤) انظر: البحر المحيط ١/٣٠٠.

(٥) في (ش): (حمر).

(٦) من الحجة ٢/١٥٥. انظر: تفسير الطبري ١/٤٠٦، ومعاني القرآن للزجاج ١/١٦٩.

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٤٦، ونقله عنه أبو علي في الحجة ٢/١٥٥.

وكذلك قوله : ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ [الكهف: ١٠١] ^(١) ، ومثل هذه الآية في المعنى قوله : ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٥] . قال ابن عباس ^(٢) ومجاهد وقتادة في هذه الآية : «إنهم قالوا استهزاء وإنكاراً وجحداً لما أتى به محمد : قلوبنا عليها غشاوة ، فهي في أوعية ، فلا تعي ولا تفقه ما تقول يا محمد» .

ومن ضم اللام فهو جمع غلاف مثل : حِمَارٌ وَحُمُرٌ ، وَمِثَالٌ وَمُثُلٌ ^(٣) .

قال ابن عباس ^(٤) والكلبي ^(٥) : «إنهم قالوا للنبي ﷺ : قُلُوبُنَا أَوْعِيَةٌ لِلْعِلْمِ ، فَمَا بَالُهَا لَا تَفْهَمُ عَنْكَ مَا أُتِيَتْ بِهِ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ؟ فَلَوْ كَانَ فِيهِ خَيْرٌ لَفَهِمَتْهُ وَوَعَتْهُ» ^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ : أكذبهم الله سبحانه ، وقال : بل لعنهم الله ؛ أي أبعدهم من رحمته وطردهم ، واللعن : الإبعاد ^(٧) .

(١) من كلام أبي علي في الحجة ١٥٤ / ٢ .

(٢) رواه عنه الطبري في تفسيره ٤٠٦ / ١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٠ / ١ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ١٦٩ / ١ ، والبحر المحيط ٣٠١ / ١ ، وقال الطبري في تفسيره ٣٢٧ / ٢ : «وأمّا الذين قرأوها بتحريك اللام وضمها ، فإنهم تأولوها أنهم قالوا : قلوبنا غلف للعلم ، بمعنى أنها أوعية فمعنى الكلام : وقالت اليهود : قلوبنا غلف للعلم وأوعية له ولغيره ، ثم بين أن القراءة بالضم شاذة غير جائزة» . انتهى كلامه . ومن قرأ بضم اللام : ابن عباس ، والحسن ، وابن محيصن ، والأعرج . انظر : تفسير الثعلبي ١٠٢٨ / ١ ، وزاد المسير ٩٩ / ١ ، وتفسير القرطبي ٢٢ / ٢ .

(٤) رواه عنه الطبري في تفسيره ٤٠٧ / ١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٠ / ١ ، وذكره أبو علي في الحجة ١٥٥ / ٢ ، والقرطبي ٢٢ / ٢ .

(٥) تفسير الثعلبي ١٠٢٨ / ٣ ، وتفسير البغوي ١٢٠ / ١ ، وتفسير الخازن ٨١ / ١ .

(٦) انظر : تفسير القرطبي ٢٢ / ٢ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٤٠٨ / ١ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٤٦ / ١ .

قال الشَّمَاخ^(١) :

ذَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ مقامَ الذَّنْبِ كالرَّجُلِ اللَّعِينِ^(٢)
أراد : مقام الذَّنْبِ الذي هُوَ كالرجل اللعين ، لا يزال مُتَبَذِّلاً عن الناس ، شَبَّه
الذَّنْبَ به ، وكل من لعنه الله فقد أبعدته عن رحمته ، واستحق العذاب ، وصار
هالِكاً^(٣) .

وقال الليث : «اللعن : التعذيب ، ولعنه الله ، أي : عذبه» ، قال : «واللعنة في
القرآن : العذاب ، واللعن : السب والشتم»^(٤) .

قال شمر^(٥) : أقرأنا ابن الأعرابي لعنرة^(٦) :

لُعِنْتُ بِمَحْرُومِ الشَّرَابِ مُصَرَّمِ^(٧)

وفسره ، فقال : «سُبِّتَ بذلك ، أي : قيل : أخزاها الله فما لها در ولا لبن»^(٨) .

(١) هو الشَّمَاخ بن ضرار بن سنان بن أمامة الذبياني . قال ابن سلام : «فأما الشَّمَاخ فكان شديد متون الشعر ، أشد أسر كلام من لبيد ، وفيه كزازة ، ولبيد أسهل منه منطقاً» . طبقات فحول الشعراء ١٢٤-١٣٢ .

(٢) البيت الشَّمَاخ بن ضرار في ديوانه ٣٢١ ، ومجاز القرآن ٤٦/١ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/١٧٠ ، وتفسير الثعلبي ١/١٠٢٩ ، ولسان العرب ٧/٤٠٤٤ ، وتفسير القرطبي ٢/٢٣ ، وذكره الطبري في تفسيره ١/٤٠٨ برواية : مكان الذَّنْب .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ٤/٣٢٧٢-٣٢٧٤ ، واللسان ٧/٤٠٤٤ ، ٤٠٤٥ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ٢/٣٩٦ ، واللسان ١٣/٣٨٨ ، وتفسير القرطبي ٢/٢٥ .

(٥) أول البيت :

هَلْ تُبْلِغَنِي دَارَهَا شَدِيَّةٌ

(٦) والبيت من معلقة عنترة بن شداد التي مطلعها :

هَلْ غَادَرَ الشَّعْرَاءُ مَنْ مَرْتَدِمٍ

(٧) انظر : أساس البلاغة ٢/١٤ ، ولسان العرب ٧/٤٠٤٥ .

(٨) انظر : تهذيب اللغة ٤/٣٢٧٤ ، ونقله في لسان العرب ٧/٤٠٤٥ ، وفيه : «ولا بها لبن» .

وقال الفرّاء : «اللعن : المسخ أيضاً ، قال الله تعالى : ﴿أَوْ نُلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ [النساء: ٤٧] أي : نمسخهم^(١) ، وكل هذا راجع إلى معنى الطرد والإبعاد .

و(بل) لا يُنسق به في غير الجحد ، والجحد هاهنا في المعنى ، ومجازه : وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ، وليس كذلك ، بل لعنهم الله ، ولم يجعل لهم سبيلاً إلى فهم ما تقول^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ : يريد : فما يؤمنون قليلاً ولا كثيراً ، والعرب قد تستعمل لفظ القِلَّةِ في موضع النفي ، فتقول : «قلماً رأيتُ من الرجال مثله ، وقلماً تزورنا» ، يريدون النفي لا إثبات القليل .

وحكى الكسائي عن العرب : «مررت^(٣) بأرض قلماً تُنبِت إلا الكُرَّاث والبَصَل ، أي : ما تُنبِت إلا هذين»^(٤) ، هذا قول الواقدي^(٥) و(ما) على هذا الوجه للنفي .

وقال أبو عبيدة : «معناه : لا يؤمنون إلا بقليل ممّا في أيديهم ويكفرون بأكثره» . وانتصب قليلاً على هذا القول بنزع الخافض^(٦) . و(ما) صلة ، تقديره :

(١) لم أعثر عليه في معاني القرآن .

(٢) في (ش) : (فتقول) .

(٣) في (ش) : (مررنا) .

(٤) ذكره عنه الفرّاء في معاني القرآن ١/ ٥٩ ، وعنه الطبري في تفسيره ١/ ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ولم ينسبها الثعلبي في تفسيره ١/ ١٠٣٠ .

(٥) نقله عنه الثعلبي في تفسيره ٣/ ١٠٣٠ . انظر : تفسير القرطبي ٢/ ٢٣ ، والبحر المحيط ١/ ٣٠٢ .

(٦) هو أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، محدث مؤرخ ، مفسر فقيه ، أديب ، متروك الحديث مع سعة علمه ، ولد بالمدينة ، وأقام ببغداد ، تولى القضاء ، توفي سنة ٢٠٧ هـ .

انظر : تاريخ بغداد ٣/ ٣ ، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٤٨ .

(٧) انظر : البحر المحيط ١/ ٣٠٢ .

فبقليل يؤمنون . وقال قتادة : معناه لا يؤمن منهم إلا قليل^(١) ؛ لأن مَنْ آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود . و(ما) على هذا القول أيضاً صلة ، وانتصب قليلاً على الحال ، تقديره : فيؤمنون قليلاً^(٢) ، كعبد الله بن سلام^(٣) .

وذكر ابن الأنباري في هذه الآية ثلاثة أوجهٍ سوى ما ذكرنا :

أحدها : فيؤمنون إيماناً قليلاً ؛ وذلك أنهم يؤمنون بأن الله خالقهم ورازقهم ، ويكفرون بمحمد والقرآن ، فيقلل ذلك إيمانهم ، ودليل هذا التأويل قوله : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] ، ومعناه أنهم يعترفون بأن الله ربهم ، ويكفرون بمحمد فيقلل إيمانهم . وانتصب قليلاً على هذا الوجه لأنه نعتٌ مصدرٍ محذوف^(٤) .

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٥١ / ١ ، ومن طريقه رواه الطبري في تفسيره ٤٠٩ / ١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٧١ / ١ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٠٢٩ / ١ ، وانظر : البحر المحيط ٣٠١ / ١ ، ٣٠٢ . ونقل عن المهدي مذهب قتادة أن المعنى : « فقليل منهم من يؤمن » ، وأنكره النحويون ، وقالوا : « لو كان كذلك لزم رفع قليل » ، ثم تعقبه أبو حيان فقال : « قول قتادة صحيح ، ولا يلزم ما ذكره النحويون ؛ لأن قتادة إنما بين المعنى وشرحه ، ولم يرد شرح الإعراب ، فيلزمه ذلك » .

(٢) البحر المحيط ٣٠٢ / ١ .

(٣) هو أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ، ثم الأنصاري ، كان أحد أئمة اليهود في الجاهلية ، أسلم عند مقدم الرسول ﷺ ، بشره الرسول ﷺ بالجنة ، توفي سنة ٤٣ هـ . انظر : أسد الغابة ٢٦٤ / ٣ ، والاستيعاب ٩٢١ / ٣ .

(٤) انظر : معاني القرآن للقرطبي ٦٠ / ١ ، وهذا ما رجّحه الطبري - رحمه الله - في تفسيره ٤٠٩ / ١ ، فقال : « أخبر أنه لعن الذين وصف صفتهم في هذه الآية ، ثم أخبر عنهم أنهم قليلو الإيمان بما أنزل الله إلى نبيه محمد ﷺ ، ولذلك نصب قوله : فقليلاً لأنه نعت للمصدر المتروك ذكره ، ومعناه : بل لعنهم الله بكفرهم إيماناً قليلاً ما يؤمنون ، فقد تبين إذاً بينا فساد القول الذي روي عن قتادة في ذلك » ، ورجّحه في البحر ٣٠٢ / ١ قائلاً : « لأن دلالة الفعل على مصدره أولى من دلالة على الزمان ، وعلى الهيئة وعلى المفعول وعلى الفاعل ، ولموافقة ظاهر قوله تعالى : ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء ٤٦) » .

الوجه الثاني : أن يكون المعنى : فيؤمنون قليلاً من الزمان ويكفرون أكثره ، ودليل هذا التأويل قوله : ﴿ وَقَالَتْ طَافِقَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٢] ، فخبّر الله تعالى بقلة إيمانهم على معنى الوقت القصير الذي أظهروا فيه موافقة المسلمين ثم باينوهم بعده ، وانتصب (قليلاً) في هذا الوجه ؛ لأنه أقيم مقام الظرف ، و(ما) في هذين الوجهين صلة .

الوجه الثالث : أن يكون (ما) مع الفعل مصدراً ، ويرتفع بـ (قليل) ، وهو مُقَدَّم ، ومعناه :

فقليلاً إيمانهم ، كما قالوا : راكباً لقائيك ومُجَرِّداً ضَرْبِكَ .

والآية رَدُّ على القدرية ؛ لأن الله تعالى بيّن أن كفرهم بسبب لعنه آباءهم ، فالله تعالى لما لعنهم وطردهم وأراد كفرهم وشقاوتهم منعهم الإيَّان^(١) .

٨٩ . قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ ﴾ : يعني القرآن ﴿ مُصَدِّقٌ ﴾ موافق ﴿ لِمَا مَعَهُمْ ﴾ ؛ لأنه جاء على ما تقدّم به الإخبار في التوراة والإنجيل ، فهو مصداق الخبر المتقدم ، من حيث كان مخبره على ما تقدّم الخبر به^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا ﴾ : يعني اليهود^(٣) .

(١) قال القرطبي ٢/ ٢٣ : « ثم بين أن السبب في نفورهم عن الإيَّان إنما هو أنهم لعنوا بما تقدم من كفرهم واجترائهم ، وهذا هو الجزاء على الذنب بأعظم منه » .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١/ ٤١٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ١٧١ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ١٧١ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٠٣٠ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١/ ٤١٠ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٠٣٠ .

و(كان) ليس بفعل حقيقي كسائر الأفعال ، والفرق بينه وبين الفعل الحقيقي أن الفعل الحقيقي يدل على وجود معنى مصدره بعد أن لم يكن ، في ماضٍ أو حاضر أو مستقبل ، و(كان) إنما يدل على الزمان الماضي أو الحاضر والمستقبل في تصريفه فقط ، من غير دلالة على وجود مصدره بعد أن لم يكن ^(١) ، كقولك : «كان زيد عالماً معناه : زيد عالم في ما مضى» ^(٢) .

وذكرنا ما في (كان) عند قوله : ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَآءًا﴾ [البقرة: ٢٨] ^(٣) .

وقوله تعالى ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ ؛ أي من قبل هذا الكتاب ، وقبل هذا النبي ^(٤) . ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : قال ابن عباس ^(٥) والشَّدي ^(٦) : «هو أنهم إذا حزبهٗم ^(٧) أمر ، وظهر لهم عدوٌّ ، قالوا : اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ، وكانوا يسألون الله النصرَ بمحمد وبكتابه» ^(٨) .

وذكرنا معنى (الفتح والاستفتاح) عند قوله تعالى : ﴿اتَّخِذُوهُمْ بِمَآ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦] . وفي الكلام إضمار واختصار ، أراد : وكانوا من قبل يستفتحون به ؛ أي : بذلك الكتاب ، فلما سبق ذكر الكتاب ^(٩) يُعده . ومثله في

(١) من قوله : «في ماضٍ أو حاضر . . .» ساقط من (ش) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (كان) ٣٠٨٤ / ٤ ، والأزھية في علم الحروف ١٨٣ ، ومغني اللبيب ٥٥٩ / ٢ .

(٣) انظر : البسيط ٢٦١ / ٢ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٤١٠ / ١ ، وتفسير الثعلبي ١٠٣٠ / ١ .

(٥) رواه عنه الطبري في تفسيره ٤١١ / ١ ، ٤١٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٧١ / ١ ، ١٧٢ .

(٦) رواه عنه الطبري في تفسيره ٤١١ / ١ ، ٤١٢ ، وانظر : زاد المسير ١١٤ / ١ .

(٧) في (ش) : (حزبهٗم) ، وفي (م) : (جزهٗم) .

(٨) انظر ما رواه الطبري في تفسيره ٤١٠-٤١٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٧١ / ١ ، ١٧٢ ،

وأبو نعيم في الدلائل ١٩ / ١ .

(٩) في (م) : (فلم) .

الكلام: السَّمْنُ مَنْوَانٌ^(١) بدرهم؛ أي منه، ولكنك لا تعيد ذكره، وقد سبق في أول كلامك.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾: يعني الكتاب وبعثه النبي ﷺ؛ وذلك أنهم كانوا قرؤوا في التوراة: إن الله تعالى يبعث في آخر الزمان نبياً^(٢)، وينزل عليه قرآناً مبيناً؛ أي بالكتاب، ويبعث صاحب ذلك الكتاب^(٣).

أعلم الله أنهم كفروا وهم يوقنون، وأنهم متعمدون للشقاق وعداوة الله.

وجواب قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ﴾ محذوف، تقديره: ولما جاءهم كتاب من عند الله جحدوه، وحذف لأنه معروف، دل عليه: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾، هذا قول أبي إسحاق^(٤).

وقال الفرّاء: «جوابه في الفاء في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾، وفيه أيضاً معنى الابتداء». و(كفروا) بما فيه من جوابها جميعاً، والعرب تجيب كلامين بجواب واحد، كقولهم: «ما هو إلا أن يأتي عبدالله فلما قعد أكرمه»^{(٥)(٦)}.

(١) المنوان: تشبیه مَنْا، وهو كيل أو ميزان يساوي رطلين، ويشنى على منوان ومنيان، ويجمع على: أَمْنَاءٍ، وأَمْنٍ، ومُنِيٍّ ومُنِيٍّ. انظر: تهذيب اللغة (منا) ٤/٣٤٥٤، والقاموس ١٧٢٢، والمجموع شرح المهدب ٣٤٧/٩.

(٢) في (م) و(ش): (يبعث نبياً في آخر الزمان).

(٣) انظر: تفسير الطبري ٤١١/١، ٤١٢، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٢/١.

(٤) معاني القرآن للزجاج ١/١٧١، وذكره الطبري في تفسيره ٤١٢، ٤١٣، ومن ذهب إليه الأخفش، واختاره الزمخشري كما في البحر المحيط ١/٣٠٣، ورَّجَّحه أبو حيان.

(٥) قال الفرّاء: «ما هو إلا أن أتاني عبدالله فلما قعد أوسعت له وأكرمه».

(٦) معاني القرآن للفرّاء ١/٥٩، بتصرف، وذكره الطبري في تفسيره ٤١٢/١، ٤١٣، ونسبه إليه في البحر المحيط ١/٣٠٣، وقال: «وأما قول الفرّاء، فلم يثبت من لسانهم: لما جاء زيد فلما جاء خالد أقبل جعفر، فهو تركيب مفقود في لسانهم فلا تثبته، ولا حجة في هذا المختلف فيه، فالأولى أن يكون الجواب محذوفاً لدلالة المعنى عليه».

والدليل على هذا أن الواو لا تجوز في موضع الفاء في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ كما جاز في ابتداء الآية ، فذلك دليل على أنها جواب وليست بنسق .

ومثل هذا في كون الفاء جواباً لقوله: ﴿فَأَمَّا يَا نَبَسَ كُمْ مَنِّي هُدَىٰ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشَقَّيْ﴾ [طه: ١٢٣] ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾^(١) صار كأنه جواب لـ (إِذَا) ، ألا ترى أن الواو لا تصلح في موضع الفاء هنا .

وقال محمد بن يزيد^(٢) : «قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ تكرير للأول ؛ لأن الكلام طال بقوله: ﴿وَكَاثِبُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ ، وكأنه كلام معترض ، فأعاد الأول ، وجوابه ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ .»

ومثله قوله: ﴿أَعِدُّكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥] : أعاد ذكر ﴿أَنْتُمْ﴾ لما طال الكلام ، وكأنه قال : أيعدكم أنكم إذا مِتُّم مُخْرَجُونَ^(٣) .

٩٠ . قوله تعالى: ﴿بَشِّرْهُمْ بِشَرِّ مَا أَسْتَرَوْا﴾ الآية . بِشَّرَ وَنِعَمَ لفظان وُضِعَا للمدح والذم ، يخبر بأحدهما عن الشيء المذموم ، وبالثاني عن الممدوح ، وأصلهما : نِعَمَ وَبَشَّرَ^(٤) ، وأرادوا لفظاً يُعَبِّرُ عن المحمود يخصه ، ولفظاً يُعَبِّرُ عن المذموم ويقتصر ، فجعلوا نِعَمَ للممدوح وبَشَّرَ للمذموم ، فألزمهم بهذا الغرض ضرب من التغيير ليخص هذا القصد بالدلالة ، فأزالوا التصرف عنهما وهو المستقبل ، فلا يقال (والمراد المدح أو الذم) : نِعَمَ الرجل أو يَبْشُرُ ، وهذا القدر من التغيير لا يزيل

(١) ساقطة من (ش) .

(٢) أي المبرّد ، انظر : البحر المحيط ١/ ٣٠٣ .

(٣) بيّن في البحر المحيط ١/ ٣٠٣ أن هذا القول حسن لولا أن الفاء تمنع من التأكيد .

(٤) انظر : نعم وبشّر في المقتضب للمبرّد ٢/ ١٤٠-١٥٢ ، وتهذيب اللغة ١/ ٤١٢ ، واللسان (بشّر)

الإلباس ، فليس يُدرى ^(١) بقولك : «نَعِمَ الرجل أو بَيْسَ» إن المراد به الإخبار عنه على ما يقتضيه الأصل أو المدح والذم ، فلم يجدوا بُدّاً من تغيير ^(٢) زائد ، فنقلوا وخففوا ، والنقل والتخفيف لغة للعرب ^(٣) في ما كان على فَعْلٍ وفَعِلٍ ، نحو : حَسَنَ وَضَجِرَ ، «حَسَنَ وَجْهَهُ» ، إذا خففت ، وإن ثقلت قلت : «حُسْنَنَ وَجْهَهُ» ، فنقلت ضمة السين إلى الحاء ، وعلى هذا ينشد :

فَإِنْ أَهْجُهُ يَضْجَرُ كَمَا ضَجَرَ بَازِلٌ مِنْ الْأُذْمِ دَبَّرْتُ ^(٤) صَفْحَتَاهُ وَكَاهَلُهُ ^(٥)

وإنما حملهم على هذا استثقاهم الانتقال في الحركات المختلفة الذي يدل على هذا أن اتفاق الحركات في فعل منعهم من هذا ، فقالوا في نَعِمَ وَبَيْسَ فرقاً بين المدح والذم وبين الخبر ؛ ليخلصا إلى المدح والذم بحيث لا يلتبس بالخبر ، ولهذا المعنى لم يتصرفا تصرف الأفعال ؛ لأنهما تضمنتا الدلالة على معنى الذم والمدح ، كما أن التعجب لما كان خبراً كسائر الأخبار ، إلا أنه زاد عليها بمعنى التعجب ، تُرِكَ تَصَرُّفُهُ ؛ ليدل به على زيادة المعنى ، فكذلك (نَعِمَ وَبَيْسَ) يدل على أن القائل مادح أو ذام ، وهو خبر باستحقاق المدح والذم .

وبَيْسَ ذمٌ بشدة الفساد ، وأصل الكلمة من الشدة ، ومنه البأساء ؛ وهو اسم للحرب والمشقة والضرر والشدة ، ومنه ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ [الأعراف: ١٦٥] ؛ أي شديد ، وكل هذا ممّا علّقته عن مشايخ هذه الصنعة .

(١) في (ش) : (تَدْرِي) .

(٢) في (ش) : (تعبير) .

(٣) في (ش) : (العرب) .

(٤) في (ش) : (ديرت) .

(٥) البيت للأخطل في ديوانه ٢١٧ . انظر : لسان العرب ٤/ ٤٨١ - ١٢/ ١٢ .

فأما حكم هاتين الكلمتين وعملهما فقال أبو إسحاق : «إنهما لا يعملان في اسم علم ، إنما يعملان في اسم منكور دال على جنس ، أو اسم فيه ألف ولام يدل على جنس ، وإنما كانتا كذلك ؛ لأن (نعم) مستوفية لجميع المدح ، و(بئس) مستوفية لجميع الذم ، فإذا قلت : نعم الرجل زيداً ، قلت ^(١) : استحق زيد المدح الذي يكون في سائر جنسه ، وكذلك ^(٢) إذا قلت : بئس الرجل ، دللت على أنه قد استوفى الذم الذي يكون في سائر جنسه ، فلم يجوز إذ كان يستوفي مدح الأجناس أن يعمل في غير لفظ جنس ، فإذا كان معهما ^(٣) اسم جنس بغير ألف ولام فهو نصب أبداً ، وإذا كانت فيه الألف واللام فهو رفع أبداً ، وذلك قولك ^(٤) : نعم رجلاً زيداً ، ^(٥) ونعم الرجل زيد ^(٦) ، نصبت النكرة على التشبيه بالمفعول ، وهو بمعنى التمييز ، لأنك إذا قلت : نعم ، جاز أن تذكر رجلاً أو حماراً ، فإذا ذكرت نوعاً ميزته من سائر الأنواع ، وفي نعم ضمير فاعل ؛ لأنه فِعْلٌ ، والفِعْلُ لا يخلو من فاعل ، فصار المميز كالمفعول فلهذا نصب» .

فأما إذا قلت : نِعَمَ الرَّجُلُ ، فليس في نِعَمَ ضمير ، وصار الرجل رفعاً بنِعَمَ . وارتفع زيد من وجهين ، قال سيبويه والخليل ^(٧) : «إن شئت رفعت زيداً ؛ لأنه ابتداء مؤخر ، ويكون نعم وما عملت فيه خبره ، وإن شئت رفعت على أنه خبر

(١) في معاني القرآن : «فقد» .

(٢) ساقطة من (م) .

(٣) في معاني القرآن : «معها» .

(٤) في معاني القرآن : «كقولك» .

(٥) في (ش) : (زيداً) .

(٦) معاني القرآن للزجاج ١/ ١٧٢ ، وقد نقله الواحدي بتصريف يسير . انظر : تهذيب اللغة ١/ ٤١٢ ، واللسان ١/ ٢٠١ ، وتفسير القرطبي ٢/ ٢٤ .

(٧) نقله عنه الزجاج في معاني القرآن ١/ ١٧٢ ، ونقله عن سيبويه : ابن عطية في المحرر ١/ ٣٩١ ، وتفسير القرطبي ٢/ ٢٤٠ .

ابتداءً محذوف ، لأنك إذا قلت : نعم رجلاً ، ونعم الرجل ، لم يُعلم من تعني ، فقلت : زيد ، أي : هو زيد .

وقال الكسائي : «قولك : نعم الرجل ، كالشيء الواحد يرتفع بهما زيد^(١) ؛ لأن قولك : نعم الرجل زيد ، بمعنى : صلح زيد ، فارتفع زيد ، كارتفاع الفاعل» .

قال الفرّاء : «فإن أضفت النكرة التي بعد نِعَمَ إلى نكرة رفعت ونصبت ، فقلت : نعم غلامٌ سَفَرٌ زَيْدٌ ، وغلامٌ سَفَرٌ زَيْدٌ ، فإن أضفت إلى المعرفة شيئاً رفعت ، فقلت : نعم سائسٌ الخيل أخوك ، ولا يجوز النصب إلا أن يضطر إليه شاعر ؛ لأنهم حينَ أضافوا إلى النكرة آثروا الرفع ، فهم إذا أضافوا إلى المعرفة أخرى أن لا ينصبوا»^(٢) .

فإن وصلت (ما) بـ (نِعَمَ وَبُئْسَ) نحو : بُئْسَما ونِعَمًا ، فقال الزَّجَّاج : «(ما) فيهما لغير صلة^(٣) ؛ لأن الصلة توضح ، وتخصص ، والقصد في بُئْسَ^(٤) أن يليها اسم منكور واسم جنس»^(٥) .

فقوله ﴿بُئْسَمَا أَشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ : بُئْسَ شيئاً اشتروا به أنفسهم^(٦) ، قال : «وروى جميع النحويين : بُئْسَما تزويجٌ ولا مهر ، والمعنى فيه : بُئْسَ شيئاً تزويج ولا مهر»^(٧) .

(١) نقله الفرّاء في معاني القرآن عن الكسائي ٥٦ / ١ ، وابن عطية في المحرر ٣٩١ / ١ ، وتفسير القرطبي ٢٤ / ٢ .

قال ابن عطية : «وهذا أيضاً معترض ؛ لأن بُئْسَ لا تدخل على اسم معين متعرف بالإضافة إلى الضمير» .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٥٧ / ١ .

(٣) في معاني القرآن للزَّجَّاج : «بغير» .

(٤) في معاني القرآن للزَّجَّاج : «نعم» .

(٥) في معاني القرآن للزَّجَّاج : «اسم منكور أو جنس» ، وفي الإغفال ٣١٧ : «اسم منكور أو اسم جنس» .

(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١٧٢ / ١ ، ونقله في اللسان (بئس) ٢٠١ / ١ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١٧٣ / ١ ، ونقله في تهذيب اللغة ٤١٢ / ١ ، واللسان ٢٠١ / ١ ، وانظر :

معاني القرآن للفرّاء ٥٨ / ١ .

قال أبو علي: «ما ذكره أبو إسحاق يدل على أن (ما) إذا كانت موصولة لم يجز عنده أن تكون فاعلة نعم وبئس، وذلك عندنا لا يمتنع، وجهة جوازه أن ما اسم مبهم يقع على الكثرة، ولا يخص شيئاً واحداً، كما أن أسماء الأجناس كذلك، وهي تكون للكثرة^(١) والعموم، كما أن أسماء الأجناس تكون للكثرة^(٢)؛^(٣) وذلك نحو قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] فالقصد به هاهنا الكثرة، وإن كان في اللفظ مفرداً؛ يدل ذلك على ذلك قوله: هؤلاء^(٤)».

وتكون (ما) معرفة ونكرة، كما أن أسماء الأجناس تكون معرفة ونكرة.

فأما كونها معرفة فمأنوس به، وأما كونها نكرة فكثير أيضاً، ذكره سيويه في مواضع، وهي و(من) قد تكونان نكرتين في التنزيل والشعر القديم الفصيح. أنشد سيويه:

رَبِّمَا تَكَرَّهُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ لَهُ فَارْجَةٌ كَحَلِّ الْعَقَالِ^(٥)

(١) في الإغفال: «للنكرة».

(٢) في الإغفال: «للنكرة».

(٣) من قوله: «كما أن...» ساقط من (ش).

(٤) في الإغفال، هؤلاء لا يكون للواحد.

(٥) البيت لأمية بن أبي الصلت في ديوانه ٥٠، وفي الكتاب ٣١٥/١، ٤٢٤، وكذا في الخزائنة ٥٤١/٢، ١٩٤/٤، وينسب البيت أيضاً إلى: أبي قيس اليهودي، وابن صرمة اليهودي، وحنيف بن عمر الشكري، ونهار بن أخت مسيلمة الكذاب، ويروى تجزع بدل تكره. انظر: الإغفال ٣١٧، ومغني اللبيب ٢٩٧/١، وشذور الذهب ١٣٢، والأشعموني ٧٠/١، والمفصل ٢/٤، وابن يعيش ٣/٤، وطبقات القراء ٢٩٠/١، وشرح شواهد المغني ٢٤٠، وديوان عبيد بن الأبرص ٨٦.

وقال :

يَا رَبِّ مَنْ يُبْغِضُ أَذْوَادَنَا رُحْنَ عَلَى بَغْضَائِهِ وَاعْتَدَيْنِ^(١)^(٢)
وتأول سيبويه قوله تعالى : ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عِتَدٌ﴾ [ق: ٢٣] على أن تكون معرفةً ،
وعلى أن تكون نكرةً ، مثل : هذا شيء لدي عتيد ، فإنها يتخلص بعض ذلك من
بعض ، بدلالة من غير جهة اللفظ ؛ لأن اللفظ محتمل لما أعلمتك في اللغة^(٣) .

فقوله : ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ يجوز عندي أن تكون (ما) موصولة ،
وموضعها رفع بكونها فاعلة لـ (بئس) ، ويجوز أن تكون منكورةً ، ويكون
(اشترؤا) صفة غير صلة^(٤) ، وحينئذ تكون (ما) منصباً . وتقول : نعم ما صنعت ،
وبئسما صنعت ، إن شئت كانت (ما) منصوبة ، كأنك قلت : نعم شيئاً صنعت ،
وإن شئت كانت مرفوعة ، كأنك قلت : بئس الشيء صنعت .

ولا يجوز أن يليهما (الذي) ؛ لأن الألف واللام لا يفارقانه ، وهما يعملان
في ما عُرِّف بالألف واللام ، وجاز طرحهما منه . قال الفراء : «ويجوز أن تجعل
(ما) مع نعم وبئس بمنزلة كلمة واحدة في غير هذه الآية ، فيكون مثل كلما ،
وإنما ، كما جعلت (ذا) مع حب كلمة واحدة ، فقالوا : حبذا . من ذلك قوله :
﴿إِنْ تَبَدُّوا لَصَدَقْتَ فَنِعْمَ هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١] رفعت هي بنعم ، ولا يجوز
(حينئذ)^(٥) تأنيث نعم ، كما لا يجوز تأنيث حبذا^(٦)» ، قال : «ويجوز أن تجعل

(١) البيت تقدم تخريجه .

(٢) في الإغفال ٣١٧ ، ٣١٨ بتصرف ، وقد لخصه القرطبي في تفسيره ٢٤ / ٢ .

(٣) في الإغفال ٣١٩ .

(٤) في الإغفال ٣١٩ .

(٥) ساقطة من (م) .

(٦) معاني القرآن للفراء ١ / ٥٧ .

(ما) فيه حشواً وصلّةً ، كما قال : عما قليل^(١) ، وإذا جعلت (ما) صلةً جاز فيه التأنيث^(٢) ، تقول : بئست ما جاريةً جاريته^(٣) .

ومعنى الاشتراء هاهنا : البيع . والاشترء والشرء والبيع كله من الأضداد ، ويقال : اشتريته ؛ أي بعته ، واشتريته ؛ أي ابتعته ، وكذلك : شريته في المعنيين ، وكذلك : بعته ، قال الله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ [يوسف : ٢٠] ؛ أي باعوه^(٤) ، وقال يزيد بن المفرّغ :

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ بَرْدٍ صِرْتُ هَامَةً^(٥)

أي بعته . قال الفرّاء : « وتقول بع لي بدرهم تمرًا ، أي : اشتر لي » ، وأنشد :

وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبِعْ لَهُ بَتَاتًا وَلَمْ تَضَرْبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدٍ^{(٦)(٧)}

(١) في معاني القرآن للفرّاء ٥٧ / ١ : « عما قليل آتاك » .

(٢) في معاني القرآن للفرّاء ٥٧ / ١ : « جاز فيه التأنيث والجمع ، فقلت : بثما رجلين أنتما ، بئست ما جارية جاريته » .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٥٨ / ١ بتصرف ، وقد ذكر الأقوال في إعراب (ما) في هذه الآية الطبري في تفسيره ٤١٣ / ١ ، ٤١٤ ، والعكبري في التبيان ٧٤ ، وأبو حيان في البحر : ٣٠٤ / ١ ، ٣٠٥ ، وخلاصته : اختلف في (ما) : ألها موضع من الإعراب أم لا ؟ فذهب الفرّاء إلى أنه بجملة شيء واحد ، وظاهره أن لا موضع لها من الإعراب ، والجمهور على أن لها موضعاً من الإعراب ، واختلفوا : أموضعها نصب أم رفع ؟

(٤) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٥٦ / ١ ، واللسان (شرى) ٢٢٥٣ / ٤ ، وذكر في البحر المحيط ٣٠٥ / ١ أن اشتروا هنا بمعنى باعوا عند الأكثرين ، وفي المنتخب أنه على بابه ؛ لأن المكلف إذا خاف على نفسه من العقاب أتى بأعمال يظن أنها تخلصه ، وكأنه قد اشترى نفسه بها . قال أبو حيان : « ويرد عليه ﴿ بَعْيًا أَنْ يُزِيلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ » ، حيث فعلوا ذلك على سبيل البغي والحسد .

(٥) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري في ديوانه ٢١٣ ، ولسان العرب (شرى) ٢٢٥٢ / ٤ .

(٦) البيت لطرفة بن العبد في ديوانه ٤١ .

(٧) معاني القرآن للفرّاء ٥٦ / ١ ، وقال : « وللعرب في شروا واشتروا مذهبان ، فالأكثر منهما أن يكون شروا : باعوا ، واشتروا : ابتاعوا ، وربما جعلوهما جميعاً في معنى باعوا ، وكذلك البيع ، يقال : بعث الثوب ، على معنى : أخرجته من يدي ، وبعته : اشتريته ، وهذه اللغة في تميم وربيعه » . انظر : البحر المحيط ٣٠٥ / ١ .

ومعنى الآية : بئس الشيء باعوا به أنفسهم الكفر ؛ يريد أنهم اختاروا الكفر وأخذوه ، وبذلوا أنفسهم للنار ؛ لأن اليهود خصوصاً علموا صدق محمد ﷺ ، وأن من كذبه فالنار عاقبته ، فاختاروا الكفر ، وسلّموا أنفسهم إلى النار ، فكان ذلك كالبيع منهم^(١) . وقال المفسرون : «في الآية إضمار معناه بئسما باعوا حظ أنفسهم بالكفر ، هكذا قالوا»^(٢) ، وعلى هذا تكون الآية من باب حذف المضاف ، وعلى ما قلنا أولاً تصح الآية من غير إضمار .

وقوله تعالى : ﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ : قال الزّجاج : «موضع أن رفع ، المعنى : ذلك الشيء المذموم أن يكفروا»^(٣) ، على تقدير : بئس الشيء اشتروا به أنفسهم الكفر ، فيكون كقولك : بئس الرجل زيد ، على الاختلاف الذي حكينا عن سيبويه والخليل والكسائي في رفع زيد ، وقال الفراء : «يجوز أن يكون محله جراً بدلاً من المكني في (به) ، كأنك قلت : اشتروا أنفسهم بالكفر»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ : يعني القرآن^(٥) .

﴿بَغِيًّا﴾ : أصلُ البغي في اللغة : الظلم والخروج عن النّصفَةِ والحدِّ ، يقال : بَغَى الفرس في عدوه ، إذا اختال ومرح ، وإنه ليبغي ، ولا يقال : فرس باغ ، وبغى

(١) انظر : تفسير الطبري ١/ ٤١٤-٤١٦ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٠٣٢ ، وتفسير ابن كثير ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) تفسير الثعلبي ١/ ١٠٣٢ .

(٣) معاني القرآن للزّجاج ١/ ١٧٢ .

(٤) معاني القرآن للفراء ١/ ٥٦ ، ونصه : «أن يكفروا ، في موضع خفض ورفع ، فأما خفضه فأن ترده على الهاء التي في به ، على التكرير على كلامين ، كأنك قلت : اشتروا أنفسهم بالكفر . وأما الرفع فأن يكون مكروراً أيضاً على موضع ما التي تلي بئس» . اهـ . انظر في إعراب الآية : التبيان للعكبري ٧٥ ، حيث ذكر القولين السابقين وزاد : وقيل : «هو مبتدأ ، وبئس وما بعدها خبر عنه» .

(٥) تفسير الثعلبي ١/ ١٠٣٢ .

الْجُرْحُ يَبْغِي بَغِيًّا ، إِذَا وَرَمَ وَكَثُرَ فِيهِ الْمِدَّةُ^(١) ، وَبَعَتْ السَّمَاءُ ، إِذَا كَثُرَ مَطَرُهَا حَتَّى تَجَاوَزَ الْحَدَّ ، وَبَغَى الْوَادِي ، إِذَا بَلَغَ الْمَاءُ مِنْهُ مَوْضِعًا لَمْ يَبْلُغْهُ قَبْلَ .

وَقَالَ قَوْمٌ : «أَصْلُ الْبَغْيِ : الطَّلَبُ»^(٢) ، يُقَالُ : بَغَى الشَّيْءَ ، إِذَا طَلَبَهُ ، وَأَبْغَاهُ ، أَعَانَهُ عَلَى الطَّلَبِ . وَالْبَغْيُ : الَّتِي تَطْلُبُ الزَّنا ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْأَمَةِ : بَغْيٌ . وَمَا يَنْبَغِي كَذَا ، أَيْ : لَيْسَ بِصَوَابٍ طَلَبُهُ ، وَالْبَغْيُ : شِدَّةُ الطَّلَبِ لِلتَّطَاوُلِ»^(٣) .

قَالَ الْمَفْسُرُونَ : «الْبَغْيُ ، هَاهُنَا ، بِمَعْنَى الْحَسَدِ»^(٤) .

قَالَ اللَّحْيَانِيُّ^(٥) : «بَغَيْتَ عَلَى أَخِيكَ بَغِيًّا ، أَيْ : حَسَدْتَهُ ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ لِيَنْصُرْنَهُ اللَّهُ﴾ [الحج : ٦٠] ، وَقَالَ : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [الشورى : ٣٩] فَالْبَغْيُ أَصْلُهُ الْحَسَدُ ، ثُمَّ سُمِّيَ الظُّلْمُ بَغِيًّا ؛ لِأَنَّ الْحَاسِدَ يَظْلِمُ الْمَحْسُودَ جَهْدَهُ إِرَادَةَ زَوَالِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَنْهُ»^(٦) .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : «إِنَّ كُفْرَ الْيَهُودِ لَمْ يَكُنْ شَكًّا وَلَا شَيْئًا اشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ ، وَلَكِنْ بَغِيًّا مِنْهُمْ ، حَيْثُ صَارَتِ النُّبُوَّةُ فِي وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»^(٧) .

(١) الْمِدَّةُ بِكَسْرِ الْمِيمِ : الْقِيحُ ، وَهِيَ الْغَثِيثَةُ الْغَلِيظَةُ ، وَأَمَّا الرِّقِيقَةُ فَهِيَ صَدِيدٌ ، وَأَمَدُ الْجُرْحِ إِمْدَادًا ، صَارَ فِيهِ مِدَّةٌ . انْظُرْ : الْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ ٥٦٧ .

(٢) قَالَ فِي مَقَائِيسِ اللُّغَةِ ١/ ٢٧٢ : «الْبَاءُ وَالْغَيْنُ وَالْيَاءُ أَصْلَانِ : أَحَدُهُمَا : طَلَبُ الشَّيْءِ ، وَالثَّانِي : جِنْسٌ مِنَ الْفُسَادِ» .

(٣) انْظُرْ فِي مَعَانِي الْبَغْيِ : تَهْذِيبُ اللُّغَةِ ١/ ٣٦٧ ، وَمَقَائِيسُ اللُّغَةِ ١/ ٢٧١ ، ٢٧٢ ، وَالْمَفْرَدَاتُ لِلرَّاغِبِ ٦٥ ، وَاللِّسَانُ ١/ ٣٢٣ .

(٤) انْظُرْ : الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ١/ ٤١٥ ، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَّاجِ ١/ ١٧٣ ، وَزَادَ الْمَسِيرَ ١/ ١١٤ ، وَتَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ ٢/ ٢٥ .

(٥) هُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ حَازِمٍ ، وَقِيلَ : عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ ، تَقَدَّمَ تَرْجُمَتُهُ [البقرة : ١٠] .

(٦) مِنْ تَهْذِيبِ اللُّغَةِ ١/ ٣٦٧ .

(٧) لَمْ أَجِدْهُ هَذَا اللَّفْظَ ، لَكِنْ قَرِيبٌ مِنْهُ عِنْدَ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١/ ١٧٣ .

وانتصابه على المصدر ؛ لأن ما قبله من الكلام يدل على بَعُوا ، فكأنه قيل : (١)
بَعُوا بغياً^(٢) .

وقال الزَّجَّاج : « انتصب ؛ لأنه مفعول له ، كما تقول : فعلت ذلك حِذَارَ الشرِّ ، أي : لحذر الشر^(٣) ، ومثله من الشعر قول حَاتِم^(٤) :

وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادِّخَارُهُ وَأُعْرِضُ عَنْ شَتَمِ اللَّئِيمِ تَكْرُّمًا^(٥)
المعنى : لادخاره ، وللتكْرُم^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ ﴾ : موضع (أَنْ) نصب ؛ لأن المعنى أن تكفروا بما أنزل الله ؛ لأن ينزل الله من فَضْلِهِ ؛ أي كفروا لهذه العلة ، فهو كما ذكرنا في بيت حَاتِم ؛ لأنهم كفروا لإنزال الله عليه ، كما أنه يغفر العوراء لادِّخاره ، هذا قول الزَّجَّاج^(٧) . وأظهر منه أن تجعل ﴿ أَنْ يُنَزِّلَ ﴾ مفعولاً للبغي ، كأن معناه : حسداً إنزال الله ؛ لأن البغي ، هاهنا ، بمعنى الحسد ، وأنت تقول : حَسَدْتُ زيدا ماله وفضله^(٨) .

(١) في (ش) : (قال) .

(٢) انظر : التبيان للعكبري ٧٥ .

(٣) والعامل فيه : يكفروا ؛ أي كفرهم لأجل البغي ، أو يكون العامل فيه : اشترؤا . انظر : البحر المحيط ٣٠٥ / ١ .

(٤) هو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني ، فارس شاعر جواد ، جاهلي يضرب المثل بجوده ، كان من أهل نجد ، شعره كثير ضاع معظمه . انظر : الشعر والشعراء ١٤٣ ، والأعلام ١٥١ / ٢ .

(٥) تقدم تخريج البيت [البقرة : ١٨] .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ١٧٠٣ .

(٧) بتصرف من معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ١٧٣ ، وانظر : التبيان ٧٥ . قال : « وقيل : التقدير : بغياً على ما أنزل الله ، أي : حسداً على ما خص الله به نبيه من الوحي » .

(٨) وقيل : « التقدير : بغياً على أن ينزل الله » ؛ لأن معناه : حسداً على أن ينزل الله ، فحذفت على ، وقيل : أن ينزل في موضع جرٍّ على أنه بدل اشتغال من (ما) في قوله بما أنزل الله ؛ أي : بتنزيل الله . انظر : البحر المحيط .

وقوله تعالى: ﴿فَبَاءُوا بِعَصَبٍ عَلَىٰ عَصَبٍ﴾ : قال ابن عباس : «الغضب الأول : تضييعهم التوراة ، والثاني : بكفرهم بهذا النبي الذي أحدث الله فيهم»^(١) .

وقال قتادة : «الأول : بكفرهم بعيسى والإنجيل ، والثاني : بكفرهم بمحمد والقرآن»^(٢) .

وقال أهل المعاني : «أي : يآثم استحقوا به النار على إثم تقدم استحقوا به النار»^(٣) .

٩١ . وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : أَيُّ لِّلْهُودِ ، وَ﴿وَإِذَا﴾ عند النحويين وقت للفعل الذي هو جواب ، كما تقول : «إذا جئتني وصلتك» ، أخبرت أنك تصله وقت مجيئه ، وليس كذلك إن ؛ لأنك إذا قلت : «إن جئتني وصلتك» ، يصلح أن تصله بعد وقت المجيء^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ : يعني القرآن ، ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ يعني التوراة^(٥) .

(١) رواه الطبري في تفسيره ٤١٧/١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٣/١ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٠٣٢/١ . قال ابن أبي حاتم : «وروي عن عكرمة ومجاهد وعطاء وقتادة وابن أبي خالد نحو ذلك» ، وقد ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ١١٤/١ خمسة أقوال في الآية ، والخلاف فيها من قبيل اختلاف التنوع .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ٣٤٦/٢ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٠٣٣/١ ، وعزاه السيوطي في الدر ٢١٨/١ إلى عبد بن حميد ، وروى الطبري ، وابن أبي حاتم عن أبي العالية نحوه .

(٣) هذا كلام الزجاج في معاني القرآن ١٧٤/١ ، وروى ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٤/١ عن سعيد بن جبير في قوله : (فباؤوا بغضب على غضب) يقول : «استوجبوا سخطاً على سخط» ، وقال القرطبي في تفسيره ٢٩/٢ : «وقال قوم : المراد التأييد وشدة الحال عليهم ، لأنه أراد غضبين معللين بمعصيتين» . انظر : البحر المحيط ٣٠٦/١ .

(٤) انظر : معاني (إذا) في : مغني اللبيب ٨٧/١-١٠١ .

(٥) تفسير الثعلبي ١٠٣٣/١ .

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ : قال ابن الأنباري : «يجوز أن يكون هذا إخباراً من الله - عز وجل - عن اليهود ، وتم الكلام عند قوله : ﴿بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ ، ثم ابتداء بالإخبار عنهم ، فقال : ^(١) ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ ^(٢) . والدليل على انقطاع الكلام الأول : الانصرافُ عن الإخبار عن النفس إلى الحديث عن الغيب . ويجوز أن يكون ^(٣) حكاية عن اليهود أنهم قالوا ذلك ، وتأويله : نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا ، وَيَكْفُرُونَ ^(٤) بِمَا وَرَاءَهُ ، فردَّ الفعل الثاني إلى الغيبة ، كما تقول العرب : «قال عبدالله : لأَقُومَنَّ ، وقال عبدالله ليقومن» ، فالألف : لمعنى الإخبار ، والياء : لمعنى الغيبة ^(٥) ، وكذلك تقول العرب : «استحلقت عبدالله : لأَقُومَنَّ ، وليقومنَّ ، ولتقومنَّ» .

فمن قال : لأَقُومَنَّ أراد : قلت له : قل لأَقُومَنَّ ، ومن قال بالتاء أخرجه على معنى الخطاب .

ومن قال بالياء أخرجه على لفظ عبدالله ؛ لأنه غائب . قال الشاعر ^(٦) :

يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْكَ دَخْتُنُوسُ ^(٧) إِذَا أَتَاكَ الْخَبْرُ الْمَرْمُوسُ
أَتَحْلِقُ الْقُرُونُ أَمْ تَمِيسُ لَا بَلْ تَمِيسُ إِنَّهَا عَرُوسُ ^(٨)

(١) ساقطة من (ش) .

(٢) في (ش) : (تكفرون) .

(٣) في (ش) : (تكون) .

(٤) في (ش) : (ونكفر) .

(٥) من قوله : «كما تقول العرب . . .» ساقط من (ش) .

(٦) البيتان للقيط بن زُرارة كما في اللسان ١٧٢٨/٣ ، وتهذيب اللغة ١٤٦٧/٢ ، ورواية التهذيب : يا

ليت شعري اليوم . . . إذا أتاهها الخبر . المرموس : المكتوم ، وتميس : تتبختر .

(٧) في (ش) : (وختنوس) .

(٨) الرجز للقيط بن زُرارة في لسان العرب (رمس) ١٠١/٦ ، وتاج العروس (دختنس) ٢٧٩/٨ ،

والمعجم المفصل ٢٨٢/١٠ .

فقدم أفعالاً على المخاطبة ، ثم رجع إلى الغيبة على ما وصفنا .

ومعنى ﴿بِمَا وَرَاءَهُ﴾ بما سواه ، قال الفرّاء : «وذلك كثير في العربية يتكلم الرجل بالكلام الحسن ، فيقول السامع : ليس وراء هذا الكلام شيء ، يريد ليس سوى هذا الكلام شيء»^(١) .

ويحتمل ﴿بِمَا وَرَاءَهُ﴾ بما بعده ؛ أي ما بعد التوراة ، يريد : الإنجيل والقرآن ، وهذا كقوله : ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] ؛ أي ما بعده ، وما سواه .

وقوله تعالى : ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾^(٢) مثله^(٣) . أبو العباس ، عن ابن الأعرابي في قوله : ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ قال : «بما سواه»^(٤) . وسنذكر الكلام في (وراء) عند قوله : ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلَكٌ﴾ [الكهف: ٧٩] ، وقوله : ﴿وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾ [هود: ٧١] ، وقوله : ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾ [مريم: ٥] إن شاء الله .

وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ : (هو) كناية عما في قوله : ﴿بِمَا وَرَاءَهُ﴾ .

و(ما وراءه) يجوز أن يكون واقعاً على الإنجيل والقرآن ، فأفرد الله القرآن بقوله : ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ تفصيلاً له وتخصيصاً^(٥) .

ويجوز أن يكون (هو) كناية عن محمد ﷺ ؛ لأن الله تعالى لما ذكر الإنزال والمنزل دلاً على المنزل عليه ، فكان كالظاهر .

(١) معاني القرآن للفرّاء ١ / ٦٠ .

(٢) جزء من آية وردت في سورة [المؤمنون: ٧] ، [المعارج: ٣١] .

(٣) انظر : البحر المحيط ١ / ٣٠٧ .

(٤) نقله عنه في تهذيب اللغة ٤ / ٣٨٧٩ ، واللسان ٨ / ٤٨٠٧ . انظر : تفسير القرطبي ٢ / ٢٥ ، والبحر المحيط ١ / ٣٠٧ .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ١ / ١٠٣٣ ، والبحر المحيط ١ / ٣٠٧ .

قال أبو إسحاق : « في قوله : ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ﴾ دلالة على أنهم قد كفروا بما معهم ، إذ كفروا بما يُصَدِّقُ ما معهم . قال : « ونصبت ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ على الحال^(١) ، ومثله قولك : هو زيد معروفاً ، فـ (معروف) حال ؛ لأنه إنما يكون زيداً بأنه يعرف بزيد ، وكذلك تقول : القرآن هو الحق ، إذا كان مصدقاً لكتب الرُّسُلِ صلى الله عليهم . »

وقوله تعالى : ﴿ فَلِمَ تَقُولُونَ أَنِّي أَخَذْتُ ﴾ : هذا تكذيب من الله تعالى لهم في قولهم : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ ؛ أي : أيُّ كتاب جوِّز فيه قتل نبي ؟ وأيُّ دين وإيمان جوِّز فيه ذلك^(٢) ؟

وأضاف القتل هاهنا إلى المخاطبين ، وإن كان آباؤهم قتلوا ؛ لأنهم كانوا يتولون الذين قتلوا فهم على مذهبهم ، وإذا كانوا على ذلك المذهب فقد شركوهم . قال ابن عباس : « كلما عُمِلَت مَعْصِيَةٌ ، فمن أنكرها برئ ، ومن رضي بها كان كمن شهدها »^(٣) .

وقال ابن الأنباري : « تأويله : فلم توليتم آباءكم القاتلين ورضيتم ما كانوا عليه ، وصوبتم أفعالهم . والمراد بلفظ الاستقبال هاهنا : الماضي^(٤) ، وجاز ذلك ؛ لأنه لا يذهب الوهم إلى غيره ؛ لقوله : ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ ، ودليل هذا قوله : ﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالْأَذَى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٨٣] .

(١) معاني القرآن ١٧٤ / ١ بتصرف ، وانظر : تفسير الثعلبي ١٠٣٤ / ١ .

(٢) تفسير الثعلبي ١٠٣٤ / ١ .

(٣) ذكره في الوسيط ، ولم أجده عنه في التفاسير المسندة ، وفي معناه حديث أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : « إنها ستكون أمراء ، تعرفون وتنكرون ، فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ، ولكن من رضي وتابع » . رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٦٢١ / ٨ ، وقوله ﷺ : « إن الخطيئة إذا عملت في الأرض كان من غاب عنها ورضيها كمن حضرها ، ومن شهدها وسخطها كان كمن غاب عنها وأنكرها » . رواه أبو داود .

(٤) انظر : تفسير القرطبي ٢ / ٢٥ ، ٢٦ .

ومما وُضِع فيه المستقبل موضع الماضي قوله تعالى : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ﴾ [البقرة: ١٠٢] وسنذكره في موضعه ، ومثل هذا قولك للرجل تُعَنِّفُ بما سلف من قبيح فعله : ويحك ، لِمَ تكذب ؟ لِمَ تُبَغِّض نفسك إلى الناس ؟ كأنه قيل : لِمَ هذا من شأنك ^(١) ؟ قال الفراء : «وذلك كثير في الكلام ، أنشدني بعض العرب :

إِذَا مَا انْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِي لثِيْمَةً وَلَمْ تَجِدِي مَنْ أَنْ تُقَرِّي بِهَا بُدًّا» ^(٢) .

يعني : أن الولادة قد مضت ، وقد عبَّر عنها بجواب الجزاء ، وذلك يكون في الاستقبال ، كما تقول : «إِذَا مَا جِئْتَنِي لَمْ أَضْرِبْكَ» ، لم يوجد المجيء ولا الضرب ^(٣) ، فالجزاء للمستقبل ، والولادة قد مضت ؛ وذلك أن المعنى معروف ^(٤) يدل عليه ، فجاز ذلك . والذي يدل على أن المراد بما في الآية الماضي أن (لم) معناه التعنيف ، وأنت إنما تُعَنِّف الرجل بما سلف من فعله ^(٥) .

(١) معاني القرآن للفراء ١/ ٦٠ ، ٦١ ، ونقله الطبري في تفسيره ١/ ٤٢٠ .

(٢) البيت لزائد بن صعصعة الفقعسي يُعَرِّض بزوجته ، وكانت أمها سرية ، وذكره الفراء في معاني القرآن ١/ ٦١ ، ١٧٨ ، ولم ينسبه ، وكذا الطبري في تفسيره ١/ ٣٢٨ ، ٤٢٠ ، ٧٣/ ٣ .

(٣) من قوله : «يعني أن الولادة» ساقط من (ش) .

(٤) معاني القرآن للفراء ١/ ٦١ ، ومن قوله : «يعني أن الولادة» إلى قوله : «ولا الضرب» من كلام الواحدي ، في تفسيره .

(٥) معاني القرآن للفراء ١/ ٦١ ، ونقله الطبري في تفسيره عنه ١/ ٤٢ ، ذكر جواباً آخر هو أن معناه : «فلَمْ قتلتم أنبياء الله من قبل» ، مثل قوله تعالى : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ﴾ ؛ أي ما تلت ، وقول الشاعر :

ولقد أمرُّ على اللثيم يسبُّني فمضيتُ عنه وقلتُ لا يعنيني

يريد بقوله : (ولقد أمر) : ولقد مرت . اهـ . قال في البحر المحيط ١/ ٣٠٧ نقلاً عن ابن عطية : «فائدة سوق المستقبل في معنى الماضي الإعلام بأن الأمر مستمر ، ألا ترى أن حاضري محمد ﷺ ولما كانوا راضين بفعل أسلافهم بقي لهم من قتل الأنبياء جزء» .

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: (إِنْ) بمعنى الشرط، وجوابها قبلها، يراد به: إن كنتم مؤمنين، فلم تقتلون أنبياء الله؟ لأنه ليس سبيل المؤمنين أن تقتلوا الأنبياء، ولا أن يتولوا قاتليهم^(١).

٩٢. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ﴾: اللام في (لقد) لام القسم^(٢)، ولا يجوز أن تكون لام الابتداء؛ لأن لام الابتداء لا تلحق إلا الاسم أو ما كان بمنزلة الاسم من المضارع.

والمراد بالبينات في هذه الآية ما ذكره في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١]؛ وهي العصا، واليد، وفلق البحر، والجراد، والقمل^(٣)، والضفادع، والدم، ورفع الطور، وإحياء الميت ببعض البقرة^(٤).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعَجَلَ﴾: المراد بـ (ثُمَّ) هاهنا: الاستعظام لكفرهم مع ما رأوا من الآيات التي أتى بها موسى عليه السلام.

٩٣. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَسْمِعُوا﴾؛ أي ما فيه من حلاله وحرامه، ﴿فَالُوا سَمِعْنَا﴾ ما فيه، ﴿وَعَصَيْنَا﴾ ما أمرنا به، هذا هو الظاهر.

(١) استظهر هذا الوجه أبو حيان في البحر المحيط ٣٠٧/١، وقال: «ويكون الشرط وجوابه قدكرر مرتين على سبيل التوكيد، لكن حذف الشرط من الأول وأبقى جوابه، وهو فلم تقتلون، وحذف الجواب من الثاني وأبقى شرطه».

(٢) انظر: تفسير القرطبي ٢٧/٢.

(٣) القمل: قال ابن عباس: «وهو السوس الذي يخرج من الحنطة، وعنه: أنه الدبى وهو الجراد الصغار الذي لا أجنحة له»، وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة، وقال الطبري في تفسيره ٣٣/٩: «القمل: جمع، واحدها قملة، وهي دابة تشبه القمل، تأكلها الإبل في ما بلغني». انظر: تفسير ابن كثير ٧٠٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٤٢١/١، والبحر المحيط ٣٠٨/١، إلا أنه عد بدل الأخيرين: السنين، والطوفان.

وقال أهل المعاني : «معنى (اسمعوا) هاهنا : استجيبوا وأطيعوا ، عبّر بالسمع ؛ لأنه سبب الإجابة والطاعة^(١) ، وقد يُعبّر عنهما بالسمع كقول الشاعر :
دعوتُ اللهَ حتى خِفْتُ أن لا يكونَ اللهُ يَسْمَعُ ما أقولُ^(٢)
أي يجيب»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ : بعض المفسرين يقولون إنهم تلفظوا بهذه اللفظة ، فقالوا : ﴿سَمِعْنَا﴾ لما أطلَّ الجبل فوقهم ، فلما كُشف عنهم قالوا : ﴿وَعَصَيْنَا﴾^(٤) .

وقال الحسن : «قالوا : سمعنا بألستهم ، وعصينا بقلوبهم»^(٥) .

فقال أهل المعاني : «إنهم لم يقولوا هذا بألستهم ، ولكنهم لما سمعوا الأمر ، وتلقّوه بالعصيان نسب ذلك منهم إلى القول اتساعاً^(٦) ، كقول الشاعر :

وَمَنْهَلٍ ذَبَّانُهُ فِي غَيْطَلٍ يَقْلُنَ لِلرَّائِدِ أَعْشَبَتْ أَنْزِلُ^(٧)

-
- (١) انظر : تفسير الطبري ٤٢٢/١ ، وتفسير الثعلبي ١٠٣٤/١ ، وتفسير القرطبي ٢٧/٢ .
(٢) البيت لشُمَيْر بن الحارث الضبي في تاج العروس (سمع) ٢٢٧/١١ ، ونوادر أبي زيد ١٢٤ ، وبلا نسبة في تفسير الثعلبي ١٠٣٤/١ ، ولسان العرب ٢٠٩٥/٤ .
(٣) تفسير الثعلبي ١٠٣٥/١ .
(٤) بنحوه عن ابن عباس كما في البحر المحيط ٣٠٨/١ ، واستحسنه أبو حيان ، قال : «لأننا لا نصير إلى التأويل مع إمكان حمل الشيء على ظاهره لا سيما إذا لم يقدّم دليل على خلافه» . اهـ . وحكى الواحدى في الوسيط ١٧٦/١ «إن المفسرين اتفقوا على أنهم قالوا (سمعنا) لما أطلَّ الجبل فوقهم ، فلما كشف عنهم قالوا (عصينا)» .
(٥) ذكره في الوسيط ١٧٦/١ ، وذكره في البحر المحيط ٣٠٨/١ ، ولم ينسبه .
(٦) تفسير الثعلبي ١٠٣٥/١ ، عزاه إلى أهل المعاني .
(٧) البيت لأبي النجم العجلي . انظر : الحيوان ٣/٣١٤ ، ٢٥٩/٧ ، وذكر الشطر الآخر منه في تهذيب اللغة ٣/٢٤٤٨ ، واللسان ٥/٢٩٥١ ، والتاج ٢/٢٣٣ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٠٣٥/١ بلا نسبة . الغيطل : شجر ملتف أو عشب ملتف .

وقال امرؤ القيس :

نواعِمُ يُتْبَعْنَ الهوى سُبُلَ الردى يَقْلَنَ لأهلِ الحِلْمِ ضِلَالٌ بِتَضْلَالٍ^(١).

قالوا : «المعنى : يُضِلُّونَ ذا الحِلْمِ ، وليس الغرض حكاية قولهن» .

وقوله تعالى : ﴿وَأَشْرِبُوا﴾ : الإِشْرَابُ في اللُّغَةِ خَلَطُ لونٍ بلون ، يقال : أبيض مُشْرَبٌ مُحْمَرَّةً ، إذا كان يعلوه مُحْمَرَّةٌ^(٢) . المازني^(٣) : «الإِشْرَابُ : الخلط ، يقال : أَشْرَبَ ذَا بَذَا ، وهو مشربٌ مُحْمَرَّةٌ إذا خالطت لونه مُحْمَرَّةً» ، اللحياني : «يقال : فيه شُرْبَةٌ من الحُمرة ، إذا كان يُخالطه مُحْمَرَّةٌ»^(٤) .

وقال أبو عبيدة^(٥) ، والزَّجَّاجُ^(٦) : «معناه سُقُوا حُبَّ العِجْلِ ، وأصل الإِشْرَابِ : السَّقْيُ ، واستُعملَ في اللون المختلط بغيره تشبيهاً بالسَّقْيِ ؛ لأنه يقال للمشرب مُحْمَرَّةً : إنه لمسَقْيِي الدم» . والمعنى هاهنا أنهم خلطوا بحُبِّ العجل حتى اختلط بهم ، ثم بيَّن أن محلَّ ذلك الحُبِّ قلوبهم ، وأن الخلط حصل فيها ، فأضاف أولاً إلى الجملة ، ثم خص القلوب ، كما تقول : «ضربوا على رؤوسهم» ، أضفت الضرب أولاً إليهم ، ثم بيَّنت محلَّ الضَّرْبِ ، وإنما ذكره بلفظ الإِشْرَابِ إخباراً عن رسوخ ذلك الحُبِّ في قلوبهم كإِشْرَابِ اللَّوْنِ لِشِدَّةِ الملازمة^(٧) .

(١) البيت لامرئ القيس في ديوانه ١٢٦ .

(٢) انظر : تاج العروس ١٠٣/٢ .

(٣) هو أبو عثمان بكر بن بنية ، وقيل : بكر بن محمد بن عدي بن حبيب المازني ، تقدمت ترجمته .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ١٨٤٨/٢ ، واللسان (شرب) ٢٢٢٤/٤ .

(٥) في مجاز القرآن ٤٧/١ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاجِ ١٧٥/١ ، وانظر : تهذيب اللغة ١٨٤٨/٢ ، واللسان ٢٢٢٤/٤ .

(٧) انظر : الزاهر ١٠١/٢ ، وغريب القرآن ٤٨ ، والبحر المحيط ١٨٤٨/٢ . قال : «وإنما عبر عن حب العجل بالشرب دون الأكل ، لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها وأما الطعام ، فقالوا : هو مجاور لها غير متغلغل فيها ، ولا يصل إلى القلب منه إلا اليسير» .

وقوله تعالى : ﴿أَعَجَلْ﴾ : أراد حُبَّ العجل فحذف المضاف ^(١) كقوله :
 ﴿وَسَّالِ الْقَرْيَةَ﴾ ^(٢) [يوسف : ٨٢] ، ﴿وَلَكِنَّ اللَّيْلَ مِنْ أَمَنْ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وكقول
 الشاعر :

وكيف تُوَاصِلُ مَنْ أَصْبَحَتْ خِلَا لَتُهُ كَأَبِي مَرْحَبٍ ^(٣)
 وأنشد الفراء :

حَسِبْتُ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقًا وَمَا هِيَ وَيَبَ غَيْرِكِ بِالْعَنَاقِ ^(٤)
 وقوله تعالى : ﴿يَكْفُرْهُمْ﴾ : قال بعضهم : «أي باعتقادهم التشبيه ؛
 لأنهم طلبوا ما يتصور في نفوسهم» ^(٥) ، وقال الزَّجَّاج : «معناه فعل الله ذلك
 مجازاة لهم على الكفر ، كما قال : ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء : ١٥٥]» ^(٦) .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ١٧٥ ، ونقله في اللسان ٤/ ٢٢٢٤ ، وقال في البحر المحيط ١/ ٣٠٩ :
 «وأُسند الإشراب إلى العجل مبالغة كأنه بصورته أشربوه» .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ١/ ٦١ ، والطبري في تفسيره ١/ ٤٢٣ .

(٣) البيت للنابغة الجعدي . انظر : ديوانه ٢٦ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٠٣٥ ، والكتاب لسيبويه ١/ ١١٠ ،
 وأُمالي القاضي ١/ ١٩٢ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٩٣ ، ١٧٥ ، ولسان العرب (أشرب) ٤/ ٢٢٢٤ ،
 (برد) ١/ ٢٥٢ . قال ابن منظور : «وأبو مرحب كنية الظل والظل منتقل ، ويقال : هو كنية عرقوب ،
 الذي قيل عنه : مواعيد عرقوب ، والمراد على الأول : كيف تصاحب من لا يدوم على مودة ، وإنما هو
 منتقل غير ثابت» .

(٤) البيت لذي الخرق الطهوي . انظر : معاني القرآن للفراء ١/ ٦٢ ، ولسان العرب (بغم) ١/ ٣٢٠ ،
 (عقا) ٥/ ٣٠٥٣ . يخاطب الشاعر ذئباً تبعه في طريقه ، وقبله :

ألم تعجب لذئبٍ باتٍ يسري ليؤذَنَ صاحباً له باللاحاقِ
 ويب : كلمة مثل : ويل ، تقول : ويك وويب زيد ، معناه : أَلْزَمَكَ الله ويلاً ، نصب المصدر ، ويُغام
 الناقة : صوت لا تفصح به ، والعناق : الأنثى من المعز . وقوله : «حَسِبْتُ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقًا» : أي
 بغام عناق .

(٥) انظر : البحر المحيط ١/ ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ١٧٦ .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ : معناه إن كنتم مؤمنين فبئس الإيمان إيماناً يأمر بالكفر ، وهذا تكذيب لهم ؛ لأنهم كانوا يزعمون أنهم مؤمنون ، وذلك أنهم قالوا : ﴿ تَوْفِنَا بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا ﴾ ، فكذبهم الله عز وجل ، وعيّرهم بعبادة العجل ؛ وذلك أن آباءهم ادّعوا الإيمان ثم عبدوا العجل^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ ﴾ : من المجاز وسعة العربية ؛ لأن الإيمان لا يأمر ، وهو كقوله : ﴿ إِيَّاكَ الصَّلَاةُ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ، وكما تقول في الكلام : «بئسما يأمرك العقل بشتيم الناس» ، معناه : إن كنت عاقلاً لم تشتمهم ، كذلك المعنى في الآية : لو كنتم مؤمنين ما عبدتم العجل^(٢) .

٩٤ . قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ ﴾ الآية ، كانت اليهود تقول : ﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا ﴾ [البقرة: ١١١] ، وقالوا أيضاً : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ ﴾ [المائدة: ١٨] ، ف قيل لهم : إن كنتم عند أنفسكم صادقين فتمنوا الموت ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ لَا يَشْكُ فِي أَنَّهُ صَائِرٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، فالجنة آثر عنده من الدنيا^(٣) .

والمعنى : إن كانت لكم نعمة الدار الآخرة ، فحذف لدلالة الكلام عليه .

وقوله تعالى : ﴿ خَالِصَةً ﴾ : يجوز أن يكون فاعلةً من الخلوص ، فيكون انتصابها على خبر كان ، ويجوز أن يكون مصدرًا ، كالكاذبة والصادفة والخائنة ،

(١) تفسير الثعلبي ١/ ١٠٣٦ ، والوسيط ١/ ١٧٦ .

(٢) البحر المحيط ١/ ٣٠٩ ، والوسيط ١/ ١٧٦ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ١/ ١٧٧ ، وانظر هذا في : تفسير الطبري ١/ ٤٢٢ ، ٤٢٣ عن قتادة وأبي العالية والربيع ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٨٤ ، ومعاني القرآن للقرآء ١/ ٦٢ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٠٣٦ ، والبحر المحيط ١/ ٣١٠ .

فيكون المعنى : خلصتُ خالصةً ، ويكون انتصابها على المصدر^(١) . ومعنى الخالصة : الصافية من الشائبة .

ومعنى قوله : ﴿مَنْ دُونِ النَّاسِ﴾ الاختصاص ، كقولك : «هذا لي دونك» ؛ أي أنا مختص به^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ : معنى التمني هو قولٌ يُقدَّر فيه معنى يحبه الطبع ، وذكرنا ما فيه عند قوله : ﴿إِلَّا آمَانِي﴾ ، وَيُدَلُّ على التمني بأداة تميَّزُه من الإخبار ، كقولك : «ليت الله غفر لي» ، (وليت) أصل في التمني^(٣) ، وقد يقام مقامها الاستفهام ، كقوله : ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ﴾^(٤) [الأعراف : ٥٣] ، وقولك : «ألا ماء فأشربه»^(٥) .

٩٥ . قوله تعالى : ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ : ذلك أنهم كفروا ، وعرفوا أنهم كفرة ، ولا نصيب لهم في الجنة ؛ لأنهم تعمدوا كتمان أمر النبي ﷺ وتكذيبه .

وقوله تعالى : ﴿بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيَهُمْ﴾ ؛ أي بما قدموه وعملوه^(٦) ، فأضاف ذلك إلى اليد ؛ لأن أكثر جنایات الإنسان تكون بيده ، فيضاف إلى اليد كل جنایة ، وإن لم يكن لليد فيها عمل ، فيقال : هذا ما اجترحته يدك^(٧) .

(١) ذكر أبو حيان في البحر المحيط ١ / ٣١٠ الخلاف في إعراب خالصة ، فقيل : نصب على الحال ، ولم يحك الزمخشري غيره ، وقيل : خبر كان ، فيجوز في (لكم) أن يتعلق بـ (كانت) ، ويجوز أن يتعلق بـ (خالصة) ، ويجوز أن تكون للبتين ، فيتعلق بمحذوف تقديره : لكم أعني ، ولم يذكر الانتصاب على المصدرية ، وكذا القرطبي في تفسيره ٢ / ٣٣ .

(٢) انظر : البحر المحيط ١ / ٣١٠ .

(٣) انظر : مغني اللبيب ١ / ٢٨٥ .

(٤) كذا أورده القرطبي ٧ / ٢١٨ في مقام التمني .

(٥) انظر : مغني اللبيب ١ / ٦٩ .

(٦) في (أ) : (قدموا فأضاف) .

(٧) انظر : البحر المحيط ١ / ٣١٢ ، ويُنَّ أن هذا الاستعمال كثير في القرآن ، وقيل : المراد : اليد الحقيقية هنا ، والذي قدَّمته أيديهم : هو تغيير صفة الرسول ﷺ ، وكان ذلك بكتابة أيديهم .

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: فيه معنى التهديد؛ أي عليم بمجازاتهم، وهذا جرى على مستعمل الكلام. يقول الرجل لمن أتى إليه مُنْكَراً: «أنا أعرفك، وأنا بصير بك»، تأويله: أنا أعلم ما أعاملك به، وإلا فالله عليم بالظالمين وغيرهم^(١).

وفي هذه الآية أبين دلالة على صدق نبينا محمد ﷺ لأنه أخبر عن الله أنهم لا يتمنون الموت، وقال: «لو تمنوا الموت لغصَّ كلُّ إنسانٍ بريقه»، وما بقي على وجه الأرض يهودي إلا مات^(٢)، ثم لم يروا مع حرصهم على تكذيبه أن أحداً أتاه، وقال: «يا محمد، أنا أشتهي الموت وأتمناه»؛ لأنهم علموا أنهم لو تمنوا الموت لم يبقَ منهم صغير ولا كبير إلا مات، فكان إحجامهم عن ذكر الموت دليلاً على عنادهم الحق وتكذيب من يعرفون صدقه، ويعلمون صحّة نبوّته عليه السلام^(٣).

(١) من معاني القرآن للزجاج ١/ ١٧٧.

(٢) الحديث بهذا اللفظ ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١٠٣٧ عن ابن عباس مرفوعاً، وأخرج البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٢٧٤ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مرفوعاً، وفيه: «لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه». وفي السند الكلبي. وأخرج أحمد ١/ ٢٤٨، وأبو يعلى ١/ ٤٢٤، والطبري في تفسيره ٢/ ٣٦٢ من طريق عبد الكريم الجزري عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً، وفيه: «ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا، ورأوا مقاعدهم من النار». قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٨: «في الصحيح طرف من أدلة، رواه أحمد وأبو يعلى، ورجاله الصحيح». وقال أيضاً ٦/ ٣١٤: «هو الصحيح بغير سياقه». رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، وأصله كما قال في البخاري ٤٩٥٨، كتاب: التفسير، باب: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَزَبْتَنِي﴾، والترمذي، كتاب: التفسير، باب: من سورة اقرأ باسم ربك، رقم ٣٣٤٨، وأحمد ١/ ٣٦٨، وليس فيه: «ولو أن اليهود...»، وأخرج الطبري في تفسيره، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٨٤ عن ابن عباس موقوفاً: «لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه». وأخرج عن عكرمة نحوه. وأورد ابن كثير في تفسيره هذه الموقوفات عن ابن عباس ١١٥، وصحّح أسانيدھا إليه.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج ١/ ١٧٦، وتفسير الطبري ١/ ٤٢٤، ٤٢٥، والبحر المحيط ١/ ٣١٠-٣١٢.

٩٦. قوله تعالى : ﴿وَلَنَجْذِثَهُمْ﴾ : دخلت اللام والنون لأن القسم مضمّر تقديره : والله لتجدنهم ، فهو جواب القسم ^(١) ، فأكد باللام والنون ، وهذه النون إذا دخلت على (يفعل) فُتَحَ لدخولها ، وبُنِيَ الفعل معها على الفتح نحو : ليفعلن ، وحذُفَ النون التي تَبَيَّنَتْ في نحو ^(٢) يفعَلان ، في الرفع مع النون الشديدة ^(٣) ، كحذف الضمة في (ليفعلن) .

ومَعْنَاهُ : وَلَتَجِدَنَّ الْيَهُودَ (يعني علماءهم) ، وهؤلاء الذين كتموا أمر محمد ﷺ عن عَنَادٍ في حالِ دعائك إياهم إلى تمني الموت أحرص الناس على حياة ؛ لأنهم علموا أنهم صائرون إلى النار إذا ماتوا في أمر محمد عليه السلام ^(٤) .
والحرص : شدة الطلب ، يقال : رجل حريص ، وقوم حِرَاص ، وَمِنْهُ :
عليّ حِرَاصاً لَوْ يُسْرُونَ مَقْتَلِي ^(٥)

ومنه يقال : حَرَصَ الْقَصَّارُ الثوبَ ، إذا ألَحَّ في الدقِّ إلحاح الحريص .
والحَارِصَةُ : شَجَّةٌ تشقُّ الجلد قليلاً ، كما يحرص القصّار الثوب عند الدقِّ ^(٦) .
وقوله تعالى : ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ : قال الفراء ^(٧) ، والزَّجَّاج ^(٨) : «أي ، وأحرص من الذين أشركوا ، وهذا كما يقال : هو أسخى الناس ومن هَرِم ، أي : وأسخى من هَرِم» .

-
- (١) تفسير الثعلبي ١/ ١٠٣٨ .
(٢) ساقطة من (م) .
(٣) يعني عند التوكيد فتقول : يفعَلان .
(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ١٧٨ .
(٥) عجز بيت لامرئ القيس من معلقته في شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري ٤٩ ، وصدره : تجاوزتُ أحراساً إليها ومعشراً
(٦) انظر : تهذيب اللغة ١/ ٧٨٦ ، واللسان (حرص) ٢/ ٨٣٥ .
(٧) انظر : معاني القرآن ١/ ٦٢ .
(٨) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ١٧٨ .

وحقيقة الإشراف : عبادة غير الله مع الله ، وهو أن يجعل عبادته مشتركة بين الله وغيره ، ثم يسمى كل كافر بالله مُشركاً من عظم ذنبه حتى ساوى به عظم ذنب المشرك في عبادة الله .

وقال بعضهم^(١) : «تم الكلام عند قوله : ﴿عَلَىٰ حَيْوَةٍ﴾ ، ثم ابتداء ، فقال^(٢) : ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَدُؤُنَّ أَيْدِيَهُمْ﴾ ، أي : من يود ، فأضمر الموصول بيود كقول ذي الرمة : فظلوا ومنهم^(٣) دمه سابق له وأخر تُذري دمه العين بالهمل^(٤) .

أراد : ومنهم من دمه سابق^(٥) ، وهذا الوجه يضعف من جهتين :

إحداهما : إن المراد بالآية بيان حرص اليهود على الحياة ، فلا يحسن قطع الكلام عند قوله : ﴿عَلَىٰ حَيْوَةٍ﴾ ثم الإخبار عن غيرهم بحب التعمير .

والأخرى : إنه لا يجوز حذف الموصول وترك صلته ، واستقصاء هذا مذكور عند قوله : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء ٤٦] .

واختلفوا في المعنى بقوله : الذين أشركوا ، فقال أبو العالية^(٦) ، والربيع^(٧) : «هم المجوس ، وإنما وصفوا بالإشراك ؛ لأنهم يقولون بالنور والظلمة ، ويَرَدَان ،

(١) انظر : تفسير الثعلبي ١٠٣٩/٣ .

(٢) في (أ) و(ش) : (قال) .

(٣) ساقطة من (م) .

(٤) البيت في ديوانه ١٤١ ، وتفسير الثعلبي ١٠٣٩/١ ، وبلا نسبة في الدر ٦٦/٢ ، وجمع الهوامع ١١٦/١ . انظر : المعجم المفصل في شواهد اللغة ٥٦٣/٦ .

(٥) تفسير الثعلبي ١٠٣٩/١ .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٢٩/١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٩/١ .

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٢٩/١ .

وَأَهْرَمَنَ ، وَهُمْ أَيْضاً مَوْصُوفُونَ بِالْحَرَصِ عَلَى الْحَيَاةِ ، وَلِهَذَا جَعَلُوا التَّحِيَةَ بَيْنَهُمْ : زِهْ هَزَارٌ^(١) سَال ، أَي : عِشْ أَلْفَ سَنَةٍ^(٢) ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : «أَرَادَ مُنْكَرِي الْبَعْثِ ، وَمَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ فَهُوَ يَجِبُ طَوْلُ الْحَيَاةِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَرْجُو بَعْثًا بَعْدَ الْمَوْتِ»^(٣) . قَالَ الْعُلَمَاءُ : «وَأِنَّمَا كَانَتِ الْيَهُودُ أَحْرَصَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ؛ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْمَعَادِ ، وَلَا يَخَافُونَ النَّارَ ، وَالْيَهُودُ تَوْثِقُونَ ، وَقَدْ عَلِمُوا مَا جَنَوْا فَهُمْ يَخَافُونَ النَّارَ»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ ؛ أَي أَحَدُ الْيَهُودِ أَنْ^(٥) يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ آخِرَتَهُ قَدْ فَسَدَتْ عَلَيْهِ ، فَالْبَقَاءُ فِي دَارِ الدُّنْيَا أَثَرٌ عِنْدَهُ مِنَ الْقُدُومِ عَلَى الْعَذَابِ الْأَلِيمِ .

وقوله تعالى : ﴿يَوَدُّ﴾ : يُقَالُ : وَدِدْتُ أَوْدًا ، وَالْمَصْدَرُ : الْوَدُّ ، وَالْوُدُّ ، وَالْوَدَادُ ، وَالْوَدَادَةُ . أَنْشَدَ الْفَرَّاءُ^(٦) :

وَدِدْتُ وَدَادَةً لَوْ أَنَّ حَظِّي مِنَ الْخُلَّانِ أَنْ لَا يَصْرُمُونِي^(٧)

(١) فِي (ش) : (هَزَاز) .

(٢) أَخْرَجَ نَحْوَهُ الثَّوْرِيُّ ٤٧ ، وَالطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ٤٢٩ / ١ ، ٤٣٠ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٧٩ / ١ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : «هُوَ قَوْلُ الْأَعَاجِمِ إِذَا عَطَسَ أَحَدُهُمْ : زِهْ (يَعْنِي : زِي ، الْأَمْرُ مِنْ مَصْدَرٍ «زَيْسْتَن») هَزَارُ سَال ، يَعْنِي : عِشْ أَلْفَ سَنَةٍ ، فَمَعْنَى زِهْ : عِشْ ، وَهَزَارُ : أَلْفٌ ، وَسَالُ : سَنَةٌ» .

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ٤٢٩ / ١ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٧٩ / ١ .

(٤) انْظُرْ : مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَّاجِ ١٧٨ / ١ ، وَالْبَحْرِ ٣١٣ / ١ .

(٥) فِي (م) : (لَوْ يَعْمُرُ) .

(٦) نَقَلَهُ عَنِ الْفَرَّاءِ صَاحِبِ اللِّسَانِ ٨ / ٤٧٩٢ ، وَلَمْ أَجِدْهُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ فِي الْمَصَادِرِ لِلْفَرَّاءِ .

(٧) الْبَيْتُ بِلَا نِسْبَةٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ ٨ / ٤٧٩٣ .

ويقال أيضاً: وَدَادًا بِالْفَتْحِ ، وَوَدَادَةً بِالْكَسْرِ ، وَيَقْلُّ^(١) هَذَانِ ، وَاسْتَقْصَاءُ هَذَا يَذْكَرُ عِنْدَ قَوْلِهِ : ﴿إِنْ رَجِمَ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿لَوْ يُعَمَّرُ﴾ : يُقَالُ : عَمَّرَهُ اللَّهُ تَعْمِيرًا ، إِذَا أَطَالَ عَمْرَهُ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْعِمَارَةِ الَّتِي هِيَ ضِدُّ الْخَرَابِ ، وَالْعُمُرُ : اسْمٌ لِلْمُدَّةِ الَّتِي يُعَمَّرُ فِيهَا الْبَدَنُ بِالْحَيَاةِ وَالنَّمُو^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ : سُمِّيَ الْأَلْفُ أَلْفًا ؛ لِأَنَّهُ تَأْلِيفُ الْعَشَرَاتِ فِي عَقْدٍ ، وَيُقَالُ : ثَلَاثَةُ آلَافٍ إِلَى الْعَشْرَةِ ، ثُمَّ أُلُوفٌ جَمْعُ الْجَمْعِ ، وَالْأَلْفُ مَذْكَرٌ ، وَإِذَا أُنْثِيَ عَلَى أَنَّهُ جَمْعٌ فَهُوَ جَائِزٌ ، وَكَلَامُ الْعَرَبِ فِيهِ التَّذْكِيرُ^(٤) ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : «يُقَالُ : أَلَفْتُ الْقَوْمَ ، إِذَا جَعَلْتَهُمْ أَلْفًا ، وَقَدْ أَلَفُوا هُمْ ، إِذَا صَارُوا أَلْفًا»^(٥) . وَأَمَّا السَّنَةُ فَأَصْلُهَا وَالْكَلَامُ فِيهَا يَذْكَرُ عِنْدَ قَوْلِهِ : ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩] ، وَخَصَّ الْأَلْفَ هَاهُنَا بِالذَّكَرِ ؛ لِأَنَّهُ نِهَايَةُ الْعُقُودِ ، وَقِيلَ : لِأَنَّهُ نِهَايَةُ مَا كَانَتْ تَدْعُو بِهِ الْمَجُوسُ لِلْمُؤْكَلِ^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا هُوَ﴾ : الْكُنْيَا رَاجِعَةٌ إِلَى أَحَدِهِمْ ، كَأَنَّهُ قِيلَ : وَمَا أَحَدُهُمْ بِمَزْحٍ مِنْ الْعَذَابِ تَعْمِيرُهُ ، كَمَا تَقُولُ : «مَا عَبْدُ اللَّهِ بِضَارِبِهِ أَبَوَهُ» .

(١) فِي (ش) : (وَنَقْل) .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ١٧٩ ، واللسان (ودد) ٨/ ٤٧٩٣ ، والمفردات للراغب ٥٣٢ .

وقال : «الود : محبة الشيء ، وتمني كونه ، ويستعمل في كل واحد من المعنيين» .

(٣) انظر : المفردات ٣٥٠ ، واللسان (عمر) ٥/ ٣٠٩٩ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ١/ ١٨٣ ، والمفردات ٣٠ ، واللسان (ألف) ١/ ١٠٨ .

(٥) نقله عنه في تهذيب اللغة ١/ ١٨٣ ، واللسان ١/ ١٠٨ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ١٧٨ ، وتفسير الطبري ١/ ٤٢٩ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٠٣٩ ، وزاد المسير ١/ ١١٧ .

قال أبو إسحاق : «ويصلح أن يكون هو كناية عما جرى ذكره من طول العمر ، وهو قوله : (لوي عمر) فيكون : وما تعميره بمزحزحه ^(١) ، والفعل يدل على المصدر ، كقوله : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام : ١٢١] وإنه يريد إن أكله ، وعلى هذا قوله : ﴿أَنْ يُعَمَّرَ﴾ تكرير لذكر التعمير ، فيكون كقوله : ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ أعاد المصدر بعد ما كنى عنه ^(٢) .

وقال ابن الأنباري : «يجوز أن يكون هو كناية عن الشأن والأمر في قول الكسائي ، والمعنى عنده : وما الشأن بمزحزحه من العذاب أن يعمر ^(٣)» .

قال : «ويجوز أن يكون عماداً في قول الفراء . والعرب تدخل (هو) للعماد مع (ما) في الجحد و(هل) و(واو الحال) ، فيقولون : هل هو قائم عبدالله ؟ وما هو بقائم زيد ، ولقيت محمداً وهو حسن وجهه ^(٤) ، واحتج بما أنشده الفراء :

فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِمَا هَاهُنَا رَأْسُ ^(٥)

(١) معاني القرآن للزجاج ١/ ١٧٨ .

(٢) انظر : البحر المحيط ١/ ٣١٥ .

(٣) أجاز هذا الوجه أبو علي كما في البحر المحيط ١/ ٣١٥ ، وقال في التبيان ١/ ٧٨ : «ولا يجوز أن يكون هو ضمير الشأن لأن المفسر لضمير الشأن مبتدأ وخبر ، ودخول الباء في بمزحزحه يمنع من ذلك» .

(٤) معاني القرآن للفراء ١/ ٥١ ، ٥٢ . انظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ١٧٩ ، والتبيان ١/ ٧٨ .

(٥) ذكره الفراء في معاني القرآن ١/ ٥١ ، ٥٢ ، فقال : «وأنشدني بعض العرب» ، والأبيات :

فأبلغ أبا يحيى إذا ما لقيته	على العيس في آباطها عرق يس
بأن السلمي الذي بضريته	أمير الحمى قد باع حقبي بني عبي
بشوب ودينار وشاة ودرهم	فهل هو مرفوع بما هاهنا رأس

من أبيات ذكرها^(١). والزحزحة الإبعاد والتنحية ، يقال : زحَّه وزحزحه فتزحزح : إذا تنحى^(٢).

وقوله تعالى : ﴿أَنْ يُعَمَّرَ﴾ في موضع رفع بمزحزحه كما يرتفع الفاعل بالفعل ؛ لأن المعنى : ما يزحزحه تعميره^(٣).

٩٧. وقوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ الآية : سألت اليهود نبي الله ﷺ عن يأتية من الملائكة فقال : «جبريل» ، فقالوا : هو عدونا ، ولو أتاك بالوحي ميكائيل لتقبلنا منك ، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٤).

(١) ابن الأنباري . قال في البحر المحيط ٣١٦/١ : «وتلخص في هذا القول الضمير ، أهو عائد على أحدهم أو على المصدر المفهوم من يعمر ، أو على ما بعده من قوله : أن يعمر أو هو ضمير الشأن ، أو عماد ، أقوال خمسة أظهرها الأول» .

(٢) انظر : تفسير ابن أبي حاتم ١٧٩/١ ، والبحر المحيط ٢٩٨/١ ، واللسان ١٨١٦/٣ ، والقاموس ٢٢٢ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٣١٥/١ . قال : «وأجازوا أن يكون هو ضميراً عائداً على المصدر المفهوم من قوله : لو يعمر . وأن يعمر بدل منه ، وارتفاع هو على وجهين من كونه اسم ما ، أو مبتدأ» .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٢٧٤/١ ، والنسائي في السنن الكبرى ، في عشرة النساء ، وكذلك تحفة الأشراف ٣٩٤/٤ ، والترمذي ٣١١٧ ، كتاب : باب ومن التفسير ، سورة الرعد ، وقال : «حسن غريب» ، وأبو نعيم في الحلية ٣٣٧/٤ ، وقال : «غريب من حديث بكر ، تفرد به بكر» ، والطبري في تفسيره : (٤٣/١-٤٣٢) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٠/١ ، وعبد بن حميد كما ذكره ابن كثير في تفسيره ، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الطبري في تفسيره . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٢/٨ : «رواه الترمذي باختصار ورواه أحمد والطبراني ورجاهما ثقات» ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي : ص ٣١١٧ . قال الطبري في تفسيره ٤٣١/١ : «أجمع أهل العلم جميعاً على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل ، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم ، وأن ميكائيل ولي لهم ، ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك» ، وحكى الإجماع أيضاً أبو حيان في البحر ٣١٩/١ . قال الحافظ ابن حجر في العجائب ٢٩٨/١ بعد أن ذكر الروايات في سبب النزول : «وحاصل ما ذكر فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : قول الجمهور : إن عداوتهم لكونه ينزل العذاب .

ثانيها : إنه حال دون قتل بختنصر الذي خرب مسجدهم ، وسفك دمائهم ، وسبى ذراريهم .

ثالثها : إنه عدل بالنبوة عن بني إسرائيل إلى بني إسماعيل» .

وجبريل فيه لغات^(١)، بعضها قُرِئَ به^(٢)، وبعضها لم يُقَرَأْ به^(٣)، وكذلك ميكائيل وإسرائيل .

وهذه أسماء عجمية^(٤) وقعت إلى العرب^{(٥)(٦)}، فإذا أُتِيَ بها على ما في أبنية العرب مثله كان أذهب في باب التعريب، يقوي ذلك تغييرهم للحروف المفردة التي ليست من حروفهم، كتغييرهم الحرف الذي بين الفاء والباء في قلبهم إياه إلى الباء المحضة أو الفاء المحضة، كقولهم: البرنْدُ والفرِنْدُ^(٧)، وكذلك تغييرهم الحركة التي ليست في كلامهم، كالحركة التي في قول العجم: رُوز وآشوب^(٨) يخلصونها ضُمَّةً، فكما^(٩) غيروا الحروف والحركات إلى ما في كلامهم فكذلك

(١) استقصى اللغات في جبريل وميكائيل: الثعلبي في تفسيره ١٠٤٤/١ وما بعدها، وأبو حيان في البحر ٣١٨/١، وابن الجوزي في زاد المسير ١١٧/١-١١٩ .

(٢) قرأ نافع وأبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر وحفص بكسر الجيم والراء بلا همز، وقرأ ابن كثير كذلك ولكن مع فتح الجيم، وقرأ شعبة بفتح الجيم والراء وبعدها همزة مكسورة، وقرأ كذلك حمزة والكسائي وخلف، ولكن بزيادة ياء ساكنة بعد الهمزة، وحمزة إن وقف عليه التسهيل فقط . وأمّا ميكال، فقد قرأ نافع وأبو جعفر بهمزة مكسورة بعد الألف من غير ياء بعدها، وقرأ حفص وأبو عمرو ويعقوب من غير همز ولا ياء، وقرأ الباقر بهمزة مكسورة بعد الألف وياء ساكنة بعدها، وحمزة فيه التسهيل مع المد والقصر .

انظر: السبعة ١٦٦، ١٦٧، والنشر ٢/٢١٩، والبدور الزاهرة ٤٦ .

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج ١/١٧٩، وذلك مثل قراءة ابن محيصن (جبرئيل) وقراءة الحسن (جبرائيل) . انظر أيضاً: المحتسب ١/٩٧، والقراءات الشاذة للقاظمي ٣١ .

(٤) في (م): (أسماء عربية وعجمية) .

(٥) في (م): (للعرب) .

(٦) في الحجة: «وهذه أسماء معربة» .

(٧) في (ش): (القرند) .

(٨) في الحجة «زوراً آشوب» . قال المحققان: «في المعجم في اللغة الفارسية: زور: قوة، غلبة، وآشوب: من أشوفتين: الاضطراب» .

(٩) في (م) و(ش): (كما) .

القياس في أبنية هذه الأسماء^(١)، إلا أنهم قد تركوا أشياء من العجمية على أبنية العجم التي ليست من أبنية العرب، مثل الآجُر^(٢) والإبريسم^(٣) والفرند^(٤)، وليس في الكلام على هذه الأبنية. فمن قال جَبْرِيل بكسر الجيم وحذف الهمز كان على لفظ قنديل وبرطيل^(٥)، فإذا فتحها فليس لهذا البناء مثل في كلام العرب، فيكون هذا من باب الآجُر والفرند ونحو ذلك من المعرب الذي لم يجر له مثل في كلامهم^(٦).

ومن قال جَبْرِئِل على وزن جبرعل كان على وزن جَحْمَرِش^(٧) وصَهْصَلَق^(٨). وجَبْرِئِل على وزن عَنَدَلِيب^(٩)، والخارج من الأبنية العربية: جَبْرِيل، ألا ترى أنه ليس في أبنيته مثل مَنَدِيل، إلا أنه مُتَجَهٌّ وإن لم تجيء في أبنيته، وكلا المذهبين حسن لاستعمال العرب لهما جميعاً، وإن كان الموافق

(١) قال ابن جني في المحتسب ٩٧/١: «عن العرب إذا نطقت بالأعجمي خَلَطَتْ فيه... وذكرنا أنهم قد يجرّفون ما هو من كلامهم فكيف مما هو من كلام غيرهم». وقال في ٩٨/١: «وهم لما كثر استعماله أشدّ تغييراً».

(٢) الآجُر: اللَّبَنُ إذا طُبِخَ، بمد الهمزة، والتشديد أشهر من التخفيف، الواحدة آجُرَة وهو مُعَرَّب. انظر: المصباح المنير ٦.

(٣) الإبريسم: بفتح السين وضمها، هو الحرير، أو معرَّب مُفَرَّح للبدن، معتدل مُقَوِّ للبصر إذا اكتحل به، القاموس ١٠٧٩.

(٤) الفرند: بكسر الفاء والراء، السيف وجواهره ووشيه. انظر: القاموس ٣٠٦.

(٥) البرطيل: بكسر الباء: الرشوة، انظر: المصباح المنير ٤٢.

(٦) هذا كله كلام أبي علي في الحجة ١٦٤/٢، ١٦٥.

(٧) في (ش): (جمحرش)، وفي (م): (جمحرين).

(٨) الجَحْمَرِشُ: العجوز الكبيرة، والمرأة السمجة، والأرنب المرضع، ومن الأفاعي: الخشناء، وجمعه: جَحَامِر. انظر: القاموس ٥٨٦.

(٩) الصهصلق: العجوز الصَّخَّابة، ومن الأصوات: الشديد. انظر: القاموس ٣٠٦.

(١٠) العَنَدَلِيبُ: طائر يُقال له الهزار، يَصَوّت ألواناً، وجمعه: عَنَادِل. انظر: القاموس ١١٨.

لأبْنِيَّتِهِمْ أَذْهَبَ فِي بَابِ التَّعْرِيبِ^(١)، وَقَدْ جَاءَ فِي أَشْعَارِهِمُ الْأَمْرَانِ^(٢). قَالَ جَرِيرٌ :

عَبَدُوا الصَّلِيبَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ وَبِجِبْرِئِيلَ وَكَذَّبُوا مِيكَالَا^(٣)
وَقَالَ حَسَانٌ^(٤) :

وَجَبْرِئِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ بِهِ خِفَاءٌ^(٥)
وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ :

وَيَوْمَ بَدْرٍ لَقِينَاكُمْ لَنَا مَدَدٌ فِيهِ مَعَ النَّصْرِ جَبْرِئِيلُ وَمِيكَالُ^(٦)

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ^(٧) : «وَلَيْسَ قَوْلُ مَنْ قَالَ : إِنَّ إِيْلَ وَإِلَ اسْمَ اللَّهِ وَأَضِيفَ مَا قَبْلَهُمَا إِلَيْهِمَا ، كَمَا يَقَالُ عَبْدُ اللَّهِ^(٨) بِمُسْتَقِيمٍ مِنْ وَجْهَيْنِ :

(١) مِنْ كَلَامِ أَبِي عَلِيٍّ فِي الْحِجَّةِ ١٦٥/٢ .

(٢) فِي الْحِجَّةِ الْأَمْرَانِ : مَا هُوَ عَلَى لَفْظِ التَّعْرِيبِ ، وَمَا هُوَ خَارِجٌ عَنْ ذَلِكَ .

(٣) الْبَيْتُ لَجَرِيرٍ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي هِجَاءِ تَغْلِبَ . انْظُرْ : شَرْحُ دِيوَانَ جَرِيرٍ ٣٦١ ، وَإِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلزَّجَّاجِ : ١٧٩/١ ، وَتَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٤٣٦/١ ، وَالْحِجَّةُ لِأَبِي عَلِيٍّ ١٦٧/٢ ، وَالْبَحْرُ الْمُحِيطُ لِأَبِي حَيَّانٍ ٤٨٦/١ .

(٤) هُوَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ بْنِ الْمُنْذَرِ الْخَزْرَجِيُّ الْأَنْصَارِيُّ ، أَبُو الْوَلِيدِ الصَّحَابِيُّ ، شَاعِرُ الرَّسُولِ ﷺ ، وَأَحَدُ الْمُخَضَّرِينَ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ ، دَافِعَ بِشِعْرِهِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَنَبِيِّهِ ﷺ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ مَعَهُ مَشْهَدًا لَعَلَّةٌ أَصَابَتْهُ . انْظُرْ : الْإِصَابَةُ ٣٢٦/١ ، وَالْأَعْلَامُ ١٧٥/٢ .

(٥) الْبَيْتُ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ فِي دِيْوَانِهِ ٧٥ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ (كُفَّاءً) ٣٨٩٢/٧ ، (جَبْر) ٥٣٥/١ . وَرَوَايَةُ الزَّجَّاجِ وَأَبِي عَلِيٍّ : «لَيْسَ لَهُ كِفَاءٌ» ، وَنَفَى صَاحِبُ الْخَزَانَةِ ١٩٩/١ أَنَّ يَكُونَ الْبَيْتُ لِحَسَّانَ .

(٦) نَسَبَ أَبُو عَلِيٍّ الْبَيْتَ إِلَى كَعْبٍ ، وَنُسِبَ إِلَى حَسَّانَ فِي دِيْوَانِهِ ٢٠٤ ، وَجَبْرِئِيلُ بَدَلَ مِيكَالَ ، وَكَذَا نَسَبَهُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (مِكَا) ٤٢٥٢/٧ ، وَرَوَايَةُ اللَّسَّانِ : مِيكَالُ وَجَبْرِئِيلُ .

(٧) مِنْ كَلَامِ أَبِي عَلِيٍّ فِي الْحِجَّةِ ١٦٧/٢ ، ١٦٨ ، وَقَالَ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ ٣١٩/١ : «فَإِنَّهُ نَزَلَهُ» لَيْسَ هَذَا جَوَابُ الشَّرْطِ لَمَّا تَقَرَّرَ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ اسْمَ الشَّرْطِ لَا يَدُّ أَنْ يَكُونَ فِي الْجَوَابِ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا الْجُزْأُ مَحْذُوفٌ لِدَلَالَةِ مَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ بِالتَّقْدِيرِ ، فَعَدَاوَتُهُ لَا وَجْهَ لَهَا أَوْ مَا أَشْبَهَ هَذَا التَّقْدِيرَ .

(٨) ذَكَرَ ذَلِكَ الْمَاوَرِدِيُّ فِي النَّكَتِ وَالْعَيُونِ ١٦٣/١ ، وَقَالَ : «وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْمَفْسَّرِينَ مَخَالَفٌ» ، وَنَقَلَهُ عَنْهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ٣٣/٢ ثُمَّ نَقَلَ خِلَافَهُ ، وَنَقَلَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ الْخِلَافَ أَيْضًا ، وَنَقَلَ هَذَا الْقَوْلَ أَبُو حَيَّانٍ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ ٣١٧/١ . انْظُرْ : الْإِجْمَاعُ فِي التَّفْسِيرِ ١٧٩-١٨٢ .

أحدهما : إن إيل وإل^(١) لا يعرفان في أسماء الله سبحانه في اللغة العربية .
والآخر : إنه لو كان كذلك لم ينصرف^(٢) آخر الاسم في وجوه العربية ، وكان
الآخر مجروراً ، كما أن عبد الله كذلك^(٣) . وهذا الذي قاله أبو علي أراد أنه ليس
في اللغة العربية على الوجه الذي ذكروا بمستقيم . وقد قال جماعة من أهل العلم :
« جبر وميك : هو العبد بالشُّريانية ، وإيل هو الله عز وجل »^(٤) . وروي ذلك من
خبر مرفوع ، قال : « إنما جبريل وميكائيل مثل قولك : عبد الله وعبدالرحمن »^(٥) .

قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ ﴾ : يعني جبريل ﴿ نَزَّلَهُ ﴾ : يعني القرآن ، كنى عنه ولم
يجئ له ذكر ، وهو كثير ، وقيل : فإن الله نزل جبريل على قلبك^(٦) .

وقيل : جواب من مُضمَر ، أراد : من كان عدواً لجبريل فليخف ، أو ليُمِتْ
غيظاً ، أو ما أشبهه من الإضمار^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ : يعني قلب محمد ﷺ . قال الفرّاء : « ولو كان :
على قلبي ، كان صواباً ، مثله في الكلام : لا تقل للقوم : إن الخير عندي وعندك ،
أما عندك فجائز ؛ لأنه كالخطاب ، وأمّا عندي فهو قول المتكلم بعينه »^(٨) ، وقد
تقدم لهذا نظائر .

(١) من قوله : « اسم الله وأضيف » ساقط من (ش) .

(٢) في (ش) : (ينصرف) .

(٣) الحجة ١٦٩/١ . انظر : البحر المحيط ٣١٧/١ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٤٣٦/١ ، ٤٣٧ ، وتفسير الثعلبي ١٠٤٨/١ ، وزاد المسير ١١٩/١ ، والدر
المنثور ١٧٦/١ .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٠٤٨/١ بسنده من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء بن
ربيعة الزبيدي عن معاوية يرفعه ، ونسبه في الدر المنثور ١٧٦/١ إلى الديلمي عن أبي أمامة ، وهو من
مظان الحديث الضعيف ، والله أعلم .

(٦) انظر : التفسير الكبير للرازي ١٩٦/٣ ، والبحر المحيط ٣٢٠/١ ، ورجَّح الأول .

(٧) انظر : التبيان ٧٩/١ .

(٨) معاني القرآن للفرّاء ٦٣/١ . انظر : تفسير الرازي ١٩٦/٣ ، والبحر المحيط ٣٢٠/١ .

وقوله تعالى : ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ : قال ابن عباس : «لما قبله من الكتب التي أنزلها الله عز وجل»^(١) .

وفي قوله تعالى : ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ رد على اليهود حين قالوا : إن جبريل ينزل بالحرب والشدة ، فقيل : إنه وإن كان ينزل بالحرب والشدة على الكافرين فإنه ينزل بالهدى والبشرى للمؤمنين^(٢) .

٩٨ . قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا﴾ ؛ أي معادياً ؛ لأن العدو فعل بمعنى فاعل ، ولا يصح العداوة لله على الحقيقة ؛ لأن العداوة للشيء طلب الإضرار به بغضاً له ، وإنما قيل للكافر : عدو الله ، من عداوة الله له ، أو لأنه يفعل فعل المعادي^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَلَكَيْنِ﴾ : يريد جبريل وميكائيل ؛ وذلك أن اليهود قالت لعمر رضي الله عنه : إن صاحب محمد من الملائكة جبريل ، وهو عدونا ، يُطْلَعُ محمداً على سرنا ، وهو صاحب كل عذاب وخسف وسنة وشدة ، فقال عمر : فإني أشهد أن من كان عدواً لجبريل فهو عدو ميكائيل ، ومن كان عدواً لهما فإن الله عدو له ، ثم^(٤) أتى عمر النبي ﷺ ، فوجد جبريل قد سبقه بالوحي ، فقرأ عليه رسول الله ﷺ هذه الآيات ، وقال : «لقد وافقك ربك يا عمر» ، فقال عمر : لقد رأيتني في دين الله أصلب من الحجر^(٥) .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٣٨/١ ، ٤٣٩ ، وانظر : تفسير الرازي ١٩٧/٣ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٣٢١/١ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٣١٩/١ .

(٤) في (م) : (وأتى) .

(٥) رواه الطبري في تفسيره ٤٣٣/١ ، ٤٣٤ عن قتادة والسُّدِّي بنحوه ، وعزاه في الدر المنثور ١٧٤/١ إلى سفيان بن عيينة عن عكرمة . وذكر القصة بطولها الثعلبي في تفسيره ١٠٤٤/١ ، ورواه الواحدي في أسباب النزول ٣٢ بسنده عن الشعبي عن عمر ، وهو لم يلقَ عمر . ولقصة عمر هذه طرق كثيرة ، وقد قوى الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٦٦/٨ القصة بطرقها . انظر : ابن كثير في تفسيره ١٤٠/١ ، ١٤١ ، والدر المنثور ١٧٤/١ ، ١٧٥ . وقال : «صحيح الإسناد ولكن الشعبي لم يدرك عمر» .

وقوله تعالى: ﴿وَرُسُلِهِ﴾: يعني محمداً وعيسى كفرت بهما اليهود .

وقوله تعالى: ﴿وَحَبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾^(١): أخرجهما من الجملة بالذكر^(٢) تخصيصاً وتشريفاً^(٣)، كقوله: ﴿فِيهِمَا فَكِّهَةٌ وَخَلٌّ وَرُمَانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، وكقوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ [الحج: ١٨] بعد قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [النجم: ٣١] .

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾: قال محمد بن يزيد^(٤): «ظهرت الكناية في قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ لأن الفاء جواب الجزاء وما بعدها مستأنف، فلما كان مبتدأ لم يقع^(٥) فيه كناية عن ظاهر سبقها؛ لأنه ليس سبيل المكني أن يكون مبتدأ، بل سبيله أن يتقدمه ظاهر، والعرب تقول: إن ضربت زيدا فإن زيدا يضربك، إن ضربت زيدا فإنه يضربك، فالذي يقول بالإظهار يحتاج بأن الذي بعد الفاء مستأنف، و(إِنَّ) من^(٦) علامات الاستئناف، والاستئناف^(٧) يكون بالظاهر لا بالمكني. والذي يقول بالكناية يحتاج بأن جواب الجزاء ملابسٌ للأوّل في المعنى لتعلقه به، فالذي في الجزاء يكفي من الذي في الجواب، فتصح الكناية لهذه العلة»^(٨).

(١) في (أ): (وميكائيل)، وفي (ش): (وميكائيل).

(٢) في (م): (من الذكر).

(٣) انظر: تفسير الثعلبي ١/١٠٤٩، وزاد المسير ١/١١٩، والتفسير الكبير للرازي ١/١٩٨، وذكر جواباً ثانياً هو أن الذي جرى بين الرسول واليهود هو ذكرهما، والآية نزلت بسببهما فلا جرم نص على اسميهما. وقد أطال البحث في ذلك أبو حيان في البحر ١/٣٢٢.

(٤) يعني المبرّد.

(٥) في (م): (لم يكن يقع).

(٦) في (م): (لأن).

(٧) ساقطة من (م).

(٨) انظر: البحر المحيط ١/٣٢٢.

وقال غيره : «إنما أظهر الكناية لأنه ذكر الملائكة والرسل ، فلو كنى لذهب الوهم إلى واحد من الملائكة ، أو الرسل ، أو إلى جبريل ، أو إلى ميكائيل ، فأظهر الكناية ليزيل اللبس»^(١) .

ومعنى الآية : من كان عدواً لأحد هؤلاء فإن الله عدو له ؛ لأن عدو الواحد عدو الجميع ، وعدو محمد عدو الله . ومثله قوله : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء : ١٣٦] ؛ لأن الكافر بالواحد كافر بالكل^(٢) .

والواو هاهنا بمعنى أو^(٣) . وقال : ﴿فَاتَّ اللَّهُ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ولم يقل : فهم أعداء له ؛ لأنه تولى تلك العداوة بنفسه ، وكفى رسله وملائكته أمر من عاداهم . وإنما لم يقل : فإن الله عدو لهم أوله بالكناية ؛ ليدل مع أنه عدو لهم على أنهم كافرون بهذه العداوة^(٤) .

٩٩ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ : قال ابن عباس : «هذا جواب لابن صوريا»^(٥) ، حيث قال لرسول ﷺ : يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه ، وما أنزل عليك من آية بينة فتبعك لها ، فأنزل الله هذه الآية»^(٦) .

(١) انظر : البحر المحيط ١/ ٣٢٢ .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٠٥٠ ، والبحر المحيط ١/ ٣٢٢ .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ١٠٥٠ ، وذكر الرازي في التفسير الكبير ٣/ ١٩٨ أن الواو ، قيل : إنها للعطف ، وقيل : بمعنى أو .

(٤) انظر : زاد المسير ١/ ١١٩ ، والتفسير الكبير للرازي ٣/ ١٩٨ ، وتفسير ابن كثير ١/ ١٤١ .

(٥) هو عبدالله بن صوريا ، تقدمت ترجمته [البقرة : ١] .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٤٤١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٨٣ من طريق سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١٠٥١ ، والواحدي في أسباب النزول ٣٤ ، والسيوطي في لباب القول ١٨ .

والبينات : جمع بينة ، والبين : من باب الصيِّب والسيِّد ، وقد مرَّ^(١) .

والبيننة : الدلالة الفاصلة بين القضية الصادقة والكاذبة ؛ لأنها من إبانة أحد شيئين عن الآخر ، فيزول الالتباس بها . واستقصاء الكلام في هذا عند قوله : ﴿عَوَانُ يَبْكُ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَنَسِقُونَ﴾ ؛ أي الخارجون عن أديانهم ، واليهود خرجت بالكفر بمحمد ﷺ عن شريعة موسى عليه السلام^(٢) .

١٠٠ . قوله تعالى : ﴿أَوْكُلَّمَا﴾ : قال سيبويه^(٣) : «الواو فيه واو العطف ، إلا أن ألف الاستفهام دخل عليها ؛ لأن لها صدر الكلام ، وهي الأصل في الاستفهام ، يدل على ذلك : أن الواو تدخل على (هل) ، كقولك : وهل زيد عاقل ؟ ولا يجوز : وأزيد عاقل ؛ لأن الألف أقوى في الاستفهام»^(٤) . و﴿كُلَّمَا﴾ ظرف ، والعامل فيه : ﴿نَبْدُهُ﴾^(٥) ﴿عَهْدُوا﴾ ؛ لأنه متمم لما ، إمَّا صلة ، وإمَّا صِفَةٌ .

(١) في تفسير الآية رقم ١٩ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٤٤١ / ١ .

(٣) انظر : الكتاب لسيبويه ١٨٧ / ٣ ، ومعاني القرآن للأخفش ١٤٧ / ١ ، وتفسير الطبري ٤٤١ / ١ ،

٤٤٢ ، وإعراب مشكل القرآن لمكي ١٠٥ / ١ ، والتبيان للعكبري ٧٩ / ١ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٨١ / ١ ، وتفسير الثعلبي ١٠٥١ / ١ ، والقرطبي ٣٩ / ٢ ، وذكر أبو حيان في البحر ٣٢٣ / ١ الخلاف في هذه الواو : «ف قيل هي زائدة ، قاله الأخفش ، وقيل : هي أو الساكنة الواو حركت بالفتح ، وهي بمعنى بل ، قاله الكسائي ، وكلا القولين ضعيف ، وقيل : واو العطف وهو الصحيح» .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ١٨١ / ١ ، وإعراب مشكل القرآن ١٠٦ / ١ .

وقوله تعالى: ﴿عَاهِدُوا عَهْدًا﴾: قال المفسرون: «إن اليهود عاهدوا في ما بينهم، لئن خرج محمد ﷺ ليؤمننَّ به، وليكوننَّ^(١) معه على مشركي العرب، فلما بُعث نقضوا العهد وكفروا به»^(٢).

وقال عطاء: «هي العهود التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود، فنقضوها كفعل قريظة والنضير، عاهدوا ألا يعينوا عليه أحداً، فنقضوا ذلك، وأعانوا عليه قريشاً يوم الخندق»^(٣).

واتصال هذه الآية بما قبلها من حيث إنهم كفروا بنقض العهد كما كفروا بالآيات.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: إنها دخلت (بل) هاهنا لأنه لما قال: ﴿نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ دل على أنه كفر ذلك الفريق بالنقض، فقال: بل أكثرهم كفار بالنقض. وحسن هذا التفصيل؛ لأن منهم من نقض عناداً، ومنهم من نقض جهلاً.

وقيل: معناه كفر فريق بالنقض، وكفر أكثرهم بالجدد للحق، وهو أمر النبي ﷺ^(٤).

(١) في (ش): (لنؤمنن به ولنكونن).

(٢) انظر: تفسير الثعلبي ١/١٠٥٢، والوسيط ١/١٨١، وزاد المسير ١/١٢٠، وتفسير القرطبي ٢/٣٥، وتفسير الرازي ٢/٢١٧.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/١٠٥٣، وابن الجوزي في زاد المسير ١/١٠٥، والرازي في تفسيره ٣/٢٠١، والقرطبي في تفسيره ٢/٤٠، وأبو حيان في البحر المحيط ١/٣٢٣.

(٤) انظر: البحر المحيط ١/٣٢٤، وذكر احتمالاً آخر.

١٠١. قوله تعالى: ﴿بَدَّ وَبِقُ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾: جائز أن يكون المراد بقوله: ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾: القرآن، وجائز أن يكون المراد به: التوراة؛ لأن الذين كفروا بالنبي ﷺ نبذوا التوراة^(١).

ويقال لكل من استخف بشيء^(٢) ولم يعمل به: نبذه وراء ظهره^(٣).

قال الشعبي^(٤): «هو بين أيديهم يقرؤونها، ولكن نبذوا العمل به»^(٥).

وقال سفيان بن عُيينة^(٦): «أدرجوه في الحرير والدياج، وحلّوه بالذهب والفضة، ولم يُحِلُّوا حلاله ولم يُحَرِّمُوا حرامه، فذلك النبذ»^(٧).

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أعلم أنهم نبذوا كتاب الله، ورفضوه على علم به؛ عداوة للنبي ﷺ^(٨).

وعنى بالفريق في هذه الآية: علماء اليهود الذين تواطؤوا على كتمان أمر محمد ﷺ^(٩).

(١) هذا كلام الزَّجَّاج في معاني القرآن ١/ ١٨٢. انظر: زاد المسير ١/ ١٢٠، وتفسير الرازي ١/ ٢٠٢.

(٢) في (م): (استخف بشيء نبذه ولم يعمل).

(٣) انظر: تفسير الطبري ١/ ٤٤٣، وتفسير الثعلبي ١/ ١٠٥٣، وتفسير الرازي ٣/ ٢٠١.

(٤) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري، تقدمت ترجمته [البقرة: ٧].

(٥) انظر: تفسير الثعلبي ١/ ١٠٥٤، والبغوي في تفسيره ١/ ١٢٦، وفي بعض نسخ الثعلبي في تفسيره: «يقرؤونها»، وفي بعضها الآخر: «يقرؤونها».

(٦) هو الإمام أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران، ميمون الهلالي الكوفي المجتهد، شيخ الإسلام، من كبار المحدثين الثقات، كان واسع العلم، وله تفسير، توفي سنة ١٩٨ هـ. انظر: طبقات المفسرين للدودي ١/ ١٩٦، والسير ٨/ ٤٥٤.

(٧) انظر: تفسير الثعلبي ١/ ١٠٥٤، والبغوي ١/ ١٢٦.

(٨) من كلام الزَّجَّاج في معاني القرآن ١/ ١٨٢.

(٩) انظر: تفسير الطبري ١/ ٤٤٢.

١٠٢ . قوله تعالى : ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوْا الشَّيْطَانُ﴾ الآية ، قد أشكل علم إعرابها ومعناها على كثير من الناس ، حتى ترك أكثر أهل العلم والنحو الكلام فيها لصعوبتها ، وتكلم آخرون فيها^(١) .

قال أبو إسحاق : «أعلم الله - عز وجل - أنهم رفضوا كتابه واتبعوا السحر»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿تَنَلُّوْا﴾ أي : تقرأ^(٣) . وقال ابن عباس : تتبع وتعمل به^(٤) ، وكذلك قال في قوله : ﴿يَتَلَوْنَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة : ١٢١] : يتبعونه حق اتباعه^(٥) ، فيعملون به حق عمله .

وقال أبو عبيدة : «﴿مَا تَنَلُّوْا الشَّيْطَانُ﴾ : أي : ما تتكلم به . كقولك : فلان يتلو كتاب الله ، أي : يقرؤه ويتكلم به»^(٦) . وقال عطاء : «ما تُحَدِّثُ وَتَقُصُّ»^(٧) ، وهذه أقوال متقاربة^(٨) .

(١) قال الزَّجَّاج في معاني القرآن ١ / ١٨٥ : «فإن النحويين قد ترك كثير منهم الكلام فيها لصعوبتها ، وتكلم جماعة منهم ، وإنما تكلمنا على مذاهبهم» .

(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ١٨٣ .

(٣) وبه قال مجاهد وقتادة وعطاء ، وروي عن ابن عباس . انظر : تفسير الطبري ١ / ٤٤٧ ، وتفسير ابن كثير : ص ١٤٤ - ١٤٦ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١ / ٤٤٧ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٤ / ١٠٥٥ .

(٥) رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٢١٨ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ١ / ١٤٥ .

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ٤٨ بمعناه .

(٧) رواه عنه الطبري في تفسيره ١ / ٤٤٧ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ١٠٥٥ .

(٨) انظر : الطبري في تفسيره ١ / ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، وذكر أبو حيان في البحر المحيط ١ / ٣٢٦ أنها متقاربة .

قال الزَّجَّاجُ: «وفيه إضمار، أراد: واتبعوا ما كانت تتلوا»^(١)، وقيل: إنه لفظ الاستقبال والمراد به الماضي، أي: تلت»^(٢)، كقول الشاعر:

فلقد يكونُ أخا دمٍ وذبايحٍ^(٣)

أي: فلقد كان^(٤)، وكقوله: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤] أي: حتى قال. وقال أبو علي^(٥) في ما استدرِك على أبي إسحاق: «الآية تحتل تأويلين، كل واحد منهما أسوغ مما ذكره وذهب إليه.

أحدهما: أن يكون ﴿تَنَلُّوا﴾ بمعنى: تلت فيكون كقوله: ﴿فَلِمَ تَقُولُونَ أَتِيَاءَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩١]. أي: فَلِمَ قَتَلْتُمْ، إلا أنه لما اتصل بقوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ علم أن المراد بمثال المضارع الماضي، فكذلك هنا^(٦) كان يعلم باتصال الكلام بعهد سليمان؛ لأن المعنى^(٧): على عهد ملك سليمان، أو في زمن ملك سليمان، على تقدير^(٨) حذف المضاف^(٩)، وكان ذلك يدل على أن مثال المضارع يراد به الماضي.

(١) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ١٨٣/١ بتصرف، وليس عنده قوله: «وفيه إضمار»، وانظر: البحر المحيط ٣٢٦/١.

(٢) انظر: التبيان للعكبري ٨٠/١، والبحر المحيط ٣٢٦/١.

(٣) صدر البيت:

وانْضَحَّ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدُمَائِهَا

وهو لزياد الأعجم في ديوانه ٥٤، وتفسير الثعلبي ١٠٥٥/١، والبيان ١٣٣/١، وتفسير القرطبي ٣٧/٢، والدر المصون ٣١٨/١، وأما المرتضي ٣٠١/١، والشعر والشعراء ٢٧٩/١، ولسان العرب ٣٩٦٢/٧. انظر: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية ١٢٦/٢.

(٤) تفسير الثعلبي ١٠٥٥/١.

(٥) أي: في كتابه الإغفال.

(٦) ساقطة من (ش).

(٧) في الإغفال: «في من قال إن المعنى على عهد ملك سليمان».

(٨) في الإغفال: «على من لم يقدر».

(٩) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ١٨٣/١، والتبيان للعكبري ٨٠/١، والبحر المحيط ٣٢٦/١.

ومن هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الحج : ٢٥] .
 يجوز عندي أن يكون المعنى : إن الذين كفروا وصدوا . فلما كان المعطوف
 عليه ماضياً دلَّ على أن المراد بالمضارع أيضاً الماضي ، ويقوي هذا قوله :
 ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد : ١] ^(١) . ويجوز أن يكون المضارع
 على بابه ، كأنه قال : إن الذين كفروا في ما مضى وهم الآن يصدُّون مع ما تقدم من
 كفرهم . والأوَّل كأنه أقوى ^(٢) .

والإرادة بمثال المضارع الماضي مذهب سيبويه ؛ لأنه قال ^(٣) : وقد تقع ^(٤)
 نفعل في موضع فعلت في بعض المواضع ، ومثل ذلك قول رجل من بني سلول :
 ولقد أمرُّ على اللئيم يسبني فمضيتُ ثمتَ قلتُ لا يعنيني ^{(٥)(٦)}

على معنى : ولقد مررت ^(٧) . قال أبو علي : « فسألت أبا بكر عما ذكره سيبويه
 من هذا ، فقال : الأفعال جنس واحد ، فكان يجب أن يكون على بناء واحد ؛
 لكنها غيَّرت بتغيير الأزمنة وقُسمت بتقاسيمها ، لما كان ذلك في الإيضاح أبلغ ،
 فخصَّ كلُّ قسم من ذلك بمثال لا يقع واحد منها في موضع الآخر ، إلا أن يُضمَّ

(١) تتمه الكلام في الإغفال : « فخير اسم إن مضمرة ، هو من نحو ما ظهر من قوله : أضل أعمالهم ،
 وحسن الحذف لطول الكلام بالعلة » .

(٢) الإغفال ٣٢١ ، ٣٢٢ .

(٣) في الإغفال ، وهذا الذي ذكرته لك من الإرادة بمثال المضارع الماضي مذهب سيبويه وقوله .

(٤) في (ش) : (يقع تفعل) .

(٥) البيت لرجل من سلول في الكتاب ٢٤ / ٣ ، والخصائص ٣٣٠ / ٣ ، والإغفال ٣٢٣ / ١ ، والدر
 ١ / ٧٨ ، ولشمر بن عمرو الحنفي في الأصمعيات ١٢٦ ، ولم ينسب في بعضها ، نحو تفسير الطبري
 ١ / ٤٢٠ ، وروايته وحده : « فمضيت عنه وقلت » ، وبعد هذا البيت :

غضبانٌ ممتلئاً عليَّ إهابُهُ
 إني وربِّك سُخْطُهُ يُرضيني

(٦) الكتاب لسيبويه ٢٤ / ٣ .

(٧) الإغفال ٣٢٢ ، ٣٢٣ . وقال سيبويه في الكتاب ١ / ٥٠٤ : « يجوز أن يجعل أفعال في موضع فعلت ،
 ولا يجوز فعلت في موضع أفعال إلا في مجازاة ، نحو إن فعلت فعلت » .

إليه حرف يكون دليلاً على ما أريد به^(١)، فيصير الحرف كأنه يقوم مقام البناء المراد، إذ كان يُدَلُّ عليه كما يدلُّ البناء، نحو: والله لا فعلت، فقولك: فعلت فعلٌ ماضٍ وقع في موضع مستقبل، فلما كانت قبلها^(٢) (لا) عُلِمَ أنه يُرادُّ به الاستقبال؛ لأن (لا) إنما^(٣) تكون نفيًا لما يستقبل^(٤)، فلما كانت نفيًا للمستقبل ووقع بعدها ماضٍ علمت أنه يرادُّ به الاستقبال^(٥). قال أبو علي: «وقد اتسعوا في إقامة أمثلة الأفعال، بعضها مقام بعض^(٦)، من ذلك: إقامتهم مثال الأمر مقام الخبر، نحو قولهم: أَكْرَمَ بزيد وقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ﴾ [مريم: ٣٨] ومعنى هذا: كَرَّمَ زيد، وسمعوا^(٧) وأبصروا، أي: صار زيد ذا كرم، وصار هؤلاء المستحقون لأن يمدحوا بهذا المدح ذوي^(٨) أسماع وأبصار^(٩).

ووقع مثال الأمر مقام الخبر، كما وقع مثال الخبر مقام الأمر في مثل: غفر الله لزيد، وقطع الله يده، وفي التنزيل: ﴿لَا تُضَاكِرْ وَلِدَةً يُؤَلِّدُهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٤]^(١٠).

فكذلك (تَتَلَوْا) في هذه الآية يجوز أن تكون بمعنى (تَلَتْ) كهذه الأشياء التي أريتكمها، وهذا وجه. وأمَّا الوجه الآخر فعلى أن يكون يفعل على بابه، لا تريد

(١) في الإغفال على ما أريد به الحرف.

(٢) في (ش): (في قبلها).

(٣) (إنما) ساقطة من (ش).

(٤) في الإغفال: «لما يستقبل مما أوجب القسم».

(٥) الإغفال ٣٢٣، ٣٢٤.

(٦) في الإغفال: «اتساعاً أشد مما قدمنا».

(٧) في الإغفال فمعنى هذا: أَكْرَمَ زيد وأسمعوا. وما في نسخة البسيط أصوب.

(٨) في نسخة الإغفال جاء النصُّ مُحَرَّفًا: «وصار هؤلاء المستحقون الآن يمدحون بهذا المدح، ويشئ عليهم بهذا الثناء دون أسماع وأبصار».

(٩) الإغفال ٣٢٦.

(١٠) الإغفال ٣٢٧ وما بعدها، بتصرف كبير.

به فَعَلَ كما أردت في الأوَّل ، ولكن تجعله حكايةً للحال وإن كان ماضياً ، وهذا الوجه في السَّعة والكثرة كالأول وأسوغ^(١) ، كأنه حكى الفعل الذي كان يحدث به عنهم وهو للحال .

ونظير هذا قوله : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩] ، فقوله : ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ حكاية للحال في الوقت الذي كانت فيه ، وإن كان آل فرعون منقرضين في وقت هذا الخطاب ، وموضع الفعل نصب بالحال . ونظير هذا أيضاً من حكاية الحال قوله : ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا وَمِنَ الْآخَرَةِ﴾ [القصص: ١٥] ، فأشير إليهما بما^(٢) يشار إلى الحاضر ؛ إرادةً لحكاية الحال على وجهها ، وإن كانت قد تقدمت^(٣) . ومن هذا أيضاً : إضافة (إذ) إلى تقول ، وإلى جمع المضارع في نحو : ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤] ، أضيف (إذ) إلى فعل الحال إرادةً لحكايتها^(٤) ، ولولا ذلك لتنافى هذا الكلام ؛ لأن (إذ) لما مضى (وتقول) لما يستقبل .

ومن هذا أيضاً ما أنشده أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي :

جاريةٌ في رمضانَ الماضي تُقَطِّعُ الحديثَ بالإيماضِ^(٥)

(١) في الإغفال : «أو أسوغ» .

(٢) في الإغفال : «كما» .

(٣) في الإغفال لحكاية القصة على جهتها ، وإن كانت متقدماً كونها .

(٤) من قوله : «إرادة لحكاية الحال على وجهها» ساقط من (أ) و (م) .

(٥) ذكره في الإغفال ٣٣٢ بهذه الصيغة ، ووقع في نوادر ابن الأعرابي غير منسوب كما في شرح ابن يعيش ٩٣ / ٦ ، ووقع في ديوان رؤبة مما نسب إليه ١٧٦ :

جاريةٌ في درعها الفضفاضِ تقطعُ الحديثَ بالإيماضِ
ونسب البغدادي ٤٨٣ / ٣ الشاهد نقلاً عن هشام اللخمي لرؤبة هكذا :

لقد أتى في رمضانَ الماضي جاريةٌ في درعها الفضفاضِ
تقطعُ الحديثَ بالإيماضِ أبيضُ من أخبث بني إياضِ

انظر : مغني اللبيب ٦٩١ / ٢ ، والإنصاف ١٢٤ / ١ ، مع اختلاف في الرواية ، وحاشية الإغفال ٣٣٢ .

وهذا وجه ثانٍ نظير ما يحسن حمل الآية عليه^(١).

فإن قلت : ما تنكر أن يكون ما ذكره أبو إسحاق من إضمار (كان) أيضاً جائزاً ، فيكون ذلك وجهاً ثالثاً .

قيل : ذلك لا يجوز ؛ لأن المضمّر لا دلالة عليه ، وإنما يسوغ الإضمار إذا كانت عليه دلالة يكون بها كالمظهر ، وسيبويه منع إجازة هذا ، فقال : «واعلم أنه لا يجوز لك أن تقول : عبد الله المقتول ، وأنت تريد : كن عبد الله المقتول^(٢) ، فإذا لم يجوز هذا ، لم يجوز هذا مع أن المنصوب يدل على ناصبه ، فأن لا يجوز ما ذهب إليه في الآية أولى^(٣) .

فإن قلت : فقد قالوا : إن سيفاً فسيّف ، وإن خنجراً فخنجرٌ ، فأضمرّوا ، قيل : ليس ذلك من هذا في شيء ؛ لأن (إن) مما يعلم أنه لا يليه إلا الفعل ، فالدلالة على المحذوف المضمّر قوية ، وليس شيء من هذا في الآية^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ : ذكرنا أنه على تقدير حذف المضاف ، وقيل : إن (على) هاهنا من صلة الافتراء والكذب ، إذا قلنا إن (تتلوا) معناه تحدّث وتكلّم ، على ما قال أبو عبيدة وعطاء ، فمعنى قوله : ﴿تَنَلُّوْا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾^(٥) ؛ لأنهم قالوا إن سليمان ملك الناس بالسحر ، وذلك ما قاله ابن عباس^(٦) رحمه الله : «إن سليمان ، عليه السلام ، لما عذّب بنزع ملكه ،

(١) الإغفال ٣٣١ ، ٣٣٢ بتصرف .

(٢) الكتاب ١/ ١٥٩ ، ط . بيروت ، وزاد : «لأنه ليس فعلاً يصل من شيء إلى شيء ، ولكنك لست على أحد» .

(٣) الإغفال ٣٣٣ بتصرف .

(٤) الإغفال ٣٣٤ بتصرف .

(٥) انظر : التفسير الكبير للرازي ٣/ ٢٠٤ ، والبحر المحيط ١/ ٣٢٦ ، وتفسير ابن كثير ١/ ١٤٣-١٤٦ .

(٦) قال في البحر المحيط ١/ ٣٢٦ : «وقد ذكر المفسرون في كيفيات ما رتبوه من هذا الذي تلوه قصصاً كثيرة ، الله أعلم به ، ولم تتعرض الآية الكريمة ولا الحديث المسند الصحيح لشيء منه ، فلذلك لم نذكره» . اهـ ، وقد ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ١/ ١٢١ الكيفيات فعدّها أفواستة .

دفت الشياطين في خزانته ومواضع مصلاه سحراً وأخذاً ونيرنجات^(١)، فلما مات سليمان دلت الشياطين عليه الناس حتى استخرجوها، وقالوا للناس: إنما ملككم سليمان بهذا فتعلموه، فأقبل بنو إسرائيل على تعلمها، ورفضوا كتب أنبيائهم، فبرأ الله نبيه سليمان - عليه السلام - على لسان محمد ﷺ^(٢).

وقال السُّدِّي: «إن الناس في زمن سليمان كتبوا السحر، واشتغلوا بتعلمه، فأخذ سليمان تلك الكتب، وجعلها في صندوق، ودفنها تحت كرسيه، ونهاهم عن ذلك، فلما مات سليمان، وذهب الذين كانوا يعرفون دفنه الكتب، تمثل شيطان على صورة إنسان، فأتى نفرًا من بني إسرائيل، فقال: هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدًا^(٣)؟ قالوا: نعم، قال: فاحفروا تحت الكرسي، فحفروا، فوجدوا تلك الكتب، فلما أخرجوها، قال الشيطان: إن سليمان كان يضبط الجن والإنس^(٤) والشياطين والطير بهذا، فاتخذ بنو إسرائيل تلك الكتب؛ فلذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود، فبرأ الله تعالى سليمان من ذلك، وأنزل هذه الآية^(٥).

(١) النيرنجات: أخذ كالسحر وليس به، وإنما هو شبه وتلبس، ويقال: النيرنجيات. انظر: تاج العروس ٤٩٧/٣، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٣٤٠/١.

(٢) أخرج هذه القصة النسائي في تفسيره ١٧٩/١، والطبري في تفسيره ٤٤٧/١، ولفظه مختصر، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٩٧/١ من طريق المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بنحوه، والمنهال: صدوق ربما وهم. وقد ذكرها الثعلبي في تفسيره ١٠٥٧/١، وعزا القصة إلى الكلبي. وذكرها أيضاً في عروس المجالس ٤٣، والواحي في أسباب النزول ٣٥.

(٣) لا تأكلونه أبدًا: أي لا تفنونه أبدًا، يقال: أكل فلان عمره إذا أفناه.

(٤) (م): (الإنس والجن).

(٥) رواه ابن جرير في تفسيره مطولاً عنه ٤٤٤/١، ٤٤٥، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٦/١ من طريق أسباط عن السُّدِّي، وذكره الثعلبي في تفسيره مطولاً ١٠٥٧/١، والواحي في أسباب النزول ٣٦، ولفظه هناك مثل هذا تماماً، وابن الجوزي في زاد المسير ١٢١/١، ١٢٢، وروى الحاكم ٢/٢٦٥، والواحي بسنديهما عن ابن عباس نحوه من هذا، وصححه الذهبي. انظر: التفسير الصحيح ٢٠٥، ٢٠٦. ذكر الدكتور بشير حكمت ياسين في كتاب التفسير الصحيح: ١/٢٠٥، ٢٠٦ روايتين عن ابن عباس وصححهما وهما موافقتان لما نقله الواحي وقال بعدهما: «وهاتان الروايتان من أخبار أهل الكتاب، ولكنها لا تتعارضان مع الكتاب والسنة، بل =

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾؛ أي لم يكن كافراً ساحراً بسحر^(١)،
ويعمل بالسحر^(٢).

وقيل: وما ستر سليمان كتب السحر، ولكن الشياطين سترته ودفتته. وأصل
الكفر: الستر والتغطية^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾: في (لَكِنَّ) قراءتان: التشديد
ونصب الاسم به، والتخفيف ورفع الاسم به^(٤).

وهذه الحروف، أعني: لَكَنَّ، وَإَنَّ، وَأَنَّ، وكَأَنَّ، هي حروف تستعمل
مخففة ومثقلة، فإذا استعملت مثقلة كانت عاملة في الأسماء، وعملها النصب^(٥)،
والعلة في ذلك أنها إذا كانت مشددة كانت مفتوحة الأواخر، وفتحة أواخرها
ألحقتها في المشابهة بالأفعال الماضية، والأفعال عاملة في الأسماء، فإذا استعملت
مخففة باينتها تلك الصفة التي ألحقتها في المشابهة بالأفعال، فالقياس أن لا تعمل
لزوال المعنى الذي به كان يعمل^(٦).

وقال الكسائي: «الذي يختار العرب والذي هو وجه الكلام عندنا إذا كانت
(لكن) وحدها بغير واو كان التخفيف أحسن، وإذا كانت بالواو كانت بالتشديد،

لبعض فقراتها شواهد، فهي توافق عصمة سليمان - عليه السلام - وتبرئ ساحته مما ألصق به من
مفتريات الإسرائيليات».

(١) ساقطة من (ش).

(٢) تفسير الثعلبي ١/ ١٠٦٠.

(٣) المفردات للراغب ٤٣٥.

(٤) قرأ ابن عامر وحمة والكسائي وخلف بتخفيف نون لكن وإسكانها، ثم كسرها تخلصاً من التقاء
الساكنين، والشياطين بالرفع. وقرأ الباقر بتشديد النون مفتوحة، ونصب الشياطين. انظر: السبعة
١٦٧، ١٦٨، والحجة لأبي علي ١٦٩/٢، والنشر ٢١٩/٢، والبدور الزاهرة ٤٦.

(٥) انظر: اللسان (لكن) ٧/ ٤٠٧٠، ومغني اللبيب ١/ ٢٩٠-٢٩٢.

(٦) انظر: الحجة ١٧٠-١٧٧، وتفسير الثعلبي ١/ ١٠٦١، والمجيد في إعراب القرآن المجيد ٣٥٩.

وبهذا قرئ أكثر ما في القرآن كقوله : ﴿ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٧] . وبغير الواو كقوله : ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ ﴾ [النساء: ١٦٦] ﴿ لَكِنَّ الرُّسُولَ ﴾ [التوبة: ٨٨] ﴿ لَكِنَّ الظَّالِمُونَ أَيُّومَ ﴾ [مريم: ٣٨] .

وقال الفرّاء : « إذا ألقيت من ولكن الواو أثرت العرب تخفيفاً نونها ، وإذا دخلت الواو آثروا تشديدها ، وإنما فعلوا ذلك ؛ لأنها رجوع عما أصاب أول الكلام ، فشبهت بـ (بل) ، إذ كانت رجوعاً مثلها ، ألا ترى أنك تقول : لم يقيم أخوك بل أبوك ، ثم تقول : لم يقيم أخوك لكن أبوك ، فتراهما في معنى واحد ، والواو لا تصلح في بل .

فإذا قالوا : ولكن فأدخلوا الواو تباعدت من بل ، إذ لم تصلح الواو في بل ، فآثروا فيها تشديد النون ، وجعلوا الواو كأنها دخلت لعطف لا بمعنى بل^(١) ، وأصلها : أن دخلت عليها لا وكاف الخطاب ، فصارتا جميعاً حرفاً واحداً^(٢) .

وقال الكسائي : « حرفان من الاستثناء لا يقعان^(٣) أكثر ما يقعان إلا مع الجحد ، وهما : لكن وبل ، والعرب تجعلهما مثل واو النسق^(٤) » .

وقال المبرّد : « لكن من حروف العطف ، وهي الاستدراك بعد النفي ، ولا يجوز أن يدخل بعد واجب إلا لترك قصة إلى قصة تامة ، نحو قولك : جاءني زيد لكن عبد الله لم يأت^(٥) » .

(١) (بل) ساقطة من (ش) .

(٢) نقل كلام الفرّاء صاحب اللسان ٧/ ٤٠٧٠ ، وقد ناقش ذلك أبو علي في الحجة ٢/ ١٧٩ ، وبين أن القياس لا يوجب هذا ذكره الفرّاء من تشديدها مع الواو وتخفيفها مع عدمها .

(٣) في (ش) : (لا تقعان) .

(٤) نقل كلام الكسائي صاحب اللسان ٧/ ٤٠٧٠ .

(٥) المقتضب للمبرّد ١/ ١٢ .

وأما اختلاف القُرَّاء في تشديد (لكن) في بعض المواضع وتخفيفها في بعض ، فلا معنى للمصير إلى التبعض في هذه المواضع ونظائرها إلا بأن تترجح عند أحد من القُرَّاء بعض الروايات على بعض ، فيصير إليه ^(١) .

ومعنى الآية : ولكن الشياطين كفروا بالله يعلمون الناس السحر . يريد : ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر . ويجوز أن يكون (يعلمون) من فعل اليهود الذين عُنُوا بقوله : ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ ^(٢) .

وسُمِّي السحرُ سحراً ؛ لخفاء سببه ، ومنه : السَّحَر وهو الغداء ، كقول لبید ^(٣) :

وَنُسَحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ ^(٤)

ذلك أن حاله خفيّة في التنمية ^(٥) ، والسَّحَر : الرئة ؛ لأنها مما تخفى وليس مما يظهر ، وسَحَر الليل : قبل ظهور الصُّبح .

(١) انظر : الحجة ١٧٩/٢ ، ١٨٠ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٤٥١/١ ، ٤٥٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٨٣/١ ، وتفسير الثعلبي ١٠٦٢/١ ، والبيان لابن الأنباري ١١٤/١ ، والتفسير الكبير للرازي ٢٠٥/٣ .

(٣) هو أبو عقيل ، لبید بن ربيعة بن مالك العامر ، تقدمت ترجمته [البقرة : ٢] .

(٤) وشطره الأول :

أَرَانَا مُوَضِّعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ

وفي رواية : لحتم غيب ، وهو لامرئ القيس في ديوانه ٤٣ ، وتهذيب اللغة ١٦٤١/٢ ، ولسان العرب ١٩٥٢/٤ ، ونسبه المؤلف وكثير من أهل التفسير إلى لبید ، مثل الرازي في تفسيره ٢٠٥/٣ .

(٥) نقل الأزهري في تهذيب اللغة ١٦٤١/٢ أن معنى ونسحر بالطعام ؛ أي نُغَلِّلُ به ، وقال الرازي في تفسيره ٢٠٥/٣ : « قيل فيه (أي البيت) وجهان : أحدهما أنا نعلل ونخدع كالمسحور . والآخر : نغذى ، وأي الوجهين كان فمعناه الخفاء » .

وقال المحققون من أهل اللغة : «معنى السحر : الإزالة وصرف الشيء عن وجهه»^(١) ، تقول العرب : ما سَحَرَكَ عن كذا ، أي : ما صَرَفَكَ عنه ، ومنه : قوله تعالى : ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون : ٨٩] أي : تصرفون ، ويقال : سحره ، أي : أزاله عن البُغْض إلى الحُبِّ ، وكأن الساحر بما أرى الباطل في صورة الحق فقد سَحَرَ الشيء عن وجهه ، أي : صرفه»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ : موضع (ما) نصب ، نسق على السحر ، وجائز أن يكون نسقاً على ما في قوله : ﴿مَا تَنْتَلُوا الشَّيَاطِينُ﴾^(٣) .

ومعنى ﴿أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ : أي عُلِّمَا وأُلهِمَا وَقُذِفَ فِي قُلُوبِهِمَا من علم التفرقة ، وهو رقية^(٤) وليس بسحر ، والرخصة في الرقية واردة . فقد روى عوف الأشجعي^(٥) أنه قال : «كنا نرقى في الجاهلية ، فقلنا لرسول الله ﷺ : كيف ترى في ذلك ؟ فقال : «اعرضوا عليّ رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً»^(٦) .

وقال ابن قتيبة : «الذي أنزل الله على الملكين في ما يرى أهل النظر من أهل العلم والله أعلم هو الاسم الذي سعدت الزهرة فعلمته الشياطين ، فهي تعلمه

- (١) انظر كلام الأزهري في : تهذيب اللغة ٢/ ١٦٤١ ، ونقله صاحب اللسان ٤/ ١٩٥٢٥ .
- (٢) انظر : تهذيب اللغة ٢/ ١٦٤١ ، ومقاييس اللغة ٣/ ١٣٨ ، والمفردات للراغب ٣٣١ ، ٣٣٢ ، والتفسير الكبير ٣/ ٢٠٥ ، وتفسير القرطبي ٢/ ٣٨ ، واللسان ٤/ ١٩٥٢ .
- (٣) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٠٦٢ ، وصَحَّحَ الأول ، وتفسير الطبري ١/ ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، وإعراب مشكل القرآن ١/ ١٠٦ ، والتبيان للعكبري ١/ ٨٠ .
- (٤) الرقية : العُوْذَةُ التي يُرْقَى بها صاحب الآفة ، كالحُمَى والصرع وغير ذلك من الآفات . انظر : النهاية لابن الأثير ، واللسان ٣/ ١٧١١ .
- (٥) هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي ، أبو عبد الرحمن ، ويقال : أبو حماد ، صحابي جليل ، أول مشاهده خير ، وكانت معه راية أشجع يوم الفتح ، توفي بدمشق سنة ٧٣ هـ . انظر : أسد الغابة ٣١٢/٤ .
- (٦) أخرجه مسلم ٢٢٠٠ ، كتاب : السلام ، باب : لا بأس ، وأخرجه أبو داود ٣٨٨٦ ، كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الرقى واللفظ له .

أولياءها ، وقد يقال : إن الساحر يتكلم بكلام فيطير بين السماء والأرض ، ويطفو على الماء .

وذهب قومٌ ممن أبطلوا السَّحر وأنكروا أن يكون له حقيقة^(١) إلى أن قوله : ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ ما فيه نفي^(٢) ، وذلك مستكره ؛ لأنه إذا كان المعنى : لم ينزل على الملكين ،^(٣) صار الكلام فضلاً لا معنى له . وإنما يجوز أن يكون (ما) نفيّاً أن لو ادّعى مدع أن السحر أنزل على الملكين ، ويكون في ما تقدّم ذكر ذلك أو دليل^(٤) عليه ، فيقول الله تعالى : ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ ، ولم ينزل على الملكين كما ذكروا . ومثال ذلك أن يقول مُبتدئاً : «علمت هذا الرجل القرآن ، وما أنزل على موسى» ، فلا يتوهم سامعٌ هذا أنك أردت بقولك أن القرآن لم ينزل على موسى ؛ لأنه لم يتقدّمه قول أحدٍ أنه أنزل على موسى ، وإنما يتوهم السامع أنك علمته القرآن والتوراة^(٥) .

ثم اعلم أن السحر على قسمين :

أحدهما : يكفر به الساحر ، وهو أن يعتقد القدرة لنفسه ، فإذا انتهى به السحر إلى هذه النهاية صار كافراً بالله ، وهذا السحر هو الذي عدّه رسول الله ﷺ في الكبائر في قوله : «اجتنبوا السبع الموبقات» ، قيل : يا رسول الله ، وما هنّ ؟

(١) اختلف الناس : هل للسحر حقيقة أم أنه خدع وتخيل ؟ فذهب المعتزلة إلى أنه خدع وتخيل ، ولا حقيقة له ؛ لقوله تعالى : ﴿سَكْرَتَا أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ [الأعراف : ١١٦] . والصحيح الذي عليه أهل السُّنّة أنه يكون تخيلاً وخدعاً ، ويكون حقيقةً ، ودليل كونه حقيقةً قوله تعالى : ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ . انظر : تفسير الطبري ١/ ٤٥٩-٤٦١ ، وتفسير القرطبي ٣٨/ ٣٩ ، والمغني لابن قدامة ١٢/ ٣٠٤ .

(٢) ذكر هذا الوجه مكّي بن أبي طالب في مشكل إعراب القرآن ١/ ١٠٦ .

(٣) من قوله : «ما فيه . . .» ساقط من (أ) و (م) .

(٤) في (ش) : (ذلك) .

(٥) كلام ابن قتيبة لم أره في غريب القرآن ، وتأويل مشكل القرآن .

قال : «الشرك بالله ، والسحر ، وقَتْل النفس التي حَرَّمَ الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنة» .^(١)

والقسم الثاني : لا يكفر به ، وهو التخيل الذي يشاكل التَّيْرُنْجَات ، فإذا لم يعتقد لنفسه في ما يعمل قدرة ، واعتقد القدرة لله تعالى كانت معصيةً ، ولم يكن ذلك كُفْراً^(٢) .

وأما قصة المملكين فهي معروفة مذكورة في عدة مواضع^(٣) .

(١) أخرجه البخاري ٦٨٥٧ ، كتاب : الحدود ، باب : رمي المحصنات ، ومسلم ٨٩ ، كتاب : الإيمان ، باب : بيان الكبائر وأكبرها .

(٢) ذكر القرافي في أنوار البروق في أنواع الفروق ١٣٧/٤ أقسام السحر وأحكامه ، وذكر القرطبي في تفسيره ٣٩/٢ أن من السحر ما يكون كُفْراً من فاعله ، مثل ما يدعون من تغيير صور الناس وإخراجهم في هيئة بهيمة ، فكل من فعل هذا ليوهم الناس أنه محق فذلك كفر منه ، وأما من زعم أن السحر خدع ومخاريق وتمويهات فلم يَجِبْ على أصله قتل الساحر إلا أن يقتل بفعله أحداً فيقتل به . ثم ذكر في ٤٧/٢ خلاف الفقهاء في حكم الساحر :

١ . فذهب مالك إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كُفْراً يقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته ؛ لأنه أمر يستسرُّ به كالزندق والزاني ؛ ولأن الله سمى السحر كُفْراً في هذه الآية ، وهو قول أحمد وأبي ثور وإسحاق والشافعي وأبي حنيفة ، وروي قتل الساحر عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وأبي موسى وقيس بن سعد وعن سبعة من التابعين ، وروي مرفوعاً : «حدُّ الساحر ضربه بالسيف» .

٢ . وروي عن الشافعي : لا يقتل الساحر إلا أن يقتل بسحره ، ويقول : تعمدت القتل ، وإن قال : لم أعمده لم يقتل ، وكانت فيها الدية كقتل الخطأ ، وإن أضُرَّ به أَدَبَ على قدر الضرر . انظر الأم للشافعي ٢٩٣/١ .

قال ابن العربي في أحكام القرآن ٤٨/١ : «وهذا باطل من وجهين : أحدهما : أنه لم يعلم السحر ، وحقيقته : أنه كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى ، وتنسب إليه المقادير والكائنات . الثاني : أن الله سبحانه قد صرح في كتابه بأنه كفر» .

انظر المسألة في : تفسير الطبري ٤٥٣/١ ، وأحكام القرآن للجصاص ٧٢٥/١ ، والمغني ٣٠٢-٣٠٣ ، وزاد المسير ١٢٦/١ ، وتفسير ابن كثير ١٤٧/١-١٥٢ .

(٣) انظر القصة وتفصيلاتها في : تفسير عبدالرزاق ٥٣/١ ، والبزار في المسند ، رقم ٢٩٣٨ ، وعبد بن حميد كما =

وقوله تعالى: ﴿بَبَائِلَ﴾^(١): بابل اسم أرض^(٢)، قيل: سُمِّيَتْ بذلك لأن الله تعالى حين أراد أن يخالف بين ألسنة بني آدم بعث ريحاً فحشرتهم من كل أفق إلى بابل، فبلبل الله بها ألسنتهم، ثم فرقهم تلك الريح في البلاد^(٣). والبلبله: التفريق^(٤).

في المنتخب من مسنده، رقم ٧٨٧، وابن حبان ٦٣/١٤، والسمرقندي في تفسيره ١٤٣/١، والبيهقي في سننه ٤/١٠، والثعلبي في تفسيره ١٠٦٣/١، وزاد المسير ١٢٣/١، والدر المنثور ١٨٥-١٩٣، وتفسير القرطبي: ٤٤/٢، ٤٥، قال: «وقد روي عن علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وكعب الأحبار، والسُّدِّي والكَلْبِي ما معناه: فذكر القصة مجملة»، ثم قال: «هذا كله ضعيف وبعيد عن ابن عمر وغيره لا يصح منه شيء». اهـ. وقال ابن كثير في تفسيره: «وحاصلها راجع في تفاصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيه حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وظاهر سياق القرآن إجمال القصة في غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بها ورد في القرآن على ما أراد الله تعالى والله أعلم بحقيقة الحال»، وقال أيضاً: «فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين، وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار، وتلقاه عنه طائفة من السلف، فذكروه على سبيل الحكاية والتحديث عن بني إسرائيل». اهـ. وقد أنكر القصة جماعة من أهل العلم، منهم: ابن حزم في الفصل ٣/٢٦١، ٣٢/٤، وابن عطية في تفسيره ٤٢٠/١، وابن العربي في أحكام القرآن ٢٩/١، والرازي في تفسيره ٢٣٧/١، والبيضاوي في تفسيره ٧٩/١، والخازن في تفسيره ٧١/١، وأبو حيان في البحر ٣٢٩/١، وابن كثير في تفسيره ١٥١/١، والآلوسي في روح المعاني ٣٤١/١، والقاسمي في محاسن التأويل ٢١١/١، وغيرهم. انظر استقصاءهم في: تحقيق العجائب لابن حجر للأستاذ عبد الحكيم محمد الأنيس ٣٣٢-٣٤٢، وانتصر لتصحيحها الحافظ ابن حجر في العجائب، والسيوطي كما في اللآلي المصنوعة ١٥٩/١، ومناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفاء للسيوطي ٢٣١/٤ كما أفاده الخفاجي عنه في نسيم الرياض ٢٣١/٤، وقال: «وقد جمع الجلال السيوطي طرق هذا الحديث في تأليف مستقل فبلغت نيفاً وعشرين طريقاً».

(١) قال العكبري في التبيان ٨١: «ببابل، يجوز أن يكون ظرفاً لأنزل، ويجوز أن يكون حالاً من الملكين، أو من الضمير في أنزل».

(٢) ذكر الطبري في تفسيره ٤٥٩/١ فيها قولين: «إنها: بابل رنباوند، أو إنها بابل العراق»، وذكر ابن الجوزي في تفسيره ١٠٩/١ في حدها ثلاثة أقوال: «إنها الكوفة وسواها، والثاني: إنها من نصيبين إلى رأس العين، والثالث: إنها جبل في وهدة من الأرض»، وقد رجَّح ابن كثير في تفسيره ١٥٢/١ أنها بابل العراق، واستدل لذلك. انظر: تفسير الثعلبي ١٠٦٣/١، ومعجم ما استعجم ٢٠٢/١، ومعجم البلدان ٣٠٩/١.

(٣) انظر: تفسير الثعلبي ١٠٦٣/١، وزاد المسير ١٢٥/١، والقرطبي ٤٦/٢.

(٤) انظر: القاموس ٩٦٨، ٩٦٩.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾: اختلفوا في تعليم الملكين السّحر، فذكر أهل التفسير وأصحاب المعاني فيه وجهين^(١):

أحدهما: إنهما كانا لا يتعمدان تعليم السّحر، ولكنهما يصفانه، ويذكران بطلانه، ويأمران الناس باجتنابه، وكانا يُعلِّمان الناس وغيرهم ما يُسألان عنه، ويأمران باجتناب ما حُرِّم عليهم، وطاعة الله في ما أمروا به، ونهوا عنه، وفي ذلك حكمة؛ لأن سائلاً لو سأل: ما الزنا؟ وما اللواط؟ لوجب أن يوقف عليه، ويعلم أنه حرام، فكذاك مجاز إعلام الملكين الناس السّحر، وأمرهما السائل باجتنابه بعد الإعلام والإخبار أنه كفر حرام^(٢). ويؤكد هذا الوجه ما روى أبو العباس عن ابن الأعرابي أنه قال: «عَلَّمَ بمعنى أعلم، وذلك أن التعليم لا ينفك عن الإعلام، كما يقال: تَعَلَّمَ بمعنى أَعْلَمَ؛ لأن من تَعَلَّمَ^(٣) شيئاً فقد عَلَّمَهُ، فيوضع التَّعَلُّم موضع العلم»^(٤).

قال قيس بن زهير:

تَعَلَّمَ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءِ لَا يَرِيمُ^(٥)
أي: أعلم.

قال ابن الأعرابي: «ومن هذا قول الله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ قال معناه: إن السّاحر يأتي الملكين فيقول: أخبراني عما نهى الله عنه حتى أنتهي، فيقولان:

(١) انظر: تفسير الطبري ١/ ٤٦١-٤٦٣، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ١٨٣، ١٨٤، وتفسير البغوي

١/ ١٢٩، وزاد المسير ١/ ١٢٢، والقرطبي ٢/ ٤٨.

(٢) من تهذيب اللغة للأزهري (علم) ٣/ ٢٥٥٤، ومنه نقل الثعلبي في تفسيره ١/ ١٠٨٥.

(٣) ساقطة من (أ) و(م).

(٤) نقله عن ابن الأعرابي والأزهري في تهذيب اللغة ٣/ ٢٥٥٤، والقرطبي في تفسيره ٢/ ٤٨. انظر:

البحر المحيط ١/ ٣٣٠.

(٥) البيت لقيس بن زهير في مقاييس اللغة ٤/ ١١٠، ولسان العرب (علم) ٥/ ٣٠٨٣.

نهى عن الزنى ، فيستوصفهما الزنى ، فيصفانه ، فيقول : وعن ماذا ؟ فيقولان : عن اللواط ، ثم يقول : وعن ماذا ؟ فيقولان عن السحر ، فيقول : وما السحر ؟ فيقولان : هو كذا ، فحفظه ، وينصرف فيخالف ، فيكفر ، فهذا معنى ﴿يُعْلَمَانِ﴾^(١) ولا يكون تعليم السحر إذا كان إعلماً كفرًا ، ولا تعلمه إذا كان على معنى الوقوف عليه ليجتنبه كفرًا ، كما أن من عرّف الزنى لم يَأْثِمَ بأنه عرّفه ، إنما يَأْثِمَ بالعمل^(٢) .

الوجه الثاني : إن الله - عز وجل - امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت ، وجعل المحنة في الكفر والإيمان أن يقبل القائل تعلم السحر ، فيكفر بتعلمه ، ويؤمن بترك التعلم ، والله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء ، كما امتحن الله^(٣) بنهر طالوت في قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ [البقرة: ٢٤٩] . يدل على صحة هذا قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا مَحْنُ فَتْنَةٍ فَلَا تَكْفُرْ﴾ ؛ أي محنة من الله نُخَبِرُكَ أَنَّ عملَ السحر كفر بالله ، وننهاك عنه ، فإن أطعنا في ترك العمل بالسحر نجوت ، وإن عصيتنا في ذلك هلكت^(٤) .

وروي عن ابن عباس أنه قال : «أَمَّا السحر فمما^(٥) علّمت الشياطين ، وأَمَّا الفرق بين المرء وزوجه فمما علّم الملكان»^(٦) .

-
- (١) هذا فيه زيادة في (ش) إنها هو يعلمان ولا يكون .
- (٢) نقل هذا بطوله الأزهري في تهذيب اللغة (علم) ٢٥٥٥ / ٣ ، ومنه أخذ الثعلبي في تفسيره ١ / ١٠٨٥ ، ونصر هذا القول الطبري في تفسيره ١ / ٤٥٣ - ٤٥٥ ، وقوّاه الزّجاج في معاني القرآن ١ / ١٨٣ ، ١٨٤ . قال ابن كثير في تفسيره ١ / ١٥٢ ، ١٥٣ : «وهذا الذي سلّكه [يعني : ابن جرير] غريب جداً ، وأغرب منه قول من زعم أن هاروت وماروت قبيلان من الجن كما زعمه ابن حزم» .
- (٣) في (ش) : (كما أنه امتحن بنهر طالوت) .
- (٤) من تفسير الثعلبي ١ / ١٠٨٥ ، وذكر أنه الأصح . انظر : معاني القرآن للزّجاج ١ / ١٨٣ ، وتفسير الطبري ١ / ٤٥٥ ، وتفسير السمعاني ١ / ٥٧٥ ، وتفسير الرازي ٣ / ٢٨٣ .
- (٥) في (ش) : (فما) .
- (٦) رواه بمعناه ابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ١٨٨ ، ورواه الطبري بسنده عن مجاهد ١ / ٤٥٤ ، وروى نحوه ١ / ٤٥٣ عن قتادة ، وكذا ذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ١٠٨٠ ، وعزاه في الدر ١ / ١٩٤ إلى عبد بن حميد .

ثم وجه تعليم الملكين أنه يجوز أن يلهمهما الله ويعلمهما من الأذكار والأسماء ما يعلمان أنها إذا استعملت على جهة الدعاء أو على جهة الرقية أفادت التفريق بين المرء وزوجه ؛ إذ لا يحسن بحالهما وما هما فيه من عقوبة الذنب السابق أن يشتغلا بارتكاب كبيرة مستأنفة .

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ أَحَدٍ ﴾ ؛ أي أحداً ، ومن زائدة مؤكدة ، كقولك : « ما جاءني من أحد »^(١) .

وأما (أحد)^(٢) فقال الليث :

أصله : واحد^(٣) ، ونحو ذلك قال الزجاج^(٤) .

وقال أحمد بن يحيى : « واحد وأحد ووَاحِدٌ بمعنى »^(٥) .

وقال الليث : « الواحد : المنفرد ، ورجل واحدٌ ، وثور واحدٌ » ، قال النابغة^(٦) :

بذي الجليل^(٧) على مستأنسٍ وَحِدٍ^(٨)

(١) انظر : البحر المحيط ١ / ٣٣٠ ، وقال : « من زائدة لتأكيد استغراق الجنس ، لأن أحداً هي من الألفاظ المستعملة للاستغراق في النفي العام ، فزيدت هنا لتأكيد ذلك » .

(٢) قال العكبري في التبيان ١ / ٨١ : « وأحد هاهنا يجوز أن تكون المستعملة في العموم ، كقولك ما بالدار من أحد ، ويجوز أن تكون هاهنا بمعنى واحد أو إنسان » ، قال في البحر المحيط ١ / ٣٣٠ : « والأول أظهر » .

(٣) نقلة في تهذيب اللغة (واحد) ٤ / ٣٨٤٦ .

(٤) نقله عنه في تهذيب اللغة ٤ / ٣٨٤٤ ، واللسان (واحد) ٨ / ٤٧٨٠ .

(٥) في تهذيب اللغة (واحد) ٤ / ٣٨٤٤ : ثعلب عن سلمة عن الفراء : « رجل وَحِيدٌ وَوَاحِدٌ وَوَاحِدٌ ، وكذلك فريد وفردٌ » .

(٦) هو الذبياني أبو أمامة زياد بن معاوية بن ضباب ، من الطبقة الأولى ، من فحول شعراء الجاهلية ، كان يحكم بين الشعراء في سوق عكاظ ويفاضل بينهم . انظر : طبقات فحول الشعراء ١ / ٥٦ ، وجمهرة أشعار العرب ١ / ٣٠٣ .

(٧) في (م) و(أ) : (الخليل) .

(٨) صدر البيت :

كأنّ رحلي وقد زال النهار بها

والبيت من قصيدة قالها يمدح النعمان بن المنذر ، انظر : ديوانه ١٧ ، وتهذيب اللغة (واحد) ٤ / ٣٨٤٤ .

وَالْوَحْدَ وَالْحِدَةَ كَالْوَعْدِ وَالْعِدَةِ ، يقال : وَحَدَ الشَّيْءُ فَهُوَ يَحْدُ حِدَةً .

وفرق قوم بين الواحد والأحد ، فقالوا : «أحد يصلح في الكلام في موضع الجحد ، وواحد في موضع الإثبات . تقول ما جاءني منهم أحد ، وجاءني منهم واحد ، ولا يقال : جاءني منهم أحد ؛ لأنك إذا قلت : ما جاءني منهم أحد ، فمعناه لا واحد ولا اثنان ، وإذا قلت : جاءني منهم واحد ، فمعناه : أنه لم يأتني منهم اثنان»^(١) . وأكثر ما جاء (أحد) في التنزيل في موضع النفي .

قال أبو علي : «وقد استعملوا أحداً بمعنى واحد ، وذلك قولهم : أحد وعشرون ، وفي التنزيل : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢) [الصمد: ١] .

وسنذكر الكلام في (أحد) صفة الله تعالى في سورة الإخلاص ، والكلام في (واحد) نذكره في^(٣) قوله : ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] إن شاء الله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا مَحْنُ فِتْنَةٍ﴾ : معنى الفتنة في كلام العرب : الابتلاء والامتحان^(٤) ، وأصلها مأخوذ من قولك : «فتنت الفضة والذهب» إذا أذبتها بالنار ؛ لتمييز الرديء من الجيد ، وتعرف جودتها من الرداءة ، ومن هذا قوله عز وجل : ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣] ؛ أي يحرقون بالنار ، ومن هذا

(١) من تهذيب اللغة ٤/ ٣٨٤٥ ، وعنه في اللسان (وحد) ٣/ ٤٤٨ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (وحد) ٤/ ٣٨٤٧ ، ومقاييس اللغة ٦/ ٩٠ ، واللسان (وحد) ٨/ ٤٧٨٠ ، وقال صاحب المفردات ٢١ ، ٢٢ ما حاصله : «أحد يستعمل على ضربين : أحدهما في النفي فقط ، نحو : ما في الدار أحد . والثاني : في الإثبات ، وهو على ثلاثة أوجه : الأول : في الواحد المضموم إلى العشرات ، نحو أحد عشر . والثاني : أن يستعمل مضافاً إليه بمعنى الأول ، كقوله : ﴿أَمَّا أَحَدُكُمْ فَتَسْتَعِ رَبَّهُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١] ، وقولهم : يوم الأحد ، أي يوم الأول ، ويوم الإثنين . والثالث : أن يستعمل مطلقاً وصفاً ، وليس ذلك إلا في وصف الله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾» .

(٣) في (م) : (عند) .

(٤) قال في مقاييس اللغة ٤/ ٤٧٢ : «الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار» .

قيل للحجارة السود التي كأنها أحرقت بالنار : الفتنين ، هذا هو^(١) ، ثم جعل كل امتحان فِتْنَةً ، وقد جعل الله امتحانه عبده المؤمنين بالألواء ليلو صبرهم فيثيبهم ، أو جزعهم^(٢) على ما ابتلاهم به فيجزئهم ، جزاؤهم فتنة ، فقال : ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ﴾ إلى قوله : ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٢] : قيل في تفسيره : وهم لا يُبَلَّون في أنفسهم وأموالهم ، وكذلك قوله : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣] ؛ أي اختبرنا^(٣) .

والفتنة تستعمل في معان كثيرة ، ترجع كلها إلى الأصل الذي ذكرنا عند النظر ، والفتنة مصدر ؛ لذلك^(٤) لم يُشَنَّ^(٥) .

ويقال : فَتَنَهُ وَأَفْتَنَهُ ، والأوَّل : لغة أهل الحجاز ، والثاني : لغة أهل نجد ، وقال أعشى همدان :

لئن فَتَنْتَنِي هَيَّ بِالْأَمْسِ أَفْتَنْتَ سعيداً فأمسى قد قَلَى كلُّ مُسْلِمٍ^(٦)

(١) من تهذيب اللغة (فتن) ٣/ ٢٧٣٨ .

(٢) في (ش) : (جوعهم) .

(٣) بمعناه من تهذيب اللغة (فتن) ٣/ ٢٧٣٨ .

(٤) في (ش) : (كذلك) .

(٥) انظر : الوسيط ١/ ١٨٥ .

(٦) البيت لأعشى همدان ، وقيل لابن قيس الرقيات ، كما في اللسان (فتن) ٦/ ٣٣٤٥ ، وذكر أنه قيل في سعيد بن جبير ، وقال الأصمعي : «هذا سماعنا من مخنث ، وليس بثبت ؛ لأنه كان ينكر أفتن» . انظر : تهذيب اللغة (فتن) ٣/ ٢٧٣٩ .

وكان الأصمعي ينكر أفتته^(١)، وذكر له هذا البيت فلم يعبأ به^(٢). وأكثر أهل اللغة أجازوا اللغتين^(٣). ومعنى فتنه فلانة؛ أي اختبرته، كأنه اختبر بها لجمالها.

وقال الليث: «يقال فتنه يفتنه، ففتن بمعنى: افتتن، فجعله لازماً ومتعدياً»^(٤)، وقال:

رخيمُ الكلامِ قطيعُ القيا مِ أمسى الفؤادُ به فاتناً^(٥)
قال الأزهري: يقال: افتنته^(٦) فافتتن، واقعاً ومطاوفاً، وهو صحيح ذكره ابن شميل^(٧).
وأما فتنه ففتن فهي لغة ضعيفة^(٨).

ومعنى قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾؛ أي ابتلاء واختبار لكم^(٩).

(١) في (ش): (افتنته).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (فتن) ٣/ ٢٧٣٩، واللسان ٦/ ٣٣٤٤.

(٣) ما تقدم من تهذيب اللغة (فتن) ٣/ ٢٧٣٩.

(٤) نقله في تهذيب اللغة (فتن) ٣/ ٢٧٣٩.

(٥) البيت في اللسان (فتن) ٦/ ٣٣٤٥، ولم ينسبه، وروايته: «أمسى فؤادي بها فاتناً».

(٦) في (م): (افتنته).

(٧) هو النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم التميمي، تقدمت ترجمته.

(٨) نقله عنه في تهذيب اللغة ٣/ ٢٧٤٠. انظر: المفردات (فتن) ٣٧٤، واللسان ٦/ ٣٣٤٥، وتاج

العروس ١٨/ ٤٢٤-٤٢٨.

(٩) تهذيب اللغة ٣/ ٢٧٣٩.

وقوله تعالى : ﴿فَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾^(١) : هذا الفعل منسوق على فعل مقدر يدل عليه الكلام ، كأنه قال : حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيأبون فيتعلمون^(٢) .

قال ابن الأنباري : «وصلح إضمار يأبون هنا كما صلح إضمار الفعل في قوله : ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] والعرب تحمل على المعنى كثيراً ، من ذلك قول الفرزدق :

فكيف بليلةٍ لا نجمَ فيها ولا قمرٍ لساريها منير^(٣)
عطف (ولا قمر) على مُقَدَّر في المعنى ، كأنه قال : فكيف بليلة ليست بليلة نجم ولا قمر» .

قال أبو إسحاق : «والأجود في هذا أن يكون عطفاً على ﴿يُعَلِّمَانِ﴾ ، ﴿فَتَعَلَّمُونَ﴾ ويستغنى^(٤) عن ذكر ﴿يُعَلِّمَانِ﴾ ؛ لما^(٥) في الكلام من الدليل

(١) انظر : إعرابها في : التبيان ٨٠ ، والبحر المحيط ١ / ٣٣١ ، وقد لخص أبو حيان الكلام فيها بقوله : «وتلخص في هذا العطف أنه عطف على محذوف ، تقديره : فيأبون فيتعلمون ، أو يعلمان فيتعلمون ، أي : على مثبت ، أو يتعلمون : خبر مبتدأ محذوف ، أي : فهم يتعلمون ، عطف جملة اسمية على فعلية ، أو معطوفاً على يعلمون الناس ، أو معطوفاً على كفروا ، أو على يعلمان المنفية ، لكونها موجبة في المعنى ، فتلك أقوال ستة أقربها إلى اللفظ هذا القول الأخير» .

(٢) وهذا اختيار الطبري في تفسيره ١ / ٤٦٢ ، واستحسنه الزجاج في تفسيره ١ / ١٨٥ ، لكنه جود ما بعده .

(٣) ورد البيت هكذا :

فكيف بليلةٍ لا نومَ فيها ولا ضوءٍ لصاحبها منير

والبيت للفرزدق ، انظر : ديوانه ٢٢١ .

(٤) في معاني القرآن للزجاج : «واستغنى» .

(٥) في معاني القرآن للزجاج : «بها» .

عليه^(١). وقال الفرّاء: «هي مردودة على قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ فيتعلّمون»^(٢).

قال الزّجاج: «هذا خطأ؛ لأن قوله: (منهما) دليل هاهنا على التعلم من الملكين خاصّة»^(٣).

وابن الأنباري صحح مذهب الفرّاء، وقال: «معناه: يعلمون الناس السحر فيتعلّمون منهم عن^(٤) الملكين، فلا يكون (منهما) على هذا صلة للتعلم، بل يكون كقولك: تعلّمت من الفرّاء عن الكسائي، أي: الفرّاء تعلّم عنه، وروى لي^(٥) عنه، (ومنهما) على هذا الوجه يكون بمعنى: عنها، فقامت من مقام عن». قال هشام: «قال الأصمعي: سمعت^(٦) أفصح العرب يقول: حدثني فلان من فلان، وهو يريد عن فلان».

ويجوز أن يكون معنى قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ أي: من السّحر والكفر، أو من السّحر والكهانة. و(أحد): يقع على الواحد والاثنين والجميع؛ لذلك^(٧)

(١) معاني القرآن للزّجاج ١/ ١٨٥، وانظر: التبيان للعكبري ٨١.

(٢) معاني القرآن للفرّاء ١/ ٦٤، وقد جوّد الوجه الأول، وردّ عليه النحاس هذا الوجه في إعراب القرآن ١/ ٢٠٤، فقال: «غلط؛ لأنه لو كان كذا لوجب أن يكون فيتعلّمون منهم، فقوله: منها، يمنع أن يكون التقدير: ولكن الشياطين كفروا، يعلمون الناس السحر فيتعلّمون، إلا على قول من قال الشياطين هاروت وماروت».

(٣) معاني القرآن للزّجاج ١/ ١٨٥، وقد أطال أبو علي في الإغفال ٣٣٥-٣٤٩ النفس في مناقشة كلام الزّجاج.

(٤) في (أ): فيتعلّمون عن منهم عن الملكين، وفي (م): فيتعلّمون عن منهم من الملكين.

(٥) (لي) ساقطة من (م).

(٦) في (م): (سمعت من).

(٧) في (ش): (كذلك).

قال (فَيَتَعَلَّمُونَ) بلفظ الجمع ، والدليل على ذلك قوله : ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة : ٤٧] .

قال ابن الأنباري : «وأجاز أصحابنا : ما مررت بأحدٍ يتكلمون . ومررت على كُلِّ رَجُلٍ يتعجبون»^(١) .

وروى سلمة^(٢) عن الفرّاء قال : «(أَحَدٌ) يكون للجميع والواحد في النفي ، كقوله : ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة : ٤٧] جعل (أحد) في موضع جمع ، وكذلك قوله : ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة : ٢٨٥] فهذا جمع ؛ لأن (بين) لا يقع إلا على اثنين فما زاد»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ : وهو أن يُؤَخَّذَ^(٤) كل واحد منهما عن صاحبه ، ويُغَضَّ كل واحد إلى الآخر^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا هُمْ﴾ ؛ أي السحرة ، وقيل : الشياطين ، وعلى هذا دلّ كلام ابن عباس^(٦) .

(به) ؛ أي بالسحر ، ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ ؛ أي أحداً^(٧) .

(١) ابن الأنباري .

(٢) هو سلمة بن عاصم النحوي أبو محمد ، تقدمت ترجمته [البقرة : ٨] .

(٣) نقله عنه في تهذيب اللغة ٤/ ٣٨٤٦ ، وقال سيبويه : «هو معطوف على (كفروا)» ، قال : «وارتفعت (فيتعلمون) لأنه لم يخبر عن الملكين أنها قالا : لا تكفر فيتعلموا ، ليجعلا كفره سبباً لتعلم غيره» ، نقله أبو حيان في البحر المحيط ١/ ٣٣١ .

(٤) يؤخذ : من التأخير ، وأخذه : رقاها ، والأخذة (بضم فسكون) : رقية تأخذ العين ونحوها كالسحر ، أو خرة يؤخذ بها النساء الرجال ، ورجل مؤخذ عن النساء : محبوس . انظر : اللسان (أخذ) .

(٥) رواه الطبري في تفسيره ١/ ٤٦٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٩٣ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١٠٨٠ ؛ كلهم عن قتادة .

(٦) انظر : البحر المحيط ١/ ٣٣٢ ، وزاد قولاً ثالثاً ، وقيل : على اليهود .

(٧) أي : من زائدة . انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٠٨٦ ، وأحكام القرآن لابن العربي ١/ ٤٩ ، وتفسير القرطبي ٢/ ٤٩ ، والبحر المحيط ١/ ٣٣٢ .

﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ : قال ابن عباس : «يريد : ما يُضِلُّونَ إِلَّا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِي وَقَضَائِي وَقَدَرْتِي أَنْ أَضِلَّهُ»^(١) .

وقال المفسرون : «الإذن هاهنا تأويله : إرادة التكوين ، أي : لا يضرُّون بالسحر إلا مَنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُلْحِقَهُ ذَلِكَ الضَّرَرُ»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَيَعْلَمُونَ مَا يَضرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ : المعنى أنه يضرهم في الآخرة ، وإن تعجلوا به في الدنيا نفعاً^(٣) .

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ : يعني اليهود^(٤) ، ﴿لَمَنِ اشْتَرَتْهُ﴾ : أي اختاره (يعني السحر)^(٥) . ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ : أي نصيب . والخلاق : النصيب الوافر من الخير^(٦) .

قال المفسرون في هذه الآية : الخلاق : النصيب من الجنة^(٧) .

-
- (١) ليس في شيء من التفاسير المسندة ، وقد تقدم الحديث عن هذه الرواية في المقدمة .
- (٢) انظر : تفسير الطبري ١/ ٣٦٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ١٩٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ١٨٦ ، وتفسير القرطبي ٢/ ٤٩ .
- (٣) انظر : تفسير الطبري ١/ ٤٦٤ .
- (٤) انظر : تفسير الطبري ١/ ٤٦٤ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٠٨٦ ، وذكر في البحر المحيط ١/ ٣٢٣ قولين آخرين ؛ «أحدهما : إن المراد الشياطين ، والثاني : إن المراد الملكين» .
- (٥) انظر : تفسير الطبري ١/ ٤٦٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ١٩٥ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٠٨٦ ، وزاد المسير ١/ ١٢٥ ، وذكر في البحر المحيط ١/ ٣٣٤ أربعة أقوال في ما يعود عليه الضمير ، فقيل : السحر ، وقيل : الكفر ، وقيل : كتابهم الذي باعوه بالسحر ، وقيل : القرآن لأنه تعوضوا عنه بكتب السحر .
- (٦) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ١٨٧ ، وتفسير الطبري ١/ ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ١٩٥ ، والبحر المحيط ١/ ٣٣٤ ، وذكروا خمسة أقوال هي : النصيب ، والدين ، والقوام ، والخلاص ، والقدرة ، وقد فسره بالنصيب ابن عباس ومجاهد والسُّدي ، ورَّجَّحه الطبري والزجاج وغيرهما .
- (٧) انظر : تفسير الطبري ١/ ٤٦٦ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٠٨٦ .

ثعلب عن ابن الأعرابي في قوله تعالى : ﴿لَا خَلْقَ لَهُمْ﴾ [آل عمران : ٧٧] : «لا نصيب لهم في الخير» ، ويعني بهذا : الذين يعلمون الناس السحر ، وهم كانوا من علماء اليهود^(١) .

وفي قوله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ : جملتان^(٢) ؛ إحداهما : مقسم عليها ، والأخرى : مؤكدة بغير قسم .

ويحتمل أن تكون الجملتان كلتاها مقسم عليهما ، والجملة هي المحدث عنه والحديث .

فأما الجملة المقسم عليها فقوله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ مقسم عليه ؛ لدخول اللام في لقد ، وهذه اللام إذا جاءت في الفعل الماضي والمستقبل فإنما تجيء على نية اليمين ، كانت مذكورة معها أو محذوفة . قال سيبويه : «سألت الخليل عن قوله : ليفعلن إذا جاءت مبتدأة ؟ فقال : هي على نية القسم^(٣) ، واللام التي تدخل على الماضي هي هذه التي إذا دخلت على المستقبل لزمته النون ، فتقدير ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ : والله لقد علموا» .

والأخرى المؤكدة غير المقسم عليها : قوله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ إذا جعلت (مَنْ) بمعنى (الذي) كانت اللام للتأكيد دون القسم .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ١٨٦ ، وزاد المسير ١/ ١٢٥ .

(٢) ما سيأتي في المسألة من كلام أبي علي في الإغفال ٣٦٢ وما بعدها . انظر في : إعرابها معاني القرآن للفرّاء ١/ ٦٥-٦٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ١٨-١٨٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٠٤ ، وإعراب

مشكل القرآن ١/ ١٠٦ ، ١٠٧ ، والتبيان للعكبري ٨١ .

(٣) الكتاب ١/ ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ط . بيروت .

ومذهب سيبويه فيه هذا هو أن (من) فيه بمعنى (الذي) ، كأنه قيل : للذي اشتراه ماله في الآخرة من خلاق^(١) . فموضع (من) رفع بالابتداء ، وموضع ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ رفع على أنه خبر الابتداء ، وأمّا احتمال الكلام أن يكون فيه جملتان كلتاها مقسم عليهما :

فالأولى منهما أيضاً قوله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ ، والأخرى المقسم عليها قوله : ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ ، وذلك أن تجعل (من) شرطاً في قوله : ﴿لَمَنِ أَشْرَبُهُ﴾ ، ولا تجعله بمنزلة الذي ، وتجعل قوله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ بمنزلة القسم ؛ لأن العلم قد يقام مقام القسم ، في مثل قولك : «علمت ليفعلن كذا» ، وفي مثل قول الشاعر^(٢) :

ولقد علمت لتأتين عشيّة لا بعدها خوفٌ عليّ ولا عدَمٌ^(٣)

قال سيبويه : «كأنه قال : والله لتأتين عشيّة ، فحمل (علمت) في البيت على معنى اليمين . فمن حيث استعمل استعمال القسم صلح أن يكون له جواب ، كما يكون للقسم ، وساغ أن يكون النفي جواباً له في الآية» .

فإن قيل : على هذا إذا قلتم : إن قوله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ مقسم عليه ، وجوزتم أن يكون هو في نفسه قسماً ، فكأنه قسم قد دخل على قسم ، ويبعد ذلك عند سيبويه ، فإن سيبويه والخليل قالا : «لا يقوى أن يقول : وحقك وحق زيد لأفعلن ، والواو الآخرة وأو قسم لا يجوز إلا مستكراً ؛ لأنه لا يجوز هذا في محلوف عليه إلا أن تضم الآخر إلى الأوّل ، وتحلف بهما على المحلوف عليه»^(٤) .

(١) ساقط من (أ) و(م) .

(٢) الذي استشهد به أبو علي في الإغفال ٣٦٦ ، ونقله عنه سيبويه هو قول الشاعر : «ولقد علمت لتأتين منيتي» .

(٣) البيت لعامر بن حوط في تاج العروس (عدم) ، والمعجم المفصل ١٦٣ / ٧ .

(٤) الكتاب لسيبويه ٥٠١ / ٣ ، ط . عبد السلام هارون .

ولهذا جعل هو والخليل الحرف في قوله : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١-٢] إنه للعطف^(١) . معنى ضم الآخر إلى الأول ؛ أي يضم إليه بحرف العطف^(٢) من دون القسم ، قلنا : هذا على ما ذكرت ، ولكن قوله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ أقيم مقام القسم ، وليس كالمختصّ بالقسم الذي لا معنى له غيره ، نحو : لعمرك لأفعلن ، وبالله^(٣) ليقومن ، فليس يدخل على هذا قسم على قسم^(٤) على الحقيقة ، إنما يدخل^(٥) على شيء أقيم مقام القسم ، وأصله غير ذلك ، والأول هو الوجه الواضح^(٦) .

قوله تعالى : ﴿وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ ؛ أي بئس شيء باعوا به حظ أنفسهم ؛ إذ اختاروا السحر ، ونبدوا كتاب الله^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ : إن قيل : كيف نفى العلم عنهم ، ولقد أثبت العلم لهم في قوله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ ؟

قيل : وصفهم بالعلم^(٨) في قوله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ على المجاز لا على الحقيقة ، كأنه قال : علموا هذا علماً ظاهراً ، ولم يعلموا كنه ما يصير إليه من بخس الآخرة من العقاب ، لذلك^(٩) قال : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ .

(١) المرجع السابق .

(٢) من قوله : معنى (ضم الآخر) ساقط من (ش) .

(٣) في (ش) : (وتالله) .

(٤) (على) ساقطة من (ش) .

(٥) في (ش) يدخل الاسم على شيء .

(٦) هذه المسألة بتمامها ملخصة من كلام أبي علي في الإغفال ٣٦٢-٣٦٨ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٤٦٦/١ ، وتفسير الثعلبي ١٠٨٧/١ ، وتفسير ابن كثير ١٥٤/١ .

(٨) في (ش) : «وصفهم بالعلم ثم نفاه عنهم في قوله . . .» ، وهذا سيأتي .

(٩) في (ش) : (كذلك) .

وقيل : إن الله تعالى وصفهم بالعلم ثم نفاه عنهم ؛ لأنهم لم يعملوا بما علموا ، فكانوا بمنزلة من لم يعلم ، كما تقول : صليت ولم تصل ، وتكلمت ولم تتكلم ؛ أي لم تجود كلامك ، فكنت بمنزلة من لم يتكلم .

وقيل : إنما وصفهم بوصفين مختلفين ؛ لأنهم علموا أن الآخرة يخسرها من أثر السحر ، ثم دخلوا فيه وآثروه طمعاً في عوض يصير إليهم من الدنيا ، فقال الله عز وجل : ﴿ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أن الذي قصدوه وآثروه لا يتم لهم من جهته ما يؤملون ؛ لأن الدنيا تنقطع عنهم بالموت ، ثم يقدمون على الآخرة التي لا حظ لهم فيها^(١) .

١٠٣ . قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا ﴾ ؛ أي بمحمد والقرآن ، ﴿ وَاتَّقَوْا ﴾ اليهودية والسحر^(٢) .

﴿ لَمَثُوبَةٌ ﴾ : يقال : أثابه إثابة ومثابة ، والاسم : الثواب والمثوبة والمثوبة بفتح الواو^(٣) ، كالمشورة والمشورة .

قال أبو العباس : « الثواب في الأصل معناه : ما رجع إليك من عائدة ، وحقيقته^(٤) : الجزاء العائد على صاحبه مكافأة لما فعل ، ومنه : التثويب في

(١) انظر : تفسير الطبري ١/ ٤٦٧ ، وتفسير البغوي ١/ ١٣٢ ، والتفسير الكبير للرازي ٣/ ٢٢٢ ، والبحر المحيط ١/ ٣٣٤ ، وأجاب الطبري في تفسيره ١/ ٤٦٦ بأنه من باب التقديم والتأخير ، ومعنى الكلام : وما هم ضارون به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولبس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ، ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ، ثم رد على من قال : « ولقد علموا ، أي : الشياطين ، ولو كانوا يعلمون ، يعني به الناس » ، وبين أنه قول لجميع أهل التأويل مخالف ؛ لأنهم مجمعون على أن قوله (ولقد علموا) يعني به اليهود . . . إلى آخر ما قال .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٠٨٧ ، وتفسير الطبري ١/ ٤٦٨ ، وتفسير البغوي ١/ ١٣٢ .

(٣) المثوبة : بفتح الواو شاذ كما قال اللحياني . انظر : اللسان (ثوب) ١/ ٥١٩ .

(٤) في (أ) و(ش) : (والحقيقة) .

الأذان ، إنما هو ترجيع الصَّوْت ، ولا يقال لصوتٍ مرةً واحدةً : تثويب ، ويقال :
ثَوَّب الداعي : إذا كرر دعاه كما قال :

إذا الداعي المَثُوبُ قال : يالاً^(١) .

والثوب مشتق من هذا ؛ لأنه ثابت لباساً بعد أن كان قُطناً أو غزلاً^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ لَمْثُوبَةٌ ﴾ في موضع جواب لو ؛ لأنه ينبئ عن قولك :
لأثبيوا ، فحذف الجواب ، وجعل قوله : ﴿ لَمْثُوبَةٌ ﴾ بدلاً منه ، واللام فيه لام
الابتداء^(٣) .

ومعنى الآية : إن ثواب الله خير لهم من كسبهم بالكفر والسحر^(٤) .

١٠٤ . قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ : يقال : أرعى
إلى الشيء وراعاه : إذا أصغى إليه ، مثل : عافاه وأعفاه . قال الفراء :
« هو من الإرعاء والمراعاة »^(٥) .

(١) البيت نسب إلى زهير بن مسعود الضبي . انظر : لسان العرب (يا) ٨ / ٤٩٧٦ غير منسوب ، والمعجم
المفصل ٦ / ٨١ ، ونسب إلى الفرزدق في لسان العرب (لوم) ٧ / ٤١٠٥ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١ / ٤٦٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ٢٠٦ ، وتهذيب اللغة (ثاب) ١ / ٤٦٣ ،
والمفردات للراغب الأصبهاني ٨٩ ، ومقاييس اللغة ١ / ٣٩٣ ، وقال : « الشاء والواو والباء قياس
صحيح من أصل واحد وهو العود والرجوع » .

(٣) معاني القرآن للزجاج ١ / ١٨٧ ، والبحر المحيط ١ / ٣٣٥ ، وقد ذكر الطبري في تفسيره ١ / ٤٦٨ أن
بعض نحويي البصرة يرد ذلك ، ويرى أن الجواب (لمثوبة) .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١ / ١٨٧ . انظر : تفسير الثعلبي ١ / ١٠٨٧ ، ومشكل إعراب القرآن ١ / ١٠٨ ،
والتيبان ٨١ ، والبحر المحيط ١ / ٣٣٥ .

(٥) معاني القرآن للفراء ١ / ٦٩ .

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى : «راعنا سمعك ، أي : اسمع منا حتى نفهمك وتفهم عنا ، والعرب تقول : أرعنا سمعك ، وراعنا سمعك بمعنى واحد^(١) . وأصل الكلمة من الرعاية^(٢) ، الذي هو الحفظ ، فمعنى أرعيت سمعي ، أي : حفظت عليه ما يقول . والمراعاة : المراقبة لأنها حفظ ما يكون من أحوال الشيء ، والإرعاء : الإبقاء على أخيك ؛ لأنك تحفظ ما تقدم من حقه^(٣) .

قال الكلبي عن ابن عباس : «كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ : راعنا سمعك ، وكان هذا بلسان اليهود سباً قبيحاً ، فلما سمعوا هذه الكلمة يقولونها لرسول الله ﷺ أعجبته ، وكانوا يأتونه ويقولون ذلك ، ويضحكون في ما بينهم ، فسمعها سعد بن معاذ^(٤) ، وكان يعرف لغتهم ، فقال : عليكم لعنة الله ، لئن سمعته من رجل منكم يقولها لرسول الله ﷺ^(٥) لأضربن عنقه ، فقالت اليهود^(٦) : أو لستم تقولونها ؟ فأنزل الله هذه الآية ، ونُها عن ذلك^(٧) .

(١) نقله عنه في تهذيب اللغة (رعن) ١٤٣٠ / ٢ .

(٢) ذكر الزجاج في معاني القرآن ١ / ١٨٨ «أن في (راعنا) ثلاثة أقوال : أحدها : راعنا ، من أرعنا سمعك . والثاني : من المراعاة والمكافأة ، ف قيل لهم : لا تقولوا : راعنا ؛ أي كافنا في المقال ، كما يقول بعضهم لبعض ، وقولوا أنظرنا ؛ أي أمهلنا ، واسمعوا ، كأنه قيل لهم استمعوا . والثالث : راعنا ، كلمة تجري على الهزل والسخرية ، فنهى المسلمون أن يتلفظوا بها بحضرة النبي ﷺ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ٢ / ١٤٣٠ ، والمفردات للراغب ٢٠٤ ، ومقاييس اللغة ٢ / ٤٠٧ ، والبحر المحيط ١ / ٣٣٦ ، وتاج العروس (رعن) ١٨ / ٢٣٨ .

(٤) سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري الأشهلي ، أبو عمرو سيد الأوس ، شهد بدرًا ، واستشهد من سهم أصابه بالخنق ، ومناقبه كثيرة . انظر : تقريب التهذيب ٢٣٠ ، (٢٢٥٥) ، ط . دار الرسالة .

(٥) من قوله : «أعجبته . . . » ساقط من (ش) .

(٦) ساقطة من (ش) .

(٧) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ١ / ٤٧ من طريق عبد الغني بن سعيد عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ، وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس ، والإسنادان ضعيفان كما ذكرت في الدراسة . وذكر الثعلبي القصة في تفسيره ١ / ١٠٨٧ ، ولم يستند إلى أحد ، وكذا قال مقاتل في تفسيره ، وذكره الواحدي في أسباب النزول : ص ٣٦ عن عطاء عن ابن عباس ، والسيوطي في لباب النقول ١٩ ، وفي الدر ١ / ١٩٥ ، ١٩٦ ، وعزاه إلى أبي نعيم في الدلائل ، =

وهذا النهي اختص بذلك الوقت ؛ لإجماع الأمة على جواز المخاطبة بهذه اللفظة الآن .

وقوله تعالى : ﴿ وَقُولُوا أَنْظِرْنَا ﴾ ؛ أي انتظرنا ، والعرب تقول : نظرت فلاناً ؛ أي : انتظرته . قال الخطيئة :

وَقَدْ نَظَرْتُكُمْ إِنْئَاءً صَادِرَةً^(١)

ومعنى (انظرنا) هاهنا : اصبر حتى نفهمك ما نقول ، ويجوز أن يكون (انظرنا) ؛ أي انظر إلينا ، فحذف حرف الصفة ، كقول قيس بن الخطيم^(٢) :
ظَاهِرَاتُ الْجَمَالِ وَالْحُسْنُ يَنْظُرْنَ كَمَا يَنْظُرُ الْأَرَاكَ الظَّبَاءُ^(٣)

ويشهد له ما أخرجه الطبري في تفسيره ٤٦٩/١ عن قتادة بمعناه ، وذكره ابن حجر في العجائب ٣٤٤/١ ، وفي فتح الباري ١٦٣/٨ ، وقال : «وروى أبو نعيم في الدلائل بسند ضعيف جداً عن ابن عباس» .

والصحابي الذي ذكره الواحد في أسباب النزول هو سعد بن عباد ، وكذا هو عند مقاتل في تفسيره ٥٩/١ ، وتوجد أسباب أخرى وردت في نزول الآية ذكرها الطبري في تفسيره ٤٧٠/١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٦/١ ، والسيوطي في الدر ١٩٥/١ ، ١٩٦ .
(١) عجز البيت :

للخمس طالَ بها حَوْزِي وتنسائي

في ديوانه : ص ١٠٦ ، وتفسير الطبري ٤٧٣/١ ، ولسان العرب ٤٤٦٦/٧ ، والمعجم المفصل ٧١/٤ ، وفي رواية : للورد بدل للخمس ، والشطر الأول عند الطبري إعشاء بدل إيناء . وهذه القصيدة مدح بها الخطيئة بغض بن عامر بن شمس ، وهجا بها الزبرقان بن بدر . الإيناء : مصدر آتيت الشيء : إذا أخرته ، والصادرة : الإبل التي تصدر على الماء ، والخمس : من أطماء الإبل ، وهو أن تظل في المرعى بعد يوم ورودها ثلاثة أيام ثم ترد في الرابع ، والحوز : السوق اللين ، والتنساس : السوق الشديد لورود الماء ، والشاعر يصف طول انتظاره حين لا صبر له على طول الانتظار .

(٢) هو قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي ، أبو يزيد ، شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية ، اشتهر عنه تتبعه قاتلي أبيه وجده حتى قتلها ، أدرك الإسلام لكنه لم يسلم ، قُتل سنة ٢٠ ق .هـ . انظر : جمهرة أشعار العرب ١٢٣ ، والأعلام ٥/٢٠٥ .

(٣) نسب هذا البيت إلى قيس بن الخطيم كما في إحدى نسخ الثعلبي الخطية ، وفي بعضها بلا نسبة . تفسير =

وإذا كان بتقدير (انظر إلينا) كان من نظر العين^(١) .

ونذكر معاني النظر عند قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] إن شاء الله .

قال : «المفسرون أمروا أن يقولوا : انظرنا بدل راعنا» .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَسْمَعُوا ﴾ ؛ أي أطيعوا ، أو اتركوا هذه الكلمة ، فسَمَى الطاعة سمعاً ؛ لأن الطاعة تحت السمع^(٢) .

١٠٥ . قوله تعالى : ﴿ مَا يَوَدُّ ﴾ إلى قوله ﴿ مِنْ خَيْرٍ ﴾ : (من) صلة مؤكدة^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ ﴾ : يقال : خَصَّ بالشئ واختصَّ به بمعنى واحد^(٤) ، ويقال : اختصَّصته بالفائدة واختصصت بها .

= الثعلبي ١/ ١٠٩٠ ، وهو بلا نسبة في أساس البلاغة ٤٥٤ ، ونسب إلى عبد الله بن قيس الرقيّات ، وهو

في ديوانه ٨٨ . انظر : تفسير القرطبي ٢/ ٥٤ ، والبحر المحيط ١/ ٣٣٩ ، والدر المصون ١/ ٣٣٢ .

(١) انظر : معاني القرآن للقرّاء ١/ ٧٠ ، وتفسير الطبري ١/ ٤٧٣ ، والمفردات ٤٩٠-٥٠٠ ، واللسان

٧/ ٤٤٦٤ ، وقد ذكر الطبري في تفسيره ١/ ٤٧٣ ، ٤٧٤ أن معناها : انظرنا وارقبنا نفهم ما تقول لنا

وتعلمنا . قال : «وقد قرئ (أنظرنّا) ، أي : أخرنا ، ولا وجه له في هذا الموضع ؛ لأن الصحابة أمروا

بالدنو من رسول الله ﷺ ، والاستماع له لا بالتأخر عنه» ، وأضاف : «وقد قيل : إن معناها : أمهلنا» ،

وبيّن أنها قريبة المعنى مما ذكر ، لكن لا يقرأ بها . انتهى ملخصاً .

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ١٠٩١ ، والتفسير الكبير للرازي ٣/ ٢٢٥ .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٠٩٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٠٦ ، وتفسير البغوي ١/ ١٣٣ .

(٤) زيادة من (ش) ، وقد ذكر الثعلبي في تفسيره ١/ ١٠٩٢ أن الاختصاص أوكد من الخصوص ؛ لأن

الاختصاص لنفسك والخصوص لغيرك .

ومعنى الاختصاص : الانفراد بالشيء ، ومنه : الحَصَاصُ للْفُرَجِ^(١) ؛ لأنه انفراد كل منهما^(٢) واحد عن الآخر من غير جمع بينها ، ثم يقال لسوء الحال : الحَصَاصَةُ^(٣) ؛ لأنها خللٌ في الحال وصدع^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ : أراد بالرحمة هاهنا النبوة^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ : قال الليث : « ذو اسم ناقص ، وتفسيره : صاحب ذاك^(٦) ، كقولك : ذو مال . والثنية : ذوان ، والجمع^(٧) : ذوون ، وتقول في تأنيث^(٨) ذو : ذات ، وفي الثنية : ذواتا ، وفي الشعر يجوز : ذاتا . والجمع : ذوات مال^(٩) ، وأنشد للكُميت :

وَقَدْ عَرَفْتُ مَوَالِيهَا الذَّوِينَ^(١٠)

(١) أي : فُرَج بين الأثافي والأصابع . انظر : اللسان ١١٧٣ / ٢ ، وقال في تهذيب اللغة ١ / ٢٣٣ ، ٢٣٤ : « وأصل ذلك من الحَصَاص ، وكل خَلَلٍ أو خَرَقٍ يكون في مُنْخَلٍ أو بابٍ أو سَحَابٍ أو بُرْقَعٍ فهو حَصَاصٌ » .

(٢) زيادة من (ش) .

(٣) في (ش) : (حَصَاصَة) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ٢ / ١٢٩٩ ، والمفردات ١٥٥ ، واللسان ٣ / ١٤٧٦ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١ / ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ١٨٩ .

(٦) في تهذيب اللغة : « ذلك » .

(٧) في (أ) و(ش) : (الجميع) .

(٨) في (م) : (التأنيث) .

(٩) انظر : المفردات ١٨٦ ، والبحر المحيط ١ / ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، والقاموس ١٣٥١ ، والإتقان ٢ / ١٩٥ .

(١٠) البيت هكذا :

فَلَا أَعْنِي بِذَلِكَ أَسْفَلِيكُمْ وَلَكِنِّي أَرِيدُ بِهِ الذَّوِينَ

وهو للكُميت بن زيد في ديوانه ٢ / ١٠٩ ، ومعجم الشعراء ٨ / ١٠١ ، وما ذكره المؤلف موافق لما في تهذيب اللغة ٢ / ١٢٩٩ .

أي^(١) : الأخصيين الأدينين ، وإنما جاءت النون لذهاب الإضافة^(٢) .

وسمعت أبا الحسن النحوي - رحمه الله - يقول : «أصل ذو : ذوي أو ذوو ، فلما تحركت الواو والياء وانفتح ما قبلها صارت ألفاً فصار ذوا ، ثم لما تحركت الواو وانفتح ما قبلها صارت ألفاً ، فاجتمعت ألفان فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين ، فبقي ذا فلم يمكن إعراب الألف ، فجعل إعرابه في الذال ، فلما أعربت الذال بالرفع انقلبت الألف واواً ، ولما أعربت بالخفض انقلبت ياء ، ولما أعربت بالنصب بقيت ألفاً كما كانت» .

١٠٦ . قوله تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ الآية : قال الزَّجَّاج : «النسخ في اللغة : إبطال شيء وإقامة آخر مقامه . والعرب تقول : نسخت الشمسُ الظل ، والمعنى : أذهبت الظلَّ وحلَّت محله»^(٣) .

وقال غيره : «تناسخ الأزمنة والقرن بعد القرن : هو مضي الأول ومجيء الثاني بعده يخلفه في محله» .

(١) في (ش) : (أن) .

(٢) نقله عنه في تهذيب اللغة ٢ / ١٢٩٩ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ١٨٩ .

ثعلب عن ابن الأعرابي : «النسخ : تبديل الشيء من الشيء ، وهو غيره ، والنسخ : نقل شيء من مكان إلى مكان ، وهو هو»^{(١)(٢)} . وروى أبو تراب^(٣) عن الفراء وأبي سعيد : «مسخه الله قرداً ، ونسخه قرداً ، بمعنى واحد»^{(٤)(٥)} .

وقال العلماء من أهل اللغة والتفسير^(٦) : «النسخ له معنيان :

أحدهما : تحويلُ الكتاب من حيث هو إلى نسخة أخرى ، يقال : نسخت الكتاب ، أي : كتبت منه نسخة أخرى^(٧) .

ثم^(٨) يقال : نَسَخْتُ منه نسخة ، وإن لم تُحوَّل من مكتوب إلى غيره ، كأنك كتبتَه عن حفظك . ومن هذا قوله عز وجل : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجن: ٢٩] يجوز أن يكون معناه : ننسخ ، كقوله : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ [الصافات: ١٤] أي : يسخرون ، ويجوز أن يكون معناه : نستدعي ذلك ، وهو أمر الملائكة بكتابه . وعلى الوجهين جميعاً هو كتابة لا من نسخة .

(١) ساقطة من (أ) و(م) .

(٢) نقله عنه في تهذيب اللغة ٤/ ٣٥٥٨ ، واللسان (نسخ) ٧/ ٤٤٠٧ .

(٣) لغوي من خراسان ، استدرك على الخليل بن أحمد في كتاب العين ، وله كتاب الاعتقَاب . انظر : إنباه الرواة ٤/ ١٠٢ .

(٤) نقله عنه في تهذيب اللغة (نسخ) ٤/ ٣٥٥٨ ، وعنه أيضاً في اللسان ٧/ ٤٤٠٧ ، وتفسير الثعلبي ١٠٩٣/١ .

(٥) انظر في معاني النسخ : تفسير الطبري ١/ ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، وتفسير القرطبي ٢/ ٦٢ ، وتهذيب اللغة (نسخ) ٤/ ٣٥٥٨ ، واللسان ٧/ ٢٤٠٧ ، والإتقان ٣/ ٥٩ . قال صاحب المفردات ، ٤٩٢ : «النسخ : إزالة شيء بشيء يتعقبه ، كنسخ الشمس الظل ، والظل الشمس ، والشيب الشباب ، فتارة يفهم منه الإزالة ، وتارة يفهم منه الإثبات ، وتارة يفهم منه الأمران» .

(٦) انظر ذلك في : المستقصى للغزالي ١/ ١٠٧ ، والمحزر الوجيز ١/ ٤٢٨-٤٣١ ، والتفسير الكبير للرازي ٣/ ٢٢٦ ، وشرح مختصر الروضة للطوفي ٢/ ٢٥١ ، والإتقان ٣/ ٥٩ ، وإرشاد الفحول ١٨٣ .

(٧) ساقطة من (أ) و(ش) .

(٨) ساقطة من (أ) .

فعلى هذا المعنى : القرآن كله منسوخ ؛ لأنه نُسخَ للنبي ﷺ من أم الكتاب فأُنزل عليه .

والثاني : هو رفعُ الحكم وإبطاله ، ثم يجوز النسخ إلى بدل وإلى غير بدل . فالذي إلى بدل قولهم : نَسَخَتِ الشَّمْسُ الظِّلَّ ، فالظلُّ يزول ويبطل ، والشمس تكون بدلاً عنه ^(١) .

والذي إلى غير بدل قولهم : نَسَخَتِ الرِّيحُ الأَثَرَ ، أي : أبطلتها وأزالتها . وهذا المعنى هو المراد بالآية ^(٢) .

ثم النسخ في القرآن على ضرب ، منها : ما يكون حكمه مرفوعاً ، وخطؤه مثبت يتلى ويقرأ ، ولا يعمل به ، وهذا هو المعروف من النسخ ؛ أن تكون الآية الناسخة والمنسوخة جميعاً ثابتتين في التلاوة وفي خط المصحف ، إلا أن المنسوخة منهما غير معمولٍ بها ثابت ، فينسخ التلاوة بثابت التلاوة ^(٣) ، وذلك مثل :

عِدَّةُ المتوفى عنها زوجها كانت سنةً لقوله : ﴿مَتَعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ [البقرة: ٢٤٠] ، ثم نسخت بأربعة أشهر وعشر لقوله : ﴿يَرْبِصَنَّ أَنْفُسُهُنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] ^(٤) .

ومثل هذا أيضاً قوله : ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥] الآية ، ثم نسخت بقوله : ﴿أَلَمْ نَخَفْ اللَّهَ عَنْكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٦] .

(١) ساقطة من (ش) .

(٢) انظر : الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ، ١٤ ، وتفسير الطبري ١/ ٤٧٥ ، والمحزر الوجيز ٤٢٨-٤٣١ ، وتفسير القرطبي ٢/ ٥٥-٦١ .

(٣) (بثابت التلاوة) ساقطة من (ش) .

(٤) سيأتي بيان حقيقة النسخ في هذه الآية عند تفسيره .

ومنها: أن ترفع تلاوتها وحكمها، كنعو ما يُزَوَى عن أبي بكر - رضي الله عنه - أنه قال: «كُنَّا نقرأ: (لا ترغبوا عن آبائكم إنه كفر)»^(١).

ومنها: أن ينسخ تلاوته، ولا تنسخ حكمه، كآية الرجم؛ فإنها منسوخة تلاوةً، ثابتة حكماً^(٢).

ومنها: أن يُنسخ ما ليس بثابت التلاوة (بما ليس بثابت التلاوة)^(٣) مثل: ما روي عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «إنا كُنَّا نقرأ: «عشر رضعات معلومات يُجر من»، فنسخن بخمس»^(٤).

وقد ينسخ أيضاً ما ليس بثابت التلاوة بما هو ثابت التلاوة، والمراد بالمنسوخ: الحكم، مثل: نسخ تحليل الخمر، وكتحريم الزنا، وهذا كثير.

ويجوز أيضاً نسخ ما هو ثابت التلاوة بما^(٥) ليس بثابت التلاوة، وهو كنسخ الجلد في المحصنين بالرجم، والرجم غير متلو الآن، وإن^(٦) كان يتلى على عهد رسول الله ﷺ^(٧)، فالحكم يثبت والقراءة لا تثبت، كما يجوز أن تثبت التلاوة في بعض ولا يثبت الحكم.

(١) الحديث أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ١٩٣، وأبو داود الطيالسي ١٢ عن عمر بن الخطاب، ونقله السيوطي عنه في الإتيقان ٧٤/٣. انظر: كنز العمال ٢٨٥/٢، وذكره في الحجة ١٨٠/٢. انظر أيضاً: تفسير القرطبي ٥٥/٢، ٥٦، وأخرجه ابن الضريس عن ابن عباس كما في الدر المنثور ١٩٧/١، ١٩٨.

(٢) ساقطة من (أ) و(م).

(٣) ساقطة من (ش).

(٤) أخرجه مسلم ١٤٥٢، كتاب: الرضاع، باب: التحريم بخمس رضعات.

(٥) (بما هو ليس) في (م).

(٦) في (ش): (قد).

(٧) انظر حديث عمر في آية الرجم المنسوخة لفظاً عن ابن عباس عند البخاري ٦٨٣٠، كتاب: الحدود، باب: رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، ومسلم ١٩١، كتاب: الحدود، باب: رجم الثيب في الزنا. انظر: الإتيقان ٧٣/٣.

وإذا جاز أن يكون قرآنًا ولا يعمل به جاز أن يكون قرآنًا يعمل به ولا يتلى ؛
وذلك أن الله - عز وجل - أعلم بمصالحنا ، وقد يجوز أن يعلم من مصلحتنا تعلق
العمل بهذا الوجه .

قال أبو إسحاق : «إن قيل : ما الفصل^(١) بين الترك والنسخ ؟

فالجواب في ذلك : أن النسخ أن يأتي في الكتاب نسخ آية بآية ، فتبطل الثانية
العمل بالأولى ، ومعنى الترك : أن تأتي الآية بضرب من العمل فيؤمر المسلمون
بترك ذلك بغير آية تنزل ناسخةً للتي قبلها ، نحو قوله : ﴿ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ
مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ [المتحنة : ١٠] ثم أمر المسلمون بعد بترك المحنة ، فهذا يدل على
معنى الترك ومعنى النسخ»^(٢) .

فأبو إسحاق فصل بين النسخ والترك كما ترى ، وجعلهما قسمين .

قال أبو علي^(٣) : «ليس حقيقة النسخ ما ذكره أبو إسحاق ، بل هو ضرب من
النسخ ، وقد يكون نسخ الآية على^(٤) ضروب أخر ، وما أعلم في النسخ رواية ولا
قياساً يدل على أنه مقصور على ما ذكر ، وقد ينسخ القرآن عند عامة الفقهاء بسنة
غير آية ، ولا يمتنعون من أن يسئمو ذلك نسخاً ، ولا يمتنع أن يسمى الضرب
الذي سماه أبو إسحاق تركاً نسخاً» .

(١) في معاني القرآن للزجاج : «ما الفرق» .

(٢) بتصرف من معاني القرآن للزجاج ١ / ١٩٠ .

(٣) أي في الحجة ٢ / ٢٠١ ، وما بعدها .

(٤) ساقطة من (أ) و(م) .

ومما^(١) يدل على ذلك أن الزهري روى عن عروة عن عائشة ، قالت : «نزل في أصحاب بئر معونة^(٢) قرآن منه : «بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضيَ عنا وأرضانا» ، ثم نسخ^(٣) ، فسَمَّتْ عائشة ذلك نسخاً ، وإن لم ينسخ بآية ، ولم تُسمَّه تركاً ، وهذا يفسد القسمين اللذين قسمهما^(٤) .

قال أبو علي : «لم يثبت بتسمية النسخ ومعناه رواية نعلمها عن العرب ، ولا سماع ، ولا قياس ، وإن المفسرين قالوا فيه على طريق التقريب» .

الذي يدل على هذا أن الفرَّاء قال : «النسخ : أن يعمل بالآية ثم تنزل أخرى فيعمل بها ، وتترك^(٥) الأولى» .

(١) في (أ) و(م) : (وما) .

(٢) بئر معونة : وقعة في صفر من السنة الرابعة ، قتل فيها أربعون من خيار أصحاب رسول الله ﷺ ، كان رسول الله ﷺ قد بعثهم دعاء إلى الله ، فغدرت بهم قبائل رِعل وذكوان وعصية عند بئر معونة . انظر : سيرة ابن هشام ٣/ ١٨٤ - ١٩٠ ، تحقيق : همام سعيد .

(٣) حديث عائشة .

وجاء هذا أيضاً من رواية أنس : رواه البخاري ٤٠٩٠ ، كتاب : المغازي ، باب : غزوة الرجيع ورِعل وذكوان وبئر معونة ، ومسلم ٦٧٧ ، كتاب : المساجد ، باب : استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة .

(٤) من الحجة ٢/ ٢٠١ .

(٥) في (أ) و(م) : (يترك) .

والقراءة الصحيحة : ﴿ مَا نَسَخَ ﴾ ، وقرأ ابن عامر^(١) وحده (ما نُسَخَ) بضم النون^(٢) ، وَخَطَّاهُ في ذلك أبو حاتم^(٣)^(٤) وكثير من أهل النظر^(٥) . والذين وجهوا هذه القراءة قالوا : «أَفْعَلَ لا يخلو من ثلاثة^(٦) أوجه :

أحدها^(٧) : أن تكون^(٨) لغة^(٩) في فعل كقولهم : حلَّ من إحرامه ، وأحلَّ ، وبدأ الله الخلق وأبداهم ، ولا يجوز هذا الوجه في أنسخ ؛ لأننا لا نعلم أحداً حكى أو روى أنسخ بمعنى : نسخ .

الوجه الثاني : أن تكون الهمزة للنقل ، كقوله : قام وأقمته ، وضرب وأضربته^(١٠) ، ونسخ الكتاب وأنسخته الكتاب ، وهذا الوجه أيضاً كالأوّل في أنه لا يجوز حمل الآية عليه ؛ لأنك لو قدّرت الهمزة للنقل كان المعنى ما ننسخك من آية ، فتجعل^(١١) المفعول محذوفاً من اللفظ مراداً في المعنى ، كقولك : ما أعطيت من درهم فلن يضع عندك ، على معنى : ما أعطيتك ، وإذا كان على هذا التقدير ،

(١) هو أبو عمران عبدالله بن عامر اليحصبي ، إمام أهل الشام في القرآن ، وأحد القراء السبعة ، أخذ القراءة من المغيرة بن أبي شهاب اليحصبي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، توفي سنة ١١٨ هـ . انظر : معرفة القراء الكبار ٨٢ / ١ ، والسبعة ٨٥ .

(٢) قرأ ابن عامر من غير طريق الداجوني عن هشام : (ما نُسَخَ) بضم النون ، وقرأ الباقر بالفتح . انظر : السبعة ١٦٨ ، والنشر ٢ / ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ومعاني القراءات للأزهري ٦٠ ، والحجة في القراءات السبعة ٨٦ ، تحقيق : عبدالعال سالم مكرم .

(٣) هو سهل بن محمد الجشمي السجستاني ، من أئمة القراءة واللغة ، تقدمت ترجمته .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ١ / ١١٠٢ ، وتفسير القرطبي ٥٥ / ٢ ، والدر المصون ١ / ٣٣٤ .

(٥) قال السمين الحلبي في الدر المصون ١ / ٣٣٤ : «وهذا جراءة منه على عادته» .

(٦) في (ش) : (لا يخلو هذه أوجه) .

(٧) في (ش) : (أحدهما) .

(٨) في الحجة أن تكون (أفعل) لغة في هذا الحرف .

(٩) ساقطة من (م) .

(١٠) في (ش) : (وضربته) .

(١١) في (ش) : (فجعل) .

كان المعنى : ما نُنزِلُ عليك من آية أو ننسخها نأت بخير منها ، وذلك أن إنساخه إياها إنما هو إنزال في المعنى ؛ لأنه تمكين من نسخها بالكتابة ، وإنما يتمكن بأن ينزل عليه ، وليس هذا المراد بالآية ولا المعنى ، ألا ترى أنه ليس كل آية أنزلت أتي بآية أذهب منها في المصلحة ، وإذا كان هذا التأويل يؤدي إلى الفساد في المعنى والخروج عن الغرض الذي قصد به الخطاب علمت أن توجيه التأويل إليه لا يصح^(١) .

الوجه الثالث : أن يكون المعنى في أنسخت الآية : وجدتها منسوخة ، كقولهم : أَجَدْتُ الرجل ، وَأَجَبْتُهُ ، وَأَكْذَبْتُهُ ، وَأَبْخَلْتُهُ ، أي : أصبته على هذه الأحوال ، فيكون معنى قوله (نُنسخُ) : نجده منسوخاً ، وإنما^(٢) نجده كذلك لنسخه إياه ، وإذا كان كذلك كان قوله : نُنسخ بضم النون كقراءة من قرأ : (نَنسخ) بفتح النون يتفقان في المعنى وإن اختلفا في اللفظ^(٣) .

(١) عبارة أبي علي في الحجة ٢ / ١٨٥ هي : «وذلك أن إنساخه إياها إنما هو إنزال في المعنى ، ويكون معنى الإنساخ أنه منسوخ من اللوح المحفوظ أو من الذكر ، وهو الكتاب الذي نسخت الكتب المنزلة منه ، وإذا كان كذلك فالمعنى : ما تنزل من آية ، أو ما ننسخك من آية أو ننسخها ؛ لأن ابن عامر يقرأ : (أو ننسخها نأت بخير منها أو مثلها) وليس هذا المراد ولا المعنى ، ألا ترى أنه ليس كل آية أنزلت أتي بآية أذهب منها في المصلحة ، فإذا كان تأويلها هذا التأويل يؤدي إلى الفساد في المعنى والخروج عن الغرض الذي قصد به الخطاب علمت أن توجيه التأويل إليه لا يصح ، وإذا لم يصح ذلك ولا الوجه الذي ذكرناه قبله ، ثبت أن وجه قراءته على القسم الثالث» .

(٢) في (ش) : (وَأَمَّا) .

(٣) انتهى كلام أبي علي ملخصاً من الحجة ٢ / ١٨٤ - ١٨٦ . انظر : المحرر الوجيز ١ / ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ونقله القرطبي في تفسيره ٢ / ٥٤ - ٥٦ . قال أبو حيان في البحر ١ / ٣٤٢ معلقاً على كلام أبي علي : «فجعل الهمزة في النسخ ليست للتعدية ، وإنما أفعل لوجود الشيء بمعنى ما صيغ منه ، وهذا أحد معاني أفعل المذكورة فيه فاتحة الكتاب ، وجعل الزمخشري الهمزة فيه للتعدية ، قال : وإنساخها : الأمر بنسخها ، وهو أن يأمر جبريل بأن يجعلها منسوخة بالإعلام بنسخها ، وقال ابن عطية : التقدير : ما ننسخك من آية ، أي : ما نبيح لك نسخه ، كأنه لما نسخه الله أباح لنبه تركها بذلك النسخ ، فسمى تلك الإباحة إنساخاً (فالهمزة عنده للتعدية) .

وقوله تعالى: ﴿نُنِسْهَا﴾: قرأ ابن كثير^(١) وأبو عمرو: (نَسَّأَهَا) مفتوحة النون مهموزة^(٢).

قال أبو زيد: «نسأت الإبل عن الحوض، فأنا أنسؤها نساً، إذا أخرتها عنه، ونسأت الإبل: إذا زدت في ظمئها يوماً أو يومين أو أكثر، وتقول: انتسأت عنك انتساء: إذا تباعدت^(٣) عنه^(٤)، وفي الحديث: «إذا تناضلت فانتسؤا عن البيوت»^(٥) أي: تباعدوا». وقال مالك بن زُغبة^(٦):

إذا أنسؤوا فوت الرماح أتتهم عوائر نبيل كالجراد نطيرها^(٧)

وأنسأتها الدين إنساءً: إذا أخرت قضاءه عنه. واسم ذلك: النسيئة، فمعنى قوله: (ننسأها)؛ أي نؤخرها^(٨)، ومعنى التأخير في الآية على ثلاثة أوجه:

وخرج ابن عطية هذه القراءة على تخريج آخر، هو أن تكون الهمزة فيه للتعدية أيضاً، وهو من نسخ الكتاب، وهو نقله من غير إزالة له، قال: ويكون المعنى: ما نكتب وننزل من اللوح المحفوظ، أو ما نؤخر فيه ونترك فلا ننزله، أي ذلك فعلنا، فإننا نأتي بخير من المؤخر المتروك أو بمثله، وتعقبه أبو حيان. انتهى ملخصاً من البحر المحيط.

(١) هو أبو معبد عبدالله بن كثير الداري المكي، أحد القراء السبعة المشهورين، تقدمت ترجمته ٤١/٢، ٤٢.

(٢) انظر: السبعة ١٦٨، والنشر ٢/٢٢٠.

(٣) في (ش): (أخرتها).

(٤) نقله عنه في الحجة لأبي علي ١٨٧/٢.

(٥) ذكره ابن الأثير في النهاية بلفظ: «ارموا فإن الرمي جلادة، وإذا رميت فانتسؤا عن البيوت»؛ أي تأخروا، وصوب: انتسؤوا، وعزاه إلى الهروي. انظر: النهاية ٥/٤٥، واللسان ١/٣٩٢، ٣٩٣، ومعنى تناضلت: تراميت للسبق.

(٦) هو مالك بن زغبة، من بني قتيبة بن معن، من باهلة، وكانت قد حدثت معركة قبلية جاهلية بين بني الحارث بن كعب وبني نهد وبني جرم، فنظم فيها أبياتاً. انظر: خزنة الأدب ٨/١٣٢، والبرصان والعرجان: ص ٤٥٩.

(٧) انظر: لسان العرب (عور) ٥/٣٦١٧، (عير) ٥/٣١٨٧، (نسأ) ٧/٤٤٠٤، والمعجم المفصل ٣/٣٧١.

(٨) انظر: الحجة لأبي علي ١٨٧/٢، وتهذيب اللغة ٤/٣٥٥٦، واللسان ٧/٤٤٠٣.

أحدها : أن يؤخر التنزيل^(١) فلا ينزل ألبتة ، ولا يُعَلِّم ، ولا يُعْمَل به ، ولا يتلى ، والمعنى على هذا : ما تؤخر^(٢) إنزالها فلا تنزلها^(٣) .

الوجه الثاني : أن ينزل القرآن ، فيعمل به ويتلى ، ثم يؤخر بعد ذلك ، بأن يُنسخ فترفع^(٤) تلاوته ألبتة ، فلا يتلى ولا يعمل بتأويله ، وذلك مثل ما روينا عن أبي بكر^(٥) رضي الله عنه ، وما روي عن زرّ أن ألباً قال له : كم تقرؤون الأحزاب ؟ قلت : بضعا وسبعين آية ، قال : قد قرأتها ونحن مع رسول الله ﷺ أطول من سورة البقرة^(٦) .

الوجه الثالث : أن يؤخر العمل بالتأويل ؛ لأنه نسخ ، ويترك خطه مُثَبَّتاً وتلاوته في أن يُتلى قُرْآنًا^(٧) ، وهو ما حكى عن مجاهد في قوله : (أو ننساها) ، قال : نُثَبَّت^(٨) حَظُّهَا ، وَتُبَدِّلَ حكمها^(٩)(١٠) .

(١) في (ش) : (المنزل) .

(٢) في (ش) : (يؤخر) .

(٣) في (ش) : (فلا ينزلها) .

(٤) في (ش) : (فترفع) .

(٥) تقدم تخريجه .

(٦) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في زوائد المسند ١٣٢/٥ ، والنسائي في السنن الكبرى ٧١٥٠ ، وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ١٩٠ ، ونقله عن أبي عبيد : السيوطي في الإتقان ٧٢/٣ ، وذكره القرطبي في تفسيره ٥٦/٢ ، وقال ابن كثير في تفسيره ١٣٥٠ : «وهذا إسناد حسن» .

(٧) في الحجة : «وتلاوته قرآن يتلى» .

(٨) في (م) : (ثبت) .

(٩) رواه الطبري في تفسيره ٤٧٥/١ عن مجاهد ، وذكره أبو علي في الحجة ١٨٧/٢ . انظر هذه القراءة وغيرها في : تفسير الثعلبي ١١٠٤/١ وما بعدها ، والمحاسب ١٠٣/١ ، والمختصر لابن خالويه :

٩ ، وتفسير ابن عطية ٤٢٨/١ ، ٤٢٩ ، والبحر المحيط ٣٤٣/١ .

(١٠) هذا كلام أبي علي في الحجة ١٨٧/٢ ، ١٨٨ بمعناه .

ولا يصح في معنى الآية من هذه الأوجه إلا الأوّل ؛ لأن الثاني والثالث يرجع تأويلهما إلى النسخ ، ولا يحسن في التقدير : ما ننسخ من آية أو ننسخها .

وذكر وجه رابع هو أقوى هذه الأوجه ، وهو : أن يكون المعنى : نؤخرها إلى وقت ثان ، فنأتي بدلاً منها في الوقت المتقدم بما يقوم مقامها ، فعلى هذا يتوجه معنى التأخير^(١) .

وأما من قرأ : (نسخها) فهو منقول من نسي ، والنسيان له معنيان :

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ١/ ٤٢٨ ، ٤٢٩ : «وهذه القراءات لا تخلو كل واحدة منها أن تكون من النسء أو الإنساء بمعنى التأخير ، أو تكون من النسيان . والنسيان في كلام العرب يجيء في الأغلب ضد الذكر ، وقد يجيء بمعنى الترك ، فالمعاني الثلاثة مقولة في هذه القراءات ، فما كان منها يترتب في لفظة النسيان الذي هو ضد الذكر ، فمعنى الآية : ما ننسخ من آية أو نقدر نسيانك لها فتساها حتى ترتفع جملة وتذهب ، فإننا نأتي بما هو خير منها لكم ، أو مثله في المنفعة . وما كان من هذه القراءات يحمل على معنى الترك فإن الآية معه تترتب فيها أربعة معان : أحدها : ما ننسخ على وجوه النسخ أو نترك غير منزل عليك فإننا لا بد أن نزل وفقاً بكم خيراً من ذلك أو مثله ، حتى لا ينقص الدين عن حد كماله . والمعنى الثاني : أو نترك تلاوته وإن رفعنا حكمه فيجىء النسخ على هذا : رفع التلاوة والحكم . والمعنى الثالث : أو نترك حكمه وإن رفعنا تلاوته ، فالنسخ أيضاً على هذا : رفع التلاوة والحكم . والمعنى الرابع : أو نتركها غير منسوخة الحكم والتلاوة ، فالنسخ على هذا المعنى : هو على جميع وجوهه ، ويجيء الضميران في منها ، أو مثلها ، عائدتين على المنسوخة فقط ، وكأن الكلام : إن نسختنا أو أبقينا فإننا نأتي بخير من المنسوخة أو مثلها . ومما كان من هذه القراءات يحمل على معنى التأخير ، فإن الآية معه تترتب فيها المعاني الأربعة التي في الترك :

أولها : ما ننسخ أو نؤخر إنزاله . والثاني : ما ننسخ النسخ الأكمل أو نؤخر حكمه وإن أبقينا تلاوته . والثالث : ما ننسخ النسخ الأكمل أو نؤخر تلاوته وإن أبقينا حكمه . والرابع : ما ننسخ أو نؤخره مثبتاً لا ننسخه ، ويعود الضميران كما ذكرنا في الترك ، وبعض هذه المعاني أقوى من بعض ، لكن ذكرنا جميعها لأنها محتمل ، وقد قال جميعها العلماء ، إمّا نصاً ، وإمّا إشارةً ، فكمثلناها .

أحدهما : الترك كقوله : ﴿ تَسُواْ اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة : ٦٧] ؛ أي تركوا طاعة الله فترك رحمتهم ، أو ترك تخليصهم .

والثاني : الذي هو ضد الذكر^(١) .

والذي في هذه الآية منقول من : نسيْتُ الشيء إذا لم تذكره ، ومعناه : أنا إذا رفعنا آية من جهة النسخ أو الإنشاء لها أتينا بخير من الذي نرفع بأحد هذين الوجهين ، وهما النسخ والإنشاء^(٢) . وقد يقع النسخ بالإنشاء ، وهو ما حدث أبو أمامة بن سهل بن حنيف^(٣) « أن رجلاً كانت معه سورة ، فقام يقرأها من الليل ، فلم يقدر عليها ، وقام آخر يقرأها ، فلم يقدر عليها ، فلما أصبحوا أتوا رسول الله ﷺ ، فقال بعضهم : يا رسول الله ، قمت البارحة لأقرأ سورة كذا ، فلم أقدر عليها ، وقال الآخر : يا رسول الله ، ما جئت إلا لذلك^(٤) ، وقال الآخر : وأنا يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : «إنها نسخت البارحة»^(٥) .

(١) من كلام أبي علي في الحجة ١٨٨/٢ بمعناه .

(٢) من كلام أبي علي في الحجة ١٩٢/٢ ، ١٩٣ بمعناه .

(٣) أبو أمامة أسعد بن سهل بن حنيف ، وقيل : سعد بن سهل الأنصاري ، معروف بكنيته ، معدود في الصحابة ، له رؤية ، ولم يسمع من النبي ﷺ ، مات سنة ١٠٠ هـ . انظر : الاستيعاب ١/١٧٦ ، والتقريب ١٠٤ ، (٤٠٢) .

(٤) في (ش) : (كذلك) .

(٥) أخرجه أبو عبيد في النسخ والمسنوخ ، رقم ١٧ من طريق عبد الله بن صالح عن الليث عن عُقيل ويونس عن ابن شهاب ، ورواه الثعلبي في تفسيره ١/١٠٩٧ من طريقه ، وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ٢/٢٧٣ ، والواحدي في الوسيط ١/١٨٩ ، وابن الجوزي في نواسخ القرآن : ٢٣ من طريق شعيب بن أبي حمزة الحمصي عن الزهري به نحوه ، وذكره السيوطي في الدر ١/١٩٧-١٩٨ ، وعزاه إلى أبي داود في ناسخه ، وابن المنذر ، وابن الأنباري في المصاحف ، وأبي ذر الهروي في فضائله ، والبيهقي في الدلائل . وله شاهد عن ابن عمر بنحوه قال فيه ابن كثير في تفسيره عن سليمان بن أرقم : «ضعيف» . رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٧/١٥٦ ، وفي الكبير ١٢/٢٨٨ ، ورواه عبد الرزاق في المصنف ٣/٢٦٣ . انظر : مشكل الآثار ٢/٢٧٣ ، وقد حسنه خالد العنزي في تعليقه على تفسير الثعلبي ١/١٠٩٩ ، وهو من مراسيل الصحابة ، وهي حجة . انظر أيضاً : تدريب الراوي ١/٢٠٧ .

ومعنى قوله : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا ﴾ ؛ أي أصلح لمن تعبد بها ، وأنفع لهم ، وأسهل عليهم ، وأكثر لأجرهم ، لا أن آية خيرٌ من آية ؛ لأن كلام الله - عز وجل - واحد ، وكله خير^(١) .

﴿ أَوْ مِثْلَهَا ﴾ في المنفعة والثوبة ، بأن يكون ثوابها كثواب التي قبلها^(٢) .

والفائدة في ذلك : أن يكون النسخُ أسهل في المأخذ من المنسوخ ، والإيمان به والناس إليه أسرع ، نحو القبلة التي كانت على جهة ثم حولت إلى الكعبة ، فهذا وإن كان السجود إلى سائر النواحي متساوياً في العمل والثواب ، فالذي أمر به الله في ذلك الوقت كان الأصلح والأدعى للعرب وغيرهم إلى الإسلام . واعلم أن هذه الآية قد اضطرب فيها المفسرون وأصحاب المعاني والقرّاء ، واختلفت أقوالهم وقراءاتهم . وكثرة الاختلاف تدل على الإشكال وخفاء المغزى ، وقلّ من أصاب الشاكلة منهم^(٣) . فالقرّاء أشار في هذه الآية إلى قولين زلّ في أحدهما ، وذلك أنه قال : « النسيان على وجهين :

أحدهما : على الترك ، يتركها ولا ينسخها^(٤) . وهذا لا يصح ؛ لأنه ليس كل آية تُركت ولم تنسخ يؤتى بخير منها^(٥) .

(١) تفسير الثعلبي ١/ ١١٠٩ .

(٢) تفسير الثعلبي ١/ ١١٠٩ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١/ ٤٧٥ ، والمحزر الوجيز ١/ ٤٢٨ - ٤٤١ ، والتفسير الكبير ٣/ ٢٣١ ، والبحر المحيط ١/ ٣٤٤ .

(٤) معاني القرآن للقرّاء ١/ ٦٤ ، ٦٥ ، قال : « والوجه الآخر من النسيان الذي ينسى ، كما قال الله : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ ، وكان بعضهم يقرأ (أو ننسأها) ، بهمز ، يريد : نؤخرها من النسيئة ، وكل حسن » .

(٥) انظر هذا التعقب عند أبي علي في الحجة : ٢/ ١٩٢ .

قال الزَّجَّاج : «وهو فاسد من جهة اللفظ ، وذلك النسيان يكون بمعنى الترك ، وفي الآية (ننساها) من الإنساء لا من النسيان ، فالإنساء لا يكون بمعنى الترك»^(١) . ونصر أبو علي الفارسي في كتاب الحجة قول الفرَّاء ، وأفسد كل ما ذكره أبو إسحاق في هذه الآية في كتابه ، وطال الخطبُ بينهما ، فضربت عن ذكره صفحاً^(٢) . وكثير من المفسرين حمل النسخ المذكور في الآية على معنى نسخ الكتاب من الكتاب . فقد حكى عن عدَّة منهم أنهم قالوا : «يريد بالنسخ ما نسخه الله لمحمد ﷺ من اللوح المحفوظ فأنزله عليه ، وهذا ظاهر الإحالة ؛ لأنه ليس كل آية نسخت للنبي ﷺ من اللوح المحفوظ ، فأنزلت عليه^(٣) يؤتاه الله ويأتيه بخير منها ، ولو كان كذلك لتسلسل الوحي حتى لا يتناهى»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ؛ أي من النسخ والتبديل وغيرهما^(٥) .
 ١٠٧ . وقوله تعالى : ﴿لَمْ تَعْلَمْ﴾ : هو استفهام معناه التوقيف والتقرير^(٦) ،
 كقوله :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا^(٧)

-
- (١) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ١٨٩ ، ١٩٠ .
 (٢) انظر : الحجة لأبي علي ٢/ ١٩٢-٢٠٢ .
 (٣) في (ش) : (فأنزلت عليه) ، وهذا ظاهر الإحالة ، وهو تكرار .
 (٤) انظر : الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ٧ ، وتفسير الطبري ١/ ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٢٠٠ ، ٢٠١ ، وتفسير القرطبي ١/ ٥٤-٥٦ .
 (٥) تفسير الثعلبي ١/ ١١٠٩ .
 (٦) من معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ١٩١ ، وانظر : الوسيط ١/ ١٩٠ .
 (٧) عجز البيت :

وأندى العالمين بطونَ راح

وهو لجرير في ديوانه ٨٥ ، وفي المجموع شرح المذهب ١٠/ ٢٩٨ ، والمعجم المفصل ٢/ ١٣٣ ، وانظر :
 ٢/ ٣٦٣ .

أي : أنتم كذلك .

وقوله تعالى : ﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ : الملك : تمام القدرة واستحكامها^(١) ، وقد مرَّ . ومعنى الآية : إنه يملك السماوات والأرض ومن فيهن ، وهو أعلم بوجه الصلاح في ما يتعبدون به من ناسخ ومنسوخ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ : هو فعيل بمعنى الفاعل^(٣) ، يقال : هو والي الأمر ووليُّه ؛ أي القائم به ، الذي يلي عليه^(٤) .

وشرحنا^(٥) معنى الولي عند قوله : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧] ومعنى : ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ تحذير العباد من عذابه ؛ إذ لا مانع منه^(٦) .

١٠٨ . قوله تعالى : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ الآية ، ذكرنا بعض أحكام (أم) في قوله : ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦]^(٧) ، والذي بقي هاهنا أن (أم) تقع^(٨) عاطفة بعد الاستفهام ، كقولك : أخرج زيد^(٩) أم عمرو ؟ وأزيدُ عندك أم عمرو ؟ فيكون معنى الكلام : أتيها عندك ؟ ، ولا تكاد تكون عاطفة إلا بعد الاستفهام^(١٠) .

(١) معاني القرآن للزجاج ١/ ١٩١ ، وانظر : الوسيط ١/ ١٩٠ .

(٢) نفسه .

(٣) انظر : البحر المحيط ١/ ٣٤٥ .

(٤) انظر : الوسيط ١/ ١٩٠ .

(٥) يعني : سيأتي شرحه .

(٦) انظر : الوسيط ١/ ١٩٠ .

(٧) البسيط ١/ ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، تحقيق : الفوزان .

(٨) في (ش) : (تقطع) .

(٩) في (ش) : (زيداً) .

(١٠) انظر : مغني اللبيب ١/ ٤٢ ، والبحر المحيط ١/ ٣٤٦ .

قال الفراء: «ويجوز أن يستفهم بها، فتكون^(١) على جهة النسق في ظاهر اللفظ، وفي المعنى تكون استفهاماً مبتدأً به، منقطعاً مما قبله، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿الْمَ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَيْنَاهُ؟ [السجدة: ١-٣]، فجاءت (أم) وليس قبلها استفهام، وهي دليل على أنها استفهام مُبتدأ على كلام قد سبقه^(٣)، وتقديره: بل أتقولون افتراه، فلو لم يتقدمه كلام لم يجز أن تستفهم مبتدأً كلامك بـ (أم)، ولا يكون إلا بالألف أو بهل، فأم استفهام متوسط، والمتقدم يكون بالألف أو بهل^(٤).

فأما قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ فيجوز فيه الوجهان جميعاً؛ إن شئت قلت قبله استفهام رَدُّ عليه، وهو قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ﴾^(٥).

فإن قيل: كيف يُرَدُّ (أَمْ تُرِيدُونَ) عليه والأول خطاب للنبي ﷺ، والثاني خطاب للجماعة؟ قيل: الله تعالى رجع في الخطاب من التوحيد إلى الجمع، وما خوطب به — عليه السلام — فقد خوطب به أمته، فيكتفى به من أمته، كقولك تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١]، فوَحَّد ثم جَمَعَ، كذلك في ما نحن فيه، ويكون المعنى على هذا: أيهما عندكم: العلم بأن الله قدير وأن له ملك السماوات والأرض، أم إرادة سؤال الرسول الآيات؟ والله تعالى علم أيهما عندهم.

وإن شئت جعلت أم منقطعاً مما قبله في المعنى، مستأنفاً بها الاستفهام، فيكون استفهاماً متوسطاً في اللفظ مُبتدأً في المعنى، كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ وَصَرَ﴾ الآية. ثم قال: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ [الزخرف: ٥١-٥٢]، وهذا يطرد فيه الوجهان:

- (١) في (أ) و(م): (فيكون).
- (٢) كذا في معاني القرآن للفراء ٧١/١.
- (٣) من قوله: «فأم استفهام . . .» ساقط من (ش).
- (٤) كذا في معاني القرآن للفراء ٧١/١.

العطف بالاستفهام ، والابتداء به ^(١) . ومثله قوله : ﴿ مَا لَنَا لَا نَرَى رَجُلًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ
مِنَ الْأَشْرَارِ ﴾ [٦٣] أَخَذْنَهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴾ [ص: ٦٢-٦٣] . فمن قرأ :
﴿ أَخَذْنَهُمْ ﴾ بفتح الألف فـ (أم) جاءت بعد الاستفهام ^(٢) ، ومن وصل الألف فـ
(أم) فيه بمنزلة في قوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْنَاهُ ﴾ [السجدة: ٣] .

قال الفراء : «وربما جعلت العرب (أم) إذا سبقها استفهام لا يصلح فيه أي على
جهة (بل) فتقول ^(٣) : هل لك قبلنا حق أم أنت رجل ظالم ؟ على معنى : بل أنت» ^(٤) .

وأشد ابن الأنباري على هذا :

تروح من الحي أم تبكر وماذا يضرك لو تنتظر ^(٥)

فقال : «يجوز أن تكون أم في هذا البيت مردودة على الألف المضمة مع تروح
وكافية منها ، كقوله :

فوالله ما أدري وإن كنت دارياً بسبع رمين الجمر أم بثمان ^(٦)
ويجوز أن تكون هي حرف الاستفهام متوسطاً .

فأما التفسير فقال ابن عباس : «نزلت هذه الآية في رهط من قريش ، قالوا :
يا محمد ، اجعل لنا ^(٧) الصفا ذهباً ، ووسّع لنا أرض مكة ، وفجر الأنهار خلالها

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ١ / ٧٢ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ١ / ٧١ ، ٧٢ .

(٣) في (أ) و(م) : (فيقول) . وفي معاني القرآن ١ / ٧٢ : «فيقولون» .

(٤) كذا بنحوه في معاني القرآن للفراء ١ / ٧٢ ، ونقل أغلب ما سبق عن الفراء الطبري في تفسيره ١ / ٤٨٤ ،

٤٨٥ ، وانظر : المحرر الوجيز لابن عطية ١ / ٤٤١ .

(٥) البيت لامرئ القيس . انظر : ديوانه ٦٨ ، ولسان العرب (عبد) ٥ / ٢٧٧٧ ، والمعجم المفصل ٣ / ٣١ .

(٦) البيت لعمر بن أبي ربيعة . انظر : ديوانه ٢٦٦ ، والمعجم المفصل ٨ / ١٨٦ .

(٧) ساقطة من (م) .

تفجيراً ، نؤمنُ بك ، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١) . والذي سأل قوم موسى أنهم قالوا : ﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النساء : ١٥٣]^(٢) قال المفسرون : «إن^(٣) اليهود وغيرهم من المشركين تمنّوا^(٤) على رسول الله ﷺ ، فمن قائل يقول : ائتنا بكتاب من السماء جملة واحدة^(٥) ، كما أتى موسى بالتوراة ، ومن قائل يقول ، وهو عبدالله بن أبي أمية المخزومي^(٦) : ائني بكتاب من السماء فيه من الله رب العالمين إلى أبي بن^(٧)

(١) كذا ذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ١١١٠ ، والمصنف أيضاً في أسباب النزول ٣٤ ، والقرطبي في تفسيره ٢ / ٦٢ ، وأبو حيان في البحر المحيط ١ / ٣٤٥ ، وذكره الحافظ في العجايب ١ / ٣٥٠ عن الواحدي ، قال : «ذكره الثعلبي ، ولعله من تفسير الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . . . » ، وقد ذكر الطبري في تفسيره ١ / ٤٨٣ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٣٢٨ أسباباً أخرى ، ومن ذلك ما رواه ابن أبي حاتم بسنده الحسن كما في التفسير الصحيح ١ / ٢١٣ عن محمد بن إسحاق بسنده عن ابن عباس قال : «قال رافع بن حريملة ، ووهب بن زيد لرسول الله ﷺ : يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه ، وفجر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك ، فأنزل الله في ذلك عن قولهم : (أم تريدون . . .)» الآية . قال الثعلبي في تفسيره ١٥ / ١١١ : «والصحيح إن شاء الله أنها نزلت في اليهود حين قالوا : ائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة ، لأن هذه السورة مدنية ، وتصديق هذا القول : قوله عز وجل : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ ﴾ [النساء : ١٥٣]» .

(٢) قال الشنقيطي في أضواء البيان ١ / ١٤٥ : «لم يبين هنا الذي سأل موسى من قبل ، من هو ؟ ولكنه بينه في موضع آخر ، وذلك في قوله : (يسألك أهل الكتاب . . .)» الآية .

(٣) في (ش) : (بأن) .

(٤) تحرفت في أسباب النزول ٣٧ إلى «تمنعوا» .

(٥) ساقطة من (أ) و(م) .

(٦) هو عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم ابن عمه النبي ﷺ عاتكة بنت عبدالمطلب ، كان من كفار مكة ، ومن أشد المعارضين للرسول ﷺ ودعوته ، ولم يزل كذلك حتى عام الفتح ، فهاجر إليه قبل الفتح هو وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ، وأسلم وحسن إسلامهما ، وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف ، ورُمي من الطائف بسهم فقتله . انظر : معجم الصحابة لابن قانع ٢ / ٥٢١ ، وأسد الغابة ٣ / ١٧٧ ، والبداية والنهاية ٤ / ١٣٠ .

(٧) في الأصل : أبي بن ، والتصويب من أسباب النزول ٣٨ .

أُمِّيَّة : اعلم أني قد أرسلت محمداً إلى الناس ، وَمِنْ قَائِلٍ يَقُول : لن نؤمن أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ^(١) .

وقال أبو إسحاق : «معنى الآية : أَنَّهُمْ نُهَوُا أَنْ يَسْأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ مَا لَا خَيْرَ لَهُمْ فِي السُّؤَالِ عَنْهُ^(٢) ، إِنَّمَا خُوطِبُوا بِهَذَا بَعْدَ وَضُوحِ الْبَرَاهِينِ لَهُمْ ، وَإِقَامَتِهِمْ^(٣) عَلَى مَخَالَفَتِهِمْ^(٤) .

والسؤال بعد قيام البراهين كفر ، لذلك قال : ﴿وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ قصده ووسطه^(٥) ، ومعنى الضلال هاهنا : الذهابُ عن الاستقامة^(٦) . قال الأخطل^(٧) :

كُنْتُ الْقَدَى فِي مَوْجٍ أَكْدَرَ مُزِيدٍ قَذَفَ الْأَيْتُ بِهِ فَضْلَ ضَلَالَا^(٨)
أَي : ذهب يميناً وشمالاً .

وذكرنا ما في (سواء) في قوله : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦] .

١٠٩ . قوله تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ : قال ابن عباس : «نزلت في نفر من اليهود قالوا للمسلمين بعد وقعة أحد^(٩) : ألم تروا إلى

(١) انظر : تخریج كلام ابن عباس السابق ، وكذا أيضاً في أسباب النزول للمصنف ٣٧-٤٨ ، والبحر المحيط ١/٣٤٦ .

(٢) في معاني القرآن : «عنه ، وما يكفرهم ، وإنما» .

(٣) في معاني القرآن : «وإقامتها» .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١/١٩٢ .

(٥) تفسير الثعلبي ١/١١١٢ .

(٦) انظر : الوسيط ١/١٩١ .

(٧) هو غياث بن غوث بن الصلت أبو مالك التغلبي ، شاعر نصراني .

(٨) انظر : ديوان الأخطل ٢٥٠ ، ونقائض جرير والأخطل ٨٣ ، وتفسير القرطبي ١٤/٩١ ، وتفسير

الماوردي ٣/٢٩٣ ، ووضح البرهان للغزنوي ٢/١٧٥ . انظر : البحر المحيط ٥/٥١٣ ، ٥١٤ .

(٩) تحرف في نسخ أسباب النزول كما في ٣٨ إلى «وقعة بدر» .

ما أصابكم ، ولو كنتم على الحق ما هُزمتم ، فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم^(١) . وتم الكلام عند قوله : ﴿ كُفَّارًا ﴾ ، وانتصب ﴿ حَسَدًا ﴾ على المصدر . ودل قوله : (يردونكم كُفَّارًا) على (يحسدونكم) ، وإن شئت جعلته مفعولاً له ، كأنه قيل : للحسد^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ ﴾ : أراد أنهم ودُّوا ذلك من عند أنفسهم ، لم يؤمروا به في كتابهم^(٣) . الدليل على ذلك قوله : ﴿ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ ، ف (من) موصولة بـ ﴿ وَدَّ ﴾ ، لا بقوله : ﴿ حَسَدًا ﴾ على التوكيد ، كقوله : ﴿ وَلَا طَّيْرٌ يَّطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

قال ابن الأنباري : « ويكون تأويل ﴿ مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ ﴾ في حكمهم وتدينهم ومذهبهم ؛ أي هذا الحسد مذهب لهم ، لم يؤمروا به كما تقول . هذا عند الشافعي حلال ؛ أي في حكمه ومذهبه » . وأمَّا معنى الحسد في اللغة ، فحكى ثعلب عن ابن

(١) ذكره المصنف أيضاً في أسباب النزول ٣٨ ، وعنه ابن حجر في العجائب في بيان الأسباب ٣٥٤ / ١ ، ثم قال : « هذا لعله من تفسير الكلبي ، والذي ذكره ابن إسحاق في المغازي من رواية يونس بن بكير عنه حدثني محمد بن أبي محمد ، حدثني سعيد بن جبيرة أو عكرمة عن ابن عباس قال : كان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسداً ؛ إذ خصهم الله تعالى برسوله ، وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا ، فأُنزل الله تعالى فيهما : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ ﴾ » . وقد أخرجه الطبري في تفسيره ٤٨٧ / ١ ، ٤٨٨ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٤ / ١ ، وسند ابن أبي حاتم حسن كما في التفسير الصحيح ٢١٥ / ١ . وقد ذكر القصة بأطول مما عند الواحدي مقاتل في تفسيره ١٣٠ / ١ ، وكذا الثعلبي في تفسيره ١١١٢ / ١ ، وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ٧٨ / ١ ، وقال : « قلت : غريب ، وهو في تفسير الثعلبي هكذا من غير سند ولا راو » . وقال ابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ٣٥٦ / ١ : « لم أجده مسنداً » . اهـ . ومن ذكر القصة مختصرة السمرقندي في تفسيره ١٤٩ / ١ ، والحرير في الكفاية ٦٧ / ١ ، والسمعاني في تفسيره ١٦ / ٢ ، وابن عطية في تفسيره ٤٤٦ / ١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١١٤ / ١ ، وغيرهم .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ١١١٤ / ١ ، والبيان لابن الأنباري ١١٨ / ١ ، والبيان في إعراب القرآن ٨٣ ، وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ٢٠٧ / ١ ، والدر المصون ٣٤١ / ١ .

(٣) تفسير الثعلبي ١١١٤ / ١ .

الأعرابي: «أصل الحسد في كلام العرب: القشر، ومنه أخذ الحسد؛ لأنه يُقشر القلب، قال والحسد^(١)»: القراد؛ لأنه يقشر الجلد فيمص الدم»، ذكره الأزهرى^(٢).

وقوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا نَبَيِّنَ لَهُمُ الْخَوْفُ﴾: في التوراة أن قول محمد صدق، ودينه حق، وهذا يدل على أنهم كانوا معاندين^(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ﴾: قد ذكرنا معنى العفو عند قوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٢]، وأما الصفح فمعناه في اللغة: الإعراض^(٤)، يقال: صفح عن فلان؛ أي أعرض عنه مولياً، ومنه قول كثير يصف امرأة أعرضت عنه:

صفوحاً فما تلقاك إلا بخيلةً فمن ملّ منها ذلك الوصل ملّت^(٥)

قال ابن عباس: ﴿فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ﴾ أي عن مساوئ كلامهم، وغلّ قلبهم^(٦). قال: «وهذا منسوخ بآية القتال^(٧)»، وذلك أن النبي ﷺ كان مأموراً

(١) زيدت اللام فيه كما يقال للعبد: عبدل. انظر: تفسير الثعلبي ١/١١١٤.

(٢) في تهذيب اللغة ١/٨١٣، واللسان (حسد) ٢/٨٦٨.

(٣) تفسير الثعلبي ١/١١١٤.

(٤) انظر: شمس العلوم لنشوان الحميري ٦/٣٧٧٣.

(٥) البيت لكثير عزة في ديوانه ٩٨، ولسان العرب (صفح) ٤/٢٤٥٧، والمعجم المفصل ١/٥٥٣.

(٦) تقدم الكلام عن مثل هذه الرواية في قسم الدراسة.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ١/٤٨٩، ٤٩٠، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٠٦. انظر: مجاز القرآن لأبي عبيد ١/٥٠، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٢٧٤، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي ٣١٢. ورد ابن الجوزي في نواسخ القرآن ٤٦ القول بالنسخ، وعزى ذلك إلى جماعة، قال: «واحتجوا بأن الله لم يأمر بالصفح والعفو مطلقاً، وإنما أمر به إلى غاية، وما بعد الغاية يخالف ما قبلها، وما هذا سبيله لا يكون من باب المنسوخ، بل يكون الأول قد انقضت مدته بغايته، والآخر يحتاج إلى حكم آخر». ونقل في البحر المحيط ١/٣٤٩ عن قوم بأنه ليس هذا حد المنسوخ؛ لأن هذا في نفس الأمر للتوقيف على مدته ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ غيّا العفو والصفح بهذه الغاية، وهذه الموادة على أن تأتي أمر الله بقتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير وإذلالهم بالجزية، وغير ذلك مما أتى من أحكام الشرع فيهم، وترك العفو والصفح.

في أوّل الأمر أن^(١) يدعو بالحجج البينة ، وغاية الفرق ، فلمّا عاند اليهود بعد وضوح الحق عندهم أمر المسلمون بعد ذلك بالحرب^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ : قال ابن عباس : « يريد إجلاء النصير ، وقتل قريظة ، وفتح خيبر وفدك »^{(٣)(٤)} ، وقال قتادة : « يعني : أمره بالقتال »^(٥) في قوله : ﴿ فَزِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾^(٦) [التوبة : ٢٩] ^(٧) .

١١١ . قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى ﴾ : المعنى أن اليهود قالت : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، والنصارى قالت : لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ، ولكنهم أجمعوا ، وضم النصارى إلى اليهود في قوله : ﴿ وَقَالُوا ﴾ ؛ لأن الفريقين يُقرّان بالتوراة^(٨) ، كما قال حسان :

أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ ويمدحُه وينصرُه سواءً^(٩)

(١) ساقط من (ش) .

(٢) انظر : معاني القرآن للنحاس ١/ ١٩٣ .

(٣) فدك : قال في المصباح المنير ٤٦٥ ، ط . المكتبة العلمية بفتحيتين ، بلدة بينها وبين مدينة النبي ﷺ يومان ، وبينها وبين خيبر دون مرحلة ، وهي مما أفاء الله على رسوله ﷺ وتنازعها علي والعباس في خلافة عمر فسلمها إليها . انظر : المغرب للمطرزي ٣٥٣ ، ط . دار الكتاب العربي .

(٤) عزاه إلى ابن عباس : تفسير الثعلبي ٣/ ١١١٤ . انظر : الكفاية ١/ ٦٧ ، والوسيط ١/ ١٩١ ، وتفسير ابن عطية ١/ ٤٤٨ ، وتفسير القرطبي ٢/ ٦٥ ، والبحر المحيط ١/ ٣٤٩ .

(٥) وهذا قول الجمهور كما في البحر المحيط ١/ ٣٤٩ .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٤٩٠ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ٣/ ١١١٤ ، وروي نحوه عن ابن عباس وأبي العالية والسُّدي والربيع بن أنس وغيرهم ، وكذا الطبري في تفسيره ١/ ٤٩٠ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣٣٤ .

(٧) لم يفسر المؤلف الآية رقم : ١١٠ ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

(٨) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ١٩٤ .

(٩) البيت لحسان في ديوانه : ص ٨ . انظر : السيرة النبوية ٤/ ٤٦ ، وتذكرة النحاة ٧٠ ، والخزانة ٩/ ٢٣٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٥٣ ، والبحر المحيط ١/ ٦٤٠ .

تقديره : ومن يمدحه وينصره ، إلا أنه لما كان اللفظ واحداً جُمع مع الأوّل ،
يعني إلى أصل الفعل ، وصار كأنه إخبار عن جملة واحدة ، وإنما حقيقته عن
بعضين مختلفين .

وقوله : ﴿ هُودًا ﴾ : قال الفرّاء : « أراد : يهوداً ، فحذف الياء الزائدة ، ورجع
إلى الفعل من اليهودية ، وقد يكون أن تجعل الهود جمعاً ، واحده هائد ، مثل
حائل^(١) وحُول ، وعائط وعُوط^{(٢)(٣)} ، ومثله من الصحيح : بازل وبُزل^(٤) ،
وفاره وفُرّة ، والهائد : المائل إلى التوبة وإلى غيرها من المعاني^(٥) ، وقال الليث :
« الهود : هم اليهود ، هادوا يهودون هُوداً : أي : تابوا »^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا ﴾ [الأنعام: ١٤٦] ؛ أي دخلوا في اليهودية ،
وقد مرّ هذا .

وقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ ؛ أي التي تمنّوها على الله باطلاً ، وذكرنا ما
في هذا الحرف عند قوله : ﴿ إِلَّا أَمَانِي ﴾ [البقرة: ٧٨] .

(١) في (ش) : (حائل إلى أصل الفعل) .

(٢) حائل : ناقة حائل ، حمل عليها فلم تَلَفَح ، أو تلك التي لم تَلَفَح سنة أو سنين ، وجمعها : حُول ،
وحِيال ، وحُول ، وحُولِل . القاموس ٩٨٩ . عائط : عاتت الناقة والمرأة : لم تحمل سنين من غير عُقْرِ
فهي عائط ، وجمعها : عُوط ، وعَيْط ، وعَيْط ، وعُوطَط ، وعِيطَات . لسان العرب ٣١٧٢ / ٥ .

(٣) كذا أورده الفرّاء في معاني القرآن ١ / ٧٣ ، وعنه النحاس في إعراب القرآن ١ / ٢٠٧ . انظر مثله في : معاني
القرآن للأخفش ١ / ١٥١ ، وتفسير الطبري ١ / ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ١٩٤ .

(٤) بازل : هو الجمل أو الناقة إذا بلغ التاسعة من سنينه ، وليس بعده سنٌ تسمى ، جمعه : بُزْل ، وبُزَل ،
وبَوَازِل .

(٥) تفسير الطبري ١ / ٤٩٢ ، واللسان (هود) ٨ / ٤٧١٨ .

(٦) نقله في تهذيب اللغة ٤ / ٣٦٨٩ .

وقوله تعالى: ﴿هَاتُوا﴾ : قيل : إن الهاء فيه أصلية ، وهو من المَهَاتَاة .
وقيل : إنه بدل عن الألف ، من آتى ، ولكن العرب قد أَمَاتَتْ كُلَّ شَيْءٍ من فعلها
غير الأمر ، فإذا أمرت رجلاً أن يعطيك شيئاً قلت : هاتِ^(١) .

روى ثعلب عن ابن الأعرابي : «هَاتِ وهَاتِيَا ، وهَاتُوا : أي : قَرَّبُوا» ،
قال^(٢) : «ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي : قَرَّبُوا» ، قال : «ومن
العرب من يقول : هَاتِ : أعط»^(٣) .

و(البرهان) : الحُجَّةُ ، قال الأزهري : «والنون فيه ليست بأصلية ، وقولهم :
بَرَهَنَ فلانٌ ، إذا جاء ببرهانٍ ، مُوَلَّدٌ ، والصوابُ أن يقال في معناه : أَبْرَهَ» . كذلك
قال ابن الأعرابي^(٤) : «أَبْرَهَ الرجلُ إذا غلبَ الناسَ وأتى بالعجائب»^(٥) .

١١٢ . قوله تعالى : ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ﴾ : (بلى) هاهنا بمنزلته في قوله : ﴿بَلَى مَنْ
كَسَبَ﴾^(٦) [البقرة : ٨١] ، وقد ذكرناه .

(١) تهذيب اللغة ٤/ ٣٨١٦ ، ولفظه : كل شيء من فعلها غير الأمر بهات . انظر : المحرر الوجيز لابن
عطية ١/ ٤٤٩ ، واللسان (هيت) ٨/ ٤٧٣٢ .

(٢) ساقطة من (ش) و(م) .

(٣) في (أ) و(م) : (اعطى) .

(٤) العبارة بتمامها في تهذيب اللغة ١/ ٣٢٢ كما أوردها ابن الأعرابي [إن صح عنه ، وهي في رواية أبي

عمرو ، ويجوز أن تكون النون في البرهان نون جمع على فُعْلان ، ثم جعلت كالنون الأصلية ، كما جمعوا
مُضَاداً على مُضْدَانٍ ، ومُصِيراً على مُضْرَانٍ ، ثم جَمَعُوا : مُضْران على مُضَارين ، على توهم أنها أصلية] .

(٥) انظر : تهذيب اللغة ١/ ٣٢٢ ، وليس عنده : أَبْرَهَ الرجل إذا غلبَ الناسَ وأتى بالعجائب ، وبنحوه في
اللسان لابن منظور نقلاً عن الأزهري في تهذيب اللغة ١/ ٢٧١ .

(٦) تفسير الثعلبي ١/ ١١١٩ .

وقوله تعالى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾؛ الإسلام والاستسلام لله - عز وجل - هو الانقياد لطاعته، والقبول لأمره. ومن هذا قوله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٨٣]؛ أي انقاد، والإسلام الذي هو ضد الكفر من هذا. ثم ينقسم إلى: متابعة وانقياد باللسان من دون القلب، كقوله: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]؛ أي انقدنا من خوف السيف، وإلى متابعة وانقياد باللسان والقلب، كقوله: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

ومعنى قوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾: أي بذل وجهه له في السجود^(١)، وعلى هذا ﴿أَسْلَمَ﴾ بمعنى سلم، يقال: سلم الشيء لفلان؛ أي خلصه له، وسلم له الشيء؛ أي خلص له^(٢).

قال ابن الأنباري: «والمسلم على هذا القول: هو المخلص لله العبادة، فمعنى قوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾، أي: سلم وجهه له، بأن صانه عن السجود لغيره، وخصَّ الوجه؛ لأنه إذا جاد بوجهه في السجود لم ييخل بسائر جوارحه». وقال قوم من أهل المعاني: «أسلم وجهه أي: أسلم نفسه وجميع بدنه لأمر الله، والعرب تستعمل الوجه وهم يريدون نفس الشيء، إلا أنهم يذكرونه باللفظ الأشرف^(٣)، كما قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصص: ٨٨]».

(١) انظر: تفسير القرطبي ٤٥١/١.

(٢) انظر: تفسير مقاتل ١٣١/١، وتفسير الثعلبي ١١١٩/١.

(٣) قال القرطبي في تفسيره ٦٧/١: «والعرب تخبر بالوجه عن جملة الشيء»، وانظر: البحر المحيط ٣٥٢/١.

وقال جماعة: «الوجهُ قد يقع صلةً في الكلام»^(١)، فقلوه: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾
أي: انقاد هو لله، ومثله: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠] أي:
انقدت لله بلساني وعقدي»^(٢). قال زيد بن عمرو بن نفيل^(٣):

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْمِزْنَ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالًا^(٤)

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: قال ابن عباس: «يريد: وهو مؤمن
مُوحَّد»^(٥) مُصَدِّق لما جاء به محمد ﷺ^(٦). وقال غيره^(٧): «﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي:
في عمله»^(٨).

(١) ذكر أبو حيان في البحر المحيط ٣٥٢/١ معاني (أسلم وجهه): «أخلص عمله لله أو قصده، أو فوض
أمره إلى الله تعالى، أو خضع وتواضع»، ثم قال: «وهذه أقوال متقاربة في المعنى، وإنما يقولها السلف
على ضرب المثال، لا على أنها متعينة يخالف بعضها بعضاً».

(٢) في (ش): (وعقدي).

(٣) هو زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، ابن عم عمر بن الخطاب، كان يعادي عبادة الأوثان، ولا يأكل
مما ذبح عليها، آمن بالنبي ﷺ قبل بعثته، قال فيه ﷺ: «إنه يبعث أمة وحده»، توفي قبل البعثة
بخمسين سنين. انظر: جهرة أنساب العرب ١٠٥، والإصابة ١/٥٦٩.

(٤) هما بيتان ذكرهما الثعلبي في تفسيره ١/١١٩ هكذا:

أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثَقِيلاً
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْمِزْنَ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالًا

انظر: الروض الأنف ١/٢٦٦، والأغانى ٣/١٧، وتفسير الرازي ٤/٤، وانظر البيت الثاني في:
تأويل مشكل القرآن ٤٨٠، والدر المصون ٢/٧٣. انظر أيضاً: وضع البرهان في مشكلات القرآن
لمحمد الغزنوي ١/١٦٢، وقد ورد البيت الثاني في بعض المراجع بالفاظ أخرى: نفسي بدل وجهي،
وماء بدل عذبا.

(٥) في (م): (موحد مؤمن).

(٦) تقدم الحديث عن هذه الرواية في قسم الدراسة، ولم أجد من نقلها من أهل التفسير.

(٧) تفسير مقاتل ١/١٣١.

(٨) انظر: الطبري في تفسيره ١/٤٩٤، وتفسير الثعلبي ١/١١٢٠، وذكر قولين آخرين (مؤمن،
ومخلص). البحر المحيط ١/٣٥٢.

وهذا دليل^(١) على أن الطاعة من الإيمان ، حيث جعل الإحسان في العمل^(٢) شرطاً في دخول الجنة ، والآية ردُّ على اليهود والنصارى ؛ لأنهم قالوا : ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ ، فقال الله تعالى : (بلى) يدخلها من كان بهذه الصفة .

١١٣ . قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ الآية : قال ابن عباس : «قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ ، فتنازعا مع اليهود ، فكذب كل واحد منهما صاحبه ، فنزلت هذه الآية فيهم»^(٣) .

فقوله تعالى ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ : قال الزَّجَّاج : «يعني»^(٤) به أن الفريقين يتلون التوراة ، وقد وقع بينهم هذا الاختلاف ، وكتابهم واحد ، فدلَّ بهذا على ضلالتهم ، وحذر بهذا وقوع الاختلاف في القرآن ؛ لأن الفريقين أخرجهما إلى الكفر»^(٥) . وقيل معنى قوله ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ رفع الشبهة بأنه ليس في تلاوة الكتاب معتبر في الإنكار إذا لم يكن لهم برهان على ما ينكرون ، فلا ينبغي أن يدخل الشبهة بإنكار أهل الكتاب لملة الإسلام ؛ إذ كل فريق من أهل الكتاب قد أنكر ما عليه الآخر . ثم بين أن سبيلهم كسيل مَنْ لا يعلم الكتاب في الإنكار لدين الله من مشركي العرب وغيرهم ممن لا كتاب لهم ، فهم في جحدهم لذلك

(١) في (ش) : (زيادة دليل في العمل) .

(٢) في (أ) و(م) : (في العمل على شرطاً) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره بنحوه ١/ ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٠٨ ، وإسنادهما حسن ، وذكره المصنف في أسباب النزول ٣٩ من دون عزو إلى ابن عباس ، وكذا الثعلبي في تفسيره ١/ ١٢٠ ، وذكره ابن هشام في السيرة النبوية ٢/ ١٧٥ .

(٤) في (أ) و(م) : (نعني) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ١٩٥ .

إذ لا حجة معهم يلزم بها تصديقهم ، لا من جهة سمع ولا عقل ، فقال : ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾^(١) .

قال ابن عباس : «يريد : أمة نوح وعاد وثمود وقوم فرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع ، كلهم كذبوا الرسل ، واختلفوا على أنبيائهم ، وكذبوهم كما كذب اليهود والنصارى محمداً ﷺ»^(٢) .

وقال مقاتل^(٣) : «يعنى : مشركي العرب قالوا : إن محمداً وأصحابه ليسوا على شيء من الدين»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ الآية : قال أبو إسحاق : «المعنى أنه^(٥) يريهم من يدخل الجنة عياناً ويدخل النار عياناً»^(٦) ، فأما^(٧) حكم الدين^(٨) فقد بينه الله - عز وجل - بما أظهر من حجج المسلمين^(٩) ، وقال الحسن : حُكْمُهُ فِيهِمْ أَنْ يَكْذِبَهُمْ جَمِيعاً ، ويدخلهم النار»^(١٠) .

(١) انظر : البحر المحيط ١/ ٣٥٣ .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١١٢١ عن ابن جريج عن عطاء قريباً من هذا اللفظ ، وأخرجه عن عطاء أيضاً الطبري في تفسيره ١/ ٤٩٧ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٠٩ .

(٣) هو مقاتل بن سليمان بن بشر الأزدي البلخي ، أبو الحسن ، من أعلام المفسرين ، ولكنه رمي بالتجسيم ، متروك الحديث ، وانظر ترجمته في المقدمة .

(٤) تفسير مقاتل ١/ ١٣٢ ، ويروى عن السُّدِّي في ما أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٤٩٧ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٠٩ .

(٥) في (ش) : (أنهم) .

(٦) ليست في (أ) و(م) . وفي معاني القرآن للزجاج قال بعدها : «وهذا هو حكم الفصل في ما نصير إليه كل فرقة» .

(٧) في (ش) : (وأما) .

(٨) في معاني القرآن ؛ فأما الحكم بينهم في العقيدة .

(٩) معاني القرآن للزجاج ١/ ١٩٥ ، وزاد : «وفي عجز الخلق عن أن يأتوا بمثل القرآن» .

(١٠) ذكر هذا الوجه أبو حيان في البحر المحيط ١/ ٣٥٤ .

١١٤ . قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ الآية : (مَنْ) ابتداء ، وخبره أظلم ، وهو استفهام معناه : وأيُّ أحدٍ أظلمُ ^(١) .

وعن ابن عباس في نزول هذه الآية روايتان : الأولى أنها نزلت في أهل الروم ؛ لأنهم خربوا بيت المقدس ، فعلى هذا أراد بالمسجد بيت المقدس ومحاربه ^{(٢)(٣)} .

والثانية أنها نزلت في مشركي مكة ؛ لأنهم منعوا المسلمين من ذكر الله في المسجد الحرام ^(٤) ، وعلى هذه الرواية معنى قوله : ﴿ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾ أنهم منعوا من العبادة في المساجد ، وكلُّ من منع من عبادة الله في مسجد فقد سعى في خرابه ؛ لأن عمارته بالعبادة فيه .

وأصل السعي في اللغة : الإسراع في المشي ، قال الله عز وجل : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ [القصص: ٢٠] . ثم يسمّى المشي سعيًا ، كقوله : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى ﴾ [الصفات: ١٠٢] يعنى المشي ، وقال : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة: ٩] ؛ أي امشوا ، وقال ^(٥) : ﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ [البقرة: ٢٦٠] ؛ أي مشيًا . ثم يسمّى العمل سعيًا ؛ لأنه لا ينفك من السعي في غالب الأمر . قال الله تعالى : ﴿ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٩] ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا

(١) معاني القرآن للزجاج ١ / ١٩٥ .

(٢) في (م) : (محاربة) .

(٣) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ١ / ١١٢٢ من دون عزو ، وذكره الواحدي في أسباب النزول ٣٩ من رواية الكلبي عن ابن عباس ، وأخرجها الطبري في تفسيره ١ / ٤٩٨ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٢١٠ عن طريق العوفي نحو ذلك ، وروي أيضاً عن مجاهد وقتادة والسُّدي كما ذكره الطبري في تفسيره ٢ / ٥٢٠ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٢١٠ ، والواحدي في أسباب النزول ٣٩ ، وغيرهم .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٢١٠ عن طريق ابن إسحاق بسند حسن ، وذكره الحافظ في العجايب ١ / ٣٥٩ عن طريق عطاء عن ابن عباس . وبه قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ، ورواه الطبري عنه في تفسيره ١ / ٤٩٨ .

(٥) في (م) : (ثم قال) .

مُعْجِزِينَ ﴿الْحَج: ٥١﴾؛ أي جَدُّوا في ذلك ، وقال : ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل: ٤] ؛ أي عملكم مختلف .

وأراد^(١) بالسعي في هذه الآية : العمل^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ : قال ابن عباس على الرواية الأولى : «لم يدخل بيت المقدس بعد أن عمره المسلمون رومي إلا خائفاً لو عَلِمَ به قُتِلَ»^(٣) . قيل : وهذا قول^(٤) مجاهد وقتادة^(٥) ومقاتل^(٦) والفراء^(٧) .

(١) في (ش) : (فأراد) .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١١٢٣ ، والبيهقي في تفسيره ١/ ١٣٩ ، والحازن في تفسيره ١/ ٩٨ .

(٤) يذكر ذلك عن كعب والسُّدِّي . انظر : تفسير الطبري ١/ ٥٠٠ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٢١٠ ، ٢١١ ، والعجائب ١/ ٣٦٠ .

(٥) رواه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٥٦ ، ومن طريقه أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣٤١ بنحوه ، وأخرجه الطبري أيضاً من غير طريق عبدالرزاق .

(٦) تفسير مقاتل ١/ ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٧) في معاني القرآن ١/ ٧٤ ، وقد رجَّح الطبري هذا القول في تفسيره ١/ ٤٩٨ - ٥٠٠ ، محتجاً بأن الله ذكر أنهم سعوا إلى خراب المسجد ، وهذا لم يكن قط من المشركين في المسجد الحرام ، بل كانوا يفخرون بعمارتهم ، وبأن سياق الآية ولحاقها كلها بأهل الكتاب ، ولم يجز للمشركون ذكر . ثم قال : «وإن كان قد دل بعموم قوله : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ أن كل مانع مصلياً في مسجد لله - فرضاً كانت صلاته فيه أو تطوعاً - وكل ساع في إخرابه ، فهو من المعتدين الظالمين» . وانتصر لترجيح الطبري في تفسيره أحمد شاكر ، ورد كلام ابن كثير في تفسيره الآتي مختصره : «وأما قول الطبري في تفسيره إنهم النصارى ، وذلك أنهم سعوا في خراب بيت المقدس ، وأعانوا بُخْتَنَصْرَ على ذلك ومنعوا مؤمني بني إسرائيل من الصلاة فيه بعد مُنْصَرَفِ بُخْتَنَصْرَ عنهم إلى بلاده» . اهـ ، فهذا قول قتادة والسُّدِّي ، وقد ذكر الجصاص في أحكام القرآن ١/ ٦١ أن ما روي في خبر قتادة يشبه أن يكون غلطاً من راويه ؛ لأنه لا خلاف بين أهل العلم بأخبار الأولين أن عهد بُخْتَنَصْرَ كان قبل مولد المسيح - عليه السلام - بدهر طويل ، والنصارى إنما كانوا بعد المسيح وإليه ينتمون ، فكيف يكونون مع بُخْتَنَصْرَ في تخريب بيت المقدس ، والنصارى إنما استفاض دينهم في الشام والروم أيام قسطنطين الملك ، وكان قبل الإسلام بمئتي سنة وكسور ، وإنما كانوا قبل ذلك =

وقال على الرواية الثانية : « هذا وعدٌ من الله لنبيه والمهاجرين ، يقول : أفتح مكة لكم حتى تدخلوها آمنين وتكونوا أولى بها منهم » .
وهذا قول عطاء^(١) وابن زيد^(٢) .

وقيل^(٣) : إنه أمر في صيغة الخبر ، يقول : « جاهدوهم واستأصلوهم بالجهاد ؛ كيلا يدخلها أحد منهم إلا خائفاً من القتل والسبي ، كقوله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣] نهاهم على لفظ الخبر ، ومعناها : لا ينبغي لهم ولكم^(٤) .

وقال الزَّجَّاج حاكياً : « إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مِمَّا يَعْنِي بِهِ جَمِيعُ الْكُفَّارِ الَّذِينَ تَظَاهَرُوا عَلَى الْإِسْلَامِ وَمَنَعُوا جَمَلَةَ الْمَسَاجِدِ ؛ لِأَنَّ مَنْ قَاتَلَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَمْنَعَهُمْ مِنَ الصَّلَاةِ فَقَدْ مَنَعَ جَمِيعَ الْمَسَاجِدِ ، وَكُلَّ مَوْضِعٍ يَتَعَبَّدُ فِيهِ فَهُوَ مَسْجِدٌ ؛ لقوله ﷺ : « جَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ مَسْجِداً »^(٥) ، والمعنى على هذا : ومن أظلم ممن يخالف ملة الإسلام^(٦) .

صائبين عبدة أو ثان ، وكان من يتحل النصرانية منهم مغمورين مستخفين بأديانهم في ما بينهم ؟ ومع ذلك فإن النصراني تعتقد من تعظيم بيت المقدس مثل اعتقاد اليهود ، فكيف أعانوا على تخريبه مع اعتقادهم فيه ؟ !

(١) ذكره عنه الثعلبي في تفسيره ١/١١٢٦ ، وعنه البغوي في تفسيره ١/١٣٩ ، والحافظ في العجايب ١/٣٥٩ .

(٢) انظر : الطبري في تفسيره ١/٥٠٠ ، ففيه عن ابن زيد بغير هذا المعنى ، ومال إلى هذا ابن كثير في تفسيره ١/١٦٧ ، مبيناً أن أعظم خراب فعلوه إخراجهم رسول الله ﷺ واستحواذهم عليه بأصنامهم ، وصددهم رسول الله ﷺ يوم الحديبية ، وذكر الآيات الدالة على أن معنى العمارة إقامة ذكر الله فيها وليس زخرفتها

(٣) في (ش) : (وقال) .

(٤) تفسير الثعلبي ١/١١٢٤ . انظر : تفسير البغوي ١/١٣٩ ، وتفسير الرازي ٤/١٢ ، وتفسير القرطبي ٢/٧٠ ، والبحر المحيط ١/٣٥٨ ، ٣٥٩ .

(٥) أخرجه البخاري ٤٣٨ ، كتاب : الصلاة ، باب : قول النبي ﷺ : « جَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ مَسْجِداً » ،

ومسلم ٥٢٢ ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/١٩٦ .

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا﴾ الآية ، أعلم الله - عز وجل - أن أمر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم ، حتى لا يمكن دخول مخالف إلى مساجدهم إلا خائفاً ، وهذا كقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣] ^(١) الآية .

وقوله: ﴿أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ : موضع (أن) نصب ؛ لأنه المفعول الثاني للمنع ، وهو مع الفعل بمنزلة المصدر ^(٢) .

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ الآية . قال المفسرون : «يريد القتل للحربي ، والجزية للذمي» ^(٣) . وذكرنا معنى الخزي عند قوله: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾ [البقرة: ٨٥] .

١١٥ . قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ : ارتفع المشرق من جهتين : إحداهما الابتداء ، والأخرى بالفعل الذي ينوب عنه السلام ^(٤) ؛ أي ثبت لله المشرق ، ومثله قولك : «لزيد المال» ، فيه الوجهان كما ذكرنا ، ومعنى (لله) : أي هو خالقهما ^(٥) .

قال ابن عباس : «نزلت الآية في نفر من أصحاب النبي ﷺ خرجوا في سفر فأصابهم الضباب ، وحضرت الصلاة فتحروا القبلة ، وصلوا إلى أنحاء مختلفة ،

(١) نقله عن الزَّجَّاج في معاني القرآن ١/١٩٦ .

(٢) تفسير الثعلبي ١/١١٢٣ ، وتفسير القرطبي ٢/٦٨ ، والبحر المحيط ١/٣٥٨ ، وذكر الثعلبي في تفسيره جواز نصبه على نزع الخافض ، والتقدير : من أن يذكر .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/١١٢٤ ، والبغوي في تفسيره ١/١٤٠ ، والقرطبي في تفسيره ٢/٧٠ عن قتادة ، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/٥٦ ، وعن طريقه الطبري في تفسيره ١/٥٠٠ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢١١ عن قتادة أن المراد بها الجزية . انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١/١٩٦ ، ١٩٧ . قال ابن كثير في تفسيره ١/١٦٨ : «والصحيح أن الخزي في الدنيا أعم من ذلك كله ، وقد ورد الحديث بالاستعاذة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة» .

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١/١٩٧ .

(٥) تفسير الطبري ١/٥٠١ .

فلما ذهب الضباب استبان أنهم لم يصيبوا ، فلما قدموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك ، فنزلت هذه الآية^(١) .

وقال ابن عمر : «نزلت في صلاة المسافر يصلي حيثما توجهت به راحلته تطوعاً»^(٢) .

وروى أن النبي ﷺ كان يصلي على راحلته في السفر حيثما توجهت به^(٣) .

وقال عكرمة وأبو العالية : «نزلت في تحويل القبلة ، وذلك أن اليهود عيّرت المؤمنين في انحرافهم من بيت المقدس ، فأُنزل الله هذه الآية جواباً لهم»^(٤) .

(١) أخرجه ابن مردويه عن طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، كما في تفسير ابن كثير ١/ ١٦٩ ، وذكره السمرقندي في تفسيره ١/ ١٥١ ، والثعلبي في تفسيره ١/ ١١٢٨ ، والسيوطي في لباب النقول ٢٣ ، وفي الدر المنثور ١/ ٢٠٥ ، وعزاه إلى ابن مردويه ، وضعف إسناده . وقد ذكر ابن كثير في تفسيره روايات كثيرة في هذا ، ثم قال : «وهذه الأسانيد فيها ضعف ، ولعله يشد بعضها بعضاً» .

(٢) أخرجه مسلم ٧٠٠/ ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت به .

(٣) أخرجه البخاري ٤٠٠ ، كتاب : الصلاة ، باب التوجه نحو القبلة حيث كان ، ومسلم ٧٠٠ ، كتاب : صلاة المسافرين ، باب جواز النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت .

(٤) ذكره عنهما الثعلبي في تفسيره ١/ ١١٣٢ ، وعنه البغوي في تفسيره ١/ ١٤٠ ، والخازن في تفسيره ١/ ٩٩ . انظر : تفسير الطبري ١/ ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، والوسيط ١/ ١٩٤ . وقد ذكر الثعلبي في تفسيره ١/ ١١٣٢ ، والواحد في أسباب النزول ٤٢ ، والحافظ في العجائب ١/ ٣٦٤ سبين آخرين غير ما ذكر ، وقال في البحر المحيط ١/ ٣٦٠ : «وهذه أقوال كثيرة في سبب نزول الآية وظاهرها التعارض ، ولا ينبغي أن يقبل منها إلا ما صح ، وقد شحن المفسرون كتبهم بنقلها ، وقد صنف الواحد في ذلك كتاباً قلما يصح فيه شيء ، وكان ينبغي أن لا يشتغل بنقل ذلك إلا ما صح» .

قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا ۖ أَيُّ وَجْهِكُمْ ، فحذف المفعول ^(١) . ومعنى ﴿ تُولَّوْا وَجُوهَكُمْ ﴾ : تجعلونها تليه ، وسنذكر معنى هذا الحرف عند بيان قوله : ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا ﴾ [البقرة : ١٤٨] .

وقوله تعالى : ﴿ فَتَمَّ ﴾ : قال أبو إسحاق : « (تَمَّ) بُني على الفتح لالتقاء الساكنين ، وتَمَّ في المكان : إشارة ، بمنزلة هناك ^(٢) ، فإذا أردت المكان القريب قلت : هنا زيد . وإذا أردت المتراخي قلت : هناك وَتَمَّ . وإنما منعت (تَمَّ) الإعراب لإبهامها » ^(٣) .

قال أبو علي الفارسي : « المبني على ضربين : مبني على حركة ، ومبني على سكون ، والمبني على الحركة على ضربين : أحدهما : ما يكون بناؤه على الحركة ، لتمكُّنه قبل حاله المفضية إلى بنائه ^(٤) ، وذلك نحو : من عَلَّ وأوَّلُ ويا حَكَمَ ، وما أشبه ذلك .

والآخر : ما يكون بناؤه على الحركة لالتقاء الساكنين ، نحو : كيف ، وأين ، وأيان ، وثم ، وأولاء ، وحذار ، ومنذ . وكل هذه الأسماء المبنيات مع اختلافها فالعلة الموجبة لبنائها مشابعتها الحروف ، ومضارعتها لها ، ولذلك بني هذا الاسم أيضاً لا للإبهام ؛ لأن الإبهام لا يوجب البناء . ألا ترى أن قولنا : (شيء) من أعم ما يتكلم به وأبهمه ، وهو معرب غير مبني ، و(مكان) أبهم من قولنا : ثم ؛ لأنه للداني والقاصي ^(٥) ، وهو مع إبهامه معرب ، فبان أن بناءه ليس لإبهامه ، وإنما

(١) انظر : الوسيط ١ / ١٩٤ .

(٢) في معاني القرآن : « هنا زيد » .

(٣) بتصرف من معاني القرآن للزجاج ١ / ١٩٧ . انظر : تفسير الطبري ١ / ٥٠٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ١ / ٢٠٨ .

(٤) في الإغفال : « في حالة المفضية به إلى البناء » .

(٥) في الإغفال : « ومكان أبهم من قولنا ثم وكذلك ؛ لأنها يقعان على المواضع الدانية والقاصية » .

هو لتضمُّنه معنى الحرف واختزاله عنه ، وذلك أن هذا الاسم لما كان معرفةً ، وكان حكم المعرف أن يكون بحرف ولم يذكر ، بُنِيَ ولم يُعَرَّب ؛ لتضمُّنه معنى الحرف الذي به يكون التعريف والعهد . ألا ترى أن (ثُمَّ) لا تستعمله إلا في مكان معهود معروف ^(١) لمخاطبك ، فإن لم تعرفه لم تعبّر عنه بذلك ، فتحقيق العلة في هذا وشرحه ما ذكرنا ، دون ما ذكره من الإيهام ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَجَّهْهُ اللَّهُ﴾ : قال أكثر المفسرين ^(٣) : «الوجه : صلة ، معناه : فثمَّ الله . كقوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ، والمعنى : فثمَّ الله يَعْلَمُ وَيَرَى» ^(٤) . و(الوجه) قد ورد صلة مع اسم الله كثيراً ، كقوله : ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] ، و﴿إِنَّمَا نُنْطِئُكُمْ لُجْجَهُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩] ، و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] .

(١) في (ش) : (معروف معهود) .

(٢) الإغفال ٣٨٣-٣٨٥ بتصرف واختصار .

(٣) بين شيخ الإسلام في الفتاوى ٤٢٨/٢ أن جمهور السلف على القول بأن المعنى : فثمَّ قبله الله ووجهه الله .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/١٩٨ .

وهذا قول الكلبي^(١) وعبدالله بن مسلم^{(٢)(٣)}، وقال الحسن^(٤) ومجاهد^(٥) وقتادة^(٦) ومقاتل^(٧) : «فثم قِبلة الله^(٨) ، والوجه والجهة والوجهة : القبلة . ومثله : الوزن والزنة ، والوعد والعدة ، والوصل والصلة» . والعرب تجعل القصد الذي يتوجه إليه وجهاً^(٩) ، كقول الشاعر :

رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ^(١٠) الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ^(١١)

- (١) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١١٣٤ ، وعنه البغوي في تفسيره ١/ ١٤٠ .
- (٢) يعني ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٢٥٤ ، وقد نُسب هذا القول إلى ابن عباس كما في زاد المسير ١/ ١٣٤ ، ١٣٥ ، وتفسير القرطبي ٢/ ٧٥ ، والبحر المحيط ١/ ٣٦١ ، وانظر : تفسير الطبري ١/ ٥٠٦ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١١٣٤ .
- (٣) في (ش) : (ومسلم) .
- (٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢١٢ ، والثعلبي في تفسيره ١/ ١١٣٤ ، والبغوي في تفسيره ١/ ١٤٠ ، وزاد المسير ١/ ١٣٥ .
- (٥) أخرجه الترمذي في التفسير ٥/ ٢٠٦ ، تفسير سورة البقرة ، والطبري في تفسيره ١/ ٥٠٦ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢١٢ ، والبيهقي في سننه ٢/ ١٣ .
- (٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٥٠٢ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢١٢ ، والثعلبي في تفسيره ١/ ١١٣٤ ، والبغوي في تفسيره ١/ ١٤٠ ، وانظر : تفسير ابن كثير ١/ ١٦٨ .
- (٧) أي : ابن حيان ، ذكره عنه الثعلبي في تفسيره ١/ ١١٣٤ ، وعنه البغوي في تفسيره ١/ ١٤٠ .
- (٨) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢١٢ هذا القول عن ابن عباس . انظر هذا القول في : تفسير الطبري ١/ ٥٠٦ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١١٣٤ ، وتفسير السمعاني ٢/ ٢٦ ، وزاد المسير ١/ ١٣٥ ، وتفسير القرطبي ٢/ ٧٥ ، وتفسير الخازن ١/ ٩٩ .
- (٩) انظر : اللسان (وجه) ٤٧٧٥ .
- (١٠) في (ش) : وإليه .
- (١١) وصدر البيت :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيهِ

هذا البيت من شواهد سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلها . انظر : الكتاب ١/ ٣٧ ، والخزانة ٣/ ١١١ ، وأدب الكاتب ٤١٩ ، ومعاني القرآن للفرّاء ١/ ٢٣٣ ، وتفسير القرطبي ٢/ ٧٥ ، ومجموع الفتاوى ٢/ ٤٢٨ ، وتفسير الرازي ٤/ ٢٢ ، والبحر المحيط ١/ ٣٦١ ، ولسان العرب (غفر) ٦/ ٣٢٧٤ ، والمعجم المفصل ٦/ ٢٧٩ . والذنب هنا اسم جنس بمعنى الجمع ؛ فلذا قال : «لَسْتُ مُحْصِيهِ» ، وأراد : من ذنب . والوجه : القصد والمراد .

معناه : إليه القصد ، وعلى هذا القول معنى قوله : ﴿ فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ؛ أي جهة الله ^(١) التي تعبدكم بالتوجه إليها ^(٢) ، والإضافة تكون للتخصيص نحو : بيت الله ، وناقة الله ^(٣) .

(١) ساقطة من (أ) و(م) .

(٢) هذه الآية مما تنازع فيه الناس ، هل هي من آيات الصفات أم لا ؟ فانقسموا فريقين : فريق عدّها من آيات الصفات وجعلها من الآيات الدالة على إثبات صفة الوجه لله ، واستدل على ذلك بقول النبي ﷺ : « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه » . رواه البخاري ٤٠٦ ، كتاب الصلاة ، باب : حك البزاق باليد ، ومسلم ٥٤٧ ، كتاب : المساجد ، باب : النهي عن البزاق في المسجد في الصلاة وغيرها ، ويقول عليه السلام : « لا يزال الله مقبلاً على عبده بوجهه ما دام مقبلاً عليه ، فإذا انصرف صرف وجهه عنه » .

ومن قرر ذلك ابن خزيمة كما في مجموع الفتاوى ١٦/٦ ، وبهذا فسرهما السعدي في تفسيره ٤٥ ، وابن عثيمين في شرح العقيدة الواسطية ١/٢٨٩ ، ط . ابن الجوزي .

وفريق رأى أن المراد بالوجه هنا الجهة كما نقل عن مجاهد والشافعي ونصره شيخ الإسلام في الفتاوى ١٦/٦ ، ١٩٣/٣ ، ٤٢٨/٢ بل قال في ١٩٣/٣ : « من عدّها في آيات الصفات فقد غلط كما فعل طائفة ، فإن سياق الكلام يدل على المراد حيث قال : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ والمشرق والمغرب الجهات ، والوجه هو الجهة ، يقال : أي وجه تريده ؟ أي : أي جهة ولهذا قال : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ أي : تستقبلوا وتتوجهوا والله أعلم » . اهـ ، وقال في ١٦/٦ : « ولكن من الناس من يسلّم أن المراد بذلك وجه الله : أي قبله الله ، ولكن يقول : هذه الآية تدل على الصفة وعلى أن العبد يستقبل ربه كما جاء في الحديث ويقول : إن الآية دلت على المعنيين ، فهذا شيء آخر ، ليس هذا موضعه » .

وقد بينّ الشيخ ابن عثيمين في شرح الواسطية ١/٢٩٠ أن الأول صحيح موافق لظاهر الآية ، وأن الثاني لا يخالف الأول في الواقع ، فإذا قلنا : فتم جهة الله ، وكان هناك دليل سواء كان هذا الدليل تفسير الآية الثانية في الوجه الثاني ، أو كان الدليل ما جاءت به السنة ، فإنك إذا توجهت إلى الله في صلاتك ، فهي جهة الله التي يقبل الله صلاتك إليها ، فتم أيضاً وجه الله حقاً ، وحينئذ يكون المعنيان لا يتنافيان . اهـ .

وقد نبه شيخ الإسلام على أمر مهم ، فقال في الفتاوى ١٧/٦ : « والغرض أنه إذا قيل : فتم قبله الله لم يكن هذا من التأويل المتنازع فيه ، الذي ينكره منكرو آيات الصفات ، ولا هو مما يستدل به عليهم المثبتة ، فإن هذا المعنى صحيح في نفسه ، والآية دالة عليه ، وإن كانت على ثبوت صفة فذاك شيء آخر ، ويبقى دلالة قولهم ﴿ فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ على : فتم قبله الله ، هل هو من باب تسمية القبلة وجهاً باعتبار أن الوجه والجهة واحد ، أو باعتبار أن من استقبل وجهه الله فقد استقبل قبله الله ؟ فهذا فيه بحوث ليس هذا موضعها » .

(٣) تفسير الثعلبي ١/١١٣٤ .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾: الواسع في صفة الله تعالى على ثلاثة أوجه^(١):

أحدها: إنه واسع بإفضاله على خلقه، واحتماله مسائل عباده، وإنه لا يُكْرِثُهُ^(٢) إلحاحهم^(٣). قالت العرب: فلان يسع ما يسأل، وقال أبو زيد:

أَعْطَيْهِمُ الْجَهْدَ مَنِ بَلَّهَ مَا أَسْعُ

وهذا معنى قول الفراء^(٤) وأبي عبيدة^(٥).

الثاني: إنه يُوسِّع على عباده في دينهم، ولا يضطرهم إلى ما يعجزون عن أدائه، فهو واسع الرَّحمة، واسع الشريعة بالترخيص لهم في التوجه إلى أي جهة أدَّى إليها اجتهداهم عند خفاء الأدلة^(٦).

الثالث: إنه يسع علم كل شيء، ويسع علمه كل شيء، كقوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾؛ أي علمه^(٧)، وقال: ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]. قال ابن عباس في بعض الروايات: «إن هذه الآية نزلت في النجاشي^(٨)، وذلك أنه توفي، فأتى جبريل النبي ﷺ فقال: «إن أخاكم النجاشي قد مات، فصلوا عليه»،

(١) انظر تفصيل ذلك في: البحر المحيط ١/ ٣٦١.

(٢) في (أ): (لا يكونه).

(٣) تفسير الطبري ١/ ٥٠٦.

(٤) ذكره عنه الثعلبي في تفسيره ١/ ١١٣٦، وعنه البغوي في تفسيره ١/ ١٤٠.

(٥) في مجاز القرآن ١/ ٥١.

(٦) الوسيط ١/ ١٩٤.

(٧) تفسير الثعلبي ١/ ١١٣٦، وسيأتي الرد على هذا القول موسعاً عند الحديث عن آية الكرسي.

(٨) هو أصحمة بن أبر، والنجاشي لقبه، قال ابن عيينة: «أصحمة بالعربية عطية، هو ملك الحبشة الذي أكرم المسلمين الذين هاجروا إلى بلاده من مكة، وأحسن استقبالهم وأسلم ولم يهاجر وليست له رؤية فهو تابعي من وجه، وصاحب من وجه، وقد توفي في حياة النبي ﷺ». انظر: الإصابة ١/ ١٠٩، وتفسير عبدالرزاق ١/ ١٤٤، والسير ١/ ٤٢٨.

ثم صلى رسول الله ﷺ بأصحابه عليه ، فقال أصحابه في أنفسهم : كيف نصلي على رجل مات وهو يصلي غير قبلتنا ؟ وكان النجاشي يصلي إلى بيت المقدس حتى مات ، وقد صرفت القبلة إلى الكعبة ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ^(١) . وعَدَرَ النجاشي في ذلك ؛ لأنه لم يبلغه خبرُ نسخ القبلة ، وقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ للنجاشي في قبلته ، ﴿عَلَيْمٌ﴾ بما قبله ^(٢) من الإيَّان .

١١٦ . قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ﴾ : في مصاحف الشام : قالوا ^(٣) بغير واو ؛ لأن هذه الآية ملابسة بما قبلها من قوله : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ ؛ لأن الذين قالوا : اتخذ الله ولداً من جملة الذين تقدم ذكرهم ، فيستغنى عن الواو ؛ لالتباس الجملة بما قبلها مثلما استغنى عنها في نحو قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩] . ولو كان (وَهُمْ) كان حسناً ، إلا أن التباس إحدى الجملتين بالأخرى وارتباطها بها أغنت عن الواو ، ومثل ذلك قوله : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] ، ولم يقل : ورابعهم كما قال : ﴿وَتَائِمُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] ، ولو حذف الواو منها كما حذف من التي ^(٤) قبلها ، واستغنى عن الواو بالملابسة التي بينهما كان حسناً ،

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ٤١ ، ونقله عنه في العجائب ١ / ٣٦٤ ، من قول ابن عباس في رواية عطاء ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ١٣٣٢ عن عطاء وقتادة ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢ / ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ط . شاعر مختصر عن قتادة ، وذكره ابن كثير في تفسيره ١ / ١٧٠ عن ابن جرير ، وقال : «وهذا غريب» ، وقال أحمد شاكر : «هو حديث ضعيف ؛ لأنه مرسل ، وسياقه يدل على ضعفه ونكارتة» .

(٢) قوله : «عليم بما قبله . . .» ساقط من (أ) و(م) .

(٣) ذكره ابن أبي داود في كتاب المصاحف ٥٤ ، ولم ينص عليه أبو عمرو الداني في المقنع في رسم مصاحف الأمصار . انظر : تفسير ابن عطية ١ / ٤٦٠ ، والبحر المحيط ١ / ٣٦٢ .

(٤) في (ش) : (الذي) .

ويمكن أن يكون حذف الواو لاستئناف جملة ، ولا يعطفها على ما تقدم^(١) .

والآية نزلت رداً على اليهود والنصارى والمشركين ؛ فإنهم وصفوا الله تعالى بالولد ، فقالت اليهود : ﴿عَزَّيْرُ ابْنِ اللَّهِ﴾ ، وقالت النصارى : ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة : ٣٠] ، وقال المشركون : الملائكة بنات الله ، فنزه الله نفسه عن اتخاذ الولد ، فقال سبحانه : ﴿بَلْ لَّهُ﴾^(٢) . وبل معناه : نفي الأول وإثبات الثاني^{(٣)(٤)} ؛ أي ليس الأمر كذلك ﴿بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عبداً وملكاً^(٥) .

﴿كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ﴾ : قال مجاهد^(٦) وعطاء^(٧) والسُّدِّي^(٨) : «مطيعون» .

(١) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٢٠٨ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٥٠٧/١ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٩٨/١ ، وتفسير السمرقندي ١٥٢/١ ، وتفسير الثعلبي ١١٣٧/١ ، وأسباب النزول للواحدي ٤٢ ، وزاد المسير ١١٨/١ ، والعجاب لابن حجر ٣٦٦/١ .

(٣) في (م) : (الثاني) .

(٤) انظر : كتاب سيويه ٢٢٣/٤ .

(٥) تفسير الثعلبي ١١٣٨/١ .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٠٧/١ ، وابن أبي في تفسيره ٢١٣/١ من طريقين عن مجاهد .

(٧) ذكره عنه في تفسير الثعلبي ١١٣٨/١ .

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٠٧/١ ، وهو مروي أيضاً عن ابن عباس وقادة وعكرمة . انظر : تفسير الطبري ٥٠٧/١ ، والبغوي في تفسيره ١٤١/١ ، واختاره الطبري في تفسيره ، وابن كثير في تفسيره .

قال أبو عبيد : «أصل القنوت في أشياء : فمنها القيام ، وبه جاءت الأحاديث في قنوت الصلاة ؛ لأنه إنما يدعو قائماً ، ومن أبين ذلك : حديث جابر^(١) قال : سئل النبي ﷺ : أي الصلاة أفضل ؟ قال : «طول القنوت»^(٢) ، يريد طول القيام .

والقنوت أيضاً : الطاعة^(٣) . وقال عكرمة في قوله : ﴿كُلُّ لَهْ قَنِتُونَ﴾ : «القانت : المطيع»^(٤) ، وقال الزَّجَّاج مثله ، قال : «والمشهور في اللغة أن القنوت الدعاء ، وحقيقة القانت : أنه القائم بأمر الله ، والداعي إذا كان قائماً خُصَّ بأن يقال له : قانت ، لأنه ذاكر لله وهو قائم على رجليه ، فحقيقة القنوت : العبادة والدعاء لله في حال القيام»^(٥) .

ويموز أن يقع في سائر الطاعة ؛ لأنه إن لم يكن قيام بالرجلين فهو قيام بالشيء بالنية^(٦) .

قال ابن عباس في هذه الآية : «قوله : ﴿كُلُّ لَهْ قَنِتُونَ﴾ راجع إلى أهل طاعته دون الناس أجمعين»^(٧) .

(١) هو أبو عبدالله جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي ، أحد الصحابة الكثرين من الرواية عن النبي ﷺ ، شهد العقبة وتسع عشرة غزوة مع الرسول ﷺ ما عدا بدرأً وأحداً ، منعه أبوه ، توفي سنة ٧٨ هـ ، وقيل ٧٤ هـ ، أو ٧٣ هـ . انظر : أسد الغابة : ١/ ٣٠٧ ، والإصابة : ١/ ٤٣٤ .

(٢) أخرجه مسلم ٧٥٦ ، كتاب : صلاة المسافرين ، باب : أفضل الصلاة طول القنوت .

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٤٣٧ . انظر : تأويل مشكل القرآن ١٥٤ ، وتفسير الطبري ٢/ ٥٣٩ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١١٣٨ .

(٤) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ١/ ٤٣٨ ، ورواه الطبري في تفسيره ١/ ٥٠٧ بنحوه .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ١٩٨ .

(٦) رجَّح الطبري في تفسيره ١/ ٥٠٧ أن القنوت هو الطاعة والإقرار لله – عز وجل – بالعبودية ، بشهادة أجسامهم بما فيها من آثار الصنعة والدلالة على وحدانية الله .

(٧) ورد عن ابن عباس بلفظ : «قانتون : مطيعون» عند الطبري في تفسيره ١/ ٥٠٧ . أمَّا اللفظ المذكور أعلاه فلعلة من تلك الرواية التي تقدم الحديث عنها في مقدمة الكتاب .

وهو من العموم الذي أريد به الخصوص ، وهذا اختيار الفراء^(١) ، وطريقة مقاتل^(٢) وبيان^(٣) إلا أنهما قالوا : « هذا يرجع إلى عُزير والمسيح والملائكة ، أراد : أنهم كلهم عباد الله طائعون^(٤) ، نظيره : قوله : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦] » .

وقال السُّدِّي ومجاهد والزَّجَّاج : « هذا على ما ورد من العموم » ، فقال السُّدِّي : « هذا في يوم القيامة^(٥) ، تصديقه قوله : ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ [طه: ١١١] »^(٦) .

وقال مجاهد : « إن ظلال الكفار تسجد لله وتطيعه »^(٧) . دليله قوله^(٨) : ﴿ يَنْفَعِيَا ظِلَّاهُ ﴾ [النحل: ٤٨] الآية ، وقوله : ﴿ وَظَلَّلْنَاهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [الرعد: ١٥]^(٩) .

وقال الزَّجَّاج : « كل^(١٠) ما خلق الله في السماوات والأرض فيه أثر الصنعة فهو قانت لله ، ودليل^(١١) على أنه مخلوق . والمعنى : كل له قانت ، إمَّا^(١٢) مُّقَرَّبًا »

(١) معاني القرآن ٧٤ / ١ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١١٤٠ / ١ .

(٢) تفسير مقاتل ١٣٣ / ١ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٤٠ / ١ .

(٣) ذكره عنه الثعلبي في تفسيره ١١٤٠ / ١ .

(٤) رد الطبري في تفسيره ٥٠٨ / ١ القول بالخصوص ، بأنه لا يجوز ادعاء خصوص في آية ظاهرها العموم إلا بحجة .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٠٧ / ١ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١١٤٠ / ١ .

(٦) تفسير الثعلبي ١١٤١ / ١ .

(٧) تقدم تخريجه عن مجاهد قريباً . قال ابن كثير في تفسيره ١٧١ / ١ : « وهذا القول عن مجاهد - وهو اختيار ابن جرير - يجمع الأقوال كلها ، وهو أن القنوت : هو الطاعة والاستكانة إلى الله وذلك شرعي وقدري » .

(٨) من قوله : « قوله : وعنت . . . » ساقط من (ش) .

(٩) تفسير الثعلبي ١١٤١ / ١ ، وتفسير البغوي ١٤١ / ١ .

(١٠) في (ش) : على .

(١١) في معاني القرآن ، (والدليل) .

(١٢) في (ش) : (إنما) ، وليست الكلمة في معاني القرآن للزَّجَّاج ، والكلام مستقيم من دونها .

خالقه ؛ لأنه أكثر من يخالف ليس يدفع أنه مخلوق ، وما كان من الجهادات فأثرُ الخلق بين فيه ، فهو على العموم»^{(١)(٢)} .

وقال غيره : «طاعة الجميع لله تكونهم»^(٣) في الخلق عند التكوين إذا قال : كن كان كما أراد^(٤) ، فنسب القنوت إليه كما نسبت الخشية إلى الحجارة ، والمحبة إلى الجبال ، والشكوى إلى الإبل ، والسجود إلى الأشجار»^(٥) .

١١٧ . قوله تعالى : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ؛ أي خالقها وموجدها^(٦) لا على مثالٍ تقدّم^(٧) ، وهو عند الأكثرين فعيل بمعنى مُفْعِلٍ ، كألیم ووجيع وسميع في قوله :

أَمِنْ رَيْحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ^(٨)

(١) في معاني القرآن : «فأثر الصنعة بين فيه ، فهو قانت على العموم» .

(٢) معاني القرآن ١/ ١٩٨ .

(٣) في (ش) : (بكونهم) .

(٤) يروى عن مجاهد . انظر : ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢١٣ .

(٥) نسبت الخشية إلى الحجارة في قوله تعالى : ﴿وَلِإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهَيِّطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة : ٧٤] ، ونسبت المحبة إلى الجبال في قوله ﷺ : «أحد جبل يحبنا ونحبه» . متفق عليه .

ونسبت الشكوى إلى الإبل في الحديث الذي رواه أبو داود وأحمد عن عبد الله بن جعفر أن النبي ﷺ لما رأى جملاً لرجل من الأنصار ، حنَّ الجمّل وذرفت عيناه ، فمسح النبي ﷺ ذفره ، فسكت فقال : «من رب هذا الجمّل ؟» ، فجاء فتى من الأنصار ، فقال : لي يا رسول الله ، فقال : «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها ، فإنه شكا إلي أنك تحببه وتدّبه» .

ونسب السجود إلى الأشجار في قوله تعالى : ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن : ٦] وغيرها من الآيات .

(٦) في (ش) : (خالقها وموجدهما) .

(٧) معاني القرآن للزجاج ١/ ١٩٩ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١١٤١ .

(٨) عجز البيت :

يُؤرِّقُنِي وَأَصْحَابِي هَجُوعُ

وهو لعمر بن معديكرب ، وقد تقدم البيت .

أي المسمع . فالبديع : الذي يُبدعُ الأشياء ؛ أي يحدثها مما لم يكن .

ابن السكيت قال : « البدعة : كل محدثة ، وسقاء بديع : أي : جديد »^(١) .

وقال أبو إسحاق : « ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ منشئهما^(٢) على غير حذاء ولا مثال ، وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه قيل : أبدعت ؛ ولهذا قيل لمن خالف السُّنة^(٣) : مبتدع ؛ لأنه أحدث في الإسلام^(٤) ما لم يسبقه إليه السلف »^{(٥)(٦)} .

قال الأزهري : « قول الله تعالى : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بمعنى مبدعها ، إلا أن بديعاً من بدع لا من أبدع ، وأبدع أكثر في الكلام من بدع ، ولو استعمل بدع لم يكن خطأ ، فبديع : فاعيل بمعنى فاعل ، مثل : قدير بمعنى قادر ، وهو^(٧) من صفات الله ؛ لأنه بدأ الخلق على ما أراد على غير مثالٍ تقدمه »^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ ؛ أي قدره وأراد خلقه^(٩) .

قال أبو إسحاق في قوله : ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقَضَىٰ الْأَمْرُ﴾ [الأنعام : ٨] : « قضى في اللغة على وجوه ، كلها يرجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه ، ومنه قول الله

(١) نقله عنه في تهذيب اللغة ٢٩٣/١ ، ولسان العرب (بدع) ٢٣٠/١ .

(٢) في معاني القرآن : « يعني أنشأهما » .

(٣) في معاني القرآن للزجاج : « السُّنة والإجماع » .

(٤) في معاني القرآن للزجاج : « لأنه يأتي في دين الإسلام » .

(٥) في معاني القرآن للزجاج : « بها لم يسبقه إليه الصحابة والتابعون » .

(٦) من معاني القرآن للزجاج ١٩٩/١ ، وقد نقله بحروفه من تهذيب اللغة (بدع) ٢٩٣/١ ، ولذلك اختلفت العبارات .

(٧) في تهذيب اللغة : « وهو صفة من صفات الله » .

(٨) ذكره في تهذيب اللغة ٢٩٣/١ ، ونقله في اللسان (بدع) ٢٣٠/١ .

(٩) تفسير الثعلبي ١١٤١/١ .

تعالى : ﴿فَقَضَىٰ أَجَلًا﴾ [الأنعام: ٢] . معناه : ثم حتم بذلك ^(١) وأتمه ، ومنه : الأمر ، وهو قوله : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] معناه : أمر ، إلا أنه أمرٌ قاطع حتم .

ومنه الإعلام ، وهو قوله : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الإسراء: ٤] ، أي : أعلمناهم إعلاماً قاطعاً ، ومنه : القضاء الفصل في الحكم ، وهو قوله : ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفَقَضَ إِلَيْهِمْ﴾ [الشورى: ١٤] ^(٢) ، أي : قطع بينهم في الحكم ، قال : «ومن ذلك قضى فلان دينه ، تأويله : أنه قطع ما لغريمه عليه ، وأداه إليه ، وقطع ما بينه وبينه . وكل ما أحكم فقد قُضِيَ» .

تقول : قد قضيت هذا الثوب ، وقد قضيت هذه الدار ، إذا عملتها وأحكمت عملها ، وقال أبو ذؤيب ^(٣) :

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا داودُ أَوْ صَنَعَ السَّوَابِغَ تَبَّعُ ^(٤) ^(٥)

- (١) في معاني القرآن : «بعد ذلك» .
- (٢) وردت الآية في نسخ البسيط كلها ، وفي معاني القرآن للزجاج ناقصة : (ولولا أجل مسمى لقضى بينهم) .
- (٣) هو خويلد بن خالد بن محرت أبو ذؤيب الهذلي ، تقدمت ترجمته .
- (٤) البيت لأبي ذؤيب في ديوانه ١٩ ، وشرح أشعار الهذليين ١/ ٣٩ ، ومجاز القرآن ١/ ٥٢ ، وتأويل مشكل القرآن ٤٤١ ، وتفسير الطبري ١/ ٥٠٩ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١١٤١ ، ولسان العرب (قضض) ٦/ ٣٦٦٢ ، (قضى) ٦/ ٣٦٦٥ ، (صنع) ٤/ ٢٥٠٨ ، وتفسير القرطبي ٢/ ٨٧ ، والدر المصون ١/ ٣٥٣ . والبيت من قصيدته التي يرثي فيها أولاده ، ومسرودتان : يعني درعين ، من السرد ، وهو الخرز أو النسج ، وقضاهما : أي أحكمهما ، وداود : النبي المعروف ﷺ ، والصَّنَعُ : الحاذق بالعمل ، والصَّنَعُ هاهنا : تبع ، يقال : رجلٌ صَنَعَ ، وامرأة صَنَاع . سمع بأن داود - عليه السلام - كان سخر له الحديد ، فكان يصنع ما أراد ، وسمع بأن تبعاً ملك اليمن عملهما ، فقال : عملهما تبع ، وظن أنه عملهما ، وإنما أمر بهما أن تعمل ، وكان تبع أعظم شأناً من أن يصنع شيئاً بيده . انظر : شرح أشعار الهذليين ١/ ٣٩ .
- (٥) بتصرف يسير من معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٣٠ .

ومنه قول الله تعالى : ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢] أي : خَلَقَهُنَّ وعملهن وصنعهن .

وقوله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ : القول هاهنا عند كثير من النحويين لا يكون المراد به النطق ، قالوا : «لأن المعدوم الذي ليس بكائن لا يخاطب» ، وتأويله : إذا قضى أمراً فإنما يكونه فيكون ، والقول قد يراد ولا يراد به النطق والكلام ، كما قال الشاعر :

امتلاً الحوض وقال قطني^(١)

وكقول أبي النجم^(٣) :

يَقْلَنَ للرائدِ أَغْشَبَتْ انزل^(٤)

والذَّبَّانَ لا قول لها ، وقال آخرون : «إن ما قدّر الله وجوده وعلم فهو كالموجود»^(٥) .

قال أبو بكر بن الأنباري : «يحتمل أن تكون اللام في (له) لام أجل ، والتأويل : ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ فإنما يقول من أجل إرادته : كن ، فيكون ، كقوله :

(١) عجز البيت :

مهلاً رويداً قد ملأت بطني

وهذا البيت لم يعرف قائله ، والبيت في تفسير الطبري ١/ ٥١٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٣٦ ، والأمل الشجرية ١/ ٣١٣ ، والمقاصد النحوية ١/ ٣٦ ، والخصائص ١/ ٢٣ . ومعنى قطني : حسبي ، وروي : سلاً رويداً .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١/ ١٩٩ .

(٣) هو الفضل بن قدامة ، تقدم ذكره : ١٠ / ٢ .

(٤) سبق تخريجه ضمن الآية رقم ٩٣ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ١٩٩ ، ففيه : «قال بعض أهل اللغة (إنما يقول له كن فيكون) يقول له وإن لم يكن حاضراً (كن) ، لأن ما هو معلوم عنده بمنزلة الحاضر» ، وانظر : البحر المحيط ١/ ٣٦٤ .

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] أي: من أجله^(١)، وكقوله: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨] معناه: إنه من أجل حب المال لبخيل. قال: ولا يعجبني أن يلغى القول، ويبطل معناه؛ لأننا لا نجعل حرفاً من كتاب الله مُطَرَّحاً إذا وجدنا له من وجه من الوجوه معنى.

فإن قيل: كيف قال (كن) للشيء الذي يكونه، وذلك الشيء لا يكون نفسه حتى يقال له: كن؟ قلنا: على مذهب النحويين هذا لا يلزم؛ لأن التقدير عندهم فإنها يكونه فيكون، ولفظ الأمر هاهنا المراد منه الخبر، ونذكره في ما بعد. وأما من جعل هذا أمراً حقيقياً فإنه يقول هذا من الأمر الحتم الذي لا انفكاك للمأمور منه، ولا قدرة له على دفعه والانصراف عنه، ومشهور في كلام العرب أن يرى الرجل منهم الرجل فيقول له: كن أبا فلان؛ أي أنت أبو فلان. فكذلك قوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ معناه: كن بتكويننا إياك، فالمأمور بهذا لا قدرة له على دفعه، ولا صنع له فيه، كما أن الذي يقال له: كن أبا فلان، لا صنع له في ذلك بفعل ولا عزم ولا غير ذلك مما يكون من الفاعلين^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ﴾: قال الفراء^(٣) والكسائي^(٤) وأبو إسحاق^(٥): «رفعه من وجهين: أحدهما: العطف على (يقول)، ومثله ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ فيقول^(٦) [إبراهيم: ٤٤].

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج ١/ ١٩٩.

(٢) انظر تفصيل المسألة في: تفسير الطبري ١/ ٥٠٨-٥١١، والبحر المحيط ١/ ٣٦٤-٣٦٦، وقد رجح الطبري في تفسيره أن الأمر هنا عام في كل ما قضاه الله وبرأه مما هو موجود، فيقال له: كن. قال: «فغير جائز أن يكون الشيء مأموراً بالوجود مراداً كذلك إلا وهو موجود، ولا أن يكون موجوداً إلا وهو مأموراً بالوجود مراد كذلك».

(٣) معاني القرآن للفراء ١/ ٧٤.

(٤) معاني القرآن للفراء ١/ ٧٥.

(٥) معاني القرآن للزجاج ١/ ١٩٩.

(٦) وهذا الذي اختاره الطبري في تفسيره ١/ ٥١١.

الثاني : أن يكون رفعه على الاستئناف ، المعنى : فهو يكون ؛ لأنَّ الكلامَ تَمَّ عند قوله : (كن) ثم قال : فسيكون^(١) ما أراد الله . قال الفرّاء : «وإنه لأحبُّ الوجهين إليَّ»^(٢) ، وقرأ ابن عامر وحده (فيكونَ) بنصب النون^(٣) .

قال أبو علي^(٤) : «قوله : (كُنْ) وإن كان على لفظ الأمر فليس بأمر ، ولكنَّ المراد به الخبر ، كأنَّ التقديرَ : يُكُونُ^(٥) فيكون ، وقد يَرُدُّ لفظ الأمر والمراد منه الخبر ، كقولهم : أكرمَ بزيد ، تأويله : ما أكرمَ زيدا^(٦) ، والجار والمجرور في موضع رفع بالفعل . وفي التنزيل : ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم : ٧٥] فالتقدير : مدَّه الرحمن . وإذا لم يكن قوله : ﴿كُنْ﴾ خبراً في المعنى وإن^(٧) كان على لفظ الأمر لم يُجْزَ أن ينصبَ الفعلُ بعد الفاء بأنه^(٨) جواب . ويدلُّ على امتناع النصب في قوله : ﴿فَيَكُونُ﴾ أن الجواب بالفاء مضارع للجزاء ، يدلُّ على ذلك أنه يؤوَّلُ في المعنى إليه . ألا ترى أن قولك : اذهب فأعطيك ، معناه إن تذهب أعطيتك^(٩) ولا يجوز : اذهب فتذهب ؛ لأن المعنى يصير : إن ذهبت ذهبت ، وهذا كلامٌ لا يفيد كما يفيد إذا اختلفت الفاعلان والفعلان ، نحو : قُمْ فأعطيك ؛ لأنَّ المعنى : إن قُمْتَ أعطيتك ، ولو جعلتَ الفاعل في الفعل الثاني فاعِلَ الفعل الأوَّل ، فقلت : قُمْ فتقوم ، أو أعطني فتعطيني ، على قياس قراءة ابن عامر ، لكان المعنى : إن قمت تقم ، وإن تُعطيني تعطيني ، وهذا كلامٌ في قلة الفائدة على ما تراه .

(١) في (م) : (فيكون) .

(٢) معاني القرآن للفرّاء ١ / ٧٥ .

(٣) انظر : كتاب السبعة ١٦٨ ، والحجة ٢ / ٢٠٣ .

(٤) في الحجة للقرّاء السبعة ٢ / ٢٠٣ .

(٥) في (ش) : (فكون) .

(٦) في الأصل : زيد ، والمثبت من الحجة .

(٧) في (م) : (وإذا) .

(٨) في (ش) : (لأنه) .

(٩) من قوله : «معناه . . . » ساقط من (ش) .

فَأَمَّا مَنْ احتج له فإنه يقول : «اللفظ لما كان على لفظ الأمر وإن لم يكن المعنى عليه حملته على صورة اللفظ» . وقد حمل أبو الحسن نحو قوله : ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم : ٣١] ونحوه من الآي على أنه أجري مجرى جواب الأمر ، وإن لم يكن جواباً له في الحقيقة . وقد يكون اللفظ على شيء والمعنى على غيره ، ألا ترى أنهم قالوا : ما أنت وزيد^(١) ، والمعنى : لم تؤذيه ، وليس ذلك في اللفظ . قال : «ومن رفع فإنه عطف على قوله : ﴿كُنْ﴾ لأن معناه : يكونه فيكون ، وهذا أولى من حمله على (يقول)^(٢) ؛ لأنه لا يطرد في سورة آل عمران في قوله : ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران : ٥٩] لأن قال ماضٍ ، ويكون مضارع ، فلا يحسن عطفه عليه لاختلافهما» ، قال : «ويجوز أن يكون خبر ابتداء محذوف ، كأنه قال : فهو يكون»^(٣) .

١١٨ . قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ : قال ابن عباس : «هم اليهود ، قالوا للمحمد ﷺ : لا نؤمن لك حتى يكلمنا الله أنك رسوله ، أو حتى تأتينا بمثل الآيات التي أتت بها الرسل»^(٤) . وقال مجاهد : «هم النصارى»^(٥) .

(١) في الحجة : «وزيداً» .

(٢) في (ش) : (على ما يقول) .

(٣) إلى هنا انتهى كلام أبي علي الفارسي في الحجة ٢٠٨/١ بتصرف واختصار .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٥١٢/١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٥/١ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١١٤٢/١ ، وذكره ابن هشام في السيرة النبوية عن ابن إسحاق ١٧٦/٢ . انظر : تفسير السمعاني ٣٣/٢ ، وزاد المسير ١٣٧/١ ، وتفسير القرطبي ٨٣/٢ .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٥١٢/١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٥/١ ، وهو في تفسير مجاهد ٨٦ ، وهذا الذي رجّحه الطبري في تفسيره ٥١٣/١ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١١٤٢/١ لدلالة سياق الآيات .

وقال الحسن^(١) وقتادة^(٢) : «هم مشركو العرب ، وهذا أظهر الأقوال ؛ لأنه يُشاكل ما طلبوا ، حيث قالوا : ﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا﴾ الآيات الأربع [الإسراء : ٩٠-٩٣] ، ولأن أهل الكتاب أهل علم به ، والله تعالى قال : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾» .

وقوله تعالى : ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ : قال أبو عبيدة^(٣) والزجاج^(٤) : «معنى لولا : هلاً» ، وأنشد أبو عبيدة :

تَعْدُونَ عَقْرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ
بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِيِّ الْمُقْنَعَا^(٥)
أي : هلاً^(٦) ، وقال الخليل : «(لولا) له معنيان : أحدهما : هلاً ، والآخر : لولم ، كقولك : لولا زيد لأكرمته ، معناه : لولم يكن ، وتقول : لولا فعلت ما أمرتك ، في معنى : هلاً فعلت . وقد يدخل (ما) في هذا المعنى في موضع لا ، كقوله تعالى : ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِيَّةِ﴾ [الحجر : ٧] . أي : هلاً . وكل ما في القرآن لولا يفسر على هلاً ، غير التي في الصفات ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصفات : ١٤٣]

(١) لم أره عن الحسن ، وقد نقله في الوسيط ١/ ١٩٧ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢/ ٥٥١ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٥١ ، والثعلبي في تفسيره ١/ ١١٤٢ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ١/ ٥٢ .

(٤) انظر : معاني القرآن ١/ ١٩٩ .

(٥) البيت «الجرير» في ديوانه ٢٦٥ ، والنقائض ٨٣٣ ، ومجاز القرآن ١/ ١٩٩ ، وتفسير الطبري ١/ ٥١٣ ، وأما ابن الشجري ٢/ ٢١٠ . وقد عزاه هؤلاء الثلاثة إلى أشهب بن رُميلة . ورواية الديوان والنقائض : «أفضل سعيكم» . عقر النيب : يقال عقر الناقة أو الفرس ؛ أي ضرب قوائمها فقطعها ، والنيب : جمع ناب ، وهي الناقة المسنة ، سميت بذلك لطول نابها ، وبني ضوطري : يعني يا بني الحمقى ، وقيل : إنه نبز لرجل من بني مشجاع بن دارم ، والكمي : الشجاع الذي لا يهرب ، فلا يحيد عن قرنه ، كان عليه سلاح أو لم يكن . وكان العرب يعقرون البعير قبل نحره لئلا يشرد ، وكانوا يتكاثرون بالمعاقرة ، وهي أن يعقر هذا ناقة فيعقر الآخر ، يتباريان في الجود حتى يغلب أحدهما . انظر : حاشية تفسير الطبري ١/ ٥١٣ .

(٦) مجاز القرآن ١/ ٥٢ ، ٥٣ .

يقول: فلو لم يكن من المُسَبِّحِينَ^(١). وقال الفراء: «لولا إذا كانت مع الأسماء فهي شرط، وإذا كانت مع الأفعال فهي بمعنى هلاً، لوً على ما مضى، وتخصيص لما يأتي».

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أراد كفار الأمم الخالية. قال الزجاج: «أعلم الله أن كفرهم في التعنت بطلب الآيات على اقتراحهم، ككفر الذين من قبلهم في قولهم لموسى: ﴿أَرَأَى اللَّهُ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] وما أشبهه، وفي هذا تعزية للنبي ﷺ^(٢).

وقوله تعالى: ﴿تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي أشبه بعضها بعضاً في الكفر والقسوة ومسألة المحال^(٣)، كقوله: ﴿يُضْهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: يريد أن من أيقن وطلب الحق فقد أته الآيات البينات، نحو: المسلمين ومن لم يعاند من علماء اليهود؛ لأن القرآن برهان شاف^(٤).

١١٩. قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: معنى الحق في اللغة: هو الواجب الصدق الموجود، وهو نقيض الباطل، يقال: حق الشيء يحق حقاً، معناه: وجب^(٥) وجوباً. فالحق مصدر، ثم يستعمل بمعنى فاعل، مثل: برّ وطبّ. قال شمر: «تقول العرب: حقّ عليّ أن أفعل ذلك، وحقّ، وإني لمحقوق أن أفعل خيراً»، قال: «وتقول: حققت الأمر،

(١) انظر: لولا في الكتاب لسبويه ٣/ ١١٥، ٤/ ٢٢٢، والمغني لابن هشام ١/ ٢٧٢-٢٧٦.

(٢) معاني القرآن للزجاج ١/ ١٩٩.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٧٥، وتفسير الثعلبي ١/ ١١٤٣.

(٤) نقلاً عن معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٠٠.

(٥) في (ش): (وجبت).

وأحققته ، إذا كنت على يقين منه»^(١) . وقال الفرّاء : «حُقُّ لَكَ أن تفعل كذا ، وحُقُّ عليك ، فإذا قلت : حُقُّ ، قلت : لك ، وإذا قلت : حَقُّ ، قلت : عليك»^(٢) ، ابن الأعرابي : «الحق : صدق الحديث ، والحق : الملك ، والحق : اليقين بعد الشك»^(٣) .

وأصل الحق ما ذكرنا من أنه الصدق الواجب ، ثم يسمى كلُّ ثابت موجود غير باطل : حقاً ، كالذي ذكره ابن الأعرابي . والحقُّ من أسماء الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [المؤمنون : ٧١] ، والحقُّ : العدل في قوله : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ٨٩] ، والحقُّ : الدِّين في قوله : ﴿ وَلِيُمْلِلِ آلُذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴾^(٤) [البقرة : ٢٨٢] .

فأمّا تفسير الحق في هذه الآية فقال ابن عباس : «الحق : القرآن»^(٥) ، كقوله : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ [ق : ٥]»^(٦) ، وقال ابن كيسان : «الحق في هذه الآية : الإسلام»^(٧) ، نحو قوله : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ [الإسراء : ٨١]»^(٨) .

(١) نقله عنه في تهذيب اللغة ١/ ٨٧٧ .

(٢) نقله عن شمر كما في تهذيب اللغة ١/ ٨٧٦ .

(٣) نقله عنه في تهذيب اللغة ١/ ٨٨٠ .

(٤) انظر : المفردات للراغب الأصفهاني ١٣٢ ، واللسان (حق) ٢/ ٩٤٠ .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١١٤٣ ، والواحدي في الوسيط ١/ ١٩٨ ، والبغوي في تفسيره ١/ ١٤٢ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١/ ١٣٧ .

(٦) تفسير الثعلبي ١/ ١١٤٣ .

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١١٤٤ ، والواحدي في الوسيط ١/ ١٩٨ ، والبغوي في تفسيره ١/ ١٤٢ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١/ ١٣٧ .

(٨) تفسير الثعلبي ١/ ١١٤٣ .

والباء في (بالحق) بمعنى مع ؛ أي مع الحق^(١) . وقوله : ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ [المائدة : ٦٢] ، وإذا^(٢) كان كذلك كان في موضع النصب بالحال^(٣) ، كقوله : ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(٤) ، فالبشير : فِعْلٌ بمعنى فاعل من بشر يَبْشُرُ بشرًا بمعنى بَشَرٌ^(٥) ، ونذكر ذلك عند قوله تعالى : ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ يَحْيَى﴾ [آل عمران : ٣٩] . والنذير : بمعنى المنذر ، وكان الأصل : نَذَرَ ، إلا أن فعل الثلاثي أميت ، ومثله : السميع : بمعنى المسمع ، والبديع بمعنى المبدع ، وتقول : أنذرته فَنَذِر ، أي : أعلمته فَعِلِمَ وتَحَرَّزَ^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ : سأل فِعْلٌ يتعدى إلى مفعولين . أنشد أحمد بن يحيى^(٧) :

سألناها الشِّفَاءَ فما شَفَفْتَنَا وَمَتَّئْنَا الموَاعِدَ والخِلَابَا^(٨)

ويجوز الاقتصار فيه على مفعول واحد ، ويكون على ضربين : أحدهما : أن يتعدى بغير حرف ، والآخر : أن يتعدى بحرف . فالتعدي بغير حرف نحو قوله : ﴿وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ [المتحنة : ١٠] ، وقوله : ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء : ٧] .

(١) انظر : البحر المحيط ١ / ٣٦٧ .

(٢) في (ش) : (إذا) .

(٣) انظر : البحر المحيط ١ / ٣٦٧ . ذكر أنه حال من الكاف ، ويحتمل أن يكون حالاً من الحق ؛ لأن ما جاء به من الحق يتصف أيضاً بالبشارة والنذارة ، والأظهر الأول .

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ١ / ٢٠٠ ، وإعراب القرآن ١ / ٢٠٩ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة ١ / ٣٣٨ ، والبحر المحيط ١ / ٣٦٧ .

(٦) تهذيب اللغة ٤ / ٣٥٤٦ ، واللسان ٧ / ٤٣٩٠ .

(٧) ذكر هذا البيت في الحجة ، ثم قال : « وأنشد أحمد بن يحيى :

سألتُ عمراً بعد بكرٍ خُفَاً والدلُّوْ قَدْ تُسْمَعُ كُنِي خُفَاً .

(٨) البيت لجريس بن عطية ، يهجو فيه الراعي النميري . انظر : ديوانه : ص ٥٨ ، والحجة ٢ / ٢٠٩ . الخلاب : المخادعة والكذب .

وَأَمَّا تَعْدِيهِ بِالْحَرْفِ فَالْحَرْفُ الَّذِي يَتَعَدَّى بِهِ حَرَفَانِ : أَحَدُهُمَا (الباء) ، كَقَوْلِهِ : ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج : ١] ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

وسائلةٍ بثعلبةٍ بنِ بكرٍ وقد أودتْ بثعلبةَ العلوق^(١)
والآخر (عن) ، كَقَوْلِكَ : «سل عن زيد» .

وإذا تعدَّى إلى مفعولين فالمفعول الثاني يكون على ثلاثة أضرب :

الأوّل : أن يكون الفعل واقعاً عليه من غير حرف ظاهر ولا مضمر ، وذلك نحو قوله :

سألتُ زيداَ بعد بكرٍ خُفّاً^(٢)

فيكون معناه : استعطيته^(٣) .

الثاني : أن يتعدَّى الفعلُ إليه بإضمارِ حرف ، وذلك قوله^(٤) : ﴿وَلَا يَسْتَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً﴾ [المعارج : ١٠] . معناه : ولا يسأل حميمٌ عن حميم ، ويكون بمنزلة : اخترت الرجال زيداَ ، ويجوز إظهارُ الحرف ، فيكون كَقَوْلِهِ : ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف : ١٦٣] .

(١) البيت للمفضل النكري في الأصمعيات ٢٠٣ ، والمتنصفيات ٢٥ ، والخصائص ٤٣٧/٢ ، والحجة ٢١٠/٢ ، ولسان العرب (سير) ٢١٧٠/٤ ، (علق) ٣٠٧٤/٥ ، والمعجم المفصل ١٨٢/٥ ، وروايته في بعض المراجع : (سير) بدل (بكر) ، و(علقت) بدل (أودت) ، وهذا البيت من قصيدة الشاعر المنصفة . يذكر أن ثعلبة بن سيار كان في أسرهِ ، وهو الذي ذكره في البيت : ثعلبة بن سيار ؛ ضرورة لإقامة الوزن . العلوق : المنية .

(٢) البيت من الرجز لم ينسب إلى قائل ، وبعده :

والدلو قد تُسمعُ كي تخفّا

ذكره في الحجة ٢١٠/٢ ، مرة قال : عمراً ، ومرة قال : زيداَ . اللسان (خفف) .

(٣) في الحجة ٢١١/٢ زيادة عليه ؛ أي سألتُهُ أن يفعل ذلك .

(٤) من قوله : «سألتُ زيداَ بعد بكرٍ» ساقط من (ش) .

الثالث : أن يقع موقع المفعول الثاني استفهاماً ، كقوله : ﴿ سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَهُمْ ﴾ [البقرة: ٢١١] ، وقوله : ﴿ وَسَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥] ^(١) .

وفي (سألت) لغتان : تحقيق الهمزة وهي الفاشية الكثيرة ، وسِلْتُ أَسَالُ لغة ، وعليها جاء قول الشاعر :

سَالَتْ هذيلُ رسولَ اللهِ فاحشَةً

ضَلَّتْ هذيلُ بما قالت ولم تُصِبْ ^(٢)

وحمل سيبويه ^(٣) (سالت) على قلب الهمزة ألفاً للضرورة ، كما قال الشاعر :

راحتُ بمسلمةَ البغالِ ^(٤) عَشِيَّةً

فارعى فزارةً لا هناكِ المَرْتَعُ ^(٥)

قال الزَّجَّاجُ ^(٦) ثم ابن الأنباري وأبو علي ^(٧) : «الرفع في قوله : (ولا تُسأل) من وجهين : أحدهما : أن يكون حالاً صُرِفَتْ إلى الاستقبال ، فيكون مثل ما عطف عليه في المعنى من قوله : ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ وغير مسؤول ، فيكون مرفوعاً في اللفظ ، منصوباً في التأويل ، ويكون ذكرُ تُسألُ وهو فعل بعد قوله :

(١) ما تقدم منقول من الحجة لأبي علي الفارسي ٢/٢٠٩-٢١١ .

(٢) البيت لحسان بن ثابت هجافيه هذيلاً ، في ملحق ديوانه ٣٤ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٣/١٧٦ ، والكتاب لسيبويه ٢/١٣٠ ، والمقتضب للمبرد ١/١٦٧ ، والحجة ٢/٢١٨ ، والمعجم المفصل ٤٢٥/١ .

(٣) الكتاب ٣/٤٦٨ ، ٥٥٥ ، ونقل عنه ذلك أبو علي الفارسي في الحجة ٢/٢١٨ .

(٤) في (ش) : (النعال) .

(٥) البيت للفرزدق في ديوانه ١/٤٠٨ ، والكتاب ٣/٥٥٤ ، والحجة ٢/٢١٨ ، والمعجم المفصل ٢٦٧/٤ .

(٦) في معاني القرآن ١/٢٠٠ .

(٧) الحجة ٢/٢١٦ .

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(١) كقوله : ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ [آل عمران : ٤٦] بعد ما تقدم من قوله : ﴿وَجِئَهَا﴾ .

والوجه الثاني : أن يكون منقطعاً من الأوّل ، مُستأنفاً به ، يُراد : ولست تسأل عن أصحاب الجحيم ، ويقوي هذا الوجه قراءة عبدالله : «ولن تسأل» ، وقراءة أبي : «وما تُسأل»^(٢) . فلن ، وما يشهدان للاستئناف^(٣) . ومعنى الآية ما قال مقاتل : «وهو أن النبي ﷺ قال : «لو أن الله أنزل بأسه باليهود لآمنوا ، فأنزل الله - عز وجل - ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾»^(٤) . أي : لست بمسؤول عنهم ، وليس عليك من شأنهم عُهدة ولا تبعة ، فلا تحزن عليهم ، كما قال : ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾»^(٥) [الرعد : ٤٠] .

وقرأ نافع وحده (ولا تسأل) بفتح التاء وجزم اللام ، وله وجهان : أحدهما : أن يكون هذا نبياً للنبي ﷺ على ما روي عن ابن عباس ، أنه قال : «سأل رسول الله ﷺ جبريل عن قبر أبيه وقبر أمه ، فدلّه عليهما ، فذهب إلى القبرين ودعا لهما ، وتمتّى أن يعرف حال أبويه في الآخرة فنزل قوله : ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾»^(٦) .

(١) ساقط من (ش) من قوله : «في اللفظ» .

(٢) القراءتان في الحجة لابن زنجلة ١١٢ ، وتفسير الثعلبي ١١٤٦/١ ، ومختصر في شواذ القرآن لابن خالوية ١٦ ، والكاشف ١٨٢/١ ، وتفسير ابن عطية ٤٦٨/١ .

(٣) إلى هنا انتهى كلام أبي علي في الحجة ٢١٦/٢ .

(٤) ذكره عنه الثعلبي في تفسيره ١١٤٥/١ ، والواحدي في أسباب النزول ٤٣ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١١٩/١ ، والقرطبي في تفسيره ٨٣/٢ ، ونقله ابن حجر في العجائب ٣٦٨/١ من الواحدي ، ثم قال : «لم أر هذا في تفسير مقاتل بن سليمان ، فينظر في تفسير مقاتل بن حيان» . اهـ ، وهذا مرسل لا يحتج به .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢٠٠/١ .

(٦) ذكره أبو علي الفارسي في الحجة ٢١٦/٢ ، وقال : «وهذا إن ثبت معنى صحيح» ، ويذكر أن في إسناد الحديث شيئاً ذكره الثعلبي في تفسيره ١١٤٤/١ ، والواحدي في أسباب النزول ٤٣ عن طريق عطاء عن ابن عباس . قال ابن حجر في العجائب ٣٦٩/١ : «وأما قول ابن عباس فنسبه الثعلبي في تفسيره لرواية عطاء عنه ، وهي من تفسير عبدالغني بن سعيد الواهي ، وقد أخرجه الطبري من مرسل =

وقال القرظي: «قال رسول الله ﷺ ذات يوم: «ليت شعري ما فعل أبواي»، فأنزل الله هذه الآية، فما ذكرهما حتى توفاه الله»^(١). قال ابن عباس: «وفي هذا نزلت الآية التي في التوبة: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهو علي - رضي الله عنه - ﴿أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾^(٢) [التوبة: ١١٣]».

قال أبو إسحاق: «ويجوز أن يكون النهي لفظاً، ويكون المعنى على تفخيم ما أعدَّ لهم من العقاب، كما تقول^(٣): لا تسأل عما فيه فلان من البلاء، إذا عظمت وبالغت في وصفه^(٤). وعلى هذا يكون الظاهر نهيّاً وتأويله تأويل التعجيب والتعظيم»^(٥). واختار أبو عبيد القراءة الأولى قال: «لأنه لو أراد النهي لكانت الفاء أحسن من الواو»^(٦).

= محمد بن كعب القرظي، وعليه اقتصر الماوردي وابن ظفر وغيرهما، واستبعد الرازي صحة هذا السبب، قال لأنه ﷺ يعلم من مات كافراً. اهـ، وفي سنده موسى بن عبيدة وهو ضعيف.

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٥٩/١، والطبري في تفسيره ٥١٦/١، وأشار إلى ضعفه في ٥١٦/١، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٧/١ عن طريق موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن كعب، وذكره السيوطي في الدر ٢٠٩/١، وزاد نسبته إلى وكيع، وسفيان بن عيينة، وعبد بن حميد، وابن المنذر. قال السيوطي: «هذا مرسل ضعيف الإسناد»، وقال أحمد شاكر بعد أن أورده الطبري من طريقين عن موسى بن عبيدة: «هما حديثان مرسلان، فإن محمد بن كعب بن سليم القرظي، تابعي، والمرسل لا تقوم به حجة، ثم هما إسنادان ضعيفان أيضاً بضعف راويهما موسى بن عبيدة بن نسيط الربذي...»، وقد أخرجه الطبري أيضاً في تفسيره ٥٥٩/٢ عن داود بن أبي عاصم، أن النبي ﷺ قال... فذكره. قال السيوطي ٢٠٩/١: «معضل الإسناد ضعيف لا تقوم به ولا بالذي قبله حجة». وقال أحمد شاكر: «وهذا مرسل أيضاً لا تقوم به حجة». داود بن أبي عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي تابعي ثقة، ويروى عن بعض التابعين أيضاً.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٤٢/١١ عن طريق عطية العوفي، وسنده مسلسل بالضعفاء.

(٣) في معاني القرآن: «كما يقول لك القائل الذي تعلم أنت أنه يجب أن يكون من تسأل عنه في حالة جميلة، أو حالة قبيحة، فتقول: لا تسأل عن فلان، أي: قد صار إلى أكثر مما تريد».

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج ٢٠٠/١.

(٥) في معاني القرآن ٢٠٠/١.

(٦) نقله أبو علي الفارسي في الحجة ٢١٧/٢ من دون نسبة.

وقال أبو علي : «إنما تكون الفاء أحسن إذا كانت الرسالة بالبشارة والندارة علةً لأن لا يسأل عن أصحاب الجحيم ، كما يقول الرجل : قد حملتك على فرس فلا تسألني غيره ، فيكون حملُهُ على الفرس علةً لئلا يسأل غيره ، وليس البشارة والندارة علةً لئلا يسأل^(١) ، وإنما يجعل للقراءة الأولى مزية على الثانية ؛ لأن الأولى خبر ، والكلام الذي بعده وقبله خبر ، فإذا كان أشكل بما قبله وبما بعده كان أولى من القراءة الثانية التي هي نهي^(٢) .

والجحيم عند العرب : النار المستحكمة المتلظية ، يقال : جَحَمَتِ النارُ تَجَحُّمٌ ، بفتح العين فيهما ، جُحوماً فهي جاحم وجحيم ، قال الله تعالى في قصة إبراهيم : ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ٩٧] أراد : النار الشديدة التأجج . ويقال لشدة القتل في معركة الحرب : جاحم ؛ تشبيهاً بالنار العظيمة . قال :

حتى إذا ذاقَ مِنْهَا جاحِماً بَرَدًا^(٣)

والجَحْم والجَحْمَة : توقد النار^(٤) ، ومنه قوله :

نحنُ حَبَسنا بني جَدِيلَة في نارٍ من الحربِ جَحْمَة الضَّرَمِ^(٥)

١٢٠ . وقوله تعالى : ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ : قال المفسرون : «كانت اليهود والنصارى يسألون النبي ﷺ الهدنة ، ويُطمعون به ، ويُرُونه أنه^(٦) إن هادئهم وأمهلهم اتبعوه ، فأُنزل الله هذه

(١) الحجة لأبي علي الفارسي ٢/ ٢١٧ .

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي ٢/ ٢١٦ .

(٣) ذكره في تهذيب اللغة ١/ ٥٤٥ عن الليث ، ولم ينسبه ، وكذا في اللسان ١/ ٥٥٣ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ١/ ٥٤٥ ، والمفردات للراغب ٩٥ ، واللسان ١/ ٥٥٣ .

(٥) انظر : ديوان الحماسة ١/ ٤٦ .

(٦) ساقطة من (م) .

الآية^(١)، وأخبر أنه لا يرضيهم إلا ما يستحيل وجوده، وما لا سبيل إليه؛ لأن اليهود لا ترضى عنه إلا بالتهود، والنصارى إلا بالتنصر، ويستحيل الجمع بينهما، فإذا استحال إرضاءهم فهم لا يَرْضُونَ عنه أبداً^(٢).

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى تَبْغَ مِلَّتَهُمْ﴾: (حتى) تقع^(٣) على الأسماء وعلى الأفعال، وهي لوضع غاية اسمية أو فعلية. أمّا الاسمية فمثل قولك: «لَقِيتُ الْقَوْمَ حَتَّى عَبْدِ اللَّهِ»، ومررت بالقوم حتى عبد الله، وأمّا الفعلية فمثل قولك: «اصْبِرْ حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْكَ». و(حتى) قد تقوم مقام (إلى)، وتؤدي مثل معناها في بعض المواضع، ويفترقان في كثير منها. أمّا الموضع الذي يتفقان فيه فمثل قولك: «أَقْمْنَا عِنْدَهُ إِلَى اللَّيْلِ، وَحَتَّى اللَّيْلِ»، وأمّا موضع افتراقهما فمثل قولك: «لَقِيتُ الْقَوْمَ حَتَّى زَيْدًا»، فإنه لا يجوز في هذا الموضع: «لَقِيتُ الْقَوْمَ إِلَى زَيْدٍ». وأمّا قولهم: «أَكَلْتُ السَّمَكَةَ حَتَّى رَأْسِهَا، وَرَأْسُهَا، وَرَأْسُهَا». فإذا كسرت لم يدخل الرأس في الكل؛ لأنَّ الأكلَ انتهى إليه، وهو بمعنى إلى. وفي النصب والرفع الرأس مأكول؛ لأن (حتى) أتبع الرأس السمكة في النصب. وفي الرفع كان (حتى) بمعنى الواو، ورأسها ابتداء، والخبر مضمّر فيه.

وأمّا نصبها للفعل فقال الخليل^(٤) وسيبويه^(٥): «الناصبُ للفعل بعد حتى (أن)، إلا أنها لا تظهر مع حتى، والدليل على أن (حتى) غير ناصبة بنفسها: أنها

(١) ذكره الزّجّاج في معاني القرآن ٢٠٢/١، والسمرقندي في بحر العلوم ١٥٤/١، والثعلبي في تفسيره ١١٤٦/١، والواحد في أسباب النزول ٤٣، وفي الوسيط ٢٠٠/١، والبغوي في تفسيره ١٤٣/١، وابن الجوزي في زاد المسير ١٣٨/١، وأبو حيان في البحر المحيط ٣٦٨/١.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٥١٧/١، والبحر المحيط ٣٦٨/١.

(٣) في (أ) و(م): يقع.

(٤) معاني القرآن للزّجّاج ٢٠١/١.

(٥) الكتاب ٧/٣.

خافضةً بالإجماع ، كقوله ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥] ، ولا يُعرَف^(١) في العربية ما يعمل في اسم يعمل في فعل ، ولا ما يكون خافضاً لاسم يكون ناصباً^(٢) . وهكذا اللام في قولك : جاء زيد ليضربك ، معناه : لأن يضربك ؛ لأن اللام خافضة للاسم ، فلا تكون ناصبةً لفعل ، ولا يجوز إظهار (أن) مع هذه اللام . ويجوز رفع الفعل بعد (حتى) إذا حُسِّن فيه الماضي ، نحو قولك : تعلمت حتى أجيب في كل شيء ، وسنذكر هذا عند قوله : ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤] إن شاء الله .

وقوله تعالى : ﴿مِلَّتْهُمْ﴾ : قال ابن عباس : «دينهم»^(٣) .

وكذلك قال أهل اللغة ، قالوا : «وإنما سُمِّيَ الدينُ مِلَّةً ؛ لأنه يُمَلُّ ، أي : يُمَلَى على المدعوِّ إليه ، وأملَّ وأملى بمعنى واحد»^(٤) ، لكن الملة بنيت^(٥) على الأصل ، وهو الثلاثي . وقيل : الملة فِعْلَةٌ من مَلَّه يُمَلُّه ، إذا ألقاه في الرماد الحار ، جُعِلَتْ اسماً للدين ؛ لما فيه من مشاق تخرج عن قضية^(٦) الهوى ورسم النفس ، ويُقْلَق ويُحْرَقُ^{(٧)(٨)} . والزَجَّاج ذكر فيها وجهاً آخر ، وهو أنه قال : «الملة بمعنى السُنَّة والطريقة» ، قال : «ومن هذا سُمِّيت الملة ؛ لأنها تؤثر (في مكانها كما يؤثر)^(٩) في الطريق بالسلوك فيه»^(١٠) ، فجعل الملة مشتقة من الملة ، وعنده أصلها من التأثير .

(١) في (ش) : (تعرف) .

(٢) انظر : تفصيل (حتى) وأوجهها في مغني اللبيب ١/ ١٢٢-١٣١ ، ومعظم النص منقول من معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره كما في الدر المنثور ١/ ٢٠٩ .

(٤) زيادة من (م) .

(٥) في (ش) كأنها : (ثبت) .

(٦) في (ش) : (قصة) .

(٧) في (ش) : (تعلق وتحرق) .

(٨) انظر : تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٥١ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١١٤٧ ، واللسان ٧/ ٤٢٧١ .

(٩) ساقط من (ش) .

(١٠) معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٠٢ ، وعبارته : «ومن هذه الملة ، أي : الموضع الذي يختبئ فيه ، لأنها تؤثر =

وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى﴾ : قال ابن عباس : «يريد أن الذي أنت عليه هو دين الله الذي رضيه»^(١) . وقال الزَّجَّاج : «أي : الصراط الذي دعا إليه وهدى إليه هو طريق الحق»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ إنما جمع الهوى ؛ لأن جميع الفرق ممن يخالف النبي ﷺ لم يكن ليرضيه منهم إلا اتباع هواهم^(٣) . وأراد بهذا : ما يدعونه إليه من المهادنة والإمهال .

وقوله تعالى : ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ : دين الله هو الإسلام^(٤) ، وقيل : من العلم أنهم على الضلالة ، وروي عن ابن عباس في هذه الآية قولان :

أحدهما : إنه قال : «الآية نزلت في تحويل القبلة ، وذلك أن اليهود والنصارى كانوا يرجون أن يرجع محمد إلى دينهم ، فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم ، وأيسوا منه أن يوافقهم على دينهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾^(٥) . يعني : صليت نحو قبلتهم بعد الذي جاءك من العلم في التحويل إلى الكعبة .

= في مكانها كما يؤثر في الطريق» . ثم قال : «وكلام العرب إذا اتفق لفظه فأكثره مشتق بعضه من بعض ، وأخذ بعضه برباب بعض» ، وقد نقله في تهذيب اللغة ٤ / ٣٤٥١ .

(١) ذكره في الوسيط ١ / ٢٠٠ ، وهذا لعله من رواية عطاء .

(٢) معاني القرآن ١ / ٢٠٢ .

(٣) معاني القرآن ١ / ٢٠٢ .

(٤) تفسير الثعلبي ١ / ١١٤٧ .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ١١٤٦ ، والواحد في أسباب النزول ٤٣ ، والبغوي في تفسيره ١ / ١٤٣ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١ / ١٣٨ ، وابن حجر في العجائب ١ / ٣٧٣ ، والسيوطي في لباب النقول ٢٥ ، وعزاه في الدر ١ / ٢٠٩ إلى الثعلبي .

والقول الثاني : إن المراد بقوله ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أمة محمد ﷺ ، وأما محمد فقد عصمته . وإياكم أخاطب وأنهى وأؤدب ، فقد علمتم أن محمداً قد جاءكم بالحق والصدق ، فلا تتبعوا أهواء الكافرين ، فلا يكون لكم من دوني ولي ولا نصير ، فالخطاب لرسول الله ﷺ والمراد منه أمة^(١) .

١٢١ . ثم ذكر أن من كان منهم غير متعنّ ولا حاسد ولا طالب رئاسة تلا التوراة كما أنزلت ، فرأى فيها أن النبي ﷺ حق فأمن به . فقال : ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ . قال ابن عباس : «نزلت في الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب^(٢) من أهل الحبشة ، وكانوا من أهل الكتاب ، آمنوا بالنبي ﷺ»^(٣) .

ومعنى قوله : ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ قال ابن مسعود : «يُحِلُّونَ حلاله ، ويُحَرِّمُونَ حرامه ، ويقرؤونه كما أنزل ، ولا يُحَرِّفُونَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ»^(٤) .

(١) انظر : تفسير القرطبي ٩٤ / ٢ .

(٢) جعفر بن أبي طالب ، ابن عم رسول الله ﷺ ، وأخو علي بن أبي طالب لأبويه وهو الملقب بالطيار ، كان أشبه الناس بالنبي ﷺ خُلُقاً وَخُلُقاً ، هاجر الهجرتين ، وعيّنهُ النبي ﷺ خلفاً لزيد بن حارثة في مؤتة ، واستشهد فيها سنة (٨) هـ . انظر : الاستيعاب ٣١٢ / ١ ، وأسد الغابة ٣٤١ / ١ .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١١٤٧ / ١ ، ونقله الواحدي في أسباب النزول ٤٣ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٣٦٧ / ١ من رواية عطاء والكلبي : «نزلت في أصحاب السفينة الذين أقبلوا مع جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة ، كانوا أربعين رجلاً من الحبشة وأهل الشام» . وقال ابن حجر في العجَاب ٣٧٤ / ١ تعقياً : «ذكر بأبسط منه الثعلبي في تفسيره» ، وقد ذكره الحيري في الكفاية ٧٠ ، والسمعاني في تفسيره ٣٨ / ٢ ، والبعوي في تفسيره ١٤٤ / ١ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٣٦٩ / ١ .

(٤) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٥٦ / ١ ، وعن طريقه أخرجه الطبري في تفسيره ٥١٩ / ١ ، ورواه أيضاً من طريق أبي العالية ، ورواه الثعلبي في تفسيره ١١٤٩ / ١ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٥٦ / ١ ، والسمرقندي في تفسيره ١٥٥ / ١ ، والواحدي في الوسيط ٢٠٠ / ١ ، والسمعاني في تفسيره ٣٨ / ٢ .

وقال الحسن : «يعملون بمحكمه ، ويؤمنون بمتشابهه ، ويكَلُونَ عِلْمَ ما أَشْكَلَ عليهم إلى علمه»^(١) .

وقال مجاهد : «يتبعونه حق اتباعه»^(٢) ، وقال الضحاك : «نزلت في مؤمني اليهود : عبدالله بن سلام وأصحابه»^(٣) ، وقال قتادة^(٤) وعكرمة^(٥) : «نزلت في أصحاب النبي ﷺ ، و(الكتاب) على هذا : القرآن . ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بمحمد أو بالكتاب» .

١٢٣ . قوله تعالى : ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةُ﴾ : ليس على ظاهره من العموم^(٦) ؛ لأنه قال في موضع آخر : ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣] ، وقال : ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧] ، وهو من باب الخصوص ، تأويله : ولا ينفعها^(٧) شفاعة إذا وجب عليها العذاب ، ولم يستحقوا سواه . وقال بعضهم : «إنما آيس الله اليهود بهذه الآية ؛ لأنهم كانوا يزعمون أن آباءهم من الأنبياء يشفعون لهم»^(٨) .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٢٠/١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٨/١ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١١٥٠/١ ، وعزاه في الدر ٢١٠/١ إلى وكيع . انظر : تفسير الحسن البصري ٧٩/٢ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٥٢٠/١ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٨/١ ، والثعلبي في تفسيره ١١٥٠/١ .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١١٤٨/١ ، ولفظه : «هم من آمن من اليهود : عبدالله بن سلام ، وشعبة بن عكرو ، وتمام بن يهوذا ، وأسيد وأسد ابنا كعب ، وابن يامين ، وعبدالله بن صوريا» ، وذكره الواحدي في أسباب النزول ٤٣ مختصراً ، وفي الوسيط ٢٠٠/١ ، والبغوي في تفسيره ١٤٤/١ ، وفي البحر المحيط ٣٦٩/١ ، وانظر : العجايب ٣٧٤/١ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٥١٨/١ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١١٤٨/١ ، وعزاه في الدر ٢١٠/١ إلى عبد بن حميد .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١١٤٨/١ ، والواحدي في أسباب النزول ٤٣ .

(٦) انظر : تفسير ابن عطية ٤٧٢/١ ، ٤٧٣ .

(٧) في (ش) : (ولا تنفعها) .

(٨) ذكره الزجاج في معاني القرآن ١٢٨/١ .

١٢٤. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أُنْتَلَىٰ إِلَٰهَهُ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ﴾ الآية: الابتلاء: الاختبار والامتحان، وابتلاء الله تعالى يعود إلى إعلامه عباده لا إلى استعلامه؛ لأنه يعلم ما يكون، فلا يحتاج إلى ابتلاء ليَعْلَم^(١).

وقوله تعالى: ﴿بِكَلِمَتٍ﴾: الكلبي عن أبي صالح^(٢) عن ابن عباس، قال: «الكلمات التي ابتلى الله - عز وجل - إبراهيم بها عشر خصال من السنة: خمس في الرأس، وخمس في الجسد، فاللآتي في الرأس: المضمضة والاستنشاق والفرق والسواك وقص الشارب، والتي في الجسد: تقليم الأظفار وحلق العانة والختان والاستنجاء ونتف الرفعين»^(٣).

وهذا أصح ما قيل في تفسير الكلمات، وعلى هذا أكثر أهل العلم^(٤).

وقال ابن عباس في رواية عطاء: «أوحى الله إلى إبراهيم: يا خليلي، تطهّر فتمضمض، فأوحى الله إليه أن تطهّر فاستنشق، فأوحى إليه أن تطهّر فاستاك، فأوحى إليه أن تطهّر فأخذ شارب، فأوحى^(٥) إليه أن تطهّر ففرّق شعره، فأوحى إليه أن تطهّر فاستنجد، فأوحى إليه أن تطهّر فحلق عانته، فأوحى إليه أن تطهّر

(١) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٥٤، وتفسير الطبري ١/ ٥٢٤، والمفردات للراغب ٧١، ٧٢، وتفسير البغوي ١/ ١٤٥.

(٢) هو: باذان، ويقال: باذام؛ أبو صالح مولى أم هانئ، تقدمت ترجمته.

(٣) هذا الإسناد ضعيف لا تقوم به حجة، ولكن ورد هذا عن ابن عباس بإسناد صحيح عند عبد الرزاق في تفسيره ١/ ٥٧ عن معمر عن ابن طاوس، عن ابن عباس، ومن طريق عبد الرزاق. أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٥٢٤، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣٥٩، والحاكم ٢/ ٢٦٦، وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، والبيهقي في السنن الكبرى ١/ ١٤٩، وذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١١٥٤، ولفظ الرُّفْعَيْن عند الفراء في معاني القرآن ١/ ٧٦، والرُّفْع: كل موضع اجتمع فيه الوسخ، والمراد به الإبط. انظر: المصباح المنير ٢٣٣.

(٤) معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٠٤، وقال ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢١٩: «روي عن أبي صالح وأبي الجلد ومجاهد وسعيد بن المسيب والنخعي والشعبي نحو ذلك».

(٥) في (ش): (فأوحى الله).

فتنف إبطيه ، فأوحى إليه أن تطهر فقلّم أظفاره ، فأوحى إليه أن تطهر فأقبل بوجهه على جسده ينظر ماذا يصنع فاختنن بعد عشرين ومائة سنة»^(١) .

وقال بعض المتأولين : «المراد بالكلمات في هذه الآية : انقياده لأشياء امتحن بها ، وأخذت عليه ، منها : الكوكب والشمس والقمر والهجرة والختان وعزمه على ذبح ابنه»^{(٢)(٣)} ، والمعنى : وإذ ابتلى إبراهيم ربه بإقامة كلمات ، أو بتوفية كلمات ، والتقدير : ذوي كلمات ؛ أي يعبر بها عن هذه المسميات ، ويجوز أن يكون الكلم المتكلم به ، كما أن الصيد هو المصيد ، والنسج المنسوج^(٤) ، ومثّل هذا مما حمل الكلمات فيه على الشرع قوله تعالى : ﴿ وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا [التحریم: ١٢] ، فالكلمات تكون الشرائع التي شرع لها دون القول ؛ لأن ذلك قد استغرقه قوله تعالى : ﴿ وَكُتِبَ عَلَيْهَا ﴾ وكان المعنى : صدقت بالشرائع فأخذت بها ، وصدقت الكتب فلم تكذب بها^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَتَتْهُنَّ ﴾ معناه : أَدَاهُنَّ تَامَاتٍ غَيْرِ نَاقِصَاتٍ^(٦) ، وقيل : إنه مِنْ فَعَلَ اللهُ تعالى ؛ أي قضاها الله له^(٧) .

(١) هو بمعنى ما سبق ، ولكن فيه تفصيل .

(٢) أورد هذا المعنى عبدالرزاق في تفسيره ٧٥ / ١ ، والطبري في تفسيره ٥٢٧ / ١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢١ / ١ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١١٥٥ / ١ ؛ كلهم عن الحسن .

(٣) ذكر الطبري في تفسيره ٥٢٧ / ١ ، ٥٢٨ الأقوال في المسألة ، ثم بين أن الصواب أنه لا يجزم بشيء مما ذكر على أنه المراد بالكلمات إلا بحجة يجب التسليم بها ، ورجّح ابن كثير في تفسيره ١٧٧ / ١ عموم الكلمات لكل ما ذكر في أقوال المفسرين ، وذكر في البحر المحيط ٣٧٥ / ١ ثلاثة عشر قولاً ثم قال : «وهذه الأقوال ينبغي أن تحمل على أن كل قائل منها ذكر طائفة مما ابتلى الله به إبراهيم إذ كلها ابتلاه الله بها ، ولا يحمل ذلك على الحصر في العدد ولا على التعيين ، لئلا يؤدي ذلك إلى التناقض» .

(٤) في (ش) : (النسخ والمنسوخ) ، وفي (م) : (النسخ للمنسوخ) .

(٥) انظر : تفسير القرطبي ٨٧ / ٢ ، وتفسير ابن كثير ١٧٦ / ١ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٥٢٨ / ١ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٦٢ ، وتفسير الثعلبي ١١٥٧ / ١ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢٠٤ / ١ .

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾: قال ابن عباس: «أوحى الله إليه إنني جاعلك للناس إماماً يقتدي بك الصالحون من بعدك»^(١).

والأئمة في اللغة: القصد، والإمام: كلُّ مَنْ ائتمَّ به قومٌ، كانوا على الصراط المستقيم^(٢)، أو كانوا ضالين. والنبى إمامٌ أمته، والخليفة إمامٌ رعيته، والقرآن إمامٌ المسلمين، على معنى أنهم ينتهون إليه في ما أمر وزجر. والإمام: الذي يؤتمُّ به، فيفعل أهله وأمته كما يفعل؛ أي يقصدون لما يقصد. هذا أصله^(٣). ثم يجعل الكتاب إماماً يؤتمُّ بما فيه، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْيَمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]؛ أي بكتابتهم الذي جعلت فيه أعمالهم في الدنيا، وقال: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢] يعني: كتاباً، أو اللوح المحفوظ. وقد يجعل الطريق إماماً؛ لأن المسافر يأتهم به ويستدل. قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمَا لِيَامِرِ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩]؛ أي بطريق واضح. ويقال للخيطة الذي يُقَدَّرُ به البناء: الإمام؛ لأنه يُقتدى به، ويُقصدُ قَصْدُهُ. وإمام الغلام في المكتب: ما يتعلمه كل يوم؛ لأنه يتبعه، ويقصده بالتعلم، ولا يعدو ما فيه^(٤).

فقال إبراهيم: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾؛ أي ومن أولادي أيضاً فاجعل أئمةً يُقتدى بهم^(٥). فأما تفسير الذرية فقال الليث: «الذر: عدد الذرية، تقول^(٦): نَمَى (٧) الله ذَرَأَكَ وَذَرَوَكَ: أي: ذريتك. والذرية: تقع على الآباء والأبناء والأولاد

(١) ذكره في الوسيط ٢٠٣/١ لعله من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في قسم الدراسة، وقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٢/١ عن أبي العالية أنه قال: «فجعل الله إماماً، يؤتم ويقتنى به»، ثم قال: «وروي عن الحسن وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وقتادة والربيع بن أنس نحو ذلك».

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢٠٥/١.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢٠٥/١، وانظر: تهذيب اللغة (أم) ٢٠٦/١.

(٤) انظر: تهذيب اللغة ٢٠٦/١، والمفردات للراغب الأصفهاني ٣٣، ٣٤.

(٥) تفسير الثعلبي ١١٥٧/١.

(٦) في (أ) و(م): (يقول).

(٧) في (ش): (تمنى).

والنساء ، قال الله تعالى : ﴿وَأَيُّهُمُ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [يس: ٤١] أراد : آباءهم الذين حَمَلُوا مع نوح في السفينة^(١) ، وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ﴾ إلى قوله : ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٤] فدخل فيها الآباء والأبناء^(٢) .

وتكون^(٣) الذرية واحداً وجمعاً ، فمما جاء فيه ذرية يراد به الواحد قوله تعالى : ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ . قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨] ، فهذا مثل قوله : ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥] . ألا ترى أنه قال : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحَارِبِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ [آل عمران: ٣٩] . ومما جاء فيه جمعاً قوله تعالى : ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٣] ، وهو كثير .

وأما أصل الذرِّية ومأخذها فقال أبو إسحاق النحوي : «فيها قولان : قال بعضهم : هي فُعْلِيَّةٌ مِنَ الذَّرِّ ؛ لأنَّ الله تعالى أخرج الخلق من صُلْبِ آدَمَ كَالذَّرِّ ، حين أشْهَدَهُمْ على أنفسهم»^(٤) .

قال : «وقال بعض النحويين : أصلها ذُرُورَةٌ ، على وزن فعلولة ، ولكنَّ التضعيفَ لما كَثُرَ أُبْدِلَ من الراء الأخيرة ياء فصارت ذُرُويَّةً ، ثم أُدْغِمَت الواو في الياء فصارت : ذُرِّيَّةً» . قال : «والقول الأوَّلُ أَقْيَسُ وأَجُودُ»^(٥) عند النحويين^(٦) .

(١) نقله عنه في تهذيب اللغة (ذراً) ١٢٧٤ / ٢ .

(٢) تهذيب اللغة (ذراً) ١٢٧٤ / ٢ .

(٣) في (ش) : (ويكون) .

(٤) لم يذكر أبو إسحاق شيئاً من ذلك في هذه الآية ، لكنه أشار إلى العلة في آية الأعراف : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ، فقال في معاني القرآن ٢ / ٣٩٠ : «قال بعضهم : خلق الله الناس كالذر من صلب آدم وأشهدهم على توحيده» .

(٥) في (م) : (أجود وأقيس) .

(٦) نقله عنه في تهذيب اللغة ١٢٧٧ / ٢ ، وعنه في اللسان (ذراً) ١٤٩١ / ٣ .

واختاره^(١) الليث ، فقال : «هو فُعْلِيَّةٌ مِنَ الذَّرِّ ، كما قالوا : سُرِّيَّةٌ ، والأصلُ من السرِّ ، وهو النكاح»^(٢) .

وزاد ابن الأنباري الوجهين^(٣) اللذين ذكرهما أبو إسحاق بياناً فقال : «الذرية مأخوذةٌ من ذرأ الله الخلق ، ويكون أصلها ذُرُوؤُهُ ، تُرِكَ هَمْزُهَا ، وأبدل من الهمز ياءً ، فلما اجتمعت الياء والواو والسابقُ ساكنٌ أُبدِلَ من الواو ياءً ، وأدغمت في الياء التي بعدها ، وكُسِرَ الراء لتصحَّ الياء» .

قال : «ويجوزُ أن تكون^(٤) منسوبة إلى الذر بالتشبيه في كثرة التوالد ، وضم الذال لأن النسبة قد يغير فيها الحرف ، كما قالوا : دُهْرِيٌّ بضم الدال^(٥) ، وقالوا : بُصْرِيٌّ للمنسوب إلى البصرة» .

وقال الخليل : «الذرية فُعْلِيَّةٌ ، من ذَرَرْتُ ؛ لأن الله تعالى ذَرَّهم في الأرض ؛ أي نشرهم» .

قال أبو علي الفارسي : «أمّا مثال ذرية من الفعل ، فيجوزُ أن يكون فُعْلُولَةٌ من الذر ، فأبدلتُ من الراء التي هي اللام^(٦) الأخيرة ياءً ، ويحتملُ أن يكون فُعِيلَةٌ منه . فأبدلتُ من الراء الياء ، كما يبدل من هذه الحروف للتضعيف ، وإن وقع فيها الفصل . ويحتملُ أن يكون فُعْلِيَّةٌ نَسَباً إلى الذرِّ ، إلا أن الفتحة أبدلت منها الضمة ، كما أبدلوا في الإضافة إلى الدهر دُهْرِيٌّ ، وإلى السهل سُهْلِيٌّ . ويجوز أن يكون فُعِيلَةٌ ، من ذرأ الله الخلق ، اجتمع على تخفيفها كما اجتمع على تخفيف

(١) في (أ) و(م) : (واختيار) .

(٢) نقله عنه في تهذيب اللغة ١٢٧٧/٢ .

(٣) المثبت من (ش) ، وفي غيرها : (للوجهين) .

(٤) في (أ) و(م) : (يكون) .

(٥) الدهري (بضم الدال وفتحها) : الذي يقول ببقاء الدهر . القاموس ٣٩٥ .

(٦) ساقطة من (م) .

البرية ، ويجوز أن يكون فُعَيْلة ، من قوله : ﴿ نَذَرُوهُ الرِّيحَ ﴾ أُبدلت من الواو الياء ؛ لوقوع ياء قبلها^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَتَّأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ : أعلم الله إبراهيم أن في ذريته الظالم^(٢) . قال ابن عباس : « يريد من كان من ولدك ظالماً لم ينل عهدي »^(٣) . يريد : ليس بإمام ولا كرامة^(٤) .

واختلفوا في معنى العهد هاهنا ، فقال أبو عبيد : « العهد هاهنا : الأمان ، أي : لا ينال أمان الظالمين »^(٥) ، يقول : « لا أوْمنهم عذابي » ، وقال السُّدي : « ﴿ لَا يَتَّأَلَّ عَهْدِي ﴾ أي : نبوتي »^(٦) . واختاره ابن كيسان ، فقال : « يعني : لا ينال ما عهدت إليك من النبوة والإمامة في الدين من كان ظالماً من ولدك ، بل ينال عهدي من كان رسولاً إماماً » .

(١) انظر : تفصيل (ذرية) وما فيها من اشتقاق وتصريف في البحر المحيط ١ / ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، واللسان (ذر) ٣ / ١٤٩٤ ، (ذراً) ٣ / ١٤٩١ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١ / ٢٠٥ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٢٢٢ بمعناه .

(٤) تفسير العهد بالإمامة قال به ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير ، وبه قال كثيرون . انظر : تفسير الطبري ١ / ٥٣٠ ، وتفسير السمعاني ٢ / ٤٥ ، وتفسير ابن عطية ١ / ٤٧٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١ / ١٤٠ ، وتفسير القرطبي ٢ / ٩٨ .

(٥) غريب الحديث ١ / ٤٤٠ ، وذكره عنه الثعلبي في تفسيره ١ / ١١٦٠ في نسخة ، وفي النسخة : أبو عبيدة ، وليس في مجاز القرآن لأبي عبيدة ، ونسبه الرازي في تفسيره ٤ / ٤٥ إلى أبي عبيد ، وقد أخرجه الطبري في تفسيره ١ / ٥٣٠ عن قتادة .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١ / ٥٣٠ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٢٢٣ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ١١٥٩ .

وقال الفرّاء : ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أي : لا يكون للناس إمام مشرك^(١) . وقال عبدالله بن مسلم^(٢) : «العهد هاهنا : الميثاق» ، يقول : «لا ينال ما وعدتك من الإمامة الظالمين من ذريتك ، والوعد من الله - عز وجل - ميثاق»^(٣) ، وهذه الأقوال متقاربة .

١٢٥ . قوله تعالى : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آلِيَّتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ : هذه الآية تنعطف على ما تقدمها من الآيات التي ذكر فيها^(٤) (إذ) ، ويريد بالبيت الكعبة التي هي القبلة اليوم ، ولذلك ذكره بالألف واللام^(٥) .

قوله تعالى : ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ : المثاب والمثابة مصدران لقولهم : ثاب يثوب مثاباً ومثابةً وثُوباً وثُوباناً ، ذكر ذلك الفرّاء في كتاب المصادر . فالمثابة هاهنا مصدر وُصِفَ به ، ويراد به الموضع الذي يُثاب إليه^(٦) ، يقال : «درهمٌ ضربُ الأمير» ، والمصدر قد يوصف به كثيراً . قال زهيرٌ :

مَتَى يَشْتَجِرَ قَوْمٌ يَقْلُ سَرَوَاتُهُمْ هُمْ بَيْنَنَا فَهُمْ رِضًا وَهُمْ عَدْلٌ^(٧)

(١) معاني القرآن ٧٦/١ .

(٢) يريد ابن قتيبة الدينوري ، المتوفى سنة ٢٧٦ هـ .

(٣) تأويل مشكل القرآن ٦٢ ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٤١/١ .

(٤) قوله : «التي ذكر فيها» ساقط من (ش) .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٥٣٢/١ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٧٦/١ ، وتفسير الطبري ٥٣٢/١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٠٥/١ ،

٢٠٦ . انظر : معاني (مثابة) في اللسان (ثوب) ٥١٨/١ .

(٧) البيت لزهير بن أبي سلمى في الديوان ٤٠ ، والأشباه والنظائر ٣٨٥/٢ ، ولسان العرب (رضى)

١٦٦٤/٣ ، وانظر : المعجم المفصل ٢١٦/٦ .

وأنشد أحمد بن يحيى :

سقى الله نجداً من ربيعٍ وصيفٍ وما ذا تُرْجَى ^(١) من ربيعٍ سقى نجداً
بلى إنَّه قد كان للعيشِ مرةً وللبيضِ والفتيانِ منزلةً حمداً ^(٢)

أراد : منزلة محمودة . قال ابن الأنباري : « والمصدر للمؤنث قد يكون خبراً عن المذكر ، كقولهم : أكل الرمان لذةً ، وذكر أخبار الصالحين عظةً ، ولقاء محمد منفعة . ويمكن أن تكون المثابة الموضع الذي يثاب إليه ، والهاء فيه لا تكون لتأنيث الموصوف به ، كما يقال للمجلس : المقام والمقامة ، يقال : هذا الموضع مقام فلان ومقامة بمعنى ، والهاء تدخل للتخصيص لا للتأنيث ، وهاء التخصيص تدخل في مواضع كثيرة كالقطنة والصوفة وأشباه ذلك » ^(٣) . قال زهير :

وفيههم مقاماتٌ حسنٌ وجوهها وأنديةٌ ينتابها القولُ والفعلُ ^(٤)

وواحد المقامات مقامة ، وعلى هذا دلَّ كلام المفسرين . فقد قال ابن عباس في معنى قوله : ﴿ مَثَابَةٌ ﴾ : « يريد : لا يقضون » ^(٥) منه وطراً ، كلما أتوه وانصرفوا اشتاقوا إلى الرجعة إليه » ^(٦) .

(١) ساقطة من (أ) و(م) .

(٢) هما بلا نسبة في المذكر والمؤنث للأنباري ٢٤٦ ، ومعجم البلدان (نجد) ٥/٢٦٣ ، وانظر : المعجم المفصل ٢/٢٠٤ .

(٣) ابن الأنباري .

(٤) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه : ص ١١٣ ، ولسان العرب (قوم) ٦/٣٧٨٧ ، والمعجم المفصل ٦/٢٤٥ .

(٥) في (ش) : (لا تقضون) .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١/٥٣٣ ، وبنحوه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٥٥ ، ثم قال : « وروي عن أبي العالية ، وسعيد بن جبير في إحدى روايتيه وعطاء ومجاهد والحسن وعطية والربيع بن أنس والسدي والضحاك نحو ذلك » .

وروي أيضاً عن ابن عباس أنه قال في تفسير المثابة : «معاداً»^(١) ، وعلى هذا فقال أبو إسحاق : «الأصل في مثابة مَثُوبَةٌ ، ولكنَّ حركة الواو نُقلت إلى الشاء ، وتبعث الواو الحركة فانقلبت أَلْفًا . قال : وهذا إعلال إِتباع ، تبع مثابة بَابِ ثاب^(٢) ، وأصلُ ثابِ ثَوَّبَ ، ولكنَّ الواو قُلِبَتْ أَلْفًا ؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها ، لا اختلاف بين النحويين في ذلك» . انتهى كلامه^(٣) . ويُشَدُّ على أن المثاب والمثابة واحد قول ورقة في صفة الحرم :

مَثَابًا لَأَفْتَاءِ الْقَبَائِلِ كُلِّهَا تَحُبُّ إِلَيْهَا الْيَعْمَلَاتُ الطَّلَائِحُ

وأنشده الشافعي - رحمه الله - لأبي طالب ، وروي : اليعملات الذوامل^(٤) .

- (١) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١١٦٠ ، والبغوي في تفسيره ١/ ١٤٦ ، والبحر المحيط ١/ ٣٨٠ . ولفظهم : معاذًا وملجأً بالذال ، لا بالذال . قال الطبري في تفسيره ١/ ٥٣٢ : «وإذ جعلنا البيت مرجعاً للناس ومعاذًا» ، وورد بالذال في الوسيط ١/ ٢٠٤ .
- (٢) في (ش) : (وإعلال الألف اتباع تبع ألف مثابة ألف ثاب) .
- (٣) معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٠٦ .
- (٤) نسبه إلى ورقة الطبري في تفسيره ١/ ٥٣٢ ، وأبو حيان في البحر المحيط ١/ ٣٨٠ ، والبداية والنهاية ٢/ ٢٩٧ . ورواية الطبري : «مثاب» ، وذكره الشافعي في الأم ١/ ١٥٣ ، ط . دار المعرفة منسوباً إلى ورقة بن نوفل خلافاً لما ذكره الواحدي ، لكنه أورد (الذوامل) بدل (الطلائح) ، وكذلك ذكره القرطبي في تفسيره ٢/ ١٠٠ ، وعدّها أبو حيان رواية في البيت . وبمثل هذه الرواية ذكرها صاحب اللسان ٣/ ١٥١٦ منسوباً إلى أبي طالب ، وذكره في (ذمل) غير منسوب . قال شاعر في تعليقه على تفسير الطبري ٣/ ٢٦ : «والظاهر أن الشافعي - رحمه الله - أخطأ في رواية البيت ، وأخطأ صاحب اللسان في نسبه ، اشتبه عليه بشعر أبي طالب في قصيدته المشهورة» . وكلام الواحدي صريح في نسبة البيت إلى أبي طالب ، فلعلها في نسخة أو كتاب آخر . وأفناء القبائل : أخلاطهم ، وخَبَّتْ الدابة تَحُبُّ خَبِيًّا : ضرب سريع من العدو ، واليعملات : جمع يعملة ، وهي الناقة السريعة المطبوعة على العمل ، اشتق اسمها من العمل ، والعمل من الإسراع والعجلة ، والطلائح : جمع طليح ، ناقة طليح أسفار : جهدها السير وهزلها ، والذوامل جمع ذاملة : وهي التي تسير سيرا ليناً سريعاً .

ومعنى ثاب في اللغة : عاد ورجع إلى وضعه الذي كان أفضى إليه ، يقال :
 ثاب ماء البئر إذا عاد جُمْتُها^(١) ، ومنه تثويب الداعي إذا عاد وكرّر الدعاء .

وقال الأخفش : «الهاء في المثابة للمبالغة في كثرة من يثوب إليه ، كقولهم :
 رجل علامة ونسابة»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَمَّا﴾ : أراد مأمناً^(٣) ، وهو أيضاً مصدر وصف به ، كما
 ذكرنا . قال ابن عباس : «يريد : من دخله كان آمناً ، فمن أحدث حدثاً خارج
 الحرم ثم لجأ إليه أمن من أن يهاج فيه . ولكن لا يؤذى^(٤) ولا يخالط ولا يتبايع ،
 فإذا خرج منه أقيم عليه الحدُّ ، ومن أحدث في الحرم أقيم عليه الحد فيه»^(٥) .

وإلى هذا ذهب أبو حنيفة : «إن الجاني إذا لاذ بالحرم أمن»^(٦) ، ومذهب
 الشافعي أنه لا يأمن بالالتجاء إليه ، ويُستوفى منه ما وجب عليه في الحرم^{(٧)(٨)} ،
 على ما قد روي في الخبر : لا يعيد الحرم عاصياً^(٩) .

(١) في تهذيب اللغة (ثاب) ١/٤٦٣ .

(٢) معاني القرآن ١/١٤٦ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١/٥٣٤ ، وتفسير البغوي ١/١٤٦ .

(٤) في تفسير الثعلبي ١/١١٦١ : «ولكن لا يؤوي» .

(٥) ذكره عنه الثعلبي في تفسيره ١/١١٦١ ، والسمعاني في تفسيره ٢/٤٧ ، وابن الجوزي في زاد المسير
 ١/١٤١ . انظر : تفسير السمرقندي ١/١٥٧ ، وتفسير القرطبي ٢/١١١ ، وتفسير الرازي ٤/٥٢ .
 وقد روي بعضه عن بعض التابعين كما عند الطبري في تفسيره ١/٥٣٤ ، وابن أبي حاتم في تفسيره
 ١/٢٢٥ .

(٦) انظر : شرح السير الكبير للسرخسي ١/٣٦٦ ، ط . الشركة الشرقية ، وكشف الأسرار للبزدوي
 ١/٢٩٦ . قال في المغني ٩/٩٠ ، ط . دار إحياء التراث العربي : «وهذا قول ابن عباس ، وعطاء ،
 وعبيد بن عمير ، والزهرري ومجاهد ، وإسحاق ، والشعبي ، وأبي حنيفة وأصحابه ، وأحمد بن حنبل في
 القتل ، وأمّا في غيره فعنه روايتان» .

(٧) انظر : الأم للشافعي ٤/٢٩٠ ، وبه قال مالك وابن المنذر كما في المغني ٩/٩٠ .

(٨) ساقطة من (أ) و(م) .

(٩) ذكره البخاري ١٠٤ ، كتاب : العلم ، باب : ليلغ العلم الشاهد الغائب ، ومسلم ١٣٥٤ ، =

وعلى هذا فمعنى قوله : ﴿وَأَمَّا﴾ الأولى أن يأمن فيه الجاني ، فإن أخيف بإقامة الحد عليه جاز ، فقد قال كثير من المفسرين : «من شاء أمن ، ومن شاء لم يؤمن» ، كما أنه لما جعله مثابة من شاء ثاب ومن شاء لم يثب ، وقد كان قبل الإسلام يرى الرجل قاتل أبيه في الحرم فلا يتعرض له ، وهذا شيء كانوا توارثوه من دين إسماعيل ، فبقوا عليه إلى أيام النبي ﷺ ، فاليوم من أصاب فيه جريرة أقيم عليه الحد بالإجماع^(١) .

وقال أبو بكر بن الأنباري : «معناه : وَأَمَّا أن يُبخس القاصد له من الثواب الذي يوعده أمثاله ، فهو واثق آمن أن أجره لا يضيع عند ربه»^{(٢)(٣)} ، وهذا قول قوي حسن ؛ لأن الله تعالى وصف البيت بالأمن ، وعلى ما ذكر أبو بكر يتعلق الأمن بالبيت ، وعلى^(٤) ما قاله غيره من المفسرين من آمن الجاني إذا لاذ بالحرم ، فهو آمن الحرم لا آمن البيت ، إلا أن يقال : إن أمن الحرم لأجل البيت ، فهو بسبب منه وعائد إليه^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ : هذا معطوف على ما أضيف إليه إذ ، كأنه : وإذا اتخذوا .

كتاب : الحج ، باب : تحريم مكة وصيده . قال ابن حجر : «كلام ظاهره حق لكن أراد به الباطل» ، والفتح ١٩٩/١ . قال في المغني ٩١/٩ : «ومارووه من الحديث فهو من كلام عمرو بن سعيد الأشدق يرد به قول رسول الله ﷺ حين روى له أبو شريح هذا الحديث [يعني إن الله حرم مكة] وقول الرسول أحق أن يتبع» .

(١) انظر في الخلاف الفقهي فيه : تفسير الطبري ٤/١١-١٥ ، وغرائب النيسابوري ١/٣٩٤ ، والوسيط ٢٠٤/١ .

(٢) في (م) : «أن أجره عند ربه لا يضيع» .

(٣) ابن الأنباري .

(٤) ساقطة من (أ) و(ش) .

(٥) انظر : البحر المحيط ١/٣٨٠ .

قال الزَّجَّاج : «وهو عطف جملة على جملة»^(١) .

وقال الفَرَّاء : «أي : جعلناه مثابةً لهم فاتخذوه مُصَلًّى» . والفتح في الخاء على معنى الخبر ، قراءة أهل المدينة والشام^(٢) ، ويؤكد أنه الذي قبله والذي بعده خبر ، وهو قوله ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ و﴿وَعَهْدَنَا﴾ .

ومن قرأ ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ بالكسر على الأمر^(٣) فحجته في ذلك ما أخبرنا الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم^(٤) - رحمه الله - ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد^(٥) ، ثنا عبدوس بن الحسين بن منصور^(٦) ، ثنا أبو حاتم الرازي^(٧) ، ثنا محمد بن عبدالله الأنصاري^(٨) ، حدثني حميد الطويل^(٩)

(١) معاني القرآن ١/ ٢٠٧ .

(٢) معاني القرآن ١/ ٧٧ .

(٣) قرأ بفتح الخاء نافع وابن عمر ، وبكسر الخاء على الأمر قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحزة ، والكسائي . انظر : السبعة ١٦٩ ، والحجة ٢/ ٢٢٠ ، والمبسوط لابن مهران ١٣٥ ، والتيسير للداني ٦٥ .

(٤) يعني : الثعلبي في تفسيره .

(٥) هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى ، أبو الحسين بن أبي إسحاق المزكي ، من فقهاء نيسابور . قال الخليلي : «كان ثقة» ، وقال الحاكم : «كان من الصالحين العباد ، التارخين لما لا يغني قراءة القرآن الكثيرين من سماع الحديث ، توفي سنة ٣٩٧ هـ . انظر : تاريخ بغداد ١٠/ ٣٠٢ ، والسير ١٦/ ٩٧ .

(٦) هو أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور النُّصْرَابَازِي ، سمع محمد بن عبد الوهاب الفَرَّاء وطبقته ، روى عنه أبو علي الحافظ ، ويقال إن اسم عبدوس هو عبد القدوس ، والله أعلم . انظر : الأنساب ٤٩٢/ ٥ .

(٧) هو محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي ، أبو حاتم الرازي ، تقدمت ترجمته .

(٨) هو محمد بن عبدالله بن المثنى بن عبدالله بن أنس بن مالك ، أبو عبدالله البصري القاضي ، ثقة ، توفي سنة ٢١٤ هـ أو نحوها . انظر : تهذيب الكمال ٢٥/ ٥٣٩ ، وتقريب التهذيب ٤٩٠ ، (٦٠٤٦) ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٦١٤ .

(٩) هو حميد بن أبي حميد الطويل ، أبو عبيدة البصري ، اختلف في اسم أبيه على نحو عشرة أقوال ، ثقة مدلس ، كثير التدليس عن أنس ، معظم حديثه عنه بواسطة ثابت وقتاده ، وقد وقع تصريحه عن أنس بالسماع وبالتحديث في أحاديث كثيرة ، في البخاري وغيره ، مات وهو قائم يصلي سنة ١٤٢ هـ . انظر : تهذيب الكمال ٧/ ٣٥٥ ، والتهذيب ١/ ٤٩٣ .

عن أنس بن مالك^(١)، قال : « قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : وافقني ربي في ثلاث . قلت : لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى . فأنزل الله عز وجل : ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ ، وقلت : يا رسول الله ، إنه يدخل عليك البر والفاجر ، فلو حجبت أمهات المؤمنين ، فأنزل الله - عز وجل - آية الحجاب ، قال : وبلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي ﷺ فاستقرتنيهن أقول : لتكفرن عن رسول الله ﷺ ، أو ليلدنه الله أزواجاً خيراً منك ، فأنزل الله عز وجل : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾ الآية [التحريم : ٥] »^(٢) .

وهكذا قال ابن عباس في هذه ، فقال في قوله : ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ : « وذلك أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله ، لو صليت بنا خلف المقام ، فأنزل الله تعالى على ما قال عمر ، ففعل رسول الله ﷺ »^(٣) .

وعلى هذه القراءة يكون قوله تعالى : ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ عطفاً على المعنى لا على اللفظ ؛ لأن قوله : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آلِيَّكَ مَتَابَةً﴾ معناه : ثوبوا إليه واتخذوا .

(١) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري ، الخزرجي ، خادم رسول الله ﷺ ، خدمه عشر سنين ، صحابي مشهور ، مات سنة ٩٢ هـ ، وقيل ٩٣ هـ ، وقد جاوز المائة . انظر : الاستيعاب ١/ ٩٨ ، وأسد الغابة ١٥١/١ .

(٢) أخرجه البخاري ٤٤٨٣ ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى .

(٣) لعله من رواية عطاء ، وقد تقدم الحديث عنها في المقدمة ، والحديث رواه عدد كبير من الأئمة ، وبعضهم أخرجه مختصراً ، وقد رواه الثعلبي بالإسناد نفسه ١/ ١١٦٣ بهذا اللفظ ، وإسناده ورجاله ثقات ما عدا عبدوس ؛ فإنه لم يذكر بجرح أو تعديل ، والحديث ثابت في البخاري ٤٤٨٤ ، كتاب : التفسير : باب : قوله تعالى : ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ ، وغيره من طريق آخر عن حميد الطويل عن أنس به .

واختلف في مقام إبراهيم ، فقال ابن عباس في رواية عطاء : « يريد : البيت »^(١) ، وقال النخعي^{(٢)(٣)} :

« الحرم كله مقام إبراهيم »^(٤) ، وقال يمان : « المسجد كله مقام إبراهيم »^(٥) .
وقال عطاء : « التعريف والصلاتان بعرفة والمشعر ورمي الجمار والطواف بين الصفا والمروة مقام إبراهيم ، سمعته من ابن عباس »^(٦) .

وقال قتادة^(٧) ومقاتل^(٨) والسُّدِّي^(٩) في هذه الآية : « هو الصلاة عند مقام إبراهيم ، أمروا بالصلاة عنده ، ولم يؤمروا بمسحه ولا تقيله » . والمقام في اللغة : موضع القدمين حيث يقوم عليه^(١٠) . روى عبد الله بن عمر^(١١) أن النبي ﷺ قال : « الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، طمس الله نورهما ، ولولا أن طمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب »^(١٢) .

-
- (١) هذا من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في المقدمة .
(٢) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران النخعي من أهل الكوفة ، كان إماماً مجتهداً ، له مذهب ، صالح زاهد ثقة ، إلا أنه يرسل كثيراً ويدلس ، توفي سنة ٩٧ هـ . انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٦ / ٢٧٠ ، والأعلام ١ / ٨٠ .
(٣) تفسير الثعلبي ١ / ١١٦٤ ، وتفسير البغوي ١ / ١٤٦ ، وتفسير القرطبي ٢ / ١٠٢ ، والبحر المحيط ١ / ٣٨١ ، وروح المعاني للألويسي ١ / ٣٨٠ .
(٤) تفسير الثعلبي ١ / ١١٦٤ .
(٥) ذكره عنه الثعلبي في تفسيره ١ / ١١٦٤ ، والبغوي في تفسيره ١ / ١٤٦ ، وأبو حيان في البحر المحيط ١ / ٣٨١ .
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٢٢٦ .
(٧) أخرجه الطبري في تفسيره ١ / ٥٣٧ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ١١٦٤ .
(٨) تفسير مقاتل ١ / ١٣٧ ، ١٣٨ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ٣ / ١١٦٤ .
(٩) أخرجه الطبري في تفسيره ١ / ٥٣٧ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٢٢٧ .
(١٠) انظر : البحر المحيط ١ / ٣٨١ .
(١١) هكذا في الأصل ، والصواب : « عبد الله بن عمرو » كما في مصادر تخريج الحديث .
(١٢) أخرجه الترمذي ٨٧٨ ، كتاب : الحج ، باب : ما جاء في فضل الحجر الأسود ، والإمام أحمد في المسند ٢ / ٢١٣ ، ٢١٤ ، وابن خزيمة ٤ / ٢١٩ ، رقم ٢٧٣٢ في المناسك ، باب : صفة الركن والمقام ، والبيان =

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس «أن إبراهيم -عليه السلام- استأذن سارة أن يزور إسماعيل عليه السلام ، فأذنت له ، واشترطت عليه أن لا ينزل ، فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل ، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ذهب^(١) يتصيد ، قال لها : هل عندك ضيافة ؟ قالت : نعم ، فجاءت باللبن واللحم فدعا لها بالبركة ، فقالت له : انزل حتى أغسل رأسك ، فلم ينزل به ، فجاءته بالمقام ، فوضعتة عن شقه الأيمن ، فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن ، ثم حولت المقام إلى شقه الأيسر ، فغسلت شق رأسه الأيسر ، فبقي أثر قدمه عليه»^(٢) .

وذلك الحجر هو مقام إبراهيم الذي يعرفه الناس اليوم ، وإذا أطلق مقام إبراهيم لم يفهم إلا الذي هو اليوم في المسجد ، ويدل على هذا حديث عمر الذي رويناه أنفأ^(٣) ، وجعل تأثير قدم إبراهيم في الحجر معجزة لنبوته .

أنهما ياقوتتان من يواقيت الجنة ، والحاكم ٤٥٦/١ ، والبيهقي ٧٥/٥ ، وعبدالرزاق في المصنف ٣٩/٥ ، والثعلبي في تفسيره ١١٦٧/١ . قال الترمذي : «هذا يُروى عن عبدالله بن عمرو ، موقوفاً من قوله ، وفيه عن أنس أيضاً ، وهو حديث غريب» ، وقال ابن خزيمة : «لست أعرف (رجاء) [يعني رجاء بن صبيح الحرثي] هذا بعدالة ولا جرح ، ولست أحتج بخبر مثله» . اهـ ، وقد ضعفه الحافظ في الفتح ٤٦٢/٣ . وللحديث شواهد كثيرة حكم بعضها على الحديث بالحسن لغيره ، مثل تحقيق خالد العنزي لتفسير الثعلبي .

(١) ساقطة من (أ) و(م) .

(٢) ذكر القصة مطولة مبسطة الثعلبي في تفسيره ١١٦٤/١ ، وقد ذكر الواحدى منها موضع الشاهد ، وأخرج القصة الطبري في تاريخه ١٥٤/١ من طرق عن سعيد بن جبير ، وذكرها البغوي في تفسيره ١٤٧/١ ، والثعلبي أيضاً من رواية السُّدِّي وغيره في كتابه عرائس المجالس ٧١ ، ورواها الطبري مختصرة من كلام السُّدِّي ٥٣٧/١ ، وأصل القصة رواها البخاري ٣٣٦٤ ، كتاب : الأنبياء ، وليس عند البخاري غسل رأس إبراهيم ووضع رجله حينذاك على المقام ، ومن طريق البخاري أخرجه ابن الجوزي في المنتظم ٢٦٨/١ ، ثم ذكر قصة غسل زوجة إسماعيل الثانية لرأس إبراهيم ، من رواية عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . انظر : تفسير الثعلبي ١١٦٦/١ ، تحقيق : خالد العنزي .

(٣) قال في البحر المحيط ٣٨١/١ بعد أن ذكر اتفاق المحققين على هذا القول : «ورجَّح بحديث عمر أفلا تتخذة مصلى» . الحديث ، وبقراءة رسول الله ﷺ لما فرغ من الطواف وأتى المقام ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ

وقال أنس بن مالك : « رأيت في المقام أثر أصابعه وعقبه وأخص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم »^(١).

ومعنى قوله تعالى : ﴿ مُصَلًّى ﴾ : قال الحسن : « قبله »^(٢) ، وقال مجاهد : « مُدْعَى »^(٣) ؛ أي موضع دعاء ، وقال قتادة : « صلوا عنده »^(٤).

وقوله تعالى : ﴿ وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ ؛ أي أمرناهما وأوصينا إليهما^(٥) ﴿ أَن طَهَّرَا بَيْتَ ﴾ . قال سعيد بن جبير^(٦) ، وعبيد بن عمير^{(٧)(٨)} ، وعطاء^(٩) ،

مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ، فدل على أن المراد منه ذلك الموضع ؛ ولأن هذا الاسم في العرف يختص بذلك الموضع ، ولأن الحجر صار تحت قدميه في رطوبة الطين حين غاصت فيه رجلاه ، وفي ذلك معجزة له ، فكان اختصاصه به أقوى من اختصاص غيره ، فكان إطلاق هذا الاسم عليه أولى لأنه موضع القيام ، وثبت قيامه على الحجر ، ولم يثبت قيامه على غيره .

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ١١٦٧ ، وفي عرائس المجالس ٧٣ ، وأخرجه الواحدي بسنده من طريق الزهري عن ابن أنس في الوسيط ١ / ٢٠٦ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ١ / ١٨٢ من هذا الطريق ، وذكره القرطبي في تفسيره ٢ / ١٠٢ ، وأبو حيان في البحر ١ / ٣٨١ ، وروى الطبري في تفسيره ٣ / ٣٥ بسنده عن قتادة قال : « إنما أمروا أن يصلوا عنده ، ولم يؤمروا بمسحه ، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلاً ، ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثر عقبيه وأصابعه فيه ، فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحي » .

(٢) في (ش) : (وقبله) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١ / ٥٣٧ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٢٢٧ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١ / ٥٣٧ .

(٥) تفسير الثعلبي ١ / ١١٦٩ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٢٢٧ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ١١٦٩ ، والبغوي في تفسيره ١ / ١٤٨ ، والقرطبي في تفسيره ٢ / ١٠٣ .

(٧) هو أبو عاصم عبيد بن عمير بن قتادة الليثي ، وُلِدَ على عهد النبي ﷺ ، وكان من كبار التابعين ، وقد أجمعوا على توثيقه ، وكان من العباد ، توفي سنة ٧٣ هـ . انظر : تقريب التهذيب ٣٧٧ ، (٤٣٨٥) ، والسير ٤ / ١٥٦ .

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ٣ / ٤٠ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٢٢٨ ، والثعلبي في تفسيره ١ / ١١٦٩ .

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره ٣ / ٤٠ عن عطاء عن عبيد ، وذكره عنه ابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٢٢٨ ،

ومقاتل^(١): «من الأوثان والريب وقول الزور». وقال الزَّجَّاج^(٢) والفراء^(٣): «يريد من الأصنام ألا تعلق فيه». وهذا الاختيار عند أبي علي، قال: «لما جاء في المظهر منه لفظ (الرَّجْس) في قوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠]»، وقال ابن عباس ويمن بن رئاب^(٤): «يعنى بَحْرَاهُ وَخَلْقَاهُ»^(٥) ونظفاه».

وقوله تعالى: ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾: قال الفراء^(٦): «يقال: طاف يطوف طَوْفًا وطَوَافًا وطوفانًا، وطاق يطيف، وأطاف يطيف، بمعنى واحد»^(٧).

وقوله تعالى: ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾: العكوف: الإقامة^(٨) على الشيء^(٩).

قال المفسرون: «عنى بالطائفين التُّزَاعَ إليه من الآفاق، وبالعاكفين أهل مكة، وبالركع السجود»^(١٠) جميع المسلمين^(١١).

والثعلبي في تفسيره ١/ ١١٦٩.

(١) تفسير مقاتل ١/ ١٣٨. انظر: تفسير الثعلبي ١/ ١١٦٩، والبحر المحيط ١/ ٣٨٢.

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٢٠٧.

(٣) معاني القرآن ١/ ٧٧.

(٤) ذكره عنه الثعلبي في تفسيره ١/ ١١٧١. انظر: تفسير البغوي ١/ ١٤٥٨، والبحر المحيط ١/ ٣٨٢.

(٥) خَلْقَاهُ: أي طَيَّيَاهُ، والخَلْقُ والخَلَقُ: ضرب من الطيب، وقيل: الزعفران وغيره. قال بعض

الفقهاء: «وهو مائع فيه صفرة». انظر: تهذيب اللغة ١/ ١٠٩٤، والمصباح المنير ١٨٠.

(٦) من قوله: «وقوله تعالى: للطائفين» ساقط من (ش).

(٧) هذا في كتاب المصادر للفراء، وهو مفقود. انظر: تهذيب اللغة ٣/ ٢١٥٥، ولسان العرب

٥/ ٢٧٢٢.

(٨) في (م): (القيام).

(٩) انظر: تهذيب اللغة ٣/ ٢٥٣٢.

(١٠) في (أ) و(م): (بالركع).

(١١) انظر: تفسير الطبري ١/ ٥٣٩-٥٤١، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٢٠٧، وتفسير الثعلبي، وتفسير البغوي

١/ ١٤٨، ١٤٩. ذكر الثعلبي في تفسيره عن عطاء قال: «إذا كان طائفاً فهو من الطائفين، وإذا كان جالسا

فهو من العاكفين، وإذا كان مصلياً فهو من الركع السجود». وأخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٥٤٠، ٥٤١.

١٢٦ . قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ : البلد يجوز في اللغة أن يكون جمع بلدة ، ويجوز أن يكون واحداً وجمعه بلدان وبلاد^(١) . قال الليث : «كل موضع من الأرض^(٢) عامر أو غامر^(٣) مسكون أو خال : بلدٌ ، والطائفة منه : بلدة»^(٤) . والبلد : المفازة ، يقال : «أذلُّ من بيضة البلد» ؛ أي بيضة النعامة التي تتركها في البلد ، وهو المفازة . والعربُ تُسمِّي كلَّ موضع خال بلدةً ، فيقولون لموضع خالٍ من الكواكب بين النعائم وسعد الذابح بلدةً^(٥) . ويقال للذي ليس بمقرون الحاجين الأبلد ؛ لخلو ما بين حاجبيه من الشعر .

وقال أهل اللغة : «أصلُ البلد هو الأثر ، من ذلك قولهم لِكِرْكِرَةِ^(٦) البعير : بلدة ؛ لأنه إذا برك أثرت» .

قال ذو الرمة :

أَنِحَتْ فَأَلَقَتْ بِلَدَةٍ فَوْقَ بِلَدَةٍ قَلِيلٌ بِهَا الْأَصْوَاتُ إِلَّا بُغَاْمُهَا^(٧)
ويقال للأثر : بلد ، وجمعه أبلاد .

مفرقاً عن ابن عطاء ورَّجَّحه ، وأخرج ابن حاتم في تفسيره ٢٢٨/١ مثله عن عطاء عن ابن عباس .

(١) انظر : تهذيب اللغة ١/ ٣٨٣ .

(٢) عبارة في التهذيب . البلد : كل موضع مُسْتَحْيِيز من الأرض .

(٣) في (م) : (أو غير عامر) ، وهو كذلك في تهذيب اللغة . الغامر : ضد العامر .

(٤) نقله عنه في تهذيب اللغة ١/ ٣٨٣ .

(٥) نقل في تهذيب اللغة ١/ ٣٨٣ عن الليث . البلدة في السماء : موضع لانجوم فيه بين النعائم وسعد الذابح ، وليست كواكب عظاماً تكون علماً ، وهي من منازل القمر ، وهي آخر البروج سميت بلدةً ، وهي من برج القوس ، خالية إلا من كواكب صغار .

(٦) الكِرْكِرَة (بالكسر) : رحي زور البعير ، أو صدر كل ذي خف . القاموس ٤٦٩ .

(٧) البيت لذي الرمة في ديوانه ١٠٠٤ ، وتهذيب اللغة ١/ ٣٨٣ ، ولسان العرب ١/ ٣٤١ ، والمعجم المفصل ٧/ ١٣٥ .

قال القُطامي^(١) :

وبالتُحورِ كُلُّومٌ ذاتُ أبلادٍ^(٢)

وقال ابنُ الرِّقاع^(٣) :

عَرَفَ الدِّيارَ تَوْهُماً فَأَعْتادَها مِنْ بَعْدِ ما شَمِلَ البَلَى أبلادَها^(٤)
وإنما سُمِّيتِ البلادُ لأنها مواضعُ مواطنِ الناسِ وتأثيرهم . والبلد : المقبرة ،
ويقال : هو نفس القبر . قال خُفاف^(٥) :

كُلُّ امرئٍ تارِكٌ أَحَبَّتَه ومُسْلِمٌ وَجَهَهُ إلى البَلَدِ^(٦)
ومن هذا يقال : رجلٌ بليدٌ ، إذا أَثَّرَ فيه الجهْلُ ، ثم يقال منه : تَبَلَّدَ الرجلُ ،
وهو نقيضُ التَّجَلَّدِ . قال :

ألا لا تَلْمُهُ اليومَ أن يَتَبَلَّدا فَقَدْ غَلَبَ المحزونُ أن يَتَجَلَّدا^(٧)
وبلد أيضاً : إذا ضَعُفَ في العملِ وغيره ، حتى قيل في الجري . قال :

-
- (١) هو عمير بن شبيب التغلبي القطامي ، شاعر إسلامي ، تقدمت ترجمته [البقرة : ٦١] .
(٢) هذا عجز بيت ، وصدره : ليست تجرح فُوراً أظهروهم ، وهو للقطامي في ديوانه ١٢ . انظر : اللسان (بلد) ، ويروى : «وفي النجوم» كما في عمدة الحفاظ ١/ ٢٥٨ ، وكذا في المشوف المعلم ١/ ١١٧ ، والبصائر ٢/ ٢٧٣ . انظر : مفردات ألفاظ القرآن للراغب ١٤٣ .
(٣) هو عدي بن الرقاع بن عاملة حي من قضاة ، تقدمت ترجمته [البقرة : ٦٠] .
(٤) البيت في ديوانه ٣٣ . انظر : لسان العرب (بلد) ١/ ٣٤١ .
(٥) هو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد السلمي ، من مضر ، أبو خراشة ، شاعر فارس ، كان أسود اللون ، وعاش زمناً في الجاهلية ، وأدرك الإسلام فأسلم ، وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف ، وثبت في الردة على إسلامه ، توفي سنة ٢٠ هـ . انظر : أسد الغابة ٢/ ١٣٨ ، والأعلام ٢/ ٣٠٩ .
(٦) البيت بلا نسبة في المخصص ٦/ ١٣٣ ، وانظر : المعجم المفصل ٢/ ٤٢٩ .
(٧) البيت للأحوص الأنصاري في ديوانه ٩٨ ، وانظر : المعجم المفصل ٢/ ٢٠١ .

جَرَى طَلَقًا حَتَّى إِذَا قِيلَ سَابِقُ تَدَارَكَهُ أَعْرَاقُ^(١) سَوْءٍ فَبَلَدًا^(٢)
 وقوله تعالى: ﴿ءَاْمَنَّا﴾: قال الرَّجَّاجُ: «ذَا أَمْنٌ»^(٣)، فيكون مثل قولهم: لِابْنٍ
 وَتَامِرٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَمْنًا يَأْمَنُ أَهْلُهُ فِيهِ، فَيَكُونُ كَقَوْلِهِمْ: لَيْلٌ نَائِمٌ؛ أَيْ يَنَامُ
 أَهْلُهُ^(٤) فِيهِ. قال الشاعر:

وَنَمْتُ وَمَا لَيْلُ الْمُطَيِّ بَنَائِمٍ^(٥)

ويقولون: هُمَّ نَاصِبٌ؛ أَيْ يَنْصَبُ فِيهِ الْإِنْسَانُ، وَيَنْصَبُ لِأَجْلِهِ^(٦).

قال النابغة:

كَلَيْنِي هَمٌّ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبٍ^(٧)

(١) في (ش): (أعواق).

(٢) البيت بلا نسبة في تهذيب اللغة ١/ ٣٨٣، ولسان العرب ١/ ٣٤٢، ٥/ ٢٩٠٤، والمعجم المفصل ٢/ ٢٠١.

(٣) معاني القرآن ١/ ٢٠٧.

(٤) زيادة من (م).

(٥) البيت لجريز بن عطية، ومطلعه:

لَقَدْ لُمْتُنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السُّرَى

انظر: ديوانه ٤٥٤.

(٦) وليس هذا بقياس عند سيبويه، وعن المبرد أن فاعلاً بمعنى صاحب، كذا قياس، وفي شرح المفصل:

«وكثير فعال حتى لا يبعد دعوى القياس فيه، وقل فاعل، فلا يمكن دعوى القياس فيه لندوره».

انظر: حاشية ابن جماعة الكتاني على شرح الجاربردي للشافية لابن الحاجب ١/ ١٢٥، وجمع الهوامع

للسيوطي ٢/ ١٩٨.

(٧) البيت للنابغة الذبياني، وعجزه:

وليل أفاقيه بطيء الكواكب

انظر: ديوانه: ص ٤٠، والمعجم المفصل ١/ ٤٥٠.

فأما التفسير فقال ابن عباس : «يريد حراماً محرماً ، لا يصاد طيره ، ولا يقطع شجره ، ولا يختلّ خلاه ، ولا يدخلها أحد إلا بإحرام ، ولا تحلُّ لأحدٍ من الخلق إلا الساعة التي حلت للنبي ﷺ»^(١) هذا كلامه ؛ فأما الحكم في هذا فإنَّ صيد مكة لا ينفر ، ولا ينتف شعره ، ولا يتعرض له بنوع أذى ، ومن قتل صيد مكة فعليه جزاؤه ، ولا يجوز قطع أشجار^(٢) الحرم على جهة الإضرار بها ، ويجوز تشذيبها على جهة المصلحة لها ، ولا يجوز خبطها ، ولكنها تهشُّ هشاً رقيقاً ، ويجوز إرسال المواشي لترتع في حشيش الحرم^(٣) . وقال النبي ﷺ : «إن الله حبس الفيل عن مكة ، وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنما لم تحلُّ لأحدٍ كان قبلي ، ولا تحلُّ لأحدٍ كان بعدي ، وإنما أحلت لي ساعة من النهار»^(٤) . والعرب تقول : «آمن من حمام مكة» ، يضربون المثل بها في الأمن^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ﴾ : الثمرات : جمع ثمرة ، وهو حمل الشجرة من أي نوع كان ، ويأتي الكلام فيها عند اختلاف القراء في (ثمره) [الكهف : ٤٢] .

قال المفسرون : «استجاب الله دعاء إبراهيم ، فقال في موضع آخر : ﴿وَأَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الفصل : ٥٧]»^(٦) .

- (١) ينظر مرفوعاً عن ابن عباس بنحوه في صحيح البخاري ١٣٤٩ ، كتاب : الحج ، باب : الأذخر والحشيش في القبر ، وصحيح مسلم ١٣٥٣ ، كتاب : الحج ، باب : تحريم مكة وصيدها وخلها .
- (٢) في (م) : (شجر) .
- (٣) انظر : المسألة في مشكل الآثار للطحاوي ١٧٦ / ٤ ، ط . دار الكتب العلمية ، والمجموع شرح المذهب ٤٢٥ / ٧ ، ٤٤٤ / ٧ ، ط . المنيرية ، وتفسير ابن كثير ١٨٠ / ١ .
- (٤) تقدم تخريجه آنفاً .
- (٥) لأنها لا تثار ولا تحتاج . انظر : مجمع الأمثال للميداني ٨٧ / ١ ، وجهرة الأمثال للعسكري ١٩٩ / ١ ، والمستقصى للزمخشري ٧ / ١ .
- (٦) انظر : الوسيط ٢١٠ / ١ .

قال عطاء عن ابن عباس : «ذكروا أن الله - عز وجل - بعث جبريل إلى الشام ، حتى اقتلع الطائف من موضع الأردن ، ثم طاف بها حول الكعبة أسبوعاً ، لذلك سُميت الطائف ، ثم أنزلها تهامة ، ومنها تجبى إلى مكة الثمرات»^(١) .

وقوله تعالى : ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ : (مَنْ) بَدَلٌ مِنْ أَهْلِهِ^(٢) ، وهو بدل بعضٍ من كُلِّ ، كقوله : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران : ٩٧] ، والأخفش يسمي هذا بدل التبيان ؛ لأن الأول دلٌّ على العموم ، ثم بان بالبدل أن المراد به بعضٌ ، كما تقول : «أخذت المال ثلثيه ، ورأيت القوم ناساً منهم»^(٣) . وإنما خصَّ إبراهيم - عليه السلام - بطلب الرزق المؤمنين ؛ لأن الله تعالى أدبه بقوله : ﴿قَالَ لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ، فتوهم أنه كما لا يعطيهم النبوة إلا إذا كانوا مؤمنين ، كذلك لا يرزق أهل مكة إلا أن يكونوا مؤمنين^(٤) .

قال ابن عباس : «وكانت دعوة إبراهيم يومئذ وأهلها مؤمنون»^(٥) ، فما زالوا على إيمانٍ ومعرفة بالله حتى غيَّرَ ذلك عمرو بن لُحَيّ الخزاعي^(٦) ، وهو الذي قال

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٠ ، وذكره البغوي في تفسيره ١/ ١٤٩ من دون نسبة ، وبعضه يذكر عن الزهري ومحمد بن مسلم الطائفي . انظر : تفسير الطبري ١/ ٥٤٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، والبحر المحيط ١/ ٣٨٣ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٠٧ .

(٣) معاني القرآن للأخفش ١/ ١٤٧ .

(٤) انظر : الوسيط ١/ ٢١٠ .

(٥) لعله من رواية عطاء ، وقد تقدم الحديث عنها في قسم الدراسة .

(٦) هو عمرو بن لُحَيّ بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي ، وقيل : عمرو بن لُحَيّ بن قَمْعَةَ ، وقيل غير ذلك ، من قحطان ، أول مَنْ غيَّرَ دينَ إسماعيل ، ودعا العربَ إلى عبادة الأوثان ؛ إذ دعا إلى تعظيمها . انظر : البداية والنهاية ٢/ ١٨٧ ، والأعلام ٥/ ٨٤ .

رسول الله ﷺ : «رأيت في جهنم يُجر قُصْبُهُ»^(١) في النار»^(٢) ، وكان أوّل من غيّر دين إبراهيم ، وعبد الأصنام ، وسيب السائبة ، وبخر البحيرة ، وحى الحامي^(٣) ، وغلب على مكة ، وقهر أهلها ، وهم ولد إسماعيل .

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ ؛ فسأرزقه إلى منتهى أجله^(٤) . وفي (أُمَتِّعُهُ) قراءتان : التشديد من التفعيل ، وهو قراءة عامة القُرَّاء ، وقرأ ابن عامر بالتخفيف^(٥) . والتشديد أولى ؛ لأن التنزيل عليه ، كقوله : ﴿يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ [هود: ٣] ، وقال : ﴿كَمْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٦١] ، وقال : ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨] . وأمّا التخفيف فإن أفعل قد يكون بمعنى فَعَّل في كثير من المواضع ، نحو : فَرَّخْتُهُ وأَفَرَّخْتُهُ ، وأنزلته ونَزَّلْتُهُ . قال الراعي^(٦) :

خَلِيطَيْنِ مِنْ شَعْبَيْنِ شَتَّى تَجَاوَرَا
قَدِيمًا وَكَانَا بِالتَّفَرُّقِ أُمْتَعَا^(٧)

- (١) قصبه : أي أمعاه . انظر : صحيح مسلم ٢٨٥٦ ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : النار يدخلها الجبارون .
- (٢) رواه البخاري في صحيحه ٤٦٢٣ ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ما جعل الله من بحيرة ، ومسلم في صحيحه ٢٨٥٦ ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : النار يدخلها الجبارون .
- (٣) السائبة : قيل من الإبل ، وقيل من جميع الأنعام ، وتكوم من النذر للأصنام ، فتسبب فلا تحبس عن مرعى ولا ماء ولا يركبها أحد ، كان الرجل ينذر إن برئ أو قدم من سفره لئيسين بغيراً ، والبحيرة : هي التي بخرت أذنبا ؛ أي خرمت ، قيل من الإبل ، وقيل من الشاة ، إذا ولدت خمسة أبطن بحرًا وأذنبا وتركت فلا يمسها أحد ، والحامي : هو فحل الإبل ، إذا انتجوا منه عشرة أبطن قالوا قد حى ظهره ، فلم يركب ، وقيل غير ذلك . انظر : فتح الباري ٨ / ٢٨٤ .
- (٤) انظر : تفسير الثعلبي ١ / ١١٧٧ ، وتفسير البيهقي ١ / ١٤٩ .
- (٥) انظر : السبعة ١٧٠ ، ومعاني القراءات للأزهري ٦٣ .
- (٦) هو أبو جندل عبيد بن حصين النميري ، والراعي لقبه ؛ لكثرة وصفه الإبل ، وهو شاعر من المحدثين الفحول ، عاصر جريراً والفرزدق ، توفي سنة ٩٠ هـ . انظر : الشعر والشعراء ٢٦٥ ، والأعلام ٤ / ١٨٨ .
- (٧) انظر : ديوانه ١٦٦ ، ولسان العرب ٧ / ٤١٢٩ ، والمعجم المفصل ٤ / ١٩٩ .

وأما قوله : (قَلِيلًا) فقال أبو علي الفارسي ^(١) : «يجوز أن يكون صفة للمصدر ، ويجوز أن يكون صفة للزمان . فالدلالة على جواز كونه صفة للمصدر قوله : ﴿يَمْنَعُكُمْ مِّنْعًا حَسَنًا﴾ [هود: ٣] فوصف به المصدر» . قال سيبويه ^(٢) : «مثال هذا : أنك ترى الرجل يعالج شيئاً فتقول : رويداً ، أي : علاجاً رويداً . فإن قيل : كيف يحسن أن يكون صفة للمصدر ، وفعل يدل على التكثير ، فكيف يستقيم وصف الكثير بالقليل في قوله : ﴿فَأَمْتَعُهُ قَلِيلًا﴾ ، وهلا كان قولُ ابن عامر أرجح ؛ لأنَّ هذا السؤال لا يعترض فيه . والجواب : أن هذا لا يدل على ترجيح قراءته ، وإنما وصفه الله سبحانه بالقليل من حيث كان إلى نفاذ ونقص وتناه ، ألا ترى أن ^(٣) قوله : ﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧] فعلى هذا وُصِفَ المتاع بالقلة في قوله : ﴿فَأَمْتَعُهُ قَلِيلًا﴾» .

وأما جواز أن يكون (قَلِيلًا) صفة للزمان فيدل عليه قوله : ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِّيُصْبِحُنَّ نَارًا﴾ [المؤمنون: ٤٠] ؛ بعد زمان قليل ، كما تقول : «أطعمه عن جوع ، وكساه عن عُري» ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَصْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ ؛ أي أُلْجِئَهُ فِي الْآخِرَةِ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ، ﴿وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾ مختصر ؛ أي بئس المصير النار أو عذاب النار ^(٥) .

١٢٧ . قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ : معنى القعود في أصل ^(٦) اللغة : الثبات على أيِّ حالة كانت ، الدليل عليه قوله تعالى :

(١) في الحجة للقراء السبعة ٢/ ٢٢٢ .

(٢) الكتاب ١/ ١٢٤ .

(٣) زيادة من (م) .

(٤) انتهى كلام أبي علي الفارسي من الحجة ٢/ ٢٢٢ .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١١٧٧ ، وتفسير ابن كثير ١/ ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٦) ساقط من (ش) .

﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدَ الْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]: يريد مَثَابَت ومراكز ، ولا يريد مَجَالِس . وقولهم : قَعَدَتِ المرأةُ عن المحيض ، معناه : ثَبَتَت على حالة الطُّهَر ، ولا يراد به الجُلُوس . ويقولون : قَعَدَتِ الفَسِيلَةُ ، إذا ثَبَتَتْ في الأرض ، وصار لها جذع^(١) . ومن هذا قواعد البيت ، فَقَعَدَ في أصل اللغة بمعنى ثَبَت ، ثم نقل إلى هذا الفعل المخصوص والمتعارف الذي لا تعرف العامة غيره^(٢) .

وأما تفسير قواعد البيت فقال ابن المظفر : «القواعد : أصول الأساس ، الواحد : قاعدة»^(٣) .

قال الزَّجَّاج : «وكل قاعدةٍ فهي أصلٌ للذي فوقها»^(٤) ، قال الكُمَيْت^(٥) :

في ذِرْوَةٍ مِنْ يَفَاعٍ أَوَّلَهُمْ زَانَتْ عَوَالِيَهَا قَوَاعِدُهَا^(٦)

ومنه يقال للخشبَات أسافل الهودج : القواعد ؛ لأنها كالأساس للهودج^(٧) . قال ابن عباس : «يعنى : أصول البيت»^(٨) .

(١) تهذيب اللغة ٣/ ٣٠٠٤ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ٣/ ٣٠٠٤ ، ولسان العرب (قعد) ٦/ ٣٦٨٩ .

(٣) تهذيب اللغة ٣/ ٣٠٠٤ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١١٨٢ ، والبحر المحيط ١/ ٣٨٧ .

(٤) معاني القرآن ١/ ٢٠٨ . قال في البحر المحيط ١/ ٣٧٣ : «القواعد» ، وقال الكسائي والفرّاء : «هي الجدر» ، وقال أبو عبيدة : «الأساس» ، وبالأساس فسرّها ابن عطية أولاً والزخشي ، وقال : «هي صفة غالبية ، ومعناها : الثابتة» . اهـ .

(٥) تقدمت ترجمته .

(٦) البيت للكُمَيْت في مجاز القرآن ١/ ٥٥ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١١٨٣ ، والبحر المحيط ١/ ٣٧٣ ، ولم ينسبه . اليَفَاع : المشرف من الأرض والجبل .

(٧) لسان العرب ٦/ ٣٦٨٩ (قعد) . الهَوْدَج : مركب للنساء يوضع على ظهور الرواحل .

(٨) ذكره الثعلبي في تفسيره ٣/ ١١٨٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٣١ بلفظ : «أساس البيت» ، وأخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٥٤٦ بلفظ : «القواعد التي كانت قواعد البيت قبل ذلك» .

وقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ : المعنى : يقولان ^(١) : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ كقوله : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣] : المعنى : يقولون أخرجوا ، ومثله : ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ^(٢) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ [الرعد: ٢٣-٢٤] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ : يريد لدعائنا ﴿أَعْلِيمُ﴾ بما في قلوبنا ^(٢) .

١٢٨ . قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ ؛ أي مطيعين مستسلمين منقادين لحكمك ^(٣) .

قال ابن الأنباري : «يقال : فلان مسلم ، وفيه قولان :

أحدهما : إنه المستسلم لأمر الله .

والثاني : هو المخلص لله العبادة ، من قولهم : «سَلَّمَ لفلان الشيء» ؛ أي خَلَّصَهُ لَهُ ، وَسَلَّمَ لَهُ الشَّيْءُ ؛ أي خَلَّصَ ^(٤) ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩] معناه : خالصاً لرجل ، وأنشد على أن المسلم بمعنى المستسلم لأمر الله قول الشاعر :

فقلنا أسلموا إننا أخوكم ^(٥) فقد برئت من الإحن الصدور ^(٦)

(١) يروي ابن عباس ذلك كما في تفسير الطبري ١/ ٥٤٩ . انظر : صحيح البخاري ٣٣٦٥ ، كتاب : الأنبياء ، باب : يزفون النسلان في المشي . وعند الأخفش في معاني القرآن ١/ ١٤٨ أن إسماعيل هو الذي قال : «ربنا تقبل منا» .

(٢) تفسير الثعلبي ١/ ١١٨٤ ، وتفسير البغوي ١/ ١٥٠ .

(٣) تفسير الثعلبي ١/ ١١٨٥ ، وتفسير البغوي ١/ ١٥٠ .

(٤) نقله في تهذيب اللغة ٢/ ١٧٤٥ ، وعنه في لسان العرب ٤/ ٢٠٨٠ .

(٥) في (ش) : (باحركم) .

(٦) البيت لعباس بن مرداس في ديوانه ٥٢ ، ولسان العرب ١/ ٤١ ، والمعجم المفصل ٣/ ٣٢٦ .

أراد : استسلموا . قالوا : فالمسلم الذي يعتقد الاستسلام لله تعالى والإيمان به محموداً ، والمسلم الذي يستسلم خوفاً من القتل مذمومٌ ، من ذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(١) [الحجرات : ١٤] . معناه : استسلمنا من خوف القتل^(٢) ، وقد ذكرنا معنى الإسلام في ما تقدم .

قوله تعالى : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾ : الأُمَّةُ في اللغة تكون على وجوه ، قال أبو العباس : «الأُمَّةُ تأويلها : الجماعة من كل شيء ، من ذلك : أُمَّةُ محمد ﷺ ، ويقال : إنما فلان أُمَّةٌ وَحْدَهُ ، أي : يَسُدُّ مَسَدَ جَمَاعَةٍ ، ومنه يقال : فلان حسن الأُمَّة ، إذا مَدَحَ بالتهام واستجماع الخُلُقِ على الاستواء»^(٣) .
قال الأعشى^(٤) :

وإن معاوية الأكرمين حسان الوجوه طوال الأمم^(٥)

ومنه سُمِّيت الأم ؛ لأنها المحتوية على الولد ، ومنها يخرج ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿هَئِئَ امْكُنْ﴾ [آل عمران : ٧] ؛ أي يجمع الحلال والحرام . والإمام مأخوذ من هذا ؛ لأن عليه تجتمع^(٦) الجماعة^(٧) ، ومنه : ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف : ٤٥] ؛ أي بعد حين من الدهر^(٨) ، وذلك لجماعة الشهور والأعوام . وأم النجوم :

(١) في (م) و(ش) : (لن) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ١٧٤٥ / ٢ ، ولسان العرب ٢٠٨٠ / ٤ .

(٣) تهذيب اللغة ٢٠٢ / ١ - ٢٠٦ ، ولسان العرب (أمم) ١٣٥ / ١ .

(٤) هو أبو بصير ميمون بن قيس ، تقدمت ترجمته .

(٥) البيت للأعشى في ديوانه ١٩٩ ، وتهذيب اللغة ٢٠٤ / ١ ، ولسان العرب ١٣٥ / ١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٨٢ / ١ ، والأملاني لأبي علي القالي ٢٥ / ١ ، والمعجم المفصل ٢٩ / ٧ .

(٦) في (أ) : (يجمع) ، وفي (م) : (يجمع) .

(٧) لسان العرب (أمم) ١٣٣ / ١ ، ١٣٤ .

(٨) المفردات للراغب الأصفهاني ٣٣ .

المجرة؛ لأنها مجتمع النجوم، وكل شيء انضمت إليه أشياء فهو أم لها^(١). وأم القوم: رئيسهم الذي يجتمع إليه أمرهم^(٢).

قال الشنفرى^(٣):

وَأُمَّ عِيَالٍ قَدْ شَهِدْتُ تَقْوِيَّتَهُمْ إِذَا اخْتَرْتَهُمْ^(٤) اخْتَرْتُ وَأَقَلَّتِ^(٥)

يعني: تأبط شراً، والأُمم: القريب المجتمع، وأُمّه: إذا قصد الاجتماع معه^(٦).

قال أبو إسحاق: «الأمة في اللغة أشياء، الأمة: القرن من الناس، يقال: قد مضت أمم، أي: قرون، والأمة: الدين، ومنه قوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] أي: كانوا على دين واحد، والأمة: القامة، وأنشد:

... طوال الأمم^(٧)

والأمة: الرجل الذي لا نظير له، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾^(٨)، [النحل: ١٢٠].

قال: «وأصل هذا الباب كله من القصد، يقال: أمت الشيء إذا قصدته، فمعنى الأمة في القرن من الناس: الذين يقصدهم مقصداً واحداً، ومعنى الأمة

(١) لسان العرب ١٣٧/١ (أم).

(٢) لسان العرب ١٣٣/١ (أمم).

(٣) هو ثابت بن أوس الأزدي، شاعر جاهلي، تقدمت ترجمته [البقرة: ٣٠].

(٤) في (ش): (أخترتهم)، وفي (أ) لعلها كذلك.

(٥) البيت للشنفرى في ديوانه ٣٥، وتهذيب اللغة ١/٢٠٣، وروايته: «إذَا خَرَّتْهُمْ أَنْفَهُتْ وَأَقَلَّتِ»، ولسان العرب (حتر) ٧٦٩/٢، (أمم) ١٣٧/١، والمعجم المفصل ٥٥٢/١.

(٦) انظر: تهذيب اللغة ١/٢٠٢، ٢٠٣، ولسان العرب (أمم) ١٣٥/١.

(٧) هذه قطعة من البيت المذكور في الصفحة السابقة.

(٨) بتصرف من معاني القرآن للزجاج ١/١٨٣، وزاد من المعاني: «الأمة بمعنى النعمة والخير».

في الدين : إنما هو الشيء الذي يقصده الخلق ويطلبونه ؛ ولذلك سُميت النعمة أمة ، ومعنى الأمة في الرجل : الذي لا نظير له : أن قصده منفرد من قصد سائر الناس^(١) . قال : « ومعنى الأمة : القامة ، لأنها مقصد الجسد ، فليس يخرج شيء من هذا الباب عن معنى أمت ، أي : قصدت »^(٢) .

قال الأزهري : « والأمة في ما فسروا يقع على الكفار والمؤمنين »^(٣) ، وقال الليث : « كلُّ قوم نُسبوا إلى نبيٍّ فأضيفوا إليه فهم أمته ، وقيل : أمة محمد ﷺ : كل من أرسل إليه^(٤) ممن آمن به أو كفر » ، قال : « وكل جيل من الناس هم أمة على حدة »^(٥) .

قال ابن الأنباري : « والأمة أيضاً أتباع الأنبياء ، من قولهم : نحن أمة محمد ﷺ » .

قال ابن عباس : « ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا ﴾ يريد : أمة محمد ﷺ ﴿ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ يريد : المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان »^(٦) . قيل : وإنما خصّا بالدعوة بعضَ الذُرِّيَّةِ ؛ لأن الله تعالى أعلمهما أن في ذريتهما من لا ينال العهد في قوله : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ : (أرنا) يحتمل وجهين :

- (١) بتصرف من معاني القرآن للزجاج ٢٨٣ / ١ ، ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة (أم) ٢٠٤ / ١ .
- (٢) معاني القرآن للزجاج ٢٨٤ / ١ .
- (٣) تهذيب اللغة ٢٠٤ / ١ .
- (٤) ساقط من (ش) .
- (٥) نقله في تهذيب اللغة ٢٠٥ / ١ .
- (٦) لم أجده ، ولعله من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في المقدمة .

أحدهما : أن يكون منقولاً من رأيت الذي يراد بها إدراك البصر ، نقلت بالهمزة فتعدت إلى مفعولين ، والتقدير : حذف المضاف ، كأنه قال : أرنا مواضع مناسكنا ، والمناسك : جمع منسك ، وهو مصدر ، جُمع لاختلاف ضروبه ، والمعنى : عَرَّفْنَا هذه المواضع التي تتعلق بالنسك بها ؛ لنفعله ونقضي نسكنا فيها^(١) ، على حدٍّ ما يقتضيه توقيفنا عليها ، وذلك نحو : المواقيت التي يحرم منها ، ونحو : الموضع الذي يوقف فيه بعرفة ، وموضع الطواف ، وموضع رمي الجمار ، فهذا من : رأيتُ الموضع ، وأريته زياداً .

والوجه الآخر : أن يكون أرنا منقولاً من رأيت الذي لا يراد به رؤية العين ، ولكن التوقيف على الأمر ، وضرب من العلم . وإلى هذا ذهب أبو عبيدة في تأويل الآية فقال : ﴿وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي : عَلَّمْنَا ، وأنشد :

أرني جواداً ماتَ هزلاً لأنني أرى ما تَرَيْنَ أو بخيلاً مُخَلِّداً^(٢)
قال : أراد : دُلِّينِي ، ولم يرد رؤية العين^(٣) . وقوله : لأنني ؛ أي لعلمي^(٤) .

وقال أبو إسحاق : ﴿وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا﴾ معناه : عَرَّفْنَا متعبّداتنا ، وكلُّ متعبّدٍ فهو مَنْسِكٌ وَمَنْسَكٌ ، ومن هذا قيل للعابد : ناسك ، ويقال للذبيحة المتقرب بها إلى الله : نسكة ، وإنما سُمِّي الذبيحة نَسِكةً^(٥) ؛ لأنهم كانوا يذبحونها للعبادة . فقوله :

(١) في (م) : (فيه) ، وفي (ش) : (بها) .

(٢) البيت لحاتم الطائي في ديوانه ٤٠ ، ولخطاط بن يعفر . انظر : مجاز القرآن ١ / ٥٥ ، والحجة ٢ / ٢٢٥ ، وشرح أبيات المغني ١ / ٢١٩ . وفي خزانة الأدب ١ / ٤٠٦ ، وللدريد في لسان العرب ١ / ١٥٨ ، ولمعن بن أوس في ديوانه ٣٩ . قال العيني ١ / ٣٢٩ : «أقول قائله هو حاتم بن عدي الطائي ، كذا قالت جماعة من النحاة» . انظر : المعجم المفصل ٢ / ٢٠٢ ، وتحقيق أحمد شاکر لكتاب الشعر والشعراء ١ / ٢٤٨ .

(٣) ما تقدم من الحجة ٢ / ٢٢٤ ، ٢٢٥ بتصرف واختصار .

(٤) مجاز القرآن ١ / ٥٥ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ١ / ٢٠٩ ، وقال بعده : «وكان الأصل في النسك إنما هو من الذبيحة لله جل وعز» .

﴿مَنَاسِكًا﴾ يحتتمل أن يكون جمع مَنَسَك الذي هو المصدر ، فيكون على تقدير حذف المضاف كما ذكرنا ، ويحتتمل أن يكون جمع مَنَسَك الذي هو الموضع ، فلا يكون فيه حذف» . ونسك في اللغة على معنيين :

أحدهما : ذَبَح ، والآخر : عَبَدَ ، فلا يُدرى ^(١) أيهما الأصل ^(٢) .

وفي قوله : ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ قراءتان : كسر الراء ، وإسكانها ^(٣) .

قال أبو إسحاق : «والأجود الكسر ؛ لأن الأصل أَرُنَّا ، فالكسرة في الراء إنما هي كسرة همزة ، أُلْقِيَتْ فَطُرِحَتْ حركتها على الراء ، فالكسرة دليلُ الهمزة ، وحذفها قبيحٌ ، وهو جائزٌ على بُعْدٍ ؛ لأن الكسرة والضمّة تُحذفان استثقالاً ^(٤) ؛ كقولهم في فِخْذٍ : فَخَذٌ ، وفي عَضِدٍ : عَضْدٌ ، وقد ^(٥) ذكرنا هذا بأبلغ من هذا الشرح في ما تقدم» .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ﴾ : قال ابن عباس : «أي : الراجع بأوليائه وأهل طاعته ^(٦) إلى أفضل دينه» ^(٧) .

(١) في (ش) : (ندري) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (نسو) ٣٥٦٢ / ٤ .

(٣) قرأ ابن كثير واللسوسي ويعقوب بإسكان الراء ، وقرأ الدوري عن أبي عمرو بإخفاء كسرتها ؛ أي اختلاسها ، وقرأ الباقر بالكسرة الكاملة على الأصل . انظر : السبعة ١٧٠ ، والحجة ٢ / ٢٢٤ ، والبدور الزاهرة ٥٠ .

(٤) بتصرف من معاني القرآن ١ / ٢٠٩ ، وفيه : «والأجود الكسر ، وإنما أسكن أبو عمرو لأنه جعله بمنزلة فخذ وعضد ، وهذا ليس بمنزلة فخذ ولا عضد ؛ لأن الأصل» .

(٥) في (ش) : (وهذا) .

(٦) في (أ) و(ش) : (طاعة) .

(٧) لعله من رواية عطاء التي تقدم ذكرها . انظر : تفسير القرطبي ٢ / ١٢٠٠ .

١٢٩. وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا﴾ قال ابن عباس: «يريد: في ولدي»^(١)، والكناية تعود إلى الذرية أو إلى الأمة في قوله: ﴿أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ﴾^(٢)، وكلاهما ولد إبراهيم، وهم العرب»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾: قال ابن عباس: «يريد محمداً ﷺ، فاستجاب الله دعاءه، وبعث فيهم رسولا من أنفسهم، محمداً سيد الأنبياء»^(٤)، لذلك قال رسول الله ﷺ: «إني عند الله في أم الكتاب لحاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طيئته، وسوف أنبئكم بتلك دعوة أبي إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ﴾. الآية، وبشارة عيسى قومه: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ﴾ [الصف: ٦]، ورؤيا أمني، التي رأت أنه خرج منها نوراً أضاءت له قصور الشام»^(٥).

-
- (١) لعله من رواية عطاء .
- (٢) تفسير الثعلبي ١/١١٨٧. انظر: سنن سعيد بن منصور ٢/٦١٥، وتفسير الطبري ١/٥٥٦، وزاد المسير ١/١٤٦.
- (٣) تفسير الثعلبي ١/١١٨٧ قال: «وقيل في أهل مكة». انظر: زاد المسير ١/١٤٦، وتفسير الخازن ١/١١١، والبحر المحيط ١/٣٩٢.
- (٤) انظر: تفسير الثعلبي ٣/١١٩٥، وتفسير البغوي ١/١٥١.
- (٥) في (ش): (عبد).
- (٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/١٢٧، وابن حبان ٤٤٠٤، والحاكم ٢/٤١٨، ٦٠٠، والبيهقي في الدلائل ١/٣٨٩، والبغوي في تفسيره ١٥/١٥١، وفي شرح السنة ١٣/٢٠٧، والطبري في تفسيره ١/٥٥٦، والطبراني في معجمه ١٨/٢٥٢، ٦٢٩، ٦٣٠، والبخاري في تاريخه ٦/٦٨، والثعلبي في تفسيره، وآخرون. من حديث العرياض بن سارية وروايتهم: «وسأنبئكم بتأويل ذلك، أو سأنبئكم بأول ذلك، أو سأخبركم عن ذلك»، وذكر الآيات ليس في الروايات، ومعنى منجدل: ملقى على الجدالة وهي الأرض، والحديث صححه ابن حبان والحاكم، وقال الهيثمي: «أحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وثقه ابن حبان». انظر: الكشف لابن حجر ١٠، وهو صحيح لغيره.

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾: قال ابن عباس: «يريد القرآن الذي أنزل عليه، وما فيه من الفرائض والأحكام والسنن وشرائع النبيين»^(١).

فعلى هذا الحكمة هي نفس الكتاب، وجمع بينهما لاختلاف اللفظين. والحكمة في اللغة: فهم المعاني، وبه قال مجاهد، فإنه قال: «يعنى بالحكمة فهم القرآن»^(٢).

وقال عبدالله بن مسلم: «هي العلم والعمل، ولا يسمى الرجل حكيماً حتى يجمعهما»^(٣). سمعت الثعلبي - رحمه الله - يقول: سمعت الليثي^(٤) يقول: سمعت السَّيرافي^(٥) يقول: سمعت ابن دُرَيْدٍ يقول: «كل كلمة وعظمتك أو زجرتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة»^(٦)، ومنه قوله ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمَةً»^(٧).

-
- (١) لعله من رواية عطاء. انظر: تفسير الطبري ٥٥٧/١ عن قتادة وغيره، والمحرق الوجيز ٢١٢/١.
- (٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ١١٨٨/١ عن مجاهد، وعنه البغوي في تفسيره ١١٨٨/١، والخازن في تفسيره ١١٢/١، وذكره أبو حيان في البحر المحيط ٣٩٣/١.
- (٣) ذكره عنه الثعلبي في تفسيره ١١٨/١، وذكره البغوي في تفسيره ١٥٢/١، وأبو حيان في البحر المحيط.
- (٤) هو علي بن الحارث البصري الخراساني، من معادن العلم، أديب بارع شدد إليه الرحال، صاحب كتاب شرح الحماسة وصناعة الشعر. انظر: إنباه الرواة ٢٧٤/٢، ٢٧٥، ودمية القصر ٣٠٢.
- (٥) هو العلامة إمام النحو أبو سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان، «السَّيرافي»، صاحب التصانيف ونحوي بغداد، وهو من أعيان الخنفية، رأساً في نحو البصريين، تصدر لإقراء القراءات واللغة والفقه والفرائض، وولي قضاء بغداد، توفي سنة ٣٦٨ هـ. انظر: السير ١٦/٢٤٧، ٢٤٨، وإنباه الرواة ١/٤١٣، وتاريخ بغداد ٧/٣٤١، ٣٤٢.
- (٦) هكذا هذا الإسناد عند الثعلبي ١١٨٩/١ وزاد: «فهي حكمة وحكم»، وذكره ابن دريد في الجمهرة ١/٥٦٤، والواحد في الوسيط ١/٢١٢، والسمعاني في تفسيره ٢/٦٠.
- (٧) رواه البخاري ٦١٤٥، كتاب: الأدب، باب: ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، من حديث أبي بن كعب.

وأصلها في اللغة : من المنع والرد^(١) ، قال الأصمعي : «أصل الحكومة : ردُّ الرجل عن الظلم ، ومنه سُمِّيت حَكَمَةُ اللَّجَامِ ؛ لأنها تُردُّ الدَّابَّةَ»^(٢) ، وهذا يذكر في مواضع من الكتاب .

وقوله تعالى : ﴿وَيُزَكِّهِمْ﴾ : أصل التزكية في اللغة : النسبة إلى الازدياد من الأفعال الحسنة التي ليست بمشوبة ، والزكاة : الزيادة^(٣) ، وقد ذكرنا هذا عند تفسير الزكاة . قال ابن عباس : «ويرشدهم إلى أفضل عبادتك»^(٤) ، وقال ابن جريج^(٥) : «يطهرهم من الشرك ، ويخلصهم منه»^(٦) .

وقيل : يأخذ زكاة أموالهم^(٧) ، وقال ابن كيسان : «يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ ، بيانه قوله : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(٨) [البقرة: ١٤٣] الآية .

(١) انظر : تهذيب اللغة ١/ ٨٨٦ ، وتفسير الثعلبي ٨٤٣ ، (١١٩٢) .

(٢) نقله عنه في تهذيب اللغة ١/ ٨٨٦ ، ولسان العرب ٢/ ٩٥٢ .

(٣) تفسير الطبري ١/ ٥٥٨ ، والمحزر الوجيز ١/ ٤٩٢ ، وتفسير القرطبي ٢/ ١٢٠ .

(٤) لعله من رواية عطاء التي تقدم ذكرها ، وبنحوه أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٥٥٨ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٣٧ ، (١٢٦٥) بلفظ : «يعني بالزكاة طاعة الله والإخلاص» .

(٥) هو عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريج ، تقدمت ترجمته [البقرة: ٣٥] .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٥٥٨ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١١٩٢ بلا نسبة .

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١١٩٢ ، والسمرقندي في تفسيره ١/ ١٥٨ ، والبغوي في تفسيره ١/ ١٥٢ ،

وابن الجوزي في زاد المسير ١/ ١٤٦ ، وبنحوه في البحر المحيط ١/ ٣٩٣ .

(٨) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١١٩٢ ، وعنه البغوي في تفسيره ١/ ١٥٢ ، والخازن في تفسيره ١/ ١١٢ .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ : اختلف قول أهل اللغة في معنى العزيز واشتقاقه ، فقال أبو إسحاق : «العزيز في صفات الله : الممتنع فلا يغلبه شيء»^(١) ، وهذا قول المفضل ، قال : «العزيز : المنيع الذي لا تناله الأيدي»^(٢) .

وعلى هذا القول العزيز من عَزَّ يَعَزُّ بفتح العين ، إذا اشتد^(٣) ، يقال : «عَزَّ عليٌّ ما أصاب فلاناً» ؛ أي اشتد ، وتعَزَّز لحم الناقة إذا صُلِب واشتدَّ^(٤) ، وأنشد أبو عمرو الشيباني^(٥) :

أَجْدُ إِذَا ضَمَرْتُ تَعَزَّزَ لَحْمُهَا وَإِذَا تُشَدُّ بِنَسْعَةٍ لَا تَبْنَسُ^(٦)

يريد : أنها إذا هزلت صَلَبَ لَحْمُهَا ولم يَسْتَرْخِ جلدها .

وقال أبو كبير الهذلي^(٧) يصف عقاباً^(٨) :

حتى انتهيتُ إلى فراشٍ عزيزةٍ
سوداءَ روثةٍ أنفِها كالمِخْصَفِ^(٩)

(١) نقله عن أبي إسحاق الزَّجَّاج : الأزهرى في تهذيب اللغة ٣/ ٢٤٢٠ ، وعنه في اللسان ٥/ ٢٩٢٥ .

انظر : تفصيلاً في اشتقاق أسماء الله لأبي القاسم الزَّجَّاجي ٢٣٧-٢٤٠ .

(٢) نقله عنه الثعلبي في تفسيره ١/ ١١٩٣ ، وأبو حيان في البحر المحيط ١/ ٣٩٣ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (عزز) ٣/ ٢٤٢٠ .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١١٩٤ ، والبحر المحيط ١/ ٣٩٣ ، والدر المصون ١/ ٣٧٣ .

(٥) هو إسحاق بن مرار أبو عمرو الشيباني ، تقدمت ترجمته [البقرة : ٣٩] .

(٦) البيت للمتلهم الضبعي في ديوانه ١٨٠ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١١٩٤ ، ولسان العرب ٥/ ٢٩٢٧ ، وتاج

العروس ٨/ ١٠٥ ، والأغاني ٢٤/ ٢٣٠ ، وذكره ابن دريد في الجمهرة ٣٤١ ، ولم ينسبه . ورواية الديوان :

عُنُسٌ بَدَلُ أَجْدُ ، ورواية الثعلبي : «بَنَسَعِهَا» . ضمرت : نحلّت ، وتَعَزَّزَ لَحْمُهَا : اشتد وصلب ، والنسع :

سير من الجلد تشد به الرحال ، ولا تنبس : لا تنطق ولا تصيح ، وهو في البيت يصف الناقة .

(٧) هو عامر بن الحليس الهذلي ، أبو كبير من بني سهل بن هذيل ، تقدمت ترجمته .

(٨) ساقطة من (أ) و(م) .

(٩) انظر : شرح أشعار الهذليين ١٠٨٩ ، ولسان العرب (خصف) ٥/ ٢٩٢٦ ، ١/ ١٠٣٩ ، وتاج

العروس (روث) ٣/ ٢٢٠ ، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية ٥/ ٩١ .

سماها عزيزة؛ لأنها من أقوى الجوارح، وأشدّها بأساً، والعزاز: الأرض الصلبة، فمعنى العزّة في اللغة: الشدّة^(١)، ولا يجوز في وصف الله تعالى الشدّة^(٢)، ويجوز العزّة، وهي امتناعه على من أَرادَه، وعلوه عن^(٣) أن تناله^(٤) يد^(٥)، وقال ابن عباس: «العزیز: الذي لا يوجد مثله»^(٦).

قال الفرّاء: «يقال: عَزَّ يَعُزُّ بالكسر: إذا قَلَّ حتى لا يكاد يوجد، عِزَّةٌ فهو عزيز»^(٧)، وقال الكسائي^(٨) وابن الأنباري^(٩) وجماعة من أهل اللغة: «العزیز: القوي الغالب، تقول العرب: عَزَّ فلانٌ فلاناً يَعُزُّه عِزّاً، إذا غلبه»^(١٠)، قال الله تعالى: ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخُطَابِ﴾ [ص: ٢٣].

(١) تهذيب اللغة (عزز) ٣/ ٢٤٢٠.

(٢) ذكره الشيخ بكر أبو زيد في معجم المناهي اللفظية ٣٠٢ أن من أساء الله تعالى القوي، ومن لوازم القوة: القدرة، بخلاف الشديد، ولهذا لم يأت في القرآن الكريم إلا مربوطاً بالعقاب أو العذاب أو الحساب الشديد، وهو كثير، وليس من أساء الله الشديد. قال الله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [الرعد: ١٣]، فهذا من صفات الله سبحانه. اهـ. وقال الأستاذ علوي السقاف في كتابه صفات الله - عز وجل - الواردة في الكتاب والسنة ١٣٥-١٥٤: «الشدّة بمعنى القوة من صفات الله الذاتية ودلّل لها بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]، وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [القصص: ٣٥]، وبحديث: «اللهم اشدّد وطأتك على مضر...». رواه البخاري ومسلم. وقال: «وقد عدّ الرَّجَّاجِي في كتابه اشتقاق أسماء الله ١٩٢ وابن منده في كتابه التوحيد ووافقه محققه (الشديد) من أساء الله تعالى، ولا يوافقون على ذلك». انتهى كلام السقاف ملخصاً.

(٣) في (ش): (من).

(٤) في (أ) و(م): (يناله).

(٥) تهذيب اللغة ٣/ ٢٤٢٠، ٢٤٢١، ولسان العرب (عزز) ٥/ ٢٩٢٥.

(٦) تفسير الثعلبي ١/ ١١٩٢، وذكره البغوي في تفسيره ١/ ١٥٢، والخازن في تفسيره ١/ ١١٢، وأبو حيان في البحر المحيط ١/ ٣٩٣.

(٧) نقله عنه في تهذيب اللغة ٣/ ٢٤٢٠. انظر: القاموس المحيط ٥١٧.

(٨) ذكره عنه الثعلبي في تفسيره ١/ ١١٩٣، والواحدي في الوسيط ١/ ٢١٣، والقرطبي في تفسيره ٢/ ١٢١.

(٩) الزهراء ١/ ١٧٤.

(١٠) انظر: تهذيب اللغة ٣/ ٢٤٢٠، ولسان العرب (عزز) ٥/ ٢٩٢٥.

قال عمر بن أبي ربيعة^(١) :

هُنَالِكَ إِمَّا تَعَزُّ الْهُوَى

وإِمَّا عَلَى إِثْرِهِمْ تَكْمُدُ^(٢)

معناه : إِمَّا تَغْلِبُ الْهُوَى ، ومنه يقال : مَنْ عَزَّ بَزَّ . روى أبو عبيد عن أبي زيد : «عَزَّ الرَّجُلُ يَعِزُّ عِزَّةً وَعِزًّا ، إِذَا قَوِيَ^(٣) ، فمعنى العزيز : الغالبُ القويُّ الذي لا يعجزه شيء»^(٤) ، وذكرنا معنى الحكيم في ما مضى^(٥) .

١٣٠ . قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ : يقال : رَغِبْتُ عَنْ الشَّيْءِ ؛ أَي تَرَكْتَهُ عَمْدًا ، وهو ضِدُّ قَوْلِكَ : رَغِبْتُ فِيهِ^(٦) .

قال أبو إسحاق : «معنى (مَنْ) التقريرُ والتوبيخُ ، ولفظُها لفظُ الاستفهام ، والمعنى : ما يرغب عن ملة إبراهيم إلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ»^(٧) ، وذكرنا معنى السفه في ما تقدم^(٨) .

اختلف النحويون في نصب (نَفْسَهُ) ، فقال الفراء : «العرب توقع^(٩) سَفَهَ على النفس ، وهي معرفة ، وكذلك قوله : ﴿بَطَرْتُ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص : ٥٨] وهو في

(١) هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المغيري المخزومي القرشي ، أكثر شعره في الغزل ، وُلِدَ ليلة مقتل الخليفة عمر ، وتوفي سنة ٩٣ هـ . انظر : وفيات الأعيان ٣/ ٤٣٦ ، والشعر والشعراء ٢٥ ، ١٨٦ .

(٢) انظر : الأغاني ١٣ / ٨٧ .

(٣) ذكره عنه في تهذيب اللغة (عز) ٣ / ٢٤٢٠ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة ٣ / ٢٤٢٠ ، ولسان العرب (عز) ٥ / ٢٩٢٥ .

(٥) تقدم عند قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة : ٣٢] .

(٦) تهذيب اللغة ٢ / ١٤٣٢ ، وتفسير الثعلبي ١ / ١١٩٤ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزجاج بتصرف ١ / ٢٠٩ ، والبحر المحيط ١ / ٣٩٤ .

(٨) تقدم عند قوله تعالى : ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة : ١٣] .

(٩) في (م) : (ترفع) .

المعرفة كالنكرة ؛ لأنه مفسر ، والمفسر في أكثر الكلام نكرة ، كقولك : ضُفْتُ به ذُرْعاً ، المعنى : ضاق به ذرعي ، فالفعل للذرع ، فلما جعلت الضيق مسنداً إليك فقلت : ضقت ، جاء الذرع مفسراً ؛ ليدل على أنَّ^(١) الضيق فيه ، كما تقول : هو أوسعُكم داراً ، أدخلت الدارَ لِيُعْلَمَ أنَّ السعةَ فيها لا في الرجل^(٢) . ثم أجري على هذا قولهم : «قد^(٣) وَجَعَ بطنه ، وألمَ رأسه ، وَغَبِنَ رأيه ، وَرَشِدَ أمره» ، فعند الفراء التقدير : سَفِهَتْ نفسه ، فَأَضَيَفَ الفعلُ إلى صاحب النفس ، فخرجت النفس مفسرةً ، وهذا مذهب الكوفيين .

واعترض الزَّجَّاج على هذا بأن قال : «معنى التمييز لا يحتمل التعريف ؛ لأنَّ التمييز إنما هو واحدٌ يدل على جنس أو خَلَّةٌ يخلص من خلال ، فإذا عَرَفْتَهُ صار مقصوداً قصده ، وهذا لم يَقُلْهُ أحدٌ ممن تقدَّم^(٤) من النحويين»^(٥) .

ثم حكى أقوالاً ، فحكى عن الأخفش^(٦) ، عن أهل التأويل ، إنهم قالوا : «إن المعنى : سَفَهَ نفسه» . وقال يونس^{(٧)(٨)} : «أراها لغةً» ، ذهب إلى أن فَعَلَ للمبالغة كفَعَلَ ، فذهب في هذا مذهب أهل التأويل ، قال : «ويجوز على هذا سَفِهْتُ زيدا^(٩)» ، بمعنى : سَفِهْتُ زيدا .

(١) في (م) : «أن المعنى الضيق فيه» .

(٢) معاني القرآن للفراء ١/ ٧٩ ، ونقله في تفسير الثعلبي ١/ ١٩٩ .

(٣) ساقطة من (ش) و(م) .

(٤) في (م) : (من المتقدمين) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٧٩ ، وانظر : التبيان للعكبري ٩٣ .

(٦) معاني القرآن للأخفش ١/ ١٤٨ .

(٧) نقله عنه الأخفش في معاني القرآن ١/ ١٤٨ .

(٨) هو يونس بن حبيب الضبي بالولاء ، البصري أبو عبد الرحمن ، تقدمت ترجمته .

(٩) معاني القرآن للزَّجَّاج .

قال ابن الأنباري : « لا يعرف ^(١) هذا ؛ لأن العرب لا تقول : سَفِهَ زيدٌ عمراً بمعنى : سَفَّهَ » ، وحكى الزَّجَّاجُ أيضاً عن أبي عبيدة أنه قال : « معناه : أهلك نفسه ، وأوبق نفسه » ^(٢) ، وهذا القول مثل ما حكى الأخفش عن أهل التأويل ^(٣) .

وقال أبو بكر : « على هذا القول أهلكت في معنى سفه معنًى ، وليس بتفسير ، وإذا كان كذلك لم يجوز نصبُ النفس به ، وإيقاعه عليه ؛ لأن سَفِهَ يخالف أهلكَ في التعدّي ، وإن كان بمعنى خَفْتُ » .

وحكى الزَّجَّاجُ أيضاً عن الأخفش نفسه ^(٤) : « إن سَفِهَ نفسه بمعنى سَفَّه في نفسه ، إلا أن (في) حذفت كما حذفت حروف الجر في غير موضع ، كقوله تعالى : ﴿ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] المعنى : أن تسترضعوا لأولادكم ^(٥) ، فحذف حرف الجر من غير ظرف ؛ لأن المعنى : لأولادكم ، ومثله : ﴿ وَلَا تَعَزِّمُوا عُقَدَةَ النِّكَاحِ ﴾ [البقرة: ٢٣٥] أي : عليها ، ومثله قول الشاعر :

نغالي اللحمَ للأضيافِ نيئاً ونبذُّله إذا نَضِجَ القُدُورُ ^(٦)
المعنى : نغالي باللحم ^(٧) .

(١) في (ش) : (نعرف) .

(٢) مجاز القرآن ١/ ٥٦ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٢١٠ .

(٤) ساقطة من (م) .

(٥) ساقطة من (ش) .

(٦) البيت لرجل من قيس في جبهة اللغة ١٣١٧ ، وأساس البلاغة (غلو) ١٧١ ، وبلا نسبة في لسان العرب ٦/ ٣٢٩٠ ، ونسب إلى الخطيئة في أمالي المرتضي . انظر : حاشية معاني القرآن للزَّجَّاج

١/ ٢١٠ ، ومعاني القرآن للقرآء ٢/ ٣٨٢ ، والمعجم المفصل ٣/ ٣٢٧ .

(٧) معاني القرآن للأخفش ١/ ١٤٨ ، ١٤٩ ، وانظر : تهذيب اللغة ٢/ ١٣٨٥ .

قال : «ومثله : قول العرب : ضَرَبَ زَيْدٌ الظَّهَرَ والبَطْنَ ، المعنى^(١) : على الظهر والبطن» .

قال : «وهذا عندي مذهبٌ صالح ، ثم اختار أن يكون معنى سَفِهَ نفسه : جَهَلَ نفسه ، فالمعنى والله أعلم : إلا من جهل نفسه ، أي : لم يفكر في نفسه ، فوضع سَفِهَ موضعَ جَهَلَ ، وعُدِّي كما عُدِّي^(٢) . وقد ارتضى هذا القول كثير من العلماء^(٣) ، وبه قال ابن كيسان ، فقال في تفسير قوله : ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ : «إلا من جهل نفسه^(٤) ؛ لأن من عبد حجراً أو قمراً أو شمساً أو صنماً^(٥) فقد جهل نفسه ؛ لأنه لم يعلم خالقها ، ولم يعلم^(٦) ما يحق لله عليه» . والعرب تضع سَفِهَ في موضع جَهَلَ ، ومنه الحديث : «الكِبَرُ^(٧) أن تسفَه الحقَّ وتغمِصَ^(٨) الناسَ^(٩) ؛ أي تجهل الحق .

(١) في (ش) : (والمعنى) .

(٢) بتصرف من معاني القرآن للزجاج ١ / ٢١٠ ، وعنده : «فحذف حرف الجر في غير الظرف» .

(٣) انظر : التبيان ٩٣ ، والبحر المحيط ١ / ٣٩٤ .

(٤) الثعلبي في تفسيره ١ / ١٢٠٠ ، والبخاري في تفسيره ١ / ١٥٢ ، والواحدي في الوسيط ١ / ٢١٤ ، وهو اختيار الزجاج في معاني القرآن ١ / ٢١١ .

(٥) في (ش) : (ضياً) .

(٦) في (م) : (ولا يعلم) .

(٧) في (أ) و(م) : (الكبير) .

(٨) أي : تحقر وتزدري ، انظر : القاموس ٦٢٥ .

(٩) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢ / ٦٩ عن ثابت بن قيس ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥ / ١٣٣ ، في طريق عبدالله بن عمرو : «رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه عبد الحميد بن سليمان ، وهو ضعيف» ، وقال : «رواه أحمد والبخاري وأحمد ثقات» . اهـ ، ورواه أحمد ٤ / ١٣٤ عن أبي ربحانة بلفظ : «إنما الكبر من سفه الحق وغمض الناس» ، ورواه مسلم ٩١ في كتاب : الإيمان ، باب : تحريم الكبر وبيان ، ولفظه : «الكبر بطر الحق وغمط الناس» .

ويؤيد هذا القول ما روي في الحديث^(١): «مَنْ عرف نفسه فقد^(٢) عرف ربه»^(٣). قيل في معناه: إنما يقع الناس في البدع والضلالات لجهلهم أنفسهم، وظنهم أنهم يملكون الضر والنفع دون الله.

وحكي عن أبي بكر الوراق^(٤) أنه قال في معنى هذا الحديث: «من عرف نفسه مخلوقة مرزوقة بلا حول ولا قوة، عرف ربه خالقاً رازقاً بالحوول والقوة»^(٥)، وقد أوحى الله إلى داود: كيف عرفتني، وكيف عرفت نفسك؟ فقال: عرفتك بالقدرة والقوة والبقاء، وعرفت نفسي بالعجز والضعف والفناء، فقال: الآن عرفتني^(٦). فإذا كان من عرف نفسه عرف ربه، كان من جهل نفسه جهل ربه حتى يرغب^(٧) عن ملة إبراهيم.

-
- (١) ذكره في تفسير الثعلبي ١/ ١٢٠٠، قال: «كما جاء في الخبر فذكره»، وانظر: تفسير البغوي ١/ ١٥٣.
- (٢) ساقطة من (أ).
- (٣) ذكره الثعلبي في تفسيره، وعنه البغوي في تفسيره ١/ ١٥٣، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٤.
- قال النووي: «ليس بثابت». انظر: المقاصد الحسنة ٤٩٠، (١١٤٩)، وقال ابن تيمية: «موضوع». انظر: المصنوع في معرفة الموضوع ١٨٩، (٣٤٩)، وقال السمعاني: «إنه لا يعرف مرفوعاً». انظر: المقاصد ٤٩٠، والموضوعات ٣٥١. وقال العجلوني في كشف الخفاء ٢/ ٢٦٢: «وقال أبو المظفر ابن السمعاني في القواطع: إنه لا يُعرف مرفوعاً وإنما يُحكى عن يحيى بن معاذ الرازي، يعني من قوله. وقال ابن الفرس بعد أن نقل عن النووي أنه ليس بثابت، قال: لكن كُتِبَ الصوفية مشحونة به، يسوقونه مساق الحديث، كالشيخ محيي بن عربي، وغيره...». قال: «وللحافظ السيوطي فيه تأليف سماء القول الأشبه في الحديث: من عرف نفسه فقد عرف ربه»، والكتاب ضمن الكتب الموجودة في الحاوي للفتاوى للسيوطي، وذكره أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٢٠٨ عن سهل التستري.
- (٤) الإمام المحدث أبو بكر محمد بن إسماعيل بن العباس البغدادي المستملي الوراق، تقدمت ترجمته [البقرة: ٦].
- (٥) ذكره في الوسيط ١/ ٢١٤.
- (٦) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٥، والبغوي في تفسيره ١/ ١٥٣.
- (٧) في (م): (حتى يذهب يرغب).

ثم بعد هذه الأقوال ، فقد حكى عن الخليل قولَ حَسَنٍ ، هو أنه قال : «تجىء أفعال تتعدى إلى النفس خاصة ، نحو : سَفِهَ نفسه وَصَبَرَ نفسه ، ولا يقال : سَفِهْتُ زيداً^(١) ولا صَبَرْتُه» . قال عنتره^(٢) :

فَصَبَرْتُ عَارِفَةً لَذَلِكَ حُرَّةً ترسو إذا نفسُ الجبانِ تَطَلَّعُ^(٣)

أراد : صبرتُ نفساً عارفةً ، وبهذا قال الكسائي ، فقال في قوله : ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ ، و﴿بَطَرْتُ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص: ٥٨] ، و﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٠] ، ووجع بطنه ، ورشِدَ امرؤه وخسر نفسه : «هذه حروف تقولها العرب كأنها فعل واقع في هذا المكان ، ولا يقولون : وجعتُ عبدَ الله ، ولا خسرتُ عبدَ الله»^(٤) .

قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله : ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ قال : «خسر نفسه»^(٥) .

وقال بعضهم : «سَفِهَ حقَّ نفسه ، أي : جهَلَ»^(٦) ، فجعله من باب حذف المضاف .

(١) في (م) : (سَفِهَتْ نفسه زيداً) .

(٢) هو عنتره بن عمرو بن شداد العبسي ، من أشهر فرسان العرب وشجعانهم ، من أصحاب المعلقات ، يعد من الطبقة السادسة لفحول شعراء الجاهلية . انظر : الشعر والشعراء ١٤٩ ، والأعلام ٩١ / ٥ .

(٣) البيت لعنترة ، تقدم تحريجه [البقرة: ٤٤] .

(٤) تقدم شيء منه قبل قليل .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ١١٩١ ، وذكره البغوي في تفسيره ١ / ١٥٢ ، والخازن في تفسيره ١ / ١١٢ ، وأبو حيان في البحر المحيط ١ / ٣٩٤ .

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ١٢٠٠ عن المفضل بن سلمة عن بعضهم . انظر : البحر المحيط ١ / ٣٩٤ .

وقوله : ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ : معنى اصطفيناه اخترناه للرسالة ، وهو افتعلنا من الصفوة ، قلبت التاء طاءً ؛ لأنها أشبه بالصاد^(١) ، وتأويل ﴿أَصْطَفَيْنَاهُ﴾ : أخذناه صافياً من غير شائب^(٢) . قال ابن عباس في معنى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ : «يريد أنه ليس في الأرض خلق إلا وهو»^(٣) يذكره بخير ، ويتحل دينه»^(٤) ، وقيل : ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ بالنبوة ، وقيل : بالخلَّة .

وقوله : ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ : قال ابن عباس : «يريد من نوح وآدم»^(٥) ، وقال أبو صالح عنه : «يريد مع آبائه الأنبياء في الجنة»^(٦) ، وقال الحسن^(٧) : «أي : من الذين يستوجبون على الله الكرامة وحسن الثواب ، فلما كان خلوص الثواب في الآخرة دون الدنيا وصفه بما ينبئ عن ذلك» .

وقال الزَّجَّاج : «يريد من الفائزين ؛ لأن الصالح في الآخرة فائز»^(٨) .

-
- (١) انظر : الكتاب لسيبويه ٢٣٩/٤ ، ٢٤٠ ، وتفسير الطبري ٥٥٩/١ ، وتفسير الثعلبي ١١٩٥/١ ، وتفسير القرطبي ١٢٢/٢ .
- (٢) انظر : الوسيط للواحدي ٢١٥/١ .
- (٣) في (م) : (إلا ويذكره) .
- (٤) لعله من رواية عطاء .
- (٥) في الوسيط عزاه إلى عطاء ، فلعله من رواية عطاء عن ابن عباس التي تقدم الحديث عنها في المقدمة ، ولفظه : «يريد : نوح وآدم» .
- (٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٢٠١/١ ، والبغوي في تفسيره ١٥٣/١ ، وذكره أبو حيان في البحر المحيط ٣٩٥/١ .
- (٧) ذكره في الوسيط ٢١٥/١ ، والبحر المحيط ٣٩٥/١ .
- (٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢١١/١ .

وقال الحسين بن الفضل^(١): «هذا على التقديم والتأخير، تقديره: ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وإنه لمن الصالحين»، قال: «ومثل هذا: الآية التي في النحل: ﴿وَأَتَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٢]»^(٢).

١٣١. قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾: قال الزجاج: «معناه: اصطفيناه إذ قال له ربه ﴿أَسْلِمْ﴾، أي: في ذلك الوقت»^(٣). ولأهل التفسير في قوله: ﴿أَسْلِمْ﴾ طريقان:

أحدهما: إنه أراد بقوله: ﴿أَسْلِمْ﴾ ابتداء الإسلام، فقد قال ابن عباس: «إنما قال له ذلك حين خرج من السَّرب»^(٤)، فنظر إلى الكوكب والقمر والشمس^(٥)، كما ذكره الله تعالى في سورة الأنعام»^(٦).

(١) هو الحسين بن الفضل بن عمير البجلي، تقدمت ترجمته.

(٢) ذكره عنه الثعلبي في تفسيره ٢٠١/١، والبغوي في تفسيره ١٥٣/١، والقرطبي في تفسيره ١٢٢/٢، وأبو حيان في تفسيره ٣٩٥/١، وقال: «وهذا الذي ذهب إليه خطأ ينزه القرآن عنه».

(٣) معاني القرآن ٢١١/١.

(٤) السَّرب: حفير تحت الأرض، وقيل: بيت تحت الأرض. انظر: اللسان ١٩٨٠/٤.

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١١٩٤/١، والواحد في الوسيط ٢١٥/١، والبغوي في تفسيره ١٥٣/١، والخازن في تفسيره ١١١/١، والقرطبي في تفسيره ١٢٣/٢، وهو من رواية الكلبي عنه، ولفظه كما في الوسيط: «رفع إبراهيم الصخرة عن باب السَّرب، ثم خرج منه فنظر إلى الكوكب والشمس والقمر».

(٦) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، وهذا اختيار الطبري في تفسيره ٥٦٠/١.

وقال أصحاب هذا القول : «إن الأنبياء يجوز عليهم قبل الوحي من الشرك والكبائر ما جاز على غيرهم ، وإنما عصموا من وقت البعثة وإنزال الوحي»^(١) ، وهذا مذهب جماعة من أهل الأصول^(٢) .

وقال عدّة من المفسرين : «قوله : (أَسْلِمَ) معناه : دُمَ وثبّت على الإسلام ، كقوله تعالى لمحمد ﷺ : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٣) [محمد: ١٩] ، وكقوله : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا ﴾ [النساء: ١٣٦] في أحد الوجهين»^(٤) . وعند أصحاب هذا القول لا يجوز على الأنبياء في سابقة حالهم الشرك والكبائر ، بل عصمهم الله سبحانه ودفع عنهم ما لم يدفع عن غيرهم . فأما محمد ﷺ فعامة أصحابنا : على أنه ما كفر بالله طرفة عين ، ولا كان مشركاً قط . ثم قال بعضهم : «كان قبل البعث على دين عيسى» ، ومنهم من قال : «كان يعبد الله تعالى على دين إبراهيم» . قال ابن كيسان : «معنى (أَسْلِمَ) : أَخْلَصَ دينك لله بالتوحيد»^(٥) فيكون أصل الإسلام

(١) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٣١٩/٤ : «إن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر ، هو قول أكثر علماء الإسلام ، وجميع الطوائف ، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام ، كما ذكر أبو الحسن الأمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية ، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل هو لم يُنقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول وإنما نُقل ذلك القول في العصر المتقدم عن الرافضة ثم عن بعض المعتزلة ، ثم وافقهم عليه طائفة من المتأخرين ، وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر ، ولا يُقرّون عليها ، ولا يقولون : إنها لا تقع بحال . وأول من نُقل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقاً وأعظمهم قولاً لذلك : الرافضة» .

(٢) انظر مناقشة ذلك عند أبي حيان في : البحر المحيط ٣٩٥/١ .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ١٢٠١/١ .

(٤) انظر : البحر المحيط ٣٩٦/١ ، وتفسير الفخر الرازي ٧١/٤ .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١١٩٥/١ ، والواحدي في الوسيط ٢١٥/١ ، والبغوي في تفسيره ١٥٣/١ ، والقرطبي في تفسيره ١٢٣/٢ ، وهذا اختيار ابن كثير في تفسيره ١٩٨/١ ، وذكره أبو حيان في البحر المحيط ٣٩٦/١ .

على هذا القول : من السلامة ، كأنه يخلص دينه فيسلم من الشرك والشك ، وقال عطاء : «أَسْلِمَ نَفْسَكَ إِلَى اللَّهِ وَفَوَّضَ أُمُورَكَ إِلَيْهِ»^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ : قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد بقلبه ولسانه وجوارحه ، فلم يعدل بالله شيئاً ، ورضي أن يُحْرَقَ بالنار في رضي الله تعالى ، ولم يستعن بأحد من الملائكة»^(٢) .

١٣٢ . قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّى ﴾ : يقال : وَصَّى يُوصِّي توصية^(٣) ، يكون المصدر منه على تفعلة ، ولا يكون على تفعيل ؛ لأنك لو جئت به على تفعيل للزم في حَيِّتْ ونحوه أن يكون على تفعيل ، فيجتمع ثلاث ياءات . والوصاة : اسم من التوصية ، يقوم مقام المصدر ، يقال : وَصَّاهُ وصاةً ، كما يقال : كَلَّمَهُ كلاماً . قال الله تعالى : ﴿ وَسَرَّحُوهُمْ سَرَاحًا ﴾ [الأحزاب : ٤٩] . قال الشاعر :

أَلَا مَنْ مَبْلَغُ عَنِّي يَزِيداً وَصَاةً مِنْ أَخِي ثِقَةً وَدُوداً^(٤)

المصدر من هذا الباب ينقسم إلى : تفعيل ، وتفعلة ، وفِعَال ، ومُفَعَّل . قال الله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] ، وقال : ﴿ تَبَصَّرَهُ وَذَكَرْنِي ﴾ [ق : ٨] ، وقال : ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴾ [عم : ٢٨] ، وقال : ﴿ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ [سبا : ١٩] . وفي ما جاء على فِعَال ، وهو اسم ينوب عن المصدر كما ذكرنا ، إلا أن العرب تُؤثِّرُ التَّفَعُّلَةَ على التفعيل في ذوات الأربعة . يقولون : وَصَّيْتُهُ توصيةً ، وَصَفَّيْتُهُ تصفيةً . قال

(١) ذكره عنه الثعلبي في تفسيره ١/ ١١٩٥ ، والواحد في الوسيط ١/ ٢١٦ ، والبغوي في تفسيره ١/ ١٥٣ ، وأبو حيان في البحر المحيط ١/ ٣٩٥ .

(٢) ذكره الواحد في الوسيط بنحوه ، وذكره البغوي في تفسيره ١/ ١٥٣ .

(٣) المادة المذكورة في الحجة لأبي علي الفارسي ٢/ ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، واللسان (وصى) ٨/ ٤٨٥٣ ، ٤٨٥٤ .

(٤) البيت بلا نسبة في تهذيب اللغة ٤/ ٣٩٠٢ ، ولسان العرب (وصى) ٨/ ٤٨٥٤ ، والمعجم المفصل : ٢/ ٢٥٦ .

الله تعالى : ﴿وَنَصِيْلُهُ جَمِيْرٌ﴾ [الواقعة: ٩٤] . وقال : ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُوْنَ تَوْصِيَةً﴾ [يس: ٥٠] :
والعلة فيه ما ذكرنا ، واشتقاق التوصية من قول العرب : وَصَى الشيء إذا اتصل .
قال أبو عبيد^(١) : وَصَيْتُ الشيءَ وَوَصَلْتُهُ سواء ، قال ذو الرمة :

وصى الليلَ بالأيامِ حتى صَلَاتُنَا مُقَاسِمَةٌ يَشْتَقُّ أَنْصَافَهَا السَّفَرُ^(٢)
وفلاة واصية : تتصلُ بفلاةٍ أخرى ، وقال ذو الرمة :

بَيْنَ الرَّجَا وَالرَّجَا مِنْ جَنْبِ وَاصِيَةٍ يَهْمَاءُ خَابِطُهَا بِالْخَوْفِ مَكْعُومٌ^(٣)^(٤)
الأصمعي : «وَصَى الشيءُ يَصِي إذا اتصل ، وَوَصَاهُ غَيْرُهُ يَصِيهِ إذا وَصَلَهُ ،
لازِمٌ وواقع»^(٥) . ثعلب عن ابن الأعرابي : «الوصيُّ : النباتُ الملتفُّ»^(٦) ، وقيل
لعلي رضي الله عنه : (وصيٌّ)^(٧) ؛ لا اتصالٍ نسبته وسببه^(٨) وسمته بنسب النبي ﷺ

- (١) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (وصى) ٣٩٠٢ / ٤ .
- (٢) انظر : ديوانه ٥٩٠ ، ولسان العرب ٨ / ٤٨٥٤ ، وتهذيب اللغة ٤ / ٣٩٠٢ ، وديوان الأدب ٣ / ٢٥٧ ،
وأساس البلاغة (وصى) ، والمعجم المفصل ٣ / ٢٨٢ ، ورواية التهذيب : (نصي) بدل (وصى) .
- (٣) انظر : ديوانه ٤٠٧ ، وتهذيب اللغة ٤ / ٣٩٢٠ ، ولسان العرب ٣ / ١٦٠٥ ، ٧ / ٣٨٩١ ، ٨ / ٤٨٥٤ ،
والمعجم المفصل ٧ / ٢١٨ ، ورواية التهذيب : واللسان : معكوم .
- (٤) في (ش) : (معكوم) .
- (٥) ذكره في تهذيب اللغة (وصى) ٣٩٠٢ / ٤ .
- (٦) المرجع السابق .
- (٧) لم أجد في النصوص ما يدل على وصف علي - رضي الله عنه - بالوصي ، سواء بالمفهوم الذي ذكره
المؤلف ، أو بمفهوم الرافضة . وقد بين شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٧٧ / ٤ أن الرافضة خرج
أولهم في زمن علي - رضي الله عنه - وصاروا يدعون أنه خص بأسرار من العلوم والوصية ، حتى كان
يسأله عن ذلك خواص أصحابه فيخبرهم بانتفاء ذلك وقد خرج أصحاب الصحيح كلام علي
هذا من غير وجه ، مثل ما في الصحيح عن أبي جحيفة ، قال : «سألت علياً : هل عندكم شيء ليس في
القرآن ؟ فقال : لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهماً يعطيه الله لرجل
في كتابه ، وما في الصحيفة . قلت : وما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الأسير» .
- (٨) ذكره في تهذيب اللغة (وصى) ٣٩٠٢ / ٤ .

وسببه وسمته ، وُسِّمَتِ الوصِيَّةُ وَصِيَّةً ؛ لاتصالها بأمر الميت ، وقيل : لأن الموصى وصلها إلى الموصي إليه ^(١) .

وفي هذا الحرف قراءتان : وَصَّى ، وأوصى ^(٢) ، ولهما أمثلة من الكتاب . فمثال التشديد قوله : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾ [يس: ٥٠] ، وقوله : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ ﴾ [الأحقاف: ١٥] ، ومثال الإفعال قوله : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ ﴾ [النساء: ١١] ، وقوله : ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ تُؤْصُونَ ﴾ [النساء: ١٢] ^(٣) . قال الزَّجَّاج : « وَوَصَّى أَبْلَغَ مِنْ أَوْصَى ؛ لأن أَوْصَى جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ قَالَ لَهُمْ مَرَّةً وَاحِدَةً ، وَوَصَّى لَا يَكُونُ إِلَّا لِمَرَّاتٍ كَثِيرَةً » ^(٤) .

وقوله تعالى : (يَهَى) : اختلفوا في هذه الكناية ، فقال بعضهم : إنها ترجع إلى الوصية ؛ لأنه ذكر الفعل ، والفعل يدل على المصدر وعلى الاسم منه ، كقول الشاعر :

إِذَا نَهَى السَّفِيهَ جَرَى إِلَيْهِ ^(٥)

أي إلى السَّفَه ، فدل السفيه على السَّفَه . وهذا قول أبي عبيدة ، قال : « وإن شئت رددتها إلى الملة ؛ لأنه قد ذكر ملة إبراهيم » ^(٦) . وقال المفصل وجماعة :

(١) انظر : تهذيب اللغة ٤ / ٣٩٠٢ ، ولسان العرب (وصى) ٨ / ٤٨٥٤ .

(٢) قرأ نافع وابن عامر : (وَأَوْصَى) بها ، وقرأ الباقر من السبعة : (وَوَصَّى) . انظر : السبعة ١٧٠ ، والحجة لأبي علي ٢ / ٢٢٧ ، والحجة لابن خالويه ٨٩ .

(٣) تفسير الثعلبي ١ / ١٢٠٣ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ٢١١ ، وانظر : البحر المحيط ١ / ٣٩٧ .

(٥) تمام البيت :

وخالَفَ والسفيه إلى خلاف

لم ينسب البيت إلى قائل ، وقد أنشده الفراء في معاني القرآن ١ / ٢٤٨ ، وثعلب في مجالسه ١ / ٦٠ ، وذكره في خزنة الأدب ٤ / ٣٣٥ ، وفي الخصائص ٣ / ٤٩ ، وفي معجم الهوامع ١ / ٢٦٤ .

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ١٢٠٣ ، ونقله البغوي في تفسيره ١ / ١٥٣ ، وانظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ٢١١ .

«الكناية عائدة إلى غير مذكور ، ثم اختلفوا إلى ماذا تعود ، فقال المفضل : تعود إلى الطاعة^(١) ، كأنه قال : ووصّى بالطاعة ، وقال الكلبي^(٢) ومقاتل^(٣) : يعني بكلمة الإخلاص : لا إله إلا الله . والكناية عن غير مذكور جائزة كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿وَلَا يُلْقَهَا إِلَّا الْأَصْكَرُونَ﴾ [القصص: ٨٠] يعني : الجنة لم يسبق لها ذكر ، وقال : ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] يعني : الشمس» .

وقال طرفة^(٤) :

على مثلها أمضي إذا قال صاحبي ألا ليتني أفديك منها وأفتدي^(٥)
أي من الفلاة ، وقال بعضهم : «رجعت الكناية إلى كلمة سبقت ، وهو قوله : ﴿أَسَلَّمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾»^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿يَبْنِي﴾ : قيل : أراد أن يا بني ، فحذف (أن) كأنه قال : وصّاهم أن يا بني ، وكذلك هو في قراءة أبي وابن مسعود ، بإثبات أن^(٧) . قال الفرّاء : «إنما حذف (أن) لأن الوصية قول ، وكل كلام رجع إلى القول جاز

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/١٢٠٣ ، وأبو حيان في البحر ١/٣٩٧ ، ولم ينسبه ، والسمين في الدر المصون ١/٣٧٦ .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/١٢٠٣ ، والواحدي في البسيط ١/١٢٠٤ ، والبغوي في تفسيره ١/١٥٣ .

(٣) تفسير مقاتل ١/١٤٠ ، وتفسير الثعلبي ١/١٢٠٣ ، وتفسير البغوي ١/١٥٣ .

(٤) طرفة بن العبد بن سفيان البكري ، تقدمت ترجمته .

(٥) انظر : ديوانه ٢٩ ، وتفسير الثعلبي ١/١٢٠٤ ، والإنصاف لابن الأنباري ٨٥ ، والدرر اللوامع على جمع الهوامع ٢/٢٦٩ . الهاء في قوله : (منها) تعود إلى مضمر ، وهي الصحراء المهلكة ، وهو الشاهد حيث عادت على غير مذكور .

(٦) كذا في البحر المحيط ١/٣٩٨ .

(٧) كذا في معاني القرآن للفرّاء ١/٨٠ ، وتفسير الثعلبي ١/١٢٠٧ ، وشواذ القراءة ٣٢ ، وتفسير القرطبي ٢/١٢٥ .

فيه دخول (أن) وجاز إلقاؤه^(١)، كما قال : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ﴾
[النساء: ١١] ولم يقل : أن للذكر ، كأنَّ معناه : قال الله : للذكر ، فجري الوصية على
معنى القول . قال : «وأنشدني الكسائي :

إني سأبدي لك في ما أبدي

لي شَجَنانٍ شَجْنٌ بنجدٍ

وشَجْنٌ لي ببلادِ السندِ^(٢)

ولم يقل : أن لي ؛ لأن الإبداء بلسانه في معنى القول ، قال : «ومثله قوله :
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾» [المائدة: ٩] لأن العدة قول ،
وإذا جعلت الوصية بمعنى القول لا يحسن أن يقال : أراد أن يا بني فحذف ؛ لأنه
لا يحتاج إلى إضمار أن مع القول^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى﴾ : قال أبو إسحاق : «إنما كسرت (إِنَّ) لأن
معنى وصى وأوصى : قول ، والمعنى : قال لهم : إن الله اصطفى^(٤) . قال ابن
عباس : «إن إبراهيم قال لبنيه : لا تعدلوا بالله شيئاً ، وإن نُشِرتُم بالمنشير وقُرضتم
بالمقاريض وحُرقتم بالنار^(٥)» .

(١) في (م) : كأنها (الغاوه) .

(٢) الرجز ذكره الفرّاء عن الكسائي في معاني القرآن ٨٠ / ١ ، وهو بلا نسبة في تفسير الطبري ٥٦١ / ١ ،
وتفسير الثعلبي ١٢٠٧ / ١ ، والمخصص ٢٢٣ / ١٢ ، ومقاييس اللغة ٢٤٩ / ٣ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٨٠ / ١ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢١١ / ١ .

(٥) ذكره في الوسيط ٢١٦ / ١ ، وتفسير ابن عباس ١٩ .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى﴾ : يريد دين الإسلام ؛ دين الحنيفية ، والألف واللام فيه للعهد لا للجنس ؛ لأنه لم يختَر جميع الجنس من الدين ، إنما اختار دين الإسلام على سائر الأديان^(١) .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ : قال الفرّاء في كتاب المصادر : «مات يموت مَوْتاً وَمِيتَةً وَمَمَاتاً ، وَالْمَوْتَةُ : الْمَرَّةُ ، ويقال : أرض مَوَاتٌ ، وهو مصدر ، وَوَقَعَ في الناس مَوَاتٌ وَمُوتَانٌ ، ويقال : فلان يبيع الحيوان والموتان ، إذا كان يبيع ما سوى الحيوان ، ورجل مَوْتَانُ النفس إذا لم يكن حيَّ القلب»^{(٢)(٣)} .

ووقع النهي في ظاهر الكلام على الموت ، وإنما نُهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام ؛ لئلا يصادفهم الموت وهم^(٤) عليه ، فإنه لا بدّ منه ، وتقديره : لا تتعرضوا للموت على ترك الإسلام بالشرك والكفر بالله^(٥) ، وهذا كما تقول : «لا أريئكَ هاهنا» ، فتوقع حرف النهي على الرؤية ، وأنت لم تنه نفسك على الحقيقة ، بل نهيّت المخاطب^(٦) ، كأنك قلت : «لا تقربن هذا الموضع فمتى جئته لم أرك فيه» ، ومثله من الكلام : «لا يصادفك الإمام على ما يكره» ، تقديره : لا تتعرض لأن يصادفك . قال الزّجاج : «وهذا من سعة الكلام ، والمعنى في الآية : ألزموا الإسلام ، فإذا أدرككم الموت صادفكم عليه»^(٧) .

(١) البحر المحيط ١/ ٣٩٩ .

(٢) في نسخة (أ) زيادة ليست في النسخ لعلها حاشية من الكاتب ، وهي قوله : «ومن العرب من يقول : مُتُّ ، ومِتُّ ، وبِمَاتٍ ويموتُ ، والمات من مصادر الموت أيضاً ، والجارية تأخذها المَوْتَةُ كأنه سُكِرَ وضرب من الجنون . وموْتَةٌ ، مهموزة ، الأرض التي قتل بها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه» .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ٤/ ٣٣٢١ ، ولسان العرب (مات) ٧/ ٤٢٩٦ .

(٤) زيادة من (م) .

(٥) معاني القرآن للزّجاج ١/ ٢١٢ ، والبحر المحيط ١/ ٣٩٩ .

(٦) معاني القرآن للزّجاج ١/ ٢١٢ .

(٧) المرجع السابق .

١٣٣. قوله تعالى : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ﴾ الآية ، نزلت هذه الآية في اليهود حين قالوا للنبي ﷺ : ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية ؟ فأنزل الله قوله : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ ﴾ ^(١) ، ومعناه : بل أكنتم ، كأنه ترك الكلام الأول واستفهم ، قاله أبو إسحاق ^(٢) . وقال أبو عبيدة : « أم هاهنا بمعنى : هل » ، واحتج بقول الأخطل :

كَذَبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطٍ ^(٣)

بمعنى : هل رأيت ^(٤) .

ويجوز أن يتقدمه استفهام مضمّر ، كأنه قيل لليهود : أبلغكم ما تقولون وتنسبون إلى ^(٥) يعقوب ، أم كنتم شهداء حضرتم وصيته ^(٦) ؟ وقد شرحنا معنى (أم) عند قوله : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا ﴾ [البقرة: ١٠٨] .

(١) ذكره مقاتل في تفسيره ١/ ١٤٠ ، والثعلبي في تفسيره ١/ ١٢١٠ ، والواحدي في أسباب النزول ٤٤ ، وفي الوسيط ١/ ٢١٦ ، والبغوي في تفسيره ١/ ١٥٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١/ ١٤٨ ، وابن حجر في العجائب ١/ ٣٩٧ ، والمناوي في الفتح الساموي ١/ ١٨٣ ، ونقل عنه السيوطي قوله : « لم أقف عليه » .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١/ ٢١٢ ، وانظر : البحر المحيط ١/ ٤٠٠ .

(٣) وعجز البيت :

عَلَسَ الظَّلامُ مِنَ الرَّبَابِ خِيالاً

انظر : ديوان الأخطل ٣٨٥ ، ومجاز القرآن ١/ ٦٥ ، والخزانة ٢/ ٤١١ ، ٤/ ٤٥٢ ، ولسان العرب ٦/ ٣٢٨١ ، ٧/ ٣٨٤١ ، والمعجم المفصل ٦/ ٧٩ .

(٤) مجاز القرآن ١/ ٥٧ .

(٥) في (ش) : (عن) .

(٦) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ١/ ٤٩٧ ، ٤٩٨ : « وقال لهم على جهة التقرير والتوبيخ : أشهدتم يعقوب وعلمتم بما أوصى فتدلون عن علم ، أي : لم تشهدوا بل أنتم تفترون ، و(أم) تكون بمعنى ألف الاستفهام في صدر الكلام (لغة يانية) ، وحكى الطبري إن (أم) يستفهم بها في وسط كلام قد تقدم صدره ، وهذا منه » . انظر : البحر المحيط ١/ ٤٠٠ ، ٤٠١ .

وقوله تعالى : ﴿شَهِدَاءَ﴾ : أراد حضوراً^(١) .

وقوله تعالى : ﴿إِذْ حَضَرَ﴾ : موضع (إِذْ) نصب ؛ لأنه بمعنى وقت حضر ، والحضور خلاف الغيبة ، وحَضَرَ الرجل : فناؤه^{(٢)(٣)} .

وقوله : ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ : (إِذْ) هذه الثانية موضعها نصب ، مثل موضع الأولى ، وهو بدل مؤكد^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ ءَابَاؤُكُمْ﴾ : الآباء : جمع أب ، وفي الأب لغاتٌ ، يقال : هذا أَبُكَ ، وهذا أَبَاكَ ، وهذا أَبوك ، فمن قال : أَبُكَ ، قال في التثنية : أَبَانُ وَأَبُونَ وَأَيِّنَ ، ومن قال : أَبَاكَ وَأَبوك ، فتثنيتهما أَبَوَان . أنشد أحمد بن يحيى^(٥) :

سوى أبك الأدنى وأنَّ محمداً علا كلِّ عالٍ يا ابنَ عمِّ محمدٍ^(٦)
وأنشد سيبويه^(٧) :

فلما تَبَيَّنَ أصواتنا بَكَيْنَ وَفَدَّيْنَنَا بالأبينَا^(٨)
ويقال : ما كنت أباً ، ولقد أَبَوْتَ أَبَوَةً ، وما له أبٌّ يَأْبُوهُ .

-
- (١) تفسير الثعلبي ١/ ١٢١٠ .
(٢) في (ش) : (حضر الرجل فتاه) .
(٣) تهذيب اللغة ١/ ٨٤٨ ، والبحر المحيط ١/ ٣٩٧ .
(٤) كذا قال الرَّجَّاج في : معاني القرآن ١/ ٢١٢ .
(٥) في اللسان (أبي) ١/ ١٦ .
(٦) البيت بلا نسبة في لسان العرب (أبي) ١/ ١٦ ، والمعجم المفصل ٢/ ٤٣٦ .
(٧) في الكتاب ٣/ ٤٠٦ ، وهو في اللسان (أبي) ١/ ١٥ .
(٨) البيت لزياد بن واصل السلمى في خزانة الأدب ٤/ ٤٧٤-٤٧٧ ، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٢٨٤ ، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٤/ ٢٨٦ ، وخزانة الأدب ٤/ ١٠٨ ، ٤٦٨ ، والخصائص ١/ ٣٥٦ ، وشرح المفصل ٣/ ٣٧ ، والكتاب ٣/ ٤٠٦ ، ولسان العرب (أبي) ١/ ١٥ ، والمقتضب ٢/ ١٧٤ ، والبحر المحيط ١/ ٤٠٢ ، والمعجم المفصل ٨/ ٧٥ .

الليث : «فلان يأبو تيماً إباوة بكسر الألف ، أي : يغذوه»^(١) ، وتأبى فلان^(٢) فلاناً ، أي : اتخذهُ أباً ، كما تقول : تبى من الابن»^(٣) . وقال في تصغير الأب : «أبى ، وتصغير الآباء على وجهين : أجودهما : أبىون ، والآخر : أبياء ؛ لأن كل جماعة كانت على أفعال فإنها تصغر على حدّها»^(٤) ، كما تقول في تصغير الأجمال : أجيال .

وقوله تعالى : ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ : أدخله في جملة الآباء ، وهو كان عمّ يعقوب ؛ لأن العرب تُسمي العمّ أباً^(٥) ، وقد روي أنه لما كان يوم فتح مكة قال رسول الله ﷺ للعباس^(٦) : «امض إلى قومك ، أهل مكة ، فادعهم إلى الله قبل القتال» ، فركب العباس بغلة رسول الله ﷺ الشهباء ، فانطلق ، فلما مضى فأبعد ، قال رسول الله ﷺ : «رُدُّوا عليّ أبي ، رُدُّوا عليّ أبي ، لا تقتله قريش كما قتلت ثقيف عروة بن مسعود»^(٧) ، فلما رجع قال : يا رسول الله ﷺ دغني أمضي لأمرك ، فقال : «يا

(١) نقله عنه في تهذيب اللغة ١/ ١٠٣ ، واللسان (أبى) ١/ ١٦ .

(٢) في (أ) و(م) : (تأبى فلاناً) .

(٣) في اللسان (أبى) ١/ ١٧ ، وتهذيب اللغة ١/ ٣٩٦ .

(٤) في (ش) : (أحدها) .

(٥) يروى عن أبي العالية ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٤ . انظر : مجاز القرآن ، ومعاني القرآن للفرّاء ، وتفسير الطبري ١/ ٥٦٣ ، وتفسير الثعلبي .

(٦) العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف الهاشمي القرشي أبو الفضل ، عم رسول الله ﷺ ، وكان إليه في الجاهلية السقاية والعمارة ، هاجر قبل الفتح ، وثبت يوم حنين ، وقال النبي ﷺ : «من آذى العباس فقد آذاني ، فإنما عم الرجل صنو أبيه» ، ولِد قبل النبي ﷺ بستين ، وتوفي بالمدينة سنة ٣٢ هـ . انظر : فضائل الصحابة للإمام أحمد ٢/ ١١٥٩ ، والاستيعاب ٢/ ٣٥٨ .

(٧) هو عروة بن مسعود بن معتب الثقفي ، صحابي مشهور ، كان كبيراً في قومه بالطائف ، استأذن رسول الله ﷺ في دعوته قومه فخافهم عليه أن يقتلوه ، فرجع ودعاهم فقتلوه سنة ٩ هـ . انظر : أسد الغابة ٤/ ٣١ ، ٣٢ ، والاستيعاب ٣/ ١٧٦ .

عَمَّ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَمَّ الرجلِ صِنُوْ أَبِيهِ»^(١) ، وقال أيضاً (يعني العباس) : «هذا بقيةُ آبائي»^(٢) ، وفي بعض القراءات : «وإله أبيك إبراهيم»^(٣) ، وله وجهان :

أحدهما : إنه جمع الأب على أبين كما ذكرنا .

والثاني : إنه كره أن يجعل إسماعيل من جملة الآباء فوَحَّد الأب ، ويكون التقدير : إله أبيك إبراهيم وإله إسماعيل وإسحاق ، كما تقول : «رأيتُ غلامَ زيد وعمرو» ؛ أي غلامهما^(٤) . قال عطاء عن ابن عباس : «إن الله لم يقبض نبياً حتى يُخَيِّرَهُ بين الموت والحياة ، فلما خيَّرَ يعقوب قال : أنظِرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم ، فجمع ولده ، وهم اثنا عشر رجلاً ، وهم الأسباط ، وجميع أولادهم ،

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٤ / ٤٨٤ عن عكرمة مرفوعاً . انظر : كنز العمال ١٤ / ٥٨٤ ، (٣٩٦٥٤) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١ / ٨٠ عن ابن عباس مرفوعاً ، ولفظه : «استوصوا بعلمي العباس خيراً فإنه بقيةُ آبائي» ، وإنما عم الرجلِ صنو أبيه . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ٢٦٩ : «رواه الطبراني ، وفيه عبدالله بن خراش ، وهو ضعيف ، ووثقه ابن حبان ، وقال : ربما أخطأه ، وبقية رجاله وثقوا» ، ورواه الطبراني في المعجم الصغير ١ / ٣٤٤ من حديث الحسن بن علي مرفوعاً بلفظ «احفظوا في العباس فإنه بقيةُ آبائي» . قال الهيثمي : «فيه جماعة لم أعرفهم» ، وضعفه الألباني كما في ضعيف الجامع الصغير ، رقم ٢١٣ ، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ١٠ / ٦٨ من حديث عبدالمطلب بن ربيعة ، وقد وضعفه الألباني كما في السلسلة الضعيفة ٤ / ٤١٥ ، وروي عن مجاهد مرسلاً كما عند ابن أبي شيبة في المصنف ١٢ / ١٠٩ ، وعبدالرزاق في تفسيره ٢ / ٣٣١ .

(٣) كذا قرأ ابن عباس والحسن وابن يعمر والجدري وأبو رجاء كما في مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ٩ ، وشواذ القراءة للكرماني ٣٢ ، وتفسير الثعلبي ١ / ١٢١١ ، والبحر المحيط ١ / ٤٠٢ . قال الطبري في تفسيره ١ / ٥٦٣ : «وقرأ بعض المتقدمين (وإله أبيك إبراهيم) ظناً منه أن إسماعيل إذ كان عبداً ليعقوب ، فلا يجوز أن يكون في من ترجم به عن الآباء وداخلاً في عدادهم ، وذلك من قارئه كذلك قلة علم منه بمجاري كلام العرب ، والعرب لا تمنع من أن تجعل الأعمام بمعنى الآباء ، والأحوال بمعنى الأمهات ، فلذلك دخل إسماعيل في من ترجم به عن الآباء ، وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ترجمة عن الآباء في موضع جر ، ولكنهم نصبوا بأنهم لا يجوزون» .

(٤) انظر : البحر المحيط ١ / ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، وتفسير القرطبي ٢ / ١٢٧ .

فقال لهم : قد حَضَرْتُ وفاتي ، وأنا أريدُ أن أسألكم وأوصيكم : ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا : نعبد إلهك كما في الآية^(١) .

وقوله تعالى : ﴿إِلَهًا وَحِدًا﴾ ينتصب على وجهين : إن شئت على الحال ، كأنهم قالوا : نعبد إلهك في حال وحدانية ، وإن شئت على البدل ، وتكون الفائدة في هذا البدل : ذكر التوحيد ، فيكون المعنى : نعبد إلهًا واحدًا^(٢) .

١٣٤ . قوله : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ : قال الأخفش : «التاء في تلك : اسم المؤنث ، واللام عمادٌ للتاء ، والكاف خطاب ، وهذا كما ذكرنا في ذلك» ، قال : «وَكُسِرَتِ التاء من^(٣) تلك علامةً للتأنيث»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ ؛ أي مضت^(٥) ، وَخَلَتْ إذا استعمل في المكان فالمراد به خلوه عن السكان ، وإذا استعمل في الزمان فالمراد به الماضي^(٦) ، كقوله عز وجل : ﴿الْآيَاتِ الْغَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] ، وقول لبيد :

حِجْبٌ خَلَوْنَ حِلَالُهَا وَحِرَامُهَا^(٧)

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره ٣/ ١٢١٠ ، والبغوي في تفسيره ١/ ١٥٤ ، والحافظ في العجايب ١/ ٣٨٠ من قول عطاء ، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١٢١٠ ، والرازي في التفسير الكبير ٤/ ٧٦ عن ابن عباس ، وذكره دون نسبة الخازن في تفسيره ١/ ١١٤ ، وأبو حيان في البحر المحيط ١/ ٤٠٢ .
(٢) من معاني القرآن للزجاج ١/ ٢١٢ ، وذكره الأخفش في معانيه ١/ ١٥٠ على وجه الحال فقط .
(٣) في (ش) : (في) .

(٤) انظر : شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ١/ ١٢٨ .
(٥) كذا قال الأخفش في معاني القرآن ١/ ١٥٠ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٢١٢ .
(٦) تهذيب اللغة (خلا) ١/ ١٠٧٤ .
(٧) مطلع البيت :

دَمْنٌ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أَنْسِهَا

وهو من الكامل للبيد بن ربيعة من معلقته . انظر : ديوانه ١٦٣ .

والمراد بقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ ﴾ إبراهيم وبنوه ويعقوب وبنوه الذين تقدم ذكرهم . ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ من العمل ، ثم قال لليهود : ﴿ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ ؛ أي حسابهم عليهم ، وإنما تسألون عن أعمالكم ^(١) .

١٣٥ . قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ : المعنى : قالت اليهود : كونوا هوداً ، وقالت النصارى : كونوا نصارى ^(٢) .

قال ابن عباس : «نزلت في : يهود المدينة ، ونصارى نجران ، قال كل واحد من الفريقين للمؤمنين : كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك» ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ بَلْ مَلَّةٌ إِبْرَاهِيمَ ﴾ : بنصب ^(٤) ﴿ مَلَّةٌ ﴾ بفعل مضمر ، كأنه قال : قولوا بل نتبع ملة إبراهيم ^(٥) . وقال بعض النحويين : «هو عطف على المعنى ؛ لأن قوله : ﴿ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ معناه : اتبعوا اليهودية والنصرانية ، فقال الله : ﴿ مَلَّةٌ إِبْرَاهِيمَ ﴾ أي : بل اتبعوا ملته» ^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٣١٢ / ١ ، وتفسير الثعلبي ١٢١٢ / ١ ، وتفسير ابن كثير ١٩٩ / ١ .

(٢) ذكره الزجاج في معاني القرآن .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ، والواحدي في أسباب النزول ٤١ ، والبغوي في تفسيره ١٥٥ / ١ ، وابن حجر في العجائب ٣٨١ / ١ عن ابن عباس ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٥٦٤ / ١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤١ / ١ عن ابن عباس ، قال : «قال عبدالله بن سوريا الأعور لرسول الله ﷺ : ما الهدى إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تهتد ، وقالت النصارى مثل ذلك ، فأنزل الله - عز وجل - فيهم : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا ﴾ » ، وذكره السيوطي في لباب النقول ٢٦ ، وعزاه في الدر ٢٥٧ / ١ إلى ابن إسحاق ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وحسن إسناده عصام الحميدان في تحقيقه لأسباب النزول للواحدي ٤٤ .

(٤) في (أ) و(م) : (تنصب) .

(٥) انظر : معاني القرآن للفرء ، ومعاني القرآن للزجاج ، وقال بعده : «ويجوز الرفع (بل ملة إبراهيم حنيفاً) والأجود والأكثر نصب ، ومجاز الرفع على معنى : قل : ملتنا وديننا ملة إبراهيم» .

(٦) كذا في معاني القرآن للزجاج .

قال أبو إسحاق : « ويجوز أن تنصب على معنى : بل نكون أهل ملة إبراهيم ، ويجذف الأهل كقوله : ﴿ وَسُئِلَ الْقَرِيَّةُ ﴾ ^(١) [يوسف : ٨٢] ، وإلى هذا القول أشار الفراء والكسائي .

قال الفراء : « إن نصبتها بـ (نكون) كان صواباً » ^(٢) ، وقال الكسائي : « بل يكون ملة إبراهيم » . وقول الزجاج بيان لقولهما .

قال أهل المعاني : « وفي هذا احتجاج عليهم ؛ إذ في اليهودية تناقض ، وكذلك النصرانية ، والتناقض لا يكون من عند الله ، وملة إبراهيم سليمة من التناقض ، فهو أحق بالاتباع » ^(٣) .

فمما في اليهودية من التناقض ^(٤) امتناعهم من جواز النسخ ، مع ما في التوراة مما يدل على ذلك ، وامتناعهم من العمل بما تقدمت به البشارة في التوراة من اتباع النبي الأُمي ، مع إظهارهم التمسك بها ، وامتناعهم من الإذعان لما دلّت عليه المعجزة من نبوة محمد وعيسى عليهما السلام ، مع إقرارهم بنبوة موسى من أجل المعجزة ، إلى غير هذا مما هم عليه من التناقض ، وأما النصارى فقولهم بثلاثة ، ثم يقولون : إنه إله واحد ^(٥) .

(١) معاني القرآن للزجاج ، وذكره بنحوه أبو حيان في البحر المحيط ٤٠٦ / ١ .

(٢) معاني القرآن ، وعبارته (نكون) ، وفي الحاشية ، قال : « وفي نسخ الفراء : سيكون ، ولعل المراد إن صححت : يكون ما نختاره » ، وفي البحر ٤٠٥ / ١ ذكر من أعاريه على النصب « أنه خبر كان ؛ أي : بل تكون ملة إبراهيم ؛ أي : أهل ملة إبراهيم . . . وإما أنه منصوب على الإغراء ؛ أي : الزموا ملة إبراهيم ، قاله أبو عبيد ، وإما على أنه منصوب على إسقاط الخافض ؛ أي : نهدي ملة ؛ أي : بملة » .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٨٠ / ٤ .

(٤) ساقط من (م) و(أ) .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٨٠ / ٤ .

وقوله تعالى : ﴿حَنِيفًا﴾ انتصب على الحال ؛ لأن المعنى : نتبع ملة إبراهيم في حال حنيفيته ، وعند الكوفيين ينتصب على القطع ، كأنه ملة إبراهيم الحنيف ، فقطع عنه الألف واللام^(١) .

وأما معنى الحنيف فقال ابن دريد : «الحنيف : العادل عن دين إلى دين ، وبه سُمِّي الإسلام : الحنيفية ؛ لأنها مالت عن اليهودية والنصرانية»^(٢) . قال أبو حاتم : «قلت للأصمعي : من أين عُرِفَ في الجاهلية الحنيف ؟ قال : لأن من عدل عن دين اليهود والنصارى فهو حنيف عندهم ، وكان كل من حجَّ البيت سُمِّي حنيفاً ، وكانوا في الجاهلية إذا أرادوا الحجَّ قالوا : هلموا نَتَحَنَّفْ^(٣)»^(٤) . فالحنيف : المسلم ؛ لأنه مال عن دين اليهود والنصارى إلى دين الإسلام ، ومنه قيل للميل في القَدَم : حَنَفٌ .

قال ذو الرُّمَّة :

إذا حَوَّلَ الظِّلُّ العِشْيَ رَأْيَتَهُ

حنيفاً وفي قَرْنٍ^(٥) الضُّحَى يَتَنَصَّرُ^(٦)^(٧)

وقال الأخفش : «الحنيف : المسلم ، وكان في الجاهلية يقال لمن اختن وحج البيت : حنيف ؛ لأن العرب لم تتمسك في الجاهلية بشيء من دين

(١) معاني القرآن للزجاج ١/ ٢١٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٢١٨ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٢١٤ ، والبيان لابن الأنباري ١/ ١٢٥ ، والبيان ١/ ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) ذكره في الوسيط ١/ ٢١٨ .

(٣) في (م) : (نحف) .

(٤) ذكره في الوسيط ١/ ٢١٨ .

(٥) في (م) : (قرب) .

(٦) البيت في ديوانه ٦٣٢ ، ولسان العرب ٢/ ١٠٦٠ ، والمعجم المفصل ٣/ ٢٦٥ .

(٧) في (م) : (تتنصر) .

إبراهيم غير الختان ، وحج البيت ، فلما جاء الإسلام عادت الحنيفية ، فالحنيف : المسلم»^(١) .

وروى ابن نجدة^(٢) عن أبي زيد^(٣) أنه قال : «الحنيفُ : المستقيم» ، وأنشد^(٤) :

تَعْلَمُ أَنَّ سَيَهْدِيكُمْ إِلَيْنَا طَرِيقٌ لَا يُجُورُ بِكُمْ حَنِيفٌ^(٥)

ف قيل : لكل من سَلَّمَ لأمر الله ولم يَلْتَوِ : حنيف^(٦) ، وهذا القول اختيار ابن قتيبة^(٧) ، والرياشي^(٨) ، قالوا : «الحنيفية : الاستقامة على دين إبراهيم ، وإنما قيل للذي تقبل إحدى قدميه على الأخرى : أحنف ، تفاعلاً بالسلامة ، كما قيل للمفازة^(٩) : مهلكة»^(١٠) .

-
- (١) نقله عنه في تهذيب اللغة ٩٤٢ / ١ ، ولسان العرب ١٠٢٥ / ٢ .
- (٢) هو محمد بن الحسين بن محمد الطبري النحوي ، يعرف بابن نجدة ، قال ياقوت : «مشهور في أهل الأدب ، وله خط مرغوب فيه ، قرأ على الفضل بن الحباب الجمحي» . انظر : بغية الوعاة ٩٤ / ١ ، ومعجم الأدباء ١٨٦ / ١٨ .
- (٣) لسان العرب (حنف) ١٠٢٦ / ٢ .
- (٤) نقله عنه في تهذيب اللغة (حنف) ٩٤٢ / ١ .
- (٥) البيت بلا نسبة في تهذيب اللغة ٩٤٢ / ١ ، ولسان العرب (حنف) ١٠٢٦ / ٢ ، والمعجم المفصل ٢٦٥ / ٣ .
- (٦) تهذيب اللغة (حنف) ٩٤٢ / ١ .
- (٧) غريب القرآن ٦٤ بنحوه ، وكذا قال الطبري في تفسيره ٥٦٤ / ١ ، ٥٦٥ .
- (٨) هو العباس بن الفرّج ، أبو الفضل الرياشي ، اللغوي النحوي ، قرأ على المازني النحو ، وقرأ عليه المازني اللغة ، ووثقه الخطيب ، صنّف كتاب الخيل وكتاب الإبل ، وغير ذلك ، قتله الفرنج سنة ٢٥٧ هـ . انظر : بغية الوعاة ٢٧ / ٢ ، والأعلام ٢٦٤ / ٣ .
- (٩) في (ش) : (للمقارنة) .
- (١٠) لعل صحة العبارة كما قيل للمهلكة : مفازة ، أو : كما قيل : مفازة للمهلكة . انظر : تفسير الطبري ٥٦٤ / ١ .

فأَمَّا التفسير فروي عن ابن عباس أنه قال : « الحنيف : المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام »^(١) .

وقال مجاهد : « الحنيفية اتباع الحق »^(٢) ، وروي عنه أيضاً : « الحنيفية : اتباع إبراهيم في ما أتى به من الشريعة التي صار بها إماماً للناس بعده ، من الحج ، والختان ، وغير ذلك من شرائعه »^(٣) .

وقال الحسن : « الحنيفية : حج البيت »^(٤) ، وهو معنى قول ابن عباس^(٥) ، وعطية^{(٦)(٧)} .

وقيل : « الحنيفية إخلاص الدين لله وحده »^(٨) ، وهذه الأقوال غير خارجة عما ذكره أهل اللغة ؛ لأنها تعود إلى الاستقامة أو الميل إلى ما أتى به إبراهيم - عليه السلام - من الشريعة^(٩) .

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١٢١٤ ، والواحدي في الوسيط ١/ ٢١٨ ، والبغوي في تفسيره ١/ ١٥٥ ، والخازن في تفسيره ١/ ١١٥ ، والبحر المحيط ١/ ٤٠٦ .

(٢) بنحوه أخرج الطبري في تفسيره ١/ ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٤١ ، قال : « وروي عن الربيع بن أنس نحو ذلك » .

(٣) عنه الواحدي في الوسيط ١/ ٢١٨ ، والبغوي في تفسيره ١/ ١٥٥ .

(٤) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٩٥ ، ومن طريقه أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٥٦٥ ، وأخرجه من طريق أخرى ١/ ٥٦٥ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٤٢ ، والثعلبي في تفسيره ١/ ١٢١٤ .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره ١/ ٥٦٥ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٤١ ، قال : « وروي عن الحسن والضحاك وعطية والسُّدِّي نحو ذلك » .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٣/ ١٠٦ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٤١ .

(٧) تقدمت ترجمته .

(٨) ذكر عن السُّدِّي مثلاً أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٥٦٦ ، وعن خصيف عند ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٤٢ ، وذكره مقاتل في تفسيره ١/ ١٤١ .

(٩) رجَّح الطبري في تفسيره ١/ ٥٦٦ أن الحنف والحنيف : الاستقامة على دين إبراهيم ، واتباعه على ملته ، ويُنَّ أنه لو كان المراد الحج ، أو الاختتان لوجب أن يكون المشركون حنفاء ، وقد نفى الله عنهم ذلك .

١٣٦. قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا أَسْبَاطُ﴾: قال الزَّجَّاج: «الأسباط: ولد إسحاق، ومعنى القبيلة في ولد إسماعيل: معنى الجماعة، يقال لكل جماعة من واحد: قبيلة، ويقال لكل جمع على شيء واحد: قبيل، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ يَرْتَضَكُمُ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾^(١) [الأعراف: ٢٧]».

فأمَّا الأسباط فهو مشتق من السبط، وهو ضرب من الشجر، يعلفه الإبل. كأنه جعل إسحاق بمنزلة شجرة، وكذلك يفعل النسابون في النسب، يجعلون الوالد بمنزلة الشجرة، ويجعلون الأولاد بمنزلة أغصانها^(٢).

وقال أبو العباس: «سألت ابن الأعرابي: ما معنى السبط في كلام العرب؟ فقال: خاصة الأولاد^(٣) والمُصَاصُ منهم^(٤)»، وكان في الأسباط أنبياء؛ لذلك قال: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيَّ إِلَّا بَرَهَةٌ﴾.

وقوله: ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾؛ أي لا تكفر ببعض ونؤمن ببعض، كما فعلت اليهود والنصارى^(٥)، وإنما جاز ﴿بَيْنَ أَحَدٍ﴾، و(بين): تقتضي اثنين؛

(١) عبارة الزَّجَّاج التي نقلها الأزهرى في تهذيب اللغة (سبط) ١٦١٥/٢: «والصحيح أن الأسباط في ولد إسحاق - عليه السلام - بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل، فولد كل ولد من أولاد يعقوب سبط، وولد كل ولد من أولاد إسماعيل قبيلة، وإنما سموها هؤلاء بالأسباط، وهؤلاء بالقبائل لِيُفَصِّلَ بين ولد إسماعيل وولد إسحاق عليها السلام».

(٢) نقله بتصريف من تهذيب اللغة عن الزَّجَّاج (سبط) ١٦١٥/٢، وقد ذكر في معاني القرآن شيئاً يسيراً من هذا ٢١٧/١. انظر: تفسير الثعلبي ١٢١٥/١، وقال: «والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب والشعوب من العجم».

(٣) ساقط من (أ) و(م).

(٤) كما في تهذيب اللغة (سبط) ١٦١٦/٢، وعبارته: «فقال: السَّبَط والسَّبَطَان والأسباط: خاصة الأولاد، أو المُصَاص منهم».

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢١٥/١، وتفسير الثعلبي ١٢١٤/١.

لأن أحداً منهم يقع على الاثنين والجمع ، يقال : ما عندي أحدٌ يتكلمون ، فجاز دخول (بين) عليه ، كما تقول : «لا نفرق بين قوم منهم ، وبين جمع منهم» . ولهذا العلة جمع نعته في قوله تعالى : ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة : ٤٧] ^(١) .

١٣٧ . قوله تعالى : ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ : قال الزَّجَّاج : «تأويل هذا : إن أتوا بتصديقٍ مثل تصديقكم ^(٢) ، فَيُحْمَلُ على تشبيهه بالإيمان ، لا على التشبيه في الشيء الذي آمنوا به ، كأنه قال : إن آمنوا وكان إيمانهم كإيمانكم ، ووجدوا كتوحيدكم» ، وهذا قول ابن الأنباري ، وزاد بياناً فقال : «المعنى : فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به ، أي : فإن آمنوا مثل إيمانكم ، فتزاد الباء للتوكيد ، كما زيدت في قوله : ﴿وَهَزَيَ إِلَيْكَ جَنَّاتُ النَّحْلِ﴾ [مريم : ٢٥]» .

وقال أبو معاذ النحوي ^(٣) : «أراد : إن آمنوا هم ^(٤) بكتابكم كما آمنتم أنتم بكتابهم» ^(٥) . فالمثل هاهنا : الكتاب ، والمسلمون يؤمنون بالتوراة ، وقيل : المثل هاهنا صلة ، والمعنى : فإن آمنوا بما آمنتم به» ^(٦) ، والمثل قد يذكر ولا يراى به الشبّه

(١) انظر : البحر المحيط ٤٠٩ / ١ .

(٢) معاني القرآن ٢١٧ / ١ .

(٣) هو أبو معاذ النحوي المروزي ، المقرئ اللغوي ، تقدمت ترجمته في المقدمة .

(٤) ليست في (م) .

(٥) نقله البغوي في تفسيره ١٥٦ / ١ .

(٦) تفسير الثعلبي ١٢٢٤ / ١ ، والبغوي في تفسيره ١٥٦ / ١ ، وقد ورد عن ابن عباس أنه كان يقرأ الآية : فإن آمنوا بالذي آمنتم به حسب ما ذكره الطبري في تفسيره ٥٦٩ / ١ ، وبين الطبري أن مراد ابن عباس : «فإن صدقوا مثل تصديقكم بما صدقتم به ، فالتشبيه وقع بين التصديقين ، الإقرارين اللذين هما : إيمان هؤلاء ، وإيمان هؤلاء» .

والنظير ، كقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١]
 قيل : ليس كهو شيء^(١) .

وقوله تعالى : ﴿فَقَدْ أَهْتَدَوْا﴾ ؛ أي فقد صاروا مسلمين^(٢) .

﴿وَأَن تَوَلَّوْا فَمَا نَمَّا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ : أي خلاف وعداوة^(٣) ، وتأويله أنهم صاروا في شقٍّ غير شقِّ المسلمين^(٤) ، والعداوة تسمى شقاقاً ؛ لأن كل واحد من المعادين يأتي بما يشقُّ على صاحبه ، أو لأن كل واحد صار في شقٍّ غير شقِّ صاحبه للعداوة والمباينة^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ : قال المفسرون : «كفاه الله أمر اليهود بالقتل والسبي في قريظة ، والجلاء والنفي في بني النضير ، والجزية والذلة^(٦) في نصارى نجران»^(٧) .

وقال عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿فِي شِقَاقٍ﴾ : «يريد في خلاف لدينهم ولدينكم»^(٨) ؛ لأنهم أمروا في التوراة بالإيمان بمحمد ﷺ . وقال الحسن : «علموا أولادكم وأهاليكم وخدمكم أسماء الأنبياء ، الذين ذكرهم الله في كتابه ، حتى يؤمنوا بهم ، ويصدقوا بما جاءوا به» هذا قوله^(٩) .

(١) انظر : تفسير الثعلبي ١/١٢١٨ ، والبحر المحيط ١/٤١٠ .

(٢) كذا قال الرَّجَّاج في معاني القرآن ١/٢١٤ ، والثعلبي في تفسيره ١/١٢١٧ .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/١٢١٨ عن ابن عباس وعطاء والأخفش .

(٤) في (م) : (الإسلام) .

(٥) بنحوه عند الرَّجَّاج في معاني القرآن ١/٢١٤ ، والثعلبي في تفسيره ١/١٢١٨ ، والسمرقندي في تفسيره ١/١٦٢ ، والرازي في تفسيره ٤/٩٣ .

(٦) في (ش) : (والذلة والجزية) .

(٧) تفسير الثعلبي ٣/١٢٢٠ ، ١/١٥٧ ، وتفسير القرطبي ٢/١٣١ ، والبحر المحيط ١/٤١٠ .

(٨) بنحوه مختصراً عند الثعلبي في تفسيره ٣/١٢١٨ ، والبغوي في تفسيره ١/١٥٦ .

(٩) ذكره في الوسيط عنه ، وبنحوه عن الضحاك ، كما في الدر المنثور ١/٢٥٨ .

وقالت العلماء : « لا يكون الرجل مؤمناً حتى يؤمن بسائر الأنبياء السابقين ، وجميع الكتب التي أنزلها الله على الرسل ، فيجب على الإنسان أن يُعَلِّمَ صبيانه ونساءه أسماء الأنبياء ويأمرهم بالإيمان بجميعهم ؛ إذ لا يعد أن يُظَنُّوا أنهم كَلَّفُوا الإيمان بمحمد ﷺ فقط ؛ فَيُلَقَّنُوا قوله تعالى : ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ ﴾ الآية .

١٣٨ . قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ : الصَّبْغُ : ما يُلَوَّنُ به الثياب ، والصَّبْغُ المصدر ، وأصله : المزجُّ للتلوين ، وما يُصْطَبَغُ به من الأطعمة يسمى : صِبْغاً وَصِبَاغاً ؛ لأنه مزج شيء بشيء ، ولون بلون^(١) .

قال الحسن^(٢) وقتادة^(٣) وأبو العالية^(٤) ومجاهد^(٥) والسُّدِّيُّ^(٦) وعطية^(٧) وابن زيد^(٨) : « دين الله » . فعلى هذا القول ، إنما سُمِّيَ الدينُ صِبْغَةً ؛ لأن المتدين يَلْزُمُهُ ولا يُفَارِقُهُ ، كما يلزم الصبغُ الثوب . والعرب تقول : « فلانٌ يَصْبِغُ فلاناً في الشر ، إذا أدخله فيه ، وألزمه إياه ، كما يلزم الثوب الصبغ ، خاطبهم الله في كتابه بمثل ما يعرفون في لغتهم » . أنشد ثعلب :

دَعِ الشَّرَّ وَأَنْزِلْ بِالنَّجَاةِ تَحَوُّزاً
إِذَا أَنْتَ لَمْ يَصْبِغِكَ فِي الشَّرِّ صَابِغٌ^(٩)

- (١) انظر : تهذيب اللغة (صبغ) ١٩٧٥ / ٢ ، ١٩٧٦ ، والبحر المحيط ١ / ٤١١ .
- (٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٢٤٥ .
- (٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١ / ٥٧١ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٢٤٥ .
- (٤) المراجع السابقة .
- (٥) المراجع السابقة .
- (٦) المراجع السابقة .
- (٧) المراجع السابقة .
- (٨) المراجع السابقة .
- (٩) البيت بلا نسبة في أساس البلاغة (دبغ) ، (صبغ) ، والمعجم المفصل ٣ / ٢٦٧ .

قال اللحياني : «تَصَبَّغَ فلان في الدين تَصَبُّغاً ، وَصِبْغَةً حَسَنَةً»^(١) .

وقال أبو عمرو : «كل ما يتقرب به إلى الله - عز وجل - فهو الصَّبْغَةُ»^(٢) .

وقال ابن عباس : «إن النصراني كانوا إذا وُلِدَ لأحدهم ولد ، فأتى على سبعة أيام غمسوه في ماء لهم ، يقال له : المعمودي ، وصبغوه به ليطهره بذلك مكان الختان»^(٣) ، ويقولون : هو تطهير له وتنظيف ، فجعل الله الختان للمسلمين تنظيفاً وتطهيراً ، وأمر به معارضةً للنصارى . فعلى هذا القول جرت الصبغة على الختانة ؛ لصبغهم غلمانهم في الماء» .

قال الأزهري : «يُقال : صَبَغَتِ الناقةُ مَشَافِرَها في الماء : إذا غمستها ، وصبغ يده في الماء»^(٤) ، قال :

قَدْ صَبَغَتْ مَشَافِرًا كَالْأَشْبَارِ^(٥)

فُسِّمِيَ الختانُ صبغةً من حيثُ كان بدل ما فعلوه من صبغهم أولادهم ، كما قال : ﴿ وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى : ٤٠] ، فسمى الثانية سيئة لما كانت في معارضة الأولى ، كذلك الختانة سماها الله تعالى صبغة ؛ لأنها تجري^(٦) للمسلمين

(١) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٢/ ١٩٧٦ ، وابن منظور في اللسان (صبغ) ٤/ ٢٣٩٦ .

(٢) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٢/ ١٩٧٦ ، وعنه ابن منظور في اللسان ٤/ ٢٣٩٦ .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١٢٢٣ ، وعنه البغوي في تفسيره ١/ ١٥٧ ، والواحدي في أسباب النزول

٤٤ ، ٤٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١/ ١٥١ ، وتفسير القرطبي ٢/ ١٣٢ ، والخازن في تفسيره

١/ ١١٦ ، وأبو حيان في البحر المحيط ١/ ٤١١ ، وابن حجر في العجائب ١/ ٣٨٢ .

(٤) تهذيب اللغة (صبغ) ٢/ ١٩٧٦ .

(٥) هذا رجز ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٢/ ١٩٧٦ ، وابن منظور في اللسان (صبغ) ٤/ ٢٣٩٦ ، ولم

ينسبها .

(٦) في (م) : (تجزي) .

مجرى صبغ النصارى أولادهم ، وهذا القول اختيار الفراء^(١) . ويحتمل أنه سُمِّي الختان صبغة ؛ لأنه يصبغ الولد بالدم .

وذكر أبو إسحاق في قوله : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ قولاً آخر ، هو مذهب أبي عبيدة^(٢) ، وهو أنه قال : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ أي : خِلْقَةَ اللَّهِ ، من صَبَغْتُ الثوب ، إذا غيرت لونه وخلقته ، فيجوز أن يسمى الخلقة صبغة ، والله تعالى ابتداء الخلقة على الإسلام بدليل قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢] .

وقوله : ﴿ فَطَرَتِ اللَّهُ اللَّيْلَ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠]^(٣) . وما رُوِيَ أن النبي ﷺ قال : « كل مولود يُولد على الفطرة »^(٤) معناه أن كل مولود يولد في العالم على ذلك الإقرار الأوّل ، وعلى ذلك العهد حين قالوا : ﴿ بَلَى ﴾ وهو الفطرة ، ومعنى الفطرة^(٥) ابتداء الخلقة . ثم يهودُ اليهودُ أبناءهم ، ويُمَجِّسُ المجوسُ أبناءهم ، وليس الإقرار الأوّل مما يَقَعُ به حكم ، أو عليه ثواب .

وانتصب قوله : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ عند الأخفش^(٦) على البدل من قوله : ﴿ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ، وذكر الزّجاج^(٧) في انتصابه الوجهين اللذين ذكرنا في ﴿ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ، وقال أبو عبيد : « نصب على الإغراء ، أي : الزموا واتبعوا »^(٨) .

(١) معاني القرآن للفراء ٨٢/١ ، وانظر : الزاهر ١٤٥/١ ، وتفسير الطبري ٥٧٠/١ .

(٢) مجاز القرآن ٥٩/١ .

(٣) معاني القرآن للزّجاج ٢١٥ ، ٢١٦ ، وتفسير الثعلبي ١٢٢١/١ .

(٤) أخرجه البخاري ١٣٨٥ ، كتاب : الجنائز ، باب : ما قيل في أولاد المشركين ، ومسلم ٢٦٥٨ ، كتاب :

القدر ، باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة ٢٠٤٧/٤ ، حديث رقم ٢٦٥٨ .

(٥) ليست في (أ) و(م) .

(٦) معاني القرآن للأخفش ١٥٠/١ ، وانظر : تفسير الثعلبي ١٢٢٤/١ .

(٧) معاني القرآن للزّجاج ٢١٥/١ .

(٨) ذكره عنه الثعلبي في تفسيره ١٢٢٣/١ ، وذكر هذا الوجه ابن الأنباري في البيان في غريب إعراب

القرآن ١٢٦/١ ، وأبو حيان في البحر ٤١٢/١ ، والبغوي في تفسيره ١٥٧/١ .

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْكَ اللَّهُ صَبْعَةً﴾؛ أي ديناً على القول الأول، وعلى قول ابن عباس: تطهيراً، ومعناه أن التطهير الذي أمر الله به مبالغ في النظافة، وعلى قول أبي إسحاق: «فطرة وخلقة».

١٣٩. قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا﴾: الخطاب ليهود المدينة، ونصارى نجران، ومحاجتهم أنهم قالوا: إن أنبياء الله كانوا منا، وديننا هو الأقدم، وكتابنا هو الأسبق، ولو كنت نبياً كنت منا، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا﴾^(١)؛ أي أتخاصموننا وتجادلوننا. والمحاجة: مفاعلة من الحجة^(٢). وظاهر الألف: الاستفهام، ومعناه التوبيخ والتقرير هاهنا^(٣)، وذكرنا في سورة آل عمران لِم صار لفظ الاستفهام للتوبيخ.

وقوله تعالى: ﴿فِي اللَّهِ﴾؛ أي في دين الله^(٤)، ولنا أعمال نجازى بحسنها وسيئها، وأنتم في أعمالكم على مثل سبيلنا، لا يؤخذ بعض^(٥) بذنوب بعض. ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾؛ أي موحدون^(٦)، ومعنى الإخلاص التنقية من الشوائب^(٧).

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١٢٢٤، والواحدي في الوسيط ١/ ٢٢٣، والوجيز ١/ ٥٠٦، والبغوي في تفسيره ١/ ١٥٧، والخازن في تفسيره ١/ ١١٦، وأبو حيان في البحر ١/ ٥٨٥.

(٢) تفسير الثعلبي ١/ ١٢٢٤، وتفسير البغوي ١/ ١٥٧، والبحر المحيط ١/ ٤١٢.

(٣) قال أبو حيان في البحر المحيط ١/ ٤١٣: «والهمزة للاستفهام مصحوباً بالإنكار عليهم». انظر: تفسير القرطبي ٢/ ١٣٣.

(٤) في تفسير الثعلبي ١/ ١٢٢٤، قال: «وذلك أنهم قالوا: يا محمد إن الأنبياء كانوا منا وعلى ديننا، ولم يكن من العرب نبي، فلو كنت نبياً لكنت منا وعلى ديننا». انظر: تفسير البغوي ١/ ١٥٧، وتفسير الخازن ١/ ١١٦.

(٥) في (ش): (بعضنا).

(٦) تفسير الثعلبي ١/ ١٢٢٤.

(٧) انظر: تفسير الثعلبي ١/ ١٢٢٥-١٣٣٢، وقد أفرد فصلاً في معنى الإخلاص، وتفسير البغوي ١/ ١٥٧.

ولقد سألت الأستاذ أبا إسحاق أحمد بن محمد^(١) - رحمه الله - فحدثني بإسناده مسلسلاً^(٢) أن حذيفة^(٣) - رضي الله عنه - قال : سألت النبي ﷺ عن الإخلاص : ما هو ؟ قال : «سألت جبريل عن الإخلاص ، ما هو ؟ قال : سألت ربَّ العزة عن الإخلاص ، ما هو ؟ قال : سرٌّ من سرِّي ، استودعته قلب مَنْ أحببتُ من عبادي»^(٤) .

قال ابن الأنباري : «وفي الآية إضمار واختصار» ، أراد : ونحن له مخلصون ، وأنتم غير مخلصين ، فحذف اكتفاء بقوله : ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ .

قال : «ومعنى الآية : أتحتجون علينا ، وأنتم مشركون كافرون بالأنبياء ، ونحن مخلصون له بالعبادة والتوحيد ؟ ومَنْ هو على مثل سبيلكم ، الواجبُ عليه أن يتشاغل بالفكر في عماه ، وأن لا ينازع وينظر من يعلم^(٥) أنه أرشد منه وأهدى سبيلاً» . وتلخيص الآية : لا حجة لكم علينا في دين ربنا ؛ إذ كنا نخلص له^(٦) ، ولا نعبد معه سواه ، وأنتم تجعلون له الشركاء والأنداد^(٧) .

(١) يعني الثعلبي .

(٢) هذا الحديث مسلسل بالسؤال عن الإخلاص من أدناه إلى أعلاه .

(٣) هو حذيفة بن اليمان العبسي ، حليف الأنصار ، صحابي جليل من السابقين ، أعلمه النبي ﷺ بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة ، انظر : صحيح مسلم ، وأبوه صحابي أيضاً ، توفي في أوّل خلافة علي سنة ٣٦ هـ . انظر أيضاً : تقريب التهذيب : ص ١٥٤ ، (١١٥٦) ، وأسد الغابة لابن الأثير ١/ ٤٦٨ .

(٤) رواه الثعلبي في تفسيره ١/ ١٢٢٥ ، وذكره الديلمي في مسند الفردوس ٣/ ١٨٧ عن علي وابن عباس مرفوعاً ، وذكره القرطبي في تفسيره ٢/ ١٣٤ ، وأبو حيان في البحر المحيط ١/ ٤١٣ ، والألوسي في روح المعاني ١/ ٣٩٩ ، والحديث في إسناده أحمد بن عطاء ، وعبد الواحد بن زيد ، وقال عنه الحافظ ابن حجر في الفتوح ٤/ ١٠٩ : «حديث وإه جداً» ، وضعّفه أيضاً خالد العنزي في تحقيقه تفسير الثعلبي ١/ ١٢٢٧ .

(٥) في (ش) : (يعلم الله) .

(٦) في (ش) : (معه) .

(٧) انظر : البحر المحيط ١/ ٤١٣ ، ٤١٤ .

١٤٠. قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ : قُرِئَ بـالتاء والياء^(١) ، فمن قرأ بـالتاء ؛ فلأن ما قبله من قوله : ﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا ﴾ ، وما بعده من قوله : ﴿ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ ﴾ بـالتاء . ومن قرأ بـالياء ؛ فلأن المعنى لليهود والنصارى ، وهم غَيْبٌ^(٢) . ومعنى الآية : كأنه قيل لهم : بأي الحجتين تتعلقون ؟ أـبالتوحيد ، فنحن موحدون ، أم باتباع دين الأنبياء ، فنحن متبعون دونكم ؟^(٣) ، فمن الجهتين جميعاً لا تلزمنا لكم حجة . هذا على قراءة من قرأ^(٤) بـالتاء ، وتكون الآية متصلة بما قبلها من الاستفهام الذي معناه الإنكار ، ومن قرأ بـالياء فمعناه الانقطاع إلى حجاج آخر غير الأول ، كأنه قيل : بل أيقولون إن الأنبياء من قبل أن تنزل التوراة والإنجيل كانوا هوداً أو نصارى ؟ كأنه أعرض عن خطابهم استجهالاً لهم بما كان منهم ؛ كما يُقبل العالم على من بحضرته بعد ارتكاب مخاطبه جهالة شنيعة ، هذا كله قول أصحاب المعاني في هذه الآية^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ ؛ أي قد أخبرنا الله أن الأنبياء كان دينهم الإسلام ، ولا أحد أعلم منه^{(٦)(٧)} .

(١) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر ، وأبو عمرو بـالياء ، وقرأ الباقون بـالتاء . انظر : السبعة ١٧١ ، والحجة لأبي علي ٢/٢٢٩ ، والكشف لمكي ١/٢٦٦ .

(٢) من الحجة ٢/٢٢٩ بتصرف . انظر : الثعلبي في تفسيره ١/١٢٣٢ ، والبغوي في تفسيره ١/١٥٨ .

(٣) كذا قال الزَّجَّاج في معاني القرآن ١/٢١٧ .

(٤) في (م) و(ش) : (قرأ) .

(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١/٢١٧ .

(٦) ساقط من (ش) .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/٢١٧ .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ توبيخ من الله لليهود بعد أن قامت الحجة عليهم ^(١) .

قال ابن عباس : «يريد مَنْ أَظْلَمُ مَنْ كَتَمَ شهادته التي أشهد عليها» ، يريد أن الله أشهدهم في التوراة والإنجيل أنه باعث فيهم محمد بن عبد الله من ذرية إبراهيم ، وأخذ على ذلك موثقتهم أن يبينوه للناس ولا يكتموه ، فكتموه وكذبوا فيه ^(٢) .

وقال مجاهد ^(٣) والربيع ^(٤) : «الشهادة في أمر إبراهيم والأنبياء الذين ذكرهم وأنهم كانوا حنفاء مسلمين ، فكتموها ، وقالوا : إنهم كانوا هوداً أو نصارى» ^(٥) .

وحكى ابن الأنباري عن بعضهم أن هذا من كلام المسلمين ، يريدون : من أظلم منا إن تابعناكم على ما تقولون ، بعد ما وقفنا على كذبكم بإعلام الله إيانا ، وكتمان أمر محمد ، والشهادة له بالنبوة ، بعد أن ثبتت ^(٦) عندنا نبوته بإخبار الله تعالى إيانا .

(١) البحر المحيط ١/ ٤١٥ .

(٢) هذا من رواية عطاء التي تقدم ذكرها في المقدمة ، ويذكر قريب منه عن غير ابن عباس عند الطبري في تفسيره ١/ ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٤٦ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٥٧٤ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٥٧٥ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٤٦ .

(٥) رجّح هذا القول الطبري في تفسيره ١/ ٥٧٥-٥٧٧ ، مبيناً أن هذه الشهادة جاءت بعد ذكر هؤلاء الأنبياء ؛ فأولى بها أن تكون متصلة بهم لا بموضوع آخر ، والشهادة التي عندهم ما أنزل الله إليهم في التوراة والإنجيل من الأمر بمتابعة هؤلاء المذكورين من الأنبياء ، وأنهم كانوا حنفاء مسلمين ، فكتموا ذلك حينما دعاهم إليه رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، ورجّحه أيضاً أبو حيان في البحر ١/ ٤١٥ ، مبيناً أنه أشبهه بالسياق .

(٦) في (م) : (ثبت) .

١٤١. قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَةٌ فَدَخَلَتْهَا مَا كَسَبَتْ﴾؛ أي ثواب ما كسبت، ﴿وَلَكُمْ﴾ ثواب ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾^(١)، وحسن تكرير هذه الآية؛ لأن الحجاج إذا اختلفت مواطنه حسن تكريره للتذكير به^(٢).

١٤٢. قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ الآية، نزلت هذه الآية في تحويل القبلة إلى الكعبة.

قال ابن عباس: «عنى بالسفهاء يهود المدينة»^(٣)، وقال الحسن: «يعني مشركي مكة».

وقال السُّدِّي: «يعني منافقي المدينة؛ وذلك أن المشركين قالوا لما توجه النبي ﷺ إلى الكعبة: قد اشتاق محمد إلى مولده، ومولد آبائه، وقد توجه نحو قبلتكم، وهو راجع إلى دينكم. وقالت اليهود: قد تردد على محمد أمره، ولا يدري أين يتوجه. وقالت المنافقون استهزاء بالإسلام والمسلمين: ﴿مَا وَلَلَهُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ﴾^(٤)، والسفهاء: جمع سفيه، وهو الخفيف إلى ما لا يجوز له أن يخف إليه»^(٥)، وذكرنا هذا في ما تقدم.

(١) معاني القرآن للزجاج ٢١٨/١.

(٢) انظر: الوسيط ٢٢٤/١، والبحر المحيط ٤١٥/١. وقال: «وليس ذلك بتكرار؛ لأن ذلك ورد إثر شيء مخالف لما وردت الجمل الأولى بإثره، وإذا كان كذلك فقد اختلف السياق فلا تكرر، بيان ذلك: أن الأولى وردت بإثر ذكر الأنبياء فتلك إشارة إليهم، وهذه وردت عقب أسلاف اليهود والنصارى فالشار إليه هم».

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١/٢، وذكره ابن حاتم في تفسيره ٢٤٧/١.

(٤) انظر: تفسير البغوي ١٥٨/١.

(٥) انظر: اللسان (سفه) ٢٠٣٢/٤.

وقوله تعالى : ﴿ مَا وَلَّهُمْ مِنْ قِبَلِهِمْ ﴾ ؛ أي عَدَلَهُمْ وصرَفَهُمْ ^(١) ، ونذكر أصل هذا الحرف عند قوله : ﴿ وَلِكُلِّ وُجْهٌ هُوَ مُوَلِّهَا ﴾ [البقرة : ١٤٨] .

وقوله تعالى : ﴿ عَنْ قِبَلِهِمْ ﴾ : القبلة : الوجهة ، وهي الفعلية من المقابلة ، والعرب تقول : « ما له قِبلة ولا دِبرة » ، إذا لم يهتدِ إلى جهة أمره . وأصل القبلة في اللغة : الحالة التي يقابل الشيء غيره عليها ، كالجلسة للحال التي يجلس عليها ، إلا أنها الآن صارت كالعلم للجهة التي تستقبل في الصلاة ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَيْكَ كَافُؤُا عَلَيْهِمَا ﴾ : يعنون بيت المقدس ، في قول أكثر المفسرين ، والضمير في قبلتهم : للنبي ﷺ وأصحابه .

وقال عطاء عن ابن عباس : « يريد التي كان عليها إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ^(٣) ، وهذا على زعمهم ؛ لأنهم كانوا يدعون أن قبلة إبراهيم كانت بيت المقدس ، وعلى هذا القول الضمير ^(٤) في ﴿ قِبَلِهِمْ ﴾ لإبراهيم ومن ذكر بعده ، كأنهم قالوا : ما ولى النبي وأصحابه عن قبلة إبراهيم والأسباط . والقول هو الأوّل ، وعليه المفسرون .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ ؛ أي له أن يأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء ^(٥) .

وقيل : أراد بالمشرك الكعبة ؛ لأن المصلي في المدينة إذا توجه إلى الكعبة فهو متوجه إلى المشرق ، وإذا توجه إلى بيت المقدس فهو متوجه إلى المغرب ^(٦) .

(١) تفسير الطبري ٢/٢ ، وتفسير القرطبي ١٣٧/٢ ، ١٣٨ .

(٢) اللسان (قبل) ٣٥١٧/٦ .

(٣) قريب منه في تفسير ابن أبي حاتم ٢٤٧/١ .

(٤) ساقط من (م) .

(٥) كذا في تفسير القرطبي ١٤٠/٢ .

(٦) ذكره أبو حيان في البحر ٤٢١/١ .

وقوله تعالى : ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ : قال ابن عباس : «إلى دين مستقيم» ، يريد أني قد رضيت قبله أولئك ، ورضيت هذه القبلة لمحمد ﷺ . ودين الله يسمى صراطاً مستقيماً ؛ لأنه يؤدي إلى الجنة ؛ كما يؤدي الطريق المستقيم إلى البغية^(١) .

١٤٣ . قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ الآية . قال أهل المعاني : «التشبيه في قوله : ﴿وَكَذَلِكَ﴾ يرجع إلى ذكر الأنبياء الذين أنعم الله عليهم ، وهم إبراهيم وأولاده ، فلما ذكرهم وذكر النعمة عليهم بالكتاب المنزل ، والحنيفية المستقيمة ، قال : ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي : وكما اخترنا إبراهيم وذريته واصطفيناهم ، كذلك جعلناكم أمةً وسطاً»^(٢) .

وقيل : هذه الآية تتصل بما قبلها من قوله : ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ؛ أي هديناكم وخصصناكم دونهم بالصراط المستقيم ، وتحويل قبلكم إلى قبلة إبراهيم ، وكذلك أنعمنا عليكم نعمة أخرى ، فقال : إِنَّا جَعَلْنَاكُمْ عَدُولاً^(٣) .

وقوله : ﴿وَسَطًا﴾ : الوسط هو اسم لما بين طرفي الشيء . قال الفراء : «الْوَسَطُ المثل : اسم ، كقولك : رأسٌ وسط وأسفل ، ولا تقولن هاهنا : وسط بالتخفيف ، واحتجم وَسَطُ رأسه ، وربما خفف ، وليس بالوجه . وجلس وَسَطُ القوم ، ولا تقول^(٤) : وَسَط ؛ لأنه في معنى بين القوم ، وجلس وَسَطُ الدار ؛ لأن (بين) لا يصلح في هذا الموضع ، وربما خفف» .

(١) انظر : تفسير القرطبي ١٤٠ / ٢ .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ١٢٣٥ / ١ ، وتفسير البغوي ١٥٨ / ١ ، وتفسير الرازي ٩٦ / ٤ ، ٩٧ .

(٣) ذكر الرازي في التفسير الكبير ٩٦ / ٤ ، ٩٧ وجوهاً أخر . انظر : المحرر الوجيز ٣ / ٢ ، ٤ ، والبحر المحيط ٤١٢ / ١ .

(٤) في (أ) : (ولا يقول) .

قال الفرّاء : «قال ابن يونس : سمعت وُسْطَ وَوْسَطَ بمعنى»^(١) . قال الشاعر :

قالوا يال أشجعَ يومَ هَيْجٍ وَوْسَطَ الدارِ ضَرْباً واختِايا^(٢)

قال أحمد بن يحيى : «ما اتحدت أجزاءه فلم يتميز بعضه من بعض فهو وَسْطَ بتحريك السين ، نحو : وَسْطَ الدار ، وَسْطَ الرأس والكف ، وما أشبهها . وما التفت أجزاءه متجاوزة ، بعضها يتميز^(٣) من بعض ، كالعقد ، وحلقة الناس ، فهو وَسْطَ»^(٤) . ومما يصدق هذا ما روي في الخبر : «الجالس وَسْطَ الحلقة ملعون»^(٥) ، لم يُروَ إلا بالتخفيف ، وقال محمد بن يزيد : «ما كان اسماً فهو وَسْطَ ، محرّك السين ، نحو قولك : وَسْطَ رأسه صلبٌ ، وَوْسَطَ داره واسع ، وما كان طرفاً فهو وَسْطَ ، مسكن السين ، نحو قولك : وَسْطَ رأسه دهن ، وَوْسَطَ داره رجل أي : في وسط داره ، وفي وسط رأسه»^(٦) .

قال الفرّاء : «ويقال : وسطتُ القومَ سِطَةً ووسوطاً إذا دخلت وسطهم : قال الله تعالى : ﴿فَوَسَّطْنَاهُ جَمْعًا﴾ [العاديات : ٥]»^(٧) .

(١) قال الجوهري : «كل وضع صلح فيه بين فهو وَسْطَ ، وإن لم يصلح فيه بين فهو وَسْطَ بالتحريك» ، وقال : «وربما سكن ، وليس بالوجه» ، وذكر البيت .

(٢) البيت نسبته في اللسان (وسط) ٨ / ٤٨٣١ إلى أعصر بن سعد بن قيس عيلان .

(٣) في (م) : (يتميز بعضها من بعض) .

(٤) نقله عنه بمعناه في تهذيب اللغة ٤ / ٢٨٨٨ ، وتفسير الثعلبي ١ / ١٢٣٤ ، واللسان (وسط) ٨ / ٤٨٣٢ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥ / ٣٨٤ عن حذيفة ، في الذي يقعد في وسط الحلقة ، قال : «ملعون على لسان» ٢٢٧٥٢ ، والترمذي ٢٧٥٣ ، كتاب : الأدب ، باب : كراهية القعود وسط الحلقة ، وأبو داود ٤٨٢٦ ، كتاب : الأدب ، باب : في الجلوس وسط الحلقة ، وقال الترمذي : «حسن صحيح» .

(٦) نقله عنه بمعناه في تهذيب اللغة ٤ / ٢٨٨٨ ، واللسان (وسط) ٨ / ٤٨٣٢ .

(٧) نقله عنه بمعناه في اللسان ٨ / ٤٨٣٣ . انظر : معاني (الوسط) في المفردات ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، والبحر المحيط ١ / ٤١٨ ، واللسان (وسط) ٨ / ٤٨٣١ - ٤٨٣٤ .

فَأَمَّا التفسير فقال عَظُمَ أهل التفسير في قوله : ﴿أُمَّةٌ وَسَطًا﴾ ؛ أي عدلاً خياراً^(١) ، وروى ذلك في حديث مرفوع ، أخبرناه الأستاذ أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمش الزيادي^(٢) - رحمه الله - ثنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص الزاهد^(٣) ، ثنا إبراهيم بن عبد الله الكوفي العسبي^(٤) ، ثنا وكيع^(٥) ، عن الأعمش^(٦) ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «يدعى نوح يوم القيامة ، فيقال له^(٧) : هل بلغت ؟ فيقول : نعم . فيدعى قومه ، فيقال لهم : هل بلغتكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير ، وما أتانا من أحد ، فيقال لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد ﷺ وأُمته ، فذلك قوله عز وجل : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾»^(٨) .

والوسط : العدل ، ثم اختلفوا لم سُمِّيَ العدل وسطاً ؟ فقالت طائفة : «هذا مأخوذ من وسط الوادي والقاع ، وهو خير موضع فيه ، وأكثره كلاً وماءً ، وذلك

(١) انظر : تفسير الطبري ٧/٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٤٩/١ ، وتفسير الثعلبي ١٢٣٤/١ ، والمحرر الوجيز ٤/٢ ، ٥ ، وتفسير القرطبي ١٤٠/٢ .

(٢) هو محمد بن محمد بن محمش الزيادي ، أبو طاهر ، من شيوخ الواحدي ، كان إمام أصحاب الحديث بخراسان ، وفقههم ومفتيهم ، أخذ الواحدي عنه ، توفي سنة ٤١٠ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ١٧/٢٧٦-٢٧٨ ، وتذكرة الحفاظ ٣/١٠٥١ .

(٣) هو الإمام الزاهد المعمر أبو بكر محمد بن عمر بن حفص النيسابوري العابد ، سمع سهل بن عمار وغيره ، روى عنه أبو طاهر بن محمش وغيره ، توفي سنة ٣٣٥ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ١٥/٣٧٦ .

(٤) هو إبراهيم بن عبد الله العسبي الكوفي أبو شيبه ، سمع من أبي نعيم وقيصة والإمام أحمد وغيرهم ، وحدث عنه ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة . قال أبو حاتم : «صدوق» ، توفي سنة ٢٦٥ هـ . انظر : السير ١١/١٢٨ ، والجرح والتعديل ٢/١١٠ .

(٥) هو وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي الكوفي الحافظ ، تقدمت ترجمته .

(٦) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي ، تقدمت ترجمته [البقرة : ٦٠] .

(٧) ساقط من (ش) .

(٨) أخرجه البخاري ٣٣٣٩ ، كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله ﷻ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ ، ورواه أحمد ٣/٣٢ ، ٥٨ ، والطبري في تفسيره ٨/٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٩/١ .

أن في غالب الأمر الماء يبرح وسط الوادي ؛ لأنه في الصيف وشدة الحر ينحسر عن الأطراف إلى جوف الوادي ، فيكون الكلاً هناك أكثر ، ولذلك تقول العرب : انزل وسط الوادي ، أي ^(١) : خير مكان منه ^(٢) ، فعلى هذا (الوسط) اسم وصف به ^(٣) ، ومنه قول زهير :

هم وَسَطٌ يرضى الأناُم بحكمهم ^(٤) البيت .

ويحتمل على هذا الاشتقاق أنه أراد : هم وسط بين طرفين : أحدهما : الغلو .

والثاني : التقصير ، وهما مذمومان ، وهذا قول الكلبي ^(٥) .

(١) في (م) : (انزل إلى وسط الوادي إلى) ، وفي (أ) : (انزل وسط الوادي إلى) ، وما أثبتته موافق لما في تفسير الثعلبي ١٢٤٣/١ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢١٩/١ ، وتفسير الثعلبي ١٢٣٣/١ .

(٣) انظر : اللسان (وسط) ٤٨٣٤/٨ .

(٤) البيت تتمته :

إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

ذكره بهذا اللفظ الجاحظ في البيان والتبيين ٣/٣٢٥ ، لكنه قال : «يرضى الإله» ، وهو تحريف مفسد للمعنى ، وذكره ابن قتبية في غريب القرآن ٦٣ ، ولم ينسبه ، وذكره الطبري في تفسيره ٦/٢ ، والثعلبي في تفسيره ١/١٢٣٤ ، والسمعاني في تفسيره ٨٠/٢ ، وأبو حيان في البحر المحيط ١/٤١٨ ، والسمين في الدر المصون ١/٣٩٣ ، وقال المعلق على تفسير الطبري ٦/٢ : «البيت من معلقة زهير ، وروايته كما في ديوانه بشرح ثعلب ، وفي شرحي التبريزي والزوزني للمعلقات ، وكما في جمهرة أشعار العرب للقرشي :

لحيٍّ حلالٍ يعصمُ الناسُ أمرَهُمْ إذا طرقت إحدى الليالي بِمُعْظَمٍ .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ١/١٢٣٤ ، وذكره البغوي في تفسيره ١/١٥٨ .

قال أهل المعاني: «لما صار ما بين^(١) الغلو والتقصير خيراً منهما^(٢) صار الوسط ، والأوسط عبارة عن كل ما هو خير ، وإن لم يتصور فيه الغلو والتقصير ، حتى قالوا : هو من أوسطهم نسباً ، أي : خيرهم ، قال الله تعالى : ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم : ٢٨] ، قيل في تفسيره : خيرهم وأعدلهم^(٣) ، وقال النبي ﷺ : «خير هذا الدين النمط الأوسط»^(٤) . فعلى هذا ، أمة محمد ﷺ وسط ، أي : عدول ؛ لأنهم لم يغلوا غلو النصراني ، ولا قَصَّروا تقصير اليهود ، في حقوق أنبيائهم ، بالقتل والصلب»^(٥) .

وقالت طائفة : «وَسَطَ جمع واسط ، وفَعَلَ يجوز في جمع فاعل ، نحو : خَدَم ونَشَأ . والواسط : الذي يَسِطُ الشيء ، أي : يتوسطه» . قال الشاعر :

وَسَطْتُ نسبتي الذوائبَ منهم كلُّ دارٍ فيها أبٌّ لي عظيمٌ^(٦)^(٧)

وفلان من واسطة قومه ؛ أي من أعيانهم ، وهذا يحتمل أمرين :

أحدهما : إن نسبه توسط نسبهم ، فهو كريم الطرفين ، أبوه وأمه من ذلك النسب .

(١) من قوله : «الغلو» ساقط من (ش) .

(٢) في (ش) : (مبهماً) .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٢٣٤ .

(٤) قال العراقي في تخريج الإحياء ١/ ١٠٦ : «حديث : عليكم بالنمط الأوسط» ، رواه أبو عبيد في غريب الحديث موقوفاً على علي بن أبي طالب ، ولم أجده مرفوعاً ، وذكره في اللسان (وسط) ٨/ ٤٨٣٣ من كلام علي . وفي تفسير القرطبي ٢/ ١٤٠ ، ١٤١ : «عليكم بالنمط الأوسط ، فأليه ينزل العالي وإليه يرتفع النازل» . والنمط : جماعة من الناس أمرهم واحد ، وقيل هو الطريقة .

(٥) انظر : المحرر الوجيز ١/ ٣-٥ .

(٦) سقطت من (م) .

(٧) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه ٢٢٥ .

والثاني : إنه أخذ من واسطة القلادة ؛ لأنه يجعل فيه أنفَسَ خَرَزَهَا . قال بعض سعد بن زيد مناة :

وَمَنْ يَفْتَقِرْ فِي قَوْمِهِ يَحْمَدِ الْغَنَى
وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ وَاسِطَ الْعَمِّ مُخُولًا^(١)
قوله : واسط العم يحتمل المعنيين^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ : قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد : على جميع الأمم ، وذلك أن^(٣) الله تعالى إذا جمع الأولين والآخرين ، أتى بالناس أمة بعد أمة ، فيؤتى بأمة نوح ، فيسألهم عما أرسل إليهم ، فينكرون أن نوحاً بلغهم ما أرسل به إليهم ، فيقول الله تعالى لنوح : ما فعلت في ما أرسلتك ؟ فيقول : بلغته قومي فكذبوني وعصوك ، فيقول الله له : زعموا أنك لم تبلغهم فهل لك شهيد ؟ فيقول : نعم ، محمد وأمته ، فيدعى بأمة محمد ، فيقول الله تعالى : بـم تشهدون لنوح ؟ فيقولون : نشهد أنه قد بلغ رسالاتك ، فكذبوه وعصوك ، فتقول أمة نوح : هؤلاء بعدنا يا رب ؛ كيف يشهدون علينا ؟ فيقولون : ربنا أرسلت إلينا رسولاً ، فآمنّا به وصدقناه ، فكان في ما أنزلت عليه : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء : ١٠٥] إلى قوله : ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء : ١١١] . قال : ثم يؤتى بأمة بعد أمة فيشهدون عليهم^(٤) .

وشهداء : لا ينوّن ؛ لأن فيه ألف التانيث ، وألف التانيث يبنى معها الاسم ، وجعل الجمع بألف التانيث كما جعل بهاء التانيث ، نحو : أَجْرِبَةً ، وَأَغْرِبَةً ،

(١) البيت لجابر بن الثعلب الطائي ، انظر : ديوان الحماسة ١/ ١٠٩ .

(٢) انظر : زاد المسير ١/ ١٥٤ .

(٣) في (م) : (لأن الله) .

(٤) ذكره بمعناه من غير نسبة الثعلبي في تفسيره ١/ ١٢٣٦ ، وانظر : تفسير البغوي ١/ ١٥٨ ، ومعناه حديث أبي سعيد عند البخاري ٧٣٤٩ ، كتاب : الاعتصام ، باب : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ ، ورواه الترمذي ٢٩٦١ ، كتاب : التفسير ، باب : ومن تفسير سورة البقرة ، والنسائي في التفسير ١٩٧/ ١ ، وابن ماجه ٤٢٨٤ ، كتاب : الزهد ، باب : صفة أمة محمد ﷺ .

وَضَرَبَةً، وَكُتِبَتْ^(١). قال ابن زيد في هذه الآية: «الأشهاد أربعة: الملائكة، والأنبياء، وأمة محمد ﷺ، والجوارح، وهذا كقوله: ﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر: ٦٩]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾: قال المفسرون: «وذلك أن محمداً ﷺ يُسأل عن حال أمته، فيزكيهم، ويشهد بصدقهم»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ﴾؛ أي لكم^(٤)، كقوله^(٥): ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]؛ أي للنصب، وقيل: معناه: على صدقهم، فهو من باب حذف المضاف^(٦).

قال ابن جريج: «قلت لعطاء: ما معنى: ﴿لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾؟ قال: أمة محمد شهداء على من ترك الحق من الناس أجمعين^(٧)، حين جاءه الهدى والإيمان، فذكر الله في كتابه: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ يشهد على أنهم آمنوا بالحق حين جاءهم، وقبلوا، وصدقوا به».

(١) من معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٢٠ بتصرف. أجربة: جمع جريب، والأصل فيه: كل أرض ذات حدود، ثم استعمل في مقدار معين من الأرض، وهو يستعمل في المساحة والكيل، وضربة: جمع ضارب.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١١/ ٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١١-٩/ ٢، وتفسير الثعلبي ١/ ١٢٣٥. وقال في البحر المحيط ١/ ٤٢٢: «وفي شهادته أقوال: أحدها: شهادته عليهم أنه قد بلغهم رسالة ربه. والثاني: شهادته عليهم بإيمانهم. والثالث: يكون حجة عليهم. والرابع: تركيته لهم وتعديلهم»، ثم عزا هذا القول إلى أكثر المفسرين.

(٤) انظر: تفسير الثعلبي ١/ ١٢٣٥.

(٥) في (م): (لقوله).

(٦) انظر: البحر المحيط ٢/ ٤٢٣.

(٧) رواه الطبري في تفسيره ١١/ ٢، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٥٠، والبغوي في تفسيره ١/ ١٥٩.

وقوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ : اختلف أهل المعاني في هذا ، فقال بعضهم : «إن الله تعالى تعبد نبيه والمسلمين بالصلاة إلى بيت المقدس حيث^(١) كانوا بمكة في أول الأمر مخالفةً للمشركين ؛ ليتبين إيمان المؤمن ونفاق المنافق ، إذ كانت العرب تحب الكعبة ، وترغب في الصلاة إليها ، ولا يعجبهم الصلاة إلى بيت المقدس ، فتعبدهم الله بما يشق عليهم ، امتحاناً واختباراً ؛ ليظهر إيمان المؤمن عند صبره على ما يحب ، ويتبين نفاق المنافق عند خلافه ربّه في إثارة هواه ، فكأنه قال : تعبدناكم بالصلاة إلى بيت المقدس برهنة من الدهر ؛ لنمتحنكم بذلك ، ونختبركم» .

وعلى هذا التأويل خبر ﴿جَعَلْنَا﴾ محذوف ، معناه : وما جعلنا القبلة التي كنت عليها قبلة إلا لهذا ، فحذف المفعول الثاني ؛ لإحاطة العلم ، ويقال : إن ﴿جَعَلْنَا﴾ هاهنا لا يقتضي^(٢) مفعولاً ثانياً ؛ لأنه في تأويل نصبنا .

وقال بعضهم : «إن النبي ﷺ لما^(٣) هاجر إلى المدينة أمر بالتوجه إلى الكعبة مخالفةً لليهود وامتحاناً للمؤمنين ، وعلى هذا التأويل^(٤) تقدير الآية : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ فيكون من باب حذف المضاف^(٥) ، ويحتمل أن يكون التقدير : وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة ، فأضمر المفعول الثاني ، كما ذكرنا في الوجه الأوّل .

(١) في (ش) : (حين) .

(٢) في (ش) : (تقتضي) .

(٣) ساقطة من (ش) .

(٤) في (م) : (وعلى هذا التقدير تأويل الآية) .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٢٣٦ .

وتحتمل الآية على هذا التأويل وجهاً ثالثاً، وهو أن ﴿كُنْتَ﴾ بمعنى أنت^(١)، والتقدير: وما جعلنا القبلة التي أنت عليها - وهي الكعبة - قبلةً، فحذف المفعول الثاني، أو أراد بـ (جعلنا) معنى نصبنا، كما بيّنا .

ويجوز أن يريد بمعنى الكون: الحال، كقوله: ﴿كَيْفَ تُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩]؛ أي من هو في الحال صبي، وكقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ أي أنتم . ويؤكد هذا التأويل الثاني أن جماعة من اليهود لما صرفت القبلة إلى الكعبة، قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس: أكانت هدىً أو ضلالةً؟ فإن كانت هدىً فقد تحولتم عنها، وإن كانت ضلالةً فقد دنتم الله بها، فقال المسلمون: إنما الهدى ما أمر الله به، والضلالة ما نهى الله عنه، عيروهم بنسخ القبلة^(٢) .

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾: والله تعالى عالم لم يزل، ولا يجوز أن يحدث له علم .

واختلف أهل المعاني في وجه تأويله^(٣):

(١) انظر: تفسير الثعلبي ١/١٢٣٦، وتفسير البغوي ١/١٥٩، والكشاف ١/١٩٩، وروي هذا عن ابن عباس .

انظر: البحر المحيط ١/٤٢٣، وقال: «وهذا من ابن عباس - إن صح - تفسير معنى، لا تفسير إعراب؛ لأنه يؤول إلى زيادة كانت الرافعة للاسم والناصة للخبر، وهذا لم يذهب إليه أحد» .

(٢) ذكره مقاتل في تفسيره ١/١٤٥، ١٤٦، والثعلبي في تفسيره ١/١٢٣٨ . انظر بعض الآثار التي تدل على هذا عند الطبري في تفسيره ٢/١١، ١٢، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٤٨، وانظر: الوجوه الإعرابية في البحر المحيط ١/٤٢٣، والبيان للعكبري ٩٨ .

(٣) انظر وجوه تأويل هذا في: تفسير الطبري ٢/١٢-١٤، وتفسير البغوي ١/١٦٠، والمحرر الوجيز ٨، ٧/٢، ومعاني القرآن للزجاج ١/٢٢٣، والبحر المحيط ١/٤٢٤ .

فذهبت جماعة إلى أن العلم له منزلتان : علم بالشيء قبل وجوده ، وعلم به ^(١) بعد وجوده ، والحكم للعلم بعد الوجود ؛ لأنه يوجب الثواب والعقاب ، والمتعبد بالشيء إذا لم يُطع وعصى عِلْمَهُ اللهُ تعالى عاصياً ، وإذا أطاع عِلْمَهُ اللهُ مطيعاً ، وكان قبل أن أطاع لم يعلمه مطيعاً علماً يستحق به الثواب ، وإن كان في معلوم الباري أنه يطيع .

فمعنى قوله : ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ ؛ أي لنعلم العلم الذي يستحق العامل به الثواب والعقاب ، وتبدل الأحوال على المعلوم لا يقتضي تبدل العلم وتغيره ، وهذا مذهب جماعة من أهل النظر ^(٢) ، ويؤيده ما روي عن ابن عباس أنه فسر العلم هاهنا بالرؤية ، وقال : «معنى ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ : إلا لنرى» ^(٣) ، وهذا راجع إلى ما ذكرنا ؛ لأنه إنما يراه إذا علمه موجوداً .

وحكى ابن الأنباري عن الفرّاء أنه قال : «يجوز أن يكون الله جل اسمه أضاف العلم إليه ، وهو للمخاطبين» ^(٤) في المعنى ، كما يجتمع جاهل وعاقل ، فيقول الجاهل : الخطب يحرق النار . ويقول العاقل : النار تحرق الخطب ، وسنجمع بينهما ؛ لنعلم أيهما يحرق صاحبه ؟ ومعناه : لتعلم أنت فينسب إلى نفسه فعل غيره ، كذلك معنى الآية : إلا لتعلموا أنتم . ومثله : ﴿حَقَّقْ نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ﴾ [محمد : ٣١] على هذا التأويل .

(١) سقطت من (ش) .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٢٣٧ ، وتفسير السمعاني ٢/ ٨٣ ، وتفسير البغوي ١/ ١٦٠ ، والتفسير الكبير ٤/ ١١٥ .

(٣) ذكره الطبري في تفسيره ٢/ ١٣ ، ١٤ ، ولم ينسبه إلى ابن عباس ، ثم رد عليه ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١/ ١٥٥ .

(٤) في (أ) : (المخاطبين) .

ويجوز في سعة العربية إضافة الفعل إلى من ليس له في الحقيقة ، كقول العرب : «طلعت الشَّعْرَى ، وانتصب العود على الحرباء» ، معناه : انتصب الحرباء على العود ، فنسب الانتصاب إلى غير فاعله ، ومثله في الكلام : «لا أَرَيْنَكَ هاهنا» ، أوقع النهي على غير المنهي ؛ لأن المنهي هو المخاطب ، وذكرنا هذا في قوله : ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] .

وقيل : أراد ليعلم محمد ﷺ ، فأضاف علمه إلى نفسه تخصيصاً وتفضيلاً ، كقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧] ، وقوله : ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: ٥٥]^(١) ، وتحقيق هذا القول أنه تعالى أراد : ليعلم حزناً من النبي والمؤمنين ، كما يقول الملك : فعلنا بمعنى فعل أولياؤنا ، ومنه : فتح عُمر السواد ، وجبى الخراج ، وإن لم يتول ذلك بنفسه^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ ؛ أي يطيعه في التوجه^(٣) إلى بيت المقدس^(٤) .

﴿مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ ؛ أي يرد فيرجع إلى الشرك دين آبائه^(٥) .

ويجوز أن يكون المراد : ممن هو مقيم على كفره^(٦) ؛ لأن جهة الاستقامة إقبال وخلافها إدبار ، وكذلك وصف الكافر بأنه أدبر واستكبر ، هذا إذا قلنا :

(١) انظر : تفسير الطبري ١٣/٢ ، والتعلبي في تفسيره ١/١٢٣٨ .

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٨/٢ عن الأقوال السابقة : «وهذا كله متقارب ، والقاعدة : نفي استقبال العلم بعد أن لم يكن» . وقال أبو حيان في البحر المحيط ١/٤٢٤ : «فهذه كلها تأويلات في قوله : (لنعلم) فراراً من حدوث العلم وتجده ؛ إذ ذاك على الله مستحيل ، وكل ما وقع في القرآن مما يدل على ذلك أول بها يناسبه من هذه التأويلات» .

(٣) في (ش) : (التوحيد) .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٤/٢ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٥/٢ ، وزاد المسير ١/١٥٥ ، والمحرر الوجيز ٢/١٠ ، وتفسير القرطبي ١٤٤/٢ .

(٦) انظر : التفسير الكبير ٤/١٠٥ .

المراد بقوله : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ بيت المقدس ، وإن قلنا إن المراد هناك : التحويل عن بيت المقدس ، وهو أظهر التأويلين^(١) ، فمعنى قوله : ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ ؛ أي يوافقه في التوجه إلى الكعبة ، والانحراف عن بيت المقدس . ﴿مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ ؛ أي يردد عن الدين فيرجع إلى اليهودية ، أو إلى ما كان عليه ؛ وذلك أن الله تعالى جعل نسخ القبلة عن الصخرة إلى الكعبة ابتلاءً لعباده المؤمنين ، فمن عصمه ووقفه صدق الرسول في ذلك ، وعلم أن الله^(٢) تعالى أن يتعبد عباده بما شاء ، وأن له أن ينسخ ما تعبدهم به ، فيحولهم إلى غير ذلك ، وأن الصلاح لهم في ما يأمرهم به ، ومن لم يعصمه شك في دينه ، وتردد عليه أمره ، وظن أن محمداً في حيرة من أمره ، فارتد عن الإسلام .

والانقلاب على العقب عبارة عن الانصراف إلى حيث أقبل منه ؛ لأن عَقِبَ الإنسان يكون وراءه ، فإذا رجع إلى وراء يقال : نكص على عَقْبِيهِ ، وانقلب على عَقْبِيهِ ؛ أي انصرف راجعاً^(٣) .

قال ابن عباس : ﴿مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ يريد : من يرجع إلى دينه الأول^(٤) ، يعني : المنافقين ، وسُمِّيَ العقب عقباً ؛ لأنه يتلو القدم ، وأصل هذا الباب : الإتيان^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ : قال سيبويه : ﴿وَإِنْ﴾ تأكيد شبيه باليمين ؛ لذلك دخلت اللام في جوابها^(٦) .

(١) انظر : البحر المحيط ١/ ٤٢٥ .

(٢) في (م) و(ش) : (الله) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢/ ١٥ ، والمحزر الوجيز ٢/ ١٠ .

(٤) هذه من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في المقدمة .

(٥) انظر : المفردات ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، واللسان (عقب) ٥/ ٣٠٢٢ .

(٦) انظر : الكتاب لسيبويه ٤/ ٢٣٣ ، ١٤٠/ ٢ .

قال أبو إسحاق : « دخلت اللام مع إن ؛ لأنها لو لم تدخل كان الكلام جحداً ، فلو لا اللام كان المعنى : (ما كانت كبيرة) ، فإذا جاءت (إن واللام) فمعناها التوكيد للقصة »^(١) .

وأما التفسير فقال ابن عباس^(٢) ومجاهد^(٣) وقتادة^(٤) : « وقد كانت التولية إلى الكعبة لكبيرة » .

قال ابن زيد^(٥) : « وقد كانت الصلاة إلى الكعبة لكبيرة ثقيلة ، إلا على الذين هدى الله » ، وقال أبو العالية : « وإن كانت القبلة لكبيرة »^(٦) ، يعني الكعبة . وقيل : إنه يعني بيت المقدس^(٧) ؛ أي : وإن كان اتباعها كبيراً إلا على الذين هدى الله .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ ﴾ : قال المفسرون : « قالت اليهود للمسلمين لما حُوِّلَت القبلة إلى الكعبة : إن كان هذا التحويل حقاً فإنَّ من مات منكم وهو يصلي إلى بيت المقدس مات على الضلالة ، وكان قد مات رجال من المسلمين قبل تحويل القبلة ، فانطلق عشائريهم إلى النبي ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله ، صرفك الله إلى قبلة إبراهيم ، فكيف بإخواننا الذين ماتوا منا وهم يصلون إلى بيت المقدس ؟ فأنزل الله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ ﴾ »^(٨) ؛ أي تصديقكم بأمر تلك القبلة .

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٢٠ / ١ . انظر : التبيان للعكبري ٩٨ ، والبحر المحيط ٤٢٥ / ١ .

(٢) رواه عنه الطبري في تفسيره ١٥ / ٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥١ / ١ .

(٣) رواه عنه الطبري في تفسيره ١٥ / ٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥١ / ١ .

(٤) رواه عنه الطبري في تفسيره ١٥ / ٢ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥١ / ١ .

(٥) رواه عنه الطبري في تفسيره ١٦ / ٢ .

(٦) رواه عنه الطبري في تفسيره ١٥ / ٢ بلفظ : « عن أبي العالية (وإن كانت لكبيرة) أي : قبله بيت المقدس (إلا على الذين هدى الله) » ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥١ / ١ ، وجعل قوله مثل قول مجاهد .

(٧) وعلى هذا المعنى حمله الطبري في تفسيره ١٦ / ٢ .

(٨) روي بهذا اللفظ في تفسير الطبري ١٧ / ٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٥١ / ١ ، وتفسير مقاتل ٧٤ / ١ ، =

قال الفرّاء : «أسند الإيمان إلى الأحياء من المؤمنين ، والمعنى : في من مات من المسلمين . وإنما أضيف إلى الأحياء ؛ لأن الذين ماتوا على القبلة الأولى كانوا منهم . فقال : ﴿إِيْمَنْتَكُمْ﴾ وهو يريد : إيمانهم ؛ لأنهم داخلون معهم في الملة ، وهو كقولك للقوم : قد قتلناكم وهزمناكم ، يريد : قتلنا منكم ، فيواجههم بالقتل وهم أحياء»^(١) .

ويمكن أن يحمل على العموم ، بأن أراد : إيمان الأحياء والأموات^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِأَلْكَاسِ لَرُؤُفٍ رَّحِيمٌ﴾ : الرأفة : أخص من الرحمة وأرق ، قال الفرّاء : «الرأفة والرأفة ، مثل : الكأبة والكأبة»^(٣) .

وقال أبو زيد : «رَأَفْتُ بالرجل ، أَرَأَفُ به رأفةً ، ورَأَفَةً ، ورَوُفْتُ أَرَوُفُ به ، كلُّ من كلام العرب»^(٤) . وفي الرؤوف قراءتان^(٥) :

إحداهما : رؤوف على وزن فعول .

والثانية : رؤف على وزن رَعَف .

= وتفسير الثعلبي ١/ ١٢٣٩ ، والكفاية للحيري ١/ ٧٩ ، وأسباب النزول للواحيدي ٤٥ ، ٤٦ ، وتفسير البغوي ١/ ١٢٣ . وروى البخاري : ٤٠ في كتاب : الإيمان ، باب : الصلاة من الإيمان ، عن السراء بن عازب أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال قتلوا ، فلم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾ .

(١) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١/ ٧٤-٨٣ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢/ ١٨ .

(٣) نقله عنه في تهذيب اللغة ٢/ ١٣٢٣ . انظر : لسان العرب (رأف) ٣/ ١٥٣٥ ، والبحر المحيط ١/ ٤٢٦ .

(٤) نقله عنه في تهذيب اللغة ٢/ ١٣٢٣ . انظر : لسان العرب (رأف) ٣/ ١٥٣٥ ، وانظر أيضاً : في بيان معاني الرؤوف اشتقاق أسماء الله للزجاجي ٨٦ .

(٥) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وشعبة عن عاصم (رؤف) بهمزة من غير واو ، وقرأ الباقر بن بواو بعد الهمزة . انظر : السبعة ١٧١ ، والنشر ٢/ ٢٢٣ .

فمن قرأ على فَعُول ؛ فلأنه أكثر في كلامهم من فَعُل ، ألا ترى أن باب صبور
وشكور أكثر من باب حذر ويقظ ، وإذا كان أكثر في كلامهم كان أولى . يؤكد هذا
أن صفات الله قد جاءت على هذا^(١) الوزن ، نحو : غفور شكور ، ولا نعلم فعلاً
فيها . قال الشاعر :

نطيعُ إلهنا ونطيعُ رباً هوَ الرحمنُ كانَ بنا رؤوفاً^(٢)

ومن قرأ على وزن رَعُف ، فقد قيل : إنه غالبُ لغة أهل الحجاز ، ومنه قول
الوليد بن عقبة بن أبي معيط^(٣) :

وشرُّ الطالبين^(٤) فلا تَكُنْهُ يقاتلُ عمَّهُ الرؤفَ الرحيم^(٥)

وكثر ذلك حتى قاله غيرهم . قال جرير :

ترى للمسلمينَ عليكَ حقاً كفعلِ الوالدِ^(٦) الرؤوفِ الرحيم^(٧)

(١) في (أ) و(م) : (على وزن رَعَف الوزن) .

(٢) البيت لكعب بن مالك الأنصاري في ديوانه ٢٣٦ ، وتفسير الثعلبي ١ / ١٢٤٠ ، وروايته : «نطيع رسولنا» ،
ولسان العرب (رأف) ٣ / ١٥٣٥ ، وروايته : «نطيع ربنا» ، وتاج العروس (رجف) ١٢ / ٢٢١ .

(٣) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، واسم أبي معيط أبان بن عمرو ، أسلم يوم فتح مكة ، كان من الشعراء
المطبوعين ، قال الأصمعي إنه كان شاعراً كريماً ، توفي بالرقعة . انظر : أسد الغابة ٥ / ٤٥١ ، والإصابة ٣ / ٦٣٧ .

(٤) في (أ) و(م) : (للتالين) .

(٥) البيت للوليد في الحجة لأبي علي ٢ / ٢٣٠ ، وابن عطية في تفسيره ٢ / ١٢ ، وتفسير القرطبي ٢ / ١٤٥ ،
والبحر المحيط ١ / ٦٠١ ، وأنساب الأشراف ١٤٠ ، وتاريخ الطبري ٥ / ٢٣٦ . وورد البيت في بعض
المراجع بما نصه :

وشرُّ الظالمينَ للظالمينَ فلا تَكُنْهُ يقابلُ عمَّهُ الرؤفَ الرحيمُ

(٦) في (ش) : (الوليد) .

(٧) البيت لجرير في ديوانه ٤١٢ ، والخزانة ٤ / ٢٢٢ ، والكامل للمبرِّد ٢ / ١٣٩ ، وتفسير الثعلبي
١ / ١٢٤١ ، والبحر المحيط ١ / ٦٠١ .

(٨) من كلام أبي علي في الحجة ٢ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

١٤٤ . قوله تعالى : ﴿ قَدْ زَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ الآية . قال المفسرون : « كانت الكعبة أحبَّ القبلتين إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن عباس : « لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم »^(١) .

وقال مجاهد^(٢) ومقاتل^(٣) وابن زيد^(٤) : « لأنه كره موافقة اليهود »^(٥) .

وقال عامة المفسرين : « إن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا بمكة يصلُّون إلى الكعبة ، فلما هاجروا إلى المدينة أمره الله أن يصلي نحو صخرة بيت المقدس ؛ ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم »^(٦) .

وقال ابن زيد : « قال الله لنبيه عليه السلام : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهٌ ﴾ ، فقال : هؤلاء اليهود يستقبلون بيتاً من بيوت الله ، فلو استقبلناه ، فاستقبله النبي ﷺ سبعة عشر شهراً »^(٧) .

(١) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢٠ / ٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٣ / ١ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٢٤٢ / ١ .

(٢) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢٠ / ٢ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٢٤٢ / ١ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٦٩ / ١ إلى عبد بن حميد .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٢٤٢ / ١ ، والخير في الكفاية ٨٠ / ١ .

(٤) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢٠ / ٢ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٢٤٢ / ١ .

(٥) ثم قول ثالث روي عن السُّدِّي ، وهو ليتألف العرب لمحبتها في الكعبة . انظر : البحر المحيط ٤٢٨ / ١ .

(٦) عزاه إلى عامة المفسرين الثعلبي في تفسيره ١٢٤١ / ١ . انظر : الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ، رقم ٢١ ، وصحيح البخاري مع الفتح ٩٥ / ١ ، وصحيح مسلم ٥٢٥ ، كتاب : المساجد ، باب : تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة ، وتفسير الطبري ٢٠ / ٢ ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي ١٢٦ ، وتفسير البغوي ١٦١ / ١ ، والتفسير الكبير ١٠٩ / ٣ ، وتفسير الخازن ١٢٠ / ١ ، والعجاب لابن حجر ٣٩٦ / ١ .

(٧) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢٠ / ٢ بلفظ « ستة عشر شهراً » ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٢٤٢ / ١ ، ويوحى صنيع الواحدي أن ما بعده تبع له ، وليس الأمر كذلك .

ثم رأى أن الصلاة إلى الكعبة أدعى لقومه إلى الإسلام ، فقال لجبريل : «وددت^(١) أن الله صرفني عن قبله اليهود إلى غيرها» ، فقال له جبريل : «إنما أنا عبد مثلك ، وأنت كريم على ربك ، فادع ربك وسله» ، ثم ارتفع جبريل ، وجعل رسول الله يديم النظر إلى السماء ؛ رجاء أن يأتيه جبريل بالذي سأل ربه ، فأنزل الله تعالى : ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾^(٢) .

قال أصحاب المعاني : «أراد : تَقَلَّبَ عَيْنُكَ ، فذكرهما بلفظ الوجه ، كما ذكر الأعين بلفظ الوجوه في قوله : ﴿وَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ﴾^(٣) إِلَى رَحْمَتِهَا نَاطِرَةٌ» [القيامة : ٢٢ ، ٢٣] ، وذلك أن ما تقع به المواجهة يُسَمَّى وجهاً ، كاللحية قد يطلق عليها اسم الوجه . ويجوز أن يريد نفس الوجه ؛ لأنه كما يقلب عينيه في السماء يقلب وجهه^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ ؛ أي في النظر إلى السماء .

وقوله تعالى : ﴿فَلَوَلَّيْنَاكَ قِبَلَةً﴾ : يقال : وَلَّيْتُكَ القبلة ، إذا صيرته يستقبلها^(٥) بوجهه ، وليس في (فعلت) منه هذا المعنى ؛ لأنك إذا قلت : «وَلَّيْتُ الحائط ، ووليت الجدران» ، لم يكن في قولك دلالة على أنك واجهته . فَفَعَّلْتُ من هذه الكلمة ليس بمنقول من (فَعَلْتُ) الذي هو وَلَّيْتُ ، فيكون على حد قولك : «فَرِحَ وفَرَحْتُهُ» ، ولكن المعنى الذي هو المواجهة عارض^(٥) في فَعَّلْتُ ، ولم يكن

(١) في (م) : (وددت) .

(٢) كذا في تفسير مقاتل ١/ ١٤٤ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٢٤٣ ، وتفسير البغوي عن مجاهد ١/ ١٦١ ، والعجاب لابن حجر ١/ ٣٩٥ ، وقال في الدر المنثور ١/ ٢٦٩ : «أخرجه أبو داود في ناسخه عن أبي العالية» ، وذكره الواحدي ٤٦ عن ابن عباس من رواية الكلبي ، وأخرج بعضه الطبري في تفسيره ٢/ ٢٠ ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ : ص ١٥ عن طريق علي بن طلحة عن ابن عباس .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٢١ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٢٤٣ ، والمحرم الوجيز ٢/ ١٣ ، وتفسير القرطبي ٢/ ١٤٥ ، والوجه الثاني هو الذي ذكره الطبري في تفسيره ٢/ ٢٠ .

(٤) في (م) : (مستقبلها) .

(٥) في (ش) : كأنها (يبارض) .

في (فَعَلْتُ) ، وإذا كان كذلك كان فيه دلالة على أن النقل لم يكن من فَعَلْتُ ، كما كان قولهم : أَلْقَيْتُ مُتَاعَكَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ ، لم يكن النقل فيه ^(١) من : لَقِي مُتَاعَكَ بَعْضَهُ بَعْضاً ، ولكن (أَلْقَيْتُ) كقولك : «أَسْقَطْتُ» ، ولو كان منه لزاد مفعولاً آخَرَ في الكلام ، ولم يحتج في تعديته إلى المفعول الثاني إلى حرف الجر في قولك : «أَلْقَيْتُ مُتَاعَكَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ» ، كما لم يحتج إليه في قولك : «ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا ، وَأَضْرَبْتَهُ إِيَّاهُ» ، ونحو ذلك . فكَذَلِكَ : وَلَيْتَكَ قَبْلَهُ ، من قولك : «وَلَيْتُ» ، كَأَلْقَيْتُ ، من قولك : «لَقَيْتُ» ^(٢) .

وقد جاءت هذه الكلمة مستعملة على خلاف المقابلة والمواجهة ، وذلك نحو : ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ [البقرة: ٨٣] ، ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُ﴾ [يوسف: ٨٤] ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٤] ، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ [عبس: ١] ، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَّن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ [النجم: ٢٩] ، فهذه مع ^(٣) دخول الزيادة الفِعل . وفي غير الزيادة قوله : ﴿وَلَّىٰ مُدَبِّرًا﴾ [النمل: ١٠] ، وقوله : ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدَبِّرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥] ، وقوله : ﴿مُدَبِّرِينَ﴾ : حال مؤكدة ؛ لأن في ﴿وَلَّيْتُمْ﴾ دلالة على أنهم مدبرون ، وهذا على نحوين : أما : ما لحق التاء أوله ، فيجوز أن يكون من باب تَحَوَّب ^(٤) وتأثم إذا ترك الحوب ^(٥) والإثم ، فكذلك إذا ترك الجهة التي هي المقابلة . وأما الذي لا زيادة فيه ، فيجوز أن تكون الكلمة استعملت على الشيء وعلى خلافه ، كالحروف المروية في الأضداد ، وقد روي في الأضداد : وَلَّى : إذا أقبل ، وَوَلَّى : إذا أدبر ^(٦) .

(١) في (ش) : (فيه دلالة) .

(٢) من كلام أبي علي في الحجة ٢/ ٢٣٠ .

(٣) في (ش) : فهذا (دخول) .

(٤) في (أ) و(م) : (تحرب) .

(٥) في (أ) و(م) : (الحرب) .

(٦) من كلام أبي علي في الحجة ٢/ ٢٣١ ، ٢٣٢ بمعناه .

وقوله تعالى : ﴿ تَرْضَاهَا ﴾ ؛ أي تحبها وتهواها ^(١) ؛ لأن النبي ﷺ كان راضياً بالقبلة الأولى ، مطيعاً لله في حال صلاته إليها ^(٢) ، ولكنه أحب أن ^(٣) تكون قبلته الكعبة ؛ للمعاني التي ذكرنا ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ قَوْلٍ وَجْهَكَ ﴾ ؛ أي أقبل وجهك نحوه .

وقوله تعالى : ﴿ شَطْرَ الْمَسْجِدِ ﴾ ؛ أي قصده ونحوه ، ومعنى الشطر : النحو عند أهل اللغة ، يقولون : « وَلَ وَجْهَكَ نَحْوَ الْمَوْضِعِ ، وَشَطْرَهُ ، وَتَلْقَاءَهُ بِمَعْنَى » .

قال الشاعر :

وأظعنُ بالقومِ شَطْرَ الملوكِ حتى إذا خَفَقَ المِجْدَحُ ^(٥)
وقال آخر :

أقولُ لأُمِّ زِنْبَاعَ أقيمي صُدُورَ العِيسِ شَطْرَ بني تميم ^(٦)

(١) انظر : تفسير الثعلبي ١ / ١٢٤٣ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ١ / ٢٢٢ .

(٣) (أن) ساقطة من (م) .

(٤) تقدمت في أول الآية .

(٥) البيت لدرهم بن زيد الأنصاري في تفسير الثعلبي ١ / ١٢٤٤ ، ومجمل اللغة ١ / ١٨٠ ، والكشاف ١ / ٢٠١ ، وأساس البلاغة ٢ / ٧٢ ، وتاج العروس (جرح) ٤ / ٢٢ ، ولسان العرب ١ / ٥٥٩ ، ٢ / ١٢١٤ . المجدح : نجم من النجوم كانت العرب تزعم أنها تخطر به مثل قولهم الأنواء . وجواب إذا خفق المجدح في البيت الذي بعده ، وهو قوله :

أمرتُ أصحابي بأن ينزلوا فناموا قليلاً وقد أصبحوا

(٦) البيت لأبي زنباع الجذامي في الدرر ٣ / ٩٠ ، ولسان العرب (شطر) ٤ / ٢٢٦٣ ، ولأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١ / ٣٦٣ ، وبلا نسبة في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢ / ٧٠٥ .

وقال سُديف :

أَقِمْ قَصْدَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْعِرَاقِ وَخَالَ الْخَلِيفَةَ فَاسْتَمَطِرِ^(١)

قال أبو إسحاق : « لا اختلاف بين أهل اللغة أن الشطر معناه : النحو » .

قال : « وقول الناس : فلان شاطر ، معناه : إنه قد أخذ في نحو غير الاستواء » .

قال : « ونصب قوله : ﴿ شَطْرَ الْمَسْجِدِ ﴾ على الظرف »^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ الْحَرَامُ ﴾ : بمعنى المحرم ، وأصله من المنع ، وسُميت تلك

البقعة حراماً لما تُمنع فيها من أشياء لم تُمنع في غيرها^(٣) ، وسنذكر الكلام في

الحرام والحرمات في موضع آخر . ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ ﴾ : في بر أو بحر^(٤) ، وذكرنا

الكلام في (حيث) عند قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾

[البقرة : ١٩٩] .

﴿ قُولُوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ : فيه إضمار واختصار ؛ أي : وحيثما كنتم ، وأردتم

الصلاة ، فقولوا وجوهكم شطره .

(١) البيت بلا نسبة في جمهرة اللغة ٧٢٨ / ٢ .

(٢) بتصرف من معاني القرآن للزجاج ٢٢٢ / ١ ، ونقل الإجماع على النحو ابن الجوزي في زاد المسير

١٥٦ / ١ . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٢٢٠ / ١ ، ٢٢١ ، والبيان للعكبري ٩٩ ، وانظر : معاني

(الشطر) في : تفسير الطبري ٢ / ٢٠ ، ٢١ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٠ ، وتفسير غريب القرآن لابن

قتيبة ٦٤ ، والمفردات ٢٦٤ ، وتفسير القرطبي ١٤٦ / ٢ .

(٣) انظر : لسان العرب ٨٤٧ / ٢ ، ٨٤٨ .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ١٢٤٤ / ١ .

قال المفسرون : «إن أول ما نسخ من أمور الشرع أمر القبلة^(١) . وهذه الآية نزلت ورسول الله ﷺ في مسجد بني سلمة ، وقد صلى بأصحابه^(٢) ركعتين من صلاة الظهر ، فتحوّل في الصلاة نحو الكعبة ، وحوّل الرجال مكان النساء ، والنساء مكان الرجال ، فسمّي ذلك مسجد القبلتين^(٣) . فلما حوّلت القبلة إلى الكعبة قالت اليهود : يا محمد ، ما أمرت بهذا ، وإنما هو شيء تبدّعه من تلقاء نفسك ! فأنزل الله سبحانه : ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^(٤) ، والكناية في ﴿أَنَّهُ﴾ يجوز أن ترجع إلى المسجد الحرام ، أي إنهم عالمون أن المسجد الحرام قبلة إبراهيم وأنه حق» .

ويجوز أن تعود الكناية إلى التولية^(٥) ؛ لأن قوله : ﴿فَلَتَوَلَّيَنَّكَ﴾ دل على المصدر ، مثل قوله : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ [آل عمران ١٨٠] الذي دل على

(١) قاله ابن عباس كما رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٣/١ ، ورواه أبو داود في ناسخه كما في الدر المنثور ٢٦٩/١ ، ورواه الطبري عن الحسن وعكرمة ٤/٢ ، وانظر : تفسير الثعلبي ١٢٤١/١ .

(٢) في (م) : (أصحابه) .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٢٤٤/١ عن مجاهد وغيره . انظر : تفسير البغوي ١٦٢/١ ، وتفسير الخازن ١٢١/١ .

(٤) ذكره مقاتل في تفسيره ١٤٦/١ ، وذكره هكذا الثعلبي في تفسيره ١٢٤٤/١ ، والبغوي في تفسيره ١٦٢/١ ، وأخرج الطبري في تفسيره ٢٤/٢ ، ٢٥ نحوه عن السُّدِّي ، وقد اختلفت الروايات كثيراً في الوقت والمكان والكيفية التي غيرت فيها القبلة ، وقد ذكر جملة منها السيوطي في الدر المنثور ٢٦٧-٢٧٣/١ .

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٥٠٣/١ : «اختلفت الرواية في الصلاة التي تحولت القبلة عندها ، وكذا في المسجد ، فظاهر حديث البراء هذا أنها الظهر ، وذكر محمد بن سعد في الطبقات ، قال : يقال : إنه صلى ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين ، ثم أمر أن يتوجه إلى المسجد الحرام ، فاستدار إليه ، ودار معه المسلمون ، ويقال : زار النبي ﷺ أم بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة ، فصنعت له طعاماً ، وحانت الظهر ، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ركعتين ، ثم أمر فاستدار إلى الكعبة ، واستقبل الميزاب ، فسمي مسجد القبلتين . قال ابن سعد : قال الواقدي : هذا أثبت عندنا» . وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ١٥٧/١ خلاف العلماء في وقت تحويل القبلة فليُنظر .

(٥) هذا اختيار الطبري في تفسيره ٢٣/٢ . انظر : زاد المسير ١٥٦/١ ، ١٥٧ ، وتفسير القرطبي ١٤٧/٢ .

البخل ، فكنى عنه بقوله : ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ﴾ . والتولية وإن كانت في لفظ المؤنث فهي مصدر . وحكى ابن الأنباري إن أبا عمرو الدوري روى عن الكسائي أن الهاء تعود على الشطر^(١) ، والمعنى عنده : لَيَعْلَمُونَ أن شطره الذي تحولتم إليه هو الحق من ربهم^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ : قال ابن عباس : «يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي ، وما أنا بغافل عن ثوابكم جزائكم . وإن اليهود يطلبون سخطي ، وما أنا بغافل عن خزيهم في الدنيا والآخرة»^(٣) .

١٤٥ . قوله تعالى : ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ الآية ، معنى (لئن) : ما تستقبل ، ومعنى (لو) : ماض ، وحقيقة معنى (لو) أنها يمتنع بها الشيء لامتناع غيره ، تقول : «لو جئتني لأكرمتك» ؛ أي : لم تجئي ، فلم أكرمك ، فإنما امتنع إكرامي لامتناع مجيئك^(٤) . ومعنى ﴿وَلَيْنَ﴾ : إنه يقع بهما الشيء لوقوع غيره ، تقول : «إن تأتني أكرمك» ، فالإكرام يقع بوقوع الإتيان^(٥) .

فقولهم (لئن) تستعمل في ما يستقبل ، وجوابها يقع بالمستقبل ، و(لو) تستعمل في الماضي ، وجوابها يقع بالماضي ، كقولك : «لئن قمت لأقومن» ، ولو قمت قمت» ، هذا معنى الكلمتين ووضعهما في الأصل .

(١) انظر : البحر المحيط ١ / ٤٣٠ .

(٢) انظر : الأقوال في تفسير الطبري ٢ / ٢٣ ، وزاد المسير ١ / ١٥٧ ، والبحر المحيط ١ / ٤٣٠ ، والدر المنثور ١ / ٢٦٧-٢٦٩ .

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ١ / ١٦٣ .

(٤) بمعناه من معاني القرآن للزجاج ١ / ٢٢٤ . انظر : الكتاب لسيبويه ٤ / ٢٢٤ ، والمقتضب للمبرد ٣ / ٧٥ .

(٥) بمعناه من معاني القرآن للزجاج ١ / ٢٢٤ . انظر : الكتاب لسيبويه ٣ / ٧٧ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، والمقتضب للمبرد ٢ / ٤٦ ، ٤٧ ، ٣٦٢ .

ثم إن العرب لما استجازت في الفعل المستقبل والماضي أن يقوم أحدهما مقام الآخر استجازت تقريب إحدى هاتين الكلمتين من الأخرى في الجواب ؛ لذلك أجيبت (لئن) بجواب (لو) في هذه الآية^(١) . ومثل هذا من تقريب إحداهما من الأخرى في التنزيل قوله : ﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا﴾ [الروم: ٥١] : أجيبت (لئن) بجواب (لو) ، وأجيبت (لو) بجواب (لئن) في قوله : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ﴾ [البقرة: ١٠٣] ، فقوله : ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ ميعاد للثواب في المستقبل ، ومثل هذا يكون جواباً لقولك : «لئن» . وهذا معنى قول الفراء ؛ لأنه قال : «أجيبت لئن بجواب لو ؛ لأن الماضي وليها ، كما يلي لو ، فأجيبت بجواب لو ، ودخلت كل واحدة منهما على أختها ، وشبهت كل واحدة بصاحبتهما»^(٢) .

فأما التفسير : فإن اليهود والنصارى طلبوا من النبي ﷺ الآيات ، فأنزل الله هذه الآية ، وقد علم أهل الكتابين أن محمداً حق ، وصفته ونبوته في كتابهم ،

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢٢٣ / ١ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٨٤ / ١ ، واختاره الطبري في تفسيره ٢٤ / ٢ ، ورده الزجاج في معاني القرآن ٢٢٤ / ١ . انظر : التبيان للعكبري ٩٩ ، وقال متعباً رأي الفراء : «وهو بعيد ؛ لأن إن للمستقبل ، ولو للماضي» . وقال أبو حيان في البحر المحيط ٤٣٠ / ١ : «اللام في (ولئن) هي التي تؤذن بقسم محذوف متقدم ، فقد اجتمع القسم المتقدم المحذوف والشرط متأخر عنه ، فالجواب للقسم ، وهو قوله : (ما تبعوا) ؛ ولذلك لم تدخله الفاء ، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه ، وهو منفي بما ، ماضي الفعل ، مستقبل المعنى» . ثم رد مذهب الفراء بقوله : «وهذا الذي قاله الفراء هو بناء على مذهبه أن المقسم إذا تقدم على الشرط جاز أن يكون الجواب للشرط دون القسم ، وليس هذا مذهب البصريين ، بل الجواب يكون للقسم بشرطه المذكور في النحو ، واستعمال (إن) بمعنى (لو) قليل ، فلا ينبغي أن يحمل على ذلك ، إذا ساغ إقرارها على وضع أصلها» . وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٧ / ٢ : «وجاء جواب لئن كجواب لو ، وهي ضدها في أن لو تطلب المضي والوقوع ، وإن تطلب الاستقبال ؛ لأنها جميعاً يترتب قبلها معنى القسم ، فالجواب إنها هو للقسم ، لا أن أحد الحرفين يقع موقع الآخر ، هذا قول سيويه» .

ولكنهم جحدوا مع تحقق علمهم ، وما تغني الآيات عند من يجحد ما يعرف ^(١) ؛
لذلك قال عز من قائل : ﴿ مَا تَعْبُوا قِلَّتْكُمْ ﴾ .

فإن قيل : كيف قال هذا وقد آمن منهم كثير ؟

قيل : هذا إخبار عن جميعهم أنهم كلهم لا يفعلون ^(٢) ذلك ^(٣) .

وقيل : إنه أراد الفريق الذين هم أهل العناد ، وهم الذين عناهم بقوله :
﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلْتَهُمْ ﴾ : حسم بهذا إطماع اليهود في
رجوعه ﷺ إلى قبلتهم ؛ لأنهم كانوا يطمعون ، وأكد بهذا أنه لا ينسخ التوجه
إلى الكعبة ^(٥) ، وقيل في هذا : إنه لما قال : ﴿ مَا تَعْبُوا قِلَّتْكُمْ ﴾ قال : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ
قِبَلْتَهُمْ ﴾ على المقابلة ، كما تقول : « ما هم بتاركي إنكار الحق ، وما أنت بتارك
الاعتراف به » ، ويكون الذي جرّ الكلام الثاني التقابل للكلام الأوّل ، وهو حسن
من كلام البلغاء ^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ ﴾ : أخبر أنهم وإن اتفقوا في
الظاهر على النبي ﷺ فإنهم مختلفون في ما بينهم ؛ فاليهود تستقبل بيت المقدس ،

(١) انظر : تفسير مقاتل ١/١٤٧ ، وتفسير الطبري ٢/٢٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/٢٢٤ ، وتفسير

الثعلبي ١/١٢٤٥ ، والكفاية ١/١٨ ، وتفسير البغوي ١/١٦٣ .

(٢) في (ش) : (لا يعقلون) .

(٣) انظر : المحرر الوجيز ٢/١٧ ، والتفسير الكبير ٤/١٢٥ ، ونسبه إلى الحسن .

(٤) انظر : البحر المحيط ١/٤٣١ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٢/٢٤ ، والبحر المحيط ١/٤٣٢ .

(٦) انظر : البحر المحيط ١/٤٣٢ .

والنصارى تستقبل المشرق ، واليهود لا تتبع قبلة النصارى ، ولا النصارى تتبع قبلة اليهود^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ؛ أي صليت إلى قبلتهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أن قبلة الله هي الكعبة ﴿إِنَّكَ إِذَا لَنِ الظَّلِيلِينَ﴾ ؛ أي إنك إذن مثلهم^(٢) ، وأجيب (لئن) هاهنا بجواب مثلها ؛ لأنه أراد في ما يستقبل من الزمان .

وذكر أهل التأويل في قوله : ﴿وَلَكِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ﴾ وجهين :

أحدهما : إن الخطاب له ﷺ في الظاهر وهو في المعنى لأُمَّته ، كما قال : ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق : ١] .

والثاني : إن الله تعالى خاطب نبيه - عليه السلام - بهذا مهدداً أُمَّته ؛ أي إذا استحققت ممّا مثل ذا الجزاء عند مخالفة ، لو وقعت منك ، ولن تقع أبداً ، كانوا هم أجدر وأخلق ، بتكاثف الأوزار ، واجتماع الآثام ، عند ما يظهر منهم من إثارة الضلال والانحراف عن الحق .

وذكر وجه ثالث وهو أن معنى ﴿وَلَكِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ؛ أي في المداراة معهم حرصاً على إيمانهم ﴿إِنَّكَ إِذَا لَنِ الظَّلِيلِينَ﴾ لنفسك ؛ إذ قد أعلمتك أنهم لا يؤمنون^(٣) .

وذكرنا الكلام في معنى (إذن) عند قوله : ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾

[النساء : ٥٣] .

(١) انظر : تفسير الطبري ٢/ ٢٤ ، ٢٥ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٢٤٦ ، والتفسير الكبير ٤/ ١٢٦ ، والبحر المحيط ١/ ٤٣٢ ، والمحرم الوجيز ٢/ ١٧ ، ١٨ .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٢٤٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٢٤ ، والمحرم الوجيز ٢/ ١٨ ، ١٩ .

- (١) انظر : تفسير الثعلبي ١/١٢٤٦ ، وعزاه في المحرر الوجيز ٢/٢١٢ إلى قتادة ومجاهد ، وعزاه في زاد المسير ١/١٥٨ إلى ابن عباس ، ولم يذكر ابن كثير غيره في تفسيره ١/٢٠٧ ، وقال في البحر المحیط ١/٤٣٥ : « واختاره الرَّجَّاحُ ورجَّحه التبريزي ، وبدأ به الزمخشري » ، وهو الذي رجَّحه أبو حيان .
- (٢) في (م) : (على صحة) .
- (٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره ١/١٢٤٦ ، من حديث ابن عباس ، وفيه الكلبي . انظر : الفتح الساوي ١/١٩٥ ، والوسيط للواحدى ١/٢١٥ ، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ١/١٦٦ ، والخيري في الكفاية ١/٨٢ ، والسمعاني في تفسيره ٢/٩٢ ، والواحدى في أسباب النزول ٤٧ ، والبغوي في تفسيره ١/١٦٤ ، وأورده القرطبي في تفسيره ٢/١٤٩ بصيغة التمریض ، وعزاه ابن حجر في العجائب ١/٣٩٩ إلى يحيى بن سلام .
- (٤) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢/٢٥ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٥٥ .
- (٥) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢/٢٦ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٥٥ ، وروي عنه ما يوافق القول الأول ، أخرجه عبدالرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ كما في الدر المنثور ١/٢٧١ .
- (٦) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢/٢٦ .
- (٧) وهذا اختيار الطبري في تفسيره ٢/٢٦ ، ورواه أيضاً عن ابن عباس والسُّدي ، ورواه ابن أبي حاتم عنهما في تفسيره ١/٢٥٥ ، وانظر : زاد المسير ١/١٥٨ . قال الحافظ ابن حجر في العجائب ١/٤٠٠ : « وحاصله أن الضمير في قوله : (يعرفونه) للنبي ﷺ ، وهو في آية الأنعام بعيد ، وأمّا في آية البقرة فمحتمل ، وقد جاء أن الضمير للبيت الحرام ، وكذا قال مقاتل بن سليمان » .

وقوله تعالى: ﴿يَكْفُرُوا بِالْحَقِّ﴾: قال ابن عباس: «يعني النبي ﷺ وصفته في التوراة»^(١)، وقال قتادة^(٢) والربيع^(٣): «يريد به: القبلة، والمسجد، والبيت، وأمر الكعبة»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ لأن الله بين ذلك في كتابهم.

١٤٧. ثم قال: ﴿أَلْحَقْ مِنْ رَبِّكَ﴾؛ أي هذا الحق من ربك^(٥).

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْتَرِينَ﴾: لفظ خاص، ومعناه العموم، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره^(٦).

والمعنى: فلا تكونن من الممترين في الجملة التي أخبرتك من أمر القبلة، وعناد من كتم النبوة، وامتناعهم من الإيذان بك^(٧). والمِرْيَةُ: الشك، ومنه: الامتراء والتهاوي^(٨).

١٤٨. قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ﴾ مختصر، أراد: ولكل أهل دين وجهه^(٩). والوجهة: اسم للمتوجّه إليه. وقيل: الوجهة: الجهة.

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/١٢٤٧، ولم ينسبه إلى أحد، ورواه الطبري في تفسيره ٢/٢٦، ٢٧، وابن

أبي حاتم في تفسيره ١/٢٥٦ عن مجاهد، ورواه ابن جرير ٢/٢٧ عن قتادة وخصيف بن عبد الرحمن.

(٢) روى الطبري في تفسيره ٢/٢٧ عن قتادة ما يوافق القول الأول.

(٣) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢/٢٧، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٥٦.

(٤) انظر: تفسير مقاتل ١/١٤٨، وعزاه في زاد المسير ١/١٥٨ إلى السُّدِّي، وقد جمع الثعلبي في تفسيره ١/١٢٤٧ بين القولين.

(٥) انظر: تفسير الثعلبي ١/١٢٤٧.

(٦) انظر: تفسير الثعلبي ١/١٢٤، وقال: «كل ما ورد عليك من هذا النحو فهو سبيله».

(٧) انظر: المحرر الوجيز ٢/٢١، ٢٢، وتفسير القرطبي ٢/١٤٩، ١٥٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري ٢/٢٧، وزاد المسير ١/١٥٨، وتفسير القرطبي ٢/١٥٠. قال الراغب في المفردات

٤٦٩: «المرية: التردد في الأمر، وهو أخص من الشك، والامتراء والمهارة: المحاجة في ما فيه مرية».

(٩) انظر: تفسير الثعلبي ١/١٢٤٨.

- (١) في معاني القرآن للفرّاء ١/ ٩٠ «زيادة» وليس له جهة .
- (٢) سقطت من (م) .
- (٣) في معاني القرآن ١/ ٩٠ ، وسمعتهم يقولون : «وجه الحجر ، جهةٌ ماله ، ووجهة ماله ، ووجهٌ ماله» .
- انظر : اللسان ٨/ ٤٧٧٥ ، وتهذيب اللغة (وجه) ٤/ ٣٨٤٢ .
- (٤) في (ش) لم يكرر : ماله ، وليس فيها : والضَّعة والضَّعة .
- (٥) في معاني القرآن للفرّاء ١/ ٩٠ . يقولون : «ضعه غير هذه الوضعة ، والضَّعة والضَّعة ، ومعناه : وجّه الحجر فله جهة ، وهو مثْلٌ» .
- (٦) من معاني القرآن للفرّاء ١/ ٩٠ يتصرف . انظر : معاني الكلمة في المفردات ٥٢٩ ، واللسان (وجه) ٤٧٧٦/٨ .
- (٧) انظر : معاني القرآن للزَّجاج ١/ ٢٢٥ ، ونصه : «وكذلك يقال : ضَعَّ ، ووَضَّعة ، وضِعة» .
- (٨) قال ابن الجوزي في زاد المسير ١/ ١٥٩ : «وفي هو ثلاثة أقوال : أحدها : إنها ترجع إلى الله تعالى ، فالمعنى : الله مولياها إياهم ، أي : أمرهم بالتوجه إليها . والثاني : ترجع إلى المتولي ، فالمعنى : هو مولياها نفسه ، فيكون هو ضمير كل . والثالث : يرجع إلى البيت» ، قاله مجاهد ، أمر كل قوم أن يصلوا إلى الكعبة .
- (٩) قوله : (اسم الله) سقطت من (ش) .
- (١٠) قوله : «أحد مفعولي . . .» سقطت من (ش) .

إياه ، وإياه ضمير كل الموجّه^(١) المولى ، وتولية الله إياه إنما هي بأمره له بالتوجه إليها ، أو بإرادته ذلك ، هذا قول أبي علي^(٢) .

وقال أبو إسحاق : «قال أكثر أهل اللغة^(٣) : هو ضمير لكل ، المعنى : هو مولّيتها وجهه ، وجاء قوله : ﴿هُوَ مَوْلِيهَا﴾ على لفظ كل ، ولو قيل : هم^(٤) مولوها على المعنى كما قال : ﴿وَكُلُّ أُنثَىٰ ذَخِيرَةٍ﴾ [النمل : ٨٧] كان حسناً ، يريد : كل أهل وجهة هم الذين ولّوا وجوههم إلى تلك الجهة^(٥) ، ونحو هذا ذكر الفراء ، فقال : «هو مولّيتها : مستقبلها ، الفعل لكل ، يريد : كل مولى وجهه إليها» .

والتولية في هذا الموضع : الإقبال ، وفي ﴿يُولُوكُمُ الْأَذْبَارَ﴾ [آل عمران : ١١١] ، ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مَذْرِبَ﴾ [التوبة : ٢٥] : انصراف ، وهو كقولك في الكلام : «انصرف إلي» ؛ أي أقبل إلي ، و«انصرف إلى أهلك» ؛ أي اذهب إلى أهلك^(٦) ، وهذا وجه آخر في ولّى بمعنى : أقبل ، وبمعنى أدبر ، غير ما ذكرنا في قوله : ﴿فَلَنُولِيَنَّكَ﴾ أن (ولّى) من الأضداد .

(١) في (ش) : (المؤخر) .

(٢) انظر : الحجة ٢ / ٢٣٩ .

(٣) في معاني القرآن للزجاج . قال بعض أهل اللغة : «وهو أكثر القول» .

(٤) في (أ) و(م) : (هو) .

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج ١ / ٢٢٥ ، وليس عنده : «وجاء قوله كان حسناً» ، وقال في البحر المحيط ١ / ٤٣٧ : «(وهو) ، من قوله : (موليتها) ، عائد على (كل) ، على لفظه ، لا على معناه ، أي : هو مستقبلها وموجه إليها صلاته التي يتقرب بها ، والمفعول الثاني لموليتها محذوف ؛ لفهم المعنى ، أي : هو موليتها وجهه أو نفسه» ، قاله ابن عباس وعطاء والربيع ، ويؤيد أن هو عائد على كل قراءة من قرأ : هو مولها .

(٦) انظر : معاني القرآن للفراء ١ / ٨٥ بمعناه .

قال الزَّجَّاج : «وكلا القولين جائز^(١) ، أي : أن يكون ﴿هُوَ﴾ كناية عن الله تعالى . وأن يكون كناية عن كلٍّ .»

وقرأ ابن عامر^(٢) : (هو مولَّاهَا)^(٣) . وعلى هذه القراءة الكناية تعود إلى كل فقط ، والمفعولان مذكوران ، وذلك أنه حذف الفاعل ، وأضاف المفعول الأوَّل إلى المفعول الآخر ، الذي هو ضمير المؤنث العائد إلى الوجهة ؛ أي كلُّ وُلِّيَّ جهةً ، وهذه القراءة تؤول في المعنى إلى القراءة الأولى^(٤) ؛ لأن التولية في المعنى استقبال ، وما استقبلك فقد استقبلته ، وما استقبلته فقد استقبلك .

وقال أبو^(٥) الحسن النحوي في ما قرأته عليه : «من قرأ بفتح اللام فحجته قوله : ﴿فَلَنُؤَيِّسَنَّكَ قِبْلَةً﴾ ، فلما كان الله هو الذي يوليُّ القبلة فالإنسان مولى^(٦) إياها ، ومن قرأ بكسر اللام قال : لما كان الله هو الذي يوليُّ المتوجه القبلة كان إسناد التولية إليه أولى . وموضع ﴿هُوَ مَوْلِيَّهَا﴾ رفع ؛ لأنها جملة وقعت صفة لقوله : ﴿وَجْهَةً﴾^(٧) .

قال الحسن في هذه الآية : «هو كقوله : ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الحج : ٦٧]»^(٨) .

- (١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٢٥ / ١ .
- (٢) في (م) : (عباس) . وعند الفراء في معاني القرآن ٨٥ / ١ : «وقرأ ابن عباس وغيره» ، وكذا عند الطبري في تفسيره ٢٩ / ٢ .
- (٣) انظر : السبعة : ص ١٧١ ، والكشف لمكي ٢٦٧ / ١ ، والنشر ٢ / ٢٢٣ .
- (٤) من كلام أبي علي في الحجة ٢ / ٢٤٠ ، وزاد : «ألا ترى أن في (موليها) ضمير اسم الله عز وجل ، فإذا أسند الفعل إلى المفعول به ، وبناء له ، ففاعل التولية هو الله تعالى ، كما كانت القراءة الأخرى كذلك» .
- (٥) في (ش) سقطت (أبو) .
- (٦) في (ش) و(م) : كتبت (مولي) بنقطتين .
- (٧) انظر : التبيان للعكبري ٩٩ ، ١٠٠ ، والبحر المحيط ٤٣٧ / ١ .
- (٨) وفي البحر المحيط ٤٣٧ / ١ . وقال الحسن : «وجهة : طريقة» ، مثل قوله تعالى : ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مَنسَكًا شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ .

وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ﴾: قال أهل التفسير: «أراد: إلى الخيرات، فحذف حرف الجر^(١)، كقول الراعي:

ثنائي عليكم يا ابنِ حَرْبٍ وَمَنْ يَمِلُ
سواكم فإني مهتدٍ غيرُ مائلٍ»^(٢).

قال النحويون: «ودعوى^(٣) الحذف لا يطرد هاهنا، وليس^(٤) الحذف من ضرورة هذا الكلام، فإن العرب تقول: استبقنا موضع كذا، أي: قصدناه متسابقين، كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾، [يوسف: ٢٥] وقوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الصِّرَاطَ﴾ [يس: ٦٦]، وقلَّ ما تراه مستعملاً مع الخافض».

وقوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ﴾: قال الفرّاء: «إذا رأيت حروف الاستفهام قد وُصِلت بـ (ما) مثل: أينما، ومتى ما، وكيف ما ﴿أَيَّأَ مَا تَدْعُوا﴾ [الإسراء: ١١٠] كانت جزاءً ولم تكن استفهاماً. فإذا لم توصل بـ (ما) كان الأغلب عليها الاستفهام، وجاز فيها الجزاء، فإذا كانت جزاءً جزمت الفعلين، الفعل الذي مع أينما وأخواتها، وجوابه، كقوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ﴾. فإذا أدخلت الفاء في الجواب، رفعت الجواب فقلت في مثله من الكلام: أينما تكن فأتيتك، ومثله قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ﴾ [البقرة: ١٢٦] فإذا كانت استفهاماً رفعت

(١) انظر: تفسير الثعلبي ١/١٢٤٩، وتفسير البغوي ١/١٦٤، والبحر المحيط ١/٤٣٩، والدر المصون ٤٠٧/١.

(٢) البيت للراعي النميري في مدح يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. انظر: ديوانه ١٩١، وتفسير الثعلبي ١/١٢٤٩، والبحر المحيط ١/٤٣٩، والدر المصون ١/٤٠٧. وموضع الشاهد قوله: «ومن يمل سواكم»، أراد: ومن يمل إلى سواكم.

(٣) في (ش): (ومعنى دعوى).

(٤) سقطت من: (ش).

الفعل الذي يلي : أين ، وكيف ، ثم تجزم ^(١) الفعل الثاني ؛ ليكون جواباً للاستفهام بمعنى الجزاء ، كما تقول : هل أدلك على بيتي تأتني ؟ ^(٢) .

فإذا ^(٣) أدخلت في جواب الاستفهام فاءً نصبت ، كما تقول : هل أدلك على بيتي فتأتيني ؟ ، قال : « ومثله قوله : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الْمَصْلِحِينَ ﴾ [المنافقون : ١٠] » ^(٤) .

وقال أبو اسحاق : « إنما تجزم ما بعدها ؛ لأنها إذا وصلت بما جزمت ما بعدها ، وكان الكلام شرطاً ، وكان الجواب جزءاً كالشرط ، وإن كانت استفهاماً ، نحو : أين زيد ؟ فأجبت به بالجزم ، تقول : أين بيتك أزرك ؟ المعنى : إن ^(٥) أعرف بيتك أزرك » ^(٦) .

قال أبو علي في ما استدرك عليه ^(٧) : « لا فائدة تحت قوله : إنها إذا وصلت بما جُزِمَتْ ^(٨) ؛ لأنها تجزم ما بعدها في الشرط والجزاء ، وُصِلَتْ بـ (ما) ، أو لم توصل بها ، فقوله إذن لا فائدة فيه ، ولا نكتة تحته ، كما لا فائدة في قول القائل : الفعل

(١) في (م) : (وجزمت) . في (أ) و(م) : (فإن) .

(٢) ذكر الفراء في معاني القرآن ١/ ٨٦ مثلاً غير هذا ، فقال : « كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ هَلْ أَذُنُ عَلٍ يُخْفِرُ لِحَيْكُم مِّنْ عِلَاقِ آلِهِ ﴾ ، ثم أجاب الاستفهام بالجزم ، فقال : تبارك وتعالى : ﴿ يَقِفْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ .

(٣) في (أ) و(م) : (فإن) .

(٤) من معاني القرآن للفراء ١/ ٨٥ ، ٨٦ .

(٥) في (ش) : (أين) .

(٦) بتصرف يسير من معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٢٦ .

(٧) يعني في كتاب الإغفال لأبي علي الفارسي .

(٨) كرر كلام أبي إسحاق في نسخة (ش) ، وهو زيادة لا داعي لها .

يرفعُ الفاعل إذا كان ماضياً ؛ لأنه يرفع ماضياً كان أو آتياً^(١) ، ومما جزم أين^(٢) من غير وصلها بـ (ما) قول الشاعر :

أَيْنَ تَصْرِفُ بِنَا الْعُدَّةَ تَجِدُنَا نَصْرَفُ الْعِيسَ نَحْوَهَا لِلتَّلَاقِي^{(٣)(٤)}
وأما التفسير فلاهل التفسير في هذه الآية طريقتان :

أحدهما : التعميم . والثاني : التخصيص .

فأما التخصيص فقوله : ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّهَا ﴾ : أراد القبلة في الصلاة لكل أهل دين^(٥) كما ذكرنا .

وقوله : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ : قال الزَّجَّاج : «أي : فبادروا إلى القبول من الله عز وجل ، وولّوا وجوهكم حيث أمركم الله أن تولّوا^(٦) . وعلى هذا ﴿ الْخَيْرَاتِ ﴾ على صيغتها من العموم ، وهي مخصوصة ؛ لأنه أراد الابتدار إلى استقبال الكعبة .

وقوله تعالى : ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ ﴾ : قيل : إنه في المؤمنين خاصة ، ومعناه : إن الذي سبق في علم الله أنه يصلي إلى الكعبة ، فأينما يكونوا في شرق

(١) الإغفال ٣٨٧ .

(٢) في (ش) : (أي) .

(٣) البيت لابن همام السلولي في الكتاب ٥٨ / ٣ ، وبلا نسبة في الإغفال ٣٨٩ ، وشرح ابن يعيش ١٠٥ / ٤ ، والمقتضب ٤٨ / ٢ ، وشرح الأشموني ٥٨٠ / ٣ ، والرواية في بعض نسخ الإغفال وبعض المراجع : أين تضرب بنا العُدّة

(٤) من الإغفال : ص ٣٨٩ باختصار .

(٥) انظر أثر ابن عباس والسُّدِّي وابن أبي زيد ومجاهد والربيع وعطاء في هذا عند ابن جرير الطبري في تفسيره ٢٨ / ٢ ، ٢٩ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٦ / ١ ، ٢٥٧ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٢٦ / ١ ، وانظر أثر قتادة عند الطبري في تفسيره ٣٠ / ٢ .

الأرض وغربها ، وفي أصلاب الآباء وأرحام الأمهات يجمعهم الله على التوجه إلى هذه القبلة ، فهذا محمول على صرف وجوه الناس إلى الكعبة للصلاة والمناسك^(١) .

وأما التعميم فقوله : ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهٌ هُوَ مُوَلِّيًا ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : « يريد : من أراد وجه الله قبل الله منه ، ومن أراد غير ذلك فإن الله يجزيه »^(٢) ، يعني أن من طلب في جميع ما يأتي وجه الله قبل الله منه ، ومن رايًا وطلب غير الله بعلمه عليم الله ذلك منه ، وهذا كما قال سعيد بن جبير في هذه الآية ، قال : « لكل طريقة هو مجبور عليها ، وهذا كقوله : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ [الإسراء: ٨٤] ، وكقوله : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨] .

وقوله : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ : قال ابن عباس : « يريد : تنافسوا في ما رغب فيه من الخير لكل عنده ثوابه »^{(٣)(٤)} .

وقوله تعالى : ﴿ أَتَيْنَا مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾ ؛ أي أينما تكونوا يجمعكم الله للحساب فيجزئكم بأعمالكم^(٥) .

(١) انظر : زاد المسير ١/ ١٥٩ ، والبحر المحيط ١/ ٤٣٩ .

(٢) تقدم الحديث عن هذه الرواية .

(٣) تقدم الحديث عن هذه الرواية . انظر : تفسير الطبري ٢/ ٣٠ ؛ حيث روى عن الربيع وابن أبي زيد ما يدل على العموم ، وكذا ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٥٧ . انظر أيضاً : زاد المسير ١/ ١٥٩ ، والبحر المحيط ١/ ٤٣٩ ، والتفسير الكبير ٤/ ١٣١-١٣٣ .

(٤) من قوله : (وقوله تعالى :) ساقط من (أ) و(م) .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٢/ ٣٠ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٢٤٩ ، والبحر المحيط ١/ ٤٣٩ .

١٤٩. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: الهاء تعود على شطر المسجد، ويجوز أن تعود إلى التوجه المدلول عليه بقوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾^(١)، ومعنى ﴿لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: أي بأمره وحكمه^(٢).

١٥٠. قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ إنما كرر هذا؛ لأن هذا من مواضع التوكيد؛ لأجل النسخ الذي نُقلوا فيه من جهة إلى جهة للتقرير^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾: قيل: الحجة: فُعلة، من الحج الذي هو القصد؛ لأنها مقصودة للمخاصم، ومنه: المحجَّة؛ لأنها تقصد بالسلوك. والمخاصمة يُقال لها: المحاجَّة؛ لقصد كل واحد من الخصمين إلى إقامة بَيِّنته وإبطال ما في يد صاحبه^(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: اختلف العلماء في وجه هذا الاستثناء، وهم في هذه الآية فريقان:

-
- (١) وهذا اختيار الطبري في تفسيره ٣٠/٢، وانظر: التبيان للعكبري ١٠٠.
- (٢) قال الطبري في تفسيره ٣٠/٢: «وإن التوجه شطره للحق الذي لا شك فيه من عند ربك، فحافظوا عليه، وأطيعوا الله في توجيهكم قبله». وقال في البحر المحيط ٤٣٩/١: «هذا إخبار من الله تعالى بأن استقبال هذه القبلة هو الحق، أي الثابت الذي لا يعرض له نسخ ولا تبديل».
- (٣) انظر: تفسير البغوي ١/١٦٥، والمحزر الوجيز ٢/٢٤.
- (٤) انظر: تفسير الثعلبي ١/١٢٥٠، والمفردات ١١٥، ولسان العرب (حجج) ٢/٧٧٩.

فريق أولوا الآية على سياقها، وصححوا الاستثناء على ظاهره^(١)، وهم : مجاهد^(٢)، وعطاء^(٣)، وقتادة^(٤)، والربيع^(٥)، والشَّدي^(٦)، وابن جرير^(٧)، وأبو روق^{(٨)(٩)}، قالوا : «الناس هاهنا اليهود، كانوا يحتجون على رسول الله ﷺ في صلاتهم إلى بيت المقدس، ويقولون : ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن، ويقولون : يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا^(١٠)». وهذا كان حجتهم التي كانوا يحتجون بها على المؤمنين، على وجه الخصومة والتمويه بها على الجهال، فلما صرفت القبلة إلى الكعبة بطلت هذه الحجة^(١١).

ثم قال : ﴿لَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وهم المشركون، فإنهم قالوا : قد تحيَّر محمد في دينه، فتوجه إلى قبلتنا، وعلم أنا^(١٢) أهدى سبيلاً منه، ويوشك أن يرجع إلى

- (١) بين أبو حيان في البحر المحيط ٤٤١ / ١ أن الاستثناء في الآية متصل، ونسبه إلى ابن عباس، قال : «واختاره الطبري، وبدأ به ابن عطية، ولم يذكر الزمخشري غيره، وذلك أنه متى أمكن الاستثناء المتصل إمكاناً حسناً كان أولى من غيره».
- (٢) انظر : تفسير ابن أبي حاتم ٢٥٩ / ١، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٢٥١ / ١.
- (٣) رواه عنه الطبري في تفسيره ٣٢ / ٢، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٢٥١ / ١.
- (٤) رواه عنه الطبري في تفسيره ٣٢ / ٢، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٢٥١ / ١.
- (٥) رواه الطبري في تفسيره ٣٢ / ٢، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٢٥١ / ١.
- (٦) رواه عنه الطبري في تفسيره ٣٢ / ٢، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٢٥١ / ١.
- (٧) انظر : تفسير الطبري ٣١-٣٥.
- (٨) هو عطية بن الحارث الهمداني الكوفي، صدوق، صاحب تفسير، عدّه ابن حجر من طبقة صغار التابعين. انظر : تقريب التهذيب ٣٩٣، ٤٦٥، والجرح والتعديل ٣ / ٣٨٢.
- (٩) انظر : تفسير الثعلبي ١ / ١٢٥٤.
- (١٠) انظر : تفسير الطبري ٣١ / ٢، ٣٢، ١٩ / ٢، ٢٠، وتفسير الثعلبي ١ / ١٢٥١، وتفسير البغوي ١ / ١٦٥، وزاد المسير ١ / ١٥٩، ١٦٠، وزاد نسبة هذا القول إلى ابن عباس وأبي العالية ومقاتل.
- (١١) انظر : تفسير الثعلبي ١ / ١٢٥١، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ٢٢٦، ٢٢٧، والبحر المحيط ١ / ٤٤٢.
- (١٢) (ش) : (أنا).

ديننا^(١)، فهو لاء تبقى لهم^(٢) الخصومة . والحجة قد تكون بمعنى الخصومة ، كقوله : ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [الشورى : ١٥] ؛ أي لا خصومة^(٣) .

قال أبو روق : «حجة اليهود أنهم كانوا قد عرفوا أن النبي المبعوث في آخر الزمان قبلته الكعبة ، وأنه يُحوَّل إليها ، فلما رأوا محمداً ﷺ يصلي إلى الصخرة واحتجوا بذلك ، فصرفت قبلته إلى الكعبة ؛ لئلا يكون لهم عليه حجة إلا الذين ظلموا منهم^(٤) ، يريد : إلا الظالمين الذين يكتمون ما عرفوا من أنه يُحوَّل إلى الكعبة» .

وقال المفضل بن سلمة^(٥) : «المراد بالناس في هذه الآية : جميع الناس ، كانوا يحتجون على النبي ﷺ بأنه^(٦) لو كان نبياً لكانت له قبلية ، ولم يُصلَّ إلى قبلية اليهود ، فلما حُوِّلَ قبلته إلى الكعبة ، بطل هذا الاحتجاج ، إلا أن الظالمين يتعننون ويخاصمون . فيقول المشركون ومن دان بدينهم : إنما رجع إلى الكعبة ؛ لأنها قبلية آبائه وهي الحق ، وكذا يرجع إلى ديننا ، ويقول اليهود : إنما انصرف عن بيت المقدس مع علمه بأنه حق ؛ لأنه يفعل برأيه ويزعم أنه أمر به» . وهذا مذهب أبي إسحاق ، فإنه يقول : «المعنى : لأن لا يكون للناس عليكم حجة إلا من ظلم باحتجاجه في ما قد وضع له ، كما تقول : ما لك علي حجة ، وحجته داحضة عند

(١) ذكر ذلك الطبري في تفسيره ٢/ ٣٢-٣٤ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٥٨ بسنده عن أبي العالية ، ثم ذكر عن مجاهد وعطاء والسُّدِّي وقتادة والربيع بن أنس والضحاك . انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ١٢٥١ ، وتفسير البغوي ١/ ١٥٦ .

(٢) في (أ) و(م) : (فهو لا تتقاهم الخصومة) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢/ ٣١ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٢٥٢ .

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١٢٥٤ ، والبغوي في تفسيره ١/ ١٦٥ ، وقد ذكر الرازي في تفسيره ٤/ ١٤٠ أربعة أوجه لتأويل كون الاستثناء متصلاً .

(٥) هو المفضل بن سلمة بن عاصم ، أبو طالب الضبي ، لغوي ، كان كوفي المذهب في النحو ، لقي ابن الأعرابي وغيره من العلماء ، توفي سنة ٢٩٠ هـ تقريباً كما في الأعلام . انظر : إنباه الرواة ٣/ ٣٠٥ ، وبغية الوعاة ٢/ ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، والأعلام ٧/ ٢٧٩ .

(٦) في (م) : (لأنه) .

الله - عز وجل - قال الله تعالى : ﴿مُجْتَنِّهِمْ دَارِ حِصَّةٍ﴾ [الشورى : ١٦] فسامها حجة مع بطلانها .

وعلى هذا المذهب موضع (الذين) خفض على البدل من الناس ، كما تقول : «ما مررت بأحد إلا زيد» . ويجوز أن يكون موضعه نصباً على الاستثناء ، كما يستثنى بعد الإيجاب ، كقوله : ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء : ٦٦] ؛ من رفعه جعله بدلاً من الواو ، ومن نصبه نصبه على الاستثناء^(١) ، وكذلك : ﴿وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَّكَ﴾ [هود : ٨١] رفعاً ونصباً^(٢) .

وأما أصحاب الفريق الثاني فإنهم لم يصححوا الاستثناء ، وعدلوا به عن ظاهره ، وهم : الأخفش ، والمؤرج ، والفراء ، ومعمربن المنى . قال الفراء والمؤرج : «هذا استثناء منقطع من الكلام الأول» ، ومعناه : لأن لا يكون للناس كلهم عليكم حجة إلا الذين ظلموا فإنهم يحاجونكم بالظلم . هذا معنى قولهما ، ثم قال الفراء : «وهو كما تقول في الكلام : الناس كلهم حامدون إلا الظالم لك ، فإن ذلك لا يعتد به وبتركه الحمد لعداوته لك ، وكذلك : الظالم لا حجة له وقد سمي ظالماً» .

قال ابن الأنباري : (إلا) في الاستثناء المنقطع له معنيان :

أحدهما : أن يكون الذي بعدها مستأنفاً ، يلبس الأول من جهة عائد عليه منها ، أو معنى يقرب به منه ، كقول القائل : قعدنا نتذاكر الخير وما يقربنا من الله ، إلا أن قوماً يبغضون ما كنا فيه . فالذي بعد (إلا) مستأنف ، يلبس بالأول من جهة المعنى ، وذلك بغضهم لما كانوا فيه ، فتأويل إلا : لكن قوماً . ولو لم يلبس ما بعد (إلا) بما قبلها من وجه لم يكن الاستثناء معنى على جهة إيصال ولا انقطاع ، ولذلك يقول النحويون : (إلا) في الاستثناء المنقطع بمنزلة (لكن) ؛ لأن الذي بعد (لكن) مستأنف .

(١) قرأ ابن عامر بنصب (قليل) ، وقرأ الباقون برفعها . انظر : السبعة ٢٣٥ .

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (إلا امرأتك) برفع التاء ، وقرأ الباقون بنصبها . انظر : السبعة ٣٣٨ .

وبهذا قال الأخفش في هذه الآية ؛ لأنه قال : «معناه : لكن الذين ظلموا ، كقوله : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعَ الظُّلَمِ ﴾ [النساء: ١٥٧] يعني : لكن الذين يتبعون الظن ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴾ (١) إِلَّا أَنْبَاءَ وَجْهِهِ الْأَعْلَى ﴾ [الليل: ١٩-٢٠] يعني : لكن ينبغي ، فيكون منقطعاً من الكلام الأول . وأمّا المتصل فإنه يخرج من أسماء تشاكله ومن فعل يخالف بخروجه منه ما قبله من الأسماء المذكورة ، كما تقول : خرج القوم إلا زيدا ، فزيد من جنس القوم قد خالفهم بترك الخروج . والمنقطع لا يكون مخرجاً من الأسماء التي قبل إلا في الظاهر ، ولكن من معنى من معاني الكلام يجب به الملازمة كما ذكرنا .

والمعنى الثاني في الاستثناء المنقطع أن يكون مؤكداً لما قبله ، وذلك أن الرجل إذا قال : «ارتحل الناس إلا الأثقال» ، أكد ارتحال الناس بقوله : «إلا الأثقال» ، وذهب إلى أنه إذا لم يبق إلا الأثقال كان القوم كلهم مرتحلين ، وكان تأويله : ارتحل الناس كلهم ، وكذلك : مضى العسكر إلا الأبنية والخيام ، معناه : مضوا أجمعون ؛ لأنه إذا لم يبق إلا بناء وخيمة كان القوم غير متخلف منهم واحد ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء: ٢٣] معناه : لكن ما قد سلف وأنتم غير مؤاخذين ، فهو مستأنف يلبس الأول ، إذ كان أخرج من الأمور التي فيها المأثم والأوزار ، فجعل لا مأثم فيه ولا وزر ، ومثله قول النابغة :

... وما بالربع من أحدٍ

إلا أوارى (١)

(١) تمام البيتين :

وقفتُ بها أصيلاً أسائلها عيّتُ جواباً وما بالربع من أحدٍ
إلا الأوارى لأياماً أبينها والنؤى كالحوض بالظلمة الجلد

انظر : ديوانه ٩ ، والأغاني ٢٧/١١ ، والخزانة ١٢٢/٢ .

معناه : لكن ، وضم الاستثناء ؛ لأنها كانت مستثناة ممن كان بالربع ، فالربع كان يشملهم ، وهذا ملابسة بينهما ، وأيضاً فإن هذا التأكيد لخلو الأرض ؛ لأنه إذا لم يبق في الدار إلا الأواري كان خلوها من الإنس متيقناً .

فهذان المعنيان ذكرناهما في الاستثناء المنقطع تحتملهما الآية ؛ لأن الظالمين وإن لم يكن لهم حجة فهم يموّهون ويحتجون بالباطل ، وأيضاً فإنه إذا لم يكن لأحد عليهم حجة إلا من كان ظالماً كان في هذا تأكيد لنفي الحجة .

فعلى المذهب الأول : الظالمون كانوا ظالمين بشركهم وكفرهم ، وعلى المذهب الثاني : كانوا ظالمين لاحتجاجهم بما لا متعلق لهم به . وموضع (الذين) على هذا القول - وهو قول الفريق الثاني - نصب على أكثر العرب ؛ لأنهم ينصبون ما كان من الاستثناء المنقطع ، كقوله :

إلا أوري

غير أن بني تميم يميزون البذل ، كما يكون الاستثناء متصلاً ، وعلى لغتهم يُنشد :

وبلدة ليس بها أنيسُ إلا اليعافيرُ وإلا العيسُ^(١)

فجعل اليعافير بدلاً من الأنيس . والقرآن نزل بلغة أهل الحجاز فلذلك نصب كل مستثنى منقطع من الأول ، كقوله : ﴿إِلَّا أَبْنَاءَ الظَّالِمِينَ﴾ [النساء: ١٥٧] ، وقوله تعالى : ﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾ ، ثم قال : ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ [يس: ٤٣-٤٤] ، وكذلك قوله : ﴿إِلَّا ابْنَاءَ وَجْوَرِيَّةٍ﴾ [الليل: ٢٠]^(٢) .

(١) الرجز لجران العود في ديوانه ٩٧ ، ولسان العرب (كنز) ٣٩٣٨/٧ ، وأوضح المسالك ٢/٢٦١ .

(٢) انظر : تفسير البغوي ١/١٦٥ ، وقال في البحر ١/٤٤٢ مبيناً مثار الخلاف بين من قال بالاتصال والانقطاع : «هل الحجة هو الدليل والبرهان الصحيح ، أو الحجة هو الاحتجاج والخصومة ؟ فإن كان الأول : فهو استثناء منقطع ، وإن كان الثاني : فهو استثناء متصل» .

وقال معمر بن المثنى : «إلا هاهنا معناها : الواو ، فهو عطفٌ عطف به ﴿الَّذِينَ﴾ على ﴿الَّذِينَ﴾ . والمعنى : لئلا يكون للناس والذين ظلموا عليكم حجة»^(١) ، واحتج على هذا المذهب بأبيات منها^(٢) :

وكلُّ أخٍ مفارقُهُ أخوه لَعَمْرُ أَيْكَ إِلَّا الفرقدان^(٣)
فقال : أراد : والفرقدان أيضاً يفرقان .
وما أنشده الأخفش^(٤) :

وأرى لها داراً بأغْدِرَةِ السِّدِّ يَدَانِ لَمْ يَدْرُسْ لَهَا رَسْمُ
إِلَّا رَمَاداً خَامِداً دَفَعَتْ عَنْهُ الرِّيَّاحُ خَوَالِدُ سُحْمٍ^(٥)

(١) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٦٠ ، ٦١ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٢٥٥ ، وتفسير البغوي ١/ ١٦٦ .

(٢) احتج أبو عبيدة بالأبيات الآتية :

الأول للأعشى :

إِلَّا كخارجة المكلِّفِ نفسُهُ وابني قيصةً أَنْ أغْيَبَ وأشهد
ومعناه : وخارجة .

الثاني والثالث لعنز بن دجاجة المازني :

مَنْ كَانَ أَسْرَعَ فِي تَفْرِيقِ فَالِحٍ فَلَبِوْهُ جَرِبَتْ مَعاً وَأَغْدَتْ
إِلَّا كناشرة الذي ضيَّعْتُمْ كالغصنِ فِي غُلَوَائِهِ الْمَتَبَّتِ
يريد : وناشرة الذي ضيعتم .

(٣) نسب البيت إلى عمرو بن معدي كرب . انظر : ديوانه ١٧٨ ، والكتاب ٢/ ٣٣٤ ، والمؤتلف والمختلف : ص ١٥١ . ونسب البيت أيضاً إلى عمرو أو الحضرمي في خزانة الأدب ٣/ ٤٢١ ، وهو بلا نسبة في تفسير الثعلبي ١/ ١٢٥٥ ، ولسان العرب (فرقد) ٦/ ٣٤٠٢ . والفرقدان : نجهان في السماء لا يغربان .

(٤) انظر : معاني القرآن للأخفش ١/ ١٥٢ .

(٥) البيت للمُخَبَّل السعدي . انظر : ديوانه ٣١٢ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٢٥٦ ، ولسان العرب (خلد) ٢/ ١٢٢٥ ، والمفضليات ١١٣ ، ١١٤ . الأغدرة : جمع غدير ، والسَّيدان : أرض لبني سعد ، والخوالد : البواقي وعنَى بها : الأثافي ، وسحم : ذات لون يضرب إلى السواد .

أراد : أرى داراً ورماداً^(١) .

وهذا القول عند الفراء خطأ^(٢) ؛ لأن (إلا)^(٣) لا تخرج عن الاستثناء إلى النسق حتى يتقدمها عدد لا يصلح أن يستثنى منه ، فتجري مجرى الواو إذا بطل فيها معنى الاستثناء ، بيان ذلك قولك : «لي على فلان ألف إلا عشرة إلا مائة» ، فلا يصلح استثناء المائة من العشرة ، فعادت المائة إلى الألف لا بالاستثناء ولكن بالعطف ، كأنك أغفلت المائة فاستدركتها ، فقلت : «اللهم إلا مائة» ، فالمعنى : لي عليه ألف ومائة . قال الشاعر :

ما بالمدينة دارٌ غيرٌ واحدةٍ دارُ الخليفةٍ إلا دارُ مروان^(٤)
كأنه قال : ما بالمدينة دار إلا دار الخليفة ودار مروان^(٥) .

فعند الفراء إنما تكون (إلا)^(٦) بمنزلة الواو إذا عطفها على استثناء قبلها ، لا يصلح أن يكون الثاني استثناء من الأوّل ، كما بيّنا ، ومن الناس من صوّب أبا عبيدة في مذهبه ، وصحح قوله بما احتج به من الشعر .

(١) سقط من (ش) .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ١ / ٨٩ ، وخطأه أيضاً الطبري في تفسيره ٢ / ٣٣ ، ٣٤ ، وقال في البحر المحيط ١ / ٤٤٢ : «وإثبات إلا بمعنى الواو ، لا يقوم عليه دليل ، والاستثناء سائح في ما ادعى فيه أن إلا بمعنى الواو» ، وكان أبو عبيدة يضعف في النحو ، ثم نقل تخطئه الزجاج لهذا القول .

(٣) كتبت في (ش) : (لثلا) .

(٤) البيت للفرزدق في الكتاب ٢ / ٣٤٠ ، وليس في ديوانه ، وبلا نسبة في تذكرة النحاة ٥٩٦ ، والمقتضب ٤ / ٤٢٥ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ١ / ٨٩ ، ٩٠ .

(٦) سقطت من (ش) .

وقال قطرب : «الاستثناء في هذه الآية من الضمير في ﴿عَلَيْكُمْ﴾» . المعنى :
لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا على الذين ظلموا منهم فإن عليهم الحجة^(١) ،
وهذا الوجه اختيار أبي منصور الأزهري ، حكاه لي أحمد بن إبراهيم المقبري - رحمه
الله - عن الحسن بن محرم عنه .

قال أبو بكر بن الأنباري : «وهذا عندي بعيد رديء^(٢) ؛ لأن المكني المخفوض
لا ينسق عليه إلا بإعادة الخافض ، ولأن^(٣) الكاف والميم في عليكم للمخاطبين ،
فلو استثنى الذين ظلموا منهم لقال : إلا الذين ظلموا منكم ، فلما قال : (منهم)
دل بالغيبة على أن الذين ظلموا لم^(٤) يُسْتثنَوْا من الكاف والميم» .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ﴾ : الكناية ترجع إلى الذين ظلموا ، والمعنى :
لا تخشوهم في انصرفكم إلى الكعبة ، وفي تظاهروهم عليكم في الحاجة
والمحاربة^(٥) ، فإني وليكم ، أظهركم عليهم بالحجة والنصرة^(٦) . ﴿وَاحْشَوْني﴾ في
تركها ومخالفتها^(٧) .

(١) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٢٥٧ ، والتفسير الكبير ٤/ ١٤٠ ، والبحر المحيط ١/ ٤٤٢ ، ومن ضَعَفَ
هذا الطبري في تفسيره ٢/ ٣٤ .

(٢) ساقط من (أ) و(م) .

(٣) في (ش) : (ولكن) .

(٤) في (ش) : (من) .

(٥) في (ش) : (والمجابهة) .

(٦) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٢٥٧ .

(٧) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٢٥٧ ، وتفسير الطبري ٢/ ٣٥ ، ومعالم التنزيل ١/ ١٦٦ .

﴿وَلَا تُؤْتِي عِلْمِي عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ : عطف على قوله : ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾^(١) ، ولكن^(٢) أتم نعمتي عليكم بهدايتي إياكم إلى قبلة إبراهيم ، فتم لكم الملة الحنيفية^(٣) .

قال عطاء : «عن ابن عباس : ﴿وَلَا تُؤْتِي عِلْمِي عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ يريد : في الدنيا والآخرة ، أمّا الدنيا : فأنصركم على عدوكم ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأولادهم ، وأمّا في الآخرة : ففي رحمتي وجنتي ، وأزوجكم من الحور العين»^(٤) .

وقال علي رضي الله عنه : «تمام النعمة : الموت على الإسلام» .

وعنه أيضاً : «النعم ست : الإسلام»^(٥) ، والقرآن ، ومحمد عليه السلام ، والستر ، والعافية ، والغنى عما في أيدي الناس»^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ : ذكرنا معنى (لعل) في ما تقدم^(٨) ، ونظم الكلام يوجب طرح الواو ؛ لأن معناه : ولأتم^(٩) نعمتي عليكم لعلكم تهتدون بنعمتي ، إلا أنه قد يحسن استعمال الواو في مثل هذا الموضع ، ويستفاد منه أن يكون ما بعده جملة مبتدئة تتضمن الاتصال بما سبق من الكلام ، ويحسن حذف الواو فيكون حينئذ اتصالاً محضاً لا يتضمن استئناف جملة ، مثاله : أن تقول :

-
- (١) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٢٥٨ ، والبحر المحيط ١/ ٤٢٢ ، والتبيان ١٠٠ .
 - (٢) هكذا وردت في الأصول ، ووردت في تفسير الثعلبي : «ولكي» ، وهي أوضح في المعنى .
 - (٣) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٢٥٨ ، وتفسير الطبري ٢/ ٣٥ ، وتفسير البغوي ١/ ١٦٦ .
 - (٤) تقدم الحديث عن هذه الرواية في المقدمة .
 - (٥) ساقطة من (ش) .
 - (٦) ذكره عنه الثعلبي في تفسيره ١/ ١٢٥٨ ، والبغوي في تفسيره ١/ ١٦٦ .
 - (٧) ذكره عنه الثعلبي في تفسيره ١/ ١٢٥٨ ، وذكر أبو حيان في البحر المحيط ١/ ٤٤٣ ثمانية أقوال في معنى تمام النعمة ، قال فيها : «صدرت مصدر المثل ، لا مصدر التعيين ، وكل فيها نعمة» .
 - (٨) وقد ذكر الثعلبي في هذا الموضع من تفسيره ١/ ١٢٥٨ - ١٢٦٠ (معاني لعل) .
 - (٩) في (ش) : (لأتم) .

«أعطيتك وأكرمك أرجو رُشدك»، ويحسن أن تقول: «وأرجو رُشدك»؛ أي بالإكرام والإعطاء، وإن كانت جملة مبتدئة.

١٥١. قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ الآية، تكلم النحويون وأرباب المعاني في أن الكاف في قوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ بماذا تتعلق، فذكروا فيه قولين^(١): أحدهما أنه متعلق بما قبله، وهو من صلة ﴿وَلَأُتِمَّ نِعْمَتِي﴾، فيكون المعنى: ولأتم نعمتي عليكم كما رسالي إليكم رسولا؛ أي أتم هذه كما أتممت تلك، وبيان هذا: ما ذكر محمد بن جرير، قال: «إن إبراهيم - عليه السلام - دعا بدعوتين:

إحداهما: قوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾ الآية [البقرة: ١٢٨].

الثانية: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ الآية [البقرة: ١٢٩]، وهو محمد ﷺ، فالله تعالى قال: ﴿وَلَأُتِمَّ نِعْمَتِي﴾ ببيان شرائع ملتكم الحنيفية، وأهديكم لدين خليلي إبراهيم، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ يعني^(٢): فكما أجبث دعوته بابتعاث الرسول، كذلك أجب دعوته بأن أهديكم لدينه، وأجعلكم مسلمين، فيكون هذا إجابة لدعوته حيث قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ﴾^(٣)، وهذا الوجه اختيار الفراء^(٤).

القول الثاني: إن ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ جواب لقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾، ومعناه: فاذكروني أذكركم كما أرسلنا، فيكون هذا بمنزلة جزاء له جوابان، أحدهما:

(١) انظر: تفسير الطبري ٣٦/٢، وتفسير الثعلبي ١٢٦٢/١.

(٢) في (ش): (معنى).

(٣) تفسير الطبري ٣٥/١، ٣٦ بتصرف، ورجحه مكي بن أبي طالب في مشكل إعراب القرآن ١١٤/١، وانظر: البحر المحيط ٤٤٤/١.

(٤) معاني القرآن للفراء ٩٢/١، وانظر: تفسير الثعلبي ١٢٦٢/١.

مقدم ، والآخر : مؤخر ، ومثله من الكلام : إذا أتاك عبد الله فأته^(١) تُرضيه ، فقد صارت (فأته تُرضيه) جوابين^(٢) .

قال ابن الأنباري : « وفسر بعض^(٣) أصحابنا هذا تفسيراً شافياً » . فقال : « (كما) شرط ، والفاء في قوله : ﴿ فَأَذْكُرُونِي ﴾ جوابه ، و﴿ أَذْكُرْكُمْ ﴾ جواب الشرط المقدر من الأمر في ﴿ فَأَذْكُرُونِي ﴾ ، وكذلك : إذا أتاك عبد الله فأته تُرضيه ، (إذا) محمولة على معنى الشرط ، والفاء جواب^(٤) له ، فلما جعل له جواب لشرط مقدر من الإتيان ، قال : ولو اقتصر على قوله : ﴿ فَأَذْكُرُونِي ﴾ كان (كما) جواباً له ، فلما جُعِلَ له جوابٌ كان (كما) مذهباً به مذهب الشرط » .

وهذا القول موافق لتفسير الآية ؛ لأن الآية خطاب لمشركي العرب^(٥) ، خاطبهم الله تعالى بها دَلَّم على إثبات رسالة محمد ﷺ ، فقال : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ ﴾ محمداً ، وهو رجل منكم أُمي ، تعلمون أنه لم يتل كتاباً ، فأنبأكم^(٦)

(١) في (ش) : كُتِبَ (فانه) .

(٢) انظر : معاني القرآن للقرطبي ٩٢ / ١ . ذكر الثعلبي في تفسيره ٢٦٢ / ١ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٤٤٤ / ١ أن هذا قول مجاهد وعطاء والكلبي ومقاتل ، وهو اختيار الأخفش والزمخشري وابن كيسان والأصم ، ورد الطبري في تفسيره ٣٦ / ٢ قول مَنْ قال : « معنى الآية : فاذكروني كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم أذكركم وزعموا أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير ، فأغربوا النزاع وبعثوا من الإصاغة ، وحملوا الكلام على غير معناه المعروف ، وسوى وجهه المفهوم » ، ثم فسر ذلك ، ثم ذكر الرد على من قال بالجزاء الذي له جوابان ، فقال : « وهذا القول وإن كان مذهباً من المذاهب ، فليس بالأسهل الأنصح في كلام العرب » .

وذكر في البحر المحيط ٤٤٤ / ١ أن مكى بن أبي طالب ردَّ هذا القول ، وقال : « لأن الأمر إذا كان له جواب لم يتعلق به فاقبله لاشتغاله بجوابه » ، وقد ردَّ كلامه أبو حيان في البحر ، وفصل .

(٣) في (م) : (ووفر هذا) .

(٤) في نسخة (ش) : « والفاء جوابها وترضيه جواب الشرط مقدر من الإتيان . . . » ، والمثبت من نسختي (أ) و(م) .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ١٢٦٢ / ١ .

(٦) سقطت من (ش) .

بأخبار الأنبياء ؛ أي فكما أنعمت عليكم بإرساله ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بتوحيدي ، وتصديقه ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ برحمتي ومغفرتي والثناء عليكم ^(١) .

قال ابن عباس : «قوله : ﴿وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ قال : هذا كله للمهاجرين والأنصار ، فأول الآية الخطاب عام ؛ لأن الإرسال عام ، وباقي الآية خاص ؛ لأن تلاوته وتعليمه وتزكيته مما خص الله به أقواماً دون» ^(٢) .

ومعنى قوله : ﴿وَيُزَكِّيْكُمْ﴾ ؛ أي يعرضكم لما تكونون به أزكياء ، من الأمر بطاعة الله ، واتباع مرضاته ^(٣) ، ويحتمل أن يكون المعنى : ينسبكم إلى أنكم أزكياء بشهادته لكم ؛ ليعرفكم الناس به ، وقد ذكرنا معنى التزكية في ما تقدم ^(٤) .

١٥٢ . قوله تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ : أصل الذكر في اللغة : التنبيه على الشيء ، ومن ذكرك شيئاً فقد نبهك عليه ، وإذا ذكرته فقد تنبهت عليه ، والذكر أنبأه من الأنثى . وقوله : ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُكَ﴾ [الزخرف : ٤٤] ؛ أي شرف لك ، من النباهة . ومعنى الذكر : حضور المعنى للنفس ، ثم يكون تارة بالقلب ، وتارة بالقول ، وليس موجه أن يكون بعد النسيان ؛ لأنه يستعمل كثيراً دون أن يتقدمه نسيان ^(٥) .

(١) من كلام الزجاج ٢٢٨/١ ، وانظر : تفسير الطبري ٣٧/٢ ، وتفسير الثعلبي ١٢٦٢/١-١٢٦٥ ، وتفسير البغوي ١٦٧/١ .

(٢) سقط في نسختي (أ) و(م) . وأما في (ش) فبياض بمقدار كلمة ، ولعلها (أقوام) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٣٦/٢ ، ٣٧ .

(٤) انظر ما تقدم في قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة : ١٢٩] .

(٥) انظر : الذكر في البحر المحيط ١/٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ولسان العرب (ذكر) ٣/١٥٠٧-١٥٠٩ ، وقال الراغب في المفردات ١٨٤ : «الذكر ذكران : ذكر بالقلب ، وذكر باللسان ، وكل واحد منهما ضربان ، ذكر عن نسيان ، وذكر لا عن نسيان ، بل عن إدامة الحفظ ، وكل قول يقال له ذكر» .

قال سعيد بن جبير : « (اذكروني) بطاعتي ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بمغفرتي »^(١) . وقيل : اذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ : تقول العرب : «شكرته وشكرت له ، ونصحته ونصحت له ، في أحرف تسمع ولا تقاس . فمن قال : شكرتك ، أوقع اسم المنعم موقع النعمة ، فعَدَى الفعل بغير وسيطة ، والأجود : شكرت لك ؛ لأنه الأصل في الكلام ، والأكثر في الاستعمال»^(٣) . والنعمة محذوفة من الآية ؛ لأن معنى الكلام : واشكروا لي نعمتي ؛ لأن حقيقة الشكر إنما هي إظهار النعمة ، لا إظهار المنعم . وكذلك ﴿وَلَا تَكْفُرُون﴾ أي : لا تكفروا نعمتي^(٤) ؛ لأن أصل الكفر إنما هو ستر النعمة^(٥) لا ستر المنعم . والأصل : لا تكفروني^(٦) بالياء ، إلا

(١) رواه عنه الطبري في تفسيره ٣٧ / ٢ ، وأبو نعيم في الحلية ٤ / ٣١٤ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٢٦٣ / ١ ، وعزاه في الدر ١ / ٢٧٣ إلى عبد بن حميد ، وأخرجه أبو الشيخ والديلمي عن طريق جوير عن ابن عباس مرفوعاً .

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٢٦٧ / ١ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١ / ٣٧ ، ٣٨ ، والمفردات ٢٦٨ ، ولسان العرب (شكر) ٤ / ٢٣٠٥ ، قال : «يقال : شكرته ، وشكرت له ، وباللام أفصح» ، وقال الفراء في معاني القرآن ١ / ٩٢ : «العرب لا تكاد تقول شكرتك ، إنما تقول : شكرت لك ، ونصحت لك ، ولا يقولون : نصحتك ، وربما قبلنا» . وقال في البحر المحيط ١ / ٤٤٧ : «وهو من الأفعال التي ذكر أنها تارة تتعدى بحرف الجر ، وتارة تتعدى بنفسها ، وقالوا : إذا قلت : شكرت لزيد ، فالتقدير : شكرت لزيد صنيعة ، فجعلوه مما يتعدى لواحد بحرف جر ولآخر بنفسه ، ولذلك فسر الزخشري هذا الموضع بقوله : واشكروا لي ما أنعمت به عليكم» .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ١ / ١٢٦٩ ، والبحر المحيط ١ / ٤٤٧ .

(٥) انظر : الكفر في تفسير الطبري ٢ / ٣٧ ، ٣٨ . قال في المفردات ٤٣٥ : «وكفر النعمة وكفرانها : سترها بترك أداء شكرها والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً ، والكفر في الدين أكثر ، والكفور فيها جميعاً» .

(٦) في (ش) و(م) : (لا تكفرون) .

أن أكثر ما جاء في القرآن حذف الياءات مع النون^(١)^(٢)، وقد حذفت مع غير النون، كقوله: ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ﴾^(٣) [ق: ٤١].

قال الفراء: «وليست تتهيب العرب حذف الياء من آخر الكلام»^(٤)، إذا كان ما قبلها مكسوراً، من ذلك ﴿أَكْرَمَنَ﴾ ﴿أَهْنَنَ﴾ [الفجر: ١٥-١٦]، و﴿أَمِيدُونَنِي بِمَالٍ﴾ [النمل: ٣٦]. ومن غير النون ﴿الْمُنَادُ﴾ [ق: ٤١]، و﴿الدَّاعُ﴾ [القمر: ٨]، يكتفي من الياء بكسر ما قبلها، ومن الواو بضممة ما قبلها، مثل: ﴿سَدَعُ الزَّانِيَةِ﴾ [العلق: ١٨]، و﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]. وقد تسقط العرب الواو، وهي واو جماع^(٥)، اكتفاءً بالضممة قبلها، فيقال في ﴿صَرَبُوا﴾: صَرَبٌ، وفي ﴿قَالُوا﴾: قال، وهي في هوازن وعُليا قيس. قال بعضهم:

إذا ما شاء صرُّوا من أرادوا ولا يألوههم أحدٌ ضرارا^(٦)^(٧)

(١) (النون) سقطت من (م).

(٢) انظر: الكتاب لسيبويه ١٨٦/٤، والمقتضب ٢٤٦/٤.

(٣) في (م): (ينادي المنادي).

(٤) في (م): (النون).

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج ٢٢٨/١، وقال فيه: «الأكثر الذي أتى به القراء حذف الياءات مع النون».

(٦) في (ش): (إجماع).

(٧) (ما) ساقطة من (أ) و(م)، وفيها: «ضرار». وفي (م) و(ش): (ضربوا)، وهو تحريف.

(٨) البيت بلا نسبة في الإنصاف ٤٣٠، وجمع الهوامع ٥٨/١، وأورده البغدادى في شرح شواهد المغني ٨٥٩/٢، وقال: «هذا البيت مشهور في تصانيف العلماء، ولم يذكر أحد منهم قائله». وذكر الفراء في

معاني القرآن ٩١/١ بيتاً هو:

متى تقولُ خلّتْ من أهلِها الدارُ كأنهم بجناحي طائرٍ طاروا

وأنشد الكسائي :

فلو أن الأطباء كان حولي وكان مع الأطباء الأساة^{(١)(٢)}
 ١٥٣ . قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ : قال مقاتل :
 «استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض ، وبالصلوات
 الخمس في مواقيتها على تمحيص الذنوب»^(٣) . وذكرنا أن معنى
 الصبر في اللغة : الحبس^(٤) ، فالاستعانة بالصبر هو أن يستعين على
 دينه بحبس النفس عن^(٥) الشهوات والمحارم ، وحبسها على^(٦)
 الطاعات^(٧) . ومعنى الاستعانة بالصلاة : قال الزَّجَّاج «أي : أنكم إذا
 صليتم تلوتم في صلاتكم ما تعرفون به فضل ما أنتم عليه ، وكان ذلك
 لكم عوناً»^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ : قال عطاء عن ابن عباس : «يقول : إني
 معكم أنصركم ولا أخذككم»^(٩) .

-
- (١) البيت بلا نسبة في أسرار العربية ٣١٧ ، وجواهر الأدب ٢٠٨ ، وانظر : الخزانة ٣٨٥ / ٢ . الأساة :
 جمع آس ، وهو هنا : مَنْ يعالج الجرح .
 (٢) من معاني القرآن للفرّاء ٩١ / ١ .
 (٣) انظر : تفسير مقاتل ١٥٠ / ١ ، وعبارته : «استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض والصلوات
 في مواقيتها نحو الكعبة» ، حين عيّرتهم اليهود بترك قبلتهم .
 (٤) انظر : الصبر ومعناه وحقيقته في كتاب ابن القيم الماتع : عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين .
 (٥) في (ش) : (من) .
 (٦) في (ش) : (عن) .
 (٧) انظر : تفسير الطبري ٣٨ / ٢ .
 (٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٢٩ / ١ .
 (٩) تقدم الحديث عن هذه الرواية في المقدمة .

وقال أبو اسحاق : « تأويله أنه يظهر دينهم على سائر الأديان ؛ لأن من كان الله معه فهو الغالب ، كما قال عز وجل : ﴿ فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ أَغْلِبُونَ ﴾ [المائدة : ٥٦] »^(١) .

١٥٤ . قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ ﴾ : يرتفع بإضمار المكني ، تقريره : لا تقولوا : هم أموات . ولا يجوز إيقاع القول على الأسماء ، لا يجوز أن تقول : « قلتُ عبد الله قائماً » ، وإنما يجوز إيقاع القول على^(٢) اسم في معنى قول ، من ذلك قولك : « قلت خيراً » ، وقلت شراً » ، نصبتها ؛ لأنها قول ، كأنك قلت كلاماً حسناً أو قبيحاً^(٣) .

نزلت الآية في قتلى بدر من المسلمين ؛ وذلك أن الناس كانوا يقولون لمن يقتل في سبيل الله : مات فلان ، وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها ، فأنزل الله هذه الآية^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ بَلْ أَحْيَاءُ ﴾ ؛ أي بل هم أحياء ، والأحسن في حياة الشهداء ، وكيفية وصفهم بها^(٥) ما قال رسول الله ﷺ : « إن أرواح الشهداء في أجواف طير

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٢٩ / ١ .

(٢) من قوله : « الأسماء . . . » ساقط من (ش) .

(٣) بمعناه من كلام الفراء في معاني القرآن ٩٣ / ١ ، وتفسير الطبري ٣٨ / ٢ ، ٣٩ ، والمحزر الوجيز ٣٠ / ٢ ، ٣١ ، والبحر المحيط ٤٤٨ / ١ .

(٤) ذكره مقاتل في تفسيره ١٥٠ / ١ ، وعد أسماء القتلى ، وأبو الليث السمرقندي في بحر العلوم ١٦٩ / ١ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٢٦٩ / ١ ، والواحد في أسباب النزول ٤٧ ، ٤٨ ، والحيري في الكفاية ٨٧ / ١ ، والسمعاني في تفسيره ١٠٠ / ٢ ، والماوردي مختصراً في النكت والعيون ٢٠٩ / ١ ، وعزه السيوطي في الدر ٣٨٤ / ١ إلى ابن منده في المعرفة ، عن طريق السدي الصغير ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وهذه سلسلة الكذب . وحكى ابن عطية في المحرر ٣٠ / ٢ ، ٣١ في سببها ، من دون أن ينسبها إلى أحد ، أن المؤمنين صعب عليهم فراق إخوانهم وقراباتهم ، فنزلت مسلية لهم ، تعظم منزلة الشهداء ، فصاروا مغبوطين لا محزوناً عليهم . انظر : العجائب لابن حجر ٤٠٣ - ٤٠٥ ، والبحر المحيط ٤٤٨ / ١ .

(٥) سقطت من (م) .

خُضِرَ ، تَسْرُحُ فِي ثَمَارِ الْجَنَّةِ ، وَتَشْرَبُ مِنْ أَنْهَارِهَا ، وَتَأْوِي بِاللَّيْلِ إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ نُورٍ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ»^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ : أي ما هم فيه من النعيم والكرامة ، وقيل : ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أنهم أحياء^(٢) .

فإن قيل : كيف لا يشعرون وقد أخبر الله بذلك ؟

قلنا : أراد : لا يحسّون ذلك ؛ لأنهم لا يشاهدون^(٣) ، وهذا النوع من العلم مقتضى^(٤) الشُّعْرِ ، وذكرنا هذا في أول السورة^(٥) ، وبَيَّنَّا أنه لهذا المعنى لا يقال : الله يشعر .

١٥٥ . قوله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ : النون فيه للتأكيد ، واللام جواب قسم محذوف ، وفتحت الواو لالتقاء الساكنين في قول سيبويه ، وقال غيره : إنها مبنية على الفتح^(٦) .

(١) أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود ١٨٨٧ ، كتاب : الإمارة ، باب : بيان أن أرواح الشهداء في الجنة .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ١ / ١٢٧٠ ، والبحر المحيط ١ / ٤٤٨ . وقال : «ولكن لا تشعرون بكيفية حياتهم ، ولو كان المعنى بأحياء : أنهم سيحيون يوم القيامة أو أنهم على هدى ، فلا يقال فيه ولكن لا تشعرون ؛ لأنهم قد شعروا به» .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢ / ٤٠ .

(٤) في (ش) : (فيقتضي) .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة : ٩] .

(٦) من معاني القرآن للزجاج ١ / ٢٣٠ ، وعنده : «وقال غيره من أصحابه» ، وتمة كلامه : «وقد قال سيبويه في لام يفعل ، لأنها مع ذلك قد تبنى على الفتحة ، فالذين قالوا من أصحابه : إنها مبنية على الفتح غير خارجين من قول له ، وكلا القولين جائز» . انظر : الكتاب لسيبويه ٣ / ٥١٨ - ٥٢١ .

ومعنى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ : أي نعاملكم معاملة المبتلي ؛ لأن الله تعالى يعلم عواقب الأمور ، فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعرف العاقبة ، ولكنه يعاملهم معاملة من يبتلي ، فمن صبر أثابه على صبره ، ومن لم يصبر لم يستحق الثواب ، فيكون في ذلك إلزام الحجة^(١) .

وقوله تعالى : ﴿يَتَى﴾ : ولم يقل : بأشياء ، وقد ذكر بعده ما هو أشياء لمكان (من) ، والمعنى : بشيء من الخوف وشيء^(٢) من الجوع ، وهو كقول القائل : أعطني شيئاً من الدراهم ، ومن الطعام ، فيصير شيء كالمكرر في المعنى ، ولو كان (بأشياء) كان صواباً^(٣) .

قال ابن عباس : «مِنَ الْخَوْفِ» يعني : خوف العدو^(٤) ، «وَالْجُوعِ» يعني : المجاعة والقحط ، «وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ» يعني : الخسران والنقصان في المال وهلاك المواشي ، «وَالْأَنْفُسِ» يعني : الموت والقتل . وقيل : المرض . وقيل : الشيب ، «وَالشَّمْرَتِ» يعني : الجوائح ، وأن لا تخرج الثمرة كما كانت تخرج^(٥) .

قال أبو إسحاق وابن الأنباري : «تأويل الآية : وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بشيء من الخوف والجوع لتصبروا عليه ، فيكون صبركم داعياً من يخالفكم من الكفار إلى اتباعكم والدخول في ما أنتم عليه ، وذلك أنهم يقولون : لم يصبر هؤلاء القوم على هذا الدين الذي امتحنوا فيه بما امتحنوا ونالتهم فيه الشدائد إلا بعد ما قامت براهين

(١) انظر : تفسير الطبري ٤١/٢ ، وتفسير البغوي ١٦٩/١ .

(٢) في (م) و(ش) : (شيئاً) .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢٣١٢/١ ، وتفسير الطبري ٤١/٣ ، والبحر المحيط ٤٥٠/١ . وقال : «أفرده ليدل على التقليل ؛ إذ لو جمعه فقال : بأشياء ، لاحتمل أن تكون ضرورياً من كل واحد مما بعده» .

(٤) ذكره عن ابن عباس الثعلبي في تفسيره ١٢٧٤/١ ، والواحدي في الوسيط ٢٣٦/١ ، والبغوي في تفسيره ١٦٩/١ ، والقرطبي في تفسيره ١٥٩/٢ .

(٥) هذا من رواية عطاء ، وقد تقدم الحديث عنها ، وقد ذكر هذا بتمامه الثعلبي في تفسيره ١٢٧٤/١ ، وانظر : تفسير البغوي ١٦٩/١ ، والبحر المحيط ٤٥٠/١ .

صحته عندهم ، ولم يداخلهم ريب في أنه هو الحق ، فيكون ذلك أدعى إلى الإسلام»^(١) .

قال أبو بكر : «وقيل في الآية : ولنختبرنكم^(٢) بشيء من الخوف والجوع ، لتناولوا به درجةً ، وتصلوا معه إلى منزلة لولا هو ما وصلتكم إليها ، ولكي^(٣) تتضرعوا في كشفه عنكم ، فتكتسبوا بذلك حظاً من الثواب جزيلاً» .

وقال الشافعي رضي الله عنه : «يعني بالخوف : خوف الله عز وجل ، وبالجوع : صيام شهر رمضان ، وبنقص من الأموال : أداء الزكوات والصدقات ، والأنفس : الأمراض ، والثمرات : موت الأولاد ؛ لأن ولد الرجل ثمرة قلبه»^(٤) .
وقد سمى رسول الله ﷺ الولد ثمرة القلب^(٥) في بعض الأحاديث .

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢٣١ / ١ .

(٢) في (ش) : (لنختبرنكم) .

(٣) في (م) : (ولكن) .

(٤) ذكره عن الشافعي الثعلبي في تفسيره ١ / ١٢٧٤ ، والبغوي في تفسيره ١ / ١٦٩ ، والرازي في تفسيره ٤ / ١٦٧ ، وأبو حيان في البحر ١ / ٤٥٠ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ١ / ٢١١ قائلاً : «وقد حكى بعض المفسرين» ، ثم قال : «وفي هذا نظر» .

(٥) رواه البزار عن ابن عمر ، وفيه : «أبو مهدي سعيد بن سنان» ، وهو ضعيف متروك . انظر : مجمع الزوائد للهيتمي ٨ / ١٥٥ ، وانظر أيضاً : كنز العمال ١٦ / ٢٨٤ ، رقم ٤٤٤٨٥ . وقد أخرج الترمذي في كتاب : الجنائز ، باب : فضل المصيبة إذا احتسب ٣ / ٣٣٢ ، (١٠٢١) عن أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا مات ولد العبد ، قال الله لملائكته : أقبضتم ولد عبدي ؟ قالوا : نعم ، قال : أقبضتم ثمرة فؤاده ؟ قالوا : نعم ، قال : فماذا قال عبدي ؟ قالوا : حمدك واسترجع ، قال : ابنوا له بيتاً في الجنة ، وسموه بيت الحمد» ، وقال : «هذا حديث حسن» ، ورواه عبد بن حميد [رقم : ٥٥١] ، وأبو نعيم في زوائد على الزهد لابن المبارك ١٠٨ ، وابن حبان في صحيحه ٧ / ٢١٠ ، والثعلبي في تفسيره ١ / ١٢٧٤ ، والبغوي في تفسيره ١ / ١٣٠ . قاله ابن حجر في الكاف الشاف ١٢ ، ١٣ ، وأخرجه أحمد ٤ / ٤١٥ وغيره من حديث أبي موسى ، وصححه ابن حبان ، ورواه البيهقي في الشعب مرفوعاً وموقوفاً ، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ، رقم ١٤٠٨ : «الحديث بمجموع طرقه حسن على أقل الأحوال» .

وفي قوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾: دليل على أن من صبر على هذه المصائب أعطاه الله تعالى في العاجل والآجل ما هو أعم نفعاً له .

١٥٦ . قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ الآية ، من الناس من يجعل ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ، وخبره قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ﴾ ، ومنهم من يجعله صفة للصابرين ^(١) .

وقوله تعالى: ﴿أَصَابَتْهُمْ﴾: يقال في المصدر: الإصابة ، والمُصَابَة ، والمُصَاب .
أنشد الفراء :

فلو أنا بكينا من مُصَابٍ على حَدَثٍ بكينا سَيِّدَيْنَا
وأنشد أيضاً :

أُظْلِمُ إِنْ مُصَابَكُمْ رَجُلًا أهدى السلام تحيةً ظُلُمُ ^(٢)
ومعنى المصيبة: هي التي تصيب بالنكبة ، ولا يقال في ما يصيب بخير :
مصيبة ^(٣) ، وياؤها منقلبة عن واو ، هي عين الفعل .

(١) انظر: البحر المحيط ١/ ٤٥١ . وقال عن الأول: «إنه محتمل ، وعن الثاني: إنه ظاهر الإعراب» ، وذكر أيضاً أنه منصوب على المدح ، أو مرفوع على إضمارهم على وجهين: إمّا على القطع ، وإمّا على الاستئناف .

(٢) البيت للحارث بن خالد المخزومي في ديوانه ٩١ ، والاشتقاق ٩٩ ، ١٥١ ، والأغاني ٩/ ٢٢٥ ، وخزانة الأدب ١/ ٤٥٤ ، وإنباه الرواة ١/ ٢٤٩ ، واللسان (صوب) ٤/ ٢٥١٩ ، والمقاصد النحوية ٣/ ٥٠٢ ، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية ٧/ ١٩٠ . ظليم: ترخيم ظليمة ، ويروى: أظلوم ، وظليم: هي أم عمران زوجة عبدالله بن مطيع ، وكان الحارث يُنسب بها ، ولما مات زوجها تزوجها .

ورجلاً منصوب بمصاب ، يعني: إن إصابتكم رجلاً ، وظُلُمُ: خبر إن .

(٣) انظر: البحر المحيط ١/ ٤٥١ .

فأَمَّا جمعها فحكى سيبويه : «إن بعضهم قال في جمع مصيبة : مصائب فهمز ، وهو غلط ، وإنما هو مُفْعَلَةٌ فتوهموها فَعِيلَةٌ» .

قال : «ومنهم من يقول : مصاوب ، فجيء به عن الأصل والقياس»^(١) ، ومثل هذا الغلط في جمع مصيبة على مصائب بالهمزة : قراءة من قرأ (معائش) بالهمز ، وقد شرحنا ذلك مستقصى .

قال أبو علي الفارسي : «قول سيبويه : وتوهموها فعيلة ، أي : توهموا الياء التي في مصيبة ، وهي منقلبة عن العين ، التي هي واو الياء التي للمد ، التي في نحو سفينة وصحيفة ، فهمزوا الياء المنقلبة عن الواو التي هي عين الفعل ، كما همزوا الياء التي للمد ، في نحو : سفائن وصحائف ، ولا تشبه هذه الياء تلك ، ألا ترى أن هذه منقلبة عن واو ، هي عين أصلها الحركة ، وتلك زائدة للمد ، لا حظاً لها في الحركة . ومثل هذا مما حمله أبو الحسن على الغلط : قول بعضهم في جمع مَسِيل : مُسْلَان ، فمَسِيل مَفْعِل ، والياء فيه عين الفعل ، فتوهم من قال : مُسْلَان أنها زائدة للمد ، فجمعه على فُعْلَان ، كما يجمع قضيب على قُضْبَان^(٢) ، وعند أبي إسحاق : الهمزة في مصائب بدل من الواو المكسورة على حد إبدالها في إِسَادَة^(٣) .

قال أبو علي : «وليس القول عندي كذلك ؛ لأن المكسورة غير أول لا تبدل كالمفتوحة ، ألا ترى أنهم قالوا : أَنَاءٌ ؟ فأبدلوا الواو أولاً ، ولم يلزموا البدل غير

(١) بمعناه من الكتاب لسيبويه ١/٣٥٦ ، وقال الزَّجَّاج في ما نقله الأزهرى في تهذيب اللغة (صاب) ١٩٥٦/٢ : «أجمع النحويون على أن حكوا مصائب في جمع : مصيبة ، بالهمز ، وأجمعوا على أن الاختيار : مصاوب ، ومصائب عندهم بالهمز من الشاذ» ، قال : «وهذا عندي إنها هو بدل من الواو المكسورة ، كما قالوا : وسادة وإِسَادَة» .

(٢) ذكر الأزهرى في تهذيب اللغة (مسئل) ٤/٣٣٩٨ «أن القياس في مسيل الماء : مسایل ، غير مهموز ، ومن جمعه : أمسلة ، ومُسْلَانٌ ، ومُسْلَانٌ ، فهو على توهم أن الميم في المسيل أصلية ، وأنه على وزن فعيل ، ولم يرد به مفعلاً ، كما جمعوا مكاناً : أمكنة ، ولهما نظائر» .

(٣) انظر كلامه في ما نقله الأزهرى في : تهذيب اللغة (صاب) ١٩٥٦/٢ .

أول ، مع تكررها في أخووي ونحوه ، فكذلك المكسورة لا يجوز إبدالها غير أول^(١) إذ لم تجئ في شيء مكسورة مبدلة غير أول ، وإذا كان كذلك ، كان قوله في مصائب عارياً من دلالة تبيينه ، وخالياً من نظير يرد إليه ، ويستشهد به^(٢) عليه ، وقول النحويين : إنه على جهة الغلط أشبه بالصواب من حيث كان أكثر نظيراً . وقوله إنما يحصل^(٣) فيه على دعوى مجردة من البرهان .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ؛ أي نحن وأموالنا لله ، ونحن عبيد يصنع بنا ما يشاء ، وفي ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ إقرار له بالعبودية ، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ﴾ إقرار بالبعث والنشور^(٤) .

ومعنى الرجوع إلى الله : الرجوع إلى انفراده بالحكم ، كما كان أول مرة ، إذ قد مَلَكَ قوماً في الدنيا شيئاً من الضر والنفع لم يكونوا يملكونه ، ثم يرجع الأمر إلى ما كان ، إذا زال تملك العباد^(٥) .

وقال أبو بكر الوراق : ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ : إقرار منّا له بالملك ، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ : إقرار على أنفسنا بالهلك^(٦) ، وظاهر الخطاب في هذه الآية يقتضي أن يكون قول القائل : ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ على إثر المصيبة من غير أن يتخللها جزع ؛ ليستحق الثواب

(١) من قوله : «تبدل كالمفتوحة . . .» ساقط من (ش) .

(٢) في (أ) و(م) : (ويستشهد به دل عليه) .

(٣) في (ش) : كأنها : (يتحصل) .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٤٢/٢ ، والمحزر الوجيز ٣٤/٢ ، والبحر المحيط ٤٥١/١ .

(٥) في (ش) : (العبادة) .

(٦) ذكره عنه الثعلبي في تفسيره ١٢٧٧/١ ، والرازي في تفسيره ١٧١/٤ ، وذكره القرطبي في تفسيره ١٦١/٢ [من دون نسبة] .

الموعود . يؤيد هذا : ما روي أن النبي ﷺ قال لامرأة جزعت ثم راجعت : «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»^(١) . الصبر الموعود عليه الأجر والثواب»^(٢) .

١٥٧ . قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾ : قد ذكرنا معنى الصلاة واشتقاقها في ما تقدم^(٣) ، وهي في اللغة : الدعاء ، ومنه قوله : ﴿وَصَلَّى عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يسكنهم^(٤) .

وقال أبو عبيدة : ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾ يقول : ترخّم من ربهم^(٥) ، واحتجّ بقول الأعشى :

تقول بنتي وقد قرّبتُ مُرَحِلًا
يا رَبِّ جَنَّبَ أَبِي الْأَوْصَابَ والوجعا
عليكِ مثْلُ الذي صَلَّيتِ فاغتمضي
نوماً فَإِنَّ لجنبِ المرءِ مضطجعاً»^(٦) .

يروى (مثل) رفعا ونصبا ، فمن نصب فهو إغراء ، ومن رفع فهو رد عليها ، كأنه قال : عليك مثل دعائك ؛ أي ينالك من الخير مثل الذي أردت لي . فأبو عبيدة يجعل صليت بمعنى ترحمت ، وغيره من أهل اللغة يجعله بمعنى دعوت ، وأحدهما

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٢٨٣ ، كتاب : الجنائز ، باب : زيارة القبور ، ومسلم في صحيحه

٩٢٦ ، كتاب : الجنائز ، باب : في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى .

(٢) انظر ذلك في كتاب : عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ١١٤ وما بعدها .

(٣) تقدم ذلك عند قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة : ٣] .

(٤) انظر : معنى (الصلاة) في معاني القرآن للزجاج ٢٣١ / ١ ، وتفسير الثعلبي ١ / ١٢٨٠ ، والمفردات

٢٨٧ ، قال : « . . . والصلاة » ، قال كثير من أهل اللغة : «هي الدعاء والتبريك والتمجيد ، يقال :

صليت عليه ، أي دعوت له وزكيت وصلوات الرسول ، وصلاة الله للمسلمين هو في التحقيق تركيته إياهم ، ومن الملائكة هي الدعاء والاستغفار كما هي من الناس» .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦١ ، ٦٢ .

(٦) البيتان في ديوانه ١٠٦ ، وفي الخزانة ٣٥٩ / ١ ، ومراتب النحويين ١٩٤ .

يقرب من الآخر ؛ لأن المترحم على الإنسان داع له ، والداعي للإنسان مترحم عليه^(١) ، ولهذا المعنى كانت الصلاة متاً دعاء ، ومن الله تعالى رحمة^(٢) .

وأشد الأزهري في تفسير هذه الآية قول الشاعر :

صَلَّى عَلَى يَحْيَى وَأَشْيَاعِهِ رَبُّ كَرِيمٌ وَشَفِيعٌ مُطَاعٌ^(٣)

قال : «معناه»^(٤) : ترحم الله عليه ، على الدعاء ، لا على الخبر» .

ثعلب عن ابن الأعرابي : «الصلاة»^(٥) من الله رحمة ، ومن المخلوقين : الملائكة والإنس والجن القيام والركوع والسجود والدعاء والتسبيح ، ومن الطير والحوام : التسبيح ، ومنه قوله : ﴿كُلُّ قَدْعَةٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ﴾ [النور : ٤١] .

فالصلاة لها معانٍ بالتدرج ، أصلها الدعاء ، ثم صارت الرحمة ، لما ذكرنا من أن الداعي مترحم ، ثم صارت للمغفرة ؛ لأن الترحم يوجب المغفرة ، ومن ترحم الله عليه غفر له ، وفسر ابن عباس الصلوات في هذه الآية بالمغفرة ، فقال : ﴿صَلَّوْتُ﴾ أي : مغفرة من ربهم^(٦) .

(١) سقطت من (م) .

(٢) قال الزَّجَّاج في معاني القرآن ١ / ٢٣١ : «الصلاة في اللغة على ضربين : أحدهما : الركوع والسجود ، والآخر : الرحمة والثناء والدعاء ، فصلاة الناس على الميت ، إنها معناها الدعاء ، والثناء على الله صلاة ، والصلاة من الله - عز وجل - على أنبيائه وعباده معناها : الرحمة لهم والثناء عليهم ، وصلاتنا : الركوع والسجود كما وصفنا ، والدعاء صلاة» .

(٣) البيت للسفاح بن بكير اليربوعي في شرح اختيارات المفضل ١٣٦٢ ، وقيل : هو لرجل من قُرَيع يرثي يحيى بن ميسرة صاحب مصعب بن الزبير . انظر : الخزائن ١ / ١٤١ ، وبلا نسبة في لسان العرب (صلا) ٤ / ٢٤٩٠ .

(٤) في (ش) : (ومعناه) .

(٥) في (ش) : (الله من الله) ، وهو خطأ .

(٦) ذكره عن ابن عباس الثعلبي في تفسيره ١ / ١٢٨٠ ، وبهذا فسر الطبري الرحمة ٢ / ٤٢ ، ورواه ابن أبي حاتم ١ / ٢٦٥ عن سعيد بن جبير ، وفسر ابن كثير هذه اللفظة ١ / ٢١١ ، فقال : «ثناء من الله عليهم =

وقيل في قوله ﷺ: «اللهم صلّ على آل^(١) أبي أوفى^(٢)»؛ أي ارحمهم، واغفر لهم. قال ابن كيسان: «وجمع الصلوات؛ لأنه عنى بها رحمة بعد رحمة»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً﴾: قال ابن عباس: «ونعمة»^(٤).

وقال أهل المعاني: «إنما ذكر الرحمة، ومعنى الصلوات هاهنا: الرحمة؛ لإشباع المعنى، والاتساع في اللفظ»^(٥). ومثله قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقال ذو الرمة:

لمياء في شفيتها حُوءٌ لَعَسَ^(٦)

وتفعل العرب ذلك كثيراً إذا اختلف اللفظ، ألا ترى أنَّ اللعس حُوءٌ، فكرر لما اختلف اللفظان.

ورحمة، كأنه يشير إلى تفسير أبي العالية لصلاة الله على نبيه ﷺ حيث قال: «صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء». ذكره البخاري في صحيحه ٤٧٩٧، كتاب: التفسير، باب: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾. حديث: قبل. انظر: فتح الباري ٨/ ٥٣٢.

(١) سقطت من (ش).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٤١٦٦، كتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية، ومسلم في صحيحه ١٠٧٨، كتاب: الزكاة، باب: الدعاء لمن أتى بصدقته.

(٣) ذكره في تفسير الثعلبي ١/ ١٢٨٠.

(٤) ذكره في تفسير الثعلبي ١/ ١٢٨٠.

(٥) انظر: تفسير الثعلبي ١/ ٤٧٨، ومعالم التنزيل ١/ ١٧٠، والمحرم الوجيز ٢/ ٣٤.

(٦) عجز البيت:

وفي اللثا وفي أنيابها شنبُ

وهو في ديوانه ٣٢، ولسان العرب (شنب) ٤/ ٢٣٣٦.

وقوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّهَدُونَ﴾: قال ابن عباس: «يريد: الذين اهتمدوا للترجيع»^(١). وقيل: إلى الجنة والثواب، وقيل: إلى الحق والصواب»^(٢)، وكان عمر - رضي الله عنه - إذا قرأ هذه الآية قال: «نعم»^(٣) العِدْلان، ونعمت العلاوة»^{(٤)(٥)}.

١٥٨. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الآية: الصفا: جمع صفاة، وهي الحجارة.

قال أبو العباس: «الصفا: كلُّ حجر لا يخلطه غيره، من طين أو تراب يتصل به، واشتقاقه من صفا يصفو إذا خلص»^(٦)، والمروة: واحدة المرو، وهي حجارة بيض بَرَّاقَة، يكون فيها النار»^(٧).

-
- (١) هذا من رواية عطاء، وقد تقدم الحديث عنها، وقد ذكره بغير نسبة الثعلبي في تفسيره ١/ ١٢٨١.
- (٢) انظر: تفسير الثعلبي ١/ ١٢٨١، ومعالم التنزيل ١/ ١٧٠.
- (٣) في (م): (نعمت).
- (٤) في (ش) حاشية: «قال عبدالمؤمن: أراد بالعدلين: الصلاة والرحمة، وبالعلاوة: الاهتداء».
- (٥) الأثر أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٢/ ٦٣٤، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ١١٦، عن طريق مجاهد عن عمر، والحاكم ٢/ ٢٧٠، وصحَّحه على شرط الشيخين، والواحدي في الوسيط ١/ ٢٢٦ عن طريق مجاهد عن سعيد بن المسيب عن عمر، ومجاهد لم يلقَ عمر، وسعيد أدرك عمر ولم يسمع منه. والأثر ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١٢٨١، والبغوي في تفسيره ١/ ١٧٠، والقرطبي في تفسيره ٢/ ١٦٢.
- (٦) انظر: تفسير الطبري ٢/ ٤٣، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٢٣٣، وتفسير الثعلبي ١/ ١٢٨٢، والمفردات ٢٨٦، والبحر المحيط ١/ ٤٥٤، وذكر أبو حيان قولين، فقال: «وقد قيل: إنه الحجر الأملس، وقيل: هو الصخرة العظيمة»، والقول المذكور أعلاه، قال: «إنه الذي يدل عليه الاشتقاق». انظر: اللسان (صفا) ٤/ ٢٤٦٨.
- (٧) انظر: تفسير الطبري ٢/ ٤٣، ٤٤، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٢٣٣، وتفسير الثعلبي ١/ ١٢٨٣، والبحر المحيط ١/ ٤٥٤، وذكر في البحر أقوالاً أخر، هي: الحجارة الصلبة، أو الصغار المرفقة الأطراف، أو الحجارة السود، أو الحجارة البيض، أو الحجارة الصلبة.

قال الأعشى :

وَتَوَلَّى الْأَرْضَ خُفًّا ذَابِلًا فَإِذَا مَا صَادَفَ الْمَرَوْ رَضَخٌ^(١)
وهما اسمان لجبلين معروفين بمكة^(٢) .

وشعائر الله : واحدها شعيرة . قال المفسرون وأهل اللغة جميعاً : «شعائر الله : متعبداته التي أشعرها الله ، أي : جعلها أعلاماً لنا ، وهي كل ما كان من مشعر ، أو موقف ، أو مسعى ، أو منحرف»^(٣) ، وهي من قولهم : «شعرتُ» ؛ أي علمتُ ، وهي كلها معلومات ، وهذا قول الزَّجَّاج ، واختياره^(٤) .

ويحتمل أن تكون الشعائر مشتقة من الإشعار الذي هو^(٥) الإعلام على الشيء ، ومنه : الشعائر بمعنى العلامة ؛ ولهذا تسمى الهدايا شعائر ؛ لأنها تُشعر بحديدة في سنامها^(٦) من جانبها الأيمن حتى يخرج الدم . قال الكميت :

شَعَائِرُ قُرْبَانٍ بِهِمْ يُتَقَرَّبُ^(٧)

- (١) البيت في مدح إياس بن قبيصة الطائي . انظر : ديوان الأعشى الكبير ٤٠ ، وفيه : (مجمراً) بدل (ذابلاً) ، وفي تفسير الطبري ٤٣ / ٢ ، وتفسير الثعلبي ١٢٨٣ / ١ ، وتفسير القرطبي ١٨٠ / ٢ . يصف الشاعر خُفَّ ناقته بأنه إذا وطئ المرو - وهي الحجارة الصغيرة - تكسرت من تحت خُفِّها الأحجار ، ورضح الحصى : كسرها .
- (٢) تفسير الثعلبي ١٢٨٣ / ١ .
- (٣) سقطت مشعر من (أ) و(ش) ، وفيها تقديم وتأخير بين المذكورات .
- (٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٣٣ / ١ ، وانظر : البحر المحيط ٤٥٤ / ١ .
- (٥) في (ش) : (هي) .
- (٦) في (ش) : (من أسنامها) .
- (٧) وشطره الأول :

نُقَتِّلُهُمْ جَيْلًا فَجَيْلًا ، تَرَاهُمْ

- انظر : القصائد الهاشميات للكميت بن زيد ٢١ في مجاز القرآن ١ / ١٤٦ ، وتفسير الطبري ٤٤ / ٢ ، وتفسير الثعلبي ١٢٨٤ / ١ ، وتفسير القرطبي ١٦٥ / ٢ .

ويحتمل أن يكون من الإعلام بالشيء^(١)، وبه قال مجاهد في قوله : ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ ، قال : «يعني : من الخبر الذي أخبركم عنه»^(٢) ، كأنه إعلام من الله عباده أمر الصفا والمروة»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ﴾ : قال الليث : «أصل الحج في اللغة : زيارة شيء عظمه» .

وقال يعقوب والزجاج : «أصل الحج : القصد ، وكل من قصد شيئاً فقد حجّه»^(٤) .

وقال كثير من أهل اللغة : «أصل الحج : إطالة الاختلاف إلى الشيء» . واختار ابن جرير هذا القول ، قال : «لأن الحاج يأتي البيت قبل التعريف ، ثم يعود إليه للطواف يوم النحر ، ثم ينصرف عنه إلى منى ، ثم يعود إليه لطواف الصَّدر ؛ فلتكراره»^(٥) العود إليه مرة بعد أخرى قيل له : حاج»^(٦) .

(١) انظر : مجاز القرآن ١/١٤٦ ، وتفسير الطبري ٢/٤٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/٢٣٣ ، وتهذيب اللغة ٢/١٨٨٤ وما بعدها ، وتفسير الثعلبي ١/١٢٨٤ ، والمفردات ٢٦٥ ، وتفسير البغوي ١/١٧٢ .

(٢) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢/٤٤ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١/١٢٨٤ .

(٣) قال الطبري في تفسيره ٣/٢٢٧ : «وذلك تأويل من المفهوم بعيد ، وإنما أعلم الله تعالى ذكره بقوله : (إن الصفا) ، عباده المؤمنين أن السعي بينهما من مشاعر الحج التي سنّها لهم ، وأمر بها خليله إبراهيم عليه السلام إذ سأله أن يريه مناسك الحج ، وذلك وإن كان مخرجه مخرج الخبر ، فإنه مراد به الأمر» .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١/٢٣٤ .

(٥) في (م) : (فلتكرار) .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢/٤٤ ، ٤٥ ، والمفردات ١١٥ ، واللسان (حجج) ٢/١٨١-٧٧٨ .

وكلهم احتجوا بقول المخبل القُرَيْعِي^(١) :

يَحْجُونَ سَبَّ^(٢) الزَّبْرَقَانِ الْمَرْعُفَا^(٣)

وقال سيبويه : « ويقال : حَجَّ حَجًّا ، كقولهم : ذكر ذِكْرًا » . وقال الفرَّاء : « الحَجَّ والحج لغتان^(٤) ، يقال : حَجَّجْتُ حِجَّةً للمرة الواحدة ، لم يأت عن العرب غيره . ولو قيل : حِجَّةً بالفتح كما قالوا : مَرَرْتُ بِهِ مَرَّةً كان صواباً ، مثل : مددته مدَّةً ، وقددته قَدَّةً » ، وهذا كلامه . فأما قولهم : حُجَّج ، وهم يريدون : جمع الحاج ، فقد يمكن أن يكونوا سموا بالمصدر ، وتقديره : ذوو^(٥) حج ، قاله أبو علي ، قال : « وأنشد أبو زيد :

وكان عافية النسور عليهم حُجَّجٌ بأسفل ذي المجاز نَزُولُ^(٦)(٧) .

(١) هو المخبل بن ربيعة بن عوف قتال بن أنف الناقة بن قريع ، أبو يزيد ، شاعر فحل ، هاجر وابنه إلى البصرة ، وولده كثير بالأحساء ، وهم شعراء ، وله شعر كثير جيد ، هجا به الزبرقان وغيره ، وكان يمدح بني قريع ، ويذكر أيام سعد . انظر : طبقات ابن سلام ٦١ ، والشعر والشعراء ٢٦٩ .

(٢) في (ش) : (سب الزعفران الزبرقان المزعفرا) .

(٣) صدر البيت :

وأشهد من عوف حُلُولاً كثيرةً

انظر في : نسبه إليه إصلاح المنطق ٣٧٢ ، وتفسير الطبري ٤٤ / ٢ ، والبيان والتبيين ٩٧ / ٣ ، وتفسير الثعلبي ١٢٨٦ / ١ ، وتفسير السمعاني ١٠٦ / ٢ ، وتفسير القرطبي ١٦٥ / ٢ ، وروي (المعصفرا) بدل (المزعفرا) . يحجون : يزورون ، والسُّب : العمامة ، وقيل : الاست ، والزبرقان : هو حصين بن بدر الفزاري من سادات العرب ، والحلول : الأحياء المجتمعمة . انظر : اتفاق المباني واقتراح المعاني ٢٠٦ / ١ ، والبيان والتبيين ٩٧ / ٣ .

(٤) ذكر في اللسان (حجج) ٧٧٩ / ٢ أن الكسائي لا يفرق بين الحج والحج ، وغيره يقول : « الحج حَجَّ البيت ، والحج عمل السنة » .

(٥) في (ش) و(م) : (ذو) .

(٦) البيت لجريه يهجو الأخطل في ديوانه ١٠٤ ، ولسان العرب ٧٧٨ / ٢ . وقال : « والمشهور في روايات

البيت : حُجَّجٌ ، بالكسر ، وهو اسم الحاج » .

(٧) انظر في ما تقدم : اللسان (حجج) ٧٧٨ / ٢ ، ٧٧٩ .

وقوله تعالى : ﴿أَوْاعْتَمِرْ﴾ : قال الزَّجَّاج : «قَصْد»^(١) ، وقال غيره : «زار»^(٢) . قال أعشى باهلة :

وراكبُ جاءَ منْ تثليثٍ معتمرُ

قال الأزهري : «وقد يقال : الاعتمار»^(٣) القصد ، وأنشد للعجاج :

لقد ساءَ ابنُ معتمرٍ^(٤) حينَ اعْتَمَرَ مَغْزَى بعيداً منْ بعيدٍ وضَبَرَ^(٥)
يعنى : حين قصد مغزى بعيداً^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ : الجناح : الإثم ، وأصله : من الجنوح الذي هو الميل ، يقال : جَنَحَ : مال ، ومنه قوله : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَأَجْنَحْ﴾ [الأنفال : ٦١] ، وقيل للأضلاع جوانح ؛ لا عوجاجها . قال ابن دريد : «معنى ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي : لا ميل إلى مآثم . وجناح الطائر من هذا ؛ لأنه يميل في أحد شقيه ، ليس على مستوى خلقته ، فمعنى الجناح : الميل عن الحق» .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ٢٣٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢ / ٤٥ ، والمفردات ٣٥٠ .

(٣) في (م) : (للاعتمار) .

(٤) في (ش) : (معتمر) .

(٥) البيت للعجاج يمدح عمر بن عبيد الله التميمي في ديوانه ١٩ ، وتفسير الطبري ٢ / ٤٥ ، وتهذيب اللغة (عمر) ٣ / ٢٥٦٦ ، وتفسير الثعلبي ١ / ١١٨٦ ، وتفسير القرطبي ٢ / ١٦٦ . مغزى : غزواً ، ومعنى ضرب الجواد : تهيأً للوثوب بقوائمه أو جمع قوائمه ليثب ثم وثب . انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ٢٣٤ .

(٦) انظر : تفسير الثعلبي ١ / ١٢٨٦ .

وقال أبو علي الجرجاني : «معنى ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ أي أنها ذكر في القرآن : لا ميل لأحد عليه بمطالبة شيء من الأشياء ، هذا هو الأصل ، ثم صار معناه : لا حرج عليه ، ولا ذنب عليه»^(١) .

قال ابن عباس : «كان على الصفا صنم ، وعلى المروة صنم ، وكان أهل الجاهلية يطوفون بينهما ، ويمسحونهما ، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كره المسلمون الطواف بينهما ؛ لأجل الصنمين ؛ فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية ، منبهاً لهم^(٢) على أن الطواف بالصفا والمروة لا تبعة فيه عليهم ، وأنه طاعة لله تعالى ، وغير تعظيم للصنمين»^(٣) .

فالآية تدل بظاهرها على إباحة ما كرهوه ، ولكن السنة أوجبت الطواف بينهما والسعي ، وهو قوله ﷺ : «يا أيها الناس كُتِبَ عليكم السعي فاسعوا»^(٤) .

(١) انظر : معنى (الجناح) في تفسير الطبري ٢/ ٤٥ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٢٨٩ ، وأحكام القرآن لابن العربي ١/ ٤٦ ، والمفردات ١٠٧ ، وتفسير القرطبي ٢/ ١٦٦ ، واللسان (جنح) ٢/ ٦٩٧ ، ٦٩٨ .

(٢) سقطت من (م) .

(٣) رواه الطبري عن طريق عمرو بن حبشي عن ابن عباس ٢/ ٤٦ ، وضعفه أحمد شاكر ، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٦٧ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١٢٩٠ ، والواحد في أسباب النزول ٤٩ . وبمعنى هذا ذكر الطبري آثاراً كثيرة عن : أنس ، وابن عباس ، وابن عمر ، والسدي ، والشعبي ، وابن زيد ، ومجاهد . وحديث أنس رواه البخاري في صحيحه ١٦٤٨ ، كتاب : الحج ، باب : ما جاء في السعي بين الصفا والمروة ، ولم يذكر المؤلف - رحمه الله - السبب الآخر الذي روته عائشة ، وهو أن الأنصار كان يهللون قبل أن يسلموا للمناة الطاغية ، التي كانوا يعبدونها عند المشلل ، وكان من أهل منها تخرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فلما أسلموا سألوا النبي ﷺ عن ذلك ، فقالوا : يا رسول الله : إنا كنا نتخرج أن نطوف بين الصفا والمروة ؟ فأنزل الله الآية . وهذا رواه البخاري في كتاب : الحج ، باب : وجوب الصفا والمروة . فتح الباري ٣/ ٤٩٧ ، ومسلم في صحيحه ١٢٧٧ ، كتاب : الحج ، باب : بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٤٢٢ ، رقم ٢٦٩١٧ ، وابن خزيمة في صحيحه ٤/ ٢٣٢ ، رقم ٢٧٦٤ ، والدارقطني في سننه ٢/ ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، والطبراني في الكبير ٢٤/ ٢٥٥ ، والحاكم ٦/ ٤٢١ . والحديث صححه الحافظ المزي ، وابن عبد الهادي كما في الإرواء ٤/ ٢٧٠ ، وقواه الحافظ في الفتح ٣/ ٤٩٨ ، وصححه الألباني في الإرواء ٤/ ٢٧٠ .

وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه^(١)، والواجب أن يبدأ بالصفاء، ويختم بالمروة، ويسعى بينهما سعياً، فيكون مسيره من الصفا إلى المروة شوطاً من السبع، وعوده من المروة إلى الصفا شوطاً ثانياً، فإن بدأ بالمروة إلى الصفا لم يحسب هذا الشوط^(٢)؛ لأن النبي ﷺ لما دنا من الصفا في حجته قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن سَعَاءِ اللَّهِ﴾ ابدأوا^(٣) بما بدأ الله به فبدأ بالصفاء فرقي عليه، حتى رأى البيت، ثم مشى حتى إذا تصوّبت قدماه في الوادي سعى^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا﴾ فيه وجهان من القراءة^(٥):

أحدهما: ﴿تَطَوَّعَ﴾ على تَفَعَّلَ ماضياً، وهذه القراءة تحتل أمرين^(٦):

أحدهما: أن يكون موضع تطوَّع جزماً، وتجعل (مَنْ) للجزاء، وتكون الفاء مع ما بعدها من قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ في موضع جزم؛ لوقوعها موقع الفعل المجزوم، والفعل الذي هو ﴿تَطَوَّعَ﴾ على لفظ المثال الماضي، والمراد به المستقبل، كقولك: «إن أتيتني أتيتك».

(١) انظر: المجموع شرح المذهب ٦٣/٨، وتفسير الثعلبي ١/١٢٩٥. وقد اختلف العلماء في السعي: فمنهم من قال بركنيته، وهذا قول عائشة وعروة ومالك والشافعي، ومنهم من قال بسنيته، روي ذلك عن ابن عباس وأنس وابن الزبير ومجاهد وعطاء وابن سيرين، وهو رواية عن أحمد، ومنهم من قال إنه واجب وليس بركن، وإذا تركه جبره بدم، وهو مذهب الحسن وأبي حنيفة وصاحبيه والثوري. انظر: أحكام القرآن للجصاص ١/١٨، وتفسير الطبري ٢/٤٩، والمغني ٥/٢٣٨، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٤٨، وتفسير القرطبي ٢/١٦٧، وتفسير ابن كثير ١/٢١٣.

(٢) انظر: المغني لابن قدامة ٥/٢٣٧.

(٣) في (م): (فابدأوا).

(٤) جزء من حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي ﷺ، أخرجه مسلم في صحيحه ١٢١٨، كتاب: الحج، باب: حجة النبي ﷺ.

(٥) قرأ حمزة والكسائي وخلف: (يَطَوَّعُ) بالياء التحتية، وتشديد الطاء، وإسكان العين على الاستقبال، وقرأها الباقون بالتاء الفوقية، وتخفيف الطاء، وفتح العين. انظر: السبعة ١٧٢، والنشر ٢/٢٢٣.

(٦) في (م): (وجهين).

الثاني : أن لا تجعل (مَنْ) للجزاء ، ولكن تكون بمنزلة الذي ، وتكون ^(١) مبتدأ به ، ولا موضع حيثئذٍ للفعل الذي هو ﴿تَطَوَّعَ﴾ ، والفاء مع ما بعدها في موضع رفع ، من حيث كان خبر المبتدأ الموصول ، والمعنى فيه معنى الجزاء ؛ لأن هذه الفاء إذا دخلت في خبر الموصول أو النكرة الموصوفة آذنت أن الثاني إنما وجب لوجوب الأوّل ، كقوله : ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل : ٥٣] ، وما : مبتدأ موصول ، والفاء مع ما بعدها جواب له ، وفيه معنى للجزاء ؛ لأن تقديره : ما ثبت بكم من نعمة ، أو ما دام بكم من نعمة فمن ابتداء الله إياكم بها ، فسبب ثبات ^(٢) النعمة ابتداءه [ذلك] ^(٣) ، كما أن استحقاق الأجر إنما هو من أجل الإنفاق في قوله : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالتَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة : ٢٧٤] .

وعلى هذا كل ما في القرآن من هذا الضرب ، كقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنَوْا﴾ إلى قوله : ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ﴾ [البروج : ١٠] ، وقوله : ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة : ٩٥] ، و﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ﴾ [البقرة : ١٢٦] ، و﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام : ١٦٠] ، و﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف : ٢٩] . ونذكر هذه المسألة مشروحة عند قوله : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالتَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة : ٢٧٤] .

الوجه الثاني من القراءة : (يَطَوَّعُ) بالياء وجزم العين ، وتقديره : يتطوع إلا أن التاء أدغم في الطاء لتقاربهما ، وهذا حسن ؛ لأن المعنى على الاستقبال ، والشرط والجزاء الأحسن فيهما ^(٤) الاستقبال ، وإن كان يجوز أن تقول : «من

(١) الأفعال السابقة في (ش) بالفاء (تجعل يكون ويكون) .

(٢) في (ش) : (ابتدا) .

(٣) زيادة يقتضيها الكلام ، من كلام أبي علي الفارسي في الحجة ٢/ ٢٤٦ .

(٤) في (ش) : (في هذا) .

أتاك أعطيته» ، فتوقع الماضي موقع المستقبل في الجزاء ، إلا أن اللفظ إذا كان وافق المعنى كان أحسن^(١) .

وأما التفسير فقال مجاهد : «وَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا ﴿﴾ بالطواف بهما»^(٢) ، وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضاً .

وقال مقاتل والكلبي : «وَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا ﴿﴾ فزاد في الطواف بعد الواجب»^(٣) .

ومنهم من حمل هذا النوع على العمرة ، وهو قول ابن زيد^(٤) ، وكان يرى العمرة غير واجبة .

وقال الحسن : «وَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا ﴿﴾ يعني به : الدين كله ، أي : فعل غير المفترض عليه ، من طواف وصلاة وزكاة ونوع من أنواع الطاعات»^(٥) .

وهذا أحسن هذه الأقاويل ؛ لأن قوله «وَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا ﴿﴾ صيغته تدل على العموم^(٦) .

وقوله تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ : أي مجازٍ بعمله ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيته^(٧) .

-
- (١) ما تقدم من كلام أبي علي في الحجة ٢/ ٢٤٥-٢٤٨ بتصرف واختصار .
- (٢) تفسير مجاهد ٩٢ ، ورواه الطبري عنه في تفسيره ٢/ ٥٠ ، وعزاه في الدر المنثور ١/ ٢٩٢ سيعد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وروى ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٦٨ عن أنس قوله : «الطواف بهما تطوع» ، وكذا روي عن ابن عباس ، وعزاه في الدر إلى عبد بن حميد ، وأبي عبيد في فضائله ، وابن أبي داود في المصاحف .
- (٣) تفسير مقاتل ١/ ١٥٢ ، وذكره عنها الثعلبي في تفسيره ١/ ١٣٠٠ ، والبغوي في تفسيره ١/ ١٧٥ .
- (٤) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢/ ٥٢ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١٣٠١ .
- (٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١٣٠١ ، والبغوي في معالم التنزيل ١/ ١٧٥ .
- (٦) رجَّح الطبري في تفسيره ٢/ ٥١ ، ٥٢ أن معنى ذلك : «ومن تطوع بالحج والعمرة بعد قضاء حجته الواجبة عليه» .
- (٧) تفسير الثعلبي ١/ ١٣٠١ .

قال أهل المعاني : «وحقيقة الشاكر في اللغة : هو المظهر للإنعام عليه ، والله تعالى لا تلحقه المنافع والمضار ، فالشاكر في وصفه مجاز ، ومعناه : المجازي على الطاعة بالثواب ، إلا أن اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد ، مظهرة في الإحسان إليهم ، كما قال : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] ، وهو تعالى لا يستقرض من عوز ؛ ولكنه تلطف^(١) في الاستدعاء . كأنه قيل : من الذي يعمل عمل المقرض ، بأن يقدم ، فيأخذ أضعاف ما قدّم في وقت فقره وحاجته ؟»^(٢) .

١٥٩ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ آيَاتِنَا وَاهْتَدَى﴾ : قال المفسرون : «نزلت في علماء اليهود»^(٣) . وأراد بالبينات : الرجم والحدود والأحكام^(٤) ، وباهدى : أمر محمد ﷺ ونعته^{(٥)(٦)} .

(١) في (م) : (اللطف) .

(٢) وقال الزّجاجي في اشتقاق أسماء الله ٨٧ : «فلما كان الله - عز وجل - يجازي عباده على أفعالهم ويشيهم على أقل القليل منها ، ولا يضيع لديه تبارك وتعالى لهم عمل عامل ، كان شاكرًا لذلك لهم ، أي : مقابلًا له بالجزاء والثواب» . وقال الشيخ السعدي في تفسيره ٧٧ : «الشاكر والشكور من أسماء الله تعالى : الذي يقبل من عباده اليسير من العمل ، ويجازيهم عليه العظيم من الأجر ، الذي إذا قام عبده بأوامره وامتل طاعته أعانه عليه وأثنى عليه ومدحه ، وجازاه في قلبه نورًا وإيمانًا وسعة ، وفي بدنه قوة ونشاطًا ، وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء ، وفي أعماله زيادة توفيق ، ثم بعد ذلك يقدم على الثواب الآجل عند ربه كاملاً موفراً ، لم تنقصه هذه الأمور ، ومن شكره لعبده أن من ترك شيئاً لله أعاضه الله خيراً منه ، ومن تقرب منه شبراً تقرب منه ذراعاً» .

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول ٥٠ ، ونقله عنه ابن حجر في العجاب ١ / ٤١١ ، وذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره ١ / ٨٠ ، ورواه الطبري ٢ / ٥٣ ، وابن أبي حاتم ١ / ٢٦٨ عن ابن عباس .

(٤) تفسير الثعلبي ١ / ١٣٠١ ، وروى ابن أبي حاتم ١ / ٢٦٩ عن السُّدِّي عن أصحابه : [البينات] : الحلال والحرام .

(٥) في (ش) : (وبعته) .

(٦) تفسير الثعلبي ١ / ١٣٠١ ، وقد ذكر هذا الفرق بين البينات والهدى أبو حيان في البحر المحيط ١ / ٤٥٨ ، وقال : «والبينات هي : الحجج الدالة على نبوته ﷺ ، والهدى : الأمر باتباعه ، أو الهدى والبينات ، والجمع بينهما تأكيد ، وهو ما أبان عن نبوته وهدى إلى اتباعه» . وقد بين الطبري في تفسيره ٢ / ٥٢ البينات بقوله : «البينات التي أنزلها الله : ما بين من أمر نبوة محمد ﷺ ومبعثه وصفته في الكتابين اللذين أخبر الله تعالى ذكره أن أهلها يجدون صفته فيهما . ويعني - تعالى ذكره - بالهدى : ما أوضح لهم من أمره في الكتب التي أنزلها على أنبيائهم» .

﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ﴾ : لبني إسرائيل ^(١) . ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ : في التوراة ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ : اختلفوا في اللاعنين هاهنا ، فقال ابن عباس : «كل شيء إلا الجن والإنس» ^(٣) . وعلى هذا إنما قال : (اللاعنون) ، ولم يقل اللاعنات ؛ لأنه وصفها صفة من يعقل ، فجمعها جمع من يعقل ، كقوله : ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْنَهُمْ لِيَ سَاجِدِينَ﴾ [يوسف : ٤] ، و﴿يَأْتِيهَا التَّمْلُ أَدْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ﴾ [النمل : ١٨] ، و﴿وَقَالُوا لِحُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت : ٢١] ، و﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس : ٤٠] ^(٤) .

وقال قتادة : «هم الملائكة» ^(٥) .

- (١) انظر : تفسير الطبري ٥٣ / ٢ ، قال : «لأن العلم بنبوة محمد ﷺ وصفته ومبعثه لم يكن إلا عند أهل الكتاب دون غيرهم» ، ثم قال : «وهذه الآية وإن كانت في خاص من الناس فإنها معني بها كل كاتم علماً فرض الله تعالى بيانه للناس» . انظر : تفسير الثعلبي ١٣٠١ / ١ ، والبحر المحيط ٤٥٨ / ١ .
- (٢) انظر : تفسير الطبري ٥٣ / ٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٦٩ / ١ ، وتفسير الثعلبي ١٣٠١ / ١ ، وتفسير البغوي ١٧٥ / ١ . وروى الطبري ٥٣ / ٢ عن قتادة أن المراد هو التوراة والإنجيل ، وروى ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٦٩ / ١ عن الحسن أن الكتاب هو القرآن ، قال : «وروي عن ابن عباس مثل ذلك» ، وقال في البحر المحيط ٤٥٨ / ١ : «والأولى والأظهر عموم الآية في الكاتمين ، وفي الناس ، وفي الكتاب» .
- (٣) نسبه إلى ابن عباس : الزجاج في معاني القرآن ٢٣٥ / ١ ، والثعلبي في تفسيره ١٣٠٣ / ١ ، والفرأء في معاني القرآن ٩٥ / ١ ، والبغوي في معالم التنزيل ١٧٥ / ١ ، ورواه الطبري في تفسيره ٥٦ / ٢ عن البراء بن عازب ، والضحاك ، وقريب منه قول مجاهد وعكرمة ؛ حيث قالوا : «يلعنهم كل شيء حتى الخنافس والعقارب ، يقولون : مُنَعْنَا القَطَرُ بذنوب بني آدم» . انظر : تفسير الطبري ٥٤ / ٢ ، ٥٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٦٩ / ١ ، وقد رده الطبري بأنه قول لا تدرك حقيقته إلا بخبر عن الله ، ولا خبر .
- (٤) انظر : تفسير الطبري ٥٥ / ٢ ، والثعلبي ١٣٠٥ / ١ ، والقرطبي ١٧١ / ٢ .
- (٥) رواه عنه الطبري ٥٢ / ٢ إلا أنه قال في رواية : «اللاعنون من ملائكة الله ، ومن المؤمنين» ، وروى ذلك ٥٦ / ٢ عن الربيع بن أنس ، وكذا رواه ابن أبي حاتم ٢٦٩ / ١ ، ورجحه الطبري ؛ لأن الله وصف الكفار بأن اللعنة التي تحمل بهم إنما هي من الله والملائكة والناس أجمعين ، في قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كَافَرٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ، وبنحوه قال الزجاج .

وقال عطاء : «الجن والإنسان»^(١) .

وقال ابن مسعود : «ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا»^(٢) رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى ، الذين كتموا أمر محمد ﷺ ، وصفته»^(٣) .

١٦٠ . قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ : معنى^(٤) (إِلَّا) التخصيص^(٥) ، نحو قولك : «جاءني القوم إلا زيداً» ، خصصت زيداً بأنه لم ينجئ^(٦) .

ومعنى قوله تعالى : ﴿وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا﴾ بعد قوله : ﴿تَابُوا﴾ إزالة الإبهام بأن التوبة مما سلف من الكتمان تكفي ، ومعنى ﴿وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا﴾ ؛ أي أصلحوا السريرة بإظهار أمر محمد ﷺ^(٧) .

١٦١ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ : إن قيل : كيف يلعنه الناس أجمعون ، وأهل دينه

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١٣٠٣ ، والبغوي في تفسيره ١/ ١٧٥ ، وعزه في الدر المنثور ١/ ٢٩٦ إلى عبد بن حميد .

(٢) في (أ) زيادة في الحاشية : (وليس أحدهما بمستحق للعن رجعت) .

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٣٠٣ من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن مسعود ، وهذا إسناد واه ، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٠٤ ، ولفظه : «هو الرجل يلعن صاحبه فترفع اللعنة في السماء ثم تنحدر فلا تجسد صاحبها الذي قيلت له أهلاً لذلك ، فترجع إلى الذي تكلم بها فلا تجده أهلاً ، فتطلق فتقع على اليهود ، فهو قوله - عز وجل - ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ . فَمَنْ تاب منهم ارتفعت اللعنة عنه فكانت في مَنْ بقي من اليهود» . انظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٣٥ ، وتفسير البغوي ١/ ١٧٥ .

(٤) في (أ) و(م) : (يعنى) .

(٥) في (أ) و(م) : (للتخصيص) .

(٦) البحر المحيط ١/ ٤٥٩ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٢/ ٥٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٢٧٠ ، وتفسير البغوي ١/ ١٧٥ ، وتفسير القرطبي ٢/ ١٧٢ .

لا يلعنونه ؟ قيل : يلعنونه في الآخرة ؛ لقوله : ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥] ^(١) .

وقال قتادة ^(٢) والربيع ^(٣) : «أراد بـ ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ المؤمنين ، وعلى هذا كأنه لم يعتد بغيرهم ، كما تقول : المؤمنون هم الناس» ^(٤) .

وقال السُّدِّي : «لا يتلاعن اثنان مؤمنان ولا كافران ، فيقول أحدهما : لعن الله الظالم ، إلا وجبت تلك اللعنة على الكافر ؛ لأنه ظالم ، وكل أحد من الخلق يلعنه» ^(٥) .

١٦٢ . قوله تعالى : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ : معنى الخلود اللزوم أبداً ، ومنه يقال : أدخل إلى كذا ؛ أي لزمه ، وركن إليه ^(٦) . والعامل في الخالدين الظرف من قوله (عليهم) ؛ لأن فيه معنى الاستقرار ، وهو حال من الهاء والميم في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ، كقولك : «عليهم المال صاغرين» ^(٧) ، ومثل هذه الآيات الثلاث : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ ، و﴿وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ﴾ ، و﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ في سورة آل عمران [الآيات : ٨٧-٨٩] ، وذكرنا الكلام هناك بأبلغ من هذا .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا هُمْ يُظْهِرُونَ﴾ : قال عطاء عن ابن عباس : «يريد : للرجعة ولا للتوبة ولا للمعذرة» ^(٨) .

(١) من معاني القرآن للزجاج ٢٣٦/١ ، ورواه الطبري ٥٨/٢ ، وابن أبي حاتم ٢٧١/١ عن أبي العالية ، قال ابن أبي حاتم : «وروي عن قتادة نحو قول أبي العالية» ، وانظر : تفسير البغوي ١٧٦/١ .

(٢) رواه عنه الطبري ٥٨/٢ ، وذكره ابن أبي حاتم ٢٧١/١ ، والتعليبي ١٣٠٦/١ .

(٣) رواه عنه الطبري في تفسيره ٥٨/٢ .

(٤) رواه ابن أبي حاتم ٢٧١/١ عن أبي العالية .

(٥) رواه عنه الطبري ٥٨/٢ ، وابن أبي حاتم ٢٧١/١ ، ورجَّح الطبري العموم .

(٦) انظر : المفردات ١٦٠ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٥٩/٢ ، والبحر المحيط ٤٦٢/١ .

(٨) رواه ابن أبي حاتم بمعناه عن الضحاك عن ابن عباس ٢٧٢/١ .

١٦٣. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ الآية: معنى الوحدة في اللغة الانفراد، يقال: وَحَدَ الشيءُ، وهو يَحْدُ حِدَةً، فهو واحد، وجمعه: وَحْدَان بالضم. والوَحدان بالفتح بمعنى الواحد، كقولك: فَرْدَان بمعنى الفَرْد. وحقيقة الواحد: شيء لا يتبعض، ويقال أيضاً: وَحَدَ يَوْحَدُ وَحَادَةً وَوَحْدَةً فهو وحيد^(١).

ويستعمل الواحد على وجهين:

أحدهما: على جهة الحكم والحقيقة.

والثاني: على الوصف والمجاز؛ فالحكم كقولك: «ذاتٌ واحدةٌ»، وجزء واحد، والوصف مثل قولك: «إنسان واحد، ودار واحدة»، فهذا لا ينقسم عن^(٢) الجهة التي جرت عليه الصفة؛ إذ ليس ينقسم من جهة أنه إنسان، وإن انقسم من جهة أنه جسم، وإذا أجرته حكماً لم ينقسم من وجه من الوجوه.

فأمّا الواحد في صفة الله تعالى فقال الأزهري: له معنيان:

أحدهما: إنه واحد لا نظير له، وليس كمثل شيء، والعرب تقول: «فلان واحد قومه، وواحد الناس»، إذا لم يكن له نظير.

وقال بعضهم: «المعنى في الواحد أنه إله واحد، ورب واحد، ليس له في إلهيته وربوبيته شريك؛ لأن المشركين أشركوا معه آلهة فكذبهم الله عز وجل، فقال: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ﴾»^(٣).

(١) انظر: معاني (الواحد) في تفسير الطبري ٢/ ٦٠، والمفردات ٥٣٠، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٨٤٤، واللسان (وحد) ٨/ ٤٧٧٩-٤٧٨٣.

(٢) في (ش): (من).

(٣) الذي وجدته في تهذيب اللغة للأزهري (وحد) ٤/ ٣٨٤٧: «والواحد في صفة الله، معناه: أنه لا ثاني له، ويجوز أن ينعت الشيء بأنه واحد، فأمّا أحد فلا يوصف به أحد غير الله؛ لخلوص هذا الاسم الشريف له، جل ثناؤه».

وقال أبو علي : «قولهم : واحد ، اسم جرى على وجهين في كلامهم :
أحدهما : أن يكون اسماً .
والآخر : أن يكون وصفاً» .

فالاسم الذي ليس بصفة قولهم : واحد المستعمل في العدد ، نحو : واحد ،
اثنان ، ثلاثة ، فهذا اسم ليس بوصف ، كما أن سائر أسماء العدد كذلك ، أمّا^(١)
كونه صفة فنحو قولك : «مررت برجل واحد» ، و«هذا شيء واحد» ، فإذا أجري
هذا الاسم على القديم تعالى جاز أن يكون الذي هو وصف ، مثل العالم والقادر ،
وجاز أن يكون الذي هو اسم ، كقولنا : شيء . يقوي الأوّل قوله : ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّهُ﴾
وَاحِدٌ^(٢) .

ويجمع^(٣) الواحد واحدٍ ، كقول الشاعر :

فقد^(٤) رجعوا كحيّ واحدٍ^(٥)

(١) في (م) : (فأماً) .

(٢) نقله عنه الرازي في التفسير الكبير ١٦٨/٤ .

(٣) في (م) : (وجمع) .

(٤) في (ش) : (وقد) .

(٥) ورد البيت هكذا :

فَرَدَّ قَوَاصِيَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ فَقَدْ أَضْحَوْا كَحَيٍّ وَاحِدِنَا
وهو للكُميت ، انظر : اللسان (وحد) ، وفيه ورد بلفظ : «رجعوا» ، وانظر أيضاً : معاني القرآن
٢/٢٠٨ ، وعمدة الحفاظ ٣/٣٩٢ .

ويكسرونه على فُعلان ، كقولهم : وُحدان ، ويقلبون الواو همزةً ، كقولهم : أُحدان ، ومنه قول الشاعر :

طاروا^(١) إليه زَرَافَاتٍ ووُحدانا^(٢)

وذلك أنه وإن كان صفة فقد يستعمل استعمال الأسماء ، فكسروه على فُعلان ، كقولهم : راعٍ ورُعَيَان .

وأما التفسير فقال ابن عباس في رواية الكلبي : « قالت كفار قريش : يا محمد صِفْ وانسُبْ لنا ربك . فأنزل الله تعالى سورة الإخلاص ، وهذه الآية »^(٣) .

وقال جوير^(٤) عن الضحاك عن ابن عباس : « كان للمشركين ثلاثمائة وستون صنماً ، يعبدونها من دون الله ، فبين الله سبحانه لهم أنه واحد ، فأنزل هذه »^(٥) .

قال أصحابنا : « حقيقة الواحد في وصف الباري سبحانه : أنه واحد لا قسيم له في ذاته ، ولا بعض له في وجوده ، بخلاف الجملة الحاملة التي يطلق عليها

(١) في (أ) و(م) : (يطار) .

(٢) صدر البيت :

قومٌ إذا الشرُّ أبدى ناجذيه لهم

والبيت للعنبري ، واسمه : قريط بن أنيف ، ويروى لأبي الغول الطهوي . انظر : عمدة الحفاظ ٤٩٩/٢ .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٣٠٧/١ ، والواحد في الوسيط ٢٤٥/١ ، والبغوي ١٧٦/١ ، والسمعاني ١١٤/٢ ، والقرطبي ١٧٥/٢ ، ونقله في البحر المحيط ٤٦٢/١ ، وإسناده واهٍ ، ونقله عنه ابن حجر في العجائب ٤١٣/١ .

(٤) هو جوير بن سعيد البلخي ، روى عن الضحاك وأبي سهل ، وروى عنه الثوري وابن المبارك ويزيد بن هارون ، وهو ضعيف . قال يحيى بن معين : « ليس بشيء » ، وكان وكيع لا يسميه استضعافاً له ، في قول عن سفيان عن رجل . انظر : الجرح والتعديل ٥٤٠/٢ ، ٥٤١ .

(٥) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٣٠٧/١ ، والواحد في الوسيط ٢٤/١ ، ونقله ابن حجر في العجائب ٤١٣/١ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٤٦٢/١ ، وإسناده ضعيف ؛ لضعف جوير .

لفظ الواحد مجازاً ، كقولهم : دار واحدة ، وشخص واحد ؛ ولهذا قال أصحابنا : «التوحيد : هو نفي الشريك والقسيم ، والشريك والشبيه ، فالله - سبحانه وتعالى - واحد في أفعاله ، لا شريك له يشاركه في إثبات المصنوعات ، وواحد في ذاته ، لا قسيم له ، وواحد في صفاته ، لا يشبه الخلق فيها»^(١) .

وقال أهل المعاني : «في الآية تقديم وتأخير ، تقديرها : وإلهكم الرحمن الرحيم إله واحد ، لا إله إلا هو» .

١٦٤ . قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية ، قال المفسرون : «لما نزل قوله : ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ عجب المشركون ، وقالوا : إن محمداً يقول : ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ ؛ فليأتنا بآية إن كان من الصادقين ، فأنزل الله هذه الآية^(٢) ، وعلمهم كيفية الاستدلال على الصانع ، وعلى توحيده ، وردّهم إلى التفكير في آياته ، والنظر في مصنوعاته ، على ما عدّها في الآية . وبين أن في ما ذكره في هذه الآية من عجب صنعه ، وإتقان أفعاله ، واتساق صنائعه دليلاً على توحيده ، فإن هذه الأفعال لا تحصل في الوجود لو كان لها صانعان ؛ لوجوب التمايز بينهما^(٣) ، واستحالة تساويهما في صفة الكمال» .

(١) انظر : تفسير الواحد في اشتقاق أسماء الله لأبي القاسم الزجاجي ٩٠-٩٣ .

(٢) رواه الثوري في تفسيره ٥٤ ، وسعيد بن منصور في سننه ٢/٦٤٠ ، وأبو الشيخ في العظمة ١/٢٥٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٧٢ ، والبيهقي في شعب الإيمان ١/١٣٠ ، والثعلبي ١/١٢٠٨ ؛ كلهم عن أبي الضحى . ورواه الطبري ٢/٦٠ عن عطاء ، وذكرهما الواحدي في أسباب النزول ٥٠ ، ٥١ ، وروى ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٧٣ عن ابن عباس أن قريشاً سألت النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً ، فأوحى الله إليه : «إني معطيهم ، ولكن إن كفروا عذبهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين» ، فنزلت ، وذكره السيوطي في لباب النقول ٣١ ، وجوّد إسناده ، وروي عن ابن عباس أنها نزلت حين قالوا : «انسب لنا ربك وصفه» . انظر : العجّاب ١/٤١٤ ، ٤١٥ ، وزاد المسير ١/١٦٧ .

(٣) دليل التمايز : هو أنه لو كان للعالم صانعان ، فعند اختلافهما - مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم ، والآخر تسكينه ، أو يريد أحدهما إحياءه ، والآخر إماتته - فإمّا أن يحصل مرادهما ، وإمّا مراد أحدهما ، وإمّا لا يحصل =

قال أهل المعاني : «وجمع السماوات ؛ لأنها أجناس مختلفة ، كل سماء من جنس غير الأخرى ، ووَحَّد الأرض ؛ لأنها كلها تراب»^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ : فُسِّر الاختلاف هاهنا تفسيرين يرجعان إلى أصل واحد :

أحدهما : إنه افتعال من قولهم : خلفه يُخلفه ، إذا ذهب الأوَّل وجاء الثاني خلافة ؛ أي بعده ، فاختلف الليل والنهار تعاقبهما في الذهاب والمجيء ، ومنه يقال : فلان يختلف إلى فلان ، إذا كان يذهب إليه ، ويحيي من عنده ، فذهابه يخلف مجيئه ، ومجيئه يخلف ذهابه ، أحدهما خلاف الآخر ؛ أي بعده ، وكل شيء يحيي بعده شيء ، فهو خلفه . وبهذا فُسِّر قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان : ٦٢]^(٢) ، قال الفرَّاء : «يذهب هذا ، ويحيي هذا»^(٣) .

الثاني : قال ابن كيسان^(٤) وعطاء^(٥) في هذه الآية : «أراد : اختلافهما في الطول والقصر ، والنور والظلمة ، والزيادة والنقصان» .

مراد واحد منهما ، والأول ممتنع ؛ لأنه يستلزم الجمع بين الضدين ، والثالث ممتنع ؛ لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون وهو ممتنع ، ويستلزم أيضاً عجز كل منهما ، والعاجز لا يكون إلهاً ، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر ، كان هذا هو الإله القادر ، والآخر عاجز لا يصلح للإلهية . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ٢٨/١ .

(١) تفسير البغوي ١/١٧٧ . انظر : تفسير الطبري ١/١٩١-١٩٥ ، والبحر المحيط ١/٤٦٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢/٦٣ ، ولم يذكر غيره ، وتفسير البغوي ١/١٧٧ ، وتفسير القرطبي ٢/١٧٦ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/٢٧١ ، وانظر : تفسير الثعلبي ١/١٣٠٨ ، واللسان (خلف) ٢/١٢٣٧ .

(٤) ذكره في تفسير الثعلبي ١/١٣٠٩ ، والبحر المحيط ١/٤٦٥ .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ١/١٣٠٩ ، وتفسير القرطبي ٢/١٧٦ ، وتفسير البغوي ١/١٧٧ .

قال الكسائي : «يقال لكل شيئين اختلفا : هما خِلْفَان وخِلْفَتَان ، وقول زهير :

بها العَيْنُ والآرَامُ يمشينَ خِلْفَةً^(١)

فُسر بالوجهين : تكون مختلفة في ألوانها ، وتكون يذهب هذا ، ويجيء هذا . وهذا القول يرجع إلى معنى الأول ؛ لأن معنى الاختلاف في اللغة : التفرق في الجهات ، جهة اليمين والشمال والخلف والقُدَام ، ثم شُبّه الاختلاف في المذاهب وفي كل شيء بالاختلاف في الطريق^(٢) ، من جهة أن كل واحد من المختلفين على نقيض ما ذهب إليه الآخر ، كالمختلفين في الطريق ، ولما تفاوت الليل والنهار في النور والظلمة وغيرهما جعل ذلك اختلافاً ، فهذا أيضاً يعود في الاشتقاق إلى الخلف .

وقوله تعالى : ﴿وَالْفُلُكُ﴾ : الْفُلُكُ : واحد وجمع ، وَيُذَكَّرُ وَيُؤنَّثُ ، وأصله من الدوران ، وكل مستدير فُلُكٌ ، وفُلُكُ السماء : اسم لأطواق^(٣) سبعة ، تجري فيها النجوم ، وفَلَكٌ الجارية : إذا استدارَ ثَدْيُهَا ، وفَلَكَةٌ^(٤) المِغْزَل من هذا ، والسفينة سُمِّيَتْ فُلُكاً ؛ لأنها تدور بالماء أسهل دور^(٥) . وإنما كانت للواحد والجمع ؛ لأنه على بناء يصلح لها^(٦) ، فإذا أريد به الواحد ذُكِّرَ ، وإذا أريد به الجمع أُنْثِ . ومثُلُ

(١) عجز البيت :

وأطلأؤها ينهضن من كل مجثم

وهو في ديوانه ٥ ، وجهرة اللغة ٤١٥ ، ٤١٦ ، ولسان العرب (خلف) ١٢٣٧ / ٢ ، ٢٧٠٠ / ٥ ، وبلا نسبة في رصف المباني ١٤٥ . بها : أي بدار من يتغزل بها ، والعين : البقر ، واحدها : أعين وعيناء ، وذلك لسعة عيونها ، والآرام : الطباء الخوالص البياض ، والأطلاء : الصغار من البقر والظباء ، والمجثم : ما تربض فيه وترقد .

(٢) في (ش) : (بالطريق) .

(٣) في (ش) : (لأطواف) .

(٤) في (م) : (وفلك) .

(٥) انظر : الفلك في تفسير غريب القرآن ٦٤ ، وتفسير الطبري ٦٤ / ٢ ، وتهذيب اللغة ٢٨٣٠ / ٣ ، ٢٨٣١ ،

المفردات ٣٨٧ ، واللسان (فلك) ٣٤٦٥ / ٦ ، وتفسير القرطبي ١٧٨ / ٢ .

(٦) في (م) : (بها) .

الْفُلْكَ من الجموع التي كسرت الآحاد عليها واللفظ فيهما^(١) واحد : قولهم : ناقة هِجَان ، ونوق هِجَان^(٢) ، ودرع دِلاص ، وأدرُع دِلاص^(٣) ، وشِمال : للخلقة والطبع ، وجمعه شِمالٌ . ومجىء الجمع على لفظ الواحد دليل على قلة حفلهم بالفرق بينهما من طريق اللفظ ، وأنهم اعتمدوا في الفرق على دلالة الحال ، ومتقدم الكلام ومتأخره^(٤) .

وقال سيبويه^(٥) : «الفلك إذا أريد به الواحد فضمة الفاء فيه بمنزلة ضمة^(٦) باء بُرد ، وخاء خُرج ، وإذا أريد به الجمع ، فضمة الفاء بمنزلة ضمة الحاء في حُمر ، والصاد من صُفر ، فالضمتان وإن اتفقتا في اللفظ فإنَّهما مختلفتان^(٧) في المعنى ، وغير منكر أن يتفق اللفظان من أصليين مختلفين ، ألا ترى أن من رَحِم منصوراً في قول من قال : يا جار ، قال : يا منصُ ، فبقَّى الصاد مضمومة ، كما بقَّى الراء مكسورة ، ومن قال : يا جارُ ، فاجتلب للنداء ضمةً قال أيضاً : يا منصُ ، فحذف ضمة الصاد ، كما حذف كسرة الراء ، واجتلب للصاد ضمة النداء ، كما اجتلب للراء ضمة النداء ، إلا أن لفظ : يا منصُ في الوجهين واحد ، والمعنيان متباينان » .

وقوله تعالى : ﴿ تَجَرَّى فِي الْبَحْرِ ﴾ : قد مضى الكلام في البحر . والآية في الفلك : تسخيرُ الله تعالى إياها ، حتى يجريها على وجه الماء ، كما قال : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ﴾ [إبراهيم : ٣٢] ، ووقوفُها فوق الماء مع ثقلها وكثرة وزنها .

(١) في (ش) : (فيها) .

(٢) (نوق هجان) : سقطت من (ش) . والهجان : البيض الخواص .

(٣) دلاص : ملساء ليثة .

(٤) انظر : تفسير غريب القرآن ٦٤ ، وتفسير الطبري ٦٤ / ٢ ، وتهذيب اللغة (فلك) ٣ / ٢٨٣١ ، وتفسير الثعلبي ١ / ١٣١٠ .

(٥) قريب منه ما في الكتاب ٥٧٧ / ٣ ، ونقله عنه في اللسان (فلك) ٦ / ٣٤٦٥ .

(٦) في (م) : (ضمها) .

(٧) في (م) : (فهما مختلفان) ، وفي (أ) : (فإنهما مختلفان) .

وقوله تعالى: ﴿يَنْفَعُ النَّاسَ﴾؛ أي بالذي ينفعهم من ركوبها، والحمل عليها في التجارات، وينفع الحامل؛ لأنه يريح، والمحمول إليه؛ لأنه ينتفع بما حمل إليه^(١) (٢).

وقوله تعالى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: أراد بموت الأرض جدوبتها ويُبُوسَتِها، فسماها موتاً مجازاً؛ وذلك أن الأرض إذا لم يصبها مطر لم تُنبِت، ولم تُنم نباتاً، وكانت^(٣) من هذا الوجه كالميت، وإذا أصابها المطر أنبتت، ونحو هذا قوله: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥]، فلما وُصِفَتْ بالاهتزاز، وهو^(٤) الحركة عند نزول الماء، وُصِفَتْ عند إمساك الماء بالسكون، والعربُ تسمي السكون موتاً^(٥). قال الشاعر:

إني لأرجو أن تموتَ الريحُ فأسكنَ اليومَ وأستريحُ^(٦)

فيجوز أن يراد بالموت في هذه الآية: ضد الاهتزاز الذي وُصِفَتْ به عند نزول الماء، ولما سَمِيَ ذلك موتاً سَمِيَ^(٧) إِزَالَتِهَا إِحْيَاءً لِيَتَجَانَسَ اللفظ^(٨).

(١) ساقط من (ش).

(٢) انظر: تفسير الطبري ٦٤/٢، وتفسير الثعلبي ١٣١٠/١، وتفسير البغوي ١٧٧/١، وتفسير الرازي ١٩٧/٤، وتفسير القرطبي ١٨٠/٢.

(٣) في (ش) و(م): (وكان).

(٤) في (ش): (وهي).

(٥) انظر: تفسير الطبري ٦٤/٢، وتفسير الثعلبي ١٣١١/١، وتفسير البغوي ١٧٧/١، وتفسير الرازي ١٩٨/٤.

(٦) البيت في اللسان (موت) ٤٢٩٥/٧ بغير نسبة. انظر: شأن الدعاء ١١٦، والحجة للقراء السبعة ٣٨١/٢.

(٧) سقطت جملة: (ذلك موتاً سمي) من (ش).

(٨) انظر: تفسير الرازي ١٩٨/٤، ١٩٩.

وقوله تعالى : ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ : البث : النشر والتفريق ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء : ١] ، ومنه : ﴿كَأَلْفَرَاشٍ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة : ٤] . ويقال : بثته سري^(١) أبثته ، إذا أطلعته عليه ؛ لأنك فرقت بين سرك وبينك ، ويقال للحزن : بث ؛ لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يظهره^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ : قال ابن عباس : «يريد : كل ما دب على الأرض من جميع الخلق ، من الناس وغيرهم»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾ : أراد : وتصريفه الرياح ، فأضاف المصدر إلى المفعول ، وهو كثير^(٤) . والرياح : جمع الريح .

قال أبو علي : «الريح : اسم على فعل ، والعين منه واو ، انقلبت في الواحد^(٥) للكسرة ، فأما في الجمع القليل : أرواح ، فصَحَّتْ ؛ لأنه لا شيء فيه يوجب الإعلال ، ألا ترى أن سكون الراء لا يوجب إعلال هذه الواو في نحو : قوم ، وعون ، وقول . وفي الجمع الكثير : رياح ، انقلبت الواو ياء ؛ للكسرة التي قبلها ، نحو : دِيْمَةٌ وَدِيْمٌ ، وَحِيْلَةٌ وَحِيْلٌ»^(٦) .

(١) سقطت من (ش) .

(٢) انظر : البث في الطبري ٢/ ٦٤ ، والمفردات ٤٧ ، واللسان (بث) : ١/ ٢٠٨ .

(٣) لم أجد هذا عن ابن عباس .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢/ ٦٤ ، واختار هذا الوجه ، ونقل هذا الرازي في تفسيره ٤/ ٢٠١ عن الواحدي ، والبحر المحيط ١/ ٤٦٧ ، وذكر وجهاً آخر هو أن يكون تصريف مصدر مضاف إلى الفاعل ؛ أي وتصريف الرياح السحاب ، أو غيره مما له فيه تأثير بإذن الله .

(٥) سقطت من (م) .

(٦) نقله عنه ابن سيده في المخصص : المجلد ٢/ السفر التاسع : ٨٣ ، والرازي في تفسيره ٤/ ٢٠١ ، وانظر : لسان العرب ٣/ ١٧٦٣ .

وقال ابن الأنباري : «إنما سُميت الريح ريحاً ؛ لأن الغالب عليها في هبوبها المجيء بالروح والراحة ، وانقطاع هبوبها يُكسب الكرب والغَم ، فهي مأخوذة من الروح . وأصلها : رِوح ، فصارت الواو ياء ؛ لسكونها وانكسار ما قبلها ، كما فعلوا في الميزان والميعاد والعيد ، والدليل على أن أصلها الواو قولهم في الجمع : أرواح^(١) .

قال زهير :

قِفْ بالديارِ التي لم يَعْفُها القدمُ
بلى وَغَيَّرَها الأرواحُ والديَمُ^(٢)

ويقال : رَحْتُ الريح أَرَحُها ، وأَرَحْتُها أَرِيحُها : إذا وجدتها ، ومنه الحديث : «من استرعى رعيةً فلم يُحْطِهم بنصيحة ، لم يُرِخْ رائحة الجنة ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة مائة عام»^(٣) .

قال الكسائي : «الصواب : لم يُرِخ ، من : أَرَحْتُ أَرِيحُ» ، وقال الفراء : «لم يُرِخ ، بفتح الراء» . وقال غيرهما : «الصواب : لم يُرِخ ، من رحت أريح» .

(١) نقله عنه الرازي في تفسيره ٢٠١ / ٤ .

(٢) انظر : ديوانه ١٤٥ ، ولسان العرب ٨ / ٤٩٤٢ .

(٣) الحديث أصله في الصحيحين ، رواه البخاري ٧١٥٠ ، ٧١٥١ ، كتاب : الأحكام ، باب : من استرعى رعية فلم ينصح ، ومسلم ١٤٢ ، كتاب : الإيمان ، باب : استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار ، وليس في ألفاظهما : «لم يريح رائحة الجنة ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة مائة عام» ، ولفظ (لم يريح) في حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً : «من قتل معاهداً لم يريح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً» . رواه البخاري ٣١٦٦ ، كتاب : الجزية ، باب : إثم من قتل معاهداً بغير جرم ، و٦٩١٤ ، كتاب : الديات ، باب : إثم من قتل ذمياً بغير جرم .

قال أبو عبيد : «الصواب : بفتح الراء»^(١) ، وأنشد :

وماءٍ وَرَدْتُ عَلَى زُورَةٍ
كَمْشِي السَّبْتَى يَرَاخُ الشَّفِيفَا^(٢)

وقال أبو زيد : «قال القيسيون : الرياح أربع : الشمال والجنوب والصبأ والدَّبُور . فأما الشمال فمن عن يمين القبلة ، والجنوب من عن جهة شمالها ، والصبأ والدَّبُور متتابعان»^(٣) ، فالصبأ من قبل المشرق ، والدَّبُور من قبل المغرب ، وأنشد أبو زيد بيت أبي صخر الهذلي :

إذا قلتُ هذا حينَ أسْلُو يهيجُني
نسيمُ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ الْفَجْرُ^{(٤)(٥)}

وربما تسمى الصَّبَا قبولاً ؛ لأنها استقبلت الدَّبُور .

وقال الأصمعي : «إذا انحرفت واحدة منهن عن هذه المهابِّ فهي نكباء» .

(١) اللسان ١٧٦٥/٣ : «لم يُرَح رائحة الجنة : من أرحت ، ولم يَرَح رائحة الجنة : من رَحَّتْ أَرَاخُ ، ولم يَرَح تجعله من راح الشيء أَرِيحه إذا وجدت ريحه» ، وقال الكسائي : «إنما هو لم يُرَح رائحة الجنة ، من أرحت الشيء فأنا أَرِيحه ، إذا وجدت ريحه ، والمعنى واحد» ، وقال الأصمعي : «لا أدري هو من رَحَّتْ أو من أرحت ؟» .

(٢) البيت لصخر الغيّ الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٣٠٠ ، ولسان العرب ١٧٦٤/٣ ، ١٨٨٧/٣ . والزورة : البُعد ، وقيل : انحراف عن الطريق ، والشفيف : لذع البرد ، والسبتى : النمر .

(٣) في كتاب الحجة ٢/٢٥٠ : متقابلتان ، وهو أصوب .

(٤) البيت لأبي صخر الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٢/٩٥٧ ، وشرح شواهد المغني ١/١٦٩ ، ولسان العرب (طلع) ٥/٢٦٨٩ ، ومغني اللبيب ٢/٥١٨ .

(٥) من كتاب الحجة ٢/٢٥٠ .

قال : « وأخبرنا ابن الأعرابي قال : مهبُّ الجنوب من مطلع سُهيل إلى مطلع الثُّريَّا ، والصَّبا من مطلع الثُّريَّا إلى بناتِ نَعش ، والشمال من بناتِ نَعش إلى مسقط النسر الطائر ، والدَّبور من مسقط النسر الطائر إلى مطلع سُهيل » .

وقال غيره : « الجنوب : التي تجيء من قبل اليمن ، والشمال : التي تهبُّ من قبل الشام ، والدَّبور : التي تجيء من عن يمين القبلة شيئاً ، والصَّبا : بإزائها »^(١) .

والشمال ريح باردة تكرهها العرب ؛ لبردها وذهاها بالغيم ، وفيه^(٢) الحَيَا والخِصْبُ^(٣) ، وإذا سمعت الريح تنسب إلى الشام فهي الشمال الباردة ، كقول زياد بن منقذ :

والمطعمون إذا هبَّت شاميةٌ

وباكراً الحيَّ من صُرَّادها صِرْمٌ^{(٤)(٥)}

وقال النابغة :

وهبَّت الرِّيحُ من تلقاءِ ذي أُرْلٍ

تُزجى مع الليل من صُرَّادها صِرْمًا^(٦)

(١) من كتاب الحجة ٢/ ٢٥٠ ، ٢٥١ بتصرف وتقديم وتأخير .

(٢) في (ش) : (وفيها) .

(٣) من كلام الأصمعي ، نقله أبو علي في الحجة ٢/ ٢٥٥ .

(٤) في (أ) : ضبطت صِرْم ، وفي (ش) : صِرْم .

(٥) انظر : معجم البلدان (أشي) ١/ ٢٠٣ .

(٦) البيت في ديوانه ٦٣ ، ولسان العرب ١/ ٦٥ ، ٢٤٣٩/ ٤ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٣٤٥ ، وأساس البلاغة

(صرم) .

وَذُو أُرْلٍ : جبل بأرض غطفان من ناحية الشام ، ولكراحتهم الشمال فإنهم
يُسْمُون كل مكروه عندهم مشمولاً . قال زهير :

جرت سُنْحاً^(١) فقلتُ لها مَرُوعاً نَوَى مَشْمُولَةً فمتى اللقاء^(٢)
مشمولة ؛ أي مكروهة^(٣) .

وقد صرَّح طرفة بأن الشمال شامية ، في قوله :

فأنت^(٤) على الأدنى شمالَ عَرِيَّةٍ^(٥)
شَامِيَّةٍ^(٦) تزوي^(٧) الوجوه بَلِيلُ

ويحبون الجنوب لدفتها ، ولأنها تحيء بالسحاب والمطر^(٨) . أنشد الأصمعي
حميد بن ثور :

فلا يُبْعِدِ اللهُ الشَّبابَ وَقَوْلَنَا إِذَا مَا صَبَوْنَا صَبَوَةً سَتُّوبُ
لِيَالِي أَبْصَارُ الْغَوَانِي وَسَمْعُهَا إِلَيَّ وَإِذْ رِيحِي لَهَنَ جَنُوبُ^(٩)
أي محبوبة كما تحب الجنوب .

(١) في (ش) : (كأنها بسحاً) .

(٢) البيت في ديوانه ٥٩ ، ولسان العرب ٤ / ٢١١٣ ، ٤ / ٢٣٢٩ ، وأساس البلاغة (شمل) ١ / ٥٠٦ .

(٣) انظر : الحجة لأبي علي الفارسي ٢ / ٢٥٥ .

(٤) في (ش) و(م) : (وأنت) .

(٥) في (ش) : (عزية) .

(٦) سقطت من (م) .

(٧) في (ش) : (تزوي) .

(٨) من كلام الأصمعي تابع للنقل السابق عنه ، نقله أبو علي في الحجة ٢ / ٢٥٥ ، وقطعه المؤلف وأدخل فيه غيره .

(٩) البيتان لحميد بن ثور ، وردا في الإصابة ١ / ٣٥٦ ، والاستيعاب ١ / ٤٣١ ، والأغاني ١٨ / ١٣٢ ،
والزاهر ١ / ٣٦٧ . انظر : وضع البرهان ٢ / ٣٣٢ .

وقال أبو عبيدة : «الشمال عند العرب للرَّوْح ، والجنوب للأمطار والأنداء ، والدَّبُور للبلاء ، أهونه أن يكون غباراً عاصفاً ، يُقْذِي^(١) العين ، وهي أقلهن هُبُوباً ، والصَّبَا لإلقاح الشجر ، وكل ريح انحرفت فوقعت بين ريحين من هذه الأربع فهي نكباء» .

وتقول العرب : «إِنَّ التُّكْبَ أَرَبِع : فنكباء الصبا والجنوب ميباس للبقل ونكباء الصبا^(٢) والشمال مِعْجَاجٌ مُضْرَاد ، لا مطر فيها ولا خير ، ونكباء الشمال والجنوب رِيح قَرَّة ، وربما كان فيها مطر وهو قليل ، ونكباء الدَّبُور والجنوب قد تكون في الشتاء والصيف»^(٣) . قال الخثعمي :

مِنْ كُلِّ فَيَاضِ الْيَدِينِ إِذَا غَدَتْ نَكَبَاءُ تُلْوِي بِالْكِنِيفِ^(٤) الْمُوَصَدِ^(٥)
هذه في الشتاء^(٦)^(٧) .

واختلف القُرَّاء في ﴿الرَّيْحِ﴾ ، فقرأ بعضهم بالجمع في مواضع ، وبالتوحيد في مواضع^(٨) ، وهم مختلفون فيها . والأظهر في هذه الآية الجمع ؛ لأن كل واحد من هذه الرياح مثل الأخرى في دلالتها على الوجدانية ، وتسخيرها ؛ ليتنفع بها الناس بتصريفها ، وإذا كان كذلك فالوجه أن تجمع ؛ لمساواة كل واحدة منها

(١) في (م) : (يؤذي) .

(٢) في (ش) : (للصبا) .

(٣) في (أ) : (كأنها المصيف) .

(٤) في (ش) : (الكثيف) .

(٥) ورد البيت في ديوان الحماسة ١ / ٣٣٤ .

(٦) في (م) : (الثنا) .

(٧) انظر : تفصيلات الرياح وأسماءها وأنواعها في المخصص لابن سيده : المجلد ٢ / ٩٦٢ وما بعدها .

(٨) فهذه الآية قرأ حمزة والكسائي وخلف بإسكان الياء وحذف الألف بعدها على الأفراد ، وغيرهم بفتح الياء وألف بعدها على الجمع . انظر : السبعة ١٧٣ ، والنشر ٢ / ٢٢٣ ، والحجة ٢ / ٢٤٨ - ٢٥١ ، وقد ذكروا المواضع التي اختلف فيها القُرَّاء في القرآن كله .

الأخرى . وأما من وَّحَّد فإنه يريد الجنس ، كما قالوا^(١) : «أهلك^(٢) الناس الدينار والدرهم» ، وإذا أريد بالريح الجنس كانت قراءة من وَّحَّد كقراءة من جمع .

فأما ما روي في الحديث من أن النبي ﷺ كان إذا هبت ريح قال : «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»^(٣) .

فمما^(٤) يدل على أن مواضع الرحمة بالجمع أولى قوله^(٥) : ﴿ وَمَنْ آيَنِيهِ أَنْ يُرْسَلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَتٍ ﴾ [الروم : ٤٦] ، وإنما تبشر بالرحمة ، ويشبه أن يكون النبي ﷺ قصد هذا الموضع من التنزيل . ومواضع الأفراد من العذاب^(٦) كقوله : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ [الذاريات : ٤١] .

وقد يختص اللفظ في التنزيل بشيء فيكون أمارة له ، فمن ذلك أن عامة ما جاء في التنزيل من قوله : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ مبهم غير مبين ، كقوله : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى : ١٧] ، وما كان من لفظ (أدراك) مفسر ، كقوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ [القارعة : ٣] ، و﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ ﴾ [القارعة : ١٠]^(٧) .

(١) في (م) : (يقال) .

(٢) في (م) : (هلك) .

(٣) أخرجه الشافعي في الأم ٢٥٣/١ باب : القول في الإنصات عند رؤية السحاب ، وفي المسند ١/١٧٥ ، رقم ٥٠٢ باب : في الدعاء من طريق العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس ، ومن طريق الشافعي أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار ٥/١٨٩ ، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة ٤/١٣٥٢ من طريق العلاء بن راشد ، وهو ضعيف ، وأخرجه أبو يعلى في مسنده ٤/٣٤١ ، والطبراني في الكبير ١١/٢١٣ من طريق الحسين بن قيس ، وهو متروك . قال الهيثمي في مجمع الزوائد : ١٠/١٣٥ : «رواه الطبراني وفيه : حسين بن قيس ، الملقب بحنش ، وهو متروك ، وقد وثقه حصين بن نمير ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح» .

(٤) في (م) : (رايداً) .

(٥) في كتاب الحجة ٢/٢٥٧ : ومواضع العذاب بالأفراد ، ويقوي ذلك قوله تعالى .

(٦) في (أ) و(م) : (الأفراد والعذاب) .

(٧) من كتاب الحجة ٢/٢٥٦ ، ٢٥٨ ، بتصرف .

أما التفسير فالتصريف في اللغة : التقلب ، وهو تفعيل من الصَّرف ،
والصَّرف : القلب عن الشيء . والصَّرِيف : اللبن الذي سَكَنَتْ ^(١) رَغْوَتُهُ ؛
لأنصرف الرغوة عنه ، وقيل : « لا يُسَمَّى صريفاً حتى يُنصرف به عن الضرع » ^(٢) ،
والصريف : الفحل نابيه ؛ لأنه يقلب أحدهما بالآخر ^(٣) .

قال المفسرون : « ومعنى ﴿ وَصَرِيفَ الرِّيحِ ﴾ تَقْلِيْبُهَا قَبُولاً وَدُبُوراً وَشِمالاً
وجنوباً ، كما بيَّنا ، وتصريفها مرة بالرحمة ، ومرة بالعذاب ، وتصريفها مرة حارة ،
ومرة باردة ، ومرة لينّة ، ومرة عاصفة » ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ ﴾ : سُمِّي السحاب لانسحابه في الهواء ^(٥) .

ومعنى التسخير : التذليل ، و﴿ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ ﴾ : المطيع لله تعالى ^(٦) .

١٦٥ . قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ﴾ الآية ، لما
ذكر الله تعالى الدلالة على وحدانيته أعلم أن قوماً بعد هذه الدلالة
والبيان يتخذون الأنداد ، مع علمهم أنهم لا يأتون بشيء مما ذكر ^(٧) .
ومضى الكلام في معنى (الأنداد) ^(٨) .

(١) في (ش) : (سكتت) ، ولعلها كذلك في (م) .

(٢) انظر : معاني (التصريف) في المفردات ٢٨٣ ، واللسان (صرف) ٤/٢٤٣٤ .

(٣) العبارة غير واضحة ، وقد يكون صوابها : « صرف الفحل نابه ؛ أي حرقه فسمعت له صوتاً ، ولنابه
صريف ؛ أي صوت » . قال في اللسان ٤/٢٤٣٦ : « الصريف : صوت الأنياب ، وصرف الإنسان
والبعير نابه ، وبنابه حرقه فسمعت له صريفاً ، وناقاة صروف بيّنة الصريف ، وصريف الفحل :
تهدره » .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢/٦٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١/٢٧٥ ، وتفسير الثعلبي ١/١٣١١ ، والمحزر
الوجيز ٢/٥١ ، والبحر المحيط ١/٤٦٧ .

(٥) تفسير الثعلبي ١/١٣١٢ . انظر : المفردات ٢٣١ ، والتفسير الكبير ٤/٢٠٢ ، واللسان ٤/١٩٤٨ .

(٦) انظر : المفردات ٢٣٣ ، والتفسير الكبير ٤/٢٠٢ ، واللسان (سخر) ٤/١٩٦٣ .

(٧) من معاني القرآن للزجاج ١/٢٣٧ . انظر : التفسير الكبير ١/٢٠٤ ، والبحر المحيط ١/٤٦٩ .

(٨) انظر : معنى (الند) في تفسير الطبري ١/١٦٣ ، والمفردات ٤٨٩ .

قال أكثر المفسرين : «يريد بالأنداد : الأضداد»^(١) المعبودة من دون الله عز وجل ، فعلى هذا ، الأصنام أنداد بعضها لبعض ، أي : أمثال ، ليست أنها أنداد الله تعالى»^(٢) .

وقال السُّدِّي : «يعنى : بالأنداد أكفاء من الرجال يطيعونهم في معصية الله»^(٣) .

وعلى هذا المطاعون في معصية الله أنداد^(٤) للمطيعين ، أو هم أندادُ ، بعضهم^(٥) لبعضٍ نَدٌّ ، كما قلنا في الأصنام .

وقوله تعالى : ﴿يُحِبُّهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ : قال الليث : «يقال : أَحَبَّتُ الشَّيْءَ فَأَنَا مُحِبٌّ ، وهو محبوبٌ ، قال : ومثله : أَحَزَنْتُهُ فهو محزونٌ ، وَأَجَنَّهُ اللهُ فهو مجنونٌ» ، وقد جاء مُحِبٌّ شاذًّا في قول عنتره :

بمنزلةِ المحبِّ المكرم^(٦)

- (١) في (ش) : (الأصنام) ، وهو كذلك عند الثعلبي في تفسيره ١٣١٤ / ١ .
 - (٢) انظر : تفسير الثعلبي ١٣١٤ / ١ ، وزاد المسير ١٧٠ / ١ ، ومعاني القرآن ٩٩ / ١ ، والبحر المحيط ٤٦٩ / ١ ، والتفسير الكبير ٢٠٤ / ٤ ، ونسبه إلى أكثر المفسرين . وظاهر كلام المفسرين أنهم اتخذوها أنداداً لله بحسب زعمهم .
 - (٣) رواه عنه الطبري ٦٧ / ٢ ، ولفظه : «الأنداد من الرجال ، يطيعونهم كما يطيعون الله ، إذا أمرهم أطاعوهم وعصوا الله» . وقد رواه الطبري عن ابن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ باللفظ الذي ذكره المؤلف ، وذكر ذلك عند قوله : (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) ، ورواه الطبري ١٦٣ / ١ ، وانظر : البحر المحيط ٤٦٩ / ١ ، فقد بينَّ «أن المراد بالناس : أهل الكتاب ، ورجع كونهم أهل الكتاب بقوله : (يحبونهم) ، فأتى بضمير العقلاء ، وباستبعاد محبة الأصنام . ولقوله : (إذ تبرأ) ، والتبرؤ لا يناسب إلا العقلاء» ، وكذا قال الرازي في تفسيره ٢٠٤ / ٤ .
 - (٤) في (ش) : (أنداداً لمطيعين) .
 - (٥) في (ش) : (وبعضهم) .
 - (٦) والبيت بتهامه :
- ولَقَدْ نَزَلَتْ فَلَا تَطُنُّنِي غَيْرَهُ
منِّي بمنزلةِ المحبِّ المكرم
البيت في ديوانه ١٩١ .

قال شمر: «قال الفرّاء: وَحَبِيتُ لَغَةً»، وأنشد:

فوالله لولا تَمَرُهُ ما حَبِيتُهُ ولا كان أدنى من عُبيدٍ ومُشْرِقٍ^(١)

عن أبي زيد: «بغير مُحِبٍّ، وقد أَحَبَّ أحباباً، وهو أن يصيبه مرض أو كسر فلا يبرح مكانه حتى يبرأ أو يموت». قال: «والإحباب: هو البروك، فمن الناس من يجعل المحبة مأخوذة من هذا؛ للزوم المحب محبوبه»^(٣).

وفي قوله: ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾ طريقان لأهل المعاني: أحدهما: إن المعنى فيه كحب المؤمنين الله؛ أي يحبون الأصنام كما يحب المؤمنون ربهم، فأضيف المصدر إلى المحبوب، كقول القائل: «أكلت طعامي كأكل طعامك»، و«بعت جاريتي كبيع جاريتك»، وهو يريد: كبيعك جاريتك وأكلك طعامك، فيحذف الفاعل، ويضيف المصدر إلى المفعول^(٤)، كقول الشاعر:

ولست مسلماً ما دمت حياً على زيدٍ كتسليم الأمير^(٥)

(١) في (م): (ومشريقي).

(٢) البيت لغيلان بن شجاع النهشلي في لسان العرب (حب) ٢/ ٧٤٣، وروايته: فأقسِمُ، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/ ٤١٠، ومغني اللبيب ١/ ٣٦١.

(٣) انظر: المفردات ١١٢، والبحر المحيط ١/ ٤٧٠، واللسان (حب) ٢/ ٧٤٥، ٧٤٦.

(٤) انظر: المحرر الوجيز ٢/ ٥٤، ٥٥، والبحر المحيط ١/ ٤٧٠.

(٥) البيت لعلي بن خالد البردخت، كما في رسائل الجاحظ ٢/ ٢٦١. انظر: معاني القرآن للفرّاء ١/ ١٠٠، والبيان والتبيين ٤/ ٥١، وتفسير الطبري ٢/ ٦٧، وتفسير الثعلبي ١/ ١٣١٤.

أراد : كتسليمي على الأمير ، هذا قول الفراء^(١) ، ويوافقه تفسير ابن عباس^(٢) ، فإنه قال : «يريد : كحب الذين آمنوا الله^(٣) ، فكثير^(٤) من العلماء على هذه الطريقة فلم يشبتوا للكفار حباً لله ، وجعلوا حُبَّ الله للمؤمنين^(٥) ، وشبهوا حُبَّ الكفار للأصنام بحُبِّ المؤمنين لله^(٦) .

الطريق الثاني : إن المعنى فيه : يحبونهم كحُبِّ الله ؛ أي يسوون بين هذه الأصنام والله - عز وجل - في الحُبِّ ، فيكون تقدير الآية : يحبونهم كحبهم الله ، فيضاف الحُبُّ إلى الله عز وجل ، والمشركون هم المُحِبُّون^(٧) ، وعلى المشركين في تسويتهم بين الله - عز وجل - والأصنام في المحبة أعظم الحجج وأوكدها ؛ إذ أحبوا وعبدوا ما لا ينفع ولا يضر ، ولا يجبي ولا يميمت . وقد بينَّ الله - عز اسمه - ما يدل على هذا المعنى في قوله : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر : ٣] . وهذا القول اختيار الزَّجَّاج^(٨) وابن كيسان^(٩) ، وعلى هذا فقد أثبت للمشركين حباً لله ، وشبه حُبَّهم الأصنام بحُبِّهم الله تعالى .

(١) معاني القرآن للفراء ١/ ٩٧ .

(٢) نسبه إليه ابن الجوزي في زاد المسير ١/ ١٧٠ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ٥٤ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢/ ٦٧ ، واختار هذا القول ، ورواه عن قتادة ومجاهد والربيع وابن أبي زيد ، وكذا رواه ابن أبي حاتم ١/ ٢٧٦ ، ونسبه في زاد المسير ١/ ١٧٠ أيضاً إلى عكرمة وأبي العالية ومقاتل . انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٣١٤ ، وعزاه إلى أكثر العلماء ، وتفسير السمعاني ٢/ ١٢٠ ، والكشاف ١/ ٢٠٩ .

(٤) في (ش) : (وكثير) .

(٥) في (أ) و(م) : (المؤمنين) .

(٦) في (م) : (الله) .

(٧) في (م) : (المحبين) .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٢٣٧ ، وقال عن القول الأول : «ليس بشيء ، ودليل نقضه قوله : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ . والمعنى : أن المخلصين الذين لا يشركون مع الله غيره هم المحبون حقاً ، وهو اختيار الرازي في تفسيره ٤/ ٢٠٤ .

(٩) تفسير الثعلبي ١/ ١٣١٤ .

وقال أبو روق : «معنى قوله : ﴿ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ ، أي : يحبون الأصنام حُباً لا يستحق مثل ذلك الحب إلا الله ، ويحبونهم كما ينبغي لهم أن يحبوا الله ، فالمعنى فيه : كالحب المستحق لله .

ثم قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ : قال ابن عباس : «أي : أثبت وأدوم»^(١) ، وذلك أن المشركين كانوا يعبدون صنماً فإذا رأوا شيئاً أحسن منه^(٢) تركوا ذلك ، وأقبلوا على عبادة الأحسن»^(٣) . وقال قتادة : «إن الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء ، ويقبل على الله عز وجل ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ ﴾ الآية [العنكبوت : ٦٥] ، والمؤمن لا يُعرض عن الله في السراء والضراء والشدة والرخاء ، ولا يختار عليه سواه»^(٤) .

وقيل : «لأن المؤمنين يوحدون ربهم ، والكفار يعبدون مع الصنم أصناماً ، فتنقص محبة الواحد ، بضم محبة مجمع إليه ، والذي لا يعبد إلا واحداً محبته له أتم» . وهذه الأقوال على طريقة من لم يثبت للمشركين محبة الله . فأما من أثبت لهم محبة الله فالمؤمنون أشد حُباً منهم ؛ لأن الكفار يقولون : إن الله خالقنا ورازقنا ، ثم يجعلون معه شركاء ، فتضعف محبتهم ، وتنقص بذلك ، وتتم محبة المؤمنين ربهم بإفرادهم إياه في العبادة»^(٥) .

وهذا معنى قول الحسن : «إن الكافرين عبدوا الله بالواسطة ، وذلك قولهم للأصنام : ﴿ هَتُولَاءِ شُفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨] ، وقولهم : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا

(١) في (م) : (ودا) .

(٢) في (م) : (أخير) .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/ ١٣١٥ ، والسمعاني في تفسيره ٢/ ١٢١ ، والبغوي في تفسيره ١/ ١٧٨ ، ولم ينسبه إلى ابن عباس .

(٤) تفسير الثعلبي ١/ ١٣١٥ ، وذكره البغوي في تفسيره ١/ ١٧٨ ، والواحدي في الوسيط ٢٣٦/١ .

(٥) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٣١٥ ، ١٣١٦ .

لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ ﴿[الزمر: ٣]، والمؤمنون يعبدونه بلا واسطة ؛ لذلك قال : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ ^(١) ومعنى حب المؤمنين الله : حب طاعته والانقياد لأمره ، ليس معنى يتعلق بذات القديم سبحانه ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ جواب (لو) محذوف . وقد كثر في التنزيل حذف جواب (لو) ، كقوله : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ [الرعد: ٣١] ، و ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧] ، و ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ [الأنعام: ٩٣] .

قال أصحاب المعاني : «وحذف جواب (لو) في مثل هذا الآي يكون أفخم وأبلغ ؛ لذهاب المخاطب المتوعد إلى كل ضرب من الوعيد ، ولو ذكر له ضرب من الوعيد لم يكن مثل أن يبهيم ^(٣) عليه ؛ لأنه يوطن نفسه على ذلك المذكور ، ومن وطن نفسه على شيء لم يصعب عليه صعوبته على من لم يوطن عليه نفسه» .

(١) في تفسير الحسن البصري ٩٤ / ١ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ١٣١٥ .

(٢) هذا من المؤلف تأويل يخالف ظواهر النصوص ، جرى فيه على مذهب الأشاعرة الذين يميزون إطلاق هذه اللفظة لكنهم يحيلون وقوعه ، كما ذكر الرازي في تفسيره ٤ / ٢٠٥ ، فالمؤمنون يحبون الله لذاته ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ ، وقال : ﴿مُحِبُّهُمْ وَمُحِبُّوهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤] .

قال ابن القيم في إغاثة اللهفان ١ / ١٦٥ : «وليس شيء يحب لذاته من كل وجه إلا الله - عز وجل - وحده ، الذي لا تصلح الألوهية إلا له . وأما تقسيم المحبة والإرادة إلى نافعة وضارة ، فهو باعتبار متعلقها ومحبوها ومرادها ، فإن كان المحبوب المراد هو الذي لا ينبغي أن يحب لذاته ويراد لذاته إلا هو ، وهو المحبوب الأعلى الذي لا صلاح للعبد ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا بأن يكون هو وحده محبوبه ومراده وغاية مطلوبة ، كانت محبته نافعة له . أما الأشاعرة فينفون المحبة بين الله وعبده ؛ لأن العقل لا يدل عليها ، وكل ما لا يدل العقل عليه فإن الله يجب أن ينزه عنه ، وقالوا : إن المحبة لا تكون إلا بين متجانسين ، فلا تكون بين رب ومخلوق ، وهذه دعوى باطلة يكفي فيها المنع ؛ لأن الأصل عدم ثبوت الدعوى ، والواقع يدل على ثبوت المحبة بين غير المتجانسين ، كما يجب آلاته وبعض بهائمهم . علما بأن العقل قد دل على ذلك ؛ فإثابة الطائعين ونصرهم وتأييدهم وإجابة دعائهم دليل على المحبة» . انظر : شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد العثيمين ١٩٦ ، ومختصر منهاج القاصدين ٣٤٣-٣٥٦ .

(٣) في (ش) : (يهمهم) ، وفي (أ) و(م) : غير منقطعة ، ولا واضحة .

وذكرنا شواهد هذه المسألة في سورة الأنعام ، عند قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا﴾ [الأنعام: ٢٧] ^(١) .

وكثر اختلاف القراء ^(٢) في هذه الآية ، فقرأ حمزة والكسائي وعاصم وأبو عمرو وابن كثير : (ولو يرى) بالياء ، ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾ ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ بالفتح فيهما ^(٣) .

والمراد بالرؤية هاهنا : رؤية العين المتعدية إلى مفعول واحد ، والفعل في هذه القراءة ^(٤) مسند إلى الذين ظلموا ، و(الذين ظلموا) : هم الذين كفروا ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤] ، وإنما كان ينبغي أن يسند إليهم الفعل ؛ لأن النبي ﷺ والمسلمين قد علموا قدر ما يشاهد الكفار ويعاينونه من العذاب يوم القيامة ، والمتوعدون في هذه الآية لم يعلموا ذلك ، فوجب أن يسند الفعل إليهم ^(٥) ، وفتحوا ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾ ؛ لأنهم أعملوا فيه الرؤية ، تقديره : ولو يرون أن القوة ، ومعناه : ولو يرى الذين ظلموا شدة عذاب الله وقوته لعلموا

(١) انظر : معاني القرآن للقرآء ٩٧/١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٣٩/١ ، وتفسير الطبري ٦٧/٢ ، والتبيان للعكبري ١٠٥ ، والبحر المحيط ٤٧١/١ ، وتفسير الثعلبي ١٣١٨/١ .

(٢) انظر في توجيه القراءات في الآية : معاني القرآن للقرآء ٩٧/١ ، وتفسير الطبري ٦٧/٢-٦٩ ، والتبيان ١٠٥ ، والبحر المحيط ٤٧١/١ ، والحجة ٢٥٨/٢ .

(٣) انظر : السبعة ١٧٣ ، ١٧٤ ، والنشر ٢٢٤/٢ ، والحجة ٢٥٨/٢ . قال في النشر : «واختلفوا في (ولو ترى الذين) ، فقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالخطاب ، واختلف عن ابن وردان عن أبي جعفر ، فروى ابن شبيب عن الفضل من طريق النهرواني عنه بالخطاب ، وقرأ الباقر بالغيب . واختلفوا في ﴿يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ ، فقرأ ابن عامر بضم الياء ، وقرأ الباقر بفتحها . واختلفوا في ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ ، فقرأ أبو جعفر ويعقوب بكسر الهمزة فيهما ، وقرأ الباقر بفتح الهمزة فيهما» .

(٤) في (ش) : (الآية) .

(٥) الحجة ٢٦١/٢ .

مضرة اتخاذ الأنداد . وقولنا : لعلموا ، هو الجواب المحذوف ، وإنما قدرنا هذا الجواب مع احتمال غيره ؛ لأنه قد جرى ذكر اتخاذ الأنداد في أول الآية ^(١) .

وقال أبو عبيد والزجاج ^(٢) : «يجوز أن يكون العامل في (أن) جواب (لو) المقدر ؛ لأنه قد جاء في تفسير هذه الآية : لو رأى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الآخرة ، لعلموا حين يرونه أن القوة لله جميعاً ، ففتحوا (أن) بالجواب المقدر وهو : لعلموا» ^(٣) .

وضَعَفَ أحمد بن يحيى هذا القول ، وقال : ^(٤) «الْعَلَمَ لو حذف لم يترك صلته» ، وقال من احتج لهذا القول : «حذف الموصول وإبقاء أصله لا ينكر ، كقوله تعالى : ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام : ٩٤] في قراءة من نصب ، والمراد : ما بينكم ، فحذفت (ما) وترك صلته» .

وقرأ أبو جعفر (ولو يرى) بالياء ^(٥) ، وكسر (إن القوة) و(إن الله) وإنما كسر ؛ لأن ما قبل (إن) كلام تام ، مع ما أضمر فيه من الجواب المقدر ؛ لأن تقديره : ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب لآمنوا ، أو لرأوا أمراً عظيماً ، فلما تم الكلام بقي قوله : ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ مستأنفاً ، وإذا استأنف وجب كسره .

قال الفرّاء : «وتكون الرؤية على هذه القراءة واقعة على (إذ) في المعنى ، وفتح (أَنَّ) مع الياء أحسن من كسرها» ^(٦) .

(١) معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٣٨ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٣٨ .

(٣) في (ش) : (وعلموا) .

(٤) في (م) : (قال) .

(٥) في (ش) : (بالتاء) .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ١/ ٩٧ .

وقرأ يعقوب وسَهْل (ولو ترى) بالتاء ، (إن القوة) ، و(إن الله) : بالكسر
 فيهما . والخطاب في هذه القراءة^(١) للنبي ﷺ ، ولم يقصده^(٢) بالمخاطبة ؛ لأنه لم
 يعلم ما يراه الكفار من العذاب في الآخرة ، ولكن في قصده المخاطبة^(٣) تنبيه
 لغيره ، ألا ترى أنه قد يُخاطَبُ فيكون خطابه خطاباً للكافة ، كقوله : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّيُّ
 قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ [الأنفال: ٧٠] ، و﴿يَتَأْتِيهَا النَّيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾
 [الطلاق: ١]^(٤) .

قال أبو إسحاق : «وهذا^(٥) كما قال عز وجل : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ﴾^(٦) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٠٦-١٠٧] وهو
 بمنزلة : ألم تعلموا . كذلك ، (ولو ترى) بمنزلة : ولو ترون ، ويكون (إن القوة)
 مستأنفة كما وصفنا . ويكون الجواب -والله أعلم- لرأيت أمراً عظيماً ، كما تقول :
 لو رأيت فلاناً والسياط تأخذه ، فتستغني^(٦) عن الجواب ؛ لأن المعنى معلوم^(٧) .

قال ابن الأنباري : «ويجوز في هذه القراءة أن تضمّر القول وتعلق (إن) به ،
 ويكون التقدير : ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب لقلت : إن القوة لله
 جميعاً ، فانكسرت (إن) مع القول كما انفتحت مع العلم» .

(١) في (ش) : (الآية) .

(٢) في (أ) و(م) : (يقصد) .

(٣) سقطت من (أ) و(م) .

(٤) الحجة ٢/ ٢٦٢ .

(٥) في (ش) : (فهذا) .

(٦) في (م) : (تستغني) .

(٧) معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٣٨ ، ٢٣٩ . انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٣١٨ .

وقرأ نافع وابن عامر (تري) بالتاء^(١)، وفتح : ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾ ، و﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ ، وعلى^(٢) هذه القراءة لا يجوز أن يكون العامل في ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ﴾ قوله : (تري) ؛ لأن الرؤية هاهنا المراد به رؤية البصر ، فلم يجوز أن تتعدى إلى (أن) ؛ لأنها قد استوفت مفعولها الذي تقتضيه ، وهو (الذين ظلموا) ، فإذا لم يجوز أن تنتصب (أن) بـ (تري) ، ثبت أنه منتصب^(٣) بفعل آخر غير (تري) الظاهرة ، وذلك الفعل هو الذي يُقَدَّر جواباً لـ (لو) ، كأنه : ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب رأوا أن القوة لله ، والمعنى : أنهم شاهدوا من قدرته سبحانه ما تيقنوا معه أنه قوي عزيز ، وأن الأمر ليس على ما كانوا عليه من جحودهم لذلك ، أو شكهم فيه^(٤) .

والاختيار عند الفرّاء وغيره : كسر (إن) مع المخاطبة ؛ لأن الرؤية واقعة على الذين ظلموا ، فكان وجه الكلام أن يستأنف (إن) .

قال الفرّاء : «ولو فتحها على تكرير الرؤية كان صواباً ، كأنه قال : ولو ترى الذين ظلموا إذ^(٥) يرون العذاب يرون^(٦) ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(٧) . ومن قرأ بالياء ففتح ﴿أَنَّ﴾ في قراءته أبين ؛ لأنه ينصب ﴿أَنَّ﴾ بالفعل الظاهر دون المضمّر» .

هذه وجوه اختلاف القراءة في هذه الآية^(٨) . فإن قيل : كيف جاءت (إذ) في قوله : ﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ مع قوله : ﴿وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهذا أمر مستقبل وإذ لما مضى ؟ قيل : إنما جاء على لفظ الماضي لإرادة التقريب في ذلك ، كما جاء ﴿وَمَا

(١) في (م) : (بفتح التاء وفتح) .

(٢) في (أ) و(م) : (على) .

(٣) في (م) : (انتصب) .

(٤) من كلام أبي علي في الحجة ٢/ ٢٦٣ .

(٥) من قوله : «فكان وجه الكلام» ساقط من (ش) .

(٦) ليست في (أ) و(م) .

(٧) من معاني القرآن للفرّاء ١/ ٩٧ ، ٩٨ .

(٨) من كلام أبي علي في الحجة ٢/ ٢٦٣ بتصرف .

أَمُرَّ السَّاعَةَ إِلَّا كَلِمَجِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴿[النحل: ٧٧]﴾ ، و﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧] ، فلما أريد فيها من التحقيق والتقريب جاء على لفظ الماضي ، وعلى هذا جاء في ما هو من ^(١) أمر الآخرة أمثلة الماضي ، كقوله : ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] . ومما جاء على لفظ الماضي للتقريب من الحال قول المقيم : «قد قامت الصلاة» ، يقول ذلك قبل إيقاعه التحريم بالصلاة ؛ لقرب ذلك من قوله ، وعلى هذا قول رؤبة :

أَوْذَيْتُ إِنْ لَمْ تَحُبَّ ^(٢) حَبَوَ الْمُعْتَنُكُ ^(٣) (٤)

فإنما أراد تقريب مشاركتة وإشفاءه عليه ، فأتى بمثال الماضي ، وجعله ساداً مسدّ جواب أن ، من حيث كان معناه الاستقبال في الحقيقة ^(٥) ، وإن الهلاك لم يقع بعد ، ولولا ذلك لم يجز ، ألا ترى أنه لا يكون : قمتُ إن قمتَ ؟ إنما تقول : أقومُ إن قمتَ ، وقد جاء كثير مما في التنزيل من هذا الضرب ، كقوله : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا﴾ [الأنعام: ٢٧] ، و﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] ، و﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَعُوا﴾ [سبأ: ٥١] ، و﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى﴾ [الأنفال: ٥٠] ، فجاءت هذه الآية التي يراد بها الاستقبال بإذ ، وكذلك جاء : ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ﴾ ^(٦) .

(١) ساقطة من (أ) و(م) .

(٢) في (ش) : (يجب) .

(٣) في (ش) : (المعتك) .

(٤) لرؤبة من قصيدة يمدح فيها الحكم بن عبد الملك في ديوانه ١١٨ ، والخصائص ٢/ ٢٨٩ ، والحجة للقراء السبعة ٢/ ٢٦٠ . المعتك : البعير يصعد في العانك من الرحل ، وهو المتعقد منه .

(٥) في (ش) : (بالحقيقة) .

(٦) من كلام أبي علي في الحجة ٢/ ٢٦٠ ، ٢٦١ .

وقرأ ابن عامر (يُرون) بضم الياء ، وحجته قوله ^(١) : ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ منصوب على الحال ، المعنى : إن القوة ثابتة لله - عز وجل - في حال اجتماعها ^(٣) .

١٦٦ . قوله تعالى : ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ : العامل في ﴿إِذْ﴾ معنى ﴿شَدِيدٌ﴾ من قوله : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ ^(١٦٥) ، إذ تَبَرَّأَ كأنه قيل : «وقت تبرأ» ^(٤) .

وقوله : ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ يعني المتبوعين في الشرك والشر ، ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ : يعني السفلة والأتباع ^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾ : الباء هاهنا بمعنى عن ^(٦) ، كقوله : ﴿فَسُئِلَ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان : ٥٩] ؛ أي عنه . قال علقمة بن عبدة :

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصيرٌ بأدواء النساء طيبٌ ^(٧)
أي : عن النساء .

(١) ساقط من (ش) ، وكلمة (قوله) ليست في (م) .

(٢) الحجة ٢ / ٢٦٤ .

(٣) من معاني القرآن للزجاج ١ / ٢٣٩ . انظر : التبيان للعكبري ١٠٧ ، وهذا إعراب لكلمة (جميعاً) .

(٤) انظر : التبيان ١٠٧ ، وإعرابها إعراب آخرين ، فالأول : بدل من (إذ) الأولى ، والثاني : مفعول (اذكر) .

(٥) معاني القرآن للزجاج ١ / ٢٣٩ . انظر الآثار في ذلك عند الطبري في تفسيره ٧٠ / ٢ ، وابن أبي حاتم

١ / ٢٧٧ عن قتادة وأبي العالية والربيع وعطاء . انظر أيضاً : زاد المسير ١ / ١٧١ ، وتفسير الثعلبي

١ / ١٣٢٠ ، وعزاه إلى أكثر أهل التفسير .

(٦) تفسير الثعلبي ١ / ١٣٢٠ ، والتبيان ١ / ١٠٧ ، وذكر أنها أيضاً للسببية ، والتقدير : وتقطعت بسبب

كفرهم ، وقيل : «إنها للحال» ؛ أي تقطعت موصولة بهم الأسباب ، وقيل : «الباء للتعدية» ،

والتقدير : قطعتم الأسباب ، كما تقول : «فرقت بهم الطرق» ؛ أي فرقتهم . انظر : البحر المحيط

١ / ٤٧٣ ، والتفسير الكبير ٤ / ٢١١ .

(٧) البيت لعلقمة الفحل في ديوانه ٣٥ .

وقال آخر :

تُسائلني هوازن أين مالي وهل لي غير ما أتلفت مال^(١)
أي : عني .

وقوله تعالى : ﴿الْأَسْبَابُ﴾ : أصل السبب في اللغة : الحبل . قال شمر : « قال أبو عبيدة : السبب : كلُّ حبلٍ حَدَرْتَه ^(٢) من فوق » .

وقال خالد بن جَنْبَةَ : « السبب من الحبال : القوي الطويل ، قال : ولا يدعى الحبل سبباً حتى يُصْعَدَ به ويُنْزَلَ ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج : ١٥] ، فالسبب : الحبل في هذا الموضع ، ثم قيل ^(٣) لكل شيء وصلت به إلى موضع أو حاجة تريدها : سبب ، يقال : ما بيني وبينك سبب ؛ أي آصرة رحم ، أو عاطفة مودة . وقيل للطريق : سبب ؛ لأنك بسلوكه تصل إلى الموضع الذي تريده . قال الله تعالى : ﴿فَأَنْعَ سَبَبًا﴾ [الكهف : ٨٥] أي : طريقاً ، و(أسباب السماء) : أبوابها ؛ لأن الوصول إلى السماء يكون بدخولها ، قال الله تعالى مخبراً عن فرعون : ﴿لَعَلِّي أَتْلُعُ الْأَسْبَابَ﴾ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابُ السَّمَوَاتِ ﴿﴾ [غافر : ٣٦-٣٧] . قال زهير :

ومن هاب^(٤) أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم^(٥) .

(١) البيت ليزيد بن الجهم في ديوان الحماصة ٣٥٦/٢ .

(٢) في (ش) : (جدوته) .

(٣) في (م) : (يقال) .

(٤) سقط من (ش) .

(٥) البيت في ديوانه ٣٠ ، وتفسير الثعلبي ١٣٢٢/١ ، وتفسير السمعاني ١٢٣/٢ ، وتفسير الرازي

٢٣٤/٤ ، وتفسير القرطبي ، ولسان العرب (سب) ٤/١٩١٠ .

والمودة بين القوم تُسمَّى سبباً ؛ لأنهم بها يتواصلون ، ومنه قول لبيد :

بَلْ مَا تَذَكَّرُ مَنْ نَوَارَ وَقَدْ نَأَتْ وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وَرِمَامُهَا^{(١)(٢)}

والتي في هذه الآية يعني بها وُصِّلَهم التي كانت تجمعهم . قال ابن عباس^(٣) ومجاهد^(٤) وقتادة^(٥) : «يعني : أسباب المودة والوصلات التي كانت بينهم في الدنيا ، تقطعت وصارت مخاللتهم عداوة» .

وقيل : أراد بالأسباب : الأرحام التي كانوا يتعاطفون بها^(٦) .

وقال ابن زيد : «يعني : الأعمال التي كانوا يؤملون أن يصلوا^(٧) بها إلى ثواب الله»^(٨) .

١٦٧ . قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ : وهم الأتباع ، ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ : موضع أَنْ رَفَعَ ؛ لأن لو تطلب الفعل^(٩) ، المعنى : لو وقع كرور ؛ أي رجعة إلى الدنيا^(١٠) .

-
- (١) البيت في ديوانه ٣٠١ ، ولسان العرب (سب) ٤ / ١٩١٠ .
- (٢) انظر : معاني (السبب) في تفسير الطبري ٧١ - ٧٣ ، وتفسير الثعلبي ١ / ١٣٢٢ ، والمفردات ٢٢٦ ، وتاج العروس ٦٦ / ٢ وما بعدها .
- (٣) رواه عنه الطبري في تفسيره ٧١ / ٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٧٨ / ١ .
- (٤) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢٧١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٧٨ / ١ .
- (٥) رواه عبدالرزاق في تفسيره ١٥ / ٦٥ ، والطبري في تفسيره ٧١ / ٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٧٨ / ١ .
- (٦) رواه الطبري في تفسيره ٧١ / ٢ بسنده عن ابن عباس ، وابن أبي حاتم عن الضحاك ٢٧٨ / ١ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ١٣٢٠ عن ابن جريج والكلبي .
- (٧) في (م) : (يوصلوا) .
- (٨) رواه عنه الطبري في تفسيره ٧٢ / ٢ ، ورواه ابن أبي حاتم عن السُّدِّي عن أبي صالح ٢٧٩ / ١ .
- (٩) معاني القرآن للزجاج ١ / ٢٤٠ .
- (١٠) معاني القرآن للزجاج ١ / ٢٤٠ . انظر : تفسير الطبري ٧٣ / ٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٧٩ / ١ .

﴿فَتَبَرَّأَ﴾ جواب التمني بالفاء ، كقوله : ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢] . قال الكسائي : «إنما نصب جواب التمني بالفاء»^(١) ؛ لأن تأويله : لو أن لنا أن نكرَّ فتَبَرَّأَ»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كَتَبَرُوا^(٣) بعضهم من بعض^(٤) .

﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ﴾ : قال الربيع بن أنس : «يريهم أعمالهم القبيحة التي سَلَفَتْ منهم في الدنيا حَسَرَاتٍ عليهم في الآخرة»^(٥) ؛ لأنهم إذا رأوا حُسْنَ مجازاة الله المؤمنين بأعمالهم الحسنة تحسروا على أن لم تكن أعمالهم حسنةً ، فيستحقوا بها من ثواب الله مثل الذي استحقه المؤمنون» .

وقال ابن كيسان : «يعني بأعمالهم : عبادَتَهُم الأوثان رجاء أن تقر بهم إلى الله ، فلما عُذِّبُوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسروا وندموا»^(٦) .

قال أبو إسحاق : «والْحَسْرَةُ : شِدَّةُ الندم ، حتى يبقى النادم كالحسير من الدوابِّ الذي لا منفعة فيه ، ويقال : حَسِرَ فلان يَحْسِرُ حَسْرَةً وَحَسَرًا : إذا اشتدَّ نَدَمُهُ على أمر فاته ، قال المَرَار :

ما أنا اليومَ على شيءٍ خلا يا ابنةَ القَيْنِ تَوَلَّى بِحَسِرٍ»^(٧) .

(١) ساقطة من (أ) و(م) .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٧٣/٢ ، والتبيان ١٠٦/١ ، وذكر وجهاً آخر هو أن (فتبرأ) منصوب بإضمار أن ، تقديره : لو أن لنا أن نرجع فأن نتبرأ ، وجواب (لو) على هذا محذوف ، تقديره : لتبرأنا أو نحو ذلك .

(٣) في (ش) : (كثير) .

(٤) من معاني القرآن للزجاج ٢٤٠/١ ، وانظر : تفسير الثعلبي ١٣٢٢/١ ، وذكر وجهاً آخر ؛ أي : كما أراهم العذاب كذلك يريهم الله .

(٥) رواه عنه الطبري في تفسيره ٧٥/٢ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١٣٢٣/١ ، والقرطبي في تفسيره ١٩٠/٢ .

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره ١٣٢٣/١ ، والواحدي في الوسيط ٢٥٢/١ ، والبغوي في تفسيره ١٨٠/١ .

(٧) البيت للمرار في لسان العرب ٨٦٩/٢ .

أي : بنادم .

وأصل الحُسْر : الكشف ، يقال : حَسَرَ عن ذراعه ، والحُسْرَة : انكشاف عن حال الندامة^(١) ، والحُسُور : الإعياء ؛ لأنه انكشاف الحال عما أوجبه طول السفر ، والمِحْصرة : المِكنَسَة^(٢) ؛ لأنها تكشف عن الأرض ، والطيرُ تنحسر ؛ لأنها تنكشف بذهاب الريش^(٣) .

قال ابن عباس : «نزلت هذه الآية في المشركين الذين أخرجوا النبي ﷺ من مكة» .

١٦٨ . قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا﴾ : قال ابن عباس في رواية أبي صالح : «نزلت في الذين حَرَّموا على أنفسهم السَّوائِبَ والوصائل والبحائر»^(٤) ، وقال في رواية عطاء : «يعني : المؤمنین خاصة»^(٥) .

(١) سقطت من (م) .

(٢) في (ش) : كتب (الميليس) .

(٣) انظر : معاني حسر في : تفسير الطبري ٧٣ / ٢ ، ٧٤ ، وتفسير الثعلبي ١٣٢٣ / ١ ، والمفردات ١٢٥ ، وتاج العروس ٦ / ٢٧٣ .

(٤) روى البخاري في صحيحه ٤٦٢٣ ، كتاب : التفسير ، باب : ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ، عن سعيد بن المسيب قال : «البحيرة : التي يمنع درها للطواغيت فلا يجلبها أحد من الناس ، والسائبة : التي كانوا يسيبونها لأهنتهم فلا يحمل عليها شيء ، والوصيلة : الناقة البكر في أول نتاج الإبل بأنثى ، ثم تنثني بعد بأنثى ، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بأخرى ليس بينهما ذكر» .

(٥) انظر : العجائب ١ / ٤١٧ ، وفي البحر المحيط ١ / ٤٧٨ قال الحسن : «نزلت في كل من حرم على نفسه شيئاً لم يحرمه الله عليه» ، وروى الكلبي ومقاتل وغيرهما «أنها نزلت في ثقيف وخزاعة وبني الحارث بن كعب» ، قاله النقاش . وقيل : «في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة» ، قيل : «وبني مدلج» ، فإن صح هذا كان السبب خاصاً واللفظ عاماً ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . انظر : زاد المسير ١ / ١٧٢ .

وقوله تعالى : ﴿حَلَالًا﴾ : إن شئت نصبته على الحال : ﴿مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ ، وإن شئت نصبته على أنه مفعول : ﴿مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ .

قال الفراء : «يقال : قد حلَّ الشيء فهو يحلُّ حلالاً وحلاً ، وحلَّ من إحرامه يحلُّ حلالاً ، وأصله : من الحلَّ الذي هو نقيض العقد ، ومعنى الحلال : المباح الذي انحلت عُقْدَةُ الحظر عنه . ومنه : حلَّ بالمكان ، إذا نزل به ؛ لأنه حلَّ شَدَّ الارتحال للنزول . وحلَّ الدَّين : إذا وجب ؛ لانحلال العُقْدَةِ بانقضاء المدة ، وحلَّ من إحرامه ؛ لأنه حلَّ عُقْدَةُ الإحرام . وحلَّت عليه العقوبة ، أي : وجبت ، لانحلال العقدة المانعة من العذاب ، والحلَّة : الإزار والرداء ؛ لأنها تحل عن الطي للبس ، ومن هذا : حِلَّةُ اليمين ؛ لأن عُقْدَةَ اليمين تنحلُّ به»^(١) .

والطيب في اللغة يكون بمعنى الطاهر ، والحلال يوصف بأنه طيب ؛ لأن الحرام يوصف بأنه خبيث ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ [المائدة : ١٠٠] . والأصل في الطيب : هو ما يُسْتَلَذُّ وَيُسْتَطَاب ، ووُصِفَ به الطاهر والحلال على جهة التشبيه ؛ لأن النجس تكرهُهُ النفس فلا يُسْتَلَذُّ ، والحرام غير مُسْتَلَذٍّ ؛ لأن الشرع يزجر عنه^(٢) .

قال ابن عباس : «يريد : قد غَنَمْتُكُمْ مال أعدائكم»^(٣) ، فعلى هذا عنى بالحلال الطيب : الغنيمة .

وقال أهل المعاني : «أراد كل ما يغتذى به من المطاعم ، ولهذا جمع بين الوصفين لاختلاف الفائدتين ، إذ وُصِفَ بأنه حلال يفيد أنه طَلَقٌ ، ووُصِفَ بأنه طيب أنه

(١) انظر : الحلال في تفسير الطبري ٧٦/٢ ، وتهذيب اللغة (حل) ١/٩٠٢-٩٠٤ ، والمفردات ١٣٥ ، وتاج العروس ١٤/١٥٨-١٦٨ .

(٢) انظر : الطيب في تفسير الطبري ٧٦/٢ ، وتهذيب اللغة (طاب) ٣/٢١٤٧ ، ٢١٤٨ ، والمفردات ٣١٤ ، ٣١٥ ، وتفسير البغوي ١/١٨٠ ، وتاج العروس ٢/١٨٨-١٩٢ ، والبحر المحيط ١/٤٧٩ .

(٣) هذا من رواية عطاء ، وقد تقدم الحديث عنها .

يغتذى به ، وهو مُسْتَلَذٌّ في العاجل والآجل . فعلى هذا : التراب والخشب طاهر ، ولا يحل أكلهما ؛ لأنها ليسا من الطيب الذي يغتذى به»^(١) .

وقال الزَّجَّاج : «الأجود أن يكون المعنى : من حيث يطيب لكم ، أي : لا تأكلوا مما يحرم»^(٢) . فعلى هذا فإن المعنى : كلوا حلالاً من حيث يحل لكم ، فأما أن يأكل مال غيره فهو حلال في جنسه ، ولكن ليس يحل له أكله ، فهو حلال وليس مما يطيب له» .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ : قال ابن السَّكَيْت في ما رواه عن اللحياني : «الخطوة والخطوة بمعنى» ، وحكى عن الفراء : «خَطُوتُ خُطْوَةٍ ، والخطوة ما بين القدمين» . وقالوا : خطوتُ خطوةً ، كما قالوا : حَسَوْتُ حَسْوَةً ، والحسوة : اسم ما تحسيت ، وكذلك عَرَفْتُ عَرَفَةً ، والغرفة : اسم ما اغترفت^(٣) . وإذا كان كذلك فالخطوة : المكان المتخطى ، كما أن الغرفة : المغترفة بالكف ، فيكون المعنى : لا تتبعوا سبيله ، ولا تسلكوا طريقه ؛ لأن الخطوة : اسم مكان ، وهذا قول عبد الله بن مسلم^(٤) والزَّجَّاج^(٥) ، فإنهما قالوا : «خُطُواتُ الشَّيْطَانِ : طُرُقُهُ» . وإن جعلت الخطوة بمعنى الخطوة كما ذكره اللحياني ، فالتقدير : لا تأتموا

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٢٤١ ، والبحر المحيط ١/ ٤٧٩ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٢٤١ .

(٣) نقل الأزهري في تهذيب اللغة (خطا) ١/ ١٠٥٢ : «وقال الفراء : العرب تجمع فُعلة من الأسماء على فُعَلات ، مثل : حُجْرة وحُجرات ، فرقا بين الاسم والنع ، النعت يخفف ، مثل حلوة وحُلوات ، فلذلك صار التشكيل الاختيار ، وربما خفف الاسم ، وربما فتح ثانيه فقليل : حُجرات» . انظر : معاني (الخطوة) في تفسير الطبري ٢/ ٧٦ ، والمفردات ١٥٨ ، واللسان (خطا) ٢/ ١٢٠٥ .

(٤) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٦٤ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٢٤١ .

به ، ولا تَقْفُوا أثرَه . والمعنيان يتقاربان وإن اختلف التقديران^(١) ، وهذا قول المؤرِّج . قال : «خطوات الشيطان : آثاره»^(٢) .

وقال الوالبي عن ابن عباس : «خطوات الشيطان : عمله»^(٣) ، وهذا على أن يكون الخطوة بمعنى الخطوة ، وخطوة الشيطان : عمله .

وقال الكلبي^(٤) والسُّدي^(٥) : «يعني : طاعته ، وهذا على أن من اقتدى بإنسان واتبع خطاه فقد أطاعه ، يريد : لا تطيعوا الشيطان»^(٦) .

وفي الخطوات قراءتان : ضَمَّ العين وإسكانها^(٧) ، فمن ضم العين فلاَن الواحدة خُطوة ، فإذا جمعت حركتَ العين للجمع ، كما فعلت بالأسماء التي على هذا الوزن ، نحو : غُرْفَةٌ وَغُرُفَاتٌ^(٨) ، وتحريك العين في نحو هذا الجمع فصل بين الاسم والصفة^(٩) ، وذلك أن ما كان اسماً جمعته بتحريك العين ، نحو : تَمْرَةٌ وَتَمَرَاتٌ ، وَغُرْفَةٌ وَغُرُفَاتٌ ، وَشَهْوَةٌ وَشَهَوَاتٌ . وما كان نعتاً جُمع بسكون العين ، نحو : ضَخْمَةٌ وَضَخْمَاتٌ ، وَعَبْلَةٌ وَعَبَلَاتٌ ، والخطوة من الأسماء لا من الصفات ، فتجمع بتحريك العين .

(١) ما تقدم في معنى الخطوة من قوله : «وقالوا : خطوات خطوة» ، من كلام أبي علي في الحجة ٢/٢٦٧ .

(٢) نقله عنه الثعلبي في تفسيره ١/١٣٢٨ ، وأبو حيان في البحر المحيط ١/٤٧٩ .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره ٢/٧٦ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١/١٣٢٧ .

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره ١/١٣٢٧ .

(٥) أخرجه عنه الطبري في تفسيره ٢/٧٧ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١/١٣٢٧ .

(٦) ذكر الطبري في تفسيره ٢/٧٧ «أن هذه الأقوال قريب معنى بعضها من بعض ؛ لأن كل قائل منهم قولاً في ذلك فإنه أشار إلى نهي اتباع الشيطان في آثاره وأعماله» . وقال أبو حيان في البحر المحيط ١/٤٧٩ : «وهذه أقوال متقاربة» .

(٧) قرأ نافع وأبو عمرو وشعبة وحزة بإسكان الطاء ، وقرأ الباقر بضمها . انظر : السبعة ١٧٤ ، والنشر ٢/٢١٦ ، والبدور الزاهرة ٥٤ .

(٨) من كلام أبي علي في الحجة ٢/٢٦٧ .

(٩) الحجة ٢/٢٦٨ .

وأما من أسكن العين فإنهم نوا الضمة ، وأسكنوا الكلمة عنها ؛ لثقل الضمة ، وحذفوها من اللفظ وهم يقدرّون ثباتها ، ولا يجوز أن يكون جمع فعلة ، فتركوها في الجمع على ما كان عليه في الواحد ؛ لأن ذلك إنما يجيئ في ضرورة الشعر ، دون حال السعة والاختيار ، كما قال ذو الرُّمّة :

ورَفُضاتُ الهوى في المفازل^(١)

وإذا كان كذلك ، علمت أنهم أسكنوا تخفيفاً وهم يريدون الضمة ؛ لأن تحريك العين فصلٌ بين الاسم والصفة كما ذكرنا ، فلا بد من أن يكون التحريك الذي يختص بالأسماء دون الصفات منوياً هاهنا^(٢) .

ووجه آخر لمن سَكَن ، هو أنه أجرى الواو في خُطوة مجرى الياء في نحو : مُدِيّة وكُلِيّة وزُبِيّة ، فإنها تجمع بإسكان العين ، فيقولون : مُدِيّات وكُلِيّات . وذلك أنهم لو جمعوا بتحريك العين للزم انقلاب الياء واواً لانضمام ما قبلها ، فلما لزم الإسكان في الياء جعل من أسكن خطوات الواو بمنزلة الياء ، كما جعل الياء بمنزلة الواو^(٣) في قولهم : اتَّسَرُوا^(٤) ، ألا ترى أن التاء لا تكاد تبدل من الياء ، وإنما يكثر إبدالها من الواو ، وإنما أبدلوا في اتَّسَرُوا لإجراء الياء مجرى الواو^(٥) .

(١) تمام البيت :

أَبَتْ ذِكْرَ عَوْدَنْ أَحْشَاءَ قَلْبِهِ خَفَوْقاً وَرَفُضاتُ الهوى في المفازل

لذي الرمة يتغزل بخرقاء ، ويصف الإبل ، في ديوانه ٤١٧ .

(٢) من الحجة ٢/٢٦٨ بتصرف .

(٣) من قوله : «الياء كما . . . » ساقط من (ش) .

(٤) ضبطت في (ش) : (اتَّسَرُوا) .

(٥) من الحجة ٢/٢٦٩ بتصرف .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: قال المفسرون: «قد أبان عداوته لكم بإبائه السجود لآدم، وهو الذي أخرج من الجنة»^(١)، فعلى هذا (مبين): من أبان العداوة: إذا أظهرها. ويجوز أن يكون المبين بمعنى: الظاهر هاهنا؛ لأن (أبان) يتعدى، ولا يتعدى^(٢). ثم بين عداوة الشيطان فقال: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ﴾. الكلام في (إنما) نذكره في قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٣].

١٦٩. قوله تعالى: ﴿بِالسُّوءِ﴾: قال الليث: «يقال: ساء الشيء يسوء فهو سيئ، إذا قُبِحَ»^(٣)، والسوء: الاسم الجامع للآفات والداء.

وقال غيره: «يقال: ساءه يسوءه سوءاً ومساءةً، والسوء الاسم، بمنزلة الضر، وهو كل ما يسوء صاحبه في العاقبة»^(٤)، وذكرنا الكلام في (ساء) عند قوله: ﴿وَسَاءَ سَكِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]، والفصل بين السوء والسوء نذكره في سورة التوبة عند ذكر اختلاف القراء في قوله: ﴿دَائِرَةُ السُّوءِ﴾ [التوبة: ٩٨] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾: اسم على ما قُبِحَ من الفعل والقول، كالفاحشة^(٥).

(١) انظر: تفسير الثعلبي ١/١٣٢٨، والقرطبي ٢/١٩٢، ١٩٣.

(٢) تفسير الثعلبي ١/١٣٢٨، وانظر: اللسان (بين) ١/٤٠٦، والمفردات ٤٥، ٤٦، وزاد المسير ١/١٧٢.

(٣) نقله عنه في اللسان (سوءاً) ٤/٢١٣٨.

(٤) انظر: السوء في تفسير الطبري ٢/٧٧، والمفردات ٢٥٣، ٢٥٤، والمحرم الوجيز ٢/٦٢، وزاد المسير ١/١٧٢، واللسان (سوءاً) ١/٤/٢١٣٨، ٢١٣٩.

(٥) تفسير الثعلبي ١/١٣٢٩.

قال الليث : «الفحشاء : اسم الفاحشة ، وكل شيء تجاوز قَدْرَه فهو فاحش ، وكل أمر لا يكون موافقاً للحق فهو فاحشة وفحشاء . ويقال : فَحَّش الرجل يفحِّش صار فاحشاً ، وأفحَّش [قال] قولاً فاحشاً»^(١) .

قال عطاء عن ابن عباس : «السوء : عصيان الله ، والفحشاء : البخل»^(٢) ، وقال في رواية باذان : «السوء من الذنوب : ما لا حدَّ فيه في الدنيا ، والفحشاء : كل ما كان فيه حدٌّ»^(٣) .

﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ : من تحريم الحرث والأنعام^(٤) . قال ابن عباس : «يريد : المشركين وكفار أهل الكتاب»^(٥) .

١٧٠ . قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ : قال ابن عباس : «نزلت في اليهود ، وذلك حين دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، فقالوا : نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا خيراً وأعلم منّا»^(٦) . فعلى هذا ، الآية مُستأنفة ، والكناية في (لهم) عن غير مذكور .

(١) انظر : الفحش في تفسير الطبري ٧٧ / ٢ ، والمفردات ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، والمحزر الوجيز ٦٢ / ٢ ، والبحر المحيط ٤٧٧ / ١ .

(٢) ذكره في تفسير الثعلبي ١ / ١٣٣٠ عن عطاء عن ابن عباس في تفسير (الفحشاء) ، وقال : «البخل» ، ولم يذكر تفسير (السوء) ، وذكره بنحوه أبو حيان في البحر المحيط ١ / ٤٨٠ [عن عطاء] .

(٣) ذكره في تفسير الثعلبي ١ / ١٣٢٩ ، وفي البحر المحيط بنحوه ١ / ٤٨٠ .

(٤) تفسير الثعلبي ١ / ١٣٣٠ ، وتفسير الطبري ٧٧ / ٢ ، والبحر المحيط ١ / ٤٨٠ ، والدر المنثور ٣٠٦ / ١ .

(٥) لم أجده عند الثعلبي .

(٦) رواه الطبري في تفسيره ٧٨ / ٢ بسنده عن ابن عباس ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٨١ / ١ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ١ / ١٣٣١ ، وأبو حيان في البحر المحيط ١ / ٤٨٠ ، ونقله السيوطي في اللباب ٣١ ، ٣٢ . انظر : سيرة ابن هشام ٢ / ٢٠٠ .

وقال الضحاك عن ابن عباس : «نزلت في كفار قريش»^(١) ، والكناية تعود إلى (مَنْ) في قوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ﴾ [البقرة: ١٦٥]»^(٢) .

وقال آخرون : «نزلت في الذين حرّموا على أنفسهم من الحرث والأنعام»^(٣) ، والكناية ترجع إلى (الناس) في قوله : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٨] عدل عن المخاطبة إلى الغيبة»^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿أَوَلَوْ كَانَتْ آبَاءُؤُهُمْ﴾ إلى آخر الآية ، معناه : أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالاً ؟ فترك جواب (لو) لأنه معروف^(٥) ، والتقدير : أو لو كان آبائهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون يتبعونهم^(٦) ؟

والواو في (أَوَلَوْ) واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام المنقولة إلى معنى التوبيخ^(٧) ، وإنما جعل ألف الاستفهام للتوبيخ ؛ لأنه يقتضي ما الإقرار به فضيحة كما يقتضي الاستفهام الإخبار عن المستفهم عنه . وفي هذا حجة عليهم ، كأنه قيل : إذا جاز لكم أن تتبعوا آباءكم في ما لا تدرون أعلى حقّ هم فيه أم باطل فأنتم كمن قال : نتبعهم وإن كانوا على باطل ، وهذا غاية الفضيحة^(٨) .

(١) تفسير الثعلبي ١/ ١٣٣٧ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢/ ٧٨ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٣٣٢ ، والبحر المحيط ١/ ٤٨٠ .

(٣) تفسير الثعلبي ١/ ١٣٣٢ ، وتفسير البغوي ١/ ١٨١ .

(٤) انظر : الطبري في تفسيره ٢/ ٧٨ ، والثعلبي في تفسيره ١/ ١٣٣٢ ، ورجّح هذا الطبري والثعلبي ، وقال : «لأن هذه القصة عقيب قوله : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ ، فهي أولى أن تكون خبراً عنهم من أن تكون خبراً عن المتخذين للأنداد مع ما بينهما من الآيات وطول الكلام» .

(٥) تفسير الثعلبي ١/ ١٣٣٣ .

(٦) انظر : التبيان ١٠٩ .

(٧) انظر : التبيان ١٠٩ ، والبحر المحيط ١/ ٤٨٠ ، وذكر القول الآخر وهو أن الواو للحال .

(٨) البحر المحيط ١/ ٤٨١ .

والآية تضمنت النهي عن التقليد ؛ لأن الله تعالى أنكر عليهم متابعة آبائهم ، وأمر بمتابعة العقل والهدى ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ : لفظه عام ومعناه الخصوص ؛ لأنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا ، ومعناه : لا يعقلون شيئاً من أمر الدين ^(٢) .

قال عطاء عن ابن عباس : « لا يعقلون عظمة الله ، ولا يهتدون إلى دينه » ^(٣) .

١٧١ . قوله تعالى : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ الآية : قال أهل اللغة (الفرّاء وغيره) : «النعيق : دعاء الراعي الشاة ، يقال : انعق بضأنك ، أي : ادعها ، وقد نعق نعقاً ونعقاً ونعقناً ونُعاقاً ، إذا صاح بالغنم زجراً» . قال الأخطل :

فانعق بضأنك يا جرير فإنما مَنَّكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلالاً ^{(٤)(٥)}

وللعلماء من أهل التأويل في هذه الآية طريقتان :

أحدهما : تصحيح المعنى بإضمار في الآية .

والثاني : إجراء الآية على ظاهرها من غير إضمار ^(٦) .

(١) انظر : تفسير القرطبي ٢/ ١٩٤ ، والبحر المحيط ١/ ٤٨٠ .

(٢) تفسير الثعلبي ١/ ١٣٣٤ .

(٣) تقدم الحديث عن هذا الحديث بهذه الرواية .

(٤) البيت في ديوان الأخطل ٣٩٢ ، وتفسير الطبري ٢/ ٨٣ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٣٣٦ ، وخزانة الأدب ١١/ ١٣٣ ، وطبقات فحول الشعراء ٢/ ٤٩٧ ، ومجاز القرآن ١/ ٦٤ ، ووضح البرهان في مشكلات القرآن ١/ ١٨٣ .

(٥) انظر : معنى (نعق) في تفسير الطبري ٢/ ٨٣ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٦١٣ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٣٣٥ ، والمفردات ٥٠١ ، واللسان ٧/ ٤٤٧٦ .

(٦) انظر : معنى الآية في تفسير الطبري ٢/ ٧٩ ، والمحزر الوجيز ١/ ٦٣-٦٥ ، وتفسير القرطبي ٢/ ١٩٧ ، والبحر المحيط ١/ ٤٨١ .

فَأَمَّا الَّذِينَ أَضْمَرُوا فَقَدْ اختلفوا ، فقال الأخفش ^(١) والزجاج ^(٢) وابن قتيبة ^(٣) : «تقدير الآية : ومثلك يا محمد ، ومثل الذين كفروا في وعظهم ودعائهم إلى الله عز وجل ، فَحَذَفَ أَحَدَ الْمُثْلِينَ اِكْتِفَاءً بِالثَّانِي ، كقوله : ﴿سَرِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل : ٨١] ، وعلى هذا التقدير : شبه الكفار بالبهايم ، وشبه داعيهم بالذي يصيح بها ، وهي لا تعقل شيئاً» .

وقال الفراء ^(٤) في هذه الآية قولين :

أحدهما : إن تقدير الآية : ومثل واعظ الذين كفروا كمثل الذي ينطق بالغنم ، فحذف كما قال : ﴿وَسَّكِلَ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف : ٨٢] ؛ أي أهلها ^(٥) .

القول الثاني : إن معنى الآية : ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله - عز وجل - وعن رسوله كمثل المنعوق به من البهايم التي لا تفقه من الأمر والنهي غير الصوت ، فيكون المعنى للمنعوق به ^(٦) ، والكلام خارج على الناق ، وهو جائز عند العرب ، يقبلون الكلام لاتصاح المعنى عندهم ، فيقولون : اعرض الحوض على الناقة ، وإنما هو : اعرض الناقة على الحوض ، وأنشد :

كانت فريضةً ما تقولُ كما كانَ الزنأُ فريضةً الرجم ^(٧)

(١) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٣٣٤ ، ولم أجده في معاني القرآن للأخفش .

(٢) معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٤٢ .

(٣) تأويل مشكل القرآن ١٩٩ ، وتفسير غريب القرآن ٦٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء بمعناه ، وقال بعد ذكر القولين : و«كل صواب» .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١/ ٨١ ، والبحر المحيط ١/ ٤٨٢ ، وهذا اختيار الطبري .

(٦) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٦٣ ، وتفسير الطبري ٢/ ٨١ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٢٤٦ ، والبحر المحيط ١/ ٤٨٢ .

(٧) البيت للناطقة الجعدي في ديوانه ٣٥ ، ولسان العرب (زني) ٣/ ١٨٧٥ ، وورد غير منسوب في معاني القرآن للفراء ، ومجاز القرآن ١/ ٣٧٨ ، وتفسير الطبري ٢/ ٨١ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٣٣٧ .

أراد : كما كان الرجم فريضة الزنا . وعلى هذا مُجمل قوله تعالى : ﴿مَا إِنَّ مَقَاتِحَهُ، لَنُتَوَّ بِأَلْعَصْبَةِ﴾ [القصص : ٧٦] المعنى : إِنَّ الْعُصْبَةَ تنوء بالمفتاح^(١) . واعترض ابن قتيبة على هذا القول بأن قال : «لا يجوز لأحد أن يحكم بهذا على كتاب الله ؛ لأن الشاعر يقلب اللفظ ويزيل الكلام عن الغلط ، على^(٢) طريق الضرورة للقافية ، أو لاستقامة الوزن ، والله تعالى لا يغلط ولا يُضطر . هذا كلامه»^(٣) .

وقول الفرّاء صحيح وإن أنكره ابن قتيبة ، موافق لمذاهب العرب في فنون مخاطباتها ؛ فإنهم يفعلون الشيء للضرورة ، ثم يصير وجهاً ومذهباً لهم في الكلام حتى يميزوه وإن لم تدع إليه ضرورة . وعلى هذا الطريق أراد بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً : البهائم التي لا تعقل ولا تفهم ما يقول الراعي ، إنما تسمع صوتاً ولا تدري ما تحته ، لو قال لها : كلي واشربي لم تقف على معنى قوله ، فالذين كفروا يسمعون كلام النبي ﷺ وهم كالغنم ؛ إذ كانوا لا يستعملون ما يأمرهم به ، ولا ينتهون عما نهاهم عنه . وهذا قول ابن عباس^(٤) وعكرمة ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع^(٥) والسُّدي^(٦) .

والطريق الثاني في الآية هو أن معناها : ومثل الكفار في قلة فهمهم وعقلهم ، كمثّل الرعاة يكلمون البهم والبهم لا تعقل عنهم ، وعلى هذا التفسير لا تحتاج الآية إلى إضمار^(٧) .

(١) معاني القرآن للفرّاء ١/ ٩٩ ، ١٠٠ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ .

(٢) في (أ) و(م) : (على الغلط وعلى طريق) .

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٠٠ ، والبحر المحيط ١/ ٤٨٢ ، وقال : «وينبغي أن ينزه القرآن عنه ؛ لأن الصحيح أن القلب لا يكون إلا في الشعر ، أو إن جاء في الكلام فهو من القلة بحيث لا يقاس عليه» .

(٤) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٠ ، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨٢ .

(٥) رواه عن عكرمة ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع : الطبري ٢/ ٧٩ ، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٣٤ .

(٦) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٠ ، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨٢ .

(٧) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٣٣٨ ، والوسيط للواحدي ١/ ٢٥٥ ، والرازي ٥/ ٨ ، والقرطبي

وقال عبدالرحمن بن زيد : «معنى الآية : ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام وعبادتهم الأوثان ، كمثل الرجل الذي يصيح في جوف الجبال ، فيجيبه منها صوت يقال له : الصدى ، يجيبه ولا ينفعه^(١) ، وتقدير الآية على هذا القول : ومثلهم في عبادتهم الأصنام كمثل الناقع بشيء لا يسمع منه الناقع إلا دعاءه ونداءه ؛ لأن الصدى هو صوته عاد إليه ، وذلك أنه إذا قال : يا زيد ، سمع من الصدى يا زيد ، وليس وراء القول شيء ، إلا أن يخيل إليه أن مجيباً يجيبه ، فيقول : يا زيد ، وليس فيه فائدة . فكذلك يخيل إلى هؤلاء المشركين أن دعاءهم للأصنام يستجاب ، وليس لذلك^(٢) حقيقة ولا فيه فائدة ، والسمع على هذا في قوله : (لا يسمع) منفي عن الناقع لا عن المنعوق به»^(٣) .

قال ابن الأنباري : «ويجوز على هذا القول أيضاً : أن يكون السمع منفيًا عن المنعوق به ، فيكون المعنى : كمثل الذي ينطق بما لا يسمع ألبته^(٤) . والدعاء والنداء ينتصبان بـ (ينطق) ، و(إلا) تؤكد هاهنا ، معناها السقوط ، كقول الفرزدق :

هُمُ الْقَوْمُ إِلَّا حَيْثُ سَلَّوْا سِوْفَهُمْ وَصَحَّوْا بِلَحْمٍ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحَرَّمٍ^(٥)

معناه : هم القوم حيث سلَّوا سيوفهم^(٦) انتهى كلامه .

والتقدير الأوَّل في هذا المعنى أولى مما ذكره أبو بكر ؛ لأن السمع إذا كان منفيًا عن المنعوق به لم يكن للجبل اختصاص بالنعيق به ؛ لأن غير الجبل من القفار

١٩٨ ، ١٩٧/٢ .

(١) رواه عنه الطبري ٨٢/٢ .

(٢) في (م) : (مستجاب ، وليس كذلك) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٨١/٢ ، والثعلبي ٣٣٩/١ ، والسمعاني ١٢٨/٢ ، والبغوي ١٨١/١ ، والرازي ٩/٥ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٨١/٢ .

(٥) البيت للفرزدق في ديوانه ٢٠٠ .

(٦) من قوله : «معناه هم» ساقط من (ش) .

والرمال والأشجار لا يسمع ألبتة أيضاً ، وفي نفي السمع عن الناقع للجبل اختصاص ؛ لأن الصدى إنما يجيب من الجبل ، فلهذا كان نفي السمع عن الناقع في هذا القول أولى من نفيه عن المنعوق به ، ولأنه ألغى (إلا) ، وهو شاذ قليل في الاستعمال ، ومهما أمكن استعمال حرف في معنى فإنه أولى من إلغائه^(١) . وجمهور أهل التأويل على ما ذكرنا أولاً ؛ لأن المشهور في كلام العرب أن النعيق صوت الراعي بالغنم ، فإن حمل على غيره من الأصوات لم يكن حقيقة فيه .

١٧٢ . وقوله تعالى : ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ : قال المفسرون : «هذا أمرٌ بإباحة لا نذب ، ولا إيجاب»^(٢) ، وأراد بالطيبات : الحلالات من الحرث والنعم وما حرّمه المشركون على أنفسهم منها^(٣) ، وذكرنا لم سُمّي الحلال طيباً .

وقوله تعالى : ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ : أراد إن كانت العبادة لله واجبة عليكم بأنه إلهكم ، فالشكر له واجب بأنه محسن إليكم ، فمعنى الشرط هاهنا المظاهرة في الحجاج^(٤) .

١٧٣ . ثم بين أن المحرّم ما هو^(٥) ، فقال عز من قائل : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ الآية . ﴿إِنَّمَا﴾ تكون على وجهين^(٦) :

-
- (١) انظر : التبيان للعكبري ١٠٩ .
 (٢) انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٥١ / ١ ، وتفسير القرطبي ١٩٨ / ٢ .
 (٣) انظر : تفسير الطبري ٨٣ / ٢ ، والثعلبي ١٣٤٠ / ١ .
 (٤) انظر : تفسير الطبري ٨٣ / ٢ .
 (٥) سقطت : (هو) في (ش) .
 (٦) انظر : (إنما) وإعرابها في تفسير الطبري ٨٤ / ٢ ، والكتاب لسيبويه ١٣٨ / ٢ ، ١١٦ - ١٣١ ، والتبيان ١ / ١٤٠ ، ١٤١ .

أحدهما : أن تكون حرفاً واحداً ، وما بعده من الأفعال يكون عاملاً في الأسماء على حسب عمله ، فتقول : «إنما دخلت دارك» ، و «إنما أعجبتني دارك» ، و «إنما مالي مأك» .

والوجه الآخر : أن تكون حرفين : ما منفصلة عن إن ، وتكون بمعنى الذي ^(١) ، وإذا ^(٢) كان كذلك وصلت بها بما توصل به (الذي) ، ثم ترفع الاسم الذي يأتي بعد الصلة ، كقولك : «إنَّ ما أخذت مأك» ، و «إنَّ ما ركبْتُ دابَّتكَ» ، وفي التنزيل كثيراً ما أتى على الوجهين ، كقوله ^(٣) : ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [النساء : ١٧١] ، و ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ [هود : ١٢] ، فهذه حرف واحد ؛ لأن (الذي) لا يصلح في موضع (ما) . وأمَّا التي ^(٤) في مذهب (الذي) فقوله : ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرِ طه : ٦٩﴾ ، ولو نصب كيدَ ساحر على أن تجعل (إنما) حرفاً واحداً كان صواباً . وفي قوله تعالى : ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ [العنكبوت : ٢٥] تنصب المودة وترفع على ما ذكرنا من الوجهين ، هذا كله قول الفراء ^(٥) .

وقال الزَّجَّاج : ﴿إِنَّمَا﴾ إذا جعلته كلمةً واحدةً كان إثباتاً لما يذكر بعده ونفياً لما سواه ، فقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ معناه : ما حرم عليكم إلا ما ذكر ، كقول الشاعر :

يدافعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي ^(٦)

(١) في (ش) : (الذين) .

(٢) في (م) : (وإن) .

(٣) في (م) : (زيادة إنما الله إله) .

(٤) في (م) : (الذي) .

(٥) معاني القرآن للفراء ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٢٢٩ / ١ .

(٦) مطلع البيت :

أنا الذائدُ الحامي الذمارَ وإنما

والبيت للفرزدق في ديوانه ٧١٢ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ، ومعاهد التنصيص ٨٩ / ١ .

المعنى : ما يدافع عن أحسابهم إلا أنا أو مثلي ، وإنما صارت كلمة (إنما) إثباتاً للشيء ونفيًا لما سواه ؛ لأن كلمة (إنَّ) للتوكيد في الإثبات ، و(ما) تكون نفيًا . وإذا قال ^(١) القائل : «إني بشرٌ» ، فالمعنى : أنا بشرٌ على الحقيقة ، وإذا قال : «إنما أنا بشرٌ» ، كان المعنى : ما أنا إلا بشرٌ ^(٢) .

والميتة : ما فارقت الروح من غير ذكاة مما يُذبح ^(٣) .

وتحريم الميتة مخصوص بالسنة لقوله ﷺ : «أَحَلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ» ^(٤) ، وكذلك الدم يخصه قوله تعالى : ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥] ، فقيّد هناك ، وأُطلق هاهنا ، والمطلق يُحمّل على المُقيّد ^(٥) . قوله ﷺ : «وَدَمَانِ» وكانت العرب تجعل الدّم في المباعر ، وتشويها ثم تأكلها ^(٦) ، فحرّم الله تعالى الدم .

(١) في (م) : (وإذا كان قال) .

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٣٤٣ ، وأحكام القرآن للجصاص ١/ ١٣٢ ، وأحكام القرآن لابن العربي ١/ ٥٢ ، وتفسير القرطبي ٢/ ٢٠٣ ، ٢٠٤ . تعريف المؤلف رحمه الله - ناقص ؛ فإنه لم يدخل فيه أيضاً ما ذُبح بطريقة غير شرعية . قال الجصاص ١/ ١٣٢ : «الميتة في الشرع : اسم حيوان الميت غير المذكي ، وقد يكون ميتة بأن يموت حتف أنفه من غير سبب لأدمي فيه ، وقد يكون ميتة لسبب فعل أدمي إذا لم يكن فعله على وجه الذكاة المبيحة له» .

(٤) أخرجه ابن ماجه ٣٢١٨ ، كتاب : الصيد ، باب : صيد الحيتان والجراد ، وأحمد في المسند ٢/ ٩٧ ، وعبد بن حميد في المنتخب من مسنده ٢٦٠ ، والعقيلي في الضعفاء الكبير ٢/ ٣٣١ ، والدارقطني في سننه ٤/ ٢٧٢ ، وابن عدي في الكامل ٤/ ٢٧١ ، والبيهقي في سننه ١/ ٢٥٤ ؛ كلهم من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه عن ابن عمر مرفوعاً ، وأخرجه ابن عدي في الكامل ١/ ٣٩٧ ، = من طريق عبد الرحمن وأسامه وعبد الله بن زيد بن أسلم ، وبنو زيد متكلم فيهم . وقد صحّ الحديث موقوفاً أبو زرعة في علل الحديث ٢١٧١ ، والبيهقي وهو موقوف له حكم الرفع . انظر : حاشية أبي الطيب على سنن الدارقطني ٤/ ٢٧٢ ، والسلسلة الصحيحة ٣/ ١١١ ، وتحقيق تفسير الثعلبي لخالد العنزي ١/ ١٣٤٦ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٨/ ٧١ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٣٤٣ ، وأحكام القرآن للكلبي الهراسي ١/ ٧١ ،

٧٢ ، وأحكام القرآن لابن العربي ١/ ٥٢ ، وتفسير القرطبي ٢/ ١٩٩ .

(٦) في (م) : (وتأكلها) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَحِمَ الْخِنْزِيرِ﴾ : أراد الخنزيرَ بجميع أجزائه ، وخص اللحم ؛ لأنه المقصود بالأكل^(١) ، ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ إِلَّا عَمَلٌ كَبِيرٌ﴾ : أبو عبيد : قال الأصمعي : الإهلال أصله : رفع الصوت ، وكل رافع صوته فهو مُهْلٌ . قال ابن أحر^(٢) :

يُهْلُ^(٣) بِالْفَرْقَدِ رُكْبَانُهَا كَمَا يَهْلُ الرَّاكِبُ الْمُغْتَمِرُ^(٤)

هذا معنى الإهلال في اللغة ، ثم قيل للمُحَرَّمِ مُهْلٌ ؛ لرفعه الصوت بالتلبية . يقال : «أَهْلَ فلانٌ بِحَجَّةٍ أو عُمْرَةٍ» ؛ أي أَحَرَمَ بها ؛ لأنه يرفع الصوت بالتلبية عند الإحرام . والذابح مُهْلٌ ؛ وذلك أنه كان يسمى الأوثان عند الذبح ، ويرفع صوته بذكرها^(٥) .

فمعنى قوله : ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ إِلَّا عَمَلٌ كَبِيرٌ﴾ : قال ابن عباس : «يعني : ما ذبح للأصنام»^(٦) ، وهو قول مجاهد^(٧) والضحاك^(٨) وقتادة^(٩) .

(١) وقد حكى الإجماع على هذا ، ومن حكاه : السمرقندي ١/ ١٧٧ ، وابن حزم في المحلى ٧/ ٣٩١ ، وابن رشد في بداية المجتهد ١/ ٤٥٢ ، وابن عطية ٢/ ٦٩ ، والرازي ٥/ ٢٢ ، والقرطبي ٢/ ٢٠٥ ، والشوكاني في فتح القدير ١/ ٢٦٢ .

(٢) هو عمرو بن أحر بن عمرو بن تميم بن ربيعة الباهلي ، أبو الخطاب ، أدرك الإسلام فأسلم ، وغزا مغازي الروم ، وأصبحت إحدى عينيه هناك ، ونزل الشام ، وتوفي على عهد عثمان ، وهو صحيح الكلام ، كثير الغرائب . انظر : طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٧١ ، ٥٨٠ ، والشعر والشعراء ٢٢٣ .

(٣) في (م) : (هل) .

(٤) البيت في ديوانه ٦٦ ، ومجاز القرآن ١/ ١٥٠ ، وغريب الحديث لأبي عبيد ١/ ١٧٣ ، وتفسير السمعاني ٢/ ١٣٠ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٣٤٦ ، ولسان العرب ٣/ ١٥٩٥ ، ١٧١٤ ، ٥/ ٣١٠٢ .

(٥) انظر : الإهلال في تفسير الطبري ٢/ ٨٥ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٣٤٥ ، والمفردات ٥٢٢ ، واللسان ٨/ ٤٦٨٩ .

(٦) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٥ .

(٧) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٥ .

(٨) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٥ .

(٩) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٥ .

وقال الربيع^(١) وابن زيد^(٢): «يعني: ما ذكر عليه غير اسم الله عز وجل».

قال الكلبي^(٣): «وإن ذبحه مسلم لم يحل أكله»، وقال أهل العلم: «لو أن مسلماً ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتداً، وذبيحته ذبيحة مرتد»^(٤). وهذا الحكم في غير ذبائح أهل الكتاب، وذبائحهم تحل لنا لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا حَلْلٌ لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [المائدة: ٥]^(٥).

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾؛ أي أُخْرِجَ وَأُلْجِئَ، وهو أَفْتَعَلَ من الضرورة. قال الأزهري: «معناه: ضُيِّقَ عليه الأمر بالجوع، وأصله: من الضرر وهو الضيق»^(٦).

وُقِرَّ برفع النون وكسرها في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾^(٧)؛ فَمَنْ رفع فلإتباع، ومن كسر فعلى أصل الحركة؛ لالتقاء الساكنين^(٨). وفي الآية إضمار

(١) رواه عنه الطبري ٨٥ / ٢.

(٢) رواه عنه الطبري ٨٦ / ٢. وقد حكى الإجماع الواحد في الوسيط ٢٥٧ / ١ على أن ما أهل به لغير الله يشمل ما ذبح للأصنام، وذكر عليه غير اسم الله، وحكاه الجصاص في أحكام القرآن ١٥٤ / ١. انظر: تفسير الطبري ٨٦ / ٢، ٧١ / ٨، والنكت والعيون للماوردي، ومعالن التنزيل ١٨٣ / ١، وفتح القدير ٢٦٢ / ١، وروح المعاني ٤٢ / ٢.

(٣) لم أجده.

(٤) انظر: إعلام الموقعين ٤ / ٤٠٤، والمغني ١٢ / ٢٧٦، والقول المفيد شرح كتاب التوحيد ١ / ٢١٤.

(٥) انظر: تفسير الثعلبي ١ / ١٣٤٨، وتفسير القرطبي ٢ / ٢٠٨-٢١٤.

(٦) انظر: تفسير الثعلبي ١ / ١٣٥٠، والمفردات ٢٩٦، ٢٩٧، والبحر المحيط ١ / ٤٩٠، والقاموس ٤٢٨.

(٧) قرأ أبو عمرو ويعقوب وعاصم وحمة بكسر النون وضم الطاء، وقرأ أبو جعفر بضم النون وكسر الطاء، وقرأ الباقر بضمها معاً. انظر: النشر ٢ / ٢٢٥، والبدور الزاهرة ٥٤.

(٨) انظر: تفسير الثعلبي ١ / ١٣٥٠، والتبيان ١١٠، والبحر المحيط ١ / ٤٩٠.

معناه : فمن اضطر إلى شيء مما ذكرنا أنه محرّم ، ويدخل تحت قوله : ﴿أَضْطَرَّ﴾ أن يحوج إليه لبؤس ، أو يضطر^(١) أو يُكره عليه لخوف ، والإكراه مذهب مجاهد^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ يصلح أن يكون ﴿غَيْرَ﴾ حالاً للمضطر ، ولا يصلح أن يكون استثناءً ؛ لأن ﴿غَيْرَ﴾ هاهنا بمعنى النفي ؛ ولذلك عُطف عليها بـ (لا) ؛ لأنها في معنى (لا)^(٣) .

قال الفرّاء : «﴿غَيْرَ﴾ في هذا الموضع حال للمضطر ، كأنك قلت : فمن اضطر لا باغياً ولا عادياً فهو له حلال»^(٤) .

وقوله : ﴿بَاغٍ﴾ : أصل البغي في اللغة : الفساد وتجاوز الحد . قال الليث : «البغي في عدو الفرس : اختيال ومرح ، وإنه ليبغي في عدوه» . ولا يقال : فرس باغ ، والبغي : الظلم والخروج عن النّصفه ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ [الشورى : ٣٩] .

الأصمعي : «يقال : بغى الجرح يبغي بغياً : إذا ترامي بالفساد ، وبغت السماء : إذا كثرت مطرها حتى تجاوز الحد» .

الفرّاء : «يقال للجرح إذا تورّم واشتد : بغى يبغي بغياً ، وبغى الجرح والبحر والحساب سواء : إذا طغى وزاد»^(٥) .

(١) ليست في : (أ) و(ش) .

(٢) رواه عنه الطبري ٨٦/٢ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٨٦/٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢٣٠/١ ، وتفسير الثعلبي ١٣٥٠/١ ، والتبيان ١١٠ . قال الثعلبي : «وإذا رأيت (غير) تصلح في موضعها (لا) ، فهي : حال ، وإذا صلح في موضعها (إلا) ، فهي : استثناء ، فقس على هذا ما ورد عليك من هذا الباب» .

(٤) معاني القرآن للفرّاء ١٠٢/١ ، ١٠٣ .

(٥) انظر : معاني (البغي) في معاني القرآن للزّجاج ٢٤٤/١ ، وتفسير الثعلبي ١٣٥١/١ ، والمفردات ٦٦، ٦٥ ، والبحر المحيط ١/٤٩٠ .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا عَادٍ﴾ : العدو : هو التعدي وتجاوز ما ينبغي له أن يقتصر عليه . يقال : عدا عليه عَدُوًّا وَعُدُوًّا وَعُدُوًّا وَعُدُوًّا وَعُدُوًّا واعتداءً وتعدياً : ظلمه ظلماً مجاوزاً للقدر ، وعدا طوره : جاوز قدره ^(١) . ولأهل التأويل في قوله تعالى : ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ طريقان ^(٢) :

أحدهما : وهو قول ابن عباس في رواية عطاء : «غير باغ على المسلمين ، ولا عادٍ عليهم» ^(٣) ، وهذا قول مجاهد ^(٤) ، وسعيد بن جبَر ^(٥) ، والضحاك ^(٦) ، والكلبي ^(٧) ، قالوا : «غير قاطع للطريق ، ولا مفارق للأئمة ، مُشَاقٌّ للأمة» . وعلى هذا التأويل فكل مَنْ عصى بسفره لم يحل له أكل الميتة عند الضرورة ؛ لأنه

-
- (١) انظر : التعدي في تفسير الثعلبي ١/ ١٣٥١ ، والمفردات ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، والبحر المحيط ١/ ٤٩٠ .
(٢) انظر : تفسير الطبري ٢/ ٨٦ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٣٥١ ، وتفسير البغوي ١/ ١٨٣ ، والمحزر الوجيز ٢/ ٧٢ ، ٧٣ ، وتفسير القرطبي ٢/ ٢١٤ ، والبحر المحيط ١/ ٤٩٠ ، ٤٩١ .
(٣) تقدم الحديث عن هذه الرواية ٩٢ .
(٤) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٦ ، ٨٧ ، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨٣ .
(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٦ ، ٨٧ ، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨٤ .
(٦) ذكره الثعلبي ١/ ١٣٥١ .
(٧) ذكره الثعلبي ١/ ١٣٥١ .

باغٍ عادٍ ، وهو مذهب الشافعي^(١) رحمه الله ، قال : «إن الإباحة إعانة له على فسادِه وظلْمه ، ولكن يتوب ويستبِيح»^(٢) .

الثاني : إن هذا البغي والعدوان يرجعان إلى الأكل ، ومعناه : غير آكلها تلذُّذاً من غير اضطرار ، ﴿وَلَا عَادٍ﴾ ولا مجاوز ما يدفع به عن نفسه الجوع ، وهذا قول السُّدي^(٣) .

وقال الحسن^(٤) ، وقتادة^(٥) ، والربيع^(٦) ، وابن زيد^(٧) : «(غير باغ) بأكله من غير اضطرار ، ولا (عاد) يتعدى الحلال إلى الحرام ، فيأكلها وهو غني عنها» . وعلى

(١) انظر : أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٥٨ ، وتفسير القرطبي ٢/ ٢١٤ ، والمغني ١٣/ ٣٣٣ ، وقال الكيا الهراسي في أحكام القرآن ١/ ٧٤ : «اختلف قول الشافعي في إباحة أكل الميتة للمضطر العاصي بسفره ، ويشهد لأحد القولين قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُ إِلَيْهِ﴾ ، فإنه عام ، ويشهد للقول الآخر قوله : ولا تقتلوا أنفسكم ، وليس أكل الميتة عند الضرورة رخصة ، بل هو عزيمة واجبة ، ولو امتنع من أكل الميتة كان عاصياً ، وليس تناول الميتة من رخص السفر ، أو متعلقاً بالسفر ، بل هو من نتائج الضرورة سفرأ كان أو حضراً ، وهو كالإفطار للعاصي المقيم إذا كان مريضاً ، وكالتيمم للعاصي المسافر عند عدم الماء ، وهو الصحيح عندنا» . اهـ . قال القرطبي في تفسيره ٢/ ٢١٤ مُعَقِّباً على قول ابن العربي : «وعجباً ممن يبيح له ذلك مع التهادي على المعصية ، وما أظن أحداً يقوله ، فإن قاله فهو مخطئ قطعاً ، قلت : الصحيح خلاف هذا ؛ فإن إتلاف المرء نفسه في سفر المعصية أشد معصية مما هو فيه ، قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ، وهذا عام ، ولعله يتوب في ثاني حال فتمحو التوبة عنه ما كان» ، وقد قال مسروق : «من اضطر إلى أكل الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل حتى مات دخل النار ، إلا أن يعفو الله عنه» .

(٢) الأم ٢/ ٢٢٦ ، وانظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٣٥٢ .

(٣) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢/ ٨٨ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٨٤ ، ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٤) رواه عنه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٦٥ ، والطبري في تفسيره ٢/ ٨٧ .

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٧ ، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨٥ .

(٦) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٧ ، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٣ .

(٧) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٧ ، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٣ .

طريقة هؤلاء يُباح للعاصي بسفره تناول الميتة عند الضرورة ، وهو مذهب أهل العراق^(١) .

والتأويل الأول أولى من حيث اللفظ والمعنى .

أمّا اللفظ فرجوع البغي والعدوان إلى حال المضطر أولى من رجوعهما إلى أكله ، وهو المفهوم من اللفظ ؛ لأنه لم يسبق للأكل ذكر حتى يكون البغي والعدوان صفةً له ، راجعاً إليه ، ومثله من الكلام أن يقال : «قد حرّم الأمير ركوب الخيل ، ولبس السلاح ، فمن أُحوج^(٢) غير فارٍّ ولا ذاهب فلا حرج عليه» ، فالذي يسبق إلى الوهم من هذا ، ويليق باللفظ أن معناه : غير فارٍّ بنفسه ولا ذاهب ، وأن الفرار والذهاب يعود إلى نفس المضطر ، لا إلى شيء سواه . ووزان التأويل الثاني من هذا الكلام أن يكون المعنى : غير فارٍّ بسلاحه ، ولا ذاهب به .

وأمّا من حيث المعنى فإن نفس المؤمن تعاف الميتة والدم ، وتستقذرهما^(٣) استقذاراً يمنع من أكلهما ؛ ولهذا لا يقام الحد على أكلهما ؛ لأنه لم يحتج في الزجر عنهما إلى الحد ، لا كالخمر فإن لها دواعي من النفس ، وإذا كان كذلك فليس يتجاوز أحدٌ في أكل الميتة قدر التشبع عند الضرورة ، ولا يتعدى الحلال الذي معه ، فيأكلها تلذذاً من غير أن يردّ بهذا نهي ، وإن جاز ورود النهي تأكيداً ؛ فلهذين الوجهين قلنا إن التأويل الأول أولى .

(١) يعني به الحنفية . انظر : أحكام القرآن للجصاص ١/١٥٦ ، وقد ناقش هذه القضية بتوسع وأجاب عن أدلة المانعين . انظر أيضاً : أحكام القرآن للتهانوي ١/١٢٠ .

(٢) في (ش) : (أخرج) .

(٣) في (ش) : (تعاف وتستقذرهما) .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾؛ أي للمعاصي، وفيه إشارة إلى أنه إذا كان يغفر المعصية فإنه لا يأخذ بها جعل فيه الرخصة. ﴿رَجِيمٌ﴾: حيث رَخَّصَ للمضطر في أكل الميتة^(١).

١٧٤. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ أَلْكِتَابٍ﴾ الآية. قال ابن عباس: «نزلت في رؤساء اليهود»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ﴾: يجوز أن تعود الكناية إلى الكتان، والفعل يدل على المصدر، ويحتمل أن تعود الكناية إلى ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، ويجوز أن تعود إلى المكتوم مما أنزل الله^(٣). ومعنى قوله: ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ كقوله: ﴿شْتَرَوْا بِآبَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١]. وقد مرَّ.

وقوله: ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾: ذَكَرَ البطن هاهنا زيادةً بيان؛ لأنه يقال: «أَكَلَ فلانُ المالَ» إذا بَذَرَهُ وَأَفْسَدَهُ^(٤).

(١) تفسير الثعلبي ١/ ١٣٥٥.

(٢) ذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٦، والواحدي بأطول من هذا في أسباب النزول ٥٢، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ونقله عنه ابن حجر في العجائب ١/ ٤١٩، والسيوطي في لباب النقول ٣٠، وفي الدر المنثور ١/ ٣٠٩، وَضَعَفَ إِسْنَادَهُ، ورواه الطبري ٢/ ٨٩، وعبد بن حميد عن قتادة، ورواه الطبري ٢/ ٨٩، وهو في تفسير سنيد بن داود - ذكره الحافظ في العجائب - عن عطاء، ورواه الطبري ٢/ ٨٩، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨٥ عن السُّدِّيِّ وأبي العالية والربيع بن أنس، وذكره أبو حيان في البحر المحيط ١/ ٤٩١ من وجه آخر عن ابن عباس، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٥ من رواية جوير عن الضحاك، وَضَعَفَ السِّيَوطِيُّ في الدر المنثور ١/ ٣٠٩. والآية وإن كانت في أحبار اليهود فإنها تتناول من علماء المسلمين مَنْ كَتَمَ الْحَقَّ مَخْتَارًا لَذَلِكَ، بسبب دنيا يصيبها. انظر: المحرر الوجيز ٢/ ٧٣.

(٣) انظر: تفسير الثعلبي ١/ ١٣٥٦، والمحرر الوجيز ٢/ ٧٤، وذكرها في البحر المحيط ١/ ٤٩١، واستظهر الثاني.

(٤) انظر: تفسير الثعلبي ١/ ١٣٥٧، والبحر المحيط ١/ ٤٩١. قال: «أو كناية عن ملء البطن؛ لأنه يقال: فلان أكل في بطنه، وفلان أكل في بعض بطنه، أو لرفع توهم المجاز إذ يقال: أكل فلان ماله إذا بذره وإن لم يأكله».

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا النَّارَ﴾؛ أي إلا ما هو عاقبته النار، كما روي في حديث الشارب من آنية الفضة: «إنما يجر جر في بطنه نار جهنم»^(١)، وكقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]، وقوله: ﴿إِنِّي أَرِنِّي أَخَصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]؛ أي عنباً، فسماه باسم ما يؤول إليه^(٢).

وقوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: قال المفسرون: «أي: لا يكلمهم كلاماً ينفعهم ويسرهم، فأما التهديد والمناقشة فقد تكون».

وقيل: «معناه أنه يغضب عليهم؛ لأن ترك التكليم علامة الغضب».

وقيل: «لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية»^(٣).

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: لا يطهرهم من دنس ذنوبهم، ولا يثني^(٤) عليهم^(٥).

١٧٥. قوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾: معنى الفاء هاهنا: الجواب لما تقدم؛ وذلك أن ما قبله من الكلام هو قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾، ثم قال: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ﴾

(١) أخرجه البخاري ٥٦٤٣، كتاب: الأشربة، باب: آنية الفضة، ومسلم ٢٠٦٥، كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال أواني الذهب. وقوله «يجر جر» يعني به صوت وقوع الماء في الجوف، وإنما يكون ذلك عند شدة الشرب. انظر: غريب الحديث لأبي عبيد ١٥٤/١.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي ١٣٥٧/١، والبحر المحيط ٤٩٢/١.

(٣) انظر: تفسير الثعلبي ١٣٥٨/١، وعزاه إلى أهل التفسير، وتفسير الطبري ٩٠/٢، وقد اختار الأول، ومعاني القرآن للزجاج ٢٤٥/١، وزاد المسير ١٧٦/١. والقولان الأخيران فيها عدول عن ظاهر اللفظ، وتأويل للصفة

(٤) في (أ) و(م): (لا يثني).

(٥) انظر: تفسير الطبري ٩٠/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٢٤٥/١، وتفسير الثعلبي ١٣٥٨/١، وزاد المسير ١٥٣/١، وذكر ثلاثة أقوال: «لا يثني عليهم، قاله الزجاج، ولا يزيك أفعالهم، قاله مقاتل، ولا يطهرهم من دنس كفرهم، قاله ابن جرير».

كأنه قال : من كان بهذه الصفة فما أصبرهم على النار ، فعومل معاملة المعنى الذي تضمنه ، حتى كأنه قد لفظ به .

فأما المعنى ففيه وجهان لأهل التأويل ^(١) :

أحدهما : إن (ما) هاهنا تعجب ^(٢) ، كقولهم : «ما أحسن زيدا» . فما : رُفِعَ بالابتداء ، وأحسن : فعل ماضٍ ، وهو خبر الابتداء ، وفيه ضمير يرجع إلى (ما) ، وهو فاعل (أحسن) ، وزيدا ^(٣) : نُصِبَ ^(٤) بأحسن ، والتقدير : شيء أحسن هو زيدا ؛ وَخُصِّصَتْ لفظه (ما) بالتعجب لإبهامها ، وهي واقعة على الشيء الذي تتعجب منه ، وذلك الشيء ليس مما يعقل ^(٥) .

فإن قيل : «قد قلتُم : إن (ما) استُعْمِلَ لإبهامها ، فهلاً استُعْمِلَ (الشيء) إذ كان أبهم الأشياء ؟» ، قيل : «إن الشيء ربما يستعمل للتقليل ، فلو قلت : شيء حسن زيدا لجاز أن يعتقد أنك تقلل المعنى الذي حسن زيدا ، وأيضا : فإن الغالب في قولك : شيء حسن زيدا ، أنه خبر عن معنى مستقر ، وما يتعجب منه ، فحقه أن يبهرك في الحال . فأما ما قد استقر وعُرفَ فلا ^(٦) يجوز التعجب منه» . ومعنى التعجبِ تَغْيِيرُ النفس لما يَرِدُ عليها مما ^(٧) جَهِلَ سَبَبُهُ جِداً ، ونقل لفظ الفعل في التعجب من الثلاثي إلى الرباعي ؛ لأننا ذكرنا أن التقدير : «شيء أحسن زيدا» ، فصار زيد مفعولاً لغيره ، ولهذا انتصب المتعجب منه ؛ لأنه مفعول في الحقيقة ،

(١) انظر : تفسير الطبري ٩٠/٢ ، والمحرر الوجيز ٧٥/١ ، ٧٦ ، وزاد المسير ١٧٦/١ ، ١٧٧ .

(٢) تفسير الثعلبي ١٣٥٩/١ . قال في البحر المحيط ٤٩٤/١ : «والأظهر أنها تعجبية» ، وهو قول جمهور المفسرين .

(٣) في (أ) : (نصبت) .

(٤) في (أ) : (نصبت) .

(٥) البحر المحيط ٤٩٤/١ .

(٦) سقطت من (ش) .

(٧) في (ش) : (ما) .

والدليل على أن (أحسن) هاهنا فعل : لزوم الفتح آخره^(١) . ولو كان اسماً لوجب أن يرتفع ؛ إذ كان خبر المبتدأ ، فلما لزمه الفتح دل على أنه فعل ماضٍ . وقد يُصَغَّرُ فعلُ التعجب ، فيقال : «ما أُحْسِنَ زيداً» ، كقول الشاعر :

يا ما أُمْلِحَ غزلاًناً^(٢) شَدَنَّ^(٣) لنا^(٤)

وتصغيره لا يدل على أنه اسم ؛ وذلك أن فعل التعجب قد لزم طريقة واحدة ، فجرى في اللفظ مجرى الأسماء ، فأدخلوا عليه التصغير تشبيهاً بالاسم ، وليس يجب أن يكون الشيء إذا حمل على غيره لشبه بينهما أن يُخرج من جنسه ، ألا ترى أن اسم الفاعل قد أُعْمِلَ عمل الفعل ولم يخرج من أن يكون اسماً ، وكذلك الفعل أُعْرِبَ ؛ لشبهه بالاسم ولم يخرج ذلك من أن يكون فعلاً ، فكذلك فعل التعجب وإن صُغِّرَ تشبيهاً بالاسم لم يجب أن يكون اسماً^(٥) . فقد بان بما ذكرنا أن قوله : ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ﴾ (إذا قلنا إنه تعجب) فعل منقول من الثلاثي إلى الرباعي ، والهاء والميم في محل النصب بوقوع الفعل عليه .

قال ابن الأنباري : «ويكون أصبر هاهنا بمعنى : صَبَرٌ»^(٦) ، وكثيراً ما يكون أفعال بمعنى فَعَل ، نحو : أكرم وكرَّم ، وخَبَّرَ وأخبر ، فهذا الذي ذكرنا بيان معنى التعجب وفعله .

(١) مذهب البصريين أنه فعل ، وأما الكوفيون فيرون أنه اسم . انظر : البحر المحيط ١ / ٤٩٤ .

(٢) في (م) : (عن) ، وفي (أ) : (عزلاًناً) .

(٣) في (م) : (شدان) .

(٤) تكلمة البيت :

مَنْ هُوَ لَيَّاكُنَّ الضَّالِّ وَالسَّامِرُ

والبيت للمجنون في ديوانه ١٣٠ ، وقد نُسِبَ إلى آخرين .

(٥) انظر ما تقدم في : المقتضب للمبرِّد ٤ / ١٧٥ وما بعدها .

(٦) انظر : زاد المسير ١ / ١٧٧ .

فأَمَّا التفسير على هذه الطريق فقال المؤرِّج : «معناه : فما أصبرهم على عمل يؤديهم إلى النار»^(١) ، أو على عمل أهل النار»^(٢) ، وهو قول الكسائي وقطرب^(٣) .

وقال أحمد بن يحيى : «الصبر معناه هاهنا»^(٤) : الجرأة ، أي : ما أجرأهم على أعمال أهل النار»^(٥) ، وهذا قول الحسن^(٦) وقتادة^(٧) والربيع^(٨) .

قال الفراء : «وهذه لغة يمانية» ، وحكى عن الكسائي ، قال : «قال لي قاضي اليمن : اختصم إليَّ رجلان ، فحلف أحدهما على حق صاحبه ، فقال له الآخر : ما أصبرك على الله عز وجل !»^(٩) . قال الفراء : «ففي هذا وجهان : أحدهما : ما أجرأك على الله ، والثاني : ما أصبرك على عذاب الله ، كما تقول»^(١٠) : ما أشبه سخاءك بحاتم ، أي : بسخاء حاتم ، فتقيم حاتم مقام السخاء»^(١١) .

-
- (١) الثعلبي في تفسيره ١/ ١٣٥٩ ، والخيري في الكفاية ١/ ١٠٩ ، والقرطبي في تفسيره ٢/ ٢١٨ ، وأبو حيان في البحر المحيط ١/ ٤٩٤ .
- (٢) سقطت من (أ) و(م) .
- (٣) عزاه إليهما الثعلبي في تفسيره ١/ ١٣٦٠ ، والخيري في الكفاية ١/ ١٠٩ ، والقرطبي في تفسيره ٢/ ٢١٨ ، وأبو حيان في البحر المحيط ١/ ٤٩٤ ، وهو قريب من قول المؤرِّج كما بين أبو حيان ، ونسبه في زاد المسير ١/ ١٧٦ إلى عكرمة والربيع .
- (٤) في (م) : (الصبر هاهنا معناه) .
- (٥) ونسبه في زاد المسير ١/ ١٧٦ إلى مجاهد .
- (٦) رواه عنه الطبري ٢/ ٩١ ، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٩ .
- (٧) رواه عنه الطبري ٢/ ٩١ ، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٩ .
- (٨) رواه عنه الطبري ٢/ ٩١ ، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٩ .
- (٩) انظر : معاني القرآن للفراء ١/ ١٠٣ ، وتفسير الثعلبي ١/ ١٣٥٩ ، وتفسير السمعاني ٢/ ١٣٤ .
- (١٠) في (م) : (يقال) .
- (١١) بتصرف من معاني القرآن للفراء ١/ ١٠٣ ، وهذا اختيار الطبري ٢/ ٩٢ .

قال أهل المعاني : « وإنما جاز استعمال الصبر بمعنى الجراءة ؛ لأن الصبر حبس النفس على الشدة ، والجري يُصَبِّرُ نفسه على الشدة ، فلما كانت الجراءة تقتضي الصبر سُمِّيَتْ به » .

وقال الشُّدِّي : « هذا على وجه الاستهانة »^(١) ، وقد تقول في الكلام لمن تعرف ضعفه ، تستخف به : « ما أقواك على هذا الأمر ! » .

وقيل : « أراد ما أبقاهم في النار ، وما أطول مكثهم فيها ، كما يقال : ما أصبر فلاناً على الضرب والحبس ، أي : ما أبقاه فيهما »^(٢) .

قال عطاء عن ابن عباس : « لم يرد أنهم حين دخلوا النار صبروا عليها ، ولكنه يريد : فما أعملهم بأعمال أهل النار »^(٣) .

قال أصحاب المعاني : ومعنى التعجب من الله أنه يُعَجِّبُ المخلوقين ، ويدلُّنا على أنهم قد حلُّوا محلَّ مَنْ يتعجب منه^(٤) ، ولا يجوز على الله التعجب ؛ لأنَّا قد ذكرنا أن التعجب إنما هو مما لا يُعرَف سببه ، والله تعالى عالم لا يخفى عليه شيء^(٥) .

(١) في (ش) : (الاستهانة) .

(٢) ذكره الثعلبي ١ / ١٣٦٠ ، ولم ينسبه ، وكذا القرطبي ٢ / ٢٣٦ ، وقد أخرج الطبري ٢ / ٩١ ، والثعلبي ١ / ١٣٦٠ عن الشُّدِّي ، وعطاء ، وابن زيد ، وأبي بكر بن عياش نحوه .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ١ / ٢٤٥ ، وتفسير السمرقندي ١ / ١٧٨ ، وتفسير الثعلبي ١ / ١٣٦٠ ، وزاد المسير ١ / ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٤) تقدم الحديث عن هذه الرواية ، وقد ورد هذا عن مجاهد في تفسيره ٩٤ ، ورواه عنه الطبري في تفسيره ٢ / ٩١ ، وسعيد بن منصور في سننه ٢ / ٦٤٧ ، وأبو نعيم في الحلية ٣ / ٣٣١ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٢ / ٩٢ ، وزاد المسير ١ / ١٧٦ .

(٦) دلت النصوص على إثبات صفة التعجب لله ، وعقيدة أهل السنة إثباتها كما جاءت من دون تأويل ، قال الله تعالى : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ ، في قراءة ضم تاء الفاعل ، وقال ﷺ : « عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره » . رواه أحمد ٤ / ١١ ، ١٢ ، وقال ﷺ : « يعجب ربك من شاب ليست له صبرة » . رواه أحمد ٤ / ١٥١ ، وفيه ضعف ، وقال ﷺ : « عجب الله - عز وجل - من قوم بأيديهم

الوجه الثاني من التأويل : إن (ما) في هذه الآية استفهام يتضمن التوبيخ ، معناه : ما الذي صبرهم ؟ ، وأي شيء صبرهم على النار حين تركوا الحق واتبعوا الباطل ؟ وهذا قول عطاء^(١) وابن زيد^(٢) ، وقد ذكرنا عن ابن الأنباري أصبر بمعنى صَبَّرَ .

وقيل : «معناه : أي شيء غرَّهم من النار أنهم يصبرون عليها ؟» .

١٧٦ . قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ يَأْنٍ اللَّهُ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ ؛ ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى قوله : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤] . معناه : ذلك العذاب لهم بأن الله نزل الكتاب بالحق فاختلفوا فيه ، فأضمر فاختلفوا فيه^(٣) . و﴿الْكِتَابَ﴾ هو التوراة ، واختلافهم فيه : إيمانهم ببعض وكفرهم

السلاسل حتى يدخلوا الجنة» . أخرجه البخاري ٣٠١٠ ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : الأسارى في السلاسل وغيرها . وحقيقة التعجب : استغراب الشيء ، ويكون ذلك لسببين : الأول : لخباء الأمر على المستغرب المتعجب ، وهذا مستحيل على الله ؛ لأن الله عليم بكل شيء . والثاني : لخروج ذلك الشيء عن نظائره ، وعمّا ينبغي أن يكون عليه ، من دون قصور من المتعجب ، وهذا ثابت لله عز وجل ، وليس فيه نقص . انظر : شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد العثيمين ٤٤٦/٢ ، والأسماء والصفات للبيهقي ٤١٥/٢ .

(١) رواه عنه الطبري ٩١/٢ ، وذكره عنه الثعلبي .

(٢) رواه عنه الطبري ٩١/٢ ، ورواه أيضاً عن أبي بكر بن عياش ، وزاد نسبه في زاد المسير ١٧٧/١ إلى السُّدي ، وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ، ونسبه في البحر المحيط ٤٩٥/١ إلى ابن عباس والمُبرد ، وذكر قولاً ثالثاً هو أن (ما) نافية ، والمعنى أن الله ما أصبرهم على النار ؛ أي ما يجعلهم يصبرون على العذاب .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٩٢/٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٤٥/١ ، وزاد المسير ١٧٧/١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٨٦/١ ، والمحرم الوجيز ٧٧/٢ ، ٧٨ .

ببعض^(١). ويجوز أن يريد: القرآن، واختلافهم فيه^(٢): قولهم: إنه كهانة، وسحر، ورجز، وأساطير الأولين^(٣).

وقال بعضهم: «معنى ﴿ذَلِكَ﴾ أي: فعلهم الذي يفعلون من الكفر، والاجترأ على الله - عز وجل - من أجل أن الله نزل الكتاب بالحق. وتنزله الكتاب بالحق: هو إخباره عنهم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٦-٧]»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾: أي فآمنوا ببعض وكفروا ببعض^(٥). وإن قلنا: الكتاب هو القرآن، فقال ابن عباس: «يريد اختلفوا في ما أنزلت عليك»^(٦). وكنا قد ذكرنا حقيقة معنى الاختلاف عند قوله: ﴿وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ [البقرة: ١٦٤]»^(٧).

وقوله تعالى: ﴿لَبِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: ذكرنا معنى (شقاق) عند قوله: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

(١) انظر: تفسير الطبري ٩٣/٢، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٨٦/١، والمحزر الوجيز ٧٨/٢، والبحر المحيط ٤٩٥/١.

(٢) (فيه) سقطت من (ش).

(٣) انظر: المحزر الوجيز ٧٨/٢، والبحر المحيط ٤٩٥/١.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٩٢/٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٩٣/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٢٤٦/١، وتفسير الثعلبي ١٢٤٨/١، وزاد المسير ١٧٧/١.

(٦) انظر: زاد المسير ١٧٧/١، والبحر المحيط ٤٩٥/١.

(٧) انظر: ٤٣٢، ٤٣١/٣.

ومعنى ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: لفي خلاف طويل^(١)، ويقال: «معناه: بعيد عن الألفة بالاجتماع على الصواب»^(٢).

١٧٧. قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾: قُرِئَ (البرُّ) رفعاً ونصباً^(٣)، وكلتا القراءتين حَسَنٌ؛ لأن اسم (ليس) وخبرها اجتماعاً في التعريف، فتكافأ في كون أحدهما اسماً، والآخر خبراً، كما يتكافأ النكرتان. وحجة مَنْ رفع (البر) أن اسم ﴿لَيْسَ﴾ مشبهة بالفاعل وخبرها بالمفعول، والفاعل أن يلي الفعل أولى من المفعول، كما تقول: «قام زيد»، فيلي الاسم الفعل، وإذا قَدِّمْتَ المفعول كان النية به التأخير، كما تقول: «ضرب غلامه زيداً»^(٤).

وَمَنْ نصب البر ذهب إلى أن بعض النحويين قال: «أن مع صلتها أولى أن تكون اسم ليس؛ لشبهها بالمضمر، في أنها لا توصف كما لا يوصف المضمر، وكان هاهنا اجتماع مُضْمَرٍ ومُظْهَرٍ، والأولى إذا اجتماعاً أن يكون المُضْمَرُ الاسم، من حيث كان أذهب في الاختصاص من المُظْهَر، فكَذَلِكَ إذا اجتمع (أَنْ) مع مُظْهَرٍ غيره كان أن يكون (أَنْ)^(٥) الاسم، والمُظْهَرُ الخبرُ أولى»^(٦)، وعلى هذا قُرِئَ في التنزيل قوله: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ [الأعراف: ٨٢]،

(١) انظر: تفسير الثعلبي، وزاد المسير ١/ ١٧٧، والمحزر الوجيز ٢/ ٧٨، والبحر المحيط ١/ ٤٩٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢/ ٩٣، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٢٤٦، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٢٨٧، وزاد المسير ١/ ١٧٧، والبحر المحيط ١/ ٤٩٦.

(٣) قرأ حزة وحفص بالنصب، وقرأ الباقر بالرفع. انظر: النشر ٢/ ٢٢٦.

(٤) من الحجة لأبي علي ٢/ ٢٧٠ بمعناه.

(٥) (أن) ليست في (ش).

(٦) الحجة لأبي علي ٢/ ٢٧١، وانظر: معاني القرآن للزجاج.

وقوله تعالى : ﴿مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ [الجاثية: ٢٥] ، والاختيار رفع (البر) ؛ لأنه روي عن ابن مسعود أنه قرأ : «ليس البرُّ بأن»^(١) ، والباء تدخل في خبر ليس .

واختلف المفسرون في هذه الآية على وجهين ، فقال قتادة^(٢) ، والربيع^(٣) ، ومقاتل^(٤) : «عنى الله بهذه الآية : اليهود والنصارى ، وذلك أن اليهود كانت تصلي قبلَ المغرب إلى بيت المقدس ، والنصارى قبلَ المشرق ، وزعم كل طائفة أن البر في ذلك ، فأخبر الله تعالى أن البر غير دينهم وعملهم ، ولكنه ما بينه في هذه الآية» . فقال ابن عباس^(٥) ، ومجاهد^(٦) ، والضحاك^(٧) ، وعطاء^(٨) : «المراد به المؤمنون ، وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد الشهادتين ، وصلى إلى أي ناحية^(٩) كانت ، ثم مات على ذلك ، وجبت له الجنة ، فلما هاجر رسول الله ﷺ ، ونزلت الفرائض ، وحُدَّتْ الحدود ، وصرفت القبلة إلى الكعبة ، أنزل الله هذه الآية ، فقال : ليس البرُّ كله أن تصلوا ولا تعملوا غير ذلك ، ولكن البرُّ ما ذكر في الآية»^(١٠) .

-
- (١) رواه الثعلبي بسنده عن عبدالله ، وأبي بن كعب . انظر : معاني القرآن للفراء ، والمحزر الوجيز ٧٨ / ٢ ، وتفسير القرطبي ٢ / ٢٢٠ ، ونسب القراءة إلى أبي بن كعب أيضاً ، وانظر أيضاً : البحر المحيط ٢ / ٢ .
- (٢) رواه عنه عبدالرزاق في تفسيره ١ / ٦٦ ، والطبري في تفسيره ٢ / ٩٤ .
- (٣) رواه عنه الطبري ٢ / ٩٥ واختاره ، وذكره ابن أبي حاتم ١ / ٢٨٧ .
- (٤) لعل المراد به هنا مقاتل بن حيان ، وهو عند الثعلبي ، وقد روى عنه ابن أبي حاتم ١ / ٢٨٧ ما يوافق القول الثاني .
- (٥) رواه عنه الطبري ٢ / ٩٤ ، وابن أبي حاتم ١ / ٣٨٧ .
- (٦) المرجع السابق .
- (٧) المرجع السابق .
- (٨) ذكره الثعلبي في تفسيره ٢ / ١٤٣ ، وابن الجوزي في زاد المسير ١ / ١٧٨ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٢ / ٢ .
- (٩) في (م) : (جهة) .
- (١٠) رواه الطبري في تفسيره ٢ / ٩٤ عن قتادة ، وعزاه السيوطي في الدر ١ / ٣١٠ إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وذكره الثعلبي في تفسيره ٢ / ١٤٠ ، ١٤١ .

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْآلِرَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾: ﴿الْآلِرَ﴾ مصدر، ولا يُجَبَّرُ عن المصادر بالأسماء، و(مَنْ) اسم. واختلف النحويون وأهل المعاني في وجهه، فقال أبو عبيدة: «البر، هاهنا، بمعنى: البار^(١)»، والفاعل قد يسمى بالمصدر كما يسمى المفعول به، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [تبارك: ٣٠]؛ أي: غائراً.

وقالت الخنساء:

فَإِنَّهَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ^(٢)

أي: مقبلة ومدبرة.

وقال آخر:

هَرِيقِي مِنْ دُمُوعِهَا سِجَامًا ضُبَاعَ وَجَاوِي نَوْحًا قِيَامًا^(٣)^(٤)
أراد: نائحات قائمات، ومثله قوله: ﴿وَالْعَقِبَةُ لِلنَّقَوَى﴾ [طه: ١٣٢]؛ أي: للمتقي.

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٥/١، وتفسير الطبري ٩٥/٢، وتفسير الثعلبي ١٤٧/٢.

(٢) صدر البيت:

ترتُّعُ ما رتعتُ حتى إذا أذكرتُ

والبيت في ديوان الخنساء ٣٨٣، والشعر والشعراء ٢١٥.

(٣) في (م): (سقاقاً... حاوي)، وفي (ش): (صباغ... وجاوي).

(٤) البيت في مجاز القرآن ١/٤٠٤ بلا نسبة، بل قال: «وقال باك يبيكي هشام بن المغيرة»، والطبري ٢٤٩/١٥، والقرطبي ٤٠٩/١٠، وشرح أبيات سيويه ٩٤/١، ٣٥٤.

وحكى الزَّجَّاجُ أن معناه : ذا البر ، فحذف ^(١) ، كقوله : ﴿ هُمْ دَرَجَتْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٦٣] ؛ أي : ذوو درجات ^(٢) .

وقال قطرب ^(٣) والفرَّاء ^(٤) : «معناه : ولكن البرِّ برُّ مَنْ آمَنَ ، فحذف المضاف ، وهو كثير في الكلام ، كقوله : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ [البقرة : ٩٣] ، و ﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ، ويقولون : «الجود حاتم ، والشعر زهير ، والشجاعة عنتر» .

وقال النابغة :

وكيف تُوَاصِلُ مَنْ أَصْبَحَتْ خِلَالَتْهُ كَأَبِي مَرْحَبٍ ^(٥)

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٦٥ .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٢٤٨ ، والبيان في إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري ١/ ١٣٩ .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ١/ ١٢٤٨ ، والبحر المحيط ٢/ ٣ . قال : «وعلى هذا خرجه سييويه» . انظر : الكتاب لسييويه ١/ ٢١٢ ، وهو اختيار الطبري في تفسيره ٢/ ٩٥ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ١٠٥ .

(٥) البيت في ديوانه ٢٦ ، ولسان العرب (رحب) ٣/ ١٦٠٧ .

قال الفرّاء : «والعرب تخبر عن الاسم بالمصدر ، وعن المصدر بالاسم ، وتجعل الاسم خبراً للفعل ، والفعل خبراً للاسم ؛ لأنه أمر معروف المعنى عندهم»^(١) ، وحكي عن العرب أنهم يقولون : «إنما البرُّ الصادق»^(٢) ؛ أي الذي يصل رحمه ، ويخفي صدقته ، فيجعلون الاسم خبراً للفعل ، وأمّا الأفعال التي جُعِلَتْ أخباراً للأسماء فقول الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا الْفَتَيَانُ أَنْ تَنْبَتَ اللَّحَى

ولكنَّما الْفَتَيَانُ كُلُّ فَتَى نَدِيٍّ^(٣)

فجعل نبات اللَّحَى ، وهو مصدر ، خبراً للفتيان^(٤) .

قال ابن الأنباري : «ولا يجوز القياس على هذا ، وإنما يستعمل في مثل هذا ما استعملته العرب ، لا يجوزُ أَنْ تقولَ : الرُّكوبُ عبدُ الله ؛ لأن هذا^(٥) من المجاز ، والمجاز لا يقاس بعضه على بعض ، إلا أن يُوصَفَ رجلٌ بحسن الركوب فيصير عَلَمًا فيه ، فيقال فيه : الرُّكوبُ عبدُ الله ، كما يقال : الجُودُ حاتم ، ولا يقاس على المشهور ما ليس بمشهور» .

قال أبو علي : «ومثل هذه الآية قوله : ﴿أَجْعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ . ثم قال : ﴿كَمَنْ ءَامَنَ﴾ [التوبة : ١٩] ، وهذا على : أجعلتم أهل سقاية الحاج كمن آمن أو

(١) سقطت من (ش) .

(٢) سقطت من (ش) .

(٣) قال البغدادي في شرح أبيات مغني اللبيب : «البيت ملفق من مصرعين من أبيات لابن بيطس ، وهي :

لَعَمْرُكَ مَا الْفَتَيَانُ أَنْ تَنْبَتَ اللَّحَى وتعظمُ أبدانُ الرجالِ من الهبرِ
ولكنَّما الْفَتَيَانُ كُلُّ فَتَى نَدِيٍّ صبورٍ على الآفاتِ في العسرِ واليسرِ .

وقد ذكره غير منسوب للفرّاء في معاني القرآن ١/ ١٠٤ ، والثعلبي في تفسيره ٢/ ١٤٥ ، وأما المرتضى

٢٠١/ ١ ، وشرح شواهد المغني ٢/ ٢٦٤ ، ومغني اللبيب ٢/ ٦٩١ .

(٤) معاني القرآن ١/ ١٠٤ ، ١٠٥ للفرّاء بمعناه .

(٥) ليست في (أ) و(م) .

أجعلتم سقاية الحاج ^(١) كإيمان من آمن ؛ ليقع التمثيل بين حَدَّثَيْنِ ، أو بين فاعِلَيْنِ ، إذ لا يقع التمثيل بين ^(٢) حدث وفاعل ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَالْكَتُبِ﴾ : يريد الكُتُبَ ، قاله ابن عباس ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ : الأكثرون ^(٥) على أن الكناية في الحُبِّ راجعة إلى المال ، والتقدير ^(٦) : وأتى المال على حُبِّ ^(٧) المال ، فأضيف الحُبُّ إلى المفعول ، كما تقول : «اشتريت طعامي كاشترأ طعامك» .

قال ابن عباس ^(٨) وابن مسعود ^(٩) : «هو أن تؤتيه وأنت صحيح صحيح» . وهذا التفسير يُقَوِّي رجوع الكناية إلى المال .

وقال ابن الأنباري : «يجوز أن تكون الهاء عائدة على ﴿مَنْ﴾ في قوله : ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ ، فيكون المصدر مضافاً إلى الفاعل ، وتُرِكَ ذِكْرُ المفعول معه ، لانكشاف المعنى» .

(١) الجملة من قوله : «ثم قال . . .» سقطت من (ش) .

(٢) في (م) : (من) .

(٣) انظر : التفسير الكبير للرازي ٣٩ / ٥ .

(٤) تفسير الثعلبي ١٤٩ / ٢ . وقال الزمخشري في الكشاف ١ / ١٠٩ : «والكتاب : جنس كتب الله ، أو القرآن» . انظر : تفسير الرازي ٣٧ / ٥ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٩٥ / ٢ ، ٩٦ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٨٨ / ١ ، والمحزر الوجيز ٨٠ / ٢ ، والبحر المحيط ٥ / ٢ ، وقال : «لأنه أقرب مذكور ، ومن قواعد النحويين أن الضمير لا يعود على غير الأقرب إلا بدليل» .

(٦) سقطت من (ش) .

(٧) في (ش) : (حبه) .

(٨) عزاه إليه في التفسير الكبير ٣٩ / ٥ .

(٩) رواه عنه ابن المبارك في الزهد ٨ ، وعبد الرزاق في المصنف ٥٥ / ٩ ، وسعيد بن منصور ٦٤٨ / ٢ ، والطبري في تفسيره ٩٥ / ٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٨٨ / ١ ، وبمعنى هذا حديث أبي هريرة مرفوعاً ، رواه البخاري ١٤١٩ ، كتاب : الزكاة ، باب : أي الصدقة أفضل ، ومسلم ١٠٣٢ ، كتاب : الزكاة ، باب : بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح .

قال : «ويجوزُ أن يعودَ إلى الإيتاء ، أي : على حُبِّ الإيتاء ، (وأتى) يدل على الإيتاء ؛ لأن الفعل يدل على المصدر ، كقوله تعالى : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا﴾ [آل عمران : ١٨٠] ، أي : البخل ، كنى عنه ؛ لأن (يبخلون) يدل عليه ، ومثله قول القطامي :

هُمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ هُمْ وَالْآخِذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةُ الْأُولُ^(١)
أراد : والآخذون بالملك ، ودلَّ (الملوك) عليه ، فكنى عنه ، وأنشد الفراء^(٢) :
إِذَا نَهَى السَّفِيهَ جَرَى إِلَيْهِ وَخَالَفَ وَالسَّفِيهَ إِلَى خِلَافِ^(٣)
أي : إلى السفه ، ويكون المعنى على هذا الوجه : لا يعطيه وهو متسخط ، وهذا الوجه اختيارُ الحسين بن الفضل^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ : قال مجاهد : «هو المنقطع من أهله يمرُّ عليك»^(٥) .

وقال قتادة : «هو الضيفُ ينزل بالرجل»^(٦) .

-
- (١) البيت من البسيط ، وهو بهذه الصيغة للنابعة في ديوانه ٧٥ ، ولسان العرب (ألا) ١ / ١١٩ .
(٢) معاني القرآن للفراء ١ / ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٣) تقدم تخريج البيت عند تفسير [البقرة : ١٧٧] .
(٤) تفسير الثعلبي ٢ / ١٥٠ ، والمحزر الوجيز ٢ / ٨١ ، وزاد المسير : ١ / ١٧٧ ، والبحر المحيط ٢ / ٥ ، وقال عن هذا القول : «إنه بعيد من حيث اللفظ ، ومن حيث المعنى ، أمّا من حيث اللفظ فإنه يعود على غير مصرح به ، وعلى أبعد من المال ، وأمّا المعنى فلأن من فعل شيئاً وهو يجب أن يفعله لا يكاد يمدح على ذلك ؛ لأن في فعله ذلك هوى نفسه ومرادها» .
(٥) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢ / ٩٧ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٢٩٠ ، وروى مثله عن قتادة .
(٦) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢ / ٩٧ ، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٢٨٩ ، وأسندته عن ابن عباس . قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٢ / ٨١ : «والأول أعم» .

قال أهل المعاني : «كل مسافر من حاجٍّ وغازٍ وغيرهما ، فهو ابن السبيل ؛ لملازمته الطريق ، وكل من لزم شيئاً نُسِبَ إليه ، فيقال للشجعان : بنو الحروب ، وللناس : بنو الزمان ؛ لأنهم لا يَنْفَكُون منه ، ولطيرِ الماءِ : ابنُ الماء ، وهو كثير»^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ : قال ابن عباس : «يريد المكاتبين»^(٢) ، ويكون التقدير : وفي غزو الرقاب .

وقيل : «فداء الأسارى» ، و«عتق النسمة» ، و«فك الرقبة»^(٣) . والرقاب : جمع الرقبة ، وهو مؤنَّث أصل العنق ، واشتقاقها : من المراقبة ؛ وذلك أن مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم ؛ ولهذا المعنى يقال : «أعتق الله رقبتَه» ، ولا يقال : «أعتق الله عُنْقَه» ؛ لأنها لما سُمِّيت رَقَبَةً كانت كأنها تراقب العذاب ، ومن هذا يقال للتي لا يعيش لها ولد : «رَقُوب» ؛ لأجل مراعاتها موتَ ولدها^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَلْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ : قال المفسرون : «أراد : في ما بينهم وبين الله ، وبينهم وبين الناس ، إذا وعدوا أنجزوا ، وإذا حَلَفُوا ونَذَرُوا وَفَّوا ، وإذا قالوا صدقوا ، وإذا ائتمنوا أدَّوا»^(٥) .

(١) انظر : تفسير الطبري ٩٧/٢ ، والمحزر الوجيز ٨١/٢ .

(٢) عزاه إليه ابن الجوزي في زاد المسير ١٧٨/١ ، قال : «وهو مروي عن علي والحسن وابن زيد والشافعي» ، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٩٠/١ عن سعيد ابن جبير ومقاتل بن حيان والحسن والزهري . انظر : تفسير الطبري ٩٨/٢ . وقد حكى الواحدي في الوسيط «أن جميع المفسرين قالوا : يريد به المكاتبين ، والمفسرون ذكروا الخلاف على أربعة أقوال : المكاتبون ، وأنهم عبيد يشترطون بهذا السهم ويعتقون ، وفداء الأسرى ، وجميع هؤلاء» ، وهذا قول ابن عطية وابن العربي في أحكام القرآن ٦٠/١ ، واستظهره أبو حيان في البحر ٦/٢ . انظر : الإجماع في التفسير ١٩٥ .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ١٢٤٩/١ ، والمحزر الوجيز ٨١/٢ ، والكشاف ١٠٩/١ . وقال في زاد المسير ١٧٩/١ : «رواه مجاهد عن ابن عباس ، وبه قال مالك بن أنس وأبو عبيد وأبو ثور ، وعنه كالقولين» .

(٤) انظر : الرقاب في المفردات ٢٠٦ ، واللسان (رقب) ١٧٠١/٣ ، والكلام بنصه عند الرازي في تفسيره ٤٢/٥ .

(٥) تفسير الثعلبي ١٦٦/٢ ، وانظر : تفسير الرازي ٤٣/٥ ، وتفسير القرطبي ٢٢٥/٢ .

ارتفع قوله : ﴿وَالْمُؤْفُونَ﴾ بالعطف على محل (مَنْ) في قوله : ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ وهو رفع ؛ لأنه خبر لكن ، كأنه : ولكن البر من آمن بالله والموفون ، أو على المدح على أن يكون خبر ابتداء محذوف ، تقديره : وهم الموفون^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ : قال الكسائي : «هو معطوف على ذوي القربى ، كأنه : وآتى المال على حبه ذوي القربى والصابرين»^(٢) .

قال النحويون : «إذا عطف قوله : (والموفون) على الموصول وهو قوله : (مَنْ) لا يجوز أن يكون (الصابرين) مِنْ صِلَةٍ (مَنْ) ، وقوله : (وآتى المال) مِنْ صِلَةٍ (مَنْ) ، فإذا نصبت الصابرين بقوله : ﴿وَأَتَى أَلْمَالَ﴾ ، على ما ذكره الكسائي فقد جعلت ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ من تمام الصلة ، ولا يجوز هذا ؛ لأنك قطعت ذلك الكلام بالعطف على (مَنْ) ، حيث عطف عليه قوله : ﴿وَالْمُؤْفُونَ﴾ ، ولا يجوز العطف على الموصول حتى ينقضي بصلته ، كما لا يُؤكَّد ولا يوصَف إلا بعد انقضائه بجميع صلته ؛ لأن الموصول مع الصلة بمنزلة اسم واحد ، ومحال أن يوصَف الاسم ، أو يُؤكَّد ، أو يُعطف عليه ، إلا بعد تمامه وانقضائه بجميع أجزائه وما يتصل به ، فلا يجوز إذن أن يكون ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ عطفاً على قوله : ﴿وَأَتَى أَلْمَالَ عَلَى حَبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَى﴾ .

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٤٧/١ ، وتفسير الثعلبي ١٦٧/٢ ، والتفسير الكبير ٤٢/١ ، والبيان ١١٢ ، وذكر وجهاً ثالثاً هو أن يعطف (الموفون) على الضمير في (آمن) .

(٢) معاني القرآن للقرطبي ١٠٧/١ . قال : «وإنما امتنع من مذهب المدح - يعني الكسائي - الذي فسرت لك ؛ لأنه قال : لا ينصب الممدوح إلا عند تمام الكلام ، ولم يتمم الكلام في سورة النساء ، ألا ترى أنك حين قلت : (لكن الراسخون في العلم منهم) إلى قوله : (والمقيمين والمؤتون) ، كأنك منتظر لخبره ، وخبره في قوله : (أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً)» . والكلام أكثره على ما وصف الكسائي ، ولكن العرب إذا تطاولت الصفة جعلوا الكلام في الناقص والتام كالأحد ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٢٣١/١ ، وقال : «وهذا القول خطأ بَيِّن» .

وإذا كان قوله : ﴿وَالْمُؤُوفُونَ﴾ عطفاً على الموصول ؛ لأن قوله : ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ على هذا من تمام الموصول ، فلا يجوز الفصل بينه وبين الموصول بالمعطوف على الموصول ، ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول : «مررت بالضاريين وقوم زيداً» ، حتى تُقدِّم زيداً على القوم ، وكذلك سبيل التأكيد والصفة ، لو قلت : «أعجبني كلامك كله زيداً» ، أو «أعجبني كلامك الحسنُ زيداً» ، لم يجوز ؛ لوصفك الاسم وتأكيدك قبل تمامه بما في صلته .

وإذا جعلت قوله : ﴿وَالْمُؤُوفُونَ﴾ رفعاً على المدح على ما ذكرنا ، لم يصح أيضاً قول الكسائي ؛ لأن الفصل بين الصلة والموصول يقع به إذا كان مدحاً ، كما يقع إذا كان معطوفاً على الموصول ، بل الفصل بينهما بالمدح أشنع ؛ لكون المدح جملة ، والجملة ينبغي أن تكون في الفصل أشنع بحسب زيادتها على المفرد^(١) .

فإن قيل : «أليس جاز الفصلُ بين المبتدأ والخبر بالجملة ، كقول القائل : إِنَّ زَيْدًا - فافهم ما أقول - رجلٌ صدق ، وكقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف : ٣٠] ، ثم قال : ﴿وَأُولَئِكَ﴾ ففصل بين المبتدأ والخبر بقوله : ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ ؟ قيل : ليس الصلة مع الموصول كالمبتدأ مع الخبر ؛ لأن اتصال كل واحد منهما بالآخر أشد من اتصال المبتدأ وخبره ، لأن مجرأهما مجرى حروف الاسم الواحد وأجزائه ، وعلى حسب شدة الاتصال يقبح الانفصال ، وليس كذلك المبتدأ مع خبره ، ألا ترى أن كل واحد منهما ليس كَجُزءٍ^(٢) الآخر . وإذا كان الأمر على ما ذكرنا ، لم يُجْزِ الفصل بين بعض الصلة وبعض ؛ لأن عطفك على الموصول بالمفرد والجملة وتأكيدك إياه

(١) ذكر هذا بمعناه الرازي في تفسيره ٤٤ / ٥ .

(٢) في (ش) : (ليس كَجَسَرٍ الآخر) .

ووصفك له وإبدالك منه يؤذن كل ذلك بالتهام والانقضاء ، فلا يسوغ أن يذكر ما يؤذن بالتهام ويدل عليه ثم يتم بعد ؛ لأن ذلك نَقْصٌ وفسادٌ^(١) .

فأَمَّا^(٢) قول الشاعر :

ذَاكَ الَّذِي وَأَيْبِكَ يَعْرِفُ مَالُكَ وَالْحَقُّ يَدْفَعُ تَرْهَاتِ الْبَاطِلِ^(٣)

ففصل بين الصلة والموصول بالقسم ، وهو جملة ؛ لأن القسم ، وإن كان في الأصل جملة ، فإنه لا توصف به النكرة ، ولا توصل به الموصول ، كسائر الجمل ، فالفصلُ بها - لجريها مجرى غير الجمل في هذه المواضع - أسهل وأسوغ من الفصل بغيره ؛ لمخالفة القسم سائر الجمل . وأيضاً فإن للقسم مداخل ليس لغيره من الجمل ، ألا ترى أن القسم قد دخل بين الشرط وجزائه في نحو : «إن تأتني والله أتك» ، ولا يدخل عليه غيره من الجمل .

فالقسم مما^(٤) قد اتسع بالفصل فيه ؛ لكثرتة ، ويقع مواقع لم يقع غيره ، فلا يلزم إذا اتسع فيه ففصل به أن يفصل بغيره ، ألا ترى أنهم اتسعوا في الفصل بالظرف ، ففصلوا به بين إن واسمها ، وليس يوجب فصلهم بذلك فصلهم بغيره . وكذلك يجوز الفصل بالقسم في الصلة ، ولا يجوز ذلك في غيره ، فبان^(٥) بما ذكرنا أنه لا وجه لقول الكسائي ، وهذا كله كلام أبي علي . ثم قولُ الكسائي ضعيف أيضاً في المعنى ؛ لأنه يَضْعُفُ أن يُقال : معنى الآية : ولكن البرَّ من آمن بالله وآتى الصابرين . والصحيح : أن ما بعد ﴿ءَامَنَ﴾ تعدادُ لأفعال ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ وأوصافه .

(١) ذكر هذا بمعناه الرازي في تفسيره ٤٤ / ٥ .

(٢) في (ش) : (وأَمَّا) .

(٣) البيت لجريير في ديوانه ٥٨٠ ، ولسان العرب (تره) ٤٣١ / ١ .

(٤) في (م) : (ما) .

(٥) في (ش) : (فان) .

والوجه في نصب ﴿وَالصَّيِّرِينَ﴾ قولُ الفَرَّاءِ ، وهو أنه ذهب به إلى المدح ، وإن كان مِنْ صفة ﴿مَنْ﴾ ، والعرب تعترض في صفات الواحد إذا تطاولت بالمدح أو الذم ، فينصبون بعض المدح ، وإن كان الاسم رفعاً ، كأنهم ينوون إخراج المنصوب بمدح مجدد غير متبع لأول الكلام ، من ذلك قول الشاعر :

لَا يَبْعَدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سَمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُزْرِ
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّينَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ^(١)
فنصبوا (النازلين) و(الطيّين) على المدح .

وأنشد أيضاً :

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَابْنِ الْهَمَامِ وَلَيْثَ الْكُتَيْبَةِ فِي الْمُرْدَحَمِ^(٢)
فنصب (ليث الكتيبة) على المدح ، والاسم قبله مخفوض^(٣) .

وقال أبو علي مختاراً هذا القول : «الأحسن عندي في هذه الأوصاف التي تعطف وتذكر للرفع من موصوفها والمدح أو النقص منهم والذم : أن يخالف^(٤) بإعرابها ، ولا يجعل كلها جارية على موصوفها ؛ لأن هذه المواضع من مواضع الإطناب في الوصف ، والإبلاغ في القول ، فإذا حُولِفَ بإعراب الأوصاف كان أشدَّ وأوقع في ما يعني لضرورة الكلام ، وكونه بذلك ضرورياً وجُملاً^(٥) ، وكونه

(١) البيتان لخرنق بنت بدر بن هفان ، ترثي زوجها ومَنْ قُتِلَ معه ، في ديوانها ٤٣ ، ومعاني القرآن للفراء ، ولسان العرب (نضر) ٧ / ٤٤٥٤ . وفي الكتاب لسيبويه ٦٤ / ٢ ، لكنه قال : «والطيّيون» ، قال الفراء : «وربما رفعوا (النازلون) (الطيّيون) ، وربما نصبوهما على المدح ، والرفع على أن يُتَّبَعَ آخرُ الكلام أوَّلَه» .
(٢) البيت بلا نسبة في معاني القرآن للفراء ١ / ١٠٥ ، والإنصاف ٣٧٦ ، والخزانة ١ / ٢١٦ . القَرْمُ : السيد المعظم .

(٣) من معاني القرآن للفراء ١ / ١٠٦ بتصرف ، واختاره الطبري في تفسيره ٢ / ١٠٠ .

(٤) في (ش) : (لا تخالف) .

(٥) في (م) : (وحولاً) .

في الإجراء على الأول وجهاً واحداً وجملةً واحدةً»^(١). ونص سيبويه في قوله : ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٦٢] أنه نصبٌ على المدح . انتهى كلامه^(٢) .

ومعنى المدح والذم في النحو «أن العرب لما أطنبت في وصفٍ بمدح أو ذم سلكت طرقاً ، وأتت بأوصاف كثيرة ، فلذلك خالفت بإعراب الأوصاف ، تنوياً بالموصوف ، وتنبيهاً على المراد ، كأنهم ظنوا أنهم لو أجروا الأوصاف على نحو واحد ، كانوا قد أتوا بوصفٍ واحدٍ» . وأما علة اختلاف الحركة في المدح والذم فقال الفرّاء : «أصل المدح والذم من كلام السامع ، وذلك أن الرجل إذا أخبر الرجل ، فقال له : قام زيد ، أننى السامع عليه ، فقال : ذكرت والله الظريف ، ذكرت العاقل ، وهو والله الظريف ، هو العاقل ، فأراد المتكلم أن يمدحه بمثل ما مدحه به السامع ، فجرى الإعراب على ذلك»^(٣) .

وقال الخليل : «المدح والذم ينصبان على معنى : أعني الظريف»^(٤) .

وأنكر الفرّاء هذا القول^(٥) ، وقال : «(أعني) إنما تقع تفسيراً للاسم المجهول ، والمدح يأتي بعد المعروف ، ولو اطرّد لنا إضمار (أعني) لأجزنا»^(٦) : قام زيدٌ أخاك ، على معنى : أعني أخاك ، وهذا لا يقوله^(٧) العرب أصلاً»^(٨) . قال : «والذم بمنزلة المدح ، يقال : مررت بزيد الخبيث ، والخبيث ، ومن هذا : قوله -عز وجل- ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [السد: ٤] . وقد تدخل الواو على المنصوب على المدح

(١) نقله عنه الرازي في تفسيره ٤٥ / ٥ ، ونقله في البحر المحيط ٧ / ٢ ، ٨ .

(٢) الكتاب لسيبويه ٦٣ / ٢ - ٦٥ .

(٣) نقله الرازي في تفسيره ٤٥ / ٥ ، وانظر : الكتاب لسيبويه ٦٥ / ٢ .

(٤) نقله الرازي في تفسيره ٤٥ / ٥ .

(٥) ليست في (أ) و(م) .

(٦) في (ش) : (لأجرينا) .

(٧) في (ش) : (بالتاء وفيها) .

(٨) نقله الرازي في تفسيره ٤٥ / ٥ .

والدم ويكون^(١) نكرةً ، فيقال : مررت برجل يُنصِفُ مَنْ يُناظِرُهُ ، وعاقلاً لبيّاً عالماً . قال الشاعر :

ويأوي إلى نِسْوَةٍ عَطَلٍ وشُعثاً مراضيعَ مثلَ السَّعَالِي^(٢)
فنصب (شعثاً) على الدم . وقال آخر :

إلى الملكِ القَرَمِ وابنِ الهمام وليثَ الكتيبةِ في المَزْدَحَمِ^(٣)
فنصب (ليث) على المدح .

وقوله تعالى : ﴿ فِي أَلْبَاسٍ ﴾ : قال ابن عباس : « يريد الفقر ، وهو اسم من البؤس » . وقوله تعالى : ﴿ وَالضَّرَّاءَ ﴾ : قال : « يريد المرض »^(٤) ، وهما اسمان على فعلاء ولا أفعل لهما ؛ لأنهما ليسا بنعتين^(٥) .

﴿ وَحِينَ أَلْبَاسٍ ﴾ : قال ابن عباس : « يريد القتال في سبيل الله والجهاد »^(٦) . ومعنى البأس في اللغة : الشدة ، يقال : « لا بأس عليكم في هذا » ؛ أي لا شدة ولا حرج ، ﴿ بَعْدَآبٍ بَعِيسٍ ﴾ [الأعراف: ١٦٥] ؛ أي شديد ، ثم تسمى الحرب بأساء لما فيها من الشدة ، والعذاب يسمى بأساً لشدته . قال الله :

(١) في (ش) : (بالتاء) .

(٢) البيت ، وهو لأمية بن أبي عائذ الهذلي ، في شرح أشعار الهذليين ٢/ ٥٠٧ ، ذكره الفرّاء في معاني القرآن ١/ ١٠٨ ، ولم ينسبه ، وفي لسان العرب (رضع) ٣/ ١٦٦١ . يروى : « وشعث على النعت » كما ذكر الفرّاء . وهذا البيت في وصف صائد وإعساره . عطل : هن اللواتي لا حلي عليهن ، وشعث : جمع شعث ، وشعثها من قلة العهد بالدهن والنظافة ، والسعالي : ضرب من الغيلان ، الواحد : سعادة .

(٣) سبق تخريج البيت .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٩١ ، ورواه الطبري في تفسيره ٢/ ٩٩ عن ابن مسعود ، والربيع ، وقتادة ، والضحاك ، وابن جريج .

(٥) تفسير الثعلبي ٢/ ١٧٠ ، وانظر : تفسير الطبري ٢/ ١٠٠ ، والتفسير الكبير للرازي ٥/ ٤٥ .

(٦) رواه الطبري ٢/ ١٠١ ، وابن أبي حاتم ١/ ٢٩٢ عن ابن مسعود ، ومجاهد ، وقتادة ، والربيع ، والضحاك ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وأبي العالية ، ومرة ، ومقاتل بن حيان .

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤] ، وقال : ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا بَأْسَنَا﴾ [الأنبياء: ١٢] ، وقال : ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ [غافر: ٢٩] كل هذا معناه العذاب ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ ؛ أي أهل هذه الأوصاف هم الذين صدقوا في إيمانهم ^(٢) . وهذه الواوات في الأوصاف في هذه الآية للجمع ، فمن شرائط البر وتمام شرط البار أن يجتمع فيه هذه الأوصاف ، ومن قام بواحدة منها لم يستحق الوصف بالبر ، فلا يظن ظان أن الموفي بعهده على انفراد هذا الوصف فيه من جملة من قام بالبر ، وكذا الصابر في البأساء حتى يستكمل هذه الأوصاف ، وقد تدخل الواو في الأوصاف لموصوف واحد ، بقوله :

إلى الملك القرم ^(٣)

البيت الذي أنشدناه آنفاً ، دخلت الواو في هذه الأوصاف وهي لموصوف واحد . ولهذه النكتة اختلف السلف في هذه الآية ، فقال بعضهم : «هذه الصفة خاصة بالأنبياء ؛ لأن غيرهم لا تجتمع فيه هذه الأوصاف كلها» ، وقال بعضهم : «هذه عامة في جميع المؤمنين» ^(٤) .

١٧٨ . وقوله تعالى : ﴿يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا كُنُوبَ عَلَيْكُمْ الْقَصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ : كُتِبَ هاهنا بمعنى : فرض وأوجب ، كقوله : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ أَلْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٨٠] ، وأصله أن من أراد إحكام شيء والاستيثاق منه كتبه ؛ ثلاثينسائه ، فقليل في كل مفروض واجب : «كتب» ، بمعنى : أحكم ذلك . وقيل : «أصله ما كتبه الله في اللوح المحفوظ» ، ومن هذا قوله :

(١) انظر : معاني (البأس) في تهذيب اللغة (بأس) ١/ ٢٥٥ ، والمفردات ٧٥ ، والتفسير الكبير ٥/ ٤٥ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢/ ١٠١ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٧١ ، والمحزر الوجيز ٢/ ٨٢ .

(٣) تقدم تخريج البيت .

(٤) نقله بتمامه الرازي في تفسيره ٥/ ٤٥ ، وصرح فيه بالنقل عن الواحدي .

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]؛ أي قضى الله ذلك ،
 وفرغ منه ، وحكم به ، ومثله قوله : ﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ
 الْجَلَاءَ﴾ [الحشر: ٣] ؛ أي حكم بإخراجهم من دورهم ، وقوله : ﴿قُلْ
 لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١] ، وقوله : ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ
 كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ [آل عمران: ١٥٤] ، كل هذا من القضاء .

ويكون (كتب) بمعنى ^(١) جعل ، كقوله : ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
 الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢] ، وقوله : ﴿فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣] ، وقوله :
 ﴿فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَنْقُوتُ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿الْقِصَاصُ﴾ : معنى القصاص في اللغة : الماثلة والمساواة ،
 وأصله من قولهم : «قصصت أثره» إذا تتبعته ^(٣) ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَالَتْ
 لِأُخْتِهِ قُصِّيه﴾ [الفصل: ١١] ، فكأن المفعول به يتبع ما عمل به فيعمل مثله ^(٤) .
 والقصاص مصدر ؛ لأنه فعال من المفاعلة .

قال الفرء في كتاب المصادر : «قاصصته قصصاً ، وأقصصته : إذا أقدمته من
 أخيه إقصاصاً» ، ويقال : «قصصت أثره قصصاً وقصاً ، وقصصت عليه الحديث
 قصصاً» . قال الله تعالى : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] .

(١) في (أ) : (يعنى) .

(٢) انظر : معنى (كتب) في تفسير الطبري ١٠٢/٢ ، ١٠٣ ، والمحذر الوجيز ٨٣/٢ ، والمفردات ٤٢٥ -
 ٤٢٧ ، والبحر المحيط ٧/٢ ، ٨ . قال الراغب : «يعبر عن الإثبات والتقدير والإيجاب والفرض
 والعزم ، بالكتابة ، ووجه ذلك : أن الشيء يراد ، ثم يقال ، ثم يكتب ، فالإرادة مبدأ ، والكتابة
 منتهى ، ثم يعبر عن المراد الذي هو المبدأ إذا أريد توكيده بالكتابة التي هي المنتهى» .

(٣) في (م) : (تبعته) .

(٤) تفسير الثعلبي ١٧٦/٢ .

وقال في قصّ الأثر: «﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾» [الكهف: ٦٤]: والقَصُّ جائز في هذين. هذا كلامه. وأراد بالقصاص هاهنا: المماثلة في النفوس والجروح.

وقال الأزهري: «أصل القَصِّ: القطع»، وقال أبو زيد: «قَصَصْتُ ما بينهما، أي: قطعت»، وقال الأزهري: «والقِصاص في الجراح مأخوذ من هذا، وهو أن يُجرحَ مثل ما جرح، أو يُقتلَ مثل ما قُتل»^(١)، والقول الأوّل أشهر؛ لأن القِصاص والمقاصة في غير الجراح، يقال: «قاصّه في الحساب وغيره: إذا أخذ الشيء مكان غيره».

وقال الليث: «القِصاص والتقاص»^(٢) في الجراحات والحقوق شيء بشيء»^(٣)، وهذا يبين أن معنى القِصاص اعتبار المماثلة والمساواة^(٤)، وليس معنى الآية أن القِصاص واجب علينا حتى لا يسعنا تركه، ولكن معناه أن اعتبار المماثلة بين القتلى فرض علينا، فالفرضية ترجع إلى اعتبار المماثلة بين^(٥) الدماء، لا إلى نفس القِصاص، حتى يلزم قتل القاتل حتماً، فالقِصاص حيث يجب إنما يجب إذا وُجدت المساواة، وهذا يؤكد أن القول في اشتقاق القِصاص في اللغة إنما هو من الاتباع، لا من القطع كما قاله الأزهري؛ لأنه لو كان من القطع لوجب القِصاص حتى لا يسعنا تركه^(٦).

(١) تهذيب اللغة (قصّ) ٣/٢٩٧٦، وعبارته: «والقِصاص في الجراح مأخوذ من هذا، يجرحه مثل جرحه إياه، أو قتله به».

(٢) في (ش): (والتقصاص).

(٣) نقله عنه في تهذيب اللغة ٣/٢٩٧٦، ولسان العرب (قصّ) ٦/٣٦٥٢.

(٤) انظر: معنى (القِصاص) في تفسير الطبري ٢/١٠٢، ١٠٣، واللسان (قصّ) ٦/٣٦٥٢.

(٥) في (أ) و(م): (من).

(٦) انظر: تفسير الطبري ٢/١٠٢، ١٠٦، وزاد المسير ١/١٨٠، والتفسير الكبير ٥/٤٨. قال ابن عطية

في المحرر الوجيز ٢/٨٣: «وصورة فرض القِصاص هو أن القاتل فرض عليه إذا أراد الولي القتل الاستسلام لأمر الله، والانتقاد لقصاصه المشروع، وأن الولي فرض عليه الوقوف عند قتل قاتل وليه، وترك التعدي على غيره، كما كانت العرب تتعدى وتقتل بقتيلها الرجل من قوم قاتله، وأن الحكام =

وقوله تعالى : ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ : أراد الحرُّ يقتص بالحُرِّ ، فحذف لدلالة ذكر القِصَاص عليه . والحرُّ نقيض ^(١) العبد ، قال أهل الاشتقاق : «أصله من الحرِّ الذي هو ضد ^(٢) البرد ، وذلك أن الحرَّ له من الأنفة وحرارة الحمية ما يبعثه على المكرمة ، بخلاف العبد ، ثم قيل للأكرم من كل شيء : حرُّ تشبيهاً بالرجل الحرِّ» ^(٣) .

قال المفسرون : «نزلت الآية في حَيِّينٍ مِنَ الْعَرَبِ ، لأَحَدِهِمَا طَوْلٌ عَلَى الْآخَرِ ، فكانوا يتزوجون نساءهم بغير مهور ، فقتل الأَوْضُعُ مِنْهُمَا مِنَ الشَّرِيفِ قَتْلًا ، فحلف الشريف لَيَقْتُلَنَّ الْحُرَّ بِالْعَبْدِ ، وَالذَّكَرَ بِالْأُنْثَى ، وَلْيُضَاعِفَنَّ الْجِرَاحَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ؛ لِيَعْلَمَ أَنَّ الْحُرَّ الْمُسْلِمَ كَفَّءٌ لِلْحُرِّ الْمُسْلِمِ ، وَكَذَلِكَ الْعَبْدُ لِلْعَبْدِ ، وَالذَّكَرُ لِلذَّكَرِ ، وَالْأُنْثَى لِلْأُنْثَى» ^(٤) .

ولم تدل ^(٥) الآية على أن الذَّكَرَ لَا يُقْتَلُ بِالْأُنْثَى ، ولكنها بَيَّنَّتْ أَنَّ مَنْ قُتِلَتْ لَهُ أَنْثَى فَقَالَ : لَا أَقْتُلُ بِهَا إِلَّا رَجُلًا مُتَعَدِّ غَيْرِ مُنْصَفٍ ، فَأَمَّا قَتْلُ الذَّكَرِ بِالْأُنْثَى

وأولى الأمر فرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود ، وليس القصاص باللزام ، إنما اللزام أن لا يتجاوز القصاص إلى اعتداء ، فأما إذا وقع الرضى بدون القصاص من دية أو عفو فذاك مباح ، فالآية معلمة أن القصاص هو الغاية عند التشاح» .

(١) في (ش) : (يقتص) .

(٢) في (م) : (نقيض) .

(٣) انظر : معاني (الحر) في تهذيب اللغة : ١/ ٧٨٠-٧٨٣ ، واللسان ٢/ ٨٢٧-٨٣٢ .

(٤) انظر : سبب النزول في تفسير الطبري ٢/ ١٠٣ ، ومعاني القرآن للفرّاء ١/ ١٠٨ ، والمحرم الوجيز

٢/ ٨٣ ، ٨٤ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٧٥ ، وأسباب النزول للواحدي ٥٢ ، ٥٣ ، وزاد المسير ١/ ١٨٠ ، والعجاب لابن حجر ١/ ٤٢٣-٤٢٦ ، ولباب النقول للسيوطي ٣٢ ، ٣٣ . وقد استطرده الطبري -رحمه الله- في ذكر أسباب نزول الآية ، وكلها تدور حول هذا المعنى الذي ذكره الواحدي .

(٥) في (ش) : (تدلك) .

(٦) في (م) : (لم) .

فمستفاد من إجماع الأمة ؛ لأنها تساويا في الحرمة ، والميراث ، وحد الزنى ، والقذف وغير ذلك ، فوجب أن يستويا في القصاص ^(١) .

قال الفراء : « هذه الآية منسوخة بقوله : ﴿ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ [المائدة : ٤٥] » ^(٢) ، وكان عنده هذه الآية تدل على أن الرجل إنما يقتل بالذکر ولا يقتل بالأنثى ؛ لأنه قال : ﴿ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى ﴾ فلما لم يعمل بهذا وعمل بقوله : ﴿ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ جعل هذه الآية منسوخة ، والصحيح أن هذه الآية غير منسوخة ؛ لأن حُكْم الآية ثابت ، ولم تدل على أن الذکر لا يقتل بالأنثى ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ : معنى العفو هو ترك الواجب من أرش ^(٤) جناية ، أو عقوبة ذنب ، أو ما استوجبه الإنسان بما ارتكبه من جناية ، فصنع عنه ، وترك له من الواجب عليه ^(٥) .

(١) تفسير الثعلبي ١٧٧/٢ ، وانظر : تفسير الطبري ١٠٥/٢ ، وأحكام القرآن للكنيا الهراسي ٤٤/١ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٦٣/١ ، وتفسير القرطبي ٢٢٧/٢ ، والبحر المحيط ١١/٢ ، وقد حكى هؤلاء الثلاثة الإجماع على ما ذكره المؤلف ، والمحرم الوجيز ٨٤/٢ ، وتفسير البغوي ١٨٩/١ .

(٢) معاني القرآن للفراء ١٠٩/١ .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ٢٢٧/٢ . قال ابن عطية في المحرم الوجيز ٨٤/٢ ، ٨٥ : « روي عن ابن عباس أن الآية نزلت مقتضية أن لا يقتل الرجل بالمرأة ، ولا المرأة بالرجل ، ولا يدخل صنف على صنف ، ثم نسخت بآية المائدة : (أن النفس بالنفس) » . قال القاضي أبو محمد (ابن عطية) : « هكذا روي ، وآية المائدة إنما هي إخبار عما كتب على بني إسرائيل ، فلا يترتب النسخ إلا بما تلقى عن رسول الله ﷺ ، من أن حكمتنا في شرعنا مثل حكمهم » ، وروي عن ابن عباس في ما ذكر أبو عبيد وعن غيره أن هذه الآية محكمة ، وفيها إجمال فسرته آية المائدة ، وأن قوله هنا : (الحر بالحر) ، يعم الرجال والنساء ، وقاله مجاهد .

(٤) الأرش : ما يأخذه المشتري من البائع إذا اطلع على عيب في المبيع ، وأروش الجنايات والجراحات من ذلك ، لأنها جارية لها عما حصل فيها من النقص ، وسُمي أرشاً ؛ لأنه من أسباب النزاع ، يقال : « أرشت بين القوم » إذا أوقعت بينهم . النهاية ٣٣ .

(٥) هو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وعطاء ، والشعبي ، وقتادة ، والربيع ، وغيرهم . انظر : تفسير عبد الرزاق ٦٦/١ ، وتفسير الطبري ١٠٧/٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٩٥/١ ، وتفسير الثعلبي ١٨١/٢ .

وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾: أراد من دم أخيه، فحذف المضاف للعلم به^(١)، وأراد بالأخ: المقتول، سَمَاهُ أَخًا للقاتل، فدلَّ أن أخوة الإسلام بينهما لا تنقطع، وأن القاتل لم يخرج عن الإيمان بقتله^{(٢)(٣)}.

وفي قوله: (شيءٌ) دليل على أن بعض الأولياء إذا عَفَا سَقَطَ القود؛ لأن شيئاً من الدم قد بطل بعفو بعضهم^(٤)، والله تعالى قال: ﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾، والكنائتان في قوله: ﴿لَهُ﴾ و﴿أَخِيهِ﴾ ترجعان إلى (مَنْ) وهو القاتل^(٥)، ولا يحتاج أن يقال: (أخيه المقتول)؛ لأن هذا الحكم لا يثبت ولا يوجد إلا عند القتل. هذا الذي ذكرنا من معنى قوله: ﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ هو الذي عليه عامة المفسرين وأهل المعاني وإن لم^(٦) يُبَيِّنُوا هذا البيان^(٧).

وقال الأزهرى: «هذه الآية فيها إشكال، وقد فسرها ابن عباس وغيره من المفسرين على جهة التقريب وقدر أفهام من شاهدتهم من أهل عصرهم. وأهل عصرنا لا يكادون يفهمون عنهم ما أومأوا إليه حتى يزداد في البيان، ويوضح بعض الإيضاح، ونسأل الله التوفيق».

(١) البحر المحيط ١٢/١.

(٢) في (ش): (بقلبه).

(٣) البحر المحيط ١٢/١، والتفسير الكبير ٥/٥٤، والمحزر الوجيز ٢/٨٨.

(٤) البحر المحيط ١٣/١، والتفسير الكبير ٥/٥٤.

(٥) تفسير البغوي ١/١٩١.

(٦) (لم) سقطت من (م).

(٧) انظر: تفسير الطبري ٢/١٠٧، ومعاني القرآن للزجاج ١/٢٤٨، وتفسير البغوي ١/١٩١، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٦٦، والمحزر الوجيز ٢/٨٨، وتفسير القرطبي ٢/٢٣٤، وذكر خمسة تأويلات للآية، وقال: «هذا قول ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، وجماعة من العلماء».

حدثنا محمد بن إسحاق ، ثنا المخزومي ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار^(١) ، عن مجاهد ، قال : «سمعت ابن عباس يقول : كان القصاص في بني إسرائيل ولم تكن الدية ، فقال الله لهذه الأمة : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ إلى قوله : ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾» ، قال : «فالعفو أن تقبل الدية في العمد»^(٢) .

قال الأزهري : «وليس العفو في قوله : ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾ عفواً من ولي^(٣) الدم ، ولكنه عفو من الله جل ذكره ؛ وذلك أنه لم يكن لبني إسرائيل أن يأخذوا الدية ، فجعلها الله لهذه الأمة عفواً منه وفضلاً ، مع اختيار ولي الدم ذلك في العمد ، فذلك قوله : ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ أي^(٤) : من عفا الله له بقبول الدية مع اختياره ، أي : تفضل الله عليه من هذه الأمة ، ولم يكن ذلك الفضل لمن تقدمه ، قال : «وقوله : ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ هاهنا بمعنى البدل ، المعنى : فمن عفا الله له بقبول الدية بدل أخيه المقتول . والعرب تقول : عوّضت^(٥) له من حقه ثوباً ، أي :

(١) هو أبو محمد عمرو بن دينار المكي الأثرم الجمحي مولاهم ، تابعي إمام حافظ ثقة ثبت ، توفي سنة ١٢٦ هـ . انظر : الجرح والتعديل ٦/ ٢٣١ ، والتقريب ٤٢١ ، (٥٠٢٤) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري ٤٤٩٨ ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ ، والطبري في تفسيره ١٠٧/ ٢ ، وكلاهما بهذا الإسناد .

(٣) في (ش) : (ولا) .

(٤) لخص الواحدي كلام الأزهري ، وهذا تمام هذه الجملة ٣/ ٢٢٦ ؛ أي «من عفا الله - جل اسمه - له بالدية حين أباح له أخذها بعدما كانت محظورة على سائر الأمم ، مع اختياره إياها على الدم ، (اتباع بالمعروف) ؛ أي مطالبة للدية بمعروف ، وعلى القاتل أداء الدية إليه بإحسان» ، ثم بين ذلك فقال : «﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ، لكم يا أمة محمد ، وفضل جعله لأولياء الدم منكم ، ورحمة خصكم بها ، ﴿فَمَنْ أَعْدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ ؛ أي من سفك دم قاتل وليه بعد قبوله الدية ، ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ، والمعنى الواضح في قوله : ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ ؛ أي أحل له أخذ الدية بدل أخيه المقتول ، عفواً من الله وفضلاً مع اختياره ، فليطالب بالمعروف» .

(٥) في تهذيب اللغة (عاض) ٣/ ٢٢٨٣ .

أعطيته بدل حقه ثوباً ، وما أعلم أحداً فسر من هذه الآية ما فسرتة ، فتدبره ، فإنه صعب ، واقبله بِشُكْرِ إذ بان لك صوابه ، انتهى كلامه»^(١) .

ولقد أعجب بقوله ، وزلَّ^(٢) في ما تكلف ، وليس الأمر على ما ذكر ، فإن^(٣) قوله : ﴿فَمَنْ عَفَى﴾ عفو من ولي الدم بإباحة الله تعالى ذلك ، ولو كان العفو من الله تعالى لتعینت^(٤) الدية ، وسقط القصاص أصلاً ، ولا معنى لقوله ؛ أي من عفا الله له بقبول الدية ؛ أي تفضل الله به عليه ؛ لأن هذا رخص لولي الدم في العفو ، وهذا التفضل من الله ، وهذا العفو على القاتل لا على ولي الدم . وقوله : ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ ؛ أي بدل أخيه المقتول^(٥) ليس بشيء ؛ لأن قوله : ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ عام في كل المقتول ، وليس المراد به^(٦) أخوة النسب ، وعلى ما ذكره يختص بالأخ من^(٧) طريق النسب ، والحكم في كل مقتول سواء ، وليس لتخصيص الأخ فائدة ، ومن تأمل هذا ظهر له فساد قوله .

وقوله تعالى : ﴿فَأَنْبِئُوا بِالْمَعْرُوفِ﴾ على معنى : فعلية اتباع بالمعروف ، ولو كان في غير القرآن لجاز ؛ فاتباعاً وأداءً على معنى : فليتبع اتباعاً ، وليؤدَّ أداءً^(٨) . قال الفراء : «وهو بمنزلة الأمر في الظاهر ، كما تقول : من لقي العدو فصبراً واحتساباً ، فهذا نصب^(٩) ، ورفع جائر ، على معنى : فعلية» . ومثله في القرآن كثير ، كقوله : ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ [البقرة : ١٩٦] ، ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [النساء : ٩٢] ،

(١) في تهذيب اللغة ٣/ ٢٢٨٣ بمعناه .

(٢) في (م) : (وزاد) .

(٣) في (م) : (ما ذكرنا وقوله) .

(٤) في (م) : (لم ثبتت) .

(٥) في (م) : (العفو) .

(٦) ليست في (م) .

(٧) ليست في (ش) .

(٨) من معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٤٩ ، وانظر : تفسير الطبري ٢/ ١١٠ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٨٢ .

(٩) في (م) : (نصبه) .

و﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ، وليس شيء من هذا إلا ونصبه جائز على أن توقع عليه الأمر . ومما جاء منصوباً قوله : ﴿فَضَرَبَ الرِّقَابَ﴾ [محمد: ٤]^(١) . والمعروف كل ما يتعارفه الناس ولا ينكرونه ، ثم صار اسماً للإحسان والجلود والأخلاق الجميلة ؛ لأنها مما لا ينكر ، وأراد بالمعروف هاهنا : ترك التشديد^(٢) على القاتل في طلب الدية ، ومعناه : فعلى^(٣) وليّ المقتول الاتباع^(٤) بالمعروف في المطالبة بالدية^(٥) ، وهو معنى قول ابن عباس : «يطلب هذا بإحسان ، ويؤدي هذا بإحسان»^(٦) .

وقال بعضهم : «قوله : ﴿فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، والمعنى : فالأمر اتباع بالمعروف ، أو فالحكم فيه اتباع بالمعروف»^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿وَأَدَاءُ﴾ : الأداء : اسم ، من قولك : «أَدَيْتُ إِلَيْهِ الْمَالَ» ، وقد ينوب عن المصدر فيقال : «أَدَيْتُ أَدَاءً» ، مثل قولك : «سَلَّمْتُ سَلَاماً» ، و«كَلَّمْتُ كَلَاماً» . قال الله تعالى : ﴿وَسَرَّحُوهُمْ سَرَاحاً﴾ [الأحزاب: ٤٩] ، وقوله تعالى :

(١) من معاني القرآن للقرآء ١/ ١٠٩ ، ١١٠ بتصرف كبير . انظر : تفسير الطبري ٢/ ١١٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٢) في (أ) و(م) : (التشدد) .

(٣) بياض في (م) .

(٤) في (ش) : (اتباع) .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٢/ ١٠٩ ، والمحذر الوجيز ٢/ ٨٩ .

(٦) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢/ ١٠٩ .

(٧) وهذا اختيار الطبري في تفسيره ٢/ ١١٠ ، وانظر : التفسير الكبير ٥/ ٤٥ ، والمحذر الوجيز ٢/ ٨٩ . قال : «فاتباع رفع على خبر ابتداء مضمّر ، تقديره : فالواجب والحكم اتباع ، وهذا سبيل الواجبات ، كقوله تعالى : ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ﴾ ، وأمّا المندوب إليه فيأتي منصوباً ، كقوله تعالى : ﴿فَضَرَبَ الرِّقَابَ﴾ [محمد: ٤] . قال في البحر المحيط ٢/ ١٤ : «ولا أدري هذه التفرقة بين الواجب والمندوب إلا ما ذكروا من أن الجملة الابتدائية أثبت وأكد من الجملة الفعلية في مثل قوله : ﴿قَالُوا سَلَمْتُ قَالَ سَلَمْتُ﴾ [هود: ٦٩] .

﴿إِلَيْهِ﴾ : الكناية ترجع إلى العافي ، ودل عليه ﴿عَفَى﴾ ؛ لأننا قد ذكرنا أن الفعل يدل على الفاعل ، فكأنه ذُكر^(١) .

وقوله : ﴿يَا حَسَنُ﴾ : قال ابن عباس في رواية عطاء^(٣) : «يريد : أن يؤدي الدية في نجومها ، ولا يَمْطُلَه ، ولا يذهب بشيء^(٤) منها ، هذا هو الإحسان» .

قال المفسرون : «إن الله تعالى أمر الطالب أن يطلب بالمعروف ، ويتبع الحق الواجب له ، من غير أن يطالبه بالزيادة ، أو يكلفه ما لا يوجبه الله ، أو يشدد عليه»^(٥) . كل هذا تفسير المعروف ، وأمر المطلوب منه بالإحسان في الأداء ، وهو ترك المَطْل والتسويق ، وهذا لا يختص بثمان الدم ، بل كل دين فهذا سبيله^(٦) .

وقوله : ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ : قال عطاء عن ابن عباس : «يريد حيث جعل الدية لأمتك يا محمد»^(٧) .

وقال قتادة : «لم تحلَّ الدية لأحد غير هذه الأمة»^(٨) .

(١) في (ش) : كأنها (ذكره) .

(٢) انظر : تفسير الواحدي لقوله تعالى : ﴿وَأَنَّى الْمَالُ عَلَى حِيَةٍ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

(٣) في (م) : (شيئاً) .

(٤) تقدم الحديث عن هذه الرواية .

(٥) تفسير الثعلبي ١٨٢ / ٢ .

(٦) انظر : التفسير الكبير ٥ / ٥٥ ، وتفسير القرطبي ٢ / ٢٣٥ ، ٢٣٦ . وقوله : «بل كل دين فهذا سبيله ، ففي حق الطالب ، قال تعالى : ﴿وَلَن كَانَتْ دُونُ عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ، وفي حق المطلوب ، قال النبي ﷺ : «مطل الغني ظلم يحل عرضه وعقوبته» .

(٧) رواه الطبري بمعناه ١١١ / ٢ ، وابن أبي حاتم ٢٩٦ / ١ .

(٨) رواه الطبري عنه بمعناه ١١١ / ٢ ، وابن أبي حاتم ٢٩٦ / ١ .

وقال المفسرون : «إن الله تعالى كتب على أهل التوراة أن يُقِيدُوا^(١)، ولا يأخذوا الدية، ولا يعفوا؛ وعلى أهل الإنجيل أن يعفوا ولا يُقِيدُوا ولا يأخذوا الدية؛ وخير هذه الأمة بين القصاص والدية والعفو، فقال : ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّرِيكُمُ﴾ ، أي : التخفيف بين هذه الأشياء»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ : قال ابن عباس : «يريد : كما كانت الجاهلية تفعل ، تقتل من قوم القاتل عِدَّةً»^(٣) .

وقال آخرون : «أي : ظلم فوثب على القاتل فقتله بعد أخذ الدية»^(٤) .

وفي هذه الآية أدلة على القدرية :

أحدها : قوله في افتتاح الآية : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ ، ولا خلاف أن القصاص واقع في قتل العمد ، فلم يسقط اسم الإيـان عن القاتل بارتكاب هذه الكبيرة .

والثاني : ما ذكرنا في قوله : (من أخيه) .

والثالث : قوله : ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّرِيكُمُ وَرَحْمَةٌ﴾ ، وهما يلحقان المؤمنين^(٥) .

(١) في (ش) : (ولا يفتدوا) .

(٢) روي نحوه عن ابن عباس ، وسعيد بن جبـير ، ومقاتل بن حيان ، والربيع ، وقتادة . انظر : البخاري ٤٤٩٨ ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ ، وتفسير الطبري ١١٠ / ٢ ، وابن أبي حاتم ٢٩٦ / ١ ، وتفسير الثعلبي ١٨٥ / ٢ .

(٣) لم أجده في تفسير : الطبري وابن أبي حاتم والبغوي ، وذكر الرازي هذا القول ، ولم ينسبه إلى أحد . ٥٥ / ٥ .

(٤) انظر : الآثار التي أوردها الطبري ١١٢ / ٢ عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والربيع ، والحسن ، وعكرمة ، والسُّدِّي ، وابن زيد ، وكذا عن ابن أبي حاتم ٢٩٧ / ١ .

(٥) ذكر هذا الثعلبي في تفسيره ١٩١ / ٢ في مقام الاستدلال على أن القاتل لا يصير كافراً ، ولا يخلد في النار ، وانظر : تفسير البغوي ١٩١ / ١ .

١٧٩. قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ : قال عَظُمُ أَهْلُ التَّأْوِيلِ ^(١) : «معناه أن سافَكَ الدَّم إذا أُقِيدَ منه ارتدع من كان يهْمُ بالقتل ، فكان في الْقِصَاصِ بقاءٌ ؛ لأنه إذا علم أنه إن قَتَلَ قُتِلَ أَمْسَكَ وارتدع عن القتل ، ففيه حياةٌ للذي هَمَّ بقتله ، وحياةٌ للهِامِ أيضاً» ، وقد أخذ الشاعر هذا المعنى ونقله عن الْقِصَاصِ إلى العتاب ، فقال :

أُبْلِغُ أبا مالِكٍ عَنِّي مُغْلَغَلَةً وفي العتابِ حياةً بينَ أقوامٍ ^(٢)

يريد أنهم إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتابُ ، وكَفُّوا عن القتل ، فكان ^(٣) في ذلك حياةٌ . أخذه المتمثلون فقالوا : «بعض القتل أحياء للجميع» ، وقالوا : «القتل أقل للقتل» ^(٤) .

وقال الشُّدِّي : «كانوا يقتلون بالواحد الاثنین والعشرة والمائة ، فلما قصرُوا على الواحد كان في ذلك حياة» ^(٥) .

(١) انظر : بيان كون القصاص حياة في تفسير الطبري ١١٤ / ٢ ، ١١٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٩٧ / ١ ، وتفسير الثعلبي ١٩١ / ٢ ، وتفسير البغوي ١٩١ / ١ ، والمحرق الوجيز ٩١ / ٢ ، والتفسير الكبير ٥٦ / ١ ، وتفسير القرطبي ٢٣٧ / ٢ ، ٢٣٨ ، والبحر المحيط ١٥ / ٢ .

(٢) البيت لهام الرقاشي في مقاييس اللغة ٣٧٧ / ٤ ، ولعصام بن عبيد الزماني في تاج العروس ، وبلا نسبة في لسان العرب (غلل) : ٣٢٨٩ / ٦ .

(٣) في (ش) : (فكفوا عن القتل وكان) .

(٤) انظر : تأويل مشكل القرآن ٦٦ ، ٦٧ ، وأحكام القرآن للجصاص ١٥٩ / ١ ، ويروى المثل بلفظ : «القتل أنفى للقتل ، وأوفى للقتل ، وأكف للقتل» . انظر : الصناعتين لأبي هلال العسكري ١٨١ ، وتفسير الثعلبي ١٩١ / ٢ ، والتفسير الكبير ٥٦ / ٥ ، والدر المصون ٣٥٧ / ٢ ، وعزاه ابن كثير ٢٢٣ / ١ ، ٢٢٤ إلى بعض الكتب المتقدمة .

(٥) رواه بمعناه الطبري في تفسيره ١١٥ / ٢ ، وذكره الواحدي في الوسيط ٢٦٨ / ١ ، والرازي في تفسيره ٥٦ / ٥ .

وقال عطاء عن ابن عباس : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ فرح ، وأراد : أن ولي الدم إذا استوفى القصاص تشفى بذلك وطابت نفسه ، فالتد بالحياء ، ولولا القصاص لتنغص بعيشه ، فكأن حياته موتاً . وقد يبلغ بالإنسان القصور عن إدراك الثأر إلى أن يتمنى الموت ، سيما العرب ، فإنهم أشد الأمم حفاظاً ، وأحرصهم على إدراك الثأر ، والأخذ بالطوائل ، وكل عيش يراد الموت فيه موت ، فإذا زال سبب تمنى الموت بالقصاص كان فيه حياة . ويجوز أن يكون المعنى في هذا ما تذهب إليه العرب من أن قتل القاتل إحياء للمقتول ، يقولون : «أحيا فلان أباه» إذا قتل قاتله ، ومنه :

أحيا أباه هاشمُ بنُ حرملة^(١)

يعني قتل قاتله ، فسماه إحياءً ، فعلى هذا في القصاص حياة للمقتول على معنى أن المراد بالحياء قتل قاتله .

وقوله تعالى : ﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ : أولوا : واحدها ذو ، وهو من الجموع التي لا يفرد واحدها من لفظه ، كالنفور^(٢) ، والرهط ، والقوم ، والخيل ، والإبل ، والنساء^(٣) .

﴿الْأَلْبَابِ﴾ : جمع لب ، ولُب الشيء : خالصه ، وهو الذي يتركب عليه القشر ، وكذلك اللباب ، يقال : «لباب القمح والفسق» ، ولُب اللوز^(٤) والجوز . وسُمي العقل لباً تشبيهاً به ؛ لأنه أشرف خصال المرء ، وأصل لب : اللزوم ،

(١) تمامه :

إذ الملوك حوله مرعبه

البيت لعامر الخنفي ، ذكره في الاشتقاق لابن دريد ٢٩٠ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١١٢/١ ، ١١٣ ، والإصابة ٦١٦/٣ ، وفيه قصة هذا البيت .

(٢) في (م) : (كالنفس) .

(٣) انظر : القاموس ١٣٣ .

(٤) في (م) : (الموز) .

يقال : أَلَبَّ بالمكان ، إذا لزمه لزوم لَبَّ الشيء له ، واللَّبَب : الرمل المتراكم ، سُمِّي للزوم بعضه بعضاً ، ومنه قولُ ذي الرمة :

... أفضى بها لَبَبٌ^(١)

وقال ابن المظفر : «اللَّبَابَةُ : مصدر اللَّيْبِ»^(٢) ، وقد لَبِيتَ تَلَبُّ ، وهكذا قال الفرَّاء .

وغيره : لَبَّ يَلَبُّ : إذا عَقَلَ ، ومنه قول صفية^(٣) في ابنها الزبير^(٤) لما ضربته ، فقيل لها : لم ضربتيه ؟ فقالت : أضربه كي يَلَبَّ ، ويقود الجيش ذا اللَّجَبِ^(٥) .

وقرأتُ على سعيد بن محمد ، قال : قرأتُ على أبي علي الفارسي ، قال : قرأتُ على أبي إسحاق الزَّجَّاج ، قال : قرأتُ على المبرِّد ، عن يونس : «لَبِيتُ لِبَاباً ، وليس في المضاعف حرف على (فَعَلْتُ) غير هذا ، ولم يروه أحدٌ غير يونس»^(٦) .

(١) تمام البيت هكذا :

براقةُ الجِدِّ واللَّبَاتِ واضحةٌ
كأنَّها ظبيَّةٌ أفضى بها لِبَبُ
انظر : ديوانه ٥٩ .

(٢) في (أ) : (اللَّبَب) .

(٣) هي صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، القرشية الهاشمية ، عمه رسول الله ﷺ ، أم الزبير بن العوام ، شقيقة حمزة ، صحابية ، توفيت سنة ٢٠ هـ في خلافة عمر . انظر : أسد الغابة ١٧٢-١٧٤ ، والأعلام ٣/٢٠٦ .

(٤) هو الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي ، أبو عبدالله ، أمه صفية بنت عبد المطلب ، هو أوَّل مَنْ سَلَ سيفاً في سبيل الله ، ما تخلَّف عن غزوة غزاها الرسول ﷺ ، أحد المبشرين بالجنة ، قُتل سنة ٣٦ هـ . انظر : الاستيعاب ٢/٨٩ ، وأسد الغابة ٢/٢٤٩-٢٥٢ .

(٥) الخبر في اللسان (لب) ٣٩٧٩/٧ ، وفيه قالت : «لَيَلَبَّ ، ويقود الجيش ذا الجلب ؛ أي يصير ذا لُب» ، ورواه بعضهم : «أضربه لكي يَلَبَّ ، ويقود الجيش ذا اللجب» . قال ابن الأثير : «هذه لغة أهل الحجاز ، وأهل نجد يقولون : يَلَبُّ ، بوزن فَرَيَفَرُ» .

(٦) انظر : معاني (الليبي) في تهذيب اللغة ٤/٣٢٢٤-٣٢٢٦ ، والمفردات ٤٤٩ ، واللسان (لب) ٣٩٧٩/٧ .

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ؛ أي الدماء مخافة القصاص ^(١) .

١٨٠ . قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ الآية ؛ يعني إذا تيقن حضور الموت ، ورأى أعلامه ، ولم يشك في قربه منه .

فقوله : ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ ؛ يريد أسباب الموت ومقدماته من العلل والأمراض . وكان الإيصاء فرضاً قبل نزول أسباب الموت ، ولكن تضيّق عند نزول سبب الموت حتى لا يجوز التأخير ، فلذلك ^(٢) قال : ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ ، ليس أنه قبل الحضور لم يكتب عليه ^(٣) ، وإنما قال : ﴿كُتِبَ﴾ ؛ لأنه أراد بالوصية الإيصاء ، أو للفصل بين الفعل والوصية ؛ لأن الكلام لما طال كان الفاصل بين المؤنث والفعل كالعوض من تاء التأنيث ، والعرب تقول : «حَضَرَ القاضي امرأة» ، فيذكرون ؛ لأن القاضي فصل بين الفعل والمرأة ، وقد أحكمنا هذا في ما سبق ^(٤) . ورفع ﴿الْوَصِيَّةُ﴾ من وجهين :

أحدهما : على ما لم يُسمَّ فاعله ، والثاني : على الابتداء ، ويكون ﴿لِلْوَالِدَيْنِ﴾ الخبر ، وتكون الجملة في موضع رفع بـ ﴿كُتِبَ﴾ ، كما تقول : «قيل : عبدالله قائم» ، فترفع عبدالله بقائم ، وقائماً بعبدالله ، وتكون الجملة في موضع رفع بـ (قيل) ^(٥) .

(١) تفسير الطبري ١١٥/٢ ، وتفسير الثعلبي ١٩٢/٢ .

(٢) في (ش) : (فكذلك) .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢٥٠/١ ، وتفسير الثعلبي ١٩٣/٢ ، والبحر المحيط ١٦/٢ ، وذكر قولاً آخر هو «أن المراد بالموت حقيقته لا مقدماته ، فيكون الخطاب متوجهاً للأوصياء والورثة أن ينفذوا الوصية» .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٦٠/٥ ، والمحزر الوجيز ٩٢-٩٤ .

(٥) من معاني القرآن للزجاج ٢٥٠/١ ، وانظر : معاني القرآن للفرأء ١١٠/١ ، وتفسير الثعلبي ١٩٣/٢ ، والتفسير الكبير ٦٠/١ ، والبحر المحيط ١٩/١ .

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾: الخير: اسم جامع للمال وغيره، والخير يراد به المال في كثير من القرآن، كقوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، و﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، و﴿مَنْ خَيْرٌ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]^(١).

وقوله تعالى: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ أي بالشيء الذي يعلم ذوو التمييز أنه لا حيف فيه، فهو العدل الذي لا ينكر، يعني: لا يزيد على الثلث^(٢).

وقوله تعالى: ﴿حَقًّا﴾؛ أي حق ذلك عليكم حقاً^(٣).

وقوله تعالى: ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾؛ أي المؤمنين الذين يتقون الشرك^(٤).
وقد اجتمع العلماء على نسخ هذه الآية^(٥).

وكان سبب نزول هذه الآية أن أهل الجاهلية كانوا يوصون بآلهم للبعداء رياءً وسمعةً، ويتركون العيال عالةً، فصرف الله بهذه الآية ما كان يُصرف إلى البعداء إلى الأهل والأقرباء، فَعَمِلَ بها ما كان العمل صلاحاً، ثم نسختها آية المواريث^(٦)، فكانت الوصية للوالدين والأقربين فرضاً على من مات وله مال، حتى نَزَلَتْ آية المواريث في سورة النساء، فأجمعوا على نسخ الوصية للوالدين

(١) انظر: معاني (الخير) في المفردات ١٦٧، ١٦٨، والبحر المحيط ١٧/١.

(٢) من معاني القرآن للزجاج ٢٥٠/١، وانظر: تفسير الطبري ١١٥/٢، وتفسير الثعلبي ١٩٤/٢، والمحزر الوجيز ٩٧/٢.

(٣) من معاني القرآن للزجاج ٢٥١/١، وانظر: تفسير الثعلبي ١٩٤/٢، والمحزر الوجيز ٩٧/٢، والبحر المحيط ٢١/١. وقيل: «نصب على المفعول»؛ أي جعل الوصية حقاً، وقيل: «على القطع من الوصية».

(٤) تفسير الطبري ١١٥/٢، وتفسير الثعلبي ١٩٤/٢.

(٥) تابع المؤلف رحمه الله - الزجاج في معاني القرآن ٢٤٩/١ في هذا الإجماع، وسيأتي في كلامه ما يدل على نقض هذا الإجماع، ومن ذكر الخلاف في الآية فأطنب الإمام الطبري في تفسيره ١١٦/٢، ولو قال رحمه الله: «أجمع العلماء على نسخ حكم هذه الآية في القريب الوارث لكان مقارباً، وهذا ما ذكره بعد عدة أسطر».

(٦) أشار إلى هذا الزجاج في معاني القرآن ٢٥٠/١، وذكره الرازي ٦٠/٥.

والأقربين الذين يرثون^(١)؛ لقوله ﷺ: «ألا إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث»^(٢).

فأمّا الأقرباء الذين لا يرثون، والوالدان اللذان لا يرثان بكفر أو رقٍّ، فهل تجب الوصية لهم؟ اختلفوا، فذهبت جماعة إلى أن الوصية للوارث نُسخت، والوصية لهؤلاء الذين لا يرثون لم تُنسخ، وهو^(٣) مذهب مسلم بن يسار،

(١) رواه عن ابن عباس البخاري ٢٧٤٧، كتاب: الوصايا، باب: لا وصية لوارث، وأبو داود ٢٨٦٩، كتاب: الوصايا، باب: ما جاء في نسخ الوصية للوالدين، والدارمي ٤١٩/٢، ٤٢٠، وأبو عبيد في النسخ والمنسوخ ٢٣٠، والطبري ١١٧/٢-١١٩.

(٢) أخرجه الترمذي ٢١٢٠، كتاب: الوصايا، باب: ما جاء لا وصية لوارث، والنسائي ٢٤٧/٦، كتاب: الوصايا، باب: إبطال الوصية للوارث، وأبو داود ٢٨٧٠، كتاب: الوصايا، باب: ما جاء في الوصية للوارث، وابن ماجه ٢٧١٣، كتاب: الوصايا، باب: لا وصية لوارث، وأحمد في المسند ١٨٦/٤، ١٨٧، عن أبي أمامة الباهلي. وقال الترمذي: «حسن صحيح»، وحسنه الحافظ في التلخيص الحبير ١٠٦/٣. وللحديث روايات ذكرها الزيلعي في نصب الراية ٤٠٣/٤، وقال الحافظ في الفتح ٣٧٢/٥ بعد أن ذكر رواياته: «ولا يخلو إسناد كل منها من مقال، لكن مجموعها يقتضي أن للحديث أصلاً، بل جنح الشافعي في الأم إلى أن هذا المتن متواتر».

وقال ابن عبد البر في التمهيد ٤٤٢/٢٣: «استفاض عند أهل العلم، وقوله: لا وصية لوارث استفاضه هي أقوى من الإسناد والحمد لله».

وقد ذكره السيوطي ضمن الأحاديث في كتابه الأزهار المتناثرة ١١٩، وكذا الكتاني في نظم المتناثرة من الحديث المتواترة ١٧٦. انظر: نصب الراية للزيلعي ٤٠٣/٤.

(٣) في (م): (وهذا).

والعلاء بن زياد^(١)^(٢)، ومسروق^(٣) والحسن^(٤)، حتى قال الضحاك: «من مات ولم يُوصَ لذي قرابته فقد ختم عمله بمعصية»^(٥).

وقال طاوس: «إن أوصى للأجانب^(٦) وترك ذوي قرابته نزعَ منهم، ورُدَّ إلى ذوي قرابته»^(٧).

فعلى قول هؤلاء: النسخ تناول بعض أحكام الآية، وهو الوصية للوارث^(٨). والأكثر من العلماء يرون أن حكم الآية كله^(٩) منسوخ، لا تجب على أحد وصية لأحد قريب ولا بعيد، وإذا أوصى فله أن يُوصي لكل مَنْ شاء من الأقارب والأباعد إلا الوارث^(١٠).

- (١) العلاء بن زياد بن مطر العدوي، أبو نصر البصري، ثقة، أحد العباد، توفي في ولاية الحجاج سنة ٩٤ هـ. انظر: الثقات ٢٤٦/٥، وتهذيب التهذيب ٣/٣٤٣.
- (٢) رواه عن مسلم والعلاء في أثر واحد ابن أبي شيبه في المصنف ١١/١٦٦، وأبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ٢٣٢، والطبري في تفسيره ٢/١١٨.
- (٣) هو أبو عائشة، مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني، تابعي ثقة، من أخص تلاميذ ابن مسعود، كان عابداً فقيهاً مقرأً، توفي سنة ١٦٢ هـ، وقيل بعدها. انظر: السير ٤/٦٣-٦٩، والأعلام ٧/٢١٥.
- (٤) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢/١١٨.
- (٥) رواه الطبري في تفسيره ٢/١١٦، وسعيد بن منصور في السنن ١/١٣٥، ط. الأعظمي، وذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ ١/٤٨٤، ومكي في الإيضاح ١٤٤.
- (٦) في (ش): (الأجانب).
- (٧) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٩/٨١، والطبري في تفسيره ٢/١١٧، وعزاه في الدر ١/٣١٩ إلى عبد بن حميد، وذكره الثعلبي في تفسيره ٢/١٩٨، والرازي في تفسيره ٥/٦٣.
- (٨) عز الطبري في تفسيره ٢/١١٧، ١١٨ القول بذلك أيضاً إلى ابن عباس، وقتادة، والربيع، وإياس بن معاوية.
- (٩) سقطت من (م).
- (١٠) انظر: تفسير الطبري ٢/١١٧، وتفسير ابن أبي حاتم ١/٢٩٩، ومعاني القرآن للزجاج ١/٢٥٠، والناسخ والمنسوخ للنحاس ١/٤٨٤، وتفسير البغوي ١/١٩٢، والمحرم الوجيز ٢/٩٧، والبحر المحيط ١/١٧، والتفسير الكبير ٥/٦٢.

قال أبو عبيد : «وعلى هذا القول أجمعت العلماء من أهل الحجاز وتهامة والعراق والشام ، منهم سفيان ومالك الأوزاعي^(١) والليث ، وجميع أهل الآثار والرأي ، وهو القول المعمول به ، أن الوصية جائزة للناس كلهم ، ما خلا الورثة ، غير واجبة»^(٢) .

والخير في هذه الآية حُمِلَ على المال الكثير^(٣) ، فقد روي عن علي - رضي الله عنه - أنه دخل على مريض يعود ، فقال : إني أريد أن أوصي ، فقال علي : إن الله - عز وجل - يقول : ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ وإنما تدع شيئاً يسيراً ، فدعه لعيالك ، فإنه أفضل^(٤) .

(١) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو يحمدا الأوزاعي ، شيخ الإسلام ، وعالم أهل الشام ، أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلمياً وورعاً وفضلاً وزهداً ، توفي سنة ١٥٩ هـ . انظر : السير ١٠٧/٧ - ١٣٨ ، والأعلام ٣/ ٣٢٠ .

(٢) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ٢٣١ .

(٣) الخير هنا : المال ، في قول المفسرين كافة ، وقد اختلف المفسرون فيه : فمنهم من جعل له حداً معيناً ، فمن ترك ذلك أوصى ، وإلا فلا ، واختلفوا في ذلك الحد ، ومنهم من قيده بوصف ، وهو المال الكثير عرفاً كما بيّنه الواحدي ، ومنهم من أطلق في القليل والكثير ، كما روي عن الزهري ، ونصره الطبري . انظر : تفسير الطبري ٢/ ١٢١ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٢٩٩ ، والتفسير الكبير ٥/ ٥٩ ، والبحر المحيط ١٧/ ١ .

(٤) رواه الثوري في تفسيره ٥٥ ، وعنه عبد الرزاق في المصنف ٩/ ٦٣ ، والدارمي في سننه ٢/ ٤٠٥ ، والطبري في تفسيره ٢/ ١٢١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٩٨ ، وسعيد بن منصور في سننه ٢/ ٦٥٩ ، والبيهقي ٦/ ٢٧٠ ، وابن أبي شيبه في المصنف ١١/ ٢٠٨ ، والحاكم في المستدرک ٢/ ٣٠١ . وقال : «صحيح على شرط الشيخين» ، وتعقبه الذهبي بقوله : «فيه انقطاع يعني الانقطاع بين عروة بن الزبير وعلي رضي الله عنه» .

وروي أيضاً أن رجلاً قال لعائشة رضي الله عنها : إني أريد أن أوصي ، قالت : كم مالك ؟ قال : ثلاثة آلاف ، قالت : كم عيالك ؟ قال : أربعة ، قالت : إنما قال الله : ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾ ، وإن هذا شيء يسير ، ^(١) فاتركه لعيالك ^(٢) .

١٨١ . قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ ﴾ : الكناية تعود إلى الإيصاء ؛ لأن الوصية في معنى الإيصاء ، ودالة ^(٣) عليه ، كقوله : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ؛ أي وعظ . وقيل : الهاء ^(٤) راجعة إلى الحكم والفرض ؛ إذ كان تأويل ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾ : فُرض عليكم ، فكأنه قال : فَمَنْ بَدَّلَ فرض الله ، فيدل ﴿ كُتِبَ ﴾ على الكُتِبَ فيُكنى عنه .

وقيل : «الكناية تعود إلى معنى الوصية ، وهو قول أو فعل» ^(٥) ، قال المفسرون : «أي : فَمَنْ غَيَّرَ الوصية من الأوصياء والأولياء والشهود ﴿ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ ﴾ من الميت» ^(٦) .

وما : صلة زائدة . والكناية في ﴿ سَمِعَهُ ﴾ ترجع إلى حيث رجعت الكناية ^(٧) في ﴿ بَدَّلَهُ ﴾ . وقيل : «(ما) بمعنى الذي ، والكناية في ﴿ سَمِعَهُ ﴾ راجعة إليه» . والمعنى : فَمَنْ بَدَّلَهُ بعد الذي سمعه ؛ أي من تغليظ الإثم في التبديل ، والعادة في

(١) في (م) : (شيئاً يسيراً) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٢٠٨/١١ ، وسعيد بن منصور في السنن ٦٥٦/٢ ، والطبري في تفسيره ١٢١/٢ ، والبيهقي في الوصايا ، باب : من استحسب ترك الوصية إذا لم يترك شيئاً كثيراً ٢٧٠/٦ ، ونحوه عن عبدالرزاق في الوصايا ، باب : الرجل يوصي وماله قليل ٦٣/٩ .

(٣) في (ش) : (دالة) بلا واو عطف .

(٤) في (م) : (إنها) .

(٥) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٦٧ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٥١/١ ، وتفسير الطبري ١٢١/٢ ، وتفسير الثعلبي ٢٠٧/٢ .

(٦) انظر : تفسير الثعلبي ٢٠٧/٢ ، والبحر المحيط ٢٢/٢ ، والتفسير الكبير ٦٤/٥ ، والبيان للعكبري : ١١٤ .

(٧) سقطت من (م) .

الوصايا أن يُذكَرَ فيها تغليظٌ على مَنْ بَدَّلَهَا ، وهذا فيه بُعْدٌ ؛ لأنَّ التغليظَ ذِكْرٌ بعد قوله : ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾ ، وهو قوله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ ، فيبعد أن تجعل (ما) بمعنى الذي ^(١) .

وقوله : ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾ ؛ أي إثم التبديل على الذين يبدلونه ^(٢) ؛ أي على مَنْ بَدَّلَ الوصية ، وَبَرِئَ المِيتُ ^(٣) .

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ : قد سمع ما قاله الموصي ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيته وما أراد ، وعليم بما يفعلُه الوصي ^(٤) . ويحتمل أن يكون المنهي عن التبديل الموصي نهى عن تغيير الوصية عن المواضع التي بيّن الله سبحانه ، وأمر أن يوصي على الوجه الذي أمر الله ، وعلى هذا قوله : ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾ ؛ أي عن ^(٥) الله تعالى ^(٦) .

١٨٢ . قال الكلبي : «كان الأولياء والأوصياء يمضون وصية الميت بعد نزول هذه الآية وإن كانت مستغرقة للمال ، فأنزل الله قوله تعالى : ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا﴾ ^(٧) أي : خشي ، وقيل : علم» .

(١) انظر هذه الأقوال في : تفسير الطبري ١٢٢/٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٠٠/١ ، والبيان للعكبري ١١٤ ، والتفسير الكبير ٦٤/٥ ، والبحر المحيط ٢٢/٢ .

(٢) من قوله : «فيبعد» ساقط من (ش) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٢٢/٢ ، ١٢٣ ، والثعلبي ٢٠٨/٢ ، والبغوي ١٩٤/١ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٢٣/٢ ، والثعلبي ٢٠٨/٢ ، والبغوي ١٩٤/١ .

(٥) في (م) : (من) .

(٦) انظر : التفسير الكبير ٦٤/٥ .

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره ٢١٧/٢ ، لكنه قال : «ثم نسختها هذه الآية : (فمن خاف من موص جنفاً)» ، وذكره البغوي في تفسيره ١٩٤/١ ، وروى عبدالرزاق في المصنف ٨٩/٩ عن سفيان الثوري نحوه .

والخوف^(١) والخشية يُستعملان بمعنى العِلْم ؛ لأن في الخشية والمخافة طرفاً من العِلْم ؛ لأن القائل إذا قال : «أخاف أن يقع أمر كذا» ، كأنه يقول^(٢) : «أعلم» ، وإنما يخاف لعلمه بوقوعه ، فاستعمل الخوف في العلم . قال الله تعالى : ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾ [الكهف : ٨٠] ؛ أي علمنا ، ومنه : ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام : ٥١] ، وقوله : ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَ إِلَّا يُقِيمَا﴾ [البقرة : ٢٢٩]^(٣) .

وقوله : ﴿جَنَفًا﴾ ؛ أي ميلاً ، يقال : «جَنَفَ يَجْنَفُ جَنَفًا : إذا مال» ، وكذلك تجانف ، ومنه قوله : ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ [المائدة : ٣]^(٤) .

قال ابن عباس : «يريد : خطأ من غير عمد»^(٥) .

قال عطاء : «هو أن يُعطي عند حضور أجله بعض ورثته دون بعض»^(٦) .

وقال طاوس : «جَنَفُهُ : توليجه ، وهو أن يوصي لولد ولده ، يريد ولدَه»^(٧) .

وقوله تعالى : ﴿أَوْثَمًا﴾ ؛ أي قصداً للميل . قال السُّدِّي^(٨) والربيع^(٩) وعطية^(١٠) : «الجنف : الخطأ ، والإثم : العمد» .

(١) في (ش) : (فالخوف) .

(٢) في (م) : (قال) .

(٣) انظر : تفسير غريب القرآن ٦٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٠١ / ١ ، وتفسير الثعلبي ٢٠٨ / ٢ ، والمحزر الوجيز ٩٨ / ٢ ، وتفسير البغوي ١٩٤ / ١ ، والتفسير الكبير ٦٦ / ٥ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٢٣ / ٢ ، والمفردات ١٠٨ ، والتفسير الكبير ٦٥ / ٥ .

(٥) رواه الطبري ١٢٤ / ٢ ، وابن أبي حاتم ٣٠٢ / ١ . وقال : «وروي عن أبي العالية ، ومجاهد ، والضحاك ، والسُّدِّي ، والربيع بن أنس نحو ذلك» .

(٦) رواه عنه الطبري بنحوه ١٢٤ / ٢ ، وابن أبي حاتم ٣٠١ / ١ .

(٧) رواه عنه الطبري بنحوه ١٢٥ / ٢ ، وابن أبي حاتم ٣٠١ / ١ .

(٨) رواه عنه الطبري ١٢٥ / ٢ .

(٩) رواه عنه الطبري ١٢٧ / ٢ .

(١٠) رواه عنه الطبري ١٢٧ / ٢ .

فمن قال : (خاف) معناه خشي ، قال : تأويل الآية : من حَضَرَ مريضاً وهو يُوصي ، فخاف أن يخطئ في وصيته فيفعل ما ليس له ، أو يعتمد جوراً فيها فيأمر بما ليس له ، فلا حَرَجَ عليه أن يُصلح بينه وبين ورثته ، بأن يأمره بالعدل ، وهذا قول مجاهد^(١) .

ومن قال : «(خاف) معناه عَلِمَ» ، قال : «الميت إذا أخطأ في وصيته ، أو حاف فيها متعمداً ، فلا حَرَجَ على مَنْ علم ذلك أن يُغَيِّرَهُ ، ويصلح بعد موته بين ورثته والموصى لهم ؛ من : وليٍّ ، أو وصيٍّ ، أو والي أمر المسلمين ، ويردّ الوصية إلى العدل» ، وهذا معنى قول ابن عباس^(٢) وقتادة^(٣) والربيع^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ : يريد بين الورثة والمختلفين في الوصية ، وهم الموصى لهم . وسياق الآية ، وذكر الوصية يدل عليهم ، فكفى عنهم^(٥) .

وقال الكسائي والفرّاء^(٦) : «قوله : (أصلح) يدل على أن الصلح يكون بين الورثة والموصى لهم» ، وقال الكسائي : «لأنَّ أصلح لا يكون على واحد ، لا تقول : أصلحت بينه ، ولكن بينهما ، أو بينهما» .

(١) تفسير مجاهد ٩٦/١ ، وانظر : تفسير الطبري ١٢٣/٢ ، وعزاه في الدر ٣٢٠/١ إلى عبد بن حميد ، وهذا اختيار الطبري .

(٢) رواه عنه الطبري ١٢٤/٢ ، وابن أبي حاتم ٣٠٣/١ ، وروي عن أبي العالية ، وطاوس ، والحسن ، وإبراهيم ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، ومقاتل نحو ذلك .

(٣) رواه عنه عبدالرزاق في تفسيره ٦٩/١ ، والطبري في تفسيره ١٢٤/٢ ، والجصاص في أحكام القرآن ١٧١/١ .

(٤) رواه عنه الطبري في تفسيره ١٢٤/٢ ، وذكره ابن أبي حاتم ٣٠٣/١ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٢٥١/١ ، وتفسير الثعلبي ٢١٦/٢ ، والتفسير الكبير ٦٧/٥ ، والبحر المحيط ٢٤/١ .

(٦) معاني القرآن للفرّاء ١١١/١ .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ : إنما قال للمتوسط للإصلاح : ليس عليه إثم ، ولم يقل فله الأجر ؛ لأنه ذكر إثم التبديل ، ونفى الإثم عن المصلح ، ليبين أنه ليس بمبدل^(١) .

١٨٣ . قوله تعالى : ﴿كُنِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ الآية : الصيام : مصدر صام كالقيام ، وأصله في اللغة : الإمساك عن الشيء والترك له ، ومنه قيل للصمت : صوم ؛ لأنه إمساك عن الكلام . قال الله تعالى : ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم : ٢٦] ، وصام النهار : إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة . قال امرؤ القيس :

فَدَعَهَا وَسَلَّاهُمْ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ذَمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَرَا^(٢)
وقال آخر :

حتى إذا صَامَ النَّهَارُ وَاعْتَدَلَ^(٣)

(١) التفسير الكبير ٦٧/٥ ، وذكر أربعة أوجه .

(٢) البيت لامرئ القيس في ديوانه ٦٣ ، والكامل للمبرد ٨٩/٣ ، وأساس البلاغة (كنز) ، ولسان العرب (صوم) ٢٥٣٠/٤ . الجسرة : الناقة الشبيطة ، والذمول : السير السريع ، وهجرا : من الهاجرة ، وهي شدة الحر . انظر : الديوان ٦٣ .

(٣) ورد هذا الرجز بلا نسبة في تفسير الثعلبي ٢٢٦/٢ بعده عنده :
وسالَ للشمس لعاباً فتزل
وكذا في تهذيب اللغة ١٥٨١/٢ ، وفي لسان العرب (ذوب ، زيق) ١٥٢٤/٣ ، ١٩٠١/٣ بالرواية الآتية :

وقامَ ميزانُ النهارِ فاعتدل

وصامت الريح : إذا ركدت ، وصام الفرس : إذا قام على غير اعتلاف ، ومنه قول النابغة :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ^(١)

ويقال : «بكرة صائمة» إذا قامت فلم تدر ، وقال الراجز :

والبَكَراتُ شَرُّهُنَّ الصَّائِمَةِ^(٢)

ومَصَامُ الشمس : حيث تستوي في مُتَصفِ النهار ، وكذلك مَصَامُ النجم ، وروي في شعر امرئ القيس :

كَأَنَّ نُجُومًا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا

بَأْمَرِاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ^(٣)

هذا هو الأصل في اللغة^(٤) .

وفي الشريعة : هو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع مع اقتران النية به^(٥) .

(١) عجز البيت :

تَحْتَ الْعَجَاجِ وَأُخْرَى تَعْلُكُ اللَّجْمَا

في ملحق ديوانه ٢٤٠ ، والكامل للمبرّد ٨٩/٣ ، ولسان العرب (علك) ٣٠٧٧/٥ ، (صوم) ٣٥٢٩/٤ .

(٢) ذكره في البحر ٢/٢٦ ، ولم ينسبه ، وذكره في اللسان ٣٣/٢ ، وقوله : «الصائمة» : أي التي لا تدور .

(٣) انظر : ديوانه ١٩ ، واللسان (صوم) ٢٥٣٠/٤ .

(٤) انظر : صوم في تفسير الطبري ١٢٨/٢ ، وتفسير الثعلبي ٢/٢٢٥ ، والمفردات ٢٩٣ ، والبحر المحيط ٢/٢٦ ، واللسان ٢٥٣٠/٤ ، وأساس البلاغة ٣٣/٢ .

(٥) انظر : تعريفه في المغني ٣٢٣-٣٢٥ ، والمحرم الوجيز ٩٩/٢-١٠٢ .

وإجماع المفسرين على أن المراد بهذا الصيام هو صيام شهر رمضان^(١)، وقد كان الفرض في ابتداء الإسلام صومَ يوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر، فُنسخ ذلك بصيام رمضان قبل قتال بدر بشهرين^(٢).

وقوله تعالى: ﴿كَمَا كُنِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: قال بعضهم: «التشبيه عائد إلى الإيجاب، فنحن متعبدون بالصيام كما تعبد الله من قبلنا من الأمم وأهل الكتابين»^(٣).

وقيل: «إن التشبيه يعود إلى وقت الصوم، وقدر الصوم»^(٤)؛ وذلك أن الله تعالى فرض صيام رمضان على اليهود والنصارى. فأما اليهود فإنها تركت الشهر

(١) حكى الواحدي هذا الإجماع في الوسيط ٢٧٢/١، ولا يسلم له؛ لورود الخلاف؛ إذ ترى جماعة أن المراد صيام ثلاثة أيام من كل شهر، أو صيامها وصيام عاشوراء، على خلاف بين القائلين بذلك، وبه قال قتادة وعطاء، وروي عن ابن عباس.

وقد بين الحافظ في الفتح ١٧٨/٨ أن الناس اختلفوا في التشبيه الذي دلّت عليه الكاف: هل هو على الحقيقة، فيكون صيام رمضان قد كتب على الذين من قبلنا؟ أو المراد: مطلق الصيام دون وقته وقدره؟ قولان، والثاني قول الجمهور. انظر: ذكر الخلاف في تفسير الطبري ١٣٠/٢، والمحرم الوجيز ٩٩-١٠٢، والنكت والعيون ٢٣٥/١، والإجماع في التفسير ١٩٩، ٢٠٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٢٩/٢، ١٣٠، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٠٤/١، ٣٠٥، والدر المنثور ٣٢٢/١. قال البغوي ١٩٦/١: «قيل: كان في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر، ثم نسخ بصوم رمضان»، ويقال: «نزل صوم شهر رمضان قبل بدر بشهر وأيام». قال محمد بن إسحاق: «كانت غزوة بدر يوم الجمعة، لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة»، ثم ذكر حديث عائشة في الصحيحين، قالت: «كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان كان هو الفريضة، وترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه». البخاري ٢٠٠٢، كتاب: الصوم، باب: صوم عاشوراء، ومسلم ١١٢٥، كتاب: الصوم، باب: صوم عاشوراء.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٢٩/٢، والمحرم الوجيز ١٠١/٢.

(٤) روي عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، والشَّدي. انظر: تفسير الطبري ١٢٩/٢، ١٣٠، وابن أبي حاتم ٣٠٥/١، والثعلبي ٢٣٢/٢، والمحرم الوجيز ١٠١/٢.

وصامت يوماً من السنة تزعم^(١) أنه يوم غرق فرعون ، وكذبت في ذلك أيضاً ؛ لأن ذلك اليوم يوم عاشوراء على لسان رسول الله ﷺ .

فأما النصارى فإنهم حَوَّلوا صيامهم إلى فصل اعتدال الهواء ؛ لأنهم ربما صاموه في القيظ ، فكان يشتدُّ عليهم ، فاستدعوا أحبارهم أن ينقلوا الصوم إلى وقت اعتدال الهواء ، ويزيدوا عليه زيادة ، ففعلوا ، وزادوا عشرة أيام ، ثم إن خبراً لهم اشتكى فمه ، فنذر إن^(٢) شُفي أن يزيد في صومهم عشرة أيام ، فبراً فزاد ، فصومهم اليوم خمسون يوماً ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]^(٣) .

وقال الشعبي : «إنهم أخذوا بالوثيقة فصاموا قبل الثلاثين يوماً ، وبعدها يوماً ، ثم لم يزل الآخر يَسْتَنُّ بِسُنَّةِ القرن^(٤) الذي قبله حتى صاروا إلى خمسين يوماً ، ولهذا كره صوم يوم الشك»^(٥) .

(١) في (ش) : (بزعم) .

(٢) في (ش) : (لأن) .

(٣) رواه الطبري ١٢٩/٢ عن السُّدي ، وذكره الفراء في معاني القرآن ١١٢/١ ، والثعلبي ٢٣٣/٢ ، والبغوي ١٩٥/١ . وعند الثعلبي أن الذي اشتكى ملك وليس خبراً ، وقد روي نحوه مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، فقد روى البخاري في التاريخ الكبير ٢٥٤/٣ ، والطبراني في الكبير ٢٢٦/٤ ، والأوسط ٩٠/٩ ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ٤٩٢/١ عن دغفل بن حنظلة ، والطبراني في الكبير وقفه عليه . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٢/٣ : «رواه الطبراني في الأوسط مرفوعاً ، ورواه الطبراني في الكبير موقوفاً على دغفل ، ورجال إسنادهما رجال الصحيح» ، وقال المنيع في تحقيق تفسير الثعلبي ٢٣٤/٢ : «الحديث مرسل ، دغفل بن حنظلة مخضرم ، ولم يصح أن له صحبة» .

(٤) في (ش) : (القران) .

(٥) ذكره الفراء في معاني القرآن ١١١/١ ، ورواه الطبري عنه ١٢٩/٢ ، والثعلبي ٢٣٤/٢ . وقد ورد النهي عن صيام يوم الشك في أحاديث ، منها : حديث أبي هريرة ، رواه البخاري ١٩١٤ ، كتاب : الصوم ، باب : لا يتقدم من رمضان بصوم يوم ولا يومين ، ومسلم ١٠٨٢ ، كتاب : الصوم ، باب : لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين .

قال أبو إسحاق : «وموضع ﴿كَمَا﴾ نصب على المصدر ، المعنى : فرض عليكم فرضاً كالذي فرض على الذين من قبلكم»^(١) .

وقال ابن الأنباري : «يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من الصيام ، يراد بها : كُتِبَ عليكم الصيام مشبهاً ومماثلاً ما كُتِبَ على الذين من قبلكم»^(٢) .

وقال أبو علي الفارسي : «هو صفة لمصدر محذوف ، تقديره : كتابة كما كُتِبَ يعني : مثل ما كُتِبَ عليهم ، فحذف المصدر ، وأقيم نعتة مقامه» ، قال : «ومثله في الاتساع والحذف قولهم في صريح الطلاق : أنتِ واحدة ، يريدون : أنتِ ذات تطليقة واحدة ، فحذف المضاف والمضاف إليه ، وأقيم صفة المضاف إليه مقام الاسم المضاف إليه»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ : قال ابن عباس : «يريد كي تخافوني في حدودي وفرائضي»^(٤) .

وقال السُّدِّي : «لكي تتقوا الأكل والشرب والجماع في وقت وجوب الصوم»^(٥) .

وقال الزَّجَّاج :^(٦) «لتتقوا المعاصي ، فإن الصيام وصلةٌ إلى التقى ؛ لأنه يكف الإنسان عن كثير مما تتطَّلَعُ إليه النفسُ من المعاصي ، و(لعل) هاهنا على ترجي

(١) من معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٥١/١ ، وليس فيه الجملة الأولى .

(٢) انظر : التبيان ١٤٨/١ ، والمحزر الوجيز ٢٥٠/١ .

(٣) انظر : التبيان ١٤٨/١ ، وزاد وجهاً رابعاً ، هو أن يكون في موضع رفع صفة للصيام ، والمحزر الوجيز ٢٥٠/١ ، والبحر المحيط ٢٩/٢ .

(٤) من معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٥٢/١ ، وانظر : معنى (لعل) في المفردات ٤٥٤ .

(٥) رواه عنه الطبري ١٢٩/٢ ، وابن أبي حاتم ٣٠٥/١ .

(٦) من قوله : «يريد : كي» مكرر في نسخة (م) ، وفيه تقديم وتأخير .

العباد، والله - عز وجل - من وراء العلم، أيتقون^(١) أم لا؟ ولكن المعنى: أنه ينبغي لكم بالصوم أن يقوى رجاؤكم في التقى^(٢).

١٨٤. قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: في انتصاب الأيام وجوه:

أحدها: إنها^(٣) ظرف لكتب، كأنه: «كتب عليكم الصيام في هذه الأيام»، هذا قول الزجاج^(٤).

وقال الفراء: «هي نصب على خبر ما لم يُسمَّ فاعله؛ لأن كل ما لم يُسمَّ فاعله، إذا كان فيه اسمان أحدهما غير الآخر رفعت واحداً ونصبت الآخر، كما تقول: أعطي عبدالله المال، ولا تبال أكان المنسوب معرفة أو نكرة، فإن كان الآخر نعتاً للأول، وهما معرفتان، رفعتهما جميعاً، فقلت: ضرب عبدالله الظريف، رفعتَه؛ لأنه عبدالله، وإن كان نكرة نصبتَه، قلت: ضرب عبدالله راكباً وماشيّاً ومظلوماً»^(٥).

قال أبو إسحاق: «ليس هذا بشيء؛ لأن الأيام هاهنا معلقة بالصوم، وزيد والمال مفعولان لأعطي، فلك أن تقيم أيهما شئت مقام الفاعل، وليس في هذا إلا نصب^(٦) أيام بالصيام»^(٧).

ونصر أبو علي الفارسي قول الفراء، وقال: «يجوز أن ينتصب الأيام انتصاب المفعول به على السعة، وهو أن يكون الأيام اسماً لا ظرفاً، فتخرجها من حيّز

(١) في (ش): (أنتقون).

(٢) من معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٥٢، وانظر: البحر المحيط ٢/ ٣١، فيه مناقشات للأعراب المذكورة.

(٣) في (م): (أنه).

(٤) من معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٥٢.

(٥) من معاني القرآن للفراء ١/ ١١٢، وقد خطأ أبو حيان في البحر المحيط ٢/ ٣١ قول الفراء وناقشه.

(٦) في (ش): (ونظر).

(٧) معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٥٢.

الظروف إلى حَيِّز الأسماء ، متسعاً فيها ، وهذا الاتساع كثير واسع في الظروف ، وقد جاء به التنزيل ، وهو قوله : ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] ، فجواز الإضافة إليهما^(١) دل على خروجهما من الظرف ، ومتى وقعت الإضافة إلى هذه الأسماء المستعملة ظروفًا أَخْرَجَتْهَا الإضافة عن ذلك وأدخلتها في حَيِّز الأسماء ، وقد نص سيبويه على جواز هذا في قوله : «يا سارقَ الليلة أهل الدار» .

وإذا كان هذا الاتساع على ما ذكرت لك في الكثرة والحسن ومجيء التنزيل به ، فلم ينكر أن تحمل هذه الآية أيضاً عليه ، وإذا حمل عليه كان بمنزلة : «أُعطي زيدُ المال» ، ولا يمتنع على هذا التقدير أن تكون الأيام ظرفاً لـ (كُتِبَ) ، ولا شيء يمنع من كون الأيام ظرفاً لـ (كُتِبَ) ؛ لأن الصيام مفروض مكتوب في أيام معدودات ، وإذا كان ظرفاً له لم يمتنع أن يتسع فيه ، فينتصب انتصاب المفعول به ، وإذا نُصِب انتصاب المفعول به كان بمنزلة : «أُعطي زيدُ المال» ، وصار الأيام في موضع المال . لا إشكال في جواز هذا الوجه ، فقد بان أن ما منعه أبو إسحاق من إجازة أن ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ بمنزلة أُعطي زيدُ المال جائز غير ممتنع .

وعند أبي علي يجوز أن تعمل (الصيام) في الأيام ، ثم^(٢) يجوز في انتصاب الأيام الوجهان اللذان ذكرنا إذا أعملت فيها (كُتِبَ) ، من الظرف والانتصاب على المفعول به ، فالظرف أن تجعل الأيام ظرفاً للصيام لا للكتابة ، كما تقول : «كُتِبَ عليكم الدخول يوم كذا» ، يجوز^(٣) أن تجعل اليوم ظرفاً للدخول ، وإن جعلت الأيام مفعولاً به لصيام أعملت الصيام وهو مصدر ، فنصبت به ، والمصدر يعمل عمل الفعل ، كقوله : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ [البقرة: ٢٥١] ، وهو كثير ، ومثله :

لَحِقْتُ فَلَمْ أَكُلْ عَنِ الضَّرْبِ مِسْمَعًا

(١) في (م) : فجواز إليهما ، وفي (ش) : (إليها) .

(٢) (ثم) ساقطة من (ش) .

(٣) في (ش) : (ويجوز) .

قال أبو علي : «والأجودُ في من جَعَلَ الأيامَ معمول الصيام أن ينصب على أنه ظرف ولا يجعله مفعولاً للمصدر ؛ لأنه يعمل المصدر وفيه الألف واللام إعمال الفعل ، وذلك لا يحسن ؛ لأن الفعل نكرة ، فحُكِّمَ ما قام مقامه ويعمل عمله أن يكون مثله ، وإن كان أصحاب سيبويه قد أجازوه» .

فأَمَّا ^(١) قوله : «عَنِ الضَّرْبِ مِسْمَعًا» ، فقد قيل فيه : إن (مِسْمَعًا) مفعول (لِحَقْتُ) دون الضرب ، فإن قيل : الإضافة في التعريف كالألف واللام ، وقد جاء المصدر عاملاً في الإضافة ، مثل قوله تعالى : ﴿وَلَوْ لَا دَفْعُ﴾ [البقرة: ٢٥١] ، قيل : الإضافة أسهل من الألف واللام ، ألا ترى أن الإضافة قد تُقَدَّرُ فيها الانفصال كثيراً والألف واللام لا تشبهها ، فلهذا رجَّحنا قول من جعله ظرفاً ، ولا يمتنع كون الأيام ظرفاً للصيام ؛ لأن الصيام فيها ، كما أن الكتابة فيها . وقد أجمع جمهور المفسرين على أن المراد بالأيام المعدودات : شهر رمضان ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ﴾ إلى قوله : (آخر) فيه معنى الشرط والجزاء ؛ أي مَنْ يكن منكم مريضاً أو مسافراً فأفطر فليقض . وإذا قَدَّرت فيه معنى الشرط كان المراد بقوله : ﴿كَانَتْ مِنْكُمْ﴾ الاستقبال لا الماضي ، كما تقول : «من أتاني أتيته» . وفي الآية إضمار ؛ لأن التقدير : فأفطر فعدة ؛ لأن القضاء إنما يجب بالإفطار لا بالمرض والسفر ، ومثله قوله : ﴿أَوْ يَهْـ أَذَى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] . والحذف كثير في كلام العرب إذا كان في ما ^(٣) أبقى دليلٌ على ما أُلقي . قال ذو الرمة :

فَلَمَّا لَبَسْنَ اللَّيْلَ أَوْ حِينَ نَضَبَتْ لَهُ مِنْ خَذَا آذَانِهَا وَهُوَ جَانِحٌ ^(٤)

(١) في (ش) : (وَأَمَّا) .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢ / ١٣١ ، ١٣٢ ، وهو اختياره ، وتفسير الثعلبي ٢ / ٢٣٦ ، والبحر المحيط ٣٠ / ١ .

(٣) في (م) : (ما) .

(٤) البيت في ديوانه ٨٩٨ .

أراد : أو حين أقبل^(١) .

ونذكر في الآية التي بعد هذه حكم المرض والسفر في الصوم .

وأصل السَّفَر من الكشف ؛ وذلك أنه يكشف من أحوال الرجال وأخلاقهم ، والمِسْفَرَةُ : المَكْنَسُ ؛ لأنها تُسْفَر التراب عن الأرض ، والسَّفِيرُ : الداخل بين اثنين للصُّلح ؛ لأنه يكشف المكروه الذي اتصل بهما ، والمُسْفِرُ : المضيء ؛ لأنه قد انكشف وظهر ، ومنه : أسفر الصبح ، والسَّفَرُ : الكتاب ؛ لأنه يكشف عن المعاني ببيانه ، ومنه : ﴿بِأَيِّ سَفَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥] ؛ أي كتبه ؛ لأن الكاتب يكشف عن المعاني ، وسفرت المرأة عن وجهها : إذا كشفت النقاب^(٢) .

قال الأزهري : «وُسِّمِيَ المسافر مُسافراً ، لكشفه قناع الكِنِّ عن وجهه ، وبروزه للأرض الفضاء ، وُسِّمِيَ السَّفَرُ سَفَراً ؛ لأنه يُسْفَرُ عن وجوه المسافرين وأخلاقهم ، فيظهر ما كان خافياً منها»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿فَعِدَّةٌ﴾ ؛ أي فعلية عِدَّة ، كقوله : ﴿فَأَنْبِئُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨] ، والتقدير : فعلية صَوْمُ عِدَّةٍ ، ويكون هذا من باب حذف المضاف^(٤) .

وقال أبو إسحاق : «التقدير فالذي ينوب عن صومه عِدَّة»^(٥) . والعِدَّة : فِعْلَةٌ من العَدِّ ، وهو بمعنى المعدودة ، كالطَّحْن بمعنى المطحون ، ومنه يُقَالُ للجماعة المعدودة من الناس : عِدَّة ، وعِدَّة المرأة من هذا^(٦) .

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٥٢/١ ، وتفسير الثعلبي ٢٣٩/٢ ، والبحر المحيط ٣٢/٢ ، ٣٣ ، والبيان ١١٦ .

(٢) انظر : السفر في تهذيب اللغة ١٧٠١/٢ ، والمفردات ٢٣٩ ، ولسان العرب (سفر) ٢٠٢٤/٤ .

(٣) تهذيب اللغة (سفر) : ١٧٠٢/٢ .

(٤) تفسير الطبري ١٣٢/٢ ، والبحر المحيط ٣٢/٢ ، والبيان ١١٦/١ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٥٢/١ .

(٦) انظر : المفردات ٣٢٧ ، والبحر المحيط ٣٢/٢ ، ٣٣ ، ولسان العرب (عدد) ٢٨٣٢-٢٨٣٦ .

وقوله تعالى: ﴿مَنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾: أراد غير أيام مرضه أو سفره^(١). و(أُخَرَ) لا تنصرف؛ لأنها جمع أخرى تأنيث آخر، وأَخَرَ على وزن أفعل، وما كان على وزن أفعل فإنه يُستعمل مع مَنْ أو بالألف واللام، فيقال: «زيدٌ أفضل من عمرو»، و«زيد الأفضل»، والألف واللام مُعاقبة لـ (مَنْ) في باب أفعل، فكان القياس يُوجب أن يقال: زيد آخر من عمرو، كما يقال: أقدم من عمرو، إلا أنهم حذفوا (مَنْ) من آخر؛ لأن لفظه اقتضى معنى مَنْ، فأسقطوا (مَنْ) اكتفاءً بدلالة اللفظ عليه، والألف واللام تعاقب (مَنْ)، فلما جاز استعماله بغير الألف واللام صار آخر وأُخَرَ وأُخَرى معدولة عن حكم نظائرها؛ لأن الألف واللام استعملتا فيها، ثم حُذفتا.

فإن قيل: «الخروج عن النظائر يُوجب للاسم البناء، فهلاً بُني آخر وأُخَرى وأُخِر؟»، قيل: «إنها وإن خرجت عن حكم نظائرها فليس هو خروجاً مُبَيِّناً لما عليه الأسماء، وإنما هو خروج عن حكم تعريفٍ إلى تنكير، وأكثر الأسماء يلحقها التعريف والتنكير، فلم يكن لهذه المخالفة قوةٌ توجب البناء، إلا أنه قد نقصت بهذا العدل لها درجة عن حكم أخواتها، فجعل هذا العدل لها من أقسام العلل المانعة للصرف، فاجتمع فيها في حال التنكير العدل والصفة، فلذلك لم تنصرف». ومعنى الصفة أنها مما يوصف به، ألا ترى أنها صفة للأيام في هذه الآية^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾: قال الأزهرى: «يُقَال: طَاقَ يَطُوقُ طَوْقاً، وَأَطَاقَ يُطِيقُ إِطَاقَةً وَطَاقَةً، كما يقال: طَاعَ يَطُوعُ طَوْعاً، وَأَطَاعَ يُطِيعُ إِطَاعَةً وَطَاعَةً، والطَّاعَةُ والطَّاقَةُ: اسمان يوضعان موضع المصدر»^(٣).

(١) تفسير الطبري ١٣٢/٢، وتفسير الثعلبي ٢٤٠/٢.

(٢) انظر: المفردات ٢٣، والبحر المحيط ٣٤/١، واللسان (آخر) ٣٨/١.

(٣) تهذيب اللغة (طبق) ١٣١/١.

وقوله تعالى : ﴿فِدْيَةٌ﴾ : الفِدْيَةُ : الجزاء والبدل ، من قولك : فديته بكذا ؛ أي ^(١) أعطيته بدلاً منه ^(٢) ، كقوله تعالى : ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبِیحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات : ١٠٧] . وقد مضى الكلام في هذا عند بيان قوله : ﴿أَسْرَى تُقَدِّوهُمْ﴾ [البقرة : ٨٥] .

وقوله تعالى : ﴿طَعَامٌ مِّسْكِينَ﴾ : قرأ أهل المدينة والشام بإضافة الفِدْيَةِ إلى الطَّعَامِ ، وجمع المساكين ^(٣) .

ومعنى الآية : وعلى الذين يطيقون الصيام فأفطروا فدية طعام ؛ لأن الفدية وجبت بالإفطار لا بالإطاقة ، وإنما أضافوا الفدية إلى الطعام ، وهي طعام ؛ لأن الفدية اسم للقدر الواجب ، والطعام اسم يعم الفدية وغيرها ، فهذه الإضافة من الإضافة التي تكون بمعنى (مِنْ) ، وهو أن تضيف الاسم إلى اسم ^(٤) يقع على الاسم الأول ، كقولك : «ثوبٌ خَزٌّ» ، و«قميصٌ كَتَّانٌ» ، و«خاتمٌ حديدٌ» ، والمعنى : ثوبٌ مِنْ خَزٍّ ، وقميصٌ مِنْ كَتَّانٍ ، وخاتمٌ مِنْ حديدٍ . ألا ترى أنك تطلق على الثوب اسم الخَزِّ ، وعلى القميص اسم الكَتَّانِ ، وعلى الخاتم اسم الحديد ، كذلك هاهنا التقدير : فديةٌ مِنْ طعام ، فأضفت الفدية إلى الطعام ، وأنت تطلق على الفدية اسم الطعام . وجمعوا المساكين ؛ لأن الذين يطيقونه جماعة ، وكل واحد منهم يلزمه طَعَامٌ مسكين ^(٥) .

(١) في (م) : إذا .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٤١ / ٢ ، وتفسير الثعلبي ٢٥٤ / ٢ ، والمفردات ٣٧٦ ، ومجمل اللغة ٣ / ٧١٤ .

(٣) هذا إجمال في ذكر القراءات ، تفصيله : قرأ نافع وأبو جعفر وابن ذكوان بحذف تنوين (فدية) ، وجر (طعام) وجمع (مساكين) ، وفتح نونه بغير تنوين ، وقرأ الباقر بن تنوين (فدية) ، ورفع (طعام) ، وإفراد (مساكين) ، وكسر نونه منونة ، إلا هشاماً فقرأ بجمع (مساكين) مثل قراءة نافع ومن معه . انظر : النشر ٢ / ٢٢٦ ، والبدور الزاهرة ٥٦ .

(٤) في (ش) : (الاسم) .

(٥) انظر : الحجة ٢ / ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، وتفسير الطبري ١٤١ / ٢ ، والمحزر الوجيز ١٠٦ / ٢ ، والبحر المحيط ٣٧ / ٢ .

وقرأ الباقر : «(فِدْيَةٌ) مَنْوَنَةٌ ﴿طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ على واحد» ، جعلوا ما بعد الفدية تفسيراً لها ، ووَحَّدُوا المسكين ؛ لأن المعنى : على كل واحد لكل يوم إطعام مسكين .

ومثل هذا في المعنى قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ﴾ ، وليس جميع القاذفين يُفَرَّقُ فيهم جلد ثمانين ، إنما على كل واحد منهم جلد ثمانين^(١) ، فكذلك على كل واحد منهم طعام مسكين ، فأفرد هذا كما جَمَعَ قوله : ﴿فَاجْلِدُوهُمْ﴾ .

وقال أبو زيد : «أتينا الأمير فكسانا كلنا حُلَّةً وأعطى كلنا مائة» ، قال : «معناه : كسا كل واحدٍ مَنَّا حُلَّةً ، وأعطى كل واحدٍ مِنَّا مائة»^(٢) .

فأما حكم قوله : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ فقال ابن عباس : «كانت الإطاقة أن الرجل أو المرأة كان يصبح صائماً ، ثم إن شاء أفطر وأطعم لذلك مسكيناً ، فنسختها هذه الآية : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾»^(٣) ، وهذا قول

(١) من قوله : «إنما على . . .» ساقط من (ش) .

(٢) من كلام أبي علي في الحجة ٢/ ٢٧٣ ، وانظر : تفسير الطبري ٢/ ١٤١ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، والمحزر الوجيز ٢/ ١٠٧ ، والبحر المحيط ١/ ٣٧ .

(٣) أبو داود في كتاب : الصوم ، باب : نسخ قوله : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ ٢/ ٣٠٥ ، رقم ٢٣١٦ ، من طريق عكرمة ، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ٢٠٣ ، من طريق ابن سيرين ، ورواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ٤٣ ، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ١/ ٤٩٥ ، وابن أبي حاتم ٣٠٧/ ١ ، من طريق عطاء الخراساني ، ورواه الطبري ٢/ ١٣٤ من طريق عطية .

سلمة بن الأكوع^{(١)(٢)}، وعبدالرحمن بن أبي ليلى^{(٣)(٤)}، وعلقمة بن قيس^(٥)، وابن شهاب^(٦)، ومذهب أكثر العلماء^(٧)، قالوا: «كان في ابتداء إيجاب الصوم مَنْ شاء صام وَمَنْ شاء أفطر واقتدى بالطعام، ثم نسخ الله سبحانه ذلك بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾».

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾: قال ابن عباس: زاد في الصدقة، يعنى: على المَدِّ الْوَاحِدِ^(٨)؛ لأنه كان يجب مَدٌّ واحدٌ على مَنْ أطاق الصوم فأفطر قبل النسخ، في قول أهل الحجاز وأكثر العلماء^(٩).

(١) هو سلمة بن عمرو بن سنان الأكوع الأسلمي، صحابي ممن بايع تحت الشجرة، غزا مع الرسول ﷺ سبع غزوات، وكان شجاعاً بطلاً رامياً عداءً، توفي بالمدينة سنة ٧٤هـ. انظر: أسد الغابة ٢/ ٤٢٣، والأعلام ٣/ ١١٣.

(٢) رواه عنه البخاري ٤٥٠٧، كتاب: التفسير، باب: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، ومسلم ١١٤٥، كتاب: الصيام، باب: بيان نسخ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾، والطبري ٢/ ١٣٤.

(٣) هو عبدالرحمن بن أبي ليل الأنصاري المدني ثم الكوفي، تابعي ثقة، مات في وقعة الجراح سنة ٨٣هـ. انظر: تقريب التهذيب ٣٤٩، (٣٩٩٣)، وذكر أساء التابعين ومن بعدهم ١/ ٢١٢.

(٤) رواه عنه البخاري ١٩٤٩، كتاب: الصوم، باب: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾، والطبري ٢/ ١٣٤، وابن أبي حاتم ١/ ٣٠٦.

(٥) رواه عبدالرزاق في المصنف ٤/ ٢٢٢، وأبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ٤٤، والطبري ٢/ ١٣٣، وابن أبي حاتم ١/ ٣٠٨.

(٦) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ٤٤، والطبري في تفسيره ٢/ ١٣٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري ٢/ ١٣٣-١٣٦، وتفسير الثعلبي ٢/ ٢٥٢، وأحكام القرآن لابن العربي ١/ ٧٩، والمحرم الوجيز ٢/ ١٠٧، والناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة ٤٣، والبحر المحيط ٢/ ٣٦، ٣٧.

(٨) رواه عنه الطبري ٢/ ١٤٢، ورواه ابن جريج وخفيف بن عبدالرحمن عن مجاهد، كما في تفسير الطبري ٢/ ١٤٢، وتفسير الثوري ٥٦، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣٠٩.

(٩) انظر: المغني ٤/ ٣٩٥، وتفسير البغوي ١/ ١٩٧.

وقال مجاهد^(١) والسُّدي^(٢): «يطعم مسكينين»، وفي هذا القول أيضاً زيادة الصدقة؛ لأنه إذا زاد مسكيناً يجب أن يزيد في الصدقة حتى يكون متطوعاً. وقال ابن شهاب: «يريد: مَنْ صام الفدية فهو خيرٌ له»^{(٣)(٤)}.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ أي الصوم خيرٌ لكم، فالجملة ابتداء وخبر.

والمعنى: والصوم خيرٌ لكم من الإفطار والفدية، وهذا إنما كان خيراً لهم قبل النسخ، وبعد النسخ فلا يجوز أن يقال: «الصوم خيرٌ من الإفطار والفدية»^(٥).

١٨٥. قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ الآية، الشهر: مأخوذ من الشهرة، تقول: شَهَرَ الشيءَ يَشْهَرُهُ شَهْراً إذا أظهره، وسُمِّيَ الشَّهْرُ شهراً لشهرة أمره في حاجة الناس إليه في معاملاتهم، ومحل ديونهم، وقضاء نسكهم في صومهم وحجهم وغير ذلك من أمورهم.

(١) رواه عن مجاهد ابن جريج كما في تفسير الطبري ١٤٢/٢، وأشار إليها عبدالرزاق في المصنف ٢٢٣/٤، ورواه عنه خفيف بن عبدالرحمن كما في تفسير الثوري ٥٦، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٠٩/١.

(٢) رواه عنه الطبري في تفسيره ١٤٣/٢، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٠٩/١.

(٣) رواه عنه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ٤٥، وتفسير الطبري ١٤٣/٢، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٠٩/١.

(٤) قال الطبري ٤٤٣/٣: «والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الله تعالى ذكره - عمن بقوله: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾، فلم يخصص بعض معاني الخير دون بعض، فإن جمع الصوم مع الفدية من تطوع الخير، وزيادة مسكين على جزاء الفدية من تطوع الخير، وجائز أن يكون الله تعالى ذكره - عني بقوله: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾، أي هذه المعاني تطوع به المفتدي من صومه فهو خير له؛ لأن كل ذلك من تطوع الخير ونوافل الفضل. وقد ذكر ابن العربي ٨٠/١ قول من قال: (فمن تطوع)، أي: زاد على طعام مسكين، وقيل: من صام، وهذا ضعيف؛ لقوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. معناه: الصوم خير من الفطر في السفر، وخير من الإطعام، وتحقيق ذلك أن الصوم الفرض خير من الإطعام النفل، والصدقة النفل خير من الصوم النفل. اهـ.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٢٥٣/١.

قال الليث : «والشهر : ظهور الشيء ، وُسْمِيَّ^(١) الهلال شهراً» ، وقال ابن الأعرابي : «لأنه يشهر به»^(٢) .

وقال الزَّجَّاج : «سُمِّيَ الهلال شهراً لشُّهرته وبيانه»^(٣) .

وقال بعضهم : سُمِّيَ الشهر شهراً باسم الهلال إذا أهِلَّ سُمِّيَ شهراً . والعرب تقول : رأيتُ الشَّهْرَ ، أي : رأيتُ هلاله . قال ذو الرمة :

يرى الشَّهْرَ قَبْلَ النَّاسِ وَهُوَ بِخَيْلٍ^(٤)

وقد أَشْهَرْنَا ؛ أَي أَتَى عَلَيْنَا شَهْرٌ .

قال الفرَّاء : «ولم أسمع منه فعلاً إلا هذا»^(٥) . وارتفع على البذل من الصيام ، كأن المعنى : كُتِبَ عليكم شَهْرُ رمضان ، ويجوز أن يكون ابتداءً ، وخبرُه الذي مع صلته ، كقولك : زيد الذي في الدار^(٦) .

وقال الأخفش : «ارتفع على أنه خبر ابتداء محذوف ، المعنى : هي شهر رمضان^(٧) ؛ لأن قوله : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ تفسيرٌ للأيام المحدودات ، وتبيين لها ، ونحو هذا قال الفرَّاء^(٨) ، أراد : «ذلكم شهر رمضان ، الصيام شهر رمضان ، أي :

(١) في (م) : (ويسمى) .

(٢) نقله عنه في اللسان (شهر) ٢٣٥١/٤ .

(٣) من معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٥٩/١ ، ونقله عنه في اللسان (شهر) ٢٣٥١/٤ .

(٤) البيت في ديوانه ٥٦١ ، وورد في البحر المحيط : نحيل .

(٥) انظر : معاني (الشهر) في تفسير الطبري ١٤٤/٢ ، وتفسير الثعلبي ٢/٢٦٤ ، والمفردات ٢٧٣ ، واللسان (شهر) ٢٣٥١/٤ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٥٣/١ .

(٧) معاني القرآن للأخفش ٣٥٢/١ .

(٨) معاني القرآن للفرَّاء ١١٢/١ .

صيامه كما قال في : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾ [النور: ٢] أي : في ما فرض عليكم الزانية والزاني ، أي : حكمهما ، وكذلك : ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا﴾ ، قال : «والأشبه أن يكون ﴿الَّذِي﴾ وصفاً ، ليكون النص قد وقع على الأمر بصيام الشهر ، يعني أنك إن جعلت (الذي) خبراً لم يكن شهر رمضان منصوباً على صومه بهذا^(١) اللفظ ، إنما يكون خبراً عنه بإنزال القرآن فيه» ، قال : «وإذا جعلت (الذي) وصفاً كان حقُّ النظر أن يُكنى عن الشهر في قوله : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ كقولك : شهر رمضان المبارك من شهبه فليصمه» ، قال : «وهذا كقوله : ﴿الْحَاقَّةُ﴾^(٢) ما الْحَاقَّةُ» [الحاقة: ١-٢] ، و﴿الْفَارِعَةُ﴾^(٣) ما الْفَارِعَةُ» [الفارعة: ١-٢] ونحو ذلك ، يعني أن ذكر الابتداء أعيد ولم يُكن عنه للتعظيم ، كذلك في هذه . والفاء في قوله : ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ داخل على خبر الابتداء ، وليس من حق خبر الابتداء^(٢) دخول الفاء عليه ، وسنذكر الكلام فيه إذا انتهينا إليه^(٣) .

و﴿رَمَضَانَ﴾ لا ينصرف للتعريف وزيادة الألف والنون ، مثل : عثمان وسعدان . واختلفوا في اشتقاق ﴿رَمَضَانَ﴾ ، فقال بعضهم : «هو مأخوذ من الرَّمَض ، وهو حرُّ الحجارة من شِدَّة حرِّ الشمس ، والاسم : الرَّمْضَاء ، رَمَضَ الإنسان رَمَضاً : إذا مشى على الرَّمْضَاء ، والأرض رَمِضَةً ، فسمي هذا الشهر رَمَضَانَ ؛ لأن وجوب صومه وافق شِدَّة الحرِّ» ، وهذا القول حكاه الأصمعي عن أبي عمرو^(٤) .

(١) في (ش) : (فهذا) .

(٢) في (م) : (المبتدأ) .

(٣) انظر : معاني القرآن للقرآء ١/ ١١٢ ، ١١٣ ، وتفسير الطبري ٢/ ١٤٦-١٤٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٢٥٣ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ٢٦٣ ، والتبيان ١١٨ ، والبحر المحيط ١/ ٣٨ ، ٣٩ ، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٣٨ .

(٤) رواه الثعلبي في تفسيره ٢/ ٢٦٧ ، وقد ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة (رمض) ٢/ ١٤٦٨ ، ولم ينسبه إلى أحد .

وحكي عن الخليل أنه قال : «مأخذه من الرَّمْضِي^(١) ، وهو من السَّحَاب والمطر : ما كان في آخر القَيْظ وأول الخريف ، سُمِّي رَمَضِيًّا لأنه يُدْرِك سُخُونَةَ الشمس وحرَّها ، فسُمِّي هذا الشهر رمضان ؛ لأنه يغسل^(٢) الأبدان من الآثام»^(٣) .

وقيل : «هو من قولهم : رَمَضْتُ النُّضْلَ أَرَمَضُهُ رَمَضًا : إذا دَقَّقْتَهُ بين حجرين ليرقَّ ، ونصل رَمِيض ومَرْمُوض ، فسُمِّي هذا الشهر رمضان لأنهم كانوا يرمضون فيه أسلحتهم ، ليقضوا منها أوطارهم في شوالٍ قبل دخول الأشهر الحرم» ، وهذا القول يُحْكِي عن الأزهري^(٤) . وعلى القولين الأولين يجب أن يكون هذا الاسم إسلامياً ، وقبل الإسلام لا يكون له هذا الاسم ، وعلى ما حكاه الأزهري ؛ الاسم جاهلي^(٥) .

وروي مرفوعاً أن النبي ﷺ قال يوماً لأصحابه : «أتدرون لم سُمِّي شعبان ؟» ، قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «لأنه يشعب^(٦) فيه خير كثير لرمضان» ، «أتدرون لم سُمِّي رمضان ؟» ، قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «لأنه يرمض الذنوب»^(٧) . والإرماض : الإحراق .

(١) عند الثعلبي : (الرمض) .

(٢) في (م) : زيادة (لأنَّ وجوب صومه يغسل) .

(٣) ذكره عنه الثعلبي في تفسيره ٢/٢٦٩ ، وعزاه الأزهري في تهذيب اللغة (رمض) ٢/١٤٦٩ إلى أبي عمرو .

(٤) لم يذكره في تهذيب اللغة ٢/١٤٦٨ ، وذكره أبو حيان في البحر المحيط ٢/٢٦ ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٥) انظر : رمضان في تفسير الطبري ٢/١٤٤ ، وتهذيب اللغة ٢/١٤٦٨ ، ١٤٦٩ ، والمفردات ٢٠٩ ، واللسان ٣/١٧٣٠ ، والبحر المحيط (رمض) ٢/٢٦ .

(٦) سقطت من (ش) .

(٧) أخرجه ابن الشجري في أماليه ٢/١٠٢ .

وروى سلمة عن الفرّاء ، قال : « هذا شهر رمضان ، وهما شهر ربيع ، ولا يُذكر الشهرُ مع سائر أسماء الشهور العربية »^(١) ، ونحو هذا يروى عن مجاهد^(٢) أنه كره أن يقال : « رمضان » .

وروى أنس أن النبي ﷺ قال : « لا تقولوا رمضان ، انسابوه كما نسبوه الله في القرآن ، فقال : شهر رمضان »^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ : قال ابن عباس : « أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان ، فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ، ثم نزل به جبريل على محمد - عليه السلام - نجوماً »^(٤) عشرين سنة^(٥) .

(١) ذكره الأزهرى في تهذيب اللغة ١٤٦٩/٢ ، وزاد ، يقال : « هذا شعبان قد أقبل » ، وكذا في اللسان (رمض) ١٧٣٠/٣ .

(٢) رواه عنه الطبري في تفسيره ١٤٤/٢ ، ورواه ابن أبي حاتم عن جماعة منهم مجاهد ومحمد بن كعب القرظي ، وقال ابن أبي حاتم ٣١٠/١ : « ورخص فيه ابن عباس وزيد بن ثابت » .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره عن أنس ٢/٢٦٥ ، وليس في شيء من المصادر الحديثية عن أنس ، بل روى من حديث أبي هريرة وابن عمر وعائشة عند ابن عدي في الكامل ٥٣/٧ ، والبيهقي ٢٠١/٤ ، والجوزقاني في الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير ٨٨/٢ ، وابن أبي حاتم ٣١٠/١ ، وحكم ابن الجوزي عليه في الموضوعات ١٨٧/٢ بأنه موضوع لا أصل له ، وقال المعلمي في تعليقه على الفوائد المجموعة ٨٧ موضوع بلا ريب ، وضعّفه القرطبي في تفسيره ٢/٢٧٨ ، وقال : « والصحيح جواز إطلاق رمضان من غير إضافة كما ثبت في الصحاح وغيرها » .

روى مسلم في كتاب : الصيام ، باب : فضل شهر رمضان ، رقم ١٠٧٩ ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الرحمة ، وغُلقت أبواب النار ، وصُفدت الشياطين » . ورواه البخاري [رقم : ١٨٩٨] ، ثم ذكر القرطبي آثاراً كثيرةً كلها بإسقاط الشهر . سقطت من (ش) .

(٥) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن ٣٦٧ ، والنسائي في تفسيره ١٣١/٢ ، والحاكم ٢/٢٤٢ ، وصحّحه ، والبيهقي في دلائل النبوة ١٣١/٧ ، والطبري ١٤٤/٢ ، ١٤٥ ، وابن الضريس في فضائل القرآن ١٢٥ ، والطبراني في الكبير ٣٠٥/١١ ، والثعلبي في تفسيره ٢/٢٦٩ ، وصحّح إسناده الحافظ في الفتح ٤/٩ .

قال القرطبي : « ولا خلاف أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر جملة واحدة ، فوضع في =

وقال سفيان بن عيينة : «﴿أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾» معناه : أنزل في فضله القرآن . وهذا اختيار الحسين بن الفضل ، قال : «ومثله : أن تقول : أنزل في الصديق كذا آية ، تريد في فضله»^(١) .

وقال ابن الأنباري : «أنزل في فرضه وإيجاب صومه على الخلق القرآن ، كما تقول : أنزل الله في الزكاة كذا وكذا تريد في فرضها ، وأنزل في الخمر كذا تريد في تحريمها»^(٢) . فأما^(٣) القرآن فهو اسم لكلام الله تعالى ، وقد اختلفوا^(٤) في اشتقاقه وهمزه ، فقرأه ابن كثير بغير همز^(٥) .

أخبرنا سعيد بن العباس القرشي^(٦) كتابة ، ثنا أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري ، ثنا محمد بن يعقوب المعقلي ، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم^(٧) أن

بيت العزة في ساء الدنيا» ، ثم ذكر قول مقاتل : «أنزل من اللوح المحفوظ كل عام ليلة القدر إلى ساء الدنيا» ، قلت : «وقول مقاتل هذا خلاف ما نقل من الإجماع» .

(١) ذكره الرازي عن سفيان ٨٥/٥ ، والبحر المحيط ٣٩/٢ .

(٢) نسب ابن الجوزي هذا القول في زاد المسير ١/١٨٥ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٣٩/٢ إلى مجاهد والضحاك ، وذكر ابن الجوزي قولاً ثالثاً نسبته إلى ابن إسحاق وأبي سليمان الدمشقي ، هو أن القرآن ابتدئ بنزوله فيه على النبي ﷺ .

(٣) في (م) : (وأمّا) .

(٤) انظر هذه المسألة في : تهذيب اللغة ٣/٢٩١٢ ، والتفسير الكبير ٥/٨٦ ، وتفسير القرطبي ٢/٢٧٨ ، واللسان (قرأ) ٦/٣٥٦٣ ، والإتقان للسيوطي ١/١٤٦ ، والبرهان للزركشي ١/٢٧٧ .

(٥) قرأ ابن كثير بنقل حركة الهمزة إلى الراء ، وحذف الهمزة في الحالين ، وكذلك همزة عند الوقف ، وليس لورش فيه توسط ولا مد ؛ نظراً إلى الساكن الصحيح الذي قبل الهمز ، وهكذا كل ما جاء من لفظه في القرآن معرّفاً أو منكرًا . انظر : النشر : ٢/٢٢٦ ، والبدور الزاهرة ٥٦ . وقال الأزهري في تهذيب اللغة (قرأ) ٣/٢٩١٢ : «وقال أبو بكر بن مجاهد المقرئ : كان أبو عمرو بن العلاء لا يهزم القرآن ، وكان يقرؤه كما روي عن ابن كثير» .

(٦) هو سعيد بن العباس بن محمد بن علي القرشي الهروي ، قدم بغداد حاجاً ، وحديث عن أبي حامد بن حسنويه وأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري وغيرهما ، توفي سنة ٤٣٣ هـ . انظر : السير ١٧/٥٥٢ ، ٥٥٣ ، وتاريخ بغداد ٩/١١٣ ، ١١٤ .

(٧) هو شيخ الإسلام المصري الفقيه ، كان عالم الديار المصرية في عصره مع المزني ، كان أعلم بمذهب =

الشافعي—رحمه الله— كان يقول : « القرآن اسم ، وليس بمهموز ، ولم يؤخذ من قرأت ، ولكنه اسم لكتاب الله ، مثل التوراة والإنجيل » ، قال : « ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن ، كما تقول : وإذا قرأت القرآن »^(١) . وقول الشافعي إنه اسم لكتاب الله يشبه أنه ذهب إلى أنه ليس بمشتق ، وقد أيده بهذا جماعة ، قالوا : « إنه اسم كلامه ، يجري مجرى الأعلام في أسماء غيره ، كما قيل في اسم الله : إنه غير مشتق ، من معنى يجري مجرى اللقب في صفة غيره »^(٢) .

وذهب آخرون إلى أنه مأخوذ من قرئت الشيء بالشيء : إذا ضممت أحدهما إلى الآخر ، فسمي لاقتران السور والآيات والحروف ، ولأن العبارة عنه : « قرن بعضه إلى بعض » فهو مشتق من قرن . والاسم : قرآن غير مهموز ، كما يقال : خرج ، والاسم خُراج ، ومن هذا يقال للجمع بين الحج والعمرة : قرآن^(٣) .

وذكر الأشعري^(٤) — رحمه الله — هذا المعنى في بعض كتبه ، فقال : « إن كلام الله يسمى قرآنًا ؛ لأن العبارة عنه قرنٌ بعضه إلى بعض »^(٥) .

مالك وأحفظهم له ، وكان عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ، له مصنف في أدب القضاة ، توفي سنة ٢٦٨ هـ . انظر : السير ١٢ / ٤٩٧ ، ووفيات الأعيان ٤ / ١٩٣ ، وتقريب التهذيب ٦٠٢٨ .

(١) ذكره الأزهرى بسنده في تهذيب اللغة (قرأ) ٣ / ٢٩١٢ ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٢ / ٦٢ ، ونقله عن الواحدي : الرازي في تفسيره ٥ / ٨٦ .

(٢) نقل ذلك الرازي في تفسيره ٥ / ٨٦ ، وقال بعده : « وذهب آخرون إلى أنه مشتق ، واعلم أن القائلين بهذا القول منهم من لا يهمزه ومنهم من يهمزه ، أمّا الأولون فلهم فيه اشتقاقان : أحدهما أنه مأخوذ من قرئت » .

(٣) نقله عن الواحدي : الزركشي في البرهان ١ / ٢٧٨ .

(٤) هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر ، أبو الحسن ، تتلمذ في العقائد على الجبائي زوج أمه ، وبرع في علمي الكلام والجدل على طريقة المعتزلة ، ثم رجع فرد عليهم ، وشُهر بمذهب ينسب إليه ، وقيل إنه رجع بعده إلى مذهب السلف ، له : مقالات الإسلاميين ، والإبانة ، توفي سنة ٣٢٤ هـ . انظر : شذرات الذهب ٢ / ٣٠٣ ، والأعلام ٤ / ٢٦٣ .

(٥) في (م) : (كتاب) .

(٦) نقله عن الواحدي : الزركشي في البرهان ١ / ٢٧٨ . وهذا مذهب الأشاعرة واعتقاد السلف إثبات =

وقال الفرّاء : «ظن أن القرآن سُمِّي من القرائن ، وذلك أن الآيات يصدق بعضها بعضاً ، ويشبه بعضها بعضاً ، فهي قرائن ، فمذهب هؤلاء أنه غير مهموز»^(١) .

وأما الذين همزوا فقد اختلفوا ، فقالت طائفة : «إنه مصدر القراءة» .

قال أبو الحسن اللحياني^(٢)^(٣) : «يقال : قرأت القرآن ، فأنا أقرأه قرأً»^(٤) وقراءةً وقرأناً ، وهو الاسم ، قوله : «وهو الاسم» يعني أن القرآن يكون مصدراً لقرأت ، ويكون اسماً لكتاب الله ، ومثل القرآن من المصادر : الرُّجْحَانُ والتُّفْصَانُ والخُشْرَانُ والعُفْرَانُ^(٥) . قال ابن مقبل^(٦) :

يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقَرَأناً^(٧)

أي قراءةً ، هذا هو الأصل ، ثم المقروء ، ويسمى قرأناً لأن المفعول يسمى بالمصدر ، كما قالوا للمشروب : شراب ، وللمكتوب : كتاب ، واشتهر هذا الاسم في المقروء حتى إذا طرق الأسماع سبق إلى القلوب أنه المقروء ، ولهذا لا

صفة الكلام لله تعالى على الوجه اللائق به - سبحانه - من غير تشبيه ، ولا تمثيل ، ولا تكييف ، ولا تعطيل على حدّ قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ . [الشورى : ١١] .

(١) انظر : التفسير الكبير ٨٦/٥ .

(٢) هو علي بن المبارك ، وقيل ابن حازم ، أبو الحسن اللحياني ، تقدم .

(٣) تهذيب اللغة (قرأ) ٢٩١٢/٣ .

(٤) في (م) : (قراء) .

(٥) انظر : التفسير الكبير ٨٦/٥ ، واللسان (قرأ) ٣٥٦٣/٦ .

(٦) هو الشاعر تميم بن أبي بن مقبل العجلاني ، تقدم .

(٧) صدر البيت :

ضُحُوا بِأَشْمَطَ عَنَوَانُ السَّجُودِ بِهِ

والبيت لحسان بن ثابت في رثاء الخليفة عثمان . انظر : المغني ٢١٨/١ ، رقم ٣٦٣ ، والبحر المحيط

٢/٣٢ ، ومعنى الأشمط : شيب اللحية .

يجوز أن يقال : «القرآن مخلوق مع كون القراءة مخلوقة» ؛ لأن القرآن أشهر تسمية للمقروء^(١) .

قال أبو إسحاق الزجاج^(٢) : «معنى قرآن معنى الجمع ، يقال : ما قرأت هذا الناقة سلاً قط ، إذا لم يضطم رحمها على ولد» ، وهذا مذهب أبي عبيدة^(٣) ، قال : «إنما سُمي القرآن قرآناً لأنه يجمع السور ويضمها ، وأصل القرآن : الجمع» ، وأنشد قول عمرو :

هَجَانِ اللُّونِ^(٤) لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا^(٥)

أي لم تجمع في رحمها ولداً ، ومن هذا الأصل : قرء المرأة ، وهو أيام اجتماع الدم في رحمها .

وقال قطرب^(٦) في (القرآن) قولين :

أحدهما : ما ذكرنا ، وهو قول أبي إسحاق وأبي عبيدة .

والثاني : إنه سُمي قرآناً ؛ لأن القارئ يُظهره ويُبينه ويُلقيه من فيه ، أخذ من قول العرب : «ما قرأت الناقة سلاً قط» ؛ أي ما رمت بولد ، ونحو هذا قال

(١) التفسير الكبير ٨٦/٥ ، وتفسير القرطبي ٢٧٨/٢ .

(٢) تهذيب اللغة ٢٩١٣/٣ ، وانظر : معاني القرآن للزجاج ٣٠٥/١ .

(٣) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/١ ، ٤ ، والتفسير الكبير ٨٦/٥ ، والبرهان للزركشي ٢٧٧/١ ، واللسان ٣٥٦٣/٦ .

(٤) في (م) : (اللون) .

(٥) البيت لعمر بن كلثوم في معلقته ، وأوله :

ذِرَاعِي حُرَّةَ أَدْمَاءَ بَكْرٍ

وانظر : شرح المعلقات العشر ١١١ ، والجمهرة ٧٦ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١ ، ولسان العرب

(قرأ) ، وتفسير القرطبي ١١٤/٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٧٠/١ .

(٦) تهذيب اللغة ٢٩١٢/٣ ، والتفسير الكبير ٨٦/٥ .

أبو الهيثم واللحياني ؛ أي ما أسقطت ولداً قطُّ ، وما طرحت ، وتأويله : ما حَمَلَتْ قطُّ ، وأنشد قول حميد :

أَرَاهَا الْوَلِيدُ أَنَّ الْخَلَا فَتَشَذَّرَتْ
مَرَّاحاً وَلَمْ يَقْرَأْ^(١) جَنِيناً وَلَا دَمًا^(٢)

قال : «معناه : لم ترم بجنين ، وسُمِّي قُرْء المرأة من هذا على مذهب أهل العراق ، والقرآن يلفظه القارئ من فيه ويلقيه ، فسُمِّي قرآناً ، ومعنى قرأت القرآن : لفظت به مجموعاً»^(٣) .

قال أبو إسحاق : «وهذا القول ليس بخارج من الصحة وهو حسن . قرأته أي : جَمَعْتُهُ»^(٤) .

فبيِّن على هذا أنه اسم منقول من اسم هذا الحدث ، كما أن قولنا : (زيد) في اسم رجل منقول من مصدر زاد يزيد ، فأما دخول لام التعريف فيه بعد النقل فكدخوله في الحارث والعباس والفضل بعد النقل .

ومذهب الخليل وسيبويه في هذه الأسماء التي يُسَمَّى بها ، وفيها الألف واللام ، أنها بمنزلة صفات غالبية ، كالنابغة والصَّعِق ، وهذا في ما يُنقل من الصفات ، فأما الفضل فإنها^(٥) دخله الألف واللام ؛ لأنه^(٦) أيضاً على^(٧) وعلى

(١) في (ش) : (تقرأ) .

(٢) البيت لحميد بن ثور في ديوانه ٢١ ، ولسان العرب (قرأ) ٦ / ٣٥٦٥ .

(٣) تهذيب اللغة ٣ / ٢٩١٢ ، واللسان ٦ / ٣٥٦٥ .

(٤) تهذيب اللغة ٣ / ٢٩١٢ .

(٥) في (م) : (فإنه) .

(٦) في (م) : (فإنه) .

(٧) بياض في نصف سطر في نسخة (أ) (م) ، وفي نسخة (ش) الكلام متصل كما هو مثبت ، والكلام غير واضح .

هذا دخلت اللام في قولنا : «القرآن» ، ومن هذه الأسماء ما يكون اللام فيه تعريفاً
ثانياً ، كما قالوا في اسم الشمس : إلهة والإلهة^(١) ، ومنها ما يكون اللام فيه
زائداً ، نحو قوله :

يا لَيْتَ أُمَّ العَمْرُو كَانَتْ صَاحِبِي^(٢)

قال : «وقول مَنْ يقول إن القرآن غير مهموز من قَرَنْتُ الشيء بالشيء سهوٌ ،
وإنما هو تخفيف الهمزة ونقل حركتها إلى الساكن قبلها ، فصار اللفظ به كَفُعَال ،
من قرنت ، وليس منه ، ألا ترى أنك لو سميت رجلاً بَقُرَّان^(٣) مخفف الهمزة لم
تصرفه في المعرفة ، كما لا تصرف عثمان ، ولو أردت به فعلاً من قرنت لا تصرف
في المعرفة والنكرة» ، ذكر ذلك أبو علي في المسائل الحلبية^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ ؛ أي هادياً ، وهو حال قد سَدَّ مَسَدَّ
المفعول الثاني لأنزل^(٥) ، و﴿وَبَيَّنَّتْ﴾ عطف على قوله ﴿هُدًى﴾ ، وتأويله :
أنزل القرآن بياناً للناس^(٦) .

(١) سقطت من (ش) .

(٢) عجز البيت :

مكان من أشتى على الركائب

لم يعرف قائل هذا الرجز ، والبيت ورد في الإغفال ٢٦٧/١ ، والمخصص ١٦٨/١ ، والإنصاف
٢٧٢ ، وتهذيب اللغة ١٣٤٧/٢ ، والصحاح ١٦٩/٣ ، واللسان (ربع) ١٥٦٣/٢ . انظر : ٤٣ من
هذا المجلد .

(٣) في (ش) : (بقرأت) .

(٤) المسائل الحلبية ٢٩٧ ، وانظر : البرهان للزركشي ٢٧٨/١ .

(٥) انظر : معاني القرآن للأخفش ١٥٩/١ ، وتفسير الثعلبي ٢٧٨/٢ ، والبحر المحيط ٤٠/٢ .

(٦) انظر : البحر المحيط ٤٠/٢ .

والبَيِّنَات : جَمْعُ بَيِّنَةٍ ، يقال : «بَانَ الشَّيْءُ يَبِينُ بَيَانًا فَهُوَ بَيِّنٌ ، مثل : يَبِّعُ بِمَعْنَى بَايَعَ . والبَيِّنَات : الواضحات»^(١) .

وقوله تعالى : ﴿مَنْ أَلْهَدَى﴾ ؛ أي من الحلال والحرام والحدود والأحكام .

وكنّا قد ذكرنا معنى الفرقان في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ [البقرة: ٥٣] . قال عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿وَيَبِّعَتْ مِنْ أَلْهَدَى﴾ : يريد : من الرشاد إلى مرضاة الله ، و﴿وَالْفُرْقَانِ﴾ : «يريد : فَرَّقَ فيه بين الحق والباطل ، وبَيَّنَ لكم ما تأتون وما تذرُونُ» .

وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ﴾ : زعم الأخفش والمازني أن الفاء هاهنا زائدة ؛ وذلك أن الفاء تدخل للعطف أو للجزاء أو زيادة ، وليس للعطف ولا للجزاء هاهنا مذهب^(٢) . ومن زيادة الفاء قوله : ﴿قُلْ إِنْ أَلَمَوْتَ الَّذِي تَقْرُؤُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾ [الجمعة : ٨] ، وقول الشاعر :

لا تجزعي إنْ مُنْفساً أهلكته وإذا هلكْتُ فعندَ ذلكَ فاجزعي^(٣)

ألا ترى أن إحدى الفاعلين لا تكون إلا زائدة ؛ لأن (إذا) إنما تقتضي جواباً واحداً .

قال أبو علي : «ولا يمتنع»^(٤) أن يكون دخول الفاء لمعنى الجزاء ؛ لأن شهر رمضان وإن كان معرفة فليس معرفة^(٥) بعينه^(٦) ، ألا ترى أنه شائع في جميع هذا

(١) انظر : تفسير البغوي ١/ ١٩٩ .

(٢) نقله عنه في التفسير الكبير ٥/ ٨٧ ، ٨٨ ، والعكبري في التبيان ١١٧ ، ١١٨ .

(٣) البيت للنمر بن تولب في ديوانه ٧٢ ، وانظر : لسان العرب (نفس) ٨/ ٤٥٠٣ .

(٤) في (ش) : (لا يمتنع) .

(٥) ليست في (أ) و(م) .

(٦) في (ش) : (معينة) .

القبيل ، لا يراد به واحدٌ بعينه ، فلا يمتنع من أجل ذلك من معنى الجزاء ، كما يمتنع ما يشار به إلى واحد مخصوص ، ومن ثم لم يمتنع ذلك في صفة الموت في قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ ﴾ [الجمعة : ٨] ؛ لأن الموت ليس يراد به موتٌ بعينه ، إنما يراد به الشَّياع ومعنى الجنس وخلاف الخصوص ، والجزاء يوجبُ الشَّياع والإبهام واستغراق الجميع ، ويكون التقدير فيه : الذي أنزل فيه القرآن من هذه الشهور التي سُمِّي الواحد منها رمضان فمن شهدة فليصمه^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ﴾ ؛ أي حضر . ومعنى الشهود في اللغة : الحضور^(٢) ، ومفعول (شَهِدَ) محذوف ؛ لأن المعنى : فمن ﴿ شَهِدَ ﴾ منكم البلد أو بيته ، يعني : لم يكن مسافراً^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ الشَّهْرَ ﴾ : انتصب على الظرف ، ولا يجوز أن يكون مفعولاً به ؛ لأنه ما من أحد غاب أو حضر إلا وهو يشهد الشهر ، لكن المعنى : مَنْ شهد منكم بيته في الشهر^(٤) ، ولا بدَّ أيضاً من إضمار حال الشاهد وصفته ، التي بوجودها يجب الصوم ، وهو أن يقال : مَنْ شهد منكم الشهر عاقلاً بالغاً مقيماً صحيحاً^(٥) .

(١) انظر : التفسير الكبير ٨٨ / ٥ ، قال : «وأقول : يمكن أن يقال الغاء هاهنا للجزاء ، فإنه تعالى لما بين كون رمضان مختصاً بالفضيلة العظيمة التي لا يشاركه سائر الشهور فيها ، فبين أن اختصاصه بتلك الفضيلة يناسب اختصاصه بهذه العبادة ، ولولا ذلك لما كان لتقديم بيان تلك الفضيلة هاهنا وجه ، كأنه قيل : لما علم اختصاص هذا الشهر بهذه الفضيلة فأنتم أيضاً خُصُّوه بهذه العبادة» .

(٢) انظر : التبيان ١١٥ ، والبحر المحيط ٤١ / ٢ .

(٣) المراجع السابقة .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٣٨ / ١ ، والكشاف ١١٤ / ١ ، والبحر المحيط ٤١ / ١ ، قال : «وقيل : انتصاب الشهر على أنه مفعول به ، وهو على حذف مضاف ، أي : فمن شهد منكم دخول الشهر عليه ، وهو مقيم لزمه الصوم» ، ثم قال : «وقيل : التقدير : هلال الشهر ، وهذا ضعيف ؛ لأنك لا تقول : شهدت الهلال ، إنما تقول : شاهدت ، ولأنه كان يلزم الصوم من كل مَنْ شهد الهلال وليس كذلك» .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٤٨ / ٢ ، وأحكام القرآن للجصاص ١٨٣ / ١ ، وتفسير الثعلبي ٢٩٨ / ٢ .

قوله : ﴿فَلْيَصُْمُهُ﴾ : قال ابن عباس وأكثر أهل التأويل : «معناه : فليصم ما شهد منه ؛ لأنه إن سافر في حال الشهر كان له الإفطار»^(١) .

وذهبت طائفة إلى أنه إذا شهد أول الشهر مقيماً ثم سافر لم يحل له الإفطار ، وهو قول النخعي^(٢) ، والسدي^(٣) ، وابن سيرين^(٤) ، ومذهب جماعة^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ : أعاد هاهنا تخيير المريض والمسافر وترخيصهما في الإفطار ؛ لأن الله تعالى ذكر في الآية الأولى تخيير المقيمين بقوله : ﴿فَلْيَصُْمُهُ﴾ ، فلو اقتصر على هذا لاحتمل أن يعود النسخ إلى تخيير

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٨/٣ ، والطبري ١٤٦/٢ ، والبيهقي ٢٤٦/٤ ، وذكرها الثعلبي ٣٠٠/٢ ، وابن العربي في أحكام القرآن ٨٢/١ ، والقرطبي ٢٩٩/٢ ، وروى الطبري في تفسيره عن ابن عباس ما يوافق القول الثاني ١٤٧/٢ .

(٢) رواه عنه الطبري في تفسيره ١٤٧/٢ ، وذكره ابن أبي حاتم ٣١٢/١ .

(٣) رواه عنه الطبري ١٤٦/٢ ، وذكره ابن أبي حاتم ٣١٢/١ .

(٤) رواه عنه عبدالرزاق في المصنف ٢٦٩/٤ ، وابن أبي شيبة في المصنف ١٨/٣ ، والطبري ١٤٦/٢ ، ١٤٧ ، وقد ذكره من روايته عن عبيدة السلماني عن علي مرة ، وعن عبيدة مرة أخرى .

(٥) وممن حكي عنه هذا علي ، وعائشة ، وابن عمر ، وابن عباس رضي الله عنهم ، وعبيدة السلماني ، وسعيد بن جبير ، وابن الخنفية ، وسويد بن غفلة ، وعلي بن الحسين ، ومجاهد ، والشعبي ، وأبو مجلز ، وغيرهم . انظر : الروايات عنهم في تفسير الطبري ١٤٦/٢ ، ١٤٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣١٢/١ ، وتفسير الثعلبي ٢٩٨/٢ . وقال ابن العربي في أحكام القرآن ٨٣/١ : «وقد سقط القول الأول -يعني : قول هؤلاء- بالإجماع من المسلمين كلهم على الثاني ، وكيف يصح أن يقول ربنا : (فمن شهد منكم الشهر فليصم منه ما لم يشهد) ، وقد روي أن النبي ﷺ «سافر في رمضان فصام حتى بلغ الكديد فأفطر وأفطر المسلمون» . رواه البخاري رقم ٢٩٥٣ ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : الخروج في رمضان ، ومسلم رقم ١١١٣ ، كتاب : الصيام ، باب : جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر . . . » ، وقال جمهور الأمة : «من شهد أول الشهر وآخره فليصم ما دام مقيماً ، فإن سافر أفطر» ، وهذا هو الصحيح ، وعليه تدل الأخبار الثابتة . انظر : المغني ٣٤٣/١ ، ٣٤٤ ، وتفسير ابن كثير ٢٣١/١ .

الجميع ، فأعاد بعد النسخ ترخيصَ المسافر والمريض ؛ ليعلم أنه باقٍ على ما كان^(١) .

والمرض الذي يبيح الإفطار هو كل مرض كان الأغلبُ من أمر صاحبه بالصوم الزيادة في علته زيادةً لا يحتمله ، والأصل فيه أنه إذا أجهدَه الصوم أفطر^(٢) .

وحَدَّ السَّفَرِ الذي يبيح الإفطار^(٣) ستة عشر فرسخاً^(٤) فصاعداً . والإفطار رخصة من الله للمسافر ، فَمَنْ^(٥) أَفْطَرَ فبرخصة الله أخذ ، وَمَنْ صَامَ ففرضه

(١) انظر : تفسير البغوي ١/ ١٩٩ .

(٢) انظر : أحكام القرآن للشافعي ١٢١ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ٣٠٤ ، وأحكام القرآن لابن العربي ١/ ٧٧ ، وتفسير القرطبي ٢/ ١٥٦ ، ١٥٧ ، والمغني ٤/ ٤٠٣ ، وذكر الطبري في تفسيره ٢/ ١٥٠ أقوال العلماء في المرض الذي يبيح الفطر ، فذكر ثلاثة أقوال : الأول : هو الذي لا يطبق معه صاحبه القيام لصلاته ، ورواه عن الحسن وإبراهيم النخعي . والثاني : كل مرض كان الأغلب من أمر صاحبه بالصوم الزيادة في علته زيادة غير محتملة ، ونسبه إلى الشافعي . والثالث : كل مرض يسمى مرضاً ، ونسبه إلى محمد بن سيرين ، ورجَّح أن من أجهدَه الصوم جهداً غير محتمل من المرض فله الفطر . وذكر القرطبي أن الجمهور يرون أن مَنْ كان به مرض يؤلمه ويؤذيه ، أو يخاف نماديه ، أو يخاف تزيده صح له الفطر ، وقد ذكر قبل ذلك أن للمريض حالتين ؛ إحداهما : أن لا يطبق الصوم بحال ، فعليه الفطر واجباً . والثانية : أن يقدر على الصوم بضرر ومشقة ، فهذا يستحب له الفطر ، ولا يصوم إلا جاهل . وهذا من كلام ابن العربي في الأحكام ١/ ٧٧ .

(٣) اختلف العلماء في حَدَّ السفر الذي يبيح الفطر على أقوال كثيرة . انظر : تفسير الثعلبي ٢/ ٣٢٧ ، والمغني ٣/ ١٠٥ - ١١٠ ، ٤/ ٣٤٥ ، وأحكام القرآن لابن العربي ١/ ٧٧ ، وتفسير القرطبي ٢/ ٢٥٧ ، ٢٥٨ . والذي في البخاري : كان ابن عمر وابن عباس يفطران ويقصران في أربعة برد ، وهي ستة عشر فرسخاً .

(٤) الفرسخ : ثلاثة أميال هاشمية ، والميل : ستة آلاف ذراع ، والذراع : أربع وعشرون إصبعاً معتدلة معترضة ؛ أي إن طول الفرسخ نحو ٦ كلم . انظر : المجموع شرح المذهب ٤/ ١٩٠ ، والقاموس ٣٢٩ ، والمكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ٩٤ .

(٥) في (أ) و(م) : (ومن) .

أَدَّى ، على هذا عامة الفقهاء^(١) . وَمَنْ أَجْهَدُهُ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ كُرْهُ لَهُ ذَلِكَ^(٢) ،
وفي مثل هذا جاء ما روي أنه ﷺ قال : « ليس من البر الصوم في السفر »^(٣) يريد :
لَمْ يَشُقْ عَلَيْهِ وَيَجْهَدُهُ .

وذهب قوم من الصحابة إلى أن الإفطار في السفر واجب^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ ؛ أي بالرخصة للمسافر والمريض^(٥) .
وَالْيُسْرُ فِي اللُّغَةِ : معناه السهولة ، ومنه يقال لِلْغِنَى وَالسَّعَةِ : الْيُسَارُ ؛ لأنه يتسهل
به الأمور ، واليد الْيُسْرَى قِيلَ : على التفاؤل باليسر ، وقيل : لأنه يتسهل الأمر
بمعاونتها اليمنى^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ : لأنه لم يشدد ولم يضيق عليكم ، وهذه
الإرادة ونفي الإرادة تختص بالأحكام لأهل الإسلام^{(٧)(٨)} . قال الحسين بن
الفضل : « يريد الله أن يكون أمره بالصوم عليكم ميسراً ، ولم يرد أن يكون أمره
بالصوم عليكم مُعَسِّراً »^(٩) .

(١) انظر : تفسير الطبري ١٥٣/٢ ، وتفسير الثعلبي ٣١١/٢ ، والمغني ٤٠٦/٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٥٥/٢ ، وتفسير الثعلبي ٣١٨/٢-٣٢٢ ، وتفسير القرطبي ٢٦٠/٢ .

(٣) أخرجه البخاري ١٩٤٦ ، كتاب : الصوم ، باب : قول النبي ﷺ لَمَنْ ظَلَلَ عَلَيْهِ وَاشْتَدَّ الْحَرُّ ، وَمُسْلِمٌ
١١١٥ ، كتاب : الصيام ، باب : جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر . من حديث جابر ،
وقد روي من حديث أبي سعيد وأنس .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٥٢/٢ ؛ إذ روى ذلك عن عمر ، وأبي هريرة ، وعروة بن الزبير . انظر أيضاً :
تفسير الثعلبي ٣٠٥/٢ ، والمغني ٤٠٦/٤ ، وتفسير ابن كثير ٢٣١/١ .

(٥) تفسير الثعلبي ٣٢٧/٢ .

(٦) انظر : المفردات ٥٥٣ ، واللسان (يسر) ٨/٤٩٥٧-٤٩٦٠ .

(٧) في (أ) و(م) : لأهل (الأحكام) سلام .

(٨) تفسير الثعلبي ٣٢٨/٢ .

(٩) لم أجده .

وقوله تعالى : ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ : ذكرنا معنى العِدَّة^(١) ، والمِدَّة من الأيام تسمى عِدَّة ، قال أبو زيد : «يقال انقضت عِدَّة الرجل إذا انقضى أجله»^(٢) .

قال عطاء عن ابن عباس : «ولتكمّلوا عِدَّة أيام الشهر ، إن كان ثلاثين قضيتم ثلاثين ، وإن كان تسعاً وعشرين قضيتم تسعاً وعشرين ، عدداً^(٣) بعدد»^(٤) . وروى عنه أيضاً : «يعني : عِدَّة ما أفطرتم ، يوماً مكان يوم» . رواه الكلبي عن أبي صالح عنه^(٥) ، فحمل ابن عباس إكمال العِدَّة في الروايتين على قضاء رمضان^(٦) .

ومعنى الواو في قوله : ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ على هذا التفسير : العطف على معنى الكلام لا على ظاهر اللفظ ؛ وذلك أن في إباحته الإفطار للمريض والمسافر تسهيل ، فتأويل الكلام : فعل الله ذلك ليسهل عليكم ، ولتكمّلوا العِدَّة إذا أقمتم وبرأتم . والعرب ربما تحمل الكلام على المعاني وتترك اللفظ ، أنشد الزّجاج^(٧) :

بَادَتْ وَغَيْرَ آيَهِنَّ مَعَ الْبَلَى إِلَّا رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءً
وَمُشَجَّجٌ أَمَا سِوَاءَ قَدَالِهِ فَبِدَا وَغَيَّبَ سَارَهُ الْمَغْزَاءُ^(٨)

(١) تقدم معنى العِدَّة في الآية السابقة .

(٢) انظر : اللسان (عدد) ٥ / ٢٨٣٤ .

(٣) روى الطبري ١٥٦ / ٢ ، ١٥٧ ، أثرين عن الضحاك وابن زيد بمعنى ما ذكر .

(٤) تقدم الحديث عن رواية عطاء ٩٢ .

(٥) تقدم الحديث عن رواية الكلبي ٩٢ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٥٦ / ٢ ، ١٥٧ ، وتفسير الثعلبي ٣٣٠ / ٢ ، وتفسير أبي المظفر السمعاني ١٧٤ / ٢ .

(٧) معاني القرآن للزّجاج ١ / ٢٥٤ ، وانظر : التفسير الكبير ٥ / ٩٢ .

(٨) البيت لشماخ بن ضرار في ملحق ديوانه ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ولذي الرمة في ملحق ديوانه ١٨٤٠ ، ١٨٤١ ، ولسان العرب ٤ / ٢١٩٧ . الرواكد : الأثافي ، والمغزاء بفتح الميم : الأرض الغليظة الصلبة ، والمشجج : الوتد ، والقذال : أعلاه ، وساره : سائرته . وهذا البيت من شواهد الكتاب لسيبويه ١ / ١٧٣ ، ١٧٤ .

فعطف المشجج على معنى : بها رواكد ومُشجج ؛ لأنه لما قال : بادت إلا رواكد ومُشجج علم أن المعنى بقيت رواكد ومُشجج ^(١) .

واحتج ابن الأنباري لهذه الطريقة بقول الشاعر :

قد سالم الحيات منه القدما الأفعوان والشجاع الشجعما ^(٢)

رد الأفعوان والشجاع على الحيات بالنصب ، وهي مرفوعة على تغليب المعنى وتحلية ^(٣) اللفظ ؛ لأن الحيات إذا سالت القدم فقد سالتها القدم . قال : «ويحتمل أن تكون الواو عاطفة على مضمَر في الكلام يدل عليه المعنى ، والتأويل : يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ، ليسعدكم ولتكمّلوا العدة ، فحذفت اللام الأولى لوضوح معناها ، وبقيت الثانية منعطفة عليها ؛ لأن قيام معناها في الكلام يجري مجرى إظهارها» .

واختار الفراء هذا القول ، وقال : «معنى الآية : ولتكمّلوا العدة في قضاء ما أفطرتم ، والواو واو استئناف ، واللام من صلة فعل مضمَر بعدها ، والتقدير : ولتكمّلوا العدة فعل ذلك ، أو شرع ذلك ، أي : الرخصة في الإفطار . ومثله : ﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام : ٧٥] ؛ أي وليكون من المؤمنين أريناه ذلك» ، وروي عن ابن عباس أيضاً ما يدل على أن المراد بإكمال العدة إكمالها في الأداء لا في القضاء ؛ وهو أنه قال في قوله :

(١) زيادة يقتضيها الكلام ، من معاني القرآن للزجاج ٢٥٤ / ١ .

(٢) اختلف في قائل هذا الرجز ، فُنسب في اللسان (شجع) ٢٢٠١ / ٤ إلى مساور بن هند ، ويقال هو لأبي حيان الفقعي ، وفي كتاب سيبويه ١٤٥ / ١ لعبد بني عبس ، ونسبه الأعم إلى العجاج . وفي شرح شواهد المغني للسيوطي ٣٢٩ قال : «هو من أرجوزة لأبي حيان الفقعي ، وقيل : لمساور بن هند العبسي ، وبه جزم البطليوسي ، وقيل : للعجاج» ، وقال السيرافي : «قائله التدمري» ، وقال الصغاني : «قائله عبد بني عبس» . انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٩٥ .

(٣) في (أ) : (تحلية) .

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾: يعني: عِدَّة أيام الشهر^(١). وتقدير الآية على هذا التفسير: يريد الله بكم اليُسْر ولا يريد بكم العُسْر، ويريد لتكملوا العِدَّة. وأجمع المفسرون على أن المراد به إكمال العِدَّة في القضاء^(٢).

وفي قوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ قراءتان: التخفيف والتشديد^(٣)، فمن خَفَّفَ فلقوله: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٤) [المائدة: ٣]، وقد قال امرؤ القيس:

طوال المتون والعرانين والقنا لطافُ الخُصور في تمام وإكمال^(٥)
ومن شَدَّدَ فلأن فَعَلَ وأفعل يتعاقبان في أكثر الأحوال، كما ذكرنا في وصي وأوصى^(٦).

وقال النابغة:

فكَمَلْتُ مائةَ فيها حمامُتها وأسَرَعْتُ حِسْبَةً في ذلكَ العددِ^(٧)
والسلام في ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ لام كي^(٨)، وليست لام الأمر، ولو كانت لام الأمر لجاز تسكينها مع الواو؛ لأنه إذا دخل على لام الأمر الواو أو الفاء أو ثم

(١) معاني القرآن للقرآء ١/١١٣، ١١٤، وانظر: التفسير الكبير ٥/٩٢، واختار هذا الطبري في تفسيره ١٥٧/٢.

(٢) هذا من رواية عطاء، وقد تقدم الحديث عنها، ونسبه الثعلبي ٢/٣٢٩، والبغوي ١/٢٠١ إلى عطاء.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٢/١٥٧، وتفسير ابن أبي حاتم ١/٣١٣، وتفسير البغوي ١/٢٠١، والمحرر الوجيز ٢/١١٤، ١١٥، وتفسير ابن كثير ١/٢٣٢.

(٤) قرأ يعقوب وأبو بكر بن عياش عن عاصم بتشديد الميم، وقرأ الباقر بالتخفيف. انظر: النشر ٢/٢٢٦، والحجة ٢/٢٧٤.

(٥) البيت لامرئ القيس في ديوانه ١٣٩.

(٦) انظر: الحجة لأبي علي ٢/٢٧٤، ٢٧٥.

(٧) ديوان النابغة ١٦.

(٨) انظر: تفسير الثعلبي ٢/٣٢٩، ومعاني القرآن للأخفش ١/٣٥٠، وتفسير البغوي ١/٢٠١.

جاز تسكينها وتحريكها ، كقوله : ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩] ، قُرِئَ بالتسكين والحركة^{(١)(٢)} ، ونذكر الكلام فيه في سورة الحج إن شاء الله .

قوله تعالى : ﴿وَلْيُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ﴾ : قال عطاء عن ابن عباس : «يريد لتعظموا الله على ما أرشدكم له من شرائع الدين»^(٣) . وقال أكثر العلماء^(٤) : «أراد به التكبير ليلة الفطر»^(٥) .

قال ابن عباس في هذه الآية : «حق على المسلمين إذا رأوا هلال شوال أن يُكَبِّرُوا»^(٦) .

١٨٦ . قوله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ الآية : قال الضحاك : «سأل بعض الصحابة النبي ﷺ : أقریب ربنا فنناجیه أم بعید فننادیه ؟ فأَنزل الله هذه الآية»^(٧) .

(١) سقطت من (م) .

(٢) انظر : الحجة لأبي علي ٢/ ٢٧٦ ، ٢٧٧ . قرأ ابن ذكوان بكسر اللام فيهما ، وقرأ الباقر بالإسكان ، وقرأ شعبة بفتح الواو وتشديد الفاء من : (وليوفوا) ، وقرأ الباقر بسكون الواو وتخفيف الفاء .

(٣) هذا من رواية عطاء ، وقد تقدم الحديث عنها ٩٢ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ٢/ ٣٣٠ من دون عزو إلى أحد .

(٤) في (م) : (المفسرين العلماء) .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٢/ ١٥٧ ، وتفسير القرطبي ٢/ ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

(٦) رواه الطبري عنه في تفسيره ٢/ ١٥٧ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ٢/ ٣٣٠ ، وهو مروي عن زيد بن أسلم كما في المرجعين السابقين .

(٧) ذكره الثعلبي في تفسيره ٢/ ٣٣٣ ، وكذا البغوي ١/ ٢٠٥ ، وروى الطبري ٢/ ١٥٨ ، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٤ ، وأبو الشيخ في العظمة ٢/ ٥٣٥ وغيرهم عن أبي الصلت بن حكيم عن أبيه عن جده ، بمثل حديث الضحاك ، وذكر في الدر المنثور ١/ ٣٥٢ «أنه رواه البغوي في معجمه ، وابن مردويه» . قال أحمد شاكر : «وهذا الحديث ضعيف جداً ، منهار الإسناد بكل حال» . حاشية تفسير الطبري ٢/ ١٥٨ ، وعزاه السيوطي في الدر ١/ ٣٥٢ من حديث أبي بنحوه إلى سفيان بن عيينة في تفسيره ، وعبدالله بن الإمام أحمد في زوائده على الزهد من طريق سفيان عن أبي .

وقال الحسن : سأل أصحاب النبي ﷺ^(١) فقالوا : أين ربنا ؟ فأنزل الله هذه الآية^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ : قال عطاء عن ابن عباس : «من أوليائي وأهل طاعتي»^(٣) .

وقال أهل المعاني : «يريد قربَه بالعلم ، كما قال : ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة : ٧] ، وقال : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد : ٤] يريد بالعلم»^(٤) .

(١) من قوله : «أقرب» ساقط من (ش) .

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٧٣/١ ، وعنه الطبري في تفسيره ١٥٨/٢ ، وإسناده صحيح إلى الحسن ، لكنه ضعيف لإرساله كما ذكر ذلك أحمد شاكر في تعليقه على الطبري ، وعزاه السيوطي في الدر ٣٥٢/١ من حديث أنس بنحوه إلى ابن مردويه .

(٣) تقدم الحديث عن هذه الرواية .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٣٣٤/٢ ، والدر المصون ٢٨٩/٢ . وقد بين شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٥/٢٤٧ ، ٤٦٠ أن ما نطق به الكتاب والسنة من قرب الرب من عابديه وداعيه هو مقيد لا مطلق لجميع الخلق ، وذكر - رحمه الله - أن قرب الله ودنوه من بعض مخلوقاته لا يستلزم أن تخلو ذاته من فوق العرش ، بل هو فوق العرش ويقرب من خلقه كيف يشاء ، كما قال ذلك من قال من السلف ، وهذا مثل قربهِ من عبده موسى لما كلمه من الشجرة . انظر : مجموع الفتاوى ١٣/٦ ، والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للشيخ عبدالله المحمود ٧٣٥-٧٥١ .

وقال الشيخ ابن عثيمين في شرحه للعقيدة الواسطية ٤٦٠ ما خلاصته : «اعلم أن من العلماء من قسم قرب الله إلى قسمين ، كالمعية ، وقال : القرب الذي مقتضاه الإحاطة قرب عام ، والقرب الذي مقتضاه الإجابة والإثابة قرب خاص ، ومنهم من يقول : إن القرب خاص فقط ، مقتضى لإجابة الداعي وإثابة العابد ، ولا ينقسم ، مستدلين بهذه الآية ، ويقولون ﷺ : «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» . رواه مسلم ٤٨٢ ، كتاب : الصلاة ، باب : ما يقال في الركوع والسجود ، وهذا اختيار شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم ، وقد أورد على قولها : قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَفَعَّلْنَا مَا نُؤْمِسُ بِهِ نَفْسُهُ. وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ، وقوله : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ، وهاتان عامتان في المؤمن والكافر ، وأجيب بأن القرب فيها إنما هو للملائكة ، ألا ترى أنه قال بعد الأولى : إذ يتلقى المتلقيان ، وهما من الملائكة ، وقال في الثانية : ولكن لا تبصرون ؛ أي لا تبصرون الملائكة وهم حاضرون لقبض الروح .

وقوله تعالى : ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ : قال ابن عباس : «أَتَقَبَّلْ عِبَادَةَ مَنْ عَبْدَنِي وَوَحَّدَنِي»^(١) .

ويصحُّ حملُ الإجابة على القبول إذا حملت الدعاء على العبادة ، والدعاء ضُرُوبٌ ، فما كان توحيداً وثناءً على الله ، كقولك : «يا الله لا إله إلا أنت» ، وقولك : «ربنا لك الحمد» يكون عبادة ؛ لأنك دعوت الله ثم وَحَّدته وأثنت عليه ، ولهذا يسمى دعاءً ، ولما سمي العبادة دعاءً سمي القبول إجابةً ؛ ليتجانس اللفظ ، ومثله كثير في كلام العرب^(٢) .

وقال ابن الأنباري : «﴿أَجِيبْ﴾ هاهنا معناه : أسمع ؛ لأنه أَخْبَرَ عن قُرْبِهِ تعالى ، وظاهر القُرْبِ يدل على السماع لا على الإجابة ، والإجابة قد تكون في بعض المواضع بمعنى السماع ؛ لأنها تترتب على السماع ، فسمى السماع إجابةً ، كما تقول : «دعوت مَنْ لا يجيب» ؛ أي دعوت مَنْ لا يسمع .

قال الشاعر :

منزلةٌ صُمَّ صداها وعَفَتْ أرْسُمُها إنْ سُئِلَتْ لم تُجِبْ^(٣)

أراد : لم تَسْمَعْ ، فنفي الإجابة ؛ لأن نفيها يدل على نفي السمع ، ولما جعلوا الإجابة بمعنى السمع جعلوا السمع بمعنى الإجابة ، فيقال : «سمع الله لمن حمده» ، يراد به : أَجَابَهُ .

(١) هذه من رواية عطاء ، وقد تقدم الحديث عنها .

(٢) من معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٥٥/١ بتصرف ، وذكر ضريبن آخرين ؛ أحدهما : مسألة الله العفو والرحمة . وثانيهما : هو مسألته من الدنيا ، مثل قولك : «اللهم ارزقني مالاً وولداً» . انظر : البحر المحيط ٤٧/١ .

(٣) البيت بلا نسبة في لسان العرب ٦١٨/١ ، ١١٥٢/٢ .

وأنشد أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي :

دعوتُ الله حتى خِفْتُ أن لا يكونَ اللهُ يَسْمَعُ ما أقولُ^(١)

أراد : يجب ، وإنما قام أحدهما مقام الآخر ؛ لأنها يترتبان في الوجود^(٢) .

وقال السُّدِّي : «ما من مؤمن يدعو الله إلا استجاب له ، فإمّا أن عَجَلَ له في الدنيا ، وإمّا ادَّخَرَ^(٣) له في الآخرة ، أو دفع به عنه مكروهاً»^(٤) .

و﴿أَجِيبْ﴾ : موضعه نصب^(٥) على الحال ، وتأويله : فإني قريبٌ مجيباً دعوة الداعي ، فلما كان مستقبلاً رُفِعَ بما في أوله ، ويجوز أن يكون مستأنفاً منقطعاً مما قبله ، ويجوز أن يكون محمولاً على ﴿قَرِيبٌ﴾ . تأويله : فإني قريبٌ مجيب ، فلما كان في لفظ الاستقبال رُفِعَ بالألف ، وتأويله الرفع على النعت لقريب^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ ؛ أي فليجيبوني بالطاعة وتصديق الرسل ، وأجاب واستجاب بمعنى^(٧) .

(١) البيت لسمير بن الحارث الضبي في تاج العروس (سمع) ٢٢٧/١١ ، وفي نوادر أبي زيد ١٢٤ .

(٢) انظر : تفسير البغوي ٢٠٦/١ ، والبحر المحيط ٤٧/١ .

(٣) في (ش) : (آخر) .

(٤) رواه الطبري عنه في تفسيره ١٥٩/٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣١٤/١ .

(٥) في (ش) : (نصباً) .

(٦) انظر : البحر المحيط ٤٥/٢ ، وذكر أيضاً إعراباً آخر ، هو أن أجيب خبر بعد خبر .

(٧) انظر : تفسير الطبري ١٥٩/٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣١٥/١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٥٥/١ ، وتفسير الثعلبي ٣٣٥/٢ .

قال كعب الغنوي^(١) :

وداعٍ دَعَا يا^(٢) مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدى
فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ^(٣)

قال أهل المعاني : «الإجابة من العبد لله تعالى : الطاعة ، وإجابة كل شيء على وفق السؤال ، والله تعالى تَعَبَّدَنَا بالطاعة ، فالإجابة منّا له أن نطيعه ، يقال : سأل فلان فلاناً شيئاً فلم يكن له عنده إجابة ، أي : إعطاء ؛ لأن سؤاله كان استعطاءً ، ويقال : أجابت السماء بالمطر إذا أرسلت المطر ، وأجابت الأرض بالنبات إذا أنبت»^(٤) . قال زهير :

وغيثٍ مِنَ الوسميِّ حُوِّ تِلَاعُهُ أجابت روابيه النَّجَاءَ هَوَاطِلُهُ^(٥)
وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ؛ أي ليكونوا على رجاء من إصابة الرشد^(٦) .

(١) كعب بن سعد بن عمرو الغنوي ، من بني غنى ، شاعر جاهلي حلو الديباجة ، يقال له كعب الأمثال ؛ لكثرة ما في شعره من الأمثال ، أكثر شعره في رثاء أخ له قُتل في حرب ذي قار ، قال عنه الأصمعي بين أصحاب المراثي : «ليس في الدنيا مثله» . وقد رَدَّ الزركلي وعبدالعزیز الميمني قولَ الغدادي والبكري : «إنه شاعر إسلامي» ، توفي نحو سنة ١٠ ق هـ . انظر : سمط اللآلي ٧٧٢ ، والأعلام ٥/ ٢٢٧ ، وجمهرة أشعار العرب ٢٥٠ .

(٢) في (ش) : (دعانا) .

(٣) البيت في الأصمعيات ٩٦ ، والأملالي لأبي علي ١٥١/٢ ، ومجاز القرآن ٦٧/١ ، ولسان العرب (جوب) ٢٨٣/١ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٥٩/٢ ، وتفسير الثعلبي ٣٣٦/٢ ، والبحر المحيط ٤٧/٢ .

(٥) البيت في ديوانه ١٢٧ . انظر : المخصص لابن سيده ١٩٠/١٠ ، وتفسير الثعلبي ٣٣٦/٢ .
الوسمي : أول المطر ، وحوّ : تضرب إلى السواد من شدة خضرة نبتها ، والتلاع : مسيل ما ارتفع من الأرض إلى بطن الوادي ، والروابي : ما ارتفع من الأرض ، وهواطله : مواطره ، والهطل : مطر لين ليس بالشديد . انظر : الديوان بشرح ثعلب ١٢٧ .

(٦) انظر : البحر المحيط ٤٧/٢ .

وقال ابن عباس : «لَكي يرشدوا»^(١) ، ويقال : «رَشِدَ يَرشُدُ ورشَدَ يَرشُدُ : إذا أصاب الرشد ، وهو نقيض الغي»^(٢) .

١٨٧ . قوله تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ الآية . قال المفسرون : «كان في أول فرض الصيام الجماع محرماً في ليل الصيام ، والأكل والشرب بعد العشاء الآخرة ، فأحل الله - عز وجل - ذلك كله إلى طلوع الفجر»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿لَيْلَةَ الصَّيَامِ﴾ : أراد لَيْلِي الصيام ، فأوقع الواحد مَوْقِعَ الجماعة^(٤) ، ومنه قول العباس بن مرداس^(٥) :

فقلنا أسلموا إنا أخوكم فقد برئت من الإحنِ الصُّدُورُ
وأما^(٦) الرفث فقال الليث : «الرفث : الجماع ، وأصله : قول الفحش» ،
وأنشد الزَّجَّاج :

عَنِ اللَّغَا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ^(٧)

(١) هذا من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها .

(٢) انظر : المفردات للراغب ٢٠٢ ، وقال : «وقال بعضهم : الرَّشْدُ أخص من الرُّشْد ، فإن الرُّشْدَ يقال في الأمور الدنيوية والأخروية ، والرَّشْدُ يقال في الأمور الأخروية لا غير ، والراشد والرَّشِيدُ يقال فيها جميعاً» .

(٣) من معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٢٥٥ ، وقد اختصر المؤلف قصة سبب النزول ، وهي مطولة . انظر : تفسير الطبري ٢/ ١٦٥ - ١٦٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣١٦ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ٣٤٦ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٢٣٥ ، ورواها البخاري ١٩١٥ ، ٤٥٠٨ .

(٤) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٦٧ .

(٥) انظر : التعليق عند تفسير [البقرة : ٦١] .

(٦) في (م) : (فأماً) .

(٧) قبله : وَرَبَّ أَسْرَابٍ حَجِيجٍ كُظُمَ

وهو للعجاج من ميميته الطويلة في ديوانه ٢٩٦ . أَسْرَابٌ : قطع ، وكُظُمَ : لا تتكلم بالكلام القبيح ، واللُّغَا (بفتح اللام) : اللغو من الكلام . معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٢٦٩ .

يقال : «رَفَثَ في كلامه يَرْفُثُ ، وأرَفَثَ : إذا تكلم بالقبيح» ، هذا هو الأصل ، ثم يُكْنَى به عن الجماع^(١) .

قال أبو إسحاق : «الرَّفَثُ : كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة»^(٢) .
وقال عطاء في ما روى عن ابن عباس : «الرفث : الجماع»^(٣) .

قال ابن عباس : «إن الله حيي كريم يكني ، فما ذكر الله في القرآن من المباشرة والملازمة والإفضاء والدخول والرفث فإنما يعنى به الجماع»^(٤) .

قال الزَّجَّاجي : «قد تأملنا الألفاظ الواردة عن العرب ، المستعملة في معنى الجماع ، فما وجدنا فيها لفظةً وُضِعَتْ حقيقة في معنى الجماع حتى لا تستعمل في غيره ، لكن الكلمة إذا كثرت استعمالها في معنى ويكون موضوعها لمعنى آخر فإنها تصير حقيقة في ما استعملت فيه كثيراً ، حتى إذا أطلق لم يعرف غير ذلك ، كما تقول في المباشرة ، فإن أصلها من البَضْع ، وهو قَطْعُ اللحم ، فإذا أطلق لم يعرف

(١) انظر : الرفث في تهذيب اللغة ١٤٣٧/٢ ، واللسان ١٦٨٦/٣ ، والمفردات ٢٠٥ . الرفث : كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه ، وجعل كناية عن الجساع في قوله تعالى : ﴿أَجَلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الْبَيْتِ أَلْفُ نَفْسٍ تَنبِيهاً عَلَى جَوَازِ دَعَائِهِمْ إِلَى ذَلِكَ وَمَكَالْمُتَن فِيهِ ، وَعُدِّي بِهِ (إِلَى) لَتَضُمَّنَهُ مَعْنَى الْإِفْضَاء .

(٢) من معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٥٥/١ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١٦١/٢ من طريق بكر بن عبدالله المزني عن ابن عباس ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣١٥/١ من طريق سعيد بن جبیر . قال ابن أبي حاتم : «وروي عن عطاء ، ومجاهد ، وسعيد بن جبیر ، وطاوس ، والحسن ، والضحاك ، وإبراهيم النخعي ، وسالم بن عبدالله ، والسُّدِّي ، وعمرو بن دينار ، وقتادة ، والزهري ، ومقاتل بن حيان ، وعطاء الخراساني نحو ذلك . انظر : تفسير ابن كثير ٢٣٥/١ ، ٢٣٦ ، والدر المنثور ٣٥٨/١ .

(٤) رواه الثوري في تفسيره ٦٣ ، والطبري في تفسيره ١٦١/٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣١٧/١ ، وعزه السيوطي في الدر ٣٥٩/١ إلى ابن المنذر والبيهقي ، وذكره الثعلبي في تفسيره ٣٤٩/٢ ، والبغوي في تفسيره ٢٠٧/١ .

منه غير معنى الجماع ، كما أن نفس قولنا : فرج كناية ، فإذا أطلقوا الفرغ لم يعرف منه غير هذا المعنى المقصود إليه .

وقالوا : «بَاضَعَهَا كَأَنَّهُ بَاشَرُ بُضْعَهَا» ، ولم يقولوا : «فارجها» ، وصارت المباشعة كالحقيقة في معنى الجماع ؛ لأنهم لا يستعملونها في غيره ، ألا ترى أنهم يقولون : «غَشِيَهَا وَتَغَشَّاهَا ، وَوَطَّئَهَا وَتَوَطَّاهَا ، وَقَرَّبَهَا ، وَبَطَّنَهَا وَتَبَطَّنَهَا» ، وكل هذه الألفاظ موضوعةٌ لغير هذا المعنى ^(١) .

وذكر جماعة من أهل هذه الصناعة أن صريح اللفظ المستعمل في المباشعة قولهم : «نَاكَ يَنِيكَ نِيكًا» ، وليس كما ذهبوا إليه ؛ لأن هذه اللفظة مستعارة أيضاً ، وقد ذكر أبو زيد عن العرب : «نَاكَ النعاسُ عَيْنُهُ» ، ونكح النعاس بمعنى ^(٢) ، فجعل أصل الكلمة اللزوم والمواظبة .

وأما معنى النكاح فسنذكره عند قوله : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ٢٢١] إن شاء الله .

قال أبو عبيدة : «الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ : الإِفْضَاءُ إِلَى نِسَائِكُمْ» ^(٣) ، قال الأخفش : «وإنما عدَّاه بـ (إلى) لأنه كان بمعنى الإِفْضَاء» ^(٤) .

(١) انظر : البحر المحيط ٤٨ / ١ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ٤ / ٣٦٥٩ ، واللسان ٨ / ٤٥٣٧ .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٧ / ١ ، والبحر المحيط ٤٨ / ١ .

(٤) لم أجده في معاني القرآن للأخفش .

وقوله تعالى : ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ﴾ : أصل اللباس : ما يلبسه الإنسان مما يوارى جسده ، ثم المرأة تسمى لباس الرجل ، والرجل لباس المرأة ؛ لانضمام جسد كل واحد منهما إلى جسد صاحبه ، حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب ^(١) الذي يلبسه ، فلما كانا يتلبسان عند الجماع سُمي كل واحد منهما لباساً للآخر ^(٢) . قال الجعدي ^(٣) :

إذا ما الضجيعُ ثنى جيدها تثنت فكانت عليه لباساً ^(٤)

والعرب تسمي المرأة : «اللباس ، والفراش ، والإزار ، وأم العيال ، والرَبَضَ» ^(٥) ، والبيت . وقيل في قوله :

فِدَى لَكَ مِنْ أَخِي ثِقَةٌ إِزَارِي ^(٦)

(١) في (م) : (كالثوب لصاحبه كالثوب) .

(٢) انظر : تأويل مشكل القرآن ١٤١ ، وتفسير الطبري ١٦٢/٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٥٦/١ ، وتهذيب اللغة ٤/٣٢٢٨ ، ٣٢٢٩ ، وتفسير الثعلبي ٣٥١/٢ ، والبحر المحيط ٤٩/١ .

(٣) قيس بن عبدالله بن عدس بن ربيعة الجعدي العامري ، شاعر مُفلق ، صحابي من المعمرين ، اشتهر في الجاهلية وسمي النابغة ؛ لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله ، هجر الأوثان ، ونهى عن الخمر في الجاهلية ، ثم وفد إلى الرسول ﷺ فأسلم ، توفي سنة ٥٠ هـ . انظر : الإصابة ٣/٥٣٧ ، والأعلام ٢٠٧/٥ .

(٤) البيت في ديوانه ٨١ ، وتأويل مشكل القرآن ١٤٢ ، والشعر والشعراء ١/٢٩٩ ، وتفسير الطبري ١٦٢/٢ ، ولسان العرب ٧/٣٩٨٦ . ويروى عطفها بدل جيدها ، وتداعت بدل تثنت .

(٥) في (ش) : (الريض) .

(٦) صدر البيت :

أَلَا أُنَبِّغُ أَبَا حَفْصَ رَسُولاً

وهو لفيلة الأكبر الأشجعي ، وكنيته أبو المنهال ، وكان كتب إلى عمر بن الخطاب أبياتاً من الشعر يشير فيها إلى رجل كان والياً على مدينتهم في قصة طويلة . والبيت في تفسير الثعلبي ٣٥٤/٢ ، وتاج العروس ٦/٢١ ، والإصابة ١/٢٧٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ١/٢٥٦ ، وغريب الحديث للخطابي ٢/١٠١ . والبيت للنابغة الجعدي في الشعر والشعراء ٢٥٥ ، والطبري ٣/٤٩٠ . انظر : معاني القرآن للزجاج ١/٢٥٦ .

أي : نسائي^(١) . ومنه :

أَكْبَرُ غَيْرَنِي أُمُّ بَيْتٍ^(٢)

وقول^(٣) الآخر :

جاء الشتاء ولما اتَّخَذَ رَبَضًا^(٤)

وهذا المعنى الذي ذكرناه في اللباس^(٥) هاهنا موافق لما قاله المفسرون ، قال الربيع : «هن فراش لكم وأنتم لحاف لهن»^(٦) .

وقال ابن زيد في قوله : ﴿هِنَّ لِيَأْسُكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسُ لَهُنَّ﴾ قال : للمواقعة^(٧) ، يريد أن كل واحد منهما يستر صاحبه عند الجماع عن أبصار الناس^(٨) ، وهذا من خصائص الإنسان .

قال عمرو بن يحيى^(٩) : «ليس شيء من الحيوان يتبطن طروقه غير الإنسان والتمساح» ، وزاد غيره : «الدب» . ومعنى تبطن : أتى من جهة البطن^(١٠) .

(١) تفسير الثعلبي ٢/ ٣٥٤ ، وغريب الحديث للخطابي ٢/ ١٠١ ، والصحاح للجوهري ٢/ ٥٧٨ .

(٢) البيت لمجهول ، ذكره في الأمالي لأبي علي ١/ ٢١ ، وفي أساس البلاغة (بيت) ١/ ٧٢ ، وفي لسان العرب (بيتاً) ١/ ٣٩٣ .

(٣) في (ش) : (وقال) .

(٤) عجز البيت :

يا ويح كَفِّي مِنْ حَفْرِ الْقَرَامِيصِ

وهو في اللسان ٣/ ١٥٥٩ بغير نسبة .

(٥) انظر : اللباس في تفسير الطبري ٢/ ١٦٢ ، ١٦٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣١٦ ، والمفردات ٤٥٠ ، واللسان (لبس) ٧/ ٣٩٨٦ .

(٦) ذكره البغوي في تفسيره ١/ ٢٠٧ بهذا اللفظ ، ورواه الطبري عنه ٢/ ١٦٣ ، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٦ ، ولفظها : «هن لحاف لكم وأنتم لحاف لهن» ، وكذا ذكره الثعلبي في تفسيره ٢/ ٣٥٢ .

(٧) رواه الطبري عنه في تفسيره ٢/ ١٦٣ .

(٨) تفسير البغوي ١/ ٢٠٧ .

(٩) في (ش) : (عمرو بن بحر) أقول لعله الجاحظ فليلاحظ .

(١٠) حياة الحيوان الكبرى للدميري ١/ ١٦٤ ، ط . دار الفكر .

وقيل : ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾ ؛ أي سكن لكم وأنتم سكن لهن ، وهو قول ابن عباس في جميع الروايات ^(١) ، وقول مجاهد ^(٢) وقتادة ^(٣) .

والمعنى أنكم تلبسونهن وتحالطونهن بالمساكنة ، وهن كذلك ؛ أي قل ما يَصْبِرُ أحد الزوجين عن الآخر .

ويقال : إنما سُمِّي الزوجان ^(٤) لباساً ؛ لستر كل واحد منهما صاحبه عما لا يحل ^(٥) ، كما جاء في الخبر : «من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه» ^(٦) .

وإنما وُحِدَ اللباس بعد قوله : ﴿هُنَّ﴾ ؛ لأنه يجري مجرى المصدر . وفِعَال من مصادر فاعل ، وتأويله : هُنَّ ملابسات لكم .

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣١٦/١ ، وقال بعده : «وروي عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، والسُّدِّي ، ومقاتل بن حيان نحو ذلك» .

(٢) رواه عنه الطبري في تفسيره ١٦٣/٢ ، وابن أبي حاتم ٣١٦/١ .

(٣) رواه عنه الطبري ١٦٣/٢ .

(٤) في (م) : (سمي الزوجين) .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٦٣/٢ ، وتفسير الثعلبي ٣٢٥/٢ ، وتفسير البغوي ٢٠٧/١ ، والتفسير الكبير ١٠٦/٥ ، والبحر المحيط ٤٨/١ .

(٦) ذكره البغوي في تفسيره ٢٠٧/١ من دون إسناد ، والحديث لفظه في كتب السنة الأخرى : «من تزوج فقد استكمل نصف دينه ، أو نصف الإيمان» . رواه الطبراني في الأوسط عن أنس ، رقم ٧٦٤٣ ، ورقم ٨٧٨٩ ، والأصفهاني في الترغيب والترهيب ، والحاكم ١٦١/٢ ، وصحَّحه ، ولفظه عنده : «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه ، فليتق الله في الشطر الثاني» . وضعَّفه ابن حجر في التلخيص ٢٧٩ ، وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية ٦١٢/٢ (ط . دار الكتب العلمية) : «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ، وإنما يذكر عنه ، وفيه آفات منها : يزيد الرقاشي ، وهياج يعني ابن بسطام ، ومالك بن سليمان» . اهـ بتصرف . انظر : كشف الخفا للعلجلوني ٢٣٩/٢ ، رقم ٢٤٣٢ ، والمقاصد الحسنة للسخاوي ٦٣٨ ، رقم ١٠٩٨ (ط . دار الكتاب العربي) ، وحسن الألباني الحديث بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة ١/٢٠٠ ، رقم ٦٢٥ .

(٧) في (ش) : (وجد) .

وقوله تعالى : ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ : يقال : «خانه خوناً وخيانةً ومخانةً واختاناً واختاناً» : إذا لم يف له ، والسيف إذا نبا عن الضريبة فقد خانك ، وخانه الدهر والنعيم : إذا تغير حاله إلى شر منها .

قال ابن قتيبة : «الخيانة : أن يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي الأمانة فيه ، وناقض العهد خائن ؛ لأنه آمن بالعهد فغدره ، ومنه قوله : ﴿وَلَمَّا تَخَافَتْ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ [الأنفال: ٥٨] ؛ أي نقضاً للعهد ، ويقال لعاصي المسلمين : خائن ؛ لأنه مؤتمن على دينه ، ومنه قوله : ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [الأنفال: ٢٧] ؛ أي بالمعاصي»^(١) .

وقوله : ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ : أي تخونونها بالمعصية . قال ابن عباس : «يريد في ما ائتمتكم عليه»^(٢) ، وخيانتهم أنهم كانوا يباشرون ليالي الصيام»^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ : يريد عمر وأصحابه ؛ وذلك أنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء الآخرة ، فلما اغتسل أخذ بيكي ، فأتى النبي ﷺ وطلب الرخصة ، واعترف رجال بمثل ما صنع عمر ، فنزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه»^(٤) .

(١) انظر : خان في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٧٤ ، والكشاف للزمخشري ١ / ١١٥ ، وقال : «الاختيان من الخيانة ، كالاكتساب من الكسب ، فيه زيادة وشدة» ، واللسان ٣ / ١٢٩٤ ، والمفردات للراغب ١٦٧ ، قال : «والاختيان : مراودة الخيانة ، ولم يقل تخونوا أنفسكم ؛ لأنه لم تكن منهم الخيانة ، بل كان منهم الاختيان ، فإن الاختيان تحرك شهوة الإنسان لتحري الخيانة» . اهـ . أقول : «وسبب النزول يدل على وقوعهم في الجماع المحظور» .

(٢) هذا من رواية عطاء ، وقد تقدم الحديث عنها .

(٣) انظر : أسباب النزول في ما تقدم .

(٤) انظر : الروايات في ذلك عند الطبري ٢ / ١٦٣-١٦٧ ، وابن أبي حاتم ١ / ٣١٦ ، والثعلبي ٢ / ٣٤٦ .

وقوله تعالى : ﴿فَأَلْزَمَ بَشَرُهُنَّ﴾ أمر بإباحة^(١) ، والمباشرة : المجامعة ؛ لتلاصق البشريتين وانضمامهما^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ : أكثر المفسرين على أن المراد بهذا : الولد ؛ أي اطلبوا بالمباشرة ما قضى الله لكم من الولد^(٣) .

وقال قتادة : «يعنى الرخصة التي كتبت لكم»^(٤) ، وقال معاذ بن جبل^(٥) وابن عباس في رواية أبي الجوزاء^(٦) : «يعني : ليلة القدر» ، وكل هذا مما تحتمله الآية .

وقال أبو إسحاق : «الصحيح عندي أن ما كتب الله لنا هو^(٧) القرآن ؛ أي اتبعوا القرآن في ما أبيح لكم فيه^(٨) وأمرتم به»^(٩) .

(١) تفسير الثعلبي ٣٥٦/٢ .

(٢) تفسير الطبري ١٦٨/٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣١٧/١ ، وتفسير الثعلبي ٣٥٤/٢ ، وتفسير البغوي ٢٠٧/١ ، والتفسير الكبير ١٠٨/٥ .

(٣) ذكر الآثار في ذلك الطبري ١٦٩/٢ ، ١٧٠ ، وابن أبي حاتم ٣١٧/١ عن أنس ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، والسُّدِّي ، والربيع ، وابن زيد ، والضحاك بن مزاحم ، وشريح ، وعطاء ، وسعيد بن جبيرة ، والحكم بن عتيبة ، وزيد بن أسلم ، ومقاتل بن حيان . انظر : تفسير الثعلبي ٣٥٥/٢ ، وتفسير البغوي ٢٠٧/١ ، والدر المنثور ٣٥٩/١ .

(٤) رواه عنه عبدالرزاق في تفسيره ٧١/١ ، والطبري ١٧٠/٢ ، وذكره الجصاص في أحكام القرآن ٢٢٧/١ .

(٥) رواه عنه الطبري ١٧٠/٢ ، وذكره عنه الثعلبي ٣٥٦/٢ ، والبغوي ٢٠٧/١ .

(٦) رواه عنه الطبري ١٧٠/٢ ، وابن أبي حاتم ٣١٧/١ ، وذكره الثعلبي ٣٥٦/٢ ، والجصاص في أحكام القرآن ٢٢٧/١ .

(٧) هو : سقطت من (م) .

(٨) سقطت من (ش) .

(٩) من معاني القرآن للزجاج ٢٥٦/١ بمعناه ، وقد بين الطبري ١٧٠/٢ أن كل الأقوال المذكورة مرادة ، وهو مما كتب الله ، لكن أشبه المعاني بظاهر الآية مَنْ قال : «إن المراد به الولد ؛ لأنه ورد عقيب قوله : جامعوهن» .

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أمر إباحة حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود^(١)، روي في تفسير هذا عن النبي ﷺ أنه قال لعدي بن حاتم: «إنما ذاك بياض النهار من سواد الليل»^(٢).

وبهذا قال عامة أهل التفسير^(٣)، والعرب قد تكلمت بهذا اللفظ في الليل والنهار. قال أمية الثقفي^(٤):

الخَيْطُ الْأَبْيَضُ لَوْنُ الصَّبْحِ مُنْفَلَقٌ

وَالْخَيْطُ الْأَسْوَدُ لَوْنُ اللَّيْلِ مَرْكُومٌ^{(٥)(٦)}

وقال أبو دوداد^(٧):

فَلَمَّا أَصَاءْتُ لَنَا غَدَوَةً وَلاَحَ مِنَ الصُّبْحِ خَيْطٌ أَنَارَا^(٨)

(١) انظر: التفسير الكبير ١٠٩/٥، وأحكام القرآن لابن العربي ٩١/١.

(٢) أخرجه البخاري ١٩١٦، كتاب: الصوم، باب: قول الله: وكلوا واشربوا، ومسلم: ١٠٩٠، كتاب: الصيام، باب: بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر.

(٣) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٨/١، وتفسير غريب القرآن ٧٤، وتفسير الطبري ١٧٠/٢-١٧٢، وتفسير ابن أبي حاتم ٣١٨/١، وتفسير الثعلبي ٣٦٣/٢، وتفسير البغوي ٢٠٨/١.

(٤) أمية بن أبي الصلت بن ربيعة بن عوف، تقدمت ترجمته.

(٥) في (ش): (مركوم).

(٦) البيت في ديوانه ٧٧، وذكره الثعلبي من دون نسبة ٣٦٤/٢، ولفظه:

الخَيْطُ الْأَبْيَضُ وَقْتُ الصَّبْحِ مَنْصَدَعٌ وَالْخَيْطُ الْأَسْوَدُ جَوْزُ اللَّيْلِ مَرْكُومٌ
وهو في تاج العروس، والدر المنثور ٣٦٠/١، وقد ورد في الديوان، والدر المنثور: مكموم بدل مركوم.

(٧) جارية بن الحجاج بن حذاق، وقيل: حنظلة بن المشرقي، أبو دوداد الإيادي، تقدمت ترجمته.

(٨) البيت لأبي دوداد الإيادي في ديوانه ٣٥٢، والأصمعيات ١٩٠، وغريب الحديث للخطابي ٢٣٣/١، ولسان العرب (خيط) ٣/١٣٠٢. ورواية الطبري في تفسيره ١٧٦/٢: سُدْفَةٌ بدل غدوة، والسُدْفَةُ: ظلمة الليل في لغة نجد، والضوء في لغة قيس، وهي أيضاً اختلاط الضوء والظلمة جميعاً، وهذا مراد الشاعر، والخيط: اللون هنا يكون ممتداً مثل الخيط.

واختلفوا : لم سُمِّيَا خيطين ؟^(١) فقال الأكثرون : «إنهما^(٢) يُسمَّيان خيطين عند اختلاط الضوء بالظلام والتفاف أحدهما بالآخر ؛ شَبْهًا^(٣) بخيطين بريمين» ، ومن هذا يقال : «خَيَّطَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ ، إذا اختلط السواد بالبياض» ، ذكره أبو عبيد عن الأصمعي ، وأنشد :

حتى تُخَيَّطَ^(٤) بالبياضِ قروني^(٥)

البيت لبدر الهذلي ، وأوله :

آلَيْتُ لا أنسى منيحةً واحدٍ

يعنى بالمنيحة : هجاء مهاجيه^(٦) .

وقرأت على أبي الحسين الفسوي : أخبركم حمد بن محمد ، قال : أنشدنا الحسن بن خلاد ، قال : أنشدني دريد ، قال : أنشدنا ابن أخي الأصمعي ، عن عمِّه ، لرجل يصف ليلاً :

كأنَّ بقايا^(٧) الليلِ في أخرياته مُلأءٌ يبقَى^(٨) من طيالسَةِ خُضِرِ
تخالُّ بقاياهُ التي أسأر الدجى تمُدُّ وشِيعاً فوقَ أرديةِ الفجرِ^(٩)

(١) انظر : تفسير الطبري ١٧٦/٢ ، ١٧٧ ، وتفسير البغوي ٢٠٨/١ ، والتفسير الكبير ١٠٩/٥ ، ١١٠ .

(٢) في (ش) : (إنهما) .

(٣) في (ش) : (شَبْهًا) .

(٤) في (ش) : (تخيَّط) .

(٥) عجز بيت ذكر الواحدي بعده صدره ، وهو من قول بدر بن عامر الهذلي في الأغاني ١٦٦/٢٤ .

(٦) من قوله البيت : «لبدر . . . ساقط من : (ش)» .

(٧) في (ش) : (بقانا) .

(٨) في (م) : (كأنها سقى) .

(٩) لم أهد إلى قائله ، أو من ذكره .

فشبهها بالوشيع ، وهو فتائل الغزل ؛ لما يترأى في خلاله من خيوط سوادٍ وبياضٍ .

وقال الزَّجَّاج : «هما فجران ، أحدهما : يبدو أسود معترضاً ، وهو الخيط الأسود ، والأبيض : الذي يطلع ساطعاً يملأ الأفق»^(١) ، فعندهما الخيطان : هما الفجران ، سُمِّيَا لامتدادهما ، تشبيهاً بالخيطين» .

وقوله تعالى : ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ : الفجر : مصدر قولك : «فَجَرْتُ الماءَ أَفْجَرُهُ فَجْراً ، وفَجَّرْتُهُ تَفْجِيراً ، فانفجر انفجاراً» ، إذا سال .

قال الأزهري : «أصله : الشق ، ومنه : فَجَرُ السَّكْرِ»^(٢) ، فعلى هذا الفجر في آخر الليل هو شق عمود الصبح الليل ، شَبَّهَ شَقَّ الضَّوءِ ظُلْمَةَ الليل بفجر الماء الحوض^(٣) .

قال سهل بن سعد^(٤) : «لما نزل قوله : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ كان الرجل إذا أراد الصوم ربط في رجله خيطين أسود وأبيض ، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رئيُّهُما ، فأنزل الله : ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ ،

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٥٧/١ . الفجر فجران : أحدهما يسطع في السماء مستطيلاً كذنب السرحان (الذئب) ولا ينتشر ، وهو الفجر الكاذب ، فذاك لا يحل الصلاة ، ولا يحرم الطعام على الصائم . والثاني هو المستطير الذي ينتشر ويأخذ الأفق ، وهو الفجر الصادق الذي يحل الصلاة ويحرم الطعام على الصائم ، وهو المعنى في هذه الآية . انظر : تفسير الطبري ١٧٢/٢ ، والبيهقي ٢١٥/٤ ، وتفسير الثعلبي ٣٣٤/١ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٧٧/٢ ، وتهذيب اللغة ٢٧٤٣/٣ ، وتفسير الثعلبي ٣٦٧/٢ ، والمفردات ٧٥ ، واللسان (فجر) ٣٣٥١/٦ .

(٣) تفسير الثعلبي ٣٦٧/٢ .

(٤) سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصاري الخزرجي الساعدي ، أبو العباس ، له ولأبيه صحبة ، توفي سنة ٨٨ هـ ، وقيل بعدها . انظر : أسد الغابة ٤٧٢/٢ ، وتقريب التهذيب ٢٥٧ ، (٢٦٥٨) .

فعلّموا أنه يعني : الليل والنهار»^(١) . فالأكل للصائم بالليل منظوم في الإباحة بإباحة المباشرة المذكورة قبله بمثل معناها في التوقيت ، فقد أباح - عز وجل - المباشرة والأكل والشرب في ليالي الصوم وإلى انفجار الصبح ، وفي هذا ما يدفع قول من يقول : «إن الجنب إذا أصبح قبل الاغتسال لم يكن له صوم ؛ لأن المباشرة إذا كانت مباحة إلى انفجار الصبح لم يمكنه الاغتسال إلا بعد انفجار الصبح»^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَتَمُوا الصَّيَامَ إِلَى الْيَلِّ﴾ : جعل الليل منتهى الصوم ، ولم يُدخل الليل في الصوم ، كما دخل المرفق في الغسل في قوله : ﴿وَأَيَّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة : ٦] ؛ لأن الليل ليس من جنس النهار ، والمرفق (من جنس اليد)^(٣) .

قال أحمد بن يحيى : «سبيل الغاية الدخول والخروج ، وكلا الأمرين فيها ممكن ، كما تقول : أكلت السمكة إلى رأسها ، جائز أن يكون الرأس داخلياً في الأكل وخارجاً منه ، وخرج الليل من الصوم ؛ لأنه لا يشك ذو عقل أن الليل لا يُصام ، ودخلت المرافق في الغسل أخذاً بالأوثق ، ثم انضم إلى هذا تبين السنة»^(٤) .

(١) رواه البخاري ٤٥١١ ، كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾ ، وكذا رقم ١٩١٧ ، كتاب الصوم ، باب : قول الله : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ، ومسلم ١٠٩١ ، كتاب : الصيام ، باب : بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر .

(٢) انظر : تفسير الرازي ١١٠ / ٥ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٩٤ / ١ ، ٩٥ ، وقال : «ففي ذلك على جواز طلوع الفجر عليه وهو جنب ، وذلك جائز إجماعاً ، وقد كان وقع فيه بين الصحابة - رضوان الله عليهم - كلام ، ثم استقر الأمر على أنه من أصبح جنباً فإن صومه صحيح ، وبهذا احتج ابن عباس عليه . ويعني - رحمه الله - بالخلاف بين الصحابة ما روي عن أبي هريرة أنه قال : «من أصبح جنباً فلا صوم له» ، واختلف في رجوعه كما ذكره القرطبي ٣٠٥ / ٢ .

(٣) ساقط من (م) .

(٤) قد بينت السنة ذلك بقوله ﷺ : «إذا أقبل الليل من هاهنا ، وأدبر النهار من هاهنا ، وغربت الشمس فقد أفطر الصائم» . رواه البخاري ١٩٤١ ، كتاب : الصوم ، باب : الصوم في السفر والإفطار ، ومسلم ١١٠١ ، كتاب : الصيام ، باب : بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار .

وقال قوم : « (إلى) في هذه الآية للتحديد ، وفي آية الوضوء معناه مع ، كقوله : ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران : ٥٢] ، وقوله : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء : ٢] »^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَبْشِرُوهُمْ وَانْتَظِرْهُمْ فِي الْمَسْجِدِ﴾ : قال المفسرون : «كان الرجل يخرج من المسجد وهو معتكف فيجامع ثم يعود ، فنهوا عن ذلك ما داموا معتكفين»^(٢) . فالجماع يفسد الاعتكاف ، وأمّا المباشرة غير الجماع مما يُقصدُ به التلذُّدُ فهو مكروه ، ولا يفسده ، وما لا يُقصدُ به التلذُّدُ فلا يكره^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ : أشار إلى الأحكام التي ذكرها في هذه الآية . وأمّا معنى الحد فقال الليث : «فصل ما بين كل شئئين حد ، ومنتهى كل شيء حده» .

قال الأزهري : «ومن هذا : حدود الأرضين ، وحدود الحرم» .

(١) انظر : المغني ٤/ ٤٣٢-٤٣٧ ، والمحزر الوجيز ٢/ ١٢٩ ، وتفسير القرطبي ٢/ ٣٠٦ ، والتفسير الكبير ٥/ ١١١ ، وقد نقل كلام الواحدي هذا برمته .

(٢) من معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٥٧ ، وروى الطبري في تفسيره ٢/ ١٨٠ عن مجاهد والضحاك والربيع وقتادة معنى ذلك . انظر : تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣١٩ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ٣٧٥ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢/ ١٨٠-١٨٢ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ٣٧٤ ، وتفسير القرطبي ٢/ ٣١١ . وقد بين أن من جامع زوجته وهو معتكف عامداً ، أنه أفسد اعتكافه بإجماع أهل العلم ، واختلفوا في ما عليه إذا فعل ذلك ، فأما المباشرة من غير جماع فإن قصد بها التلذُّدُ فهي مكروهة ، وإن لم يقصد لم يكره ؛ لأن عائشة كانت ترجل رأس رسول الله ﷺ وهو معتكف . رواه البخاري ٢٠٢٨ ، كتاب : الاعتكاف ، باب : الحائض ترجل رأس المعتكف ، ومسلم ٢٩٧ ، كتاب : الحيض ، باب : جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله . وكانت - لا محالة - تمس بدن رسول الله ﷺ بيدها ، هذا قول عطاء والشافعي وابن المنذر . قال أبو عمر (يعني : ابن عبد البر) : «وأجمعوا على أن المعتكف لا يباشر ولا يقبل ، واختلفوا في ما عليه إن فعل» . انظر : المسألة في الإجماع لابن المنذر ٤ ، والكافي لابن عبد البر ١/ ٣٠٨ ، وفتح الباري ٤/ ٢٧٢ .

قال أهل اللغة: «أصل الحَدِّ: الصرْفُ والمنعُ عن^(١) ومنه، يقال للمحروم: محدودٌ؛ لأنه ممنوع عن الرزق، ولهذا قيل للبواب: حَدَادٌ؛ لأنه يمنع الناس من الدخول». قال الأعشى:

وَقُمْنَا وَلَمَّا يَصِحْ دِيْكُنَا إِلَى جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدَادِهَا^(٢)

يعني: صاحبها الذي يحفظها ويمنعها^(٣). والجونة: الخابية، ومنه قول النابغة:

... فاحْدُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ^(٤)

أي: امنعها. وحَدُّ الدار: ما يمنع غيرها أن يدخل فيها، وحدودُ الله: ما منع الله من مخالفتها^(٥).

قال الأزهري: «حدود الله على ضربين:

(١) في نسختي (أ) و(م): (عن)، وكأن في الكلام باقياً لم يذكر.

(٢) ورد البيت هكذا:

فَقُمْنَا وَلَمَّا يَصِحْ دِيْكُنَا إِلَى خَمْرَةٍ عِنْدَ حَدَادِهَا
والبيت في ديوانه ٦٩، ومعاني القرآن للزجاج ٣٠٨/١، ومجمل اللغة ٢١٠/١، والصحاح ٤٦٢/٢، وتفسير الثعلبي ٣٨٠/٢. الجونة: خابية الخمر. معاني القرآن للزجاج ٣٠٨/١.

(٣) تفسير الثعلبي ٣٨٠/٢.

(٤) تمام البيت:

إِلَّا سَلِيمَانَ إِذْ قَالَ لِلْإِلَهِ لَهُ قُمْ فِي الْبَرِيَةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ
والبيت للنابغة الذبياني في ديوانه ١٢، والقرطبي ٢٦٠/٩، والبحر المحيط ٣٤٠/٥، والدر المصون ٥٥٧/٦، واللسان ٨٠١/٢، وتاج العروس (حدد) ٤١١/٤، وتفسير الثعلبي ٣٨٠/٢، وروايته (المليك) بدل (الإله). الفند: الخطأ في الرأي والقول.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٥٤٦/٣، ومعاني القرآن للزجاج ٣٠٨، ٣٥٧/١، وتفسير الثعلبي ٣٧٩/٢، وتهذيب اللغة (حدد) ٧٥٩/١.

ضرب منها : ما حُدَّ للناس في مطاعهم ومشاربهم ومناكحهم وغيرها مما أحل وحرّم ، وأمر بالانتهاء إليها^(١) ، ونهى عن تعدّيها .

والضرب الثاني : عقوبات جعلت لمن تعدّاها^(٢) كحدّ السارق وحدّ الزاني وحدّ القاذف ، سُمّيت حدوداً ؛ لأنها تحدّ ؛ أي تمنع من ارتكاب المعاصي التي جعلت عقوبات فيها ، وسُمّيت الأولى حدوداً ؛ لأنها نهايات أمر الله لا تُتعدّى^(٣) .

وعلى ما ذكرَ الأزهري ، وهو حسن صحيح ، الضرب الأوّل سُمّي حدوداً ؛ لأنها ممنوعة لا تؤتى ، كالأكل بعد الفجر في الصوم ، والضرب الثاني : مانع ، والمصدر يطلق على المفعول والفاعل كثيراً ، كقولهم : «نسج اليمن» ، و«ضرب الأمير» ، وقوله عز وجل : ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ [تبارك : ٣٠] .

ويؤكد ما ذكرنا من المعنى في الحدود قوله تعالى : ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ ؛ أي لا تأتوها ، فبيّن أنها ممنوعة^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾ ؛ أي مثل هذا البيان الذي ذكر^(٥) .

١٨٨ . قوله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ ؛ أي لا يأكل^(٦) بعضكم مال بعض . فأضاف الأموال إليهم ؛ لأن المؤمنين كالجسد الواحد

(١) عبارة الأزهري في تهذيب اللغة : «وأمر بالانتهاء عما نهى عنه منها» .

(٢) عبارة الأزهري في تهذيب اللغة : «عقوبات جعلت لم ركب ما نهى عنه» .

(٣) من تهذيب اللغة (حدد) ٧٥٩/١ بتصرف .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٨٢/٢ ، والتفسير الكبير ١١٥/٥ .

(٥) من معاني القرآن للزجاج ٢٥٧/١ . انظر : تفسير الطبري ١٨٣/٢ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٢٠/١ ،

والتفسير الكبير ١١٦/٥ .

(٦) في (أ) : (لأكل) .

في توأدهم وتعاطفهم وتراحيمهم ، كذا قال رسول الله ﷺ^(١) ، ومثله قوله : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ : معنى الباطل في اللغة : الذهاب الزائل ، يقال : «بَطَلَ الشيء يَبْطُلُ بَطْلاً وَبُطُولاً فهو باطلٌ» ، ويجمع الباطل على بَوَاطِلَ ، وَأَبَاطِيلُ جمع أَبْطُولَةٍ ، ويقال : «بَطَلَ الأجيرُ يَبْطُلُ بَطَالَةً» ، إِذَا تَعَطَّلَ وَاتَّبَعَ اللُّهُو ، ومثله تَبَطَّلَ^(٣) .

قال ابن عباس : «يعني : بغير طاعة الله عز وجل ، واليمين الكاذبة يقطع الرجل بها مال أخيه المسلم»^(٤) .

قال أهل المعاني : «الأكلُ بالباطل على وجهين :

أحدهما : أن يكون على جهة الظلم ، من نحو : الغَصْب والخيانة والسرقه ، والثاني : على جهة اللهو واللعب ، كالذي يُؤْخَذُ في القمار والملاهي ونحوها ، كُلُّ ذلك من أكل المال الباطل»^(٥) .

(١) عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» . أخرجه البخاري ٦٠١١ (٢٥٨٦) ، كتاب : الأدب ، باب : رحمة الناس والبهائم ، ومسلم ٢٥٨٦ ، كتاب : البر والصلة ، باب : تراحم المؤمنين وتعاطفهم ، وتعاضدهم .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٨٣/٢ ، وتفسير الثعلبي ٣٨٣/٢ ، وتفسير البغوي ٢١٠/١ ، والتفسير الكبير ١١٦/١ . وقال : «اعلم أنهم مثلوا قوله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ بقوله : ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ، وهذا مخالف لها ؛ لأن أكله لمال نفسه بالباطل يصح كما يصح أكله مال غيره» .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (بطل) ٣٥٠/١ ، وتفسير الثعلبي ٣٨٣/٢ ، والصحاح ١٦٣٥/٤ ، والمفردات ٦١ ، واللسان (بطل) ٣٠٢/١ .

(٤) هذا من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في قسم الدراسة .

(٥) انظر : تفسير القرطبي ٣١٧/٢ ، وزاد المسير ١٩٤/١ ، ونقل عن القاضي يعلى أن الباطل على وجهين : أحدهما : أن يأخذه بغير طيب نفس من ماله كالسرقه . والثاني : أن يأخذه بطيب نفسه كالقمار والغناء وثمر الخمر .

وقوله تعالى: ﴿وَتَدُلُّوْا بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ﴾ : في محل ﴿وَتَدُلُّوْا﴾ من الإعراب قولان^(١) ذكر في قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ٤٢] . وأصل الإدلاء في اللغة: إرسال الدلو وإلقاؤها في البئر . قال الله تعالى: ﴿فَأَذَلِّ دَلْوَهُ﴾ [يوسف: ١٩] ، ثم جعل كل إلقاء قول أو فعل إدلاءً ، ومنه يقال للمحتاج: «أدلى بحجته» ، كأنه يرسلها ليصل إلى مراده إدلاءً المستقي الدلو ليصل إلى مطلوبه من الماء ، ويقال: «فلان يُدلي إلى الميت بقربة ورَحِم» ، إذا كان يَمُتُّ إليه من هذا ؛ لأنه يطلب الميراث بتلك القربة طلب المستقي الماء بالدلو^(٢) .

ومعنى قوله: ﴿وَتَدُلُّوْا بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ﴾ ؛ أي تلقون أمور تلك الأموال بينكم وبين أربابها إلى الحكام .

قال ابن عباس: «نزلت في الرجل يكون عليه مال ، وليس عليه فيه بَيِّنَة ، فيجحد المال ، ويخاصم فيه إلى الحكام ، وهو يعرف أن الحقَّ عليه ، ويعلم أنه أثمَ أَكُلُ حَرَامٍ»^(٣) .

(١) انظر: تفسير الطبري ١٨٤/٢ ، ومعاني القرآن للقرآء ١١٥/١ ، وتفسير القرطبي ٣١٩/٢ ، والتبيان للعكبري ١٢٠/١ ، وذكر الوجهين ، وهما: الجزم عطفاً على (لا تأكلوا) ، والنصب على معنى الجمع ؛ أي لا تجمعوا بين أن تأكلوا وتدلو ، وقيل: «نصب بإضمار (أن) الخفيفة» ، وقال الأخفش: «نصب على الجواب بالواو» . انظر: تفسير الثعلبي ٣٨٦/٢ ، ومعاني القرآن للأخفش ٣٥٣/١ .

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٨٤/٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٥٨/١ ، وتهذيب اللغة (دلو) ١٢١٤/٢ ، وتفسير الثعلبي ٣٨٤/٢ ، والمفردات ١٧٨ ، والتفسير الكبير ١١٨/٥ .

(٣) رواه عنه الطبري في تفسيره ١٨٣/٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢١/١ ، وعزاه السيوطي في الدر ٣٦٦/١ إلى ابن المنذر .

وقال الحسن : «هو أن يكون على الرجل لصاحبه حقٌّ ، فإذا طالبه به دعاه إلى الحاكم فيحلف له ، ويذهب بحقه»^(١) . وعلى هذا المعنى تفسير لفظ الآية ما ذكره الزَّجَّاج ، وهو أنه قال : «معنى أدلى فلان بحجته : إذا أرسلها ، وأتى بها على صحة» . قال : «فمعنى قوله : ﴿وَتُذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ أي : تعملون على ما يوجبه ظاهر الحكم والإدلاء بالحجة ، وتتركون ما قد علمتم»^(٢) . وقد قال ﷺ : «إنما أنا بشر ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض» الحديث^(٣) .

والمختار في هذه الآية ما ذكره الفراء ، وهو أنه قال : «المعنى : لا تصانعوا بأموالكم الحكام ؛ ليقطعوا لكم حقاً لغيركم وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم»^(٤) .

قال الأزهري : «وهذا عندي أصح القولين ؛ لأن الهاء في قوله ﴿بِهَا﴾ للأموال ، وهي على قول الزَّجَّاج للحجة ، ولا ذكر لها في الكلام»^(٥) . واختار ابن قتيبة أيضاً قول الفراء ، فقال : «يقول : لا تُدَلِّ بِهَالِ أَخِيكَ إِلَى الْحَاكِمِ لِيَحْكَمَ لَكَ بِهِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ ظَالِمٌ لَهُ»^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا﴾ ؛ أي طائفة^(٧) ، ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ : قال ابن عباس : «يريد باليمين الكاذبة»^(٨) .

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره ٣٨٧/٢ ، وذكر ابن أبي حاتم ٣٢١/١ ، عن الحسن أنه قال : «لا تخاصم وأنت تعلم أنك ظالم» .

(٢) من معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٥٨/١ .

(٣) أخرجه البخاري ٧١٦٩ ، كتاب : الشهادات ، باب : موعظة الإمام للخصوم ، ومسلم ١٧١٣ ، كتاب : الأقضية ، باب : الحكم بالظاهر واللحن بالحجة .

(٤) نقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة (دلو) ١٢١٤/٢ .

(٥) تهذيب اللغة (دلو) ١٢١٤/٢ .

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٧٥ .

(٧) تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٢/١ ، وتفسير الثعلبي ٣٨٦/٢ ، والبحر المحيط ٥٧/٢ .

(٨) هذا من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في المقدمة .

وقال غيره: «بالباطل»^(١)، يعني بأن يرشو الحاكم ليقضي له، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مبطلون وأنه لا يحل لكم^(٢).

١٨٩. قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ﴾ الآية: قال المفسرون: «سأل معاذ بن جبل رسول الله ﷺ عن زيادة القمر ونقصانه، فأُنزل الله هذه الآية»^(٣).

والأهلة: جمع هلال، وهو غرة القمر حين يراها^(٤) الناس، يقال لها^(٥): هلال ليلتين، ثم يكون قمراً بعد ذلك.

وقال أبو الهيثم: «يسمى القمر لليلتين من أول الشهر وليلتين^(٦) من آخر الشهر: هلالاً، ويسمى ما بين ذلك: قمراً، وسمي الهلال هلالاً لأنه حين يُرى يُهلُّ الناس بذكر الله وبذكره»^(٧).

(١) تفسير الثعلبي ٣٨٦/٢.

(٢) تفسير الطبري ١٨٣/٢، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٢٢/١، وتفسير الثعلبي ٣٨٦/٢، والبحر المحيط ٥٢/٢.

(٣) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة ٤٩٣/١، وعزاه السيوطي في لباب النقول ٣٥ أيضاً إلى ابن عساکر في تاريخ دمشق، من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به، وذكره أبو الليث في بحر العلوم ١٨٨/١، والثعلبي في تفسيره ٣٩٠/٢، وضعف إسناده السيوطي في الدر ٣٦٧/١، ووهاه المناوي في الفتح السماوي ٢٣٢/١، وذكره مقاتل في تفسيره ١٦٦/١، والواحدي في أسباب النزول ٥٦ عن الكلبي، وكذا ذكره الحيري في الكفاية ١٣٢/١. قال الحافظ في العجائب: «وقد توارد من لا يد لهم في صناعة الحديث على الجزم بأن هذا كان سبب النزول مع وهاء السند فيه، ولا شعور عندهم بذلك، بل كاد يكون مقطوعاً به لكثرة من ينقله من المفسرين وغيرهم». اهـ. وقد روى الطبري في تفسيره ١٨٥/٢ عن قتادة والربيع وابن جريج، وكذا ابن أبي حاتم ٣٢٢/١ عن أبي العالية، قالوا: «إن أناساً سألوا رسول الله ﷺ: لم خلقت الأهلة؟ فأُنزل الله تعالى هذه الآية».

(٤) في (م): (تراها).

(٥) في (م) و(أ): (له).

(٦) من قوله: «ثم يكون قمراً بعد ذلك» ساقط من (أ) و(م).

(٧) تفسير الثعلبي ٣٩٢/٢.

ويقال: «أَهْلَ الْهَلَالِ، وَاسْتَهْلَ، وَأَهْلَلْنَا الْهَلَالَ، وَاسْتَهْلَلْنَاهُ»^(١)، وإذا بُنِيَ الفعل للهلال ضُمَّ، وإذا بُنِيَ للرَّائِنِ فُتِحَ، هذا قول عامة أهل اللغة. وقال شمر: «يقال: استَهْلَ الْهَلَالُ أيضاً وشهر مُسْتَهْلٌ»، وأنشد:

وشهرٌ مُسْتَهْلٌ بعدَ شهرٍ وحولٌ بعدهُ^(٢) حولٌ جديدٌ^(٣)(٤)

قال أبو إسحاق: «فِعَالٌ يجمع في أقل العدد على أَفْعَلَةٍ، نحو: مِثَالٌ وَأَمْثَلَةٌ، وَحِمَارٌ وَأَحْمَرَةٌ، وفي أكثر العدد يجمع على فُعُلٍ، نحو: مُثْلٌ وَحُمْرٌ، إِلَّا أَنَّهُمْ كَرِهُوا فِي التَّضْعِيفِ فُعُلاً، نحو هُلُلٌ وَحُلُلٌ»^(٥)، واقتصروا على جمع أدنى العدد، كما اقتصروا في ذوات الياء والواو على ذلك، نحو: أَكْسِيَّةٌ وَأَزْدِيَّةٌ، للقليل والكثير»^(٦).

أخبر الله سبحانه أن الحكمة في زيادة القمر ونقصانه هي زوال الالتباس عن أوقات الناس في حَجَّهِمْ^(٧)، وَحَلِّ دِيُونِهِمْ، وَعِدِّ نَسَائِهِمْ، وَأَجُورِ أَجْرَائِهِمْ، ومُدِّ حَوَامِلِهِمْ، ووقتِ صَوْمِهِمْ وإفطارهم، فقال: ﴿قُلْ هِيَ مَوْقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(٨).

والمواقيت: جمع الميقات، والميقات: الوقت، كالميقات بمعنى الوعد. وقال بعضهم: «الميقات: منتهى الوقت»، قال الله تعالى: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

(١) في (م): (استهللنا).

(٢) في (م): (بعد).

(٣) البيت بلا نسبة في لسان العرب (همل) ٨ / ٤٦٩٠. ورواية تهذيب اللغة (همل) ٤ / ٣٧٨٤: (ويومٌ بعده يومٌ قريب).

(٤) انظر: هلال في تهذيب اللغة ٤ / ٣٧٨٤-٣٧٨٨، والمفردات ٥٢٢، واللسان (همل) ٨ / ٤٦٩٠.

(٥) في معاني القرآن للزجاج: نحو هلل وخلل، فقالوا: «أهله وأخلة».

(٦) من معاني القرآن ١ / ٢٦٢.

(٧) في (ش): (حجته).

(٨) تفسير الثعلبي ٢ / ٣٩٢، وانظر: تفسير الطبري ٢ / ١٨٥، والبحر المحيط ٢ / ٦١.

والهلال : ميقات الشهر ، ومواضع الإحرام : مواقيت للحج ؛ لأنها مقادير يُتَتَهَى^(١) إليها^(٢) . ولا تُصَرَف مواقيت ؛ لأنها غاية للجموع ، فصار كأن الجمع تكرر فيها . فإن قيل : لم صرفت ﴿قَوَارِباً﴾ [الإنسان : ١٥] ؟ قيل : لأنها فاصلة وقعت في رأس آية ، فنوّنت لتجري على طريقة الآيات كما ينون القوافي في مثل :

أَقْلَى اللُّومَ عَاذَلَ وَالْعَتَابَا^(٣)

فالألف بدلٌ من التنوين ، وليس هو تنوين الصرف الذي يدل على تمكّن الاسم ، وإنما هو للفاصلة^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ : قال عامة أهل التفسير : «كان أهل الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم نَقَبَ في بيته نَقَباً من مؤخره يخرج منه ويدخل ، إلا قريشاً ومن دانوا بدينهم ، فبينما رسول الله ﷺ وهو^(٥) محرم ، ورجل محرم فرآه دخل من باب حائط ، فاتبعه ذلك الرجل ، فقال له : «تنح عني» ، قال : ولم ؟ قال : «دخلت من الباب وأنت محرم» ، فوقف ذلك الرجل فقال : إني رضيت بسنتك وهديك ، وقد رأيتك دخلت فدخلت على إثرك ، فقال النبي ﷺ : «إني أحس»^(٦) ، يعني : قرشي ، وكانت قريش لا

(١) في (ش) : (تنتهى) .

(٢) انظر : المواقيت في تفسير الثعلبي ٣٩٢ / ٢ ، والمفردات ٥٤٤ ، والبحر المحيط ٥٩ / ٢ ، واللسان (هلل) ٤٦٩٠ / ٨ .

(٣) عجز البيت : وقولي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا

مطلع قصيدة لجرير يهجو فيها عبيداً الراعي والفرزدق في ديوانه ٨١٣ ، وأوضح المسالك ١٤ / ١ . عاذل : مرخم عاذلة ، وهو اسم فاعل مؤنث من العذل ، وهو اللوم والتوبيخ .

(٤) انظر : البحر المحيط ٣٩٧ / ٨ ، وأوضح المسالك ١٤ / ١ .

(٥) ساقطة من (ش) .

(٦) الأحمس : هو المتشدد في دينه ، والحُمس : قريش وخزاعة ، وكل من ولدت قريش من العرب ، وكل من نزل مكة من قبائل العرب ، فكانت الحُمس قد شددوا في دينهم على أنفسهم ، فكانوا إذا نسكوا لم يسألوا =

تفعل ذلك . قال الرجل : فإن كنت أحس فإني أحس^(١) ديننا واحد ، فأنزل الله هذه الآية^(٢) ، وأعلمهم أن تشديدهم في الإحرام ليس ببر ، ولكن البرُّ مَنْ اتقى مخالفة الله ، وأمرهم بترك سنّة الجاهلية ، فقال : ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ .

وقوله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾ كقوله : ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وقد مرّ .

وذهب أبو عبيدة في تفسير هذه الآية إلى غير ما ذكرنا ، وهو أنه قال : «معناه : ليس البرُّ بأن تطلبوا الخير من غير أهله ، وتلتمسوا الأمر من غير بابه ، ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ . أي : اطلبوا الخير من وجهه والأمر من بابه»^(٣) ، والقول ما عليه العامة .

سمناً ، ولم يطبخوا أقطاً ، ولم يدخروا لبناً ، ولم يحولوا بين مرضعة ورضاعها حتى يعافه ، ولم يحركوا شعراً ولا ظفراً ، ولا يبتنون في حجهم شعراً ولا ويراً ولا صوفاً ولا قطناً ، ولا يأكلون لحماً ، ولا يلبسون إلا جديداً ، ولا يطوفون بالبيت إلا في حذائهم وثيابهم ، ولا يمشون المسجد بأقدامهم تعظيماً لبقعته ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها ، ولا يخرجون إلى عرفات يقولون نحن أهل الله ، ويلزمون مزدلفة حتى يقضوا نسكهم . انظر : المحرر ١٧٨-١٨٠ ، وسيرة ابن هشام ٢١١/١-٢١٦ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢٦٢/١ ، وهذا من تعليق محمود شاكر على تفسير الطبري ١٨٧/٢ ، وقيل : «سموا أحساً بالكعبة ؛ لأنها حساء ، حجروها أبيض يضرب إلى السواد ، والأول أشهر وأصح» . فتح الباري ٦٠٣/٣ .

(١)

سقطت من (ش) .

(٢)

أورده هذا اللفظ الثعلبي ٣٩٤/٢ ، وكذا ذكره الواحدي في أسباب النزول ٥٦ ، من دون سند ، وقد جمعه من آثار متفرقة كما ذكر الحافظ في العجائب ١/٥٨ ، وقد روي نحو هذا عن جابر ، رواه ابن أبي حاتم ٣٢٣/١ ، والحاكم ١/٦٥٧ ، وصحّحه وعزاه الحافظ في الفتح ٣/٦٢١ إلى ابن خزيمة ، وعبد بن حميد ، وأبي الشيخ ، وبقي . قال في العجائب ١/٤٥٦ : «هو على شرط مسلم ولكن اختلف في إرساله ووصله» ، وروى الطبري ٢/١٨٨ ، وابن أبي حاتم ١/٣٢٣ من طريق العوفي عن ابن عباس بنحوه ، ورواه الطبري ٣/٥٥٦ عن قيس بن حبر ، وأصل السبب رواه البخاري ١٨٠٣ ، كتاب : العمرة ، باب : قول الله تعالى : ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ ، ومسلم ٣٠٢٦ ، كتاب : التفسير من حديث البراء بن عازب .

(٣)

مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٦٨ ، ولفظه : «اطلبوا البر من أهله ووجهه ، ولا تطلبوه عند الجهلة المشركين» .

واختلف القُرَّاء في ﴿الْبَيُوتِ﴾ وأخواته ، كالجُيوب والغيوب ، فقرؤوا بضم أولها وكسره^(١) ، فَمَنْ ضَمَّ فهو الأصل ؛ لأن فَعْلًا يجمع على فُعُول بضم الفاء ، وَمَنْ كَسَرَ فلاجل موافقة الياء ؛ فإن الكسرة أشد موافقة للياء من الضمة ، ولا يستقبح ذلك ، وإن لم يكن في كلامهم فِعْل ؛ لأن الحركة إذا كانت للتقريب من الحرف لم تُكره ، ولم تكن بمنزلة ما لا تقرب فيه ، ألا ترى أنه لم يجرى في الكلام عند سيوييه على فِعْل إلا إِبِل ، وقد أكثرُوا من هذا البناء ، واستعملوه على اطراد ، إذا كان القصد فيه تقريب الحركة من الحرف ، وذلك نحو قولهم : «ماضِعٌ لَهُمْ» ، و«رجل ضِحِكٌ»^(٢) ، وقالوا في الفعل : «شَهِدَ وَلِعَبَ» ، وقد استعملوا في إرادة التقريب ما ليس في كلامهم^(٣) على بناءه ألبتة ، وذلك نحو شَعِيرٍ وَرَغِيفٍ وَشَهِيدٍ ، وليس في الكلام شيء على فِعِيل على غير هذا الوجه ، فكذلك في ﴿الْبَيُوتِ﴾ يستجاز فيه ما ذكرنا للتقريب والتوفيق بين الحرفين . ومما يدل على جواز ذلك أنه إذا كانت عين الحرف ياءً جَوَّزُوا كسر الفاء في التحقير ، فقالوا : عَيْنُهُ وَبَيْتُهُ ، بكسر الفاء للتقريب من الياء ، وإن لم يكن في أبنية التحقير على هذا الوزن . ويدلُّ على صحة هذا أنه قد جاء في الجموع ما لزمته الكسرة في الفاء ، وذلك قولهم في جمع قوس : قِسي ، فلولا أن الكسر قد تَمَكَّن في هذا الباب للتقريب من الياء ما كان الحرف يجيء على الكسر خاصة حتى لا يستعمل فيه غيره^(٤) .

(١) قال في النشر ٢/ ٢٢٦ : «واختلفوا في الضم والكسر من (بيوت ، والغيوب ، وعيون ، وشيوخاً ، وجيوب) ، فقرأ بضم الباء من (البيوت وبيوت) حيث وقع : أبو جعفر والبصريان (أبو عمرو ويعقوب) وورش وحفص ، وقرأ بكسر الغين من (الغيوب) وذلك حيث وقع : حمزة وأبو بكر ، وقرأ بكسر العين من (العيون وعيون) ، والشين من (شيوخاً) وهو في غافر ، والجيم من (جيوبهن) ، وهو في سورة النور : ابن كثير وحمزة والكسائي وابن ذكوان وأبو بكر ، إلا أنه اختلف عنه في الجيم من (جيوبهن)» .

(٢) هكذا في الأصل ، وفي الحجة : مَحَك .

(٣) في (م) : (الكلام) .

(٤) من الحجة ٢/ ٢٨٢ ، ٢٨٣ باختصار وتصرف .

١٩٠. قوله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ؛ أي في دين الله وطاعته ^(١) . قال الربيع ^(٢) وابن زيد ^(٣) : «هذه أوّل آية نزلت في القتال ، فلما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله ، ويكفُّ عمّن كفَّ عنه ، حتى نزلت : ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة : ٥] فنُسخت هذه الآية ، وأُمِرَ بالقتال مع المشركين كافة» .

ومعنى قوله : ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ : أي لا تبدؤوهم ولا تعجلوهم بالقتال قبل تقديم الدعوة ^(٤) .

وقال ابن عباس ^(٥) ومجاهد ^(٦) : «الآية محكمة ، أُمِر رسول الله ﷺ فيها ^(٧) بالقتال ، ولم يُنسخ شيء من حكم هذه الآية» .

قالا ^(٨) : «ومعنى قوله : ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ ؛ أي لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير ولا من ألقى إليكم السلم وكفَّ يده ، فإن فعلتم ذلك فقد اعتديتم» ^(٩) .

-
- (١) انظر : تفسير الطبري ١٨٩/٢ ، وتفسير الثعلبي ٣٩٨/٢ ، وتفسير البغوي ٢١٢/١ .
- (٢) رواه عنه الطبري ١٨٩/٢ ، وذكره الثعلبي في تفسيره ٣٩٨/٢ ، والجصاص في أحكام القرآن ٢٥٧/١ .
- (٣) رواه عنه الطبري ١٨٩/٢ ، وذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ ٥١٦/١ ، والثعلبي في تفسيره ٣٩٨/٢ .
- (٤) تفسير الثعلبي ٣٩٩/٢ .
- (٥) رواه عنه الطبري في تفسيره ١٩٠/٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢٥/١ ، وذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ ٥١٦/١ ، والثعلبي في تفسيره ٣٩٩/٢ .
- (٦) رواه الطبري في تفسيره ١٩٠/٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢٥/١ .
- (٧) ساقط من (ش) .
- (٨) في (م) : (قال) .
- (٩) روى الطبري في تفسيره ١٩٠/٢ هذا القول أيضاً عن عمر بن عبد العزيز ، ثم قال : «وأولى هذين القولين بالصواب : القول الذي قاله عمر بن عبد العزيز ؛ لأن دعوى المدعي نسخ آية يحتمل أن تكون غير منسوخة ، بغير دلالة على صحة دعواه : تحكّم ، والتحكّم لا يعجز عنه أحد» .

وقال في رواية الكلبي: «نزلت هذه الآيات في صلح الحديبية»^(١)، وذلك أن رسول الله ﷺ لما انصرف من الحديبية إلى المدينة حين صدّه المشركون عن البيت صالحهم على أن يرجع عامه القابل، ويحلّوا له مكة ثلاثة أيام، فلما كان العام المقبل تجهز رسول الله ﷺ وأصحابه لعمره القضاء^(٢)، خافوا أن لا تفي لهم قريش، وأن يصدوهم عن البيت، ويقاتلوهم، وكره أصحاب رسول الله ﷺ قتالهم في الشهر الحرام، في الحرم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ محرمين ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ يعني: قريشاً^(٣).

﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾: ولا تظلموا، فتبدؤوا في الحرم بالقتال^(٤).

- (١) الحديبية (بالتخفيف والتشديد): قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، وهي على تسعة أميال من مكة، ويقال لها الآن الشمسي. وصلح الحديبية كان في سنة ست من الهجرة حين منع المشركون رسول الله ﷺ ومعه أصحابه، وكانوا ١٤٠٠، وقيل ١٥٠٠، ثم تصالحوا الصلح المعروف، ولم يقع فيه قتال، وفيه أنزل الله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾. انظر: سيرة ابن هشام ٣/٣٦٥-٣٧٣، وطبقات ابن سعد ٢/٩٥-١٠٥، وتاريخ الطبري ٣/٧١، وزاد المعاد ٣/٣٨٦.
- (٢) عمرة القضاء أو القضية كانت في ذي القعدة سنة سبع، وسميت بذلك قيل: «لكونها قضاء للعمرة التي صدوا عنها»، وقيل: «من المقاضاة»؛ لأن رسول الله ﷺ قاضى عليها المشركين. انظر: سيرة ابن هشام ٣/٤٢٤، وزاد المعاد ٣/٣٧٠.
- (٣) ذكره الثعلبي في تفسيره ٦/٤٠٦، والحيري في الكفاية ١/١٣٤، والواحدي في أسباب النزول ٥٧، ٥٨، والبغوي في تفسيره ١/٢١٣، وذكره ابن حجر في العجاب ١/٤٦٥، ثم قال: «الكلبي ضعيف لو انفرد، فكيف لو خالف»، وقد خالفه الربيع بن أنس، وهو أولى بالقبول منه، فقال: «إن هذه الآية أول آية في الإذن للمسلمين في قتال المشركين، وسياق الآيات يشهد لصحة قوله، فإن قوله تعالى عقيبها: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه منسوخ بقوله تعالى: فإذا انسלخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، عند الأكثر، فوضح أنها سابقة، لكن سيأتي في سورة الحج عن أبي بكر الصديق: أول آية نزلت في الإذن في القتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾ يَأْتِيهِمْ ظُلُمًا»، قلت: «ويمكن الجمع»، ولفظ الربيع قال: «هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة، فكان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه، حتى نزلت براءة». اهـ. ولم يرتض ابن كثير ١/٢٤٢ هذا فقال: «وفي هذا نظر؛ لأن قوله: الذين يقاتلونكم إنما هو تهيب وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله، أي كما يقاتلونكم فاقتلوهم أئتم». تفسير الثعلبي ٢/٣٩٩.
- (٤)

١٩١. ثم قال: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفُوهُمْ﴾: قال الليث: «ثَقَفْنَا فُلَانًا فِي مَوْضِعٍ كَذَا، أَي: أَخَذْنَاهُ، وَمَصْدَرُهُ: الثَّقَفُ»، وقال الفراء في المصادر: «ثَقِفَ يَثْقِفُ ثَقْفًا، وَرَبِمَا ثَقُلَ، فَقِيلَ: ثَقِفًا»^(١)(٢).
قال المفسرون: «أَي: حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ»^(٣).

وقال الزَّجَّاج: «مَعْنَى الْآيَةِ: لَا تَمْتَنِعُوا مِنْ قَتْلِهِمْ فِي الْحَرَمِ وَغَيْرِهِ»^(٤)، أَيْنَا وَجَدْتُمُوهُمْ وَصَادَفْتُمُوهُمْ وَظَفَرْتُمْ بِهِمْ»^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُم﴾: يَعْنِي مَكَّةَ^(٦)، ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ﴾: يَعْنِي وَشُرَكَاهُمْ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - أَعْظَمُ مِنْ قَتْلِكُمْ إِيَّاهُمْ فِي الْحَرَمِ وَالْحُرْمِ وَالْإِحْرَامِ^(٧).

وقد ذكرنا معاني الفتنة عند قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٠٢].

-
- (١) ضبطت في (ش): (ثقفًا).
(٢) انظر: ثقف في تفسير الطبري ١٩١/٢، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٢٦٣/١، واللسان ٤٩٢/١، ٤٩٣، والمفردات ٨٥. وقال: «الثَّقَفُ: الْحَذَقُ فِي إِدْرَاكِ الشَّيْءِ»، ويقال: «ثَقِفْتَ كَذَا إِذَا أَدْرَكْتَهُ بِبَصْرِكَ لِحَذَقٍ فِي النَّظَرِ، ثُمَّ يَتَجَوَّزُ بِهِ فَيَسْتَعْمَلُ فِي الْإِدْرَاكِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَعَهُ ثِقَافَةٌ». انظر: تفسير الطبري ١٩١/٢، وتفسير الثعلبي ٤٠٧/٢.
(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢٦٢/١.
(٤) في (أ): (به).
(٥) انظر: تفسير الطبري ١٩١/٢، وتفسير الثعلبي ٤٠٨/٢، وتفسير البغوي ٢١٣/١.
(٦) تفسير الثعلبي ٤٠٨/٢، وعبارته في بعض النسخ: «فِي الْحَرَمِ وَالْحُرْمِ وَالْإِحْرَامِ»، وتفسير الطبري ١٩١/٢، ١٩٢، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٢٦٤/١، وتفسير البغوي ٢١٤/١. وقوله: «وَالْحُرْمُ: يَعْنِي: الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ»، والقول الثاني في الآية: «ارْتِدَادُ الْمُؤْمِنِ إِلَى الْأَوْثَانِ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يَقْتُلَ مُحَقَّقًا»، وهذا قول مجاهد. انظر: زاد المسير ١٩١/١ - ١٩٩. وقال الكسائي: «الْفِتْنَةُ هَاهُنَا: الْعَذَابُ، وَكَانُوا يَعَذِّبُونَ مَنْ أَسْلَمَ». انظر: تفسير الثعلبي ٤٠٨/٢.

وقال بعض أصحاب المعاني: «سُمِّيَ الكفرُ فتنةً لأن الكفر إظهار الفساد عند الاختبار، وأصل الفتنة: الاختبار»^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوَكُمْ فِيهِ﴾: قال مقاتل: «نَسَخَ هذا قوله: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفُوهُمْ﴾» ثم^(٢) نسخ هذا قوله: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، فهذه الآية ناسخة ومنسوخة، وعنده يجوز الابتداء بالقتال في الحرم^(٣).

وقال آخرون: «إنهم نُهِوا عن ابتدائهم بقتل أو قتال، حتى يبتدئ المشركون بذلك، وهذه الآية محكمة». ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم، وعلى هذا أكثر المفسرين، وغلطوا مقاتلاً في ما قال^(٤).

(١) انظر: زاد المسير ١/ ١٩٨، والتفسير الكبير ٥/ ١٣٠.

(٢) ليست في (أ) و(م).

(٣) ذكره عن مقاتل بن حيان: الثعلبي في تفسيره ٢/ ٤١٠، وبنحوه رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣٢٦، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ٢٢٨، وفي زاد المسير ١/ ١٩٩، ٢٠٠، واختاره الطبري في تفسيره ٢/ ١٩٣، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ١/ ٥٢١، ومكي في الإيضاح ١٥٧، ونسبه ابن عطية في تفسيره ٢/ ١٣٩ إلى الجمهور، وقد ناقش الرازي في تفسيره ٥/ ١٢٩، ١٣٠ قول مقاتل، ثم ضعفه فقال: «وأما قوله: إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، فهذا من باب التخصص لا من باب النسخ، وأما قوله: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ منسوخة بقوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، فهو خطأ أيضاً؛ لأنه لا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم، وهذا الحكم ما نسخ بل هو باق، مثبت أن قوله ضعيف، ولأنه يبعد من الحكيم أن يجمع بين آيات متوالية تكون كل واحدة ناسخة للأخرى». اهـ. ومن رجح القول بعدم النسخ ابن العربي في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٥٨، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ٢٢٨، والقرطبي ٢/ ٣٣٠، وابن كثير ١/ ٢٤٢. قال النحاس في الناسخ والمنسوخ ١/ ٥١٩: «هذه الآية من أصعب ما في الناسخ والمنسوخ».

(٤) انظر: التفسير الكبير ٥/ ١٣٠، وتفسير القرطبي ٢/ ٣٣٠، ونسبه الطبري في تفسيره ٢/ ١٩٢ إلى مجاهد. قال القرطبي: «وبه قال طاوس، وهو الذي يقتضيه نص الآية، وهو الصحيح من القولين، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه، ثم استدلل بحديث ابن عباس، وفيه: «وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة»، وقد ذكر -رحمه الله- أدلة الفريقين.

وقرأ حمزة والكسائي (ولا تقتلوهم) (حتى يقتلوكم) (فإن قتلوكم) هذه الثلاثة بغير ألف^(١)، وجاز ذلك، وإن وقع القتل ببعض دون بعض؛ لأن العرب تقول: «قتلنا بني تميم»، وإنما قتلوا بعضهم^(٢).

١٩٣. قوله تعالى: ﴿وَقَتْلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: أي شرك^(٣)، يعني: قاتلوهم حتى يُسلموا، فليس يُقبلُ من المشرك الوثني جزيةٌ، ولا يُرضى منه إلا بالإسلام^(٤). ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ﴾: أي الطاعة والعبادة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده، ولا يُعبد دونه شيء^(٥).

﴿فَإِنْ أَنْتَهُمَا﴾: أي عن الكفر^(٦) ﴿فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: أي الكافرين الواضعين العبادة في غير موضعها^(٧)، والذي عليهم إنما سبَّاهُ عُدواناً على معنى الجزاء والقصاص؛ لأن ما يكون منهم عُدوان فسمى الذي عليهم

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف بحذف الألف في الثلاثة، والباقون بإثباتها. النشر ٢/٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) معاني القرآن للزجاج ١/٢٦٤، وتفسير الثعلبي ٢/٤٠٩.

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن ٣٧٤، وتفسير الطبري ٢/١٩٤، وتفسير ابن أبي حاتم ١/٣٢٧؛ حيث ذكر الآثار في ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسُّدي، والربيع، وابن زيد. انظر: تفسير الثعلبي ٢/٤١١.

(٤) تفسير الثعلبي ٢/٤١١، وقد ذكر عن المفضل بن سلمة الحكمة في أخذ الجزية من أهل الكتاب دون غيرهم. قال القرطبي في تفسيره ٢/٣٥٣: «وقاتلوهم، أمر بالقتال لكل مشرك في كل موضع، على من رآها ناسخة، ومن رآها غير ناسخة». قال: «المعنى: قاتلوا هؤلاء الذين قال الله فيهم: فإن قاتلوكم، والأول أظهر، وهو أمر بقتال مطلق لا بشرط أن يبدأ الكفار»، وقد بين في زاد المسير ١/٢٠٠ أن القول بالنسخ إنما يستقيم إذا قلنا إن معنى الكلام: فإن انتهوا عن قتالكم مع إقامتهم على دينهم، وأما إذا قلنا إن معناه: فإن انتهوا عن دينهم، فالآية محكمة.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٢/١٩٥، وتفسير الثعلبي ٢/٤١٢.

(٦) في تفسير الثعلبي ٢/٤١٣: «فإن انتهوا عن القتال والكفر».

(٧) تفسير الثعلبي ٢/٤١٣، وتفسير البغوي ١/٢١٤ أو من بدأ بقتال على التأويل الثاني. انظر: تفسير القرطبي ٢/٣٥٤.

عُدواناً، مثل قوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]؛ وذلك أنه في صورة العُدوان من حيث إنه قتلٌ ونهبٌ واسترقاقٌ^(١).

١٩٤. قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾: قال المفسرون: «إن النبي ﷺ صَدَّ عام الحديبية سنة ستَّ، ثم عاد في سنة سبع، ودخل مكة وقضى العمرة في ذي القعدة، فأنزل الله هذه الآية»، يريد: ذو القعدة، الذي دخلتم فيه مكة، واعتمرتم ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾: ذي القعدة، الذي صددتم فيه عن البيت، يعني أن هذا جزاء ذاك وبدله. وتأويله: العمرة في الشهر الحرام من سنة سبعٍ بدلٌ من الصَّدِّ في الشهر الحرام سنة ستَّ^(٢).

والحرَمات: جمع حُرْمَةٍ، والحُرْمَةُ: ما مُنِعَ من انتهاكه^(٣).

والقِصَاص: المساواة والمماثلة، ذكرنا ذلك. وأراد بالحرَمات: الشهر الحرام، والبلد الحرام، وحُرْمَةُ الإِحْرَام^(٤).

(١) انظر: تفسير الطبري ٢/١٩٥، ١٩٦، ومعاني القرآن للزجاج ١/٢٦٥، وتفسير الثعلبي ٢/٤١٣، وتفسير القرطبي ٢/٣٣٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢/١٩٦-١٩٨، وقد ذكر روايات كثيرة في ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ومقسم، والسُّدِّي، والضحاك، والربيع، وابن زيد، ونحوه عند ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٣٢٨، وذكر هذا السبب الثعلبي ٢/٤١٤، والبغوي ١/٢١٥، والواحدي في أسباب النزول ٥٨، وابن الجوزي في زاد المسير ١/١٩٤، وغيرهم.

(٣) تفسير الثعلبي ٢/٤١٦، وانظر: المفردات ١٢٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٣/٥٧٩، وتفسير الثعلبي ٢/٤١٦، وتفسير البغوي ١/٢١٥.

ومعنى قوله : ﴿وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ﴾ ؛ أي اقتصصت لكم منهم ، حيث أضاعوا وانتهكوا هذه الحرمات في سنة ست ، فقضيتهم على زعمهم ما فاتكم في سنة سبع^(١) .

قال مجاهدٌ : «فَحَرَّتْ قَرِيشٌ أَنْ صَدَّتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ ، فَأَقْصَهُ اللَّهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقَابِلِ ، فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ ، فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ»^(٢) ، هذا قول أكثر المفسرين^(٣) .

والصحيح في تفسير هذه الآية ما قاله ابن عباس في رواية عطاء : ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ «يريد : إن قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم في مثله»^(٤) ، واختار الزَّجَّاج هذا القول ، فقال : «معناه : قتال الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام»^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ﴾ : قال ابن عباس : «يريد : إن انتهكوا لكم حرمةً فانتهكوا منهم مثل ذلك» .

(١) انظر : تفسير الطبري ٢-١٩٨ ، وتفسير الثعلبي ٢/٤١٦ ، ويفيد كلام الواحدي هنا أن هذه العمرة قضاء للعمرة التي حصروا عنها عام الحديبية ، والقول الآخر : إنها من المقاضاة ؛ لقول ابن عمر : «لم تكن هذه قضاء ولكن كان شرطاً على المسلمين أن يعتمروا في الشهر الذي حاصروا فيه المشركون» . انظر : زاد المعاد ٣/٣٧٨ .

(٢) رواه عنه الطبري في تفسيره ٢/١٩٧ .

(٣) انظر : تفسير الثعلبي ٢/٤١٦ .

(٤) تقدم الحديث عن رواية عطاء ٩٢ ، وقد ذكره البغوي في تفسيره ١/٢١٥ ، ولم ينسبه ، وروى الطبري ٢/١٩٨ ، وابن أبي حاتم ١/٣٢٩ عن عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : «أمركم الله بالقصاص ، ويأخذ منكم العدوان» ، وهي بمعنى ما ذكره الواحدي ، وعزا ابن الجوزي في زاد المسير ١/٢٠١ هذا القول إلى الحسن البصري .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/٢٦٤ .

وقال الزَّجَّاجُ : «أعلم الله - عز وجل - أن أمر هذه الحرمات قِصاص»^(١) ؛ أي لا يكون للمسلمين أن ينتهكوها على سبيل الابتداء ، ولكن على سبيل القِصاص . وهذا القول أولى القولين بالصواب ، وأشبهها بالآية وبها^(٢) قبلها ، وهو قوله : ﴿وَلَا تُقْبِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُواكُمْ﴾ [البقرة: ١٩١] ، الذي يدل عليه من سياق الآية .

قوله تعالى : ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ ؛ أي ظلم ، فقاتل ، ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ . وسمَّى الثاني اعتداءً لأنه مجازاة اعتداء فُسِّمِي بمثل اسمه ؛ لأن صورة الفعلين واحدة ، وإن كان أحدهما طاعة والآخر معصية ، والعرب تقول : «ظلمني فلان فظلمته» ، إذا جازيته بظلمه ، و«جهل عليّ فجَهِلْتُ عليه» ؛ أي جازيته بجهله . قال عمرو^(٣) :

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهِلَ فَوْقَ جَهِلِ الْجَاهِلِينَا^(٤)

أي نكافئ على الجهل بأكثر من مقداره ، ومثله من التنزيل قوله عز وجل : ﴿وَمَكْرُؤًا وَمَكْرَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٤] ، وقوله : ﴿فَيَسْحَرُونَ مِنْهُمْ سِحْرَ اللَّهِ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]^(٥) .

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٢٦٤ .

(٢) في (أ) و(م) : (بها) بلا واو .

(٣) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي ، شاعر جاهلي ، من أصحاب المعلقات ، وهو قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة ، وقد عُمر وأدركته المنية وهو يناهز الخمسين ومائة .

انظر : طبقات فحول الشعراء ١/ ١٥١ ، والشعر والشعراء ١٣٧ ، وخزانة الأدب ٣/ ١٨٣ .

(٤) البيت في ديوانه ٣٣٠ ، وقد تقدم تحريجه ٢/ ١٤٠ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٢٦٥ ، وانظر : تفسير الطبري ٢/ ١٩٩ ، ٢٠٠ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ٤١٣ ، ٤١٧ ، وتفسير البغوي ١/ ٢١٥ .

١٩٥ . وقوله تعالى : ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ : كل ما أمر الله به من الخير فهو في سبيل الله ، وأكثر ما استعمل في الجهاد ؛ لأنه السبيل الذي يقاتل فيه على عقد الدين^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ : قال أبو عبيدة^(٢) والزجاج^(٣) : «التَّهْلُكَةُ : الهلاك ، يقال : هلك يهلك هلاكاً وهلكاً وهلكاً وتهلكة» .

قال الخارزنجي^(٤) : «لا أعلم في كلام العرب مصدراً على تفعلة بضم العين إلا هذا»^(٥) .

قال أبو علي : «قد حكى سيبويه التَّضَرَّةَ والتَّسَرَّةَ ، وقد جاء هذا المثال اسماً غير مصدر ، حكى سيبويه : التَّفُلُ والتَّضُبُّ ، قال : ولا نعلمه جاء صفة»^(٦) .

وقال الليث : «التَّهْلُكَةُ : كل شيء تصير عاقبته إلى الهلاك» .

ومعنى الهلاك : الضياع ، وهو مصير الشيء بحيث لا يُدْرَى أين هو^(٧) .

(١) من معاني القرآن للزجاج ٢٦٥/١ ، وتفسير البغوي ٢١٥/١ .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٨/١ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢٦٦/١ .

(٤) هو أحمد بن محمد البشّتي ، أبو حامد المعروف بالخارزنجي ، إمام الأدب بخراسان في عصره بلا مدافعة ، صنّف تكملة كتاب العين ، وشرح أبيات أدب الكاتب ، توفي سنة ٣٤٨ هـ . انظر : الأنساب ٢/ ٣٠٤ ، وبغية الوعاة ١/ ٣٨٨ .

(٥) رواه عنه الثعلبي في تفسيره ٤١٧/٢ ، والخير في الكفاية ١/ ١٣٦ ، وانظر : البحر المحيط ١/ ٥٩ ، والدر المصون ٢/ ٣١٢ .

(٦) انظر : الكتاب لسيبويه ٤/ ٢٧٠ ، ٢٧١ ، وانظر أيضاً : البحر المحيط ١/ ٥٩ .

(٧) انظر : التهلكة في تفسير الثعلبي ٢/ ٤١٧ ، والمفردات ٥٢٢ ، والبحر المحيط ١/ ٥٩ ، واللسان ٨/ ٤٦٨٦ (هلك) . قال الحافظ في الفتح ٨/ ١٨٥ : «وقيل : التهلكة : ما أمكن التحرز منه ، والهلاك بخلافه ، وقيل : التهلكة : نفس الشيء المهلك ، وقيل ما تضر عاقبته ، والمشهور الأول» . انظر : تفسير البغوي ١/ ٢١٥ ، والبحر المحيط ٢/ ٦٠ ، وقد تكلم كثيراً ، يحسن تلخيص كلامه .

ومعنى قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾: لا تأخذوا في ذلك . يقال لكل مَنْ أخذ في عمل: قد ألقى يديه فيه^(١)، ومنه:

حتى إذا أَلْقَتْ يداً في كافرٍ^(٢)

أي بدأت^(٣) في المغيب^(٤).

وقال المبرد: «عَبَّرَ بِالْأَيْدِي عَنْ النَّفْسِ»، أراد: لا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة، فعَبَّرَ بِالْبَعْضِ عَنِ الْكُلِّ، مثل قوله تعالى: ﴿يَمَّا قَدَّمْتُ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]، و﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]^(٥).

والباء زائدة، أراد: لا تلقوا أيديكم، يدل عليه قوله: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسَهُ﴾ [النحل: ١٥]، فعَدَّى بِغَيْرِ الْبَاءِ^(٦).

وقال أبو علي: «المعنى لا تقربوا مما يهلككم؛ لأن مَنْ ألقى يده إلى الشيء فقد قَرَّبَ مِنْهُ، وهذا مبالغة (في الزجر)^(٧) وتأکید؛ لأن النهي إذا وقع عن^(٨) مشارفته

(١) تفسير الطبري ٢/ ٢٠٤، ٢٠٥، وتفسير الثعلبي ٢/ ٤١٨.

(٢) عجز البيت:

وَأَجْنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا

والبيت للبيد في ديوانه ٣١٦، وشرح المعلقات السبع لأبي عبد الله الزورني ٢٢٠، وشرح المعلقات العشر للتبريزي ٢٤٦، وإصلاح المنطق ١٢٧، وتفسير الثعلبي ٢/ ٤١٨. الكافر: الليل، والكفر: الستر، والإجنان: الستر أيضاً. لسان العرب (كفر) ٧/ ٣٨٩٧.

(٣) في (م): (بدت).

(٤) تفسير الثعلبي ٢/ ٤١٨.

(٥) نقله عنه الثعلبي في تفسيره ٢/ ٤١٨، وابن الجوزي في زاد المسير ١/ ٢٠٣.

(٦) انظر: تفسير الثعلبي ٢/ ٤١٩، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ٣٥٣، والإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ٢٤٤.

(٧) سقطت من (م).

(٨) في (ش): (من).

وَمُقَارَبَتِهِ فَمُبَاشَرَتُهُ أَوَّلَى بِالْإِنْتِهَاءِ ، وَكَانَ الْمَعْنَى : لَا تَقْرَبُوا مَنْ تَرَكَ الْإِنْفَاقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(١) .

وَأَكْثَرُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ عَلَى أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ ؛ أَي لَا تَمْسِكُوا وَلَا تَبْخُلُوا عَنِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَالْمُرَادُ بِهَذِهِ الْآيَةِ : النَّهْيُ عَنِ تَرْكِ النِّفْقَةِ فِي الْجِهَادِ ، إِمَّا أَنْ يَنْفِقَ عَلَى نَفْسِهِ وَيَخْرُجَ ، وَإِمَّا أَنْ يَنْفِقَ عَلَى مَنْ يَغْزُو مِنَ الْمُسْلِمِينَ^(٢) ، حَتَّى قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : «أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَهْمٌ أَوْ مَشَقَصٌ ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : لَا أَجِدُ شَيْئًا»^(٣) .

وَقَالَ السُّدِّيُّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : «أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَوْ عَقَالًا» . ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ : لَا تَقُلْ لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ^(٤) .

(١) انظر : ما ذكر من الأقوال في الآية تفسير الطبري ٢/ ٢٠٠-٢٠٢ ، وتفسير البغوي ١/ ٢١٥-٢١٧ ، وزاد المسير ١/ ٢٠٣ ، والبحر المحيط ٢/ ٧٠ . ذكر تسعة أقوال ثم قال : «وهذه الأقوال كلها تحتمل هذه الآية ، والظاهر أنهم نوا عن كل ما يؤول بهم إلى الهلاك في غير طاعة الله» ، وقال الطبري في تفسيره ٣/ ٥٩٣ : «فالصواب أن يقال : إن الله نهى عن الإلقاء بأيدينا لما فيه هلاكنا ، والاستسلام للهلكة وهي العذاب بترك ما لزمنا من فرائضه ، فغير جائز لأحد منا الدخول في شيء يكرهه الله منا مما نستوجب بدخولنا فيه عذابه» ، ثم ذكر أثر ابن عباس : التهلكة : عذاب الله .

(٢) ذكر الطبري في تفسيره ٢/ ٢٠٠-٢٠٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣٣١ الآثار في ذلك عن حذيفة ، وابن عباس ، وعكرمة ، والحسن ، ومجاهد ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وأبي صالح ، والضحاك ، والسُّدِّيُّ ، ومقاتل بن حيان ، وقتادة ، ومحمد بن كعب القرظي . انظر : صحيح البخاري ٥/ ١٨٥ ، وتفسير سفيان الثوري ٥٩ ، وسعيد بن منصور في السنن ٣/ ٧١٠ ، وعبد الرزاق في تفسيره ١/ ٧٤ ، والجصاص في أحكام القرآن ١/ ٢٦٢ .

(٣) رواه عنه سفيان الثوري في تفسيره ٥٩ ، والإمام أحمد في العلل ومعرفة الرجال ٢/ ٣٩٥ ، والطبري ٢/ ٢٠٠ ، وابن أبي شيبة في المصنف ٥/ ٣٣١ ، والبيهقي ٩/ ٤٥ .

(٤) رواه عنه الطبري ٢/ ٢٠١ ، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٣٣١ .

وقال أبو إسحاق : «معناه أنكم إن لم تنفقوا في سبيل الله هلكتم ، أي : عصيتم الله فهلكتم ، وجائز أن يكون هلكتم بتقوي عدوكم عليكم»^(١) .

فعلى هذا معنى التهلكة : الهلاك بالعصيان بترك النفقة ، والهلاك بقوة العدو عند ترك النفقة في الجهاد .

وقال أبو أيوب الأنصاري^(٢) : «إنها نزلت فينا معشر الأنصار ، لما أعز الله دينه ونَصَرَ رَسُوله ، قلنا : لو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها ، فأُنزل الله هذه الآية»^(٣) .

فعلى هذا ، التهلكة : الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد .

والمعنى : لا تتركوا الجهاد فتهلكوا ، فسمي ترك الجهاد تهلكة ؛ لأنه يؤدي إلى الهلاك في الدنيا بقوة العدو وفي الآخرة بالعصيان^(٤) .

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٦٦/١ .

(٢) هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة ، أبو أيوب الأنصاري ، من بني النجار ، صحابي شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد ، رحل إلى الشام ، وغزا مع جيش معاوية القسطنطينية ، وتوفي فيها سنة ٥٢ هـ . انظر : الإصابة ٤٠٥/١ ، والأعلام ٢٩٥/٢ .

(٣) الحديث رواه الترمذي في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة البقرة ٢١٢/٥ ، وقال : «حسن صحيح غريب» ، والنسائي في تفسيره ٢٣٦/١ ، وأبو داود في كتاب : الجهاد ، باب : في قوله تعالى : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ ١٢/٣ ، رقم ٢٥١٢ ، وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود ، رقم ٢١٩٣ ، ولهذا الحديث قصة ، عن أسلم بن عمران قال : «غزونا من المدينة نريد القسطنطينية ، وعلى الجماعة عبدالرحمن بن خالد بن الوليد ، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة ، فحمل رجل على العدو ، فقال الناس : مه مه ، لا إله إلا الله ، يلقي بيديه إلى التهلكة ! فقال أبو أيوب : إنما نزلت في الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد» . هذا لفظ أبي داود . قال الحافظ في الفتح ٣٤/٨ : «وأما مسألة حمل الواحد على العدد الكثير من العدو ، فصرح الجمهور بأنه إن كان لفرط شجاعته وظنه أنه يهرب العدو بذلك ، أو يجرئ المسلمين عليهم أو نحو ذلك من المقاصد الحسنة فهو حسن ، ومتى كان مجرد تهور فممنوع ، ولا سيما إن ترتب على ذلك وهن في المسلمين» .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٠٥/٢ ، وتفسير الثعلبي ٤٢٦/٢ ، والبحر المحيط ٧٠/٢ .

وفي الآية قول ثالث ، هو ما روي عن البراء بن عازب^(١) أنه قيل له في هذه الآية : أهو^(٢) الرجل يحمل على الكتبية وهم ألف بالسيف ؟ قال : لا ، ولكنه الرجل يصيب الذنب فيلقي بيديه^(٣) ويقول : لا توبة لي^(٤) .

وهذا القول اختيار يمان^(٥) بن رثاب^(٦) والمفضل^(٨) ، قالوا : «يقال للرجل إذا استسلم للهلاك ويئس من النجاة : ألقى بيديه»^(٩) .

(١) هو البراء بن عازب بن حارث الأنصاري الأوسي ، صحابي غزا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة غزوة ، وهو الذي افتتح الرِّيَّ ، وشهد الجمل وصفين مع علي رضي الله عنه ، ومات في إمارة مصعب بن الزبير . انظر : أسد الغابة ١/ ٢٠٥ ، والإصابة ١/ ٢٧٨ .

(٢) في (ش) : (أهوال) .

(٣) في (م) : (بيده) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ٢/ ٢٠٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣٣٢ ، والحاكم ٢/ ٣٠٢ ، وقال : «صحيح على شرط الشيخين» ، والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٤٠٧ ، والخطابي في غريب الحديث ١/ ٥٣٦ ، وصحَّح إسناده الحافظ في الفتح ٨/ ١٨٥ ، وروى الطبري في تفسيره ٢/ ٢٠٢ ، وأحمد في مسنده ٤/ ٢٨١ عن أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق قال : «قلت للبراء : الرجل يحمل على المشركين ، أهو ممن ألقى بيده إلى التهلكة ؟ قال : لا ؛ لأن الله - عز وجل - بعث رسوله ﷺ فقال : فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك ، إنما ذلك في النفقة» ، وذكر الحافظ في الفتح ٨/ ١٨٥ أنه إن كان محفوظاً ، فلعل للبراء فيه جوابين ، الأول من رواية الثوري وأبي إسرائيل وأبي الأحوص ونحوهم ، وكلُّ منهم أتقن من أبي بكر بن عياش ، فكيف مع اجتماعهم وانفراده .

(٥) ذكره عنه الثعلبي ٢/ ٤٣٧ .

(٦) في (ش) : (ريمان بن زيات) ، وفي (م) : (رباب) .

(٧) هو اليان بن رباب أو ابن رثاب البصري من رؤساء الخوارج ، تقدمت ترجمته .

(٨) ذكره عنه الثعلبي في تفسيره ٢/ ٤٣٧ .

وهذا القول مروى أيضاً عن محمد بن سيرين ، وعبيدة السلماني ، وأبي قلابة البصري . انظر : تفسير الطبري ٢/ ٢٠٣ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣٣٢ ، وتفسير عبدالرزاق ١/ ٣٣٢ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ٤٣٦ ، ٢/ ٤٣٧ .

(٩) في (م) : (بيده) .

وقال الفضيل : « **وَلَا تُلقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** » بإساءة الظن بالله^(١) ، فعلى هذا القول التهلكة هي ترك التوبة ، والقنوط من رحمة الله ، أو إساءة الظن بالله - عز وجل - في الإخلاف عند الإنفاق^(٢) .

قال أبو علي الفارسي : « الباء في قوله : (بأيديكم) زيادة ، والمعنى (ولا تلقوا أيديكم) ، يدل على ذلك قوله تعالى : **﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا﴾** [النحل : ١٥] ، و **﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسًا﴾** [الحجر : ١٩] ، و **﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾** [آل عمران : ١٥١] ، وزيادتها هاهنا كزيادتها في قوله : **﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾** [العلق : ١٤]^(٣) .

وقوله تعالى : **﴿وَأَحْسِنُوا﴾** معناه على القول الأول في التهلكة : «أنفقوا في سبيل الله ، فمن أنفق في سبيل الله فهو محسن» .

قال ابن عباس : «أي^(٤) : أحسنوا الظن بالله ، فإنه يُضَاعَفُ الثواب ، ويُخْلَفُ لكم النفقة»^(٥) ، فالإحسان على هذا محمول على إحسان الظن بالله في الخلف ، وعلى القول الثاني : جاهدوا ، والمجاهد في سبيل الله محسنٌ ، وعلى القول الثالث : تفسير الإحسان إحسان الظن بالله في قبول التوبة وغفران الذنوب^(٦) .

(١) رواه سفيان الثوري في تفسيره ٥٩ ، ورواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله ١١٧ ، وذكره الثعلبي ٤٤٣/٢ ، وروى الطبري ٢/٢٠٥ عن عكرمة نحوه .

(٢) روى الطبري ٢/٢٠٥ ، وابن أبي حاتم ١/٢٣٢ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : «التهلكة : عذاب الله» ، وهذا قول رابع في معنى الآية .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢/٢٠٥ ، وتفسير البغوي ١/٢١٥ . وقال : «وقيل : الباء في موضعها ، وفيه حذف ، أي : لا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة» ، واختار أبو حيان في البحر المحيط ٢/٧١ أن المفعول في المعنى هو بأيديكم ، لكنه ضمن ألقى معنى ما يتعدى بالباء فعدها ، كأنه قيل : ولا تفضوا بأيديكم إلى التهلكة ، ويكون إذاك قد عبّر عن الأنفس بالأيدي ؛ لأن بها الحركة والبطش والامتناع .

(٤) ليست في (م) .

(٥) رواه الطبري في تفسيره عن عكرمة ٢/٦٠٢ ، وذكر في البحر المحيط ٢/٧١ .

(٦) انظر : زاد المسير ١/٣٠٣ ، وذكر أن القول الثاني : «أحسنوا الظن بالله» ، قاله عكرمة وسفيان ، وهو يخرج على قول من قال : «التهلكة : القنوط» ، والثالث : «معناه أدوا الفرائض» ، رواه سفيان عن أبي إسحاق .